ذخائر العرب

٣٠

السيرة النبوية المستخرجة من كتاب

تاريخ الطبري

تاريخ الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ – ٣١٠ هـ

الجزء الثاني

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة الثانية

دار المعارف بمصر

الناشر : دار المعارف بمصر – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج. ع. م.

تاريخ الطبري

١٠٧٣/١

ذكر نسب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وذكر بعض أخبار آبائه وأجداده

اسم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم محمّد، وهو ابن عبد الله بن عبد المطّلب، وكان عبد الله أبو رسول الله أصغرَ ولد أبيه، وكان عبد الله والزبير وعبد مناف — وهو أبو طالب — بنو عبد المطّلب لأمّ واحدة، وأمّهم جميعًا فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم؛ حدّثنا بذلك ابن حميد، قال: حدّثنا سلَمة بن الفضل، عن ابن إسحاق.

وحدّثت عن هشام بن محمّد، عن أبيه، أنه قال: عبد الله بن عبد المطّلب أبو رسول الله، وأبو طالب — واسمه عبد مناف — والزبير، وعبد الكعبة، وعاتكة، وبرّة، وأمَيمة، ولَدُ عبد المطلب إخوة؛ أمّ جميعهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم بن يَقَظَة.

وكان عبد المطّلب — فيما حدّثني يونس بن عبد الأعلى — قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن قبيصة بن ذؤيب، أنه أخبره أن امرأة نَذَرت أن تنحر ابنها عند الكعبة في أمر إن فعلته، ففعلت ذلك الأمر، فقدمت المدينة لتستفتيَ عن نَذْرها، فجاءت عبدَ الله بن عمر، فقال لها عبد الله بن عمر: لا أعلم الله أمَرَ في النذر إلاّ الوفاء به، فقالت المرأة: أفأنحرُ ابني؟ قال ابن عمر: قد نهاكم الله أن تقتلوا أنفسَكم؛ فلم يزدها عبد الله بن عمر على ذلك، فجاءت عبدَ الله بن عبّاس فاستفتته، فقال: أمر الله بوفاء النذر [والنذر دَيْن][1]، ونهاكم أن تقتلوا
١٠٧٤/١ أنفسكم — وقد كان عبد المطلب بن هاشم نَذَرَ إن توافَى له عشرة رهط، أن ينحرَ أحدهم، فلما توافَى له عشرة، أقْرع بينهم. أيُّهم ينحر؟ فطارت القرعة على عبد الله بن عبد المطّلب، وكان أحبَّ الناس إلى عبد المطلب، فقال عبد المطّلب: اللهمّ هو أو مائة من الإبل، ثم أقرع بينه وبين الإبل، فطارت

(١) تكملة من ح.

القُرعة على المائة من الإبل — فقال ابن عبّاس للمرأة: فأرى أن تنحرى مائة من الإبل مكان ابنك. فبلغ الحديث مرْوان، وهو أمير المدينة، فقال: ما أرى ابن عمرو ولا ابن عباس أصابا الفُتْيا؛ إنه لا نذر فى معصية الله، استغفرى الله وتوبى إلى الله، وتصدّقى واعملى ما استطعت من الخير؛ فأمّا أن تنحرى ابنك فقد نهاك الله عن ذلك. فسُرّ الناس بذلك، وأعجبهم قولُ مرْوان، ورأوا أنه قد أصاب الفتيا، فلم[1] يزالوا يفتون بألاّ نَذْرَ فى معصية الله.

* * *

وأمّا ابن إسحاق، فإنه قصّ من أمر نذر عبد المطلب هذا قصّة؛ هى أشبع[2] مما فى هذا الخبر الذى ذكرناه عن ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب؛ وذلك ما حدّثنا به ابن حُمَيد، قال: حدّثنا سلمَة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، قال: كان عبدُ المطلب بن هاشمٍ — فيما يذكرون[3] والله أعلم — قد نَذَرَ حين لقِىَ من قريش فى حفر زمزم ما لَقِىَ: لئن وُلد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتّى يمنعوه؛ لينحرنّ أحدَهم لله عند الكعبة، فلما توافَ له[4] بنوه عشرة، وعرف أنهم سيمنعونه، جمعهم ثم أخبرهم بنذْرِه الذى نذر، ودعاهم
١٠٧٥/١ إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه، وقالوا: كيف نصنع؟ قال: يأخذ كلّ رجل منكم قِدْحا، ثم ليكتب فيه اسمه، ثم ائتونى به. ففعلوا، ثم أتوْه، فدخل على هُبَل فى جوف الكعبة، وكانت هُبَل أعظمَ أصنام قريش بمكّة، وكانت على بئر فى جوف الكعبة، وكانت تلك البئر هى التى يُجمع فيها ما يُهدى للكعبة، وكان عند هُبَل سبعةُ أقْدح[5]، كلّ قِدْح منها فيه كتاب: قِدْح فيه العقل[6]، إذا اختلفوا فى العَقْل مَنْ يحمله منهم ضربوا بالقِداح السبعة، [فإن خرج العقل فعلى من خرج حمله][7]، وقِدْح فيه: «نعَمْ» للأمر إذا أرادوه

(١) م: «فما زالوا».
(٢) كذا فى م، وفى ح: «أبلغ».
(٣) ابن هشام: «يزعمون».
(٤) ساقطة من ابن هشام.
(٥) ابن هشام: «قداح سبعة»، والقدح، بالكسر: السهم قبل أن يراش وينصل، وجمعه قداح وأقدح.
(٦) العقل هنا: الدية
(٧) تكملة من سيرة ابن هشام.

يضرب به ؛ فإن خرج قِدْح: «نعم» عملوا به، وقدْح فيه« لا»، فإذا أرادوا أمرا ضربوا به فى القداح، فإذا خرج ذلك القِدْح لم يفعلوا ذلك الأمر، وقدْح فيه « منكم » ، وقِدْح فيه « مُلْصَق »،وقِدْح فيه « من غيركم » ، وقِدْح فيه « المياه » إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقِداح،وفيها ذلك القِدْح ، فحيثما خرج عملوا به . وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلامًا ، أو يُنكِحوا مَنْكَحًا ، أو يدفنوا ميتًا ، أوْ شكُّوا فى نسب أحد منهم ذهبوا به إلى هُبَل وبمائة درهم وجَزور ، فأعطوْها صاحب القِداح الذى يضربها[1] ، ثم قربوا صاحبهم الذى يريدون به ما يريدون ، ثم قالوا : يا إلهنا ، هذا ابن فلان ، قد أردنا به كذا وكذا ، فأخرِج الحقَّ فيه ؛ ثم يقولون لصاحب القِداح: اضرب، فيضرب فإن خرج عليه « منكم » كان وسيطًا[2] وإنخرج عليه« من غيركم » كان حليفًا، وإن خرج عليه « ملصَق »كان على منزلته منهم ، لا نسب له ولا حِلْف ، وإن خرج فى شىء سوى هذا مما يعملون به « نعَمْ » عملوا به ، وإن ١٠٧٦/١
خرج « لا » أخّروه عامَهم ذلك حتى يأتوا به مرة أخرى، ينتهون فى أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القِدَاح—فقال عبد المطلب لصاحب القِداح : اضرب على بَنِىّ هؤلاء بقِداحهم هذه ، وأخبره بنذره الذى نَذَر ، فأعطَى كلّ رجل منهم قِدْحه الذى فيه اسمه — وكان عبدُالله بن عبد المطلب أصغرَ بنى أبيه ، وكان فيما يزعمون أحبّ ولد عبد المطّلب إليه، وكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشْوَى[3] ، وهو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم — فلمّا أخذ صاحبُ القِداح القِداح ليضربَ بها،قام عبد المطّلب عند هُبَل فى جوف الكعبة يدعو الله ، ثم ضرب صاحبُ القداح ، فخرج القِدْح على عبد الله ، فأخذ[4] عبد المطلب بيده ، وأخذ الشَّفْرة ، ثم أقبل إلى إساف ونائلة — وهما وَثنا قريش اللذان تنحر عندهما ذبائحها — ليذبحه،فقامت إليه قريش من أنديتها ، فقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ قال : أذبحه

(١) سيرة ابن هشام : « يضرب بها » .
(٢) الوسيط : خالص النسب .
(٣) يقال : رمى فأشوى ، إذا رمى ولم يصب المقتل .
(٤) سيرة ابن هشام : « فأخذه » .

فقالت له قريش وبنوه : والله لا تذبحه أبداً حتى تُعْذِر فيه ؛ لئن فعلتَ هذا ، لا يزال الرجل [١] يأتى بابنه حتى يذبحه، فما بقاءُ الناس على هذا ! فقال له المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — وكان عبد الله ابن أخت القوم — : والله لا تذبحه أبداً حتى تعذِر فيه ؛ فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه. وقالت له قريش وبنوه : لا تفعل وانطلِقْ به إلى الحجاز ، فإنّ به عرّافة لها تابع ، فسلْها ، ثم أنت على رأس أمرك ؛ إن أمرَتْك أن تذبحه ذبحتَه ، وإن أمرتْك بأمر لك وله فيه فرج قبِلْته . ١٠٧٧/١

فانطلقوا حتى قدموا المدينة ، فوجدوها — فيما يزعمون — بخيبر ، فركبوا إليها حتى جاءوها ، فسألوها ، وقَصّ عليها عبد المطّلب خبره وخبر ابنه ، وما أراد به ، ونذرَه فيه . فقالت لهم : ارجعوا عنّى اليوم حتى يأتينى تابعى فأسأله . فرجعوا عنها ، فلمّا خرجوا من عندها ، قام عبد المطّلب يدعو الله . ثم غدوْا عليها ، فقالت : نعم ، قد جاءنى الخبر ، كم الدِّيةُ فيكم ؟ قالوا : عشر من الإبل — وكانت كذلك — قالت : فارجعوا إلى بلادكم ، ثم قرّبوا صاحبكم ، وقربوا عَشْراً من الإبل ، ثم اضربوا عليها وعليه بالقِداح ، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا فى الإبل [٢] حتى يرضى ربُّكم ، وإن خرجت على الإبل فانحروها ، فقد رضىَ ربُّكم ، ونجا صاحبكم .

فخرجوا حتى قدموا مكّة ، فلما أجمعوا لذلك من الأمر قام عبد المطّلب يدعو الله ، ثم قرّبوا عبد الله وعشراً من الإبل — وعبد المطّلب فى جوف الكعبة عند هُبَل يدعو الله — فخرج القِدْح [٣] على عبد الله ، فزادوا عشراً ، فكانت الإبل عشرين ، وقام عبد المطّلب فى مكانه ذلك يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج السّهم على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فكانت ثلاثين ، ثم لم يزالوا يضربون بالقِداح ويخرج القِدْح على عبد الله ، فكلّما خرج عليه زادوا من الإبل عشراً ؛ حتى ضربوا عشر مرات ، وبلغت الإبل مائة ، وعبد المطّلب

(١) ح : « لا يزال رجل منا » .

(٢) ر ، وسيرة ابن هشام : « من الإبل » .

(٣) ح ، ر ، م ، وابن الأثير « فخرجت القداح » .

قائم يدعو ، ثم ضربوا فخرج القِدْح على الإبل ، فقالت قريش ومَنْ حضر : قد انتهى رضا ربّك يا عبد المطّلب . فزعموا أن عبد المطّلب قال : لا والله حتّى أضرب عليها ثلاث مرات ، فضربوا على الإبل وعلى عبد الله ، وقام عبدالمطلب يدعو فخرج القِدْح على الإبل ، ثم عادوا الثانية وعبد المطّلب قائم يدعو ، ثم ١٠٧٨/١
عادوا الثالثة فضربوا[١] ، فخرج القِدْح على الإبل فنُحِرت ، ثم تُرِكتْ لايُصدُّ عنها إنسان ولا سَبُع[٢] .

ثم انصرف عبدُ المطّلب آخذاً بيد ابنه عبد الله ، فمرّ — فيما يزعمون — على امرأة من بنى أسد [بن عبد العزّى بن قصىّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤىّ بن غالب بن فهر][٣] ، يقال لها : أمّ قِتَال[٤] بنت نوفل بن أسد بن عبد العزّى ، وهى أخت ورقة بن نوفل بن أسد ، وهى عند الكعبة ، فقالت له حين نظرت إلى وجهه : أين تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع أبى ، قالت : لك عندى مثل الإبل التى نحِرَتْ عنك ، وقَعْ علىّ الآن ، قال : إنّ معى أبى ولا أستطيع خلافه ولا فراقه . فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وَهْبَ بن عبد مناف بن زهرة — ووهب يومئذ سيّد بنى زُهرة سنًّا وشرفًا — فزوّجه آمنة بنت وهب ، وهى يومئذ أفضلُ امرأة فى قريش نسبًا وموضعًا ، وهى لبرّة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصىّ ، وبرّة لأم حبيب بنت أسد ابن عبد العزّى بن قصىّ ، وأم حبيب بنت أسد لبرّة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدىّ بن كعب بن لؤىّ . فزعموا أنه دخل عليها حين ملكها مكانه فوقَع عليها ، فحملت بمحمّد صلّى الله عليه وسلّم . ثم خرج من عندها ، حتى أتى المرأة التى عرضت عليه ما عَرَضت ، فقال لها : مالك لا تعرضين علىّ اليومَ ما كنتِ عرضتِ علىّ بالأمس ؟ فقالت له : فارقك النور الذى كان ١٠٧٩/١
معك بالأمس ، فليس لى بك اليوم حاجة . وقد كانت تسمع من أخيها ورقة

(١) م ، وسيرة ابن هشام : « ثم ضربوا » .

(٢) سيرة ابن هشام : « لا يصد عنها إنسان ولا يمنع » .

(٣) من سيرة ابن هشام .

(٤) ح : « قتال » بتشديد التاء .

ابن نوفل ، وكان قد تنصّر واتّبع الكتب ، حتى أدرك ، فكان فيما طلب من ذلك أنه كائن لهذه الأمة نبيّ من بنى إسماعيل[١] .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن أبيه إسحاق بن يسار ؛ أنه حدّث أنّ عبد الله إنما دخلَ على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وقد عمل فى طين له ، وبه آثار من الطين ، فدعاها إلى نفسه ، فأبطأتْ عليه لمّا رأت به من آثار الطين ، فخرج من عندها[٢] ، فتوضّأ وغسل عنه ما كان به من ذلك ، وعمد إلى آمنة فدخل عليها فأصابها ، فحملت بمحمّد صلى الله عليه وسلم ، ثمّ مرّ بامرأته تلك ، فقال : هل لك ؟ فقالت : لا ، مررتَ بى وبين عينيك غُرّة ، فدعوتَنى فأبيت ، ودخلتَ على آمنة فذهبت بها . فزعموا أنّ امرأته تلك كانت تحدّث أنّه مرّ بها وبين عينيه مثل غُرّة الفرس ، قالت : فدعوته رجاء أن يكون بى ، فأبى علىّ ، ودخل على آمنة بنت وهب فأصابها ؛ فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم[٣] .

حدّثنى على بن حرب الموصلىّ ، قال : حدّثنا محمد بن عُمارة القرشىّ ، قال : حدّثنا الزنجىّ بن خالد ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : لمّا خرج عبد المطلب بعبد الله ليزوّجه ، مرّ به على كاهنة من خَثْعم ، يقال لها فاطمة بنت مُرّ ، متهوّدة[٤] من أهل تَبالة ، قد قرأت الكتب ، فرأت فى وجهه نوراً ، فقالت له : يا فتى ، هل لك أن تقع علىّ الآن وأعطيك مائة من الإبل ؟ فقال :

١٠٨٠/١ أمّا الحرامُ فالممات دُونَهْ والحِلّ لا حِلّ فأستبينَهْ
* فكيف بالأمر الذى تبغينَهْ[٤] *

(١) الخبر فى سيرة ابن هشام ١ : ١٠٣ — ١٠٥ .
(٢) كذا فى ح وسيرة ابن هشام ، وفى ط : « عنها » .
(٣) سيرة ابن هشام ١ : ١٠٥ .
(٤) م : « متهورة » . . .
(٤) الرجز فى السهيلى ١ : ١٠٤ ، وزاد فيه :
* يَحْمِى الكَرِيمُ عِرْضَهُ وَدِينَهْ *

ثم قال : أنا مع أبى ولا أقدر أن أفارقه ، فمضى به ، فزوّجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فأقام عندها ثلاثًا ثم انصرف . فمرّ بالخثعميّة فدعته نفسه إلى ما دعته إليه ، فقال لها : هلْ لك فيما كنتِ أردتِ ؟ فقالت : يا فتى ، إنى والله ما أنا بصاحبة ريبة ، ولكنّى رأيتُ فى وجهك نوراً فأردتُ أن يكون فىّ ، وأبى الله إلاّ أن يجعله حيث أراد ، فما صنعتَ بعدى ؟ قال : زوّجنى أبى آمنة بنت وهب ، فأقمت عندها ثلاثًا ؛ فأنشأت فاطمة بنت مُرّ تقول[1] :

إنّى رأيْتُ مخيلةً لمعَتْ ... فتلألأتْ بحنـــاتِمِ القطْرِ[2]
فلمأْتُهـــا نوراً يُضِىء له ... ما حوْلَهُ كإضاءةِ البَدْرِ[3]
فرجوتُها فخْـــراً أبوء به ... ما كلُّ قادِحِ زَندِهِ يُورِى[4]
لِلّهِ ما زُهْرِيَّةٌ سَـــلَبَتْ ... ثوْبَيْكَ مَااسْتَلَبتْ وما تَدْرِى![5]

وقالت أيضًا :

بَنِي هاشِمٍ قد غادَرَتْ مِنْ أخيكمُ ... أمينةُ إذ لِلبـــاه تَعتركانِ ١٠٨١/١
كما غادَرَ المِصْباحُ عند خُموده[6] ... فَتائِلَ قد مِيثت له بِدهانِ[7]
وما كلُّ مَا يَحْوِى الفَتَى مِن تِلادِهِ ... لِعَزْمٍ ولا مَا فاتهُ لِتَـــوانِ
فأجْمِلْ إذَا طَالَبْتَ أمْراً فإنه ... سَيَكفِيكَهُ جَـدَّانِ يَعْتَلِجان

(١) الروض الأنف : ١ : ١٠٥ .
(٢) الحناتم : جمع حتم ؛ وهو السحاب .
(٣) لمأتها : أبصرتها ؛ والبيت فى اللسان أيضاً ١ : ١٤٩ ، وفى السهيلى : « يضىء به » .
(٤) السهيلى :

* ورأيته شرفاً أبوء به *

(٥) رواية السهيلى :

لله ما زهريّـة سَلَبَتْ ... منك الذى استلبت وما تَدْرِى!

(٦) أنساب الأشراف : « بعد خبوه » .
(٧) كذا فى أنساب الأشراف ، وفى ط : « ميهت » .

سَيَكفِيكَهُ إمَّا يدٌ مُقْفَعِلَّةٌ وإمَّا يدٌ مَبسُوطَةٌ بِبنانِ
ولمَّا حَوَتْ منْه أمينَةُ ما حَوَتْ حَوَتْ منْهُ فَخْرًا ما لِذٰلِكَ ثانِ(١)

حدّثنى الحارث بن محمد ، قال : حدّثنا محمّد بن سعد ، قال : حدّثنا محمّد بن عمر قال : حدّثنا معمر وغيره ، عن الزهرىّ ، أن عبد الله بن عبد المطلب كان أجملَ رجال قريش ، فذكر لآمنة بنت وهب جمالَه وهيئته ، وقيل لها : هل لك أنْ تزوّجيه! فتزوّجَتْه آمنة بنت وهب ، فدخل بها ، وعلِقت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثه أبوه إلى المدينة فى مِيرة يحمل لهم تمراً ، فمات بالمدينة ، فبعث عبد المطلب ابنَه الحارث فى طلبه حين أبطأ ، فوجده قد مات .

قال الواقدىّ : هذا غلط ، والمجتمع عليه عندنا فى نكاح عبد الله بن عبد المطلب ما حدّثنا به عبد الله بن جعفر الزهرىّ ، عن أم بكر بنت المسوّر ، أنّ عبد المطّلب جاء بابنه عبد الله ، فخطب على نفسه وعلى ابنه ، فتزوّجا فى مجلس واحد ، فتزوّج عبد المطّلب هالةَ بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وتزوّج عبد الله ابن عبد المطلب آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة .

١٠٨٢/١ قال الحارث : قال ابن سعد : قال الواقدىّ : والثَّبَت عندنا ، ليس بين أصحابنا فيه اختلاف ، أنّ عبد الله بن عبد المطّلب أقبل من الشأم فى عِير لقريش ، فنزل بالمدينة وهو مريض ، فأقام بها حتى تُوُفِّى ، ودفن فى دار النابغة — وقيل التابعة — فى الدّار الصغرى إذا دخلتَ الدار عن يسارك ، ليس بين أصحابنا فى هذا اختلاف .

ابن عبد المطّلب

وعبد المطّلب اسمه شيبة ، سُمّى بذلك ؛ لأنه فيما حدّثت عن هشام بن محمد ، عن أبيه : كان فى رأسه شيبة .

وقيل له عبد المطّلب ؛ وذلك أن أباه هاشماً كان شَخَص فى تجارة له

(١) انظر أنساب الأشراف ١ : ٨٠ .

إلى الشأم ، فسلك طريقَ المدينة إليها ، فلما قدم المدينة نزل — فيما حدثنا ابنُ حميد، قال: حدثنا سلمَة، عن ابن إسحاق . وفيما حدّثت عن هشام ابن محمّد عن أبيه. وفيما حدثني الحارث ، عن محمد بن سعد، عن محمد بن عمر ، ودخل حديث بعضهم فى بعض ، وبعضهم يزيد على بعض — على عمرو بن زيد بن لبيد الخزرجيّ، فرأى ابنته سلْمى بنت عمرو — وأمّا ابن حُميد فقال فى حديثه عن سلمَة، عن ابن إسحاق: سلمى بنت زيد بن عمرو — ابن لبيد بن حرام بن خداش بن جندب بن عدىّ بن النجار فأعجبته ، فخطبها إلى أبيها عمرو ، فأنكحه إياها ، وشَرَط عليه ألاّ تلد ولداً إلاّ فى أهلها ، ثم مضى هاشم لوجهته قَبْل أن يبنىَ بها ، ثم انصرف راجعًا من الشأم ، فبنى بها فى أهلها بيثرب ، فحملت منه . ثم ارتحل إلى مكّة ١٠٨٣/١ وحملها معه ، فلما أثقلتْ ردّها إلى أهلهـــا ، ومضى إلى الشأم فمات بها بغزّة ، فولدت له سلمى عبدَ المطلب ، فمكث بيثرب سبع سنين أو ثمانى سنين . ثم إن رجلاً من بنى الحارث بن عبد مناة مرّ بيثرب ، فإذا غلمان ينتضلون ، فجعل شيبة إذا خَسَق[1] قال : أنا ابن هاشم ، أنا ابن سيّد البطحاء ، فقـــال له الحارثىّ : مَنْ أنت ؟ قال : أنا شيبة بن هاشم بن عبد مناف . فلما أتى الحارثىّ مكة، قال للمطّلب وهو جالس فى الحِجْر : يا أبا الحارث ، تعلّم أنّى وجدت غلمانًا ينتضلون بيثرب ، وفيهم غلام إذا خَسَق قال : أنا ابن هاشم ، أنا ابن سيّد البطحاء . فقال المطّلب : والله لا أرجع إلى أهلى حتى آتىَ به ، فقال له الحارثىّ : هذه ناقتى بالفِناء فاركبها ، فجلس المطّلب عليها ، فورد يثرب عِشاء ، حتى أتى بنى عدىّ بن النجار ، فإذا غلمان يضربون كُرة بين ظهرىْ مجلس ، فعرف ابنَ أخيه فقال للقوم : أهذا ابن هاشم ؟ قالوا : نعم ، هذا ابن أخيك ، فإن كنتَ تريد أخذه فالساعة قبل أن تعلَم به أمّه ، فإنها إن علمت لم تدعْه ، وحلْنا بينك وبينه . فدعاه، فقال : يابن أخى ، أنا عمّك ، وقد أردتُ الذهاب بك إلى قومك — وأناخ

(١) خسق : أصاب ونفذ .

راحلته — فما كذّب أن جلس على عَجُز الناقة، فانطلق به ، ولم تعلمْ به أمّهُ حتى كان الليلُ ، فقامت تدعو بحَرِبها على ابنها ، فأخبرت أن عمّه ذهب به،
١٠٨٤/١ وقدِم به المطّلب ضحوة، والناس فى مجالسهم، فجعلوا يقولون: من هذا وراءك؟ فيقول : عبد لى ، حتى أدخله منزله على امرأته خديجة بنت سعيد بن سهم ، فقالت : مَنْ هذا ؟ قال : عبد لى ، ثم خرج المطّلب حتى أتى الحزْوَرة ، فاشترى حُلة فألبسها شيبة ، ثم خرج به حين كان العَشىّ إلى مجلس بنى عبد مناف ، فجعل بعد ذلك يطوف فى سِكَك مكّة فى تلك الحُلّة ، فيقال : هذا عبد المطّلب ، لقوله : « هذا عبدى » حين سأله قومه ، فقال المطّلب :

عرَفْتُ شَيْبةَ والنَّجّارُ قد جعلَتْ أبناؤُها حَوْلَه بِالنَّبْلِ تَنْتَضِلُ

وقد حدّثنى هذا الحديث علىّ بن حرب الموصلىّ ، قال : حدّثنى أبو معن عيسى — من ولد كعب بن مالك — عن محمد بن أبى بكر الأنصارىّ ، عن مشايخ الأنصار ، قالوا : تزوّج هاشم بن عبد مناف امرأةً من بنى عدىّ بن النجّار ، ذات شرف ، تشرُط على من خطبها المقامَ بدار قومها ، فتزوّجت بهاشم ، فولدت له شيبة الحمد ، فرُبِّىَ فى أخواله مكرّمًا ، فبينا هو يُناضل فتيان الأنصار إذ أصاب خَصْلَه[1] ، فقال : أنا ابن هاشم . وسمعه رجل مجتاز ، فلما قدم مكة ، قال لعمّه المطّلب بن عبد مناف : قد مررت بدار بنى قَيْلة ، فرأيت فتًى من صفته ومن صفته . . . يناضل فتيانهم ، فاعتزى إلى أخيك ، وما ينبغى تركُ مثله فى الغربة . فرحل المطّلب حتى ورد المدينة ، فأراده على الرِّحلة ، فقال : ذاك إلى الوالدة . فلم يزل بها حتى أذِنَتْ له ، وأقبل به قد أرْدفه ، فإذا لَقِيَه اللاقى وقال : مَنْ هذا يا مطّلب ؟ قال : عبد لى ، فسمىَ عبد المطلب . فلما قدم مكة وَقَفَه على ملك أبيه ، وسلّمه إليه ، فعرض
١٠٨٥/١ له نوفل بن عبد مناف فى رُكْح[2] له ، فاغتصبه إياه ، فمشى عبد المطّلب إلى رجالات قومه ، فسألهم النّصرة على عمّه ، فقالوا : لسنا بداخلين بينك وبين عمّك ، فلما رأى ذلك كتب إلى أخواله يصف لهم حال نوفل ، وكتب فى كتابه :

أبلغْ بَنى النَّجّارِ إنْ جِئْتَهُمْ أنِّىَ منهُمْ وأبنهُمْ والْخَمِيسْ

(١) أصاب خصله ، أى غلب ، من قولهم : أحرز خصله وأصاب خصله ؛ إذا غلب .
(٢) الركح : ناحية البيت .

رَأَيْتُهُمْ قَوْماً إذا جِئْتُهمْ هَوُوا لقـائى وأَحَبُّوا حَسِيسْ
فإنَّ عَمّى نَوْفَلاً قد أبَى إلَّا التى يُغْضِى عَلَيْهَا الحَسِيسْ

قال : فخرج أبو أسعد بن عدس[1] النَّجارىّ فى ثمانين راكبًا ، حتى أتى الأبطَح ، وبلغ عبد المطّلب ، فخرج يتلقّاه ، فقال : المنزل يا خال ! فقال : أما حتّى ألقى نوفلاً فلا . قال : تركته جالسًا فى الحِجْر فى مشايخ قريش ، فأقبل حتى وقف على رأسه ، ثم استلّ سيفَه ، ثم قال : وربّ هذه البنيّة ؛ لتردّن على ابن أختنا رُكْحه أو لأملأنّ منك السيف ، قال : فإنّى وربّ هذه البنيّة أردُّ رُكحه . فأشهد عليه مَنْ حضر ، ثم قال : المنزل يابن أختى ، فأقام عنده ثلاثًا واعتمر ، وأنشأ عبد المطلب يقول :

تأبَّى مَازِنٌ وبَنو عَـــدِىٍّ ودِينارُ بْنُ تَيْمِ اللَّاتِ ضَيْمِى
وسادَةُ مَالِك حتَّى تنَاهَى وتَـنكَّبَ بَعدُ نَوْفَلُ عن حَرِيمى
بِهِمْ رَدَّ الإلهُ علَىَّ رُكْحِى وكَانوا فى التَّنَسُّبِ دونَ قَوْمِى[2]

وقال فى ذلك سَمُرة بن عُمير ، أبو عمرو الكنانىّ[3] :

لَعَمْرِى لأَخْوَالٌ لِشَيْبةَ قَصْرةً مِنَ أعْمَامِهِ دِنْيَا أَبَرُّ وأَوْصَلُ
أَجَابُوا على بُعْدٍ دُعَاءَ ابْنِ أُخْتِهِمْ ولَمْ يَثْنِهِمْ إذْ جَاوَزَ الحَقَّ نَوْفَلُ
جَزَى اللهُ خَيْرًا عُصبَةً خَزْرَجِيَّةً تَوَاصَوْا على بِرٍّ ، وذو البِرِّ أَفْضَلُ ١٠٨٦/١

قال : فلمّا رأى ذلك نوفل ، حالَف بنى عبد شمس كلّها على بنى هاشم. قال محمّد بن أبى بكر : فحدّثت بهذا الحديث موسى بن عيسى ، فقال : يابن أبى بكر ، هذا شىء تَرويه الأنصار تقرّبًا إلينا ؛ إذ صيّر الله الدولة فينا ! عبد المطلب كان أعزّ فى قومه من أن يحتاج إلى أن تركب بنو النّجار من

(١) م : « على » . (٢) أنساب الأشراف ١ : ٧٠ : « كانوا فى التناصر » .
(٣) أنساب الأشراف ١ : ٧٠ ، ونسبها إلى شمر بن نمر الزانى ، مع اختلاف فى الرواية .

المدينة إليه . قلت : أصلح الله الأمير ! قد احتاج إلى نصرهم مَنْ كان خيراً من عبد المطّلب . قال : وكان متكئًا فجلس مغضَباً ، وقال : مَنْ خير من عبدالمطّلب ! قلت : محمّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال : صدقت ، وعاد إلى مكانه ، وقال لبنيه : اكتبوا هذا الحديث من ابن أبي بكر .

وقد حُدّثت هذا الحديث فى أمرِ عبد المطلب وعَمّه نوفل بن عبد مناف ، عن هشام بن محمد ، عن أبيه ، قال : حدّثنا زياد بن عِلاقة التغلبيّ — وكان قد أدرك الجاهليّة — قال : كان سبب بدء الحِلْف الذى كان بين بنى هاشم وخُزاعة الذى افتتح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بسببه مكة ، وقال : لتنصبنّ[1] هذه السحابة بنصر بنى كعب ؛ أنّ نوفل بن عبدمناف — وكان آخر من بقى من بنى عبد مناف — ظلم عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف على أركاح له — وهى الساحات — وكانت أمّ عبدالمطلب سلمى بنت عمرو النجارية من الخزرج ، قال : فتنصّفَ عبد المطّلب عَمّه ، فلم ينصِفْه ، فكتب إلى أخواله :

١٠٨٧/١ يا طُولَ لَيْلِي لأَحْزانِي وأَشْغالِي ... هَلْ مِن رَسولٍ إلى النَّجّارِ أَخْوالِي !

يُنْبِي عَدِيًّا ودِينـــارًا ومَازِنَها ... ومالِكًا عِصْمَةَ الجِيرَانِ عن حالِي

قد كُنْتُ فيكُمْ ولا أَخْشَى ظُلامةَ ذِى ... ظُلْمٍ عزيزًا مَنيعاً ناعِمَ البَالِ

حتَّى ارْتَحَلْتُ إلى قَوْمِي وَأَزعَجَنِي ... عن ذَاكَ مُطَّلِبٌ عَمِّى بِتَرْحَالِ

وكُنْتُ مَا كَانَ حَيًّا نَاعِماً جَذِلاً ... أَمْشِي العِرَضْنَةَ سَحَّاباً لأَذْيالِي

فغـــابَ مُطَّلِبٌ فى قَعْرِ مُظْلِمَةٍ ... وقام نَوْفَلُ كَىْ يَعدُو على مَالِي

أَأَنْ رَأَى رَجُلاً غَابَتْ عُمومَتُهُ ... وغَابَ أَخْوَالُهُ عنـه بِلا والِ

أَنْحَى عليـه ولَمْ يَحفَظْ له رَحِماً ... ما أَمْنَعَ المَرْءَ بَيْنَ العَمِّ والخالِ[2] !

فَاسْتَنفِرُوا وَامْنَعوا ضَيْمَ ابنِ أُخْتِكُمُ ... لاَ تَخْذُلُوهُ وَمَا أَنتُمْ بِخُذَّالِ

ما مِثْلُكُمْ فى بَنى قَحْطانَ قاطِبَةً ... حىٌّ لِجارٍ وَإِنْعام وَإِفْضَالِ

(١) ح : « لقد تنصلت » .

(٢) ح : « ما أنعم » .

أنتم لِبانٌ لِمَنْ لانَتْ عَريكتُهُ سِلْمٌ لَكم وَسِمامُ الأَبْلَخِ الغالِي[1]

قال : فقدِم عليه منهم ثمانون راكبًا ، فأناخوا بِفناء الكعبة ، فلما رآهم ١٠٨٨/١
نوفل بن عبد مناف ، قال لهم : أنْعموا صباحًا ! فقالوا له : لا نَعِم صباحُك أيها الرجل! أنصف ابنَ أختِنا من ظُلامته. قال : أفعل بُالحبّ لكم والكرامة؛ فردّ عليه الأركاح وأنصفه .

قال : فانصرفوا عنه إلى بلادهم . قال : فدعا ذلك عبد المطّلب إلى الحلْف ، فدعا عبد المطّلب بسر[2] بن عمرو وورقاء بن فلان ورجالاً من رجالات خُزاعة ، فدخلوا الكعبة وكتبوا كتابًا .

وكان إلى عبد المطّلب بعد مهلك عمّه المطّلب بن عبد مناف ما كان إلى مَنْ قبله من بنى عبدمناف من أمر السِّقاية والرِّفادة ، وشرُفَ فى قومه ، وعَظُم فيهم خطره ، فلم يكن يُعدَل به منهم أحد ، وهو الذى كشف عن زمزم ، بئر إسماعيل بن إبراهيم ، واستخرج ما كان فيها مدفونًا ؛ وذلك غزالان من ذهب ، كانت جُرْهم دفنتهما — فيما ذكر — حين أخرِجت من مكة ، وأسيافٌ قلْعية ، وأدراع ، فجعل الأسياف بابًا للكعبة ، وضرب فى الباب الغزالين صفائح من ذهب ، فكان أول ذهب حُلِّيتْه — فيما قيل — الكعبة . وكانت كُنْية عبد المطلب أبا الحارث ، كُنِّى بذلك لأنّ الأكبر من ولده الذكور كان اسمه الحارث ، وهو شيبة .

ابن هاشم

واسم هاشم عمرو ؛ وإنما قيل له هاشم ، لأنه أوّلُ مَنْ هشم الثريد لقومه بمكة وأطعمه ، وله يقول مطرود بن كعب الخُزاعىّ — وقال ابن الكلبى : إنما قاله ابن الزِّبَعْرَى[3] :

(١) الأبلخ : المتكبر .

(٢) ح : « بشر » .

(٣) أمالى المرتضى ٢ : ٢٦٩ ، وذكر بعده :

وَهُوَ الَّذِى سَنَّ الرَّحِيلَ لِقَوْمِهِ رِحَلَ الشِّتَاءِ وَرِحْلَةَ الأَصْيَافِ

١٠٨٩/١ عَمْرُو الذِى هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِه ورِجالُ مَكّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ[١]

ذُكِر أنّ قومه من قريش، كانت أصابتهم لَزْبة وقَحْط ، فرحل إلى فلسطين ، فاشترى منها الدقيق ، فقدم به مكّة ، فأمر به فخبز له ونحر جَزُوراً ، ثم اتّخذ لقومه مرقة ثريد بذلك الخبز .

وذُكِر أنّ هاشماً هو أوّلُ مَنْ سنّ الرحلتين لقريش : رحلة الشتاء والصيف .

وحُدّثت عن هشام بن محمد ، عن أبيه ، قال : كان هاشم ، وعبد شمس — وهو أكبر ولد عبد مناف ، والمطّلب — وكان أصغرهم — أمّهم عاتكة بنت مرّة السُّلَمِيّة ؛ ونوفل — وأمّه واقدة — بنى عبد مناف ، فسادوا بعد أبيهم جميعاً ، وكان يقال لهم المجبّرون ، قال : ولهم يقال :

يأيُّها الرَّجُلُ المحوِّلُ رَحْلَهُ أَلَّا نزلْتَ بآلِ عَبْدِ مَنافِ ![٢]

فكانوا أوّل من أخذ لقريش العِصَم[٣] ، فانتشروا من الحرم ، أخذ لهم هاشم حبلاً من ملوك الشأم الروم وغسان ، وأخذ لهم عبد شمس حبلا من النجاشيّ الأكبر ، فاختلفوا بذلك السبب إلى أرض الحبشة ، وأخذ لهم نوفل حبلاً من الأكاسرة ، فاختلفوا بذلك السبب إلى العراق وأرض فارس ، وأخذ لهم المطّلب حبلا من ملوك حميَر ، فاختلفوا بذلك السبب إلى اليمن ، فجبّر الله بهم قريشاً ، فسمّوا المجبّرين .

وقيل : إنّ عبد شمس وهاشماً توأمان ، وإنّ أحدهما ولد قبل صاحبه ، وإصبع له ملتصقة بجبهة صاحبه ، فنحّيت عنها فسال من ذلك دم ، فتُطيِّر من ذلك ، فقيل : تكون بينهما دماء . وولِّى هاشم بعد أبيه عبد مناف السِّقاية والرِّفادة .

١٠٩٠/١ حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام ابن

(١) المسنتون : الذين أصابتهم السنة المجدبة الشديدة .

(٢) من أبيات فى أمالى المرتضى ٢ : ٢٦٨ .

(٣) العصم (بكسر ففتح) . الحبال ، ويراد بها العهود .

محمّد، قال : حدّثنى معروف بن الخرّبوذ المكّى ، قال : حدّثنى رجل من آل عدىّ بن الخيار بن عدىّ بن نوفل بن عبد مناف عن أبيه ، قال : وقال وهب بن عبد قُصَىّ فى ذلك — يعنى فى إطعام هاشم قومه الثّريد :

تحَمَّلَ هَاشِمٌ ما ضَاقَ عنهُ ... وأَعْيَا أنْ يقومَ بهِ ابْنُ بِيضِ
أَتَاهُمْ بالغَرائرِ مُتْـــأَقاتٍ ... مِن أَرْضِ الشَّأْمِ بِالبُرِّ النَّفيضِ
فأَوْسَعَ أَهْلَ مَـكَّةَ من هَشيمٍ ... وشابَ الْخُبْزَ بِاللَّحمِ الغَرِيضِ
فظَلَّ القَوْمُ بيْنَ مُـكَلَّلاتٍ ... منَ الشِّيزَى وحَائرُهَا يفِيضُ

قال : فحسده أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف — وكان ذا مال — فتكلّف أن يصنع صنيعَ هاشم ، فعجز عنه ، فشمت به ناس من قريش فغضب ، ونال من هاشم ، ودعاه إلى المنافرة ، فكرِه هاشم ذلك لِسنّه وقَدره ، ولم تدَعْه قريش وأحفظوه ، قال : فإنى أنافرك على خمسين ناقة سود الحدَق ، تنحرها ببطن مكة ، والجلاء عن مكة عشر سنين . فرضَى بذلك أميّة ، وجعلا بينهما الكاهن الخُزاعىّ ، فنفّرَ هاشمًا عليه ، فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها مَنْ حضره ، وخرج أميّة إلى الشام ، فأقام بها عشر سنين ، فكانت هذه أوّل عداوة وقعت بين هاشم وأميّة .

١٠٩١/١ حدّثنى الحارث قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام ابن محمّد ، قال : أخبرنى رجل من بنى كنانة ، يقال له ابن أبى صالح ، ورجل من أهل الرّقة مولى لبنى أسد ، وكان عالمًا ، قالا : تنافر عبد المطلب ابن هاشم وحرب بن أميّة إلى النجاشىّ الحبشىّ ، فأبى أن ينفّر[1] بينهما ، فجعل بينهما نفيل بن عبد العزّى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رزاح بن عدىّ ابن كعب ، فقال لحرب : يا أبا عمرو ، أتنافر رجلاً هو أطولُ منك قامة ، وأعظم منك هامة ، وأوسم منك وسامة ، وأقلّ منك لامة ، وأكثر منك ولداً ، وأجزل منك صفَداً ، وأطول منك مذوداً![2] . فنفّره عليه . فقال حرب : إنّ

(١) ينفر بينهما ؛ أى أبى أن يفضل أحدهما على الآخر .
(٢) ر : « مدداً » .

من انتكاث الزمان أن جعلناك حكَمًا ! فكان أوّل من مات من ولد عبد مناف ابنه هاشم ، مات بغزّة من أرض الشأم ، ثم مات عبد شمس بمكة فقُبِر بأجياد ، ثم مات نوفل بسَلْمان من طريق العراق ، ثم مات المطّلب بردْمان من أرض اليمن ، وكانت الرّفادة والسِّقاية بعد هاشم إلى أخيه المطّلب .

ابن عبد مناف

واسمه المغيرة ، وكان يقال له القمر من جماله وحسنه ، وكان قصىّ يقول — فيما زعموا — : ولد لى أربعة ، فسمّيت اثنين بصنمىّ ، وواحداً بدارى ، وواحداً بنفسى ؛ وهم عبد مناف وعبد العُزّى ابنا قصىّ — وعبد العزّى والد أسد — وعبد الدار بن قصىّ ، وعبد قصىّ بن قصىّ — دَرَج ولده — وبرّة بنت قصىّ ؛ أمهم جميعًا حُبَّى بنت حُلَيل بن حُبْشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن خُزاعة .

١٠٩٢/١ وحُدّثت عن هشام بن محمد ، عن أبيه ، قال : وكان يقال لعبد مناف القمر ، واسمه المغيرة ، وكانت أمّه حُبَّى دفعته إلى مناف — وكان أعظم أصنام مكة — تديُّنًا بذلك ، فغلب عليه عبد مناف ، وهو كما قيل له :

كانَتْ قُرَيشٌ بيْضَةً فتفلَّقَتْ فالمُحُّ خالِصَةٌ لِعَبْدِ مَنَافِ[1]

ابن قصىّ

وقصىّ اسمه زيد ؛ وإنما قيل له قصىّ ، لأن أباه كلاب بن مرة كان تزوج أمّ قصىّ فاطمة بنت سعد بن سيَل — واسم سيَل خيْر — بن حمالة بن عوف بن غَنْم بن عامر الجادر ، بن عمرو بن جُعْشمة بن يشكر ، من أزدشنوءة حلفاء فى بنى الدّيل ؛ فولدت لكلاب زُهرة وزيداً ، فهلك كلاب وزيد صغير ، وقد شبّ زهرة وكبر ، فقدم ربيعة بن حرام بن ضِنّة بن عبد بن كبير ابن عُذْرة بن سعد بن زيد ، أحد قُضاعة ، فتزوّج — فيما حدّثنا ابن حميد ،

(١) من أبيات مطرود بن كعب الخزاعى ، أمالى المرتضى ٢ : ٢٦٨ ؛ وهو فى اللسان (مح) والسهيلى ١ : ٩٤ ، وابن أبى الحديد ٣ : ٤٥٣ ، والعينى ٤ : ١٤٠ ، منسوب إلى ابن الزبعرى . والمحّ : صفرة البيض .

قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق . وحدثت عن هشام بن محمد عن أبيه — فاطمةَ أمّ زهرة وقصَيّ — وزهرة رجل قد بلغ ، وقصيّ فطيم أو قريب من ذلك — فاحتملها إلى بلاده من أرض بنى عُذْرة ، من أشراف الشأم ، فاحتملتْ معها قُصَيًّا لصغره، وتخلّف زُهرة فى قومه ، فولدت فاطمة بنت سعد بن سيَل لربيعة بن حرام رزاح بن ربيعة، فكان أخاه لأمّه، وكان لربيعة بن حرام ثلاثة نفر من امرأة أخرى؛ وهم حُنّ بن ربيعة ، ومحمود بن ربيعة ، ١٠٩٣/١
وجُلْهمة بن ربيعة . وشبّ زيد فى حِجْر ربيعة، فسمّى زيد قُصيًّا لبعد داره عن دار قومه، ولم يبرح زهرة مكّة ، فبينا قصيّ بن كلاب بأرض قضاعة لا ينتمى — فيما يزعمون — إلاّ إلى ربيعة بن حرام ، إذْ كان بينه وبين رجل من قُضاعة شىء — وقد بلغ قصيّ ، وكان رجلاً شابًّا — فأنّبه القضاعىّ بالغربة وقال له : ألاَ تلحق بقومك ونسبك فإنك لست منّا ! فرجع قصيّ إلى أمّه ، وقد وجَد فى نفسه مما قال له القضاعىّ، فسألها عمّا قال له ذلك الرجل، فقالت له : أنت والله يا بنىّ أكرم منه نفسًا ووالداً ، أنت ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤىّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشىّ ، وقومُك بمكّة عند البيت الحرام ، وفيما حوله . فأجمع قصىٌّ الخروج إلى قومه واللحوق بهم ، وكره الغربة بأرض قُضاعة، فقالت له أمّه : يا بنىّ لا تعجل بالخروج حتى يدخل عليك الشهر الحرام ، فتخرج فى حاجّ العرب ، فإنى أخشى عليك أن يُصيبك بعضُ البأس ، فأقام قصىّ حتى إذا دخل الشهر الحرام ، خرج حاجّ قضاعة ، فخرج فيهم حتى قدِم مكّة ، فلما فرغ من الحجّ أقام بها، وكان رجلاً جليدًا نسيبًا، فخطب إلى حُلَيْل بن حُبْشِيّة الخزاعىّ ابنته حُبًّى بنت حُلَيْل ، فعرف حُلَيل النسب ورغب فيه ، فزوّجه — وحُلَيل يومئذ فيما يزعمون — يلِى الكعبة وأمر مكّة .

فأما ابن إسحاق ، فإنه قال فى خبره : فأقام قصىّ معه — يعنى مع حُلَيْل — وولدت له ولده عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى ، وعبدا بنى قصى . فلما انتشر ولدُه ، وكثر مالُه ، وعظم شرفُه هلك حُلَيْل بن حُبْشِيّة ، ١٠٩٤/١
فرأى قُصَىّ أنه أوْلَى بالكعبة وأمر مكة من خُزاعة وبنى بكر ، وأنّ قريشًا

فَرْعة[١] إسماعيل بن إبراهيم ، وصريح ولده ، فكلّم رجالا من قريش وبنى كنانة ، ودعاهم إلى إخراج خُزاعة وبنى بكر من مكة ، فلما قبلوا منه ما دعاهم إليه وبايعوه عليه ، كتب إلى أخيه من أمّه رزاح بن ربيعة بن حرام — وهو ببلاد قومه — يدعوه إلى نُصرته ، والقيام معه ، فقام رِزاح بن ربيعة فى قُضاعة ، فدعاهم إلى نصر أخيه والخروج معه إليه ، فأجابوه إلى ما دعاهم من ذلك[٢].

وقال هشام فى خبره : قَدِم قصىّ على أخيه زُهرة وقومه ، فلم يلبث أن ساد ، وكانت خُزاعة بمكّة أكثر من بنى النضر ، فاستنجد قصىّ أخاه رِزاحًا ، وله ثلاثة إخوة من أبيه ، من امرأة أخرى ، فأقبل بهم وبمن أجابه من أحياء قُضاعة ، ومع قصىّ قومه بنو النَّضر ، فنفوْا خزاعة ، فتزوّج قصىّ حُبّى بنت حُلَيل بن حبشيّة من خُزاعة ، فولدت له أولاده الأربعة ، وكان حُليل آخرَ مَنْ وَلِىَ البيت ، فلما ثَقُل جعل ولايةَ البيت إلى ابنته حُبّى ، فقالت : قد علمت أنّى لا أقدر على فتح الباب وإغلاقه ، قال : فإنّى أجعل الفتح والإغلاق إلى رجل يقوم لك به ، فجعله إلى أبى غُبْشان — وهو سليم بن عمرو بن بوىّ بن مِلْكان بن أفصى — فاشترى قصىّ ولاية البيت منه بزِقّ خمر وبعوْد[٣]. فلمّا رأت ذلك خُزاعة كثُروا على قصىّ ، فاستنصر أخاه ، فقاتل خُزاعة ، فبلغنا — والله أعلم — أن خزاعة أخذتها العدَسَة ، حتى كادت تُفْنيهم ، فلمّا رأت ذلك جلَتْ عن مكّة ، فمنهم من وهب مسكنه ، ومنهم من باع ، ومنهم من أسكن ، فولِىَ قصىّ البيت وأمر مكة والحكم بها ، وجمع قبائل قريش ، ١٠٩٥/١
فأنزلهم أبطح مكة . وكان بعضهم فى الشِّعاب ورءوس جبال مكة ، فقسّم منازلهم بينهم ، فسمى مُجمِّعًا ، وله يقول مطرود — وقيل : إنّ قائله حُذافة ابن غانم :

أَبُوكُمْ قُصَىٌّ كَانَ يُدْعَى مُجَمِّعًا ... بِهِ جَمَّعَ اللهُ القَبَائِلَ مِن فِهْرِ

(١) فرعة الجبل : أعلاه ؛ يريد أن قريشاً فى الذروة من ولد إسماعيل ، وفى ابن هشام : « قرعة » ، والقرعة : نخبة الشىء وخياره . (٢) سيرة ابن هشام ١ : ٨٤ ، مع اختلاف فى الرواية . (٣) العود : المسن من الإبل ، وفى اليعقوبى : « وقعود » .

وملّكه قومه عليهم .

وأمّا ابن إسحاق، فإنه ذكر أن رزاحًا أجاب قصيًّا إلى ما دعاه إليه من نُصرته، وخرج إلى مكّة مع إخوته الثلاثة، ومَنْ تبعه لذلك من قُضاعة فى حاجّ العرب ، وهم مجمعون لنصر قصىّ ، والقيام معه ، قال : وخزاعة تزعم أن حُلَيل بن حُبْشية أوصى بذلك قُصيًّا ، وأمره به حين انتشر له من ابنته من الأولاد ما انتشر ، وقال : أنتَ أوْلَى بالكعبة والقيام عليها، وبأمر مكة من خُزاعة ، فعند ذلك طلب قصىّ ما طلب[1].

فلمّا اجتمع الناس بمكّة وخرجوا إلى الموقف ، وفرغوا من الحج ونزلوا مِنًى ، وقصىّ مُجمِّع لما أجمع له ، ومن تبعه من قومه من قريش وبنى كنانة ومَنْ معه من قُضاعة ، ولم يبق إلاّ أن ينفروا للصدَر ، وكانت صوفة تدفع بالناس من عَرَفة ، وتجيزُهم إذا نَفَروا من مِنًى ؛ إذا كان يوم النَّفْر أتَوْا لرمى الجمار — ورجل من صوفة يرمى للناس ؛ لا يرمون حتى يرمى — فكان ذوو الحاجات المُعَجّلون يأتونه ، فيقولون له : قم فارم حتى نرمىَ ١٠٩٦/١
معك ، فيقول : لا والله حتى تَميل الشمس ، فيظلّ ذوو الحاجات الذين يحبُّون التعجيل ، يرمونه بالحجارة ويستعجلونه بذلك ؛ ويقولون : ويلك قم فارم ! فيأبىَ عليهم، حتّى إذا مالت الشمس قام فرمَى ورمَى الناسُ معه .
حدثنا ابن حُميد، قال : حدثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، هذا الحديث ، عن يحيى بن عبّاد بن عبد الله بنِ الزبير ، عن أبيه عبّاد[2] .

فإذا فرغوا من رَمْى الجمار ، وأرادوا النَّفْر من مِنًى ، أخذت صوفة بناحيتى العقبة ، فحبسوا الناس ، وقالوا : أجيزى صوفة ، فلم يُجزْ أحد من الناس حتى ينفذوا ، فإذا نَفَرت صوفة ومضت خُلِّىَ سبيل الناس ، فانطلقوا بعدهم ، فلمّا كان ذلك العام ، فعلت ذلك صوفة كما كانت تفعل ، قد عرفت ذلك لها العرب ، وهو دَيْن فى أنفسهم فى عهد جُرْهم وخزاعة وولايتهم ، أتاهم قصىّ بن

(١) الخبر إلى هنا فى سيرة ابن هشام ١ : ٨٤ .

(٢) الخبر إلى هنا فى سيرة ابن هشام ١ : ٨٥ مع اختلاف فى الرواية .

كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة عند العَقَبة، فقالوا: نحن أوْلى بهذا منكم، فناكروه فناكرهم، فقاتلوه فاقتتل الناس قتالا شديداً، ثم انهزمت صوفة، وغَلَبهم قصيّ على ما كان بأيديهم من ذلك. وحال بينهم وبينه.

قال: وانحازت عند ذلك خُزاعة وبنو بكر عن قصيّ بن كلاب، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة، وأنه سيحُول بينهم وبين الكعبة وأمْر مكة، فلما انحازوا عنه باداهم[1] وأجمع لحربهم، وثبت معه أخوه رِزاح بن ربيعة بمَنْ معه من قومه من قُضاعة، وخرجت لهم خُزاعة وبنو بكر وتهيئوا لحربهم، والتقوْا فاقتتلوا قتالا شديداً؛ حتى كَثُرت القتلى من الفريقين جميعًا، وفشت فيهم الجِراحة. ثم إنهم تداعوْا إلى الصلح، إلى أن يُحَكِّموا بينهم رجلا من العرب فيما اختلفوا فيه، ليقضيَ بينهم، فحكّموا يعمر بن عوف
١٠٩٧/١ ابن كعب بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فقضى بينهم بأنّ قُصَيًّا أوْلَى بالكعبة وأمر مكّة من خُزاعة، وأن كلّ دم أصابه قصيّ من خُزاعة وبنى بكر موضوع يشدَخه[2] تحت قدميه، وأنّ ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وبنى كنانة وقضاعة ففيه الدّية مؤدّاة، وأن يُخَلَّى بين قصيّ ابن كلاب وبين الكعبة ومكة؛ فسمِّي يعمر بن عوف يومئذ الشَّدّاخ؛ لما شَدَخ من الدماء ووضع منها. فوَلِي قصيّ البيت وأمرَ مكة وجَمع قومه من منازلهم إلى مكة، وتملّك على قومه وأهل مكة فملّكوه، فكان قصيٌّ أول ولد كعب ابن لؤى أصاب ملكًا أطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابة والسِّقاية والرِّفادة والنَّدْوة واللواء، فحاز شرف مكة كلَّه، وقطع مكّة أرباعًا بين قومه، فأنزل كلّ قوم من قريش منازلهم من مكّة التى أصبحوا عليها[3].

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ويزعُم الناس أن قريشًا هابت قَطْع شجر الحرَم فى منازلهم، فقطعها قصيّ بيده، وأعانوه، فسمّته العرب مُجَمِّعًا لما جمّع من أمرها، وتيمّنت بأمره، فما تُنكح امرأة ولا رجل من قريش إلاّ فى دار قصيّ بن كلاب، وما يتشاورون

(١) ر: «ناداهم».
(٢) يريد أنه أبطل تلك الدماء.
(٣) سيرة ابن هشام ١: ٨٧.

فى أمر ينزل بهم إلاّ فى داره، ولا يعقدون لواء لحرب قوم من غيرهم إلاّ فى داره، يعقدها لهم بعضُ ولده، وما تدّرع [١] جارية إذا بلغت أن تدّرع من قريش إلاّ فى داره؛ يشقّ عليها فيها درعها ثم تدّرعه، ثم يُنطلق بها إلى أهلها؛ فكان أمرُه فى قومه من قريش فى حياته وبعد موته كالدِّين المتّبع، لا يعمل ١٠٩٨/١ بغيره تيمُّنًا بأمره ومعرفةً بفضله وشرفه، واتخذ قصىّ لنفسه دار النَّدْوة، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة، ففيها كانت قريش تقضى أمورها[٢].

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمَة، قال: حدّثنى محمد بن إسحاق، عن عبد الملك بن راشد، عن أبيه، قال: سمعت السائب بن خبّاب صاحب المقصورة يحدّث أنه سمع رجلا يحدّث عمر بن الخطاب — وهو خليفة — حديثَ قُصىّ بن كِلاب هذا وما جمّع من أمر قومه، وإخراجه خُزاعة وبنى بكر من مكّة، وولايته البيت وأمر مكّة؛ فلم يردّد ذلك عليه ولم ينكره.

قال: فأقام قصىّ بمكة على شرفه ومنزلته فى قومه لا ينازَع فى شىء من أمر مكّة؛ إلا أنه قد أقرّ للعرب فى شأن حَجّهم ما كانوا عليه؛ وذلك لأنه كان يراه دِينًا فى نفسه، لا ينبغى له تغييرُه، وكانت صوفة على ما كانت عليه، حتى انقرضت صوفة، فصار ذلك من أمرهم إلى آل صفوان بن الحارث ابن شِجْنة وراثةً، وكانت عَدْوان على ما كانت عليه، وكانت النَّسأة من بنى مالك بن كنانة على ما كانوا عليه، ومرّة بن عوف على ما كانوا عليه، فلم يزالوا على ذلك حتى قام الإسلام، فهدَم الله به ذلك كلَّه. وابتنى قصىّ داراً بمكة، وهى دار النَّدوة، وفيها كانت قريش تقضى أمورَها، فلما كَبِر قصىّ ورَقّ [عظمه][٣] — وكان عبد الدار بِكْرَه هو، كان أكبر ولده، وكان — فيما يزعمون — ضعيفًا، وكان عبد مناف قد شَرُف فى زمان أبيه، وذهب كلّ مذهب وعبد العزى بن قصى وعبد بن قصى، فقال قصىّ لعبد الدار فيما يزعمون: أما والله لألحقنّك بالقوم، وإن كانوا قد شَرَفُوا عليك؛ لا يدخل ١٠٩٩/١ رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها، ولا يعقد لقريش لواء لحربهم إلاّ أنت بيدك، ولا يشرب رجل بمكّة ماء إلاّ من سقايتك، ولا يأكل أحد من

(١) أدرعت الجارية: لبست الدرع، ودرع المرأة: قميصها.
(٢) سيرة ابن هشام ١: ٨٧، ٨٨. (٣) من سيرة ابن هشام.

أهل الموسم طعاماً إلاّ من طعامك، ولا تقطع قريش أمورها إلاّ فى دارك . فأعطاه داره، دار النّدوة التى لا تقضى قريش أمراً إلاّ فيها ، وأعطاه الحجابة واللواء والنَّدْوة والسقاية والرِّفادة — وكانت الرِّفادة خَرْجا تخرجه قريش فى كلّ موسم من أموالها إلى قصىّ بن كلاب ، فيصنع به طعاماً للحاجّ يأكله مَنْ لم تكن لهُ سعة ولا زاد ممّن يحضر الموسم ؛ وذلك أن قصيّاً فرضه على قريش ، فقال لهم حين أمرَهم به : يا معشر قريش، إنكم جيرانُ الله وأهلُ بيته الحرام، وإن الحاجّ ضيف الله وزوّار بيته، وهم أحقّ الضيف بالكرامة ، فاجعلوا لهم شراباً وطعاماً أيام هذا الحج، حتى يَصْدُروا عنكم . ففعلوا فكانوا يُخْرِجون لذلك كلّ عام من أموالهم فيدفعونه إليه، فيصنعه طعاماً للناس أيام مِنًى ، فجرى ذلك من أمره على قومه فى الجاهليّة، حتى قام الإسلام، ثم جرى فى الإسلام إلى يومك هذا ؛ فهو الطعام الذى يصنعه السلطان كلّ عام بِمِنًى حتى ينقضىَ الحجّ[1] .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدّثنى من أمر قصىّ ابن كلاب وما قال لعبد الدار فيما دفع إليه ابنُ إسحاق بن يسار ، عن أبيه ، عن الحسن بن محمد بن علىّ بن أبى طالب ، قال : سمعته يقول ذلك لرجل من بنى عبد الدار ، يقال له نُبَيْه بن وهب بن عامر بن عِكرمة بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار . قال الحسن بن محمد : فجعل إليه قصىّ ما كان
١١٠٠/١ بيده من أمر قومه كلّه ، وكان قصىّ لا يخالَف ولا يُرَدّ عليه شىء صَنَعه . ثم إن قصيّاً هلك ، فأقام أمره فى قومه من بعده بنوه .

ابن كلاب

وأمّ كلاب — فيما ذُكِر — هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النَّضر بن كنانة . وله أخوان من أبيه من غير أمّه ، وهما تَيْم ويقَظَة ، أمّهما — فيما قال هشام بن الكلبى — أسماء بنت عدىّ بن حارثة ابن عمرو بن عامر بن بارق .

وأما ابن إسحاق فإنه قال : أمّهما هند بنت حارثة البارقيّة . قال : ويقال : بل يقظة لهند بنت سرير ، أمّ كلاب .

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٨٩ .

ابن مُرَّة

وأم مرّة وَحْشيّة بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وأخواه لأبيه وأمّه عديّ وهُصَيْص . وقيل إنّ أمّ هؤلاء الثلاثة مخشيّة . وقيل: إن أمّ مرّة وهصيص مخشيّة بنت شيبان بن محارب بن فِهْر ، وأمّ عديّ رَقاش بنت رُكْبَة بن نائلة بن كعب بن حرب بن تيم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيْلان .

ابن كعب

وأم كعب ماويّة — فيما قال ابن إسحاق وابن الكلبيّ — وماويّة بنت كعب ابن القيْن بن جَسْر بن شَيْع الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حُلْوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة ، وله أخوان من أبيه وأمّه : أحدهما يقال له ١١٠١/١
عامر ، والآخر سامة ، وهم بنو ناجية ، ولهم من أبيهم أخ قد انتمى ولده إلى غَطَفان ولحقوا بهم، كان يقال له: عوف ، أمّه الباردة بنت عوف بن غَنْم بن عبد الله بن غَطَفان .

ذُكِر أن الباردة لما مات لُؤيّ بن غالب خرجت بابنها عوف إلى قومها، فتزوّجها سعد بن ذُبْيان بن بَغيض ، فتبنّى عوفًا ، وفيه يقول — فيما ذكر — فزارةُ بن ذُبْيان :

عَرِّجْ عَلَيَّ ابْنَ لُؤَيٍّ جَمَلَكْ يترُكُكَ الْقَوْمُ وَلَا مَنْزِلَ لَكْ

ولكعب أخوان آخران أيضًا من أبيه من غير أمّه ، أحدهما خزيمة ، وهو عائذة قريش ، وعائذة أمّه ، وهى عائذة بنت الحِمْس بن قُحافة ؛ من خثعم، والآخر سعد . ويقال لهم بُنانة، وبنانة أمّهم؛ فأهل البادية منهم اليوم — فيما ذكر — فى بنى أسعد[1] بن همّام ، فى بنى شيبان بن ثعلبة ؛ وأهل الحاضرة ينتمون إلى قريش .

(١) ر : « أسد » .

ابن لؤىّ

وأم لؤىّ — فيما قال هشام — عاتكة بنت يَخْلُد بن النضر بن كنانة، وهى أولىَ [1] العواتك اللائى ولدن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من قريش، وله أخوان من أبيه وأمّه، يقال لأحدهما: تيْم، وهو الذى كان يقال له تيْم الأدْرم — والدَّرَم نقصان فى الذّقن؛ قيل إنه كان ناقص اللّحى — وقيس، قيل: لم يبق من قيْس أخى لؤىّ أحد، وإنّ آخر مَنْ كان بقى منهم رجل هلك فى زمان خالد بن عبد الله القسرىّ، فبقىَ ميراثه، لا يدرى مَنْ يستحقّه.

١١٠٢/١ وقد قيل: إن أمّ لؤىّ وإخوته سلْمَى بنت عمرو بن ربيعة، وهو لُحَىّ بن حارثة ابن عمرو مُزَيْقياء بن عامر ماء السماء، من خُزاعة.

ابن غالب

وأمّ غالب ليلَى بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيل بن مدركة. وإخوته من أبيه وأمّه: الحارث، ومُحارب، وأسد، وعوف، وجَوْن؛ وذئب؛ وكانت محارب والحارث من قريش الظواهر، فدخلت الحارث الأبطح.

ابن فهر

وفهر — فيما حُدّثت عن هشام بن محمد أنه قال: هو جمّاع قريش، قال: وأمّه جَنْدَلة بنت عامر بن الحارث بن مُضاض الجرهمىّ.

وقال ابن إسحاق — فيما حدّثنا ابن حميد — قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق: أمّه جندلة بنت الحارث بن مُضاض بن عمرو الجرهمىّ.

وكان أبو عُبيدة معمر بن المثنّى يقول — فيما ذكر عنه — أمّه سلمى بنت أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر.

وقيل: إنّ أمّه جميلة بنت عَدْوان من بارق، من الأزْد.

وكان فِهْر فى زمانه رئيسَ الناس بمكة — فيما حدّثنا ابن حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق — فى حربهم حسّان بن عبد كلال بن مثوب

(١) كذا فى م، وفى ط: «أول».

ذى حُرَث الحميرىّ . وكان حسّان — فيما قيل — أقبل من اليمن مع حِمْير وقبائل من اليمن عظيمة ، يريد أن ينقل أحجار الكعبة من مكّة إلى اليمن ، ليجعل حجّ الناس عنده ببلاده ، فأقبل حتى نزَل بنخلة ، فأغار على سَرْح النّاس ، ومنع الطريق ، وهاب أن يدخل مكّة ، فلما رأت ذلك قريش وقبائل كنانة وخزيمة وأسد وجُذام ومَنْ كان معهم من أفناء مُضَر ، خرجوا إليه ، ورئيس النّاس يومئذ فهر بن مالك ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزمت حمير ، ١١٠٣/١
وأسِر حسّان بن عبد كلال ملك حِمْيَر ، أسَره الحارث بن فِهْر ، وقُتِل فى المعركة — فيمن قتل من الناس — ابن ابنه قيس بن غالب بن فهر . وكان حسّان عندهم بمكة أسيراً ثلاث سنين ، حتى افتدَى منهم نفسه ، فخَرَج به ، فمات بين مكّة واليمن .

ابن مالك

وأمّه عِكْرِشَة بنت عَدْوان ، وهو الحارث بن عمرو بن قيس بن عيْلان ، فى قول هشام .

وأمّا ابن إسحاق فإنه قال : أمّه عاتكة بنت عَدْوان بن عمرو بن قيس ابن عيلان .

وقيل : إنّ عِكْرِشة لقبُ عاتكة بنت عَدْوان ، واسمها عاتكة .

وقيل إن أمّه هند بنت فَهْم بن عمرو بن قيس بن عَيْلان . وكان لمالك أخَوان ، يقال لأحدهما : يخلُد ، فدخلت يخلُد فى بنى عمرو بن الحارث ابن مالك بن كنانة ، فخرجوا من جماع قريش . والآخر منهما يقال له : الصّلت ، لم يبق من ذريّته أحد .

وقيل : سُمّيت قريش قريشًا بقريش بن بدر بن يخلُد بن الحارث بن يخلُد بن النّضر بن كنانة ؛ وبه سمّيت قريش قريشًا ، لأن عِير بنى النّضر كانت إذا قدمت قالت العرب : قد جاءت عِير قريش ، قالوا : وكان قريش

هذا دليل بنى النّضر فى أسفارهم ، وصاحبَ ميرتهم ، وكان له ابن يسمّى بدراً ، احتفر بدراً ، قالوا : فبه سمّيت البئر التى تدعى بدراً ، بدراً .

وقال ابن الكلبىّ : إنّما قريش جمّاع نسب ، ليس بأب ولا أمّ ولا حاضن ولا حاضنة .

١١٠٤/١ وقال آخرون : إنما سمّى بنو النّضر بن كنانة قريشًا ؛ لأن النّضر بن كنانة خرج يومًا على نادِى قومه ، فقال بعضهم لبعض : انظروا إلى النَّضْر ، كأنه جملٌ قَرِيش[1] .

وقيل : إنّما سمّيت قريش قريشًا بدابّة تكون فى البحر تأكل دوابّ البحر ، تدعَى القِرْش ، فشُبِّه بنو النّضر بن كنانة بها ؛ لأنها أعظم دوابّ البحر قوّة .

وقيل : إنّ النضر بن كنانة كان يقرّش عن حاجة الناس فيسدّها بماله ، والتَّقْرِيش — فيما زعموا — التفتيش . وكان بنوه يقرّشون أهلَ الموسم عن الحاجة فيسدُّونها بما يبلغهم — واستشهدوا لقولهم : إن التقريش هو التفتيش ، بقول الشاعر[2] :

أَيُّها النَّاطِقُ المُقَرِّشُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو فَهَلْ لهنَّ انْتِهاءُ !

وقيل : إنّ النّضر بن كنانة كان اسمه قريشًا . وقيل : بل لم تزل بنو النّضر ابن كنانة يدعوْن بنى النَّضْر حتى جمّعهم قصىّ بن كلاب ، فقيل لهم : قريش ؛ من أجل أن التجمُّع هو التقرُّش ، فقالت العرب : تقرّش بنو النّضر ، أى قد تجمّعوا .

وقيل : إنما قيل قريش ، من أجل أنها تقرّشت عن الغارات .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر ، قال : حدثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة ، عن سعيد بن محمد ابن جُبَير بن مُطْعِم ، أنّ عبد الملك بن مروان سأل محمد بن جُبَير : مَتَى

(١) الجمل القريش : الشديد .

(٢) هو الحارث بن حلزة ، المعلقة ٢٦٤ — بشرح التبريزى ، وروايته :

* أَيُّهَا الشَّامِتُ المُبَلِّغ عنّا *

سمّيت قريش قريشًا ؟ قال : حين اجتمعت إلى الحرَم من تفرُّقها ، فذلك التجمّع التقرُّش . فقال عبد الملك : ما سمعت هذا ، ولكن سمعت أن قصيًّا كان يقال له القرشيّ ، ولم تسمّ قريش قبله .

١١٠٥/١ حدّثني الحارث، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة ، عن عبد المجيد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبي سلَمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : لما نزل قصيّ الحرم وغلَب عليه، فعل أفعالاً جميلة[1] ، فقيل له : القرشيّ ، فهو أوّل مَنْ سُمّيَ به .

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني أبو بكر بن أبي سبْرة ، عن أبي بكر بن عبيد الله بن أبي جَهْم ، قال : النّضر بن كنانة كان يسمى القرشيّ .

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : قال محمد بن عمر : وقصيّ أحدث وقودَ النار بالمزدَلِفة ، حيث وقف بها حتى يراها مَنْ دفع من عرفة ، فلم تزل تُوقَد تلك النار تلك الليلة في الجاهليّة .

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : فأخبرني كثير بن عبد الله المزنيّ ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كانت تلك النار تُوقد على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأبي بكر وعمر وعثمان . قال : محمد بن عمر : وهي توقد إلى اليوم .

ابن النّضر

واسم النّضْر قيس ، وأمّه بَرّة بنت مُرّ بن أدّ بن طابخة . وإخوتهُ لأبيه وأمّه نُضَيْر ومالك ومِلْكان وعامر والحارث وعمرو وسعد وعوف وغَنْم ومَخرمة وجَرْوَل وغزوان وحُدَال . وأخوهم من أبيهم عبد مناة ، وأمّه فُكَيْهة — وقيل ١١٠٦/١

(١) ح : « حميدة » .

فَكَهْة — وهى الذّفراء بنت هَنِيّ بن بَلِيّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة . وأخو عبد مناة لأمّه علىّ بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدىّ بن عمرو بن مازن الغسانىّ ، وكان عبد مناة بن كنانة تزوّج هنداً بنت بكر بن وائل ، فولدت له ولده ، ثم خلف عليها أخوه لأمّه علىّ بن مسعود، فولدت له ، فحضن علىّ بنى أخيه، فنُسبوا إليه ، فقيل لبنى عبد مناة: بنو علىّ ، وإياهم عنَى الشاعر بقوله :

لله دَرُّ بنِي عَلِ ىٍّ أَيِّمٍ مِنْهم وناكِحْ

وكعب بن زهير بقوله :

صَدَمُوا عَلِيًّا يومَ بَدْرٍ صَدْمَةً دانَتْ علىٌّ بعْدَها لِنِزَارِ[1]

ثم وثب مالك بن كنانة على علىّ بن مسعود، فقتله، فودَاه أسد بن خزيمة.

ابن كنانة

وأمّ كنانة عَوانة بنت سعد بن قيس بن عَيْلان. وقد قيل: إن أمّه هند بنت عمرو بن قيس ، وإخوتُه من أبيه أسَد وأسدَة ، يقال إنه أبو جذام والهُون، وأمهم بَرّة بنت مرّ بن أدّ بن طابخة ، وهى أم النَّضْر بن كنانة؛ خلَف عليها بعد أبيه .

ابن خُزيمة

١١٠٧/١ وأمّه سلْمى بنت سليم بن الحافِ بن قضاعة ، وأخوه لأبيه وأمّه هُذيل، وأخوهما لأمِّهما تغلب بن حُلْوان بن عمران بن الحافِ بن قضاعة .

وقد قيل : إن أمّ خزيمة وهذيل سَلْمى بنت أسد بن ربيعة .

ابن مدركة

واسمه عمرو ، وأمه خِنْدِف ، وهى ليلى بنت حُلوان بن عمران بن الحافِ ابن قضاعة ، وأمُّها ضَرِيَّة بنت ربيعة بن نزار . قيل: بها سمّى حِمَى ضَرِيَّة ،

(١) ديوانه ٣٤ .

وإخوة مدركة لأبيه وأمّه عامر — وهو طابخة — وعمير — وهو قَمَعة — ويقال: إنه أبو خزاعة .

حدّثنا ابن حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق أنه قال: أمّ بنى إلياس خِنْدف ، وهى امرأة من أهل اليمن ، فغلَبت على نسب بنيها ، فقيل : بنو خِنْدف .

قال : وكان اسم مدركة عامراً ، واسم طابخة عمرًا . قال : وزعموا أنهما كانا فى إبل لهما يَرْعيانها، فاقتنصا صيداً ، فقعدا عليه يطبخانه ، وعدتْ عادية على إبلهما ، فقال عامر لعمرو : أتدرك الإبل أو تطبخ هذا الصيد ؟ فقال عمرو : بل أطبخ الصّيد ، فلحق عامر الإبل ، فجاء بها ، فلما راحا على أبيهما ، فحدّثاه بشأنهما ، قال لعامر : أنت مُدْركة ، وقال لعمرو : أنت طابخة .

وحدّثت عن هشام بن محمد ، قالوا : خرج إلياس فى نُجعة له[1] ، فنفرت إبله من أرنب ، فخرج إليها عمرو فأدركها ، فسمّى مدركة ، وأخذها عامر فطبخها فسمّى طابخة، وانقمع عُمَير فى الخِباء فلم يخرج فسمى قمَعة، وخرجت أمّهم تمشى فقال لها : إلياس أين تخنْدِفين ؟ فسميت خِندف — والخَنْدفة ضرب من المشى — قال : وقال قُصَىّ بن كلاب :

* أمَّهَتِى خِندِف وإلياس أبى *

قال : وقال إلياس لعمرو ابنه : ١١٠٨/١

* إنكَ قد أدْرَكْتَ مَا طَلَبْتَا *

ولعامر :

* وأنتَ قد أنْضَجْتَ ما طَبَخْتَا *

ولعمَير :

* وأنتَ قد أسَأْتَ وانْقمعْتَا *

(١) هـ : «لهم» .

ابن إلياس

وأمّه الرّباب بنت حَيْدَة بن معدّ ، وأخوه لأبيه وأمّه النّاس[١] ، وهو عَيْلان ، وسمى عَيْلان — فيما ذكر — لأنه كان يعاتب على جوده ، فيقال له : لتغلبنّ عليك العَيْلة يا عيلان ، فلزمه هذا الاسم .

وقيل : بل سمّيَ عَيْلان بفرَس كانت له تدعى عَيْلان .

وقيل : سمّيَ بذلك ؛ لأنه ولد فى جبل يسمى عَيْلان .

وقيل : سمّيَ بذلك لأنه حضنه عبدٌ لمضر يدعى عَيْلان .

ابن مضر

وأمّه سَودة بنت عكّ ، وأخوه لأبيه وأمّه إياد ، ولهما أخوان من أبيهما من غير أمّهما ، وهما ربيعة وأنْمار ؛ أمّهما جدالة بنت وعْلان بن جوْشم ابن جُلْهُمة بن عمرو ، من جُرْهم .

وذكر بعضهم أن نزار بن مَعَدّ لما حضرتْه الوفاة أوصى بنيه ، وقسّم ماله بينهم ، فقال : يابنىّ ، هذه القبّة — وهى قبّة من أدَم حمراء — وما أشبهها من مالى لمضر ، فسمّيَ مضر الحمراء . وهذا الخِباء الأسود وما أشبهه من مالى ١١٠٩/١
لربيعة ، فخلّف خيلادُهما ، فسمّى الفُرْس . وهذه الخادم وما أشبهها من مالى لإياد — وكانت شمطاء — فأخذ البُلْق والنّقَد من غنمه . وهذه البدرة والمجلس لأنمار يجلس فيه[٢] ، فأخذ أنمار ما أصابه . فإن أشكل عليكم فى ذلك شىء واختلفتم فى القِسْمة فعليكم بالأفْعَى الجُرْهمىّ . فاختلفوا فى القسمة ، فتوجّهوا إلى الأفْعى ، فبينما هم يسيرون فى مسيرهم إذ رأى مُضَر كلأً قد رُعِيَ ، فقال : إنّ البعير الذى رَعى هذا الكلأَ لأعور ، وقال ربيعة : هو أزور ، قال إياد : هو أبتر ، وقال أنمار : هو شَرُود ؛ فلم يسيروا إلاّ قليلاً حتى لقيَهم رجل تُوضِع به راحلته ، فسألهم عن البعير ، فقال مُضَر : هو أعور؟ قال : نعم ، قال ربيعة : هو أزْور؟ قال : نعم ، قال إياد : هو أبتر ؟ قال : نعم ، قال أنمار : هو شَرود ؟ قال : نعم ، قال : هذه صفة بَعِيرى ،

(١) الأصول : « الياس » . (٢) ح : « عليه » .

دلّونى عليه ، فحلفوا له : ما رأوْه ، .فلزمهم وقال : كيف أصدّقكم وأنتم تصفون بعيرى بصفته ! فساروا جميعًا حتى قدِموا نجران ، فنزلوا بالأفعى الجرهمىّ ، فنادى صاحبُ البعير : هؤلاء أصحاب بعيرى ، وَصَفُوا لى صفته ثم قالوا : لم نره . فقال الجرهمىّ : كيف وصفتموه ولم ترْوه ؟ فقال مضَر : رأيته يَرْعى جانبًا ويَدَع جانبًا فعرفت أنه أعور . وقال ربيعة : رأيت إحدى يدْيه ثابتة الأثر والأخرى فاسدة الأثر ، فعرفت أنه أفسدها بشدّة وطئه لازوراره . وقال إياد : عرفت أنه أبتر باجتماع بعره ، ولوكان ذيّالا لمَصع[1] به . وقال : أنمار : عرفت أنه شرود ؛ لأنه يرعى المكان الملتفّ نبته ، ثم يجوزه إلى مكان ١١١٠/١
آخر أرقّ منه نبتًا وأخبث[2] . فقال الجرهمىّ : ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه ، ثم سألهم : مَنْ هم ؟ فأخبروه ، فرحّب بهم فقال : أتحتاجون إلىّ وأنتم كما أرى ! فدعا لهم بطعام فأكلوا وأكل ، وشربوا وشرب ، فقال مُضَر : لم أر كاليوم خمراً أجوَد ، لولا أنها نبتت على قَبْر ، وقال ربيعة : لم أر كاليوم لحمًا أطيب لولا أنه رُبّ بلبن كلب ، وقال إياد : لم أر كاليوم رجلا أسْرَى لولا أنه لغير أبيه الذى يدعَى له . وقال أنمار : لم أر كاليوم قطّ كلامًا أنفع فى حاجتنا [من كلامنا][3] .

وسمع الجرهمىّ الكلام فتعجّب لقولهم ، وأتى أمّه فسألها فأخبرته أنّها كانت تحت ملِك لا يولد له ، فكرهت أن يذهبَ الملْك فأمكنتْ رجلا من نفسها كان نزل بها ، فوطئها فحملت به ، وسأل القهرمان عن الخمر ، فقال : من حَبَلة[4] غرستُها على قبر أبيك ، وسأل الراعىَ عن اللحم ، فقال : شاة أرضعتُها لبن كلبة ، ولم يكن وَلَد فى الغنم شاة غيرها . فقيل لمضر : من أين عرفت الخمر ونباتها على قبر ؟ قال : لأنه أصابنى عليها عطش شديد . وقيل لربيعة : بم عرفت ؟ فذكر كلامًا .

فأتاهم الجرهمىّ ، فقال : صفوا لى صفتكم[5] ، فقصّوا عليه ما أوصاهم

(١) يقال : مصعت الناقة بذنبها ؛ أى حوكته وضربت به .
(٢) م : « وأخف » . (٣) تكملة من مجمع الأمثال ١ : ١٦ .
(٤) الحبلة : شجرة الكرم .
(٥) ر : « قصتكم » .

به أبوهم ، فقضى بالقُبّة الحمراء والدنانير والإبل – وهى حُمْر – لمضر ، وقضى بالخباء الأسود وبالخيل الدُّهم لربيعة ، وقضى بالخادم – وكانت شمطاء – وبالخيل البُلْق[1] لإياد ، وقضى بالأرض والدراهم لأنمار .

ابن نزار

١١١١/١ وقيل إن نزاراً كان يكنى أبا إياد . وقيل : بل كان يكنَى أبا ربيعة ، أمّه مُعَانة بنت جَوْشم بن جُلْهُمة بن عمرو ، وإخوته لأبيه وأمّه . قنَص ، وقناصة ، وسنام[2] ، وحيْدَان ، وحيدة ، وحيادة[3] ، وجنيد ، وجنادة ، والقحم ، وعُبيد الرَّماح ، والعُرف ، وعوف ، وشكّ ، وقضاعة ؛ وبه كان معدّ يكنى ، وعدّة دَرَجوا[4] .

ابن معدّ

وأمّ مَعَدّ – فيما زعم هشام – مَهْدَد بنت اللِّهَمّ – ويقال : اللَّهْم – ابن جَلْحَب بن جديس . وقيل : ابن طَسْم . وقيل : ابن الطوسم ، من ولد يقشان[5] بن إبراهيم خليل الرحمن .

حدّثنا الحارث بن محمد ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : حدّثنا هشام بن محمد ، قال : حدّثنى محمد بن عبد الرحمن العجلانىّ : وإخوته من أبيه وأمّه الدّيث – وقيل : إن الدّيث هو عكّ . وقيل : إنّ عكا هو ابن الديث ابن عدنان – وَعَدن بن عدنان ، فزعم بعض أهل الأنساب أنه صاحب عَدَن ؛ وإليه تنسب ، وأن أهلها كانوا ولده فَدَرجوا ، وأبيَن – وزعم بعضهم أنه ١١١٢/١ صاحب أبيَن وأنّها إليه تنسب ، وأنّ أهلها كانوا ولده فدرجوا – وأدّ بن عدنانَ درَج ، والضحاك ، والعىّ ، وأمّ جميعهم أمّ معدّ .

(١) ح ، ر : « والماشية البلق » ، م : « والخيل البلق » .
(٢) ر : « سام » .
(٣) ح : « جيادة » .
(٤) درجوا : انقرضوا .
(٥) ح : « بقشان » .

وقال بعض النّسابة : كان عكّ انطلق إلى سمرَان من أرض اليمن، وترك أخاه معدًّا ، وذلك أنّ أهل حَضور لما قتلوا شعيب بن ذى مَهْدَم الحَضورىّ ، بعث الله عليهم بختنصّر عذابًا ، فخرج أرميا وبرخيا ، فحملا معدًّا ، فلمّا سكنت الحرب ردّاه إلى مكة ، فوجد معدّ إخوته وعمومته من بنى عدنان قد لحقوا بطوائف اليمن ، وتزوّجوا فيهم، وتعطّفَتْ عليهم اليمن بولادة جُرْهم إيّاهم ، واستشهدوا فى ذلك قول الشاعر :

تَرَكْنا الدِّيثَ إخْوَتَنَا وعَكًّا إلى سَمْرانَ فانطَلَقُوا سِراعا
وكانوا مِنْ بنى عَدْنانَ حتّى أضاعوا الأمْرَ بَيْنَهُمُ ، فضاعا

ابن عدنان

ولعدنان أخَوان لأبيه؛ يدعى أحدهما نَبْتًا والآخر منهما عَمْراً . فنسَبُ نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم لايختلف النسابون فيه إلى معدّ بن عدنان، وأنه على ما بيّنت من نسبه .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدّثنى ابن لهيعة عن أبى الأسود وغيره، عن نسبة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصىّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لُؤى بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر بن كنانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد[1]. ١١١٣/١
ثم يختلفون فيما بعد ذلك .

وقال الزبير بن بكّار : حدّثنى يحيى بن المقداد الزّمْعىّ ، عن عمّه موسى ابن يعقوب بن عبد الله بن وهب بن زَمعة ، عن عمّته أم سلَمة زوج النبى صلّى الله عليه وسلّم ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «معدّ ابن عدنان بن أدد بن زَنْد بن يَرَى بن أعراق الثرَى» . ، قالت أمّ سلمة : فزند هو الهَميْسَع ، ويرى وهو نبت ، وأعراق الثرى هو إسماعيل بن إبراهيم .

(١) ح : «أدّ» .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد ، قال : حدّثنى محمد بن عبد الرحمن العجلانىّ ، عن موسى بن يعقوب الزمعىّ ، عن عمّته ، عن جدّتها ابنة المقداد بن الأسود البهرانىّ ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : معدّ بن عدنان بن أدد بن يرى بن أعراق الثرى» .

وقال ابن إسحاق — فيما حدثنا ابن حميد عن سلمة بن الفضل عنه عدنان — فيما يزعم بعض النّساب — بن أدد بن مقوّم بن ناحور بن تيرح[1] ابن يَعرب بن يَشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم . ١١١٤/١

وبعض يقول : بل عدنان بن أدد بن أيتحب بن أيوب بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم .

قال : وقد انتمى قصىّ بن كلاب إلى قيذر فى شعر .

قال : ويقول بعض النّساب : بل عدنان بن ميدع بن منيع بن أدد بن كعب بن يشجب بن يعرب بن الهميسع بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم ،

قال : وذلك أنه علْم قديم أخذ من أهل الكتاب الأوّل .

وأما الكلبىّ محمد بن السائب فإنه — فيما حدّثنى الحارث ، عن محمد بن سعد ، عن هشام — قال : أخبرنى مخبرٌ عن أبى ولم أسمعه منه ؛ أنه كان ينسب معدّ بن عدنان بن أدد بن الهميْسع بن سلامان بن عوص بن بوز بن قموال ابن أبىّ بن العوام بن ناشد بن حزا بن بَلْداس بن يدلاف بن طابخ بن جاحم ابن تاحش بن ماخى بن عبقى بن عبقر بن عبيد بن الدعا بن حمدان بن سنبر ابن يثربى بن يحزن بن يلحن بن أرعوى بن عيفى بن ديشان بن عيصر بن أفناد ابن إيهام بن مقصر بن ناحث بن زارح بن شمّى بن مزّى بن عوص بن عرام ابن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم ؛ صلوات الله عليهما . ١١١٥/١

حدّثنى الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدّثنا هشام بن

(١) د : « بيرح » .

١١١٦/١ محمّد ، قال : وكان رجل من أهل تَدْمُر ، يكنى أبا يعقوب ، من مسلمة بنى إسرائيل ، قد قرأ من كتبهم ، وعلم علمًا ، فذكر أن بروخ بن ناريًا كاتب أرميا ، أثبت نسب معدّ بن عدنان عنده ، ووضعه فى كتبه ، وأنه معروف عند أحبار أهل الكتاب ، مثبتٌ فى أسفارهم ، وهو مقارب لهذه الأسماء ، ولعلّ خلاف ما بينهم من قبَل اللغة ، لأنّ هذه الأسماء ترجمت من العبرانية .

قال الحارث : قال محمد بن سعد : وأنشدنى هشام ، عن أبيه شعرَ قصىّ :

فلستُ لحاضِنٍ إنْ لَمْ تَأَثَّلْ[1] بها أولادُ قَيذَرَ وَالنَّبِيتُ

قال : أراد نبْت بن إسماعيل .

وقال الزبير بن بكّار : حدّثنى عمر بن أبى بكر المؤَمَّلىّ ، عن زكرياء ابن عيسى ، عن ابن شهاب ، قال : معدّ بن عدنان بن أدّ بن الهميْسع بن أسحب[2] بن نبت بن قيذار بن إسماعيل .

وقال بعضهم : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن أمين بن شاجب[3] بن ثعلبة بن عتر[4] بن دريح بن محلّم[5] بن العوّام بن المحتمل[6] بن رائمة[7] بن
١١١٧/١ العيقان بن علة[8] بن الشحدود[9] بن الظريب[10] بن عبقر بن إبراهيم بن إسماعيل ابن يزن بن أعوج بن المطعم بن الطمح بن القسور بن عتود[11] بن دعدع بن محمود بن الزائد بن ندوان بن أتامة[12] بن دوس بن حصن بن النزال بن القمير ابن المجشّر بن معدمر بن صيفى بن نبت بن قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن .

(١) ح ، ر : لحاضر ، م : « لحاصنٍ » .
(٢) ح : « يشجب » .
(٣) ح ، م : « شاحب » .
(٤) ح : « عبر » ، ر : « عمر » .
(٥) م : « ملجم » .
(٦) ح المجمل : م : « المجتمل » .
(٧) ح : « زائدة » م : ذائمة .
(٨) م : « عكة » .
(٩) ح : « الشحدور » .
(١٠) ح : « الطريب ، ر : « الضريب » .
(١١) كذا فى ر ، وفى ح : « عبور » ، وفى م : « عبوث » .
(١٢) كذا فى م .

وقال آخرون : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن زيد بن يقدر بن يقدم بن هميسع بن نبت بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم .

وقال آخرون : هو معدّ بن عدنان بن أدّ بن الهميسع بن نبت بن سلمان — وهو سلامان — ابن حمل بن نبت بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم.

وقال آخرون : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن المقوّم بن ناحور بن مِشْرح
١١١٨/١ ابن يشجب بن مالك بن أيمن بن النبيت بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم .

وقال آخرون: هو معدّ بن عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن أسحب[1] ابن سعد بن بريح بن نضير بن حميل بن منحم بن لافث بن الصابوح بن كنانة ابن العوام بن نبت[2] بن قيدر بن إسماعيل .

وأخبرنى بعض النسّاب أنه وجد طائفة من علماء العرب قد حفظت لمعدّ أربعين أبا بالعربية إلى إسماعيل ، واحتجّت لقولهم ذلك بأشعار العرب ، وأنه قابل بما قالوا من ذلك ما يقول أهلُ الكتاب ، فوجد العدد متّفقًا ، واللفظ مختلفًا ، وأملى ذلك علىّ فكتبته عنه ، فقال : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن هميسع — وهميسع هو سلمان وهو أمين — ابن هميتع — وهو هميدع وهو الشاجب ابن سلامان — وهو منجر ، وهو نبيت ؛ سمّى بذلك — فيما زعم — لأنه كان منجِر العرب ؛ لأن الناس عاشوا فى زمانه ، واستشهد لقوله ذلك بقول قَعْنَب بن عتّاب الرياحىّ :

١١١٩/١ تُنَاشِدُنى طىٌّ وَطىٌّ بَعِيدة وتُذْكِرُنِى بالودّ أَزْمَان ينبت[3]

قال : نبيت بن عوص — وهو ثعلبة . قال : وإليه تنسب الثعلبيّة — ابن بورا — وهو بوز وهو عتر العتائر ، وأوّل من سَنّ العتيرة للعرب — ابن شوحا وهو سعد رجب ، وهو أول من سن الرجبيّة للعرب — ابن يعمانا — وهو قموال ، وهو بريح الناصب ، وكان فى عصر سليمان بن داود النبى صلى الله عليه وسلم — ابن كسدانا — وهو محلّم ذو العين — ابن حرانا — وهو العوّام — ابن

(١) ر : « أشحب » . (٢) ح : « نبيت » .
(٣) كذا فى ر ، و فى ط : « بالوذ أزمان ينبت » .

بلداسا — وهو المحتمل — ابن بدلانا — وهو يدلاف ، وهو رائمة — ابن طهبا — وهو طالب ، وهو العيقان — ابن جهمى — وهو جاحم ، وهو علة — ابن محشى — وهو تاحش ، وهو الشحدود — ابن معجالى — وهو ماخى ، وهو الظريب خاطم النار — ١١٢٠/١
ابن عقارا — وهو عافى ، وهو عبقر أبو الجنّ ، قال : وإليه تنسب جنة عبقر — ابن عاقارى — وهو عاقر ، وهو إبراهيم جامع الشمل . قال : وإنما سمى جامع الشمل لأنه أمّن فى ملكه كلّ خائف ، وردّ كلّ طريد ، واستصلح الناس — — ابن سداعى — وهو الدعا ، وهو إسماعيل ذو المطابخ ، سمّى بذلك لأنه حين ملك أقام بكلّ بلدة من بلدان العرب دار ضيافة — ابن اداعى — وهو عبيد وهو يزن الطعّان ، وهو أوّل من قاتل بالرماح ، فنسبت إليه — ابن همادى وهو حمدان ، وهو إسماعيل ذو الأعوج وكان فرسًا له ، وإليه تنسب الأعوجيّة من الخيل — ابن بشمانى — وهو بشين وهو المطعم فى المحْل — ابن بثرانى — وهو بثرم ، وهو الطمح — ابن بحرانى[1] — وهو يحزن ، وهو القسور — ابن ملحانى ، وهو يلحص ، وهو العنود[2] — ابن رعوانى — وهو رعوى ، وهو الدعدع — ابن ١١٢١/١
عاقارى — وهو عاقر — ابن داسان ، وهو الزائد — ابن عاصار — وهو عاصر ، وهو النيدوان ذو الأندية ، وفى ملكه تفرق بنو القاذور وهو القادور . وخرج الملك من ولد النبيت بن القادور إلى بنى جاوان — ابن القادور ثم رجع إليهم ثانية — ابن قنادى — وهو قنار ، وهو إيّامة[3] بن ثامار ، وهو بهامى ، وهو دوس العتق ، وهو دوس أجمل الخلق ، زعم فى زمانه ، فلذلك تقول العرب : أعتق من دَوْس لأمرين : أمّا أحدهما فلحسنه وعتقه ، والآخر لقدمه ، وفى ملكه أهلكت جرهم بن فالج وقطورا ، وذلك أنهم بغوْا فى الحرم ، فقتلهم دَوْس ، وأتبع الذرّ آثار من بقى منهم ، فولج فى أسماعهم فأفناهم — ابن مقصر — وهو مقاصرى ، وهو حصن ، ويقال له : ناحث ، وهو النزال بن زارح ، وهو قمير — ابن سمى — وهو سما ، وهو المحشر ، وكان — فيما زعم — أعدلَ ملك ولى وأحسنه سياسة ، وفيه يقول أميّة بن أبى الصلت لهرقل ملك الروم :

(١) كذا فى ح .
(٢) كذا فى ح .
(٣) كذا فى ح .

١١٢٢/١ كُنْ كَالمجَشِّرِ إذْ قالَتْ رَعِيَّتُهُ كَانَ المجَشِّرُ أوْفانا بِما حَمَلاَ

ابن مزرا — ويقال مرهر — ابن صنفا[1] ، وهو السمر ، وهو الصفى ، هو أجود ملك رُئى على وجه الأرض ، وله يقول أميّة بن أبى الصلت :

إنَّ الصَّفِيَّ بْنَ النَّبيتِ مُمَلَّكاً أعْلَى وأجْوَدُ من هِرَقْلَ وقَيْصَرا

ابن جعثم — وهو عرام ، وهو النَّبيت ، وهو قيذر ، قال : وتأويل «قيذر» صاحب ملك ، كان أوّل من ملك من ولد إسماعيل — ابن إسماعيل صادق الوعد ، ابن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح — وهو آزر — ابن ناحور بن ساروع بن أرغوا ابن بالغ — وتفسير « بالغ » القاسم بالسريانية ، لأنه الذى قسم الأرضين بين ولد آدم ، وبالغ ، فهو فالج بن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح ابن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ ، وهو إدريس النبىّ صلى الله عليه وسلّم — ابن يرد — وهو يارد الذى عملت الأصنام فى زمانه — ابن مهلائيل بن قينان بن أنوش ابن شيث — وهو هبة الله ابن آدم عليه السلام . وكان وصىّ أبيه بعد مَقتل
١١٢٣/١ هابيل ، فقال : هبة الله من هابيل ، فاشتقّ اسمه من اسمه .

وقد مضى من ذكرنا الأخبار عن إسماعيل بن إبراهيم وآبائه وأمّهاته فيما بينه وبين آدم ، ومما[2] كان من الأخبار والأحداث فى كلّ زمان من ذلك بعض ما انتهى إلينا ، بوجيز من القول مختَصر ، فى كتابنا هذا ، فكرهنا إعادته .

وحُدِّثت عن هشام بن محمد قال : كانت العرب تقول : إنما خدش الخدوش منذ ولد أبونا أنوش ؛ وإنما حرم الحنث ، منذ ولد أبونا شثّ ؛ وهو بالسريانية « شيث » .

* * *

ونعود الآن إلى :

(١) كذا فى ح . (٢) ح ، ر : « وما » .

ذكر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأسبابه

فتوفّى عبد المطلب بعد الفيل بثمانىَ سنين ؛ كذلك حدّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر : وكان عبدالمطّلب يوصِي برسول الله صلّى الله عليه وسلّم عَمّه أبا طالب ، وذلك أنّ أبا طالب ، وعبد الله أبا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كانا لأمّ ، فكان أبو طالب هو الذى يلِى أمرَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد جدّه ، وكان يكون معه . ثم إن أبا طالب خرج فى ركب من قريش إلى الشّام تاجراً ، فلمّا تهيّأ للرحيل وأجمع السير ضَبّ[1] به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم — فيما يزعمون — فرقّ له أبو طالب ، فقال : والله لأخرجنّ به معِي ، ولا يفارقنى ولا أفارقه ١/١١٢٤ أبداً ، أوكما قال . فخرج به معه ، فلمّا نزل الركب بُصْرى من أرض الشأم ، وبها راهب يقال له بَحِيرَى فى صومعة له ، وكان ذا علم من أهل النّصرانية ، ولم يزل فى تلك الصومعة مذ قطّ راهب[2] ، إليه يصير علمهم عن كتاب — فيما يزعمون — يتوارثونه كابراً عن كابر . فلما نزلوا ذلك العام ببُحَيْرَى ، صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك أنه رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو فى صومعته ، عليه غمامة تُظلّه من بين القوم ، ثم أقبلوا حتى نزلوا فى ظلّ شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلّت الشّجرة ، وتهصّرت[3] أغصان الشجرة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، حتى استظلّ تحتها ، فلما رأى ذلك بحيرى ، نزل من صومعته ، ثم أرسل إليهم فدعاهم جميعاً ، فلما رأى بَحِيرَى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جعل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدُها عنده من صفته . فلما فرغ القوم من الطّعام وتفرّقوا ، سأل رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم عن أشياء فى حاله ؛ فى يقظته وفى نومه ، فجعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُخبِرُه فيجدُها بَحِيرَى موافقةً لما عنده من صفته . ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتَم النبوّة بين كتِفَيْه ، ثم قال بَحِيرى لعمّه أبى طالب : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابنى ، فقال له بَحِيرى : ما هو بابنِك ، وما ينبغى لهذا الغلام

(١) كذا فى ح ، وضب به : تعلق ، وفى ط والسيرة : « صب به » ، أى مال إليه .

(٢) قط هنا : اسم بمعنى الدهر ، ومذ ظرف ، وانظر ما نقله صاحب اللسان عن اللحيانى فى مادة (ق ط ط) .

(٣) كذا فى السيرة ، وتهصرت : مالت وتدلت . وفى ط : « وهصرت » .

أن يكون أبوه حيًّا . قال : فإنه ابنُ أخى ، قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمّه حُبْلى به ، قال : صدقتَ ، ارجع به إلى بلدك ، واحذَرْ عليه يَهُود ؛ فوالله لَئِنْ رأوْه وعرفوا منه ما عرفْتُ ، ليبغُنَّه شرًّا ، فإنه كائن له
١١٢٥/١ شأن عظيم ، فأسرع به إلى بلده . فخرج به عمّهُ سريعًا حتى أقدمه مكّة[١] .

وقال هشام بن محمّد : خرج أبو طالب برسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بُصْرَى من أرْضِ الشأم ؛ وهو ابنُ تسع سنين .

حدّثنى العباس بن محمّد ، قال : حدّثنا أبو نوح ، قال : حدّثنا يونس ابن أبى إسحاق ، عن أبى بكر بن أبى موسى ، عن أبى موسى ، قال : خرج أبو طالب إلى الشأم ، وخرج معه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى أشْيَاخٍ من قُريش ، فلما أشرفُوا على الرّاهب هَبطُوا فحلّوا رحالَهم ، فخرج إليهم الراهب — وكانوا قبل ذلك يمرُّون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت . قال : فهم يحلُّون رحالهم ؛ فجعل[٢] يتخلَّلُهُم حتى جاء فأخَذَ بيد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : هذا سيّدُ العالمين ، هذا رسولُ ربّ العالمين ؛ هذا يبعثه الله رحمةً للعالمين . فقال له أشياخ قُريش : ماعَلَّمَكَ[٣] ؟ قال : إنّكم حين أشرفتم من العَقَبة لم تبق شَجرَة ولاحَجَر إلاّ خَرّ ساجداً ؛ ولا يسجدون إلا لنبىّ ، وإنى أعرِفه بخاتَم[٤] النبوّة ، أسفَلَ من غُضْروفِ كتِفه مثل التّفاحة .

ثم رجع فصَنَع لهم طعامًا ، فلما أتاهم به كان هو فى رِعْيَة الإبل . قال : أرسلوا إليه ، فأقبل وعليه غَمامة ، فقال : انظروا إليه ؛ عليه غمامة تُظلُّه ! فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فَىْء الشجرة ، فلما جلس مالَ فَىْء الشجرة عليه ، فقال : انظروا إلى فَىْء الشجرة مال[٥] عليه ؛ قال :
١١٢٦/١ فبينما هو قائم عليهم ؛ وهو يناشدُهم ألاّ يذهبوا به إلى الرّوم ؛ فإنّ الرّوم إن رأوْه عرفوه بالصّفة فقتلوه ؛ فالتفتَ فإذا هو بسبعة نفَرٍ قد أقبلوا من الرُّوم ؛

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١١٨ ، ١١٩ .
(٢) ح : « وهو » .
(٣) ط : « ما علمك ؟ » .
(٤) ح : « خاتم النبوة » .
(٥) ح : « مالت » .

فاستقبلهم ، فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا أنّ هذا النبيّ خارج فى هذا الشهر ؛ فلم يبقَ طريق إلا بُعِثَ إليها ناس، وإنا اخْتِرْنا خيرةً ، بعثنا إلى طريقك هذا ؛ قال لهم : هل خَلَّفتم خَلْفَكُم أحداً هو خَيرٌ منكم؟ قالوا : لا ؛ إنما اخترنا خيرة لطريقك هذا ، قال : أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضِيَه ، هل يستطيع أحد من الناس رَدّه! قالوا :لا ؛ فتابعوه وأقاموا معه، قال : فأتاهم، فقال : أنشدكم الله ، أيّكم وليّه ؟ قالوا : أبو طالب ، فلم يزلْ يناشِده حتى ردّه ، وبعث معه أبو بكر رضى الله تعالى عنه بلالاً ، وزوّده الراهب من الكَعْك والزّيت .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، عن محمّد بن عبد الله بن قيس بن مخْرمة ، عن الحسن بن محمّد بن علىّ بن أبى طالب ، عن أبيه محمّد بن علىّ ، عن جدّه علىّ بن أبى طالب ، قال : سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، يقول : ما هممتُ بشىء ممّا كان أهلُ الجاهليّة يعملون به غيرَ مرّتين ، كلّ ذلك يحول الله بينى وبين ما أريد من ذلك. ثمّ ما هممتُ بسوء حتى أكرَمنى الله عزّ وجلّ برسالته ؛ فإنّى قد قلت ليلةً لغلامٍ من قريش كان يرعى مَعِى بأعلى مكة : لو أبصرتَ لى غَنَمِى حتى أدخلَ مكّة ، فأسمرَ بها كما يسمرُ الشباب ! فقال : أفعل ؛ فخرجتُ أريد ذلك ؛ حتى إذا جئتُ أوّلَ دارٍ من دُور مكّة ، سمعت عَزْفًا بالدّفوف والمزامير ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : فلان ابن فلان تزوّج بفلانة بنت فلان . ١١٢٧/١
فجلستُ أنظر إليهم ، فضرب الله على أذنى فنمْت فما أيقظنى إلاّ مَسّ الشمس ؛ قال : فجئت صاحِبِى ، فقال : ما فعلت ؟ قُلت : ما صنعت شيئًا ، ثم أخبرتُه الخبر . قال : ثم قلتُ له ليلةً أخرى مثلَ ذلك ، فقال : أفعل ، فخرجتُ فسمعتُ حين جئت مكّة مثلَ ما سمعت حين دخلتُ مكّة تلك اللّيلة ؛ فجلستُ أنظر ، فضرب الله على أذنى ؛ فوالله ما أيقظنى إلاّ مَسّ[1] الشمس ؛ فرجعت إلى صاحبى فأخبرتُه الخبر . ثم ما هممتُ بعدها بسوء حتى أكرمنى الله عزّ وجلّ برسالته .

(١) ر : « حر الشمس » .

ذكر تزويج النبيّ
صلّى الله عليه وسلّم خديجةَ رضى الله عنها

قال هشام بن محمّد: نكَح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خديجةَ ؛ وهو ابنُ خمس وعشرين سنة ، وخديجة يومئذ ابنةُ أربعين سنة .

حدّثنا ابن حميد، قال : حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق ، قال : كانت خديجة بنت خويلد بن أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ امرأة تاجرةً ، ذات شرف ومال ، تستتجِرُ[1] الرجال فى مالها ، وتضاربُهم إيّاه بشىء تجعله لهم منه ، وكانت قريشٌ قومًا تجاراً ؛ فلما بلَغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم ما بلَغها من صِدْق حَدِيثه، وعِظَمِ أمانته ، وكَرَم أخلاقه ؛ بعثتْ إليه ، فعرضت عليه أن يخرُج فى مالها إلى الشأم تاجراً ، وتعطيَه أفضلَ ما كانت تُعْطِى غيرَه من التّجّار ؛ مع غلامٍ لها يقال له مَيْسرة . فقبله منها رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ، فخرج فى مالها ذلك ؛ وخرَج معه غلامها مَيْسَرة ؛ حتى قَدِما الشأم ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظِلّ
١/١١٢٨ شجرة قريبًا من صَوْمعة راهب من الرّهبان[2] ، فأطْلَع الراهب رأسه إلى مَيْسرة فقال : مَنْ هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة ؟ فقال له ميسرة : هذا رجلٌ من قريشٍ ، من أهل الحَرم ، فقال له الراهب : ما نَزَل تحت هذه الشجرةَ قطّ إلاّ نبىٌّ[3] ، ثم باع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سِلْعته الّتى خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشترىَ ، ثم أقبل قافلا إلى مكة ؛ ومعه مَيْسرة . فكان ميسَرة — فيما يزعمون — إذا كانت الهاجِرة واشتدّ الحرّ يرَى مَلَكيْن يُظلّلانِه من الشّمس ، وهو يسير على بعيره . فلما قدِمَ مكة على خديجة بمالِها ، باعت ماجاء به فأضعفت ، أو قريبًا من ذلك . وحدّثها ميسرة عن

(١) ر ، و ابن هشام : « تستأجر » .

(٢) هو نسطورا ؛ وليس هو بحيرى المتقدم ذكره ، كذا قاله السهيلى .

(٣) قال السهيلى : « يريد ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبى ؛ لبعد العهد بالأنبياء قبل ذلك » .

قول الرّاهب ، وعمّا كان يرَى من إظلال الملَكيْن إيّاه — وكانت خديجة امرأةً حازمة لبيبة شريفة ؛ مع ما أراد الله بها من كرَامته — فلما أخبرها ميسرة بما أخبرَها ، بعثتْ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقالت له — فيما يزعمون — : يابن عمّ ، إنّى قد رغبتُ فيك لقرابتك وسِطَتك[1] فى قومك ، وأمانتك وحسن خُلقك وصدق حديثك . ثم عرَضت عليه نفسَها ، وكانت خديجة يومئذ أوسطَ نساء قريش نسبًا ، وأعظمهن[2] شرَفًا ، وأكثرهُنّ مالاً ؛ كلُّ قومِها كانَ حريصًا على ذلك منها لو يقدرُ عليها[3] .

فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلّم ذكَر ذلك لأعمامه ، فخرج معه حمزة بن عبد المطلب عَمّه ؛ حتى دخل على خُويلد بن أسد[4] ، فخطبها إليه فتزوّجها ، فوَلَدتْ له ولده كلّهم إلاّ إبراهيم : زينب ، ورقيّة ، وأمّ كلثوم ، وفاطمة ، والقاسم — وبه كان يكنى صلى الله عليه وسلّم — والطّاهر والطّيب . فأمّا القاسم والطّاهر والطّيب ؛ فهلكوا فى الجاهلية ، وأما بناته فكلّهنّ أدركْن الإسلام فأسلمنَ ، وهاجرْنَ معه صلى الله عليه وسلّم[5] . ١١٢٩/١

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمّد بن سعد ، قال : حدّثنا محمّد ابن عمر ، قال : حدّثنا معمَر وغيره ، عن ابن شِهاب الزّهرىّ — وقد قال ذلك غيرهُ من أهل البلد : إن خديجة إنما كانت استأجرتْ رسول الله صلى الله

(١) السطة : مثل الوسط ؛ وهو من أوصاف المدح والتفضيل .

(٢) فى الأصول : « وأعظمهم » ؛ وما أثبته من ابن هشام .

(٣) ابن هشام : « لو يقدر عليه » ؛ وبعدها هناك : « وهى خديجة بنت خويلد بن أسد ابن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤىّ بن غالب بن فهر . وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر . وأم فاطمة هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى بن غالب ابن فهر . وأم هالة قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر » .

(٤) قال السهيلىّ : « وذكر غير ابن إسحاق أن خويلداً كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذى أنكح خديجة رضى الله عنها هو عمها عمرو بن أسد ؛ قاله المبرد وطائفة معه . وقال أيضاً : إن أبا طالب هو الذى نهض مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وهو الذى خطب خطبة النكاح » .

(٥) الخبر فى سيرة ابن هشام ١ : ١٢١ — ١٢٣ .

عليه وسلّم ورجلاً آخر من قُريش إلى سوق حُبَاشة بتِهامة ؛ وكان الذى زَوّجها إياه خُوَيلد، وكان التى مشتْ[١] فى ذلك مولاةٌ مولّدة من مولّدات مكّة.

قال الحارث : قال محمّد بن سعد : قال الواقدىّ : فكلّ هذا غلطٌ .

قال الواقدىّ : ويقولون أيضًا إنّ خديجة أرسلتْ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلّم تدعوه إلى نفسها — تَعْنى التزويج — وكانت امرأةً ذاتَ شرف ، وكان كلّ قريش حريصًا على نِكاحها — قد بذلوا الأموال[٢] لو طمعوا بذلك ، فدعتْ أباها فسقته خمراً حتى ثَمِل ، ونحرَتْ بقرة وخلّقته بَخلوق ، وألبسته حُلّةً حِبَرةً ، ثم أرسلتْ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى عمومته ، فدخلوا عليه ، فزوّجه[٣] ، فلمّا صحا قال : ما هذا العَقير ؟ وما هذا العبير ؟ وما هذا الحبير ؟ قالت : زوجتَنى محمّد بن عبد الله ، قال : ما فعلتُ أنّى أفعل هذا وقد خطبكِ أكابرُ قريش ، فلم أفعل !

قال الواقدىّ : وهذا غلطٌ ، والثّبَت عندنا المحفوظ[٤] من حديث محمّد ابن عبد الله بن مسلم ، عن أبيه ، عن محمّد بن جُبَير بن مطعِم . ومن حديث ابن أبى الزّناد ، عن هشام بن عُرْوة ، عن أبيه ، عن عائشة . ومن حديث ابن أبى حبيبة ، عن داود بن الحُصَين ، عن عكرمة ، عن ابن عبّاس ؛
١١٣٠/١ أن عَمّها عمرو بن أسَد زوّجها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأنّ أباها مات قبل الفِجار[٥] .

* * *

قال أبو جعفر : وكان منزل خديجة يومئذ المنزل الذى يعرف بها اليوم ، فيقال : منزل خديجة ، فاشتراه معاوية — فيما ذكر — فجعله مسجداً يصلّى فيه الناس ، وبناه على الّذى هو عليه اليوم لم يغيّر . وأمّا الحجر الذى على باب البيت عَنْ يَسار منْ يدخل البيت فإنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يجلس تَحته يستتر به من الرَّمْى إذا جاءه من دار أبى لَهَب ، ودار عدىّ ابن حمراء الثّقفىّ خَلْفَ دارِ ابن علْقَمة ، والحجَر ذراعٌ وشبر فى ذراع .

(١) م : « الذى مشى » .
(٢) ح : « لها المال » .
(٣) ر : « فزوجها » .
(٤) ابن سعد : « المحفوظ عن أهل العلم » .
(٥) الخبر فى طبقات ابن سعد ١ : ١٣٢ ، ١٣٣

ذكر باقى الأخبار عن الكائن من أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل أن ينبّأ ، وما كان بين مولده ووقت نبوّته من الأحداث فى بلده

قال أبو جعفر : قد ذكرنا قبلُ سببَ تزويج النبىّ صلى الله عليه وسلّم خديجة واختلاف المختلفين فى ذلك ، ووقت نكاحه صلّى الله عليه وسلّم إيّاها . وبَعْدَ السنة التى نكحها فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم هَدَمتْ قريش الكعبة بعشر سنين ثم بَنَتها — وذلك فى قول ابن إسحاق — فى سنة خَمسٍ وثلاثين من مولِد رسول الله صلى الله عليه وسلّم .

وكان سبب هَدْمِهِمْ إياها فيما حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، أنّ الكعبة كانت رَضْمة[1] فوق القامة ، فأرادوا رَفْعها وتسقيفها ؛ وذلك أنّ نفراً من قريش وغيرهم سَرقوا كنز الكعبة ؛ وإنما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة .

* * *

وكان أمرُ غَزالَى الكعبة — فيما حُدّثت عن هشام بن محمد ، عن أبيه — أنّ الكعبة كانت رفعت حين غرق قوم نوح ، فأمر الله إبراهيم خليلَه عليه السلام ١١٣١/١
وابنَه إسماعيل أن يعيدا بناء الكعبة على أسِّها الأول ، فأعادا بناءها ، كما أنزل فى القرآن : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[2] ، فلم يكن له ولاةٌ منذ زمن نوح عليه السلام ؛ وهو مرفوع . ثم أمر الله عزّ وجلّ إبراهيمَ أن ينزل ابنهُ إسماعيل البيت ، لِمَا أراد الله من كرامة مَنْ أكرمه بنبيه محمد صلّى الله عليه وسلّم ، فكان إبراهيم خليلُ الرحمن وابنه إسماعيلَ يليان البيت بعد عَهْدِ نوح ، ومكّة يومئذ بلاقع ؛ ومن حَوْلِ مكة يومئذ جُرْهم والعماليق . فنكح إسماعيل عليه السلام امرأة من

(١) فى ابن هشام : « رضما » ؛ والرضم : أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط .
(٢) سورة البقرة : ١٢٧ .

جُرْهم ؛ فقال فى ذلك عمرو بن الحارث بن مُضَاض :

وصاهَرَنا مَنْ أكْرَمُ النَّاسِ وَالدًا فأبْناؤُهُ مِنَّا ونَحْنُ الْأَصاهِر

فوليَ البيت بعد إبراهيم إسماعيل ، وبعد إسماعيل نَبْت ؛ وأمُّه الجرهميّة ؛ ثم مات نَبْت ، ولم يكثر ولد إسماعيل ، فغلبت جُرْهم على ولاية البيت ؛ فقال عمرو بن الحارث بن مُضاض :

وكُنَّا وُلَاةَ البَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَابِتٍ نَطُوفُ بِذَاكَ البَيْتِ ،والخَيْرُ ظَاهِرُ

فكان أولَ مَنْ وَلِيَ من جُرْهُم البيتَ مُضاض ، ثم وليتْه بعده بنُوه كابراً بعد كابر[1] ؛ حتى بغتْ جُرهُم بمكّة ، واستحلّوا حرمتها ، وأكلوا مالَ الكعبة الذى يُهْدَى لها ، وظلموا مَنْ دخل مكّة ، ثم لم يتناهَوْا حتى جعل الرجُلُ منهم إذا لم يجد مكاناً يزنى فيه يدخل الكعبة فزنى . فزعموا أنّ أُسافا بَغَى بنائلة فى جَوْف الكعبة ، فمُسخا حَجَرين ، وكانت مكّة فى الجاهلية لا ظلمَ ولا بَغْيَ فيها ، ولا يستحِلُّ حرمتها مَلِكٌ إلاّ هلك مكانه ١١٣٢/١
فكانت تسمى النّاسّة ، وتُسَمَّى بَكّة ، تَبُكُّ أعناق البغايا إذا بَغَوْا فيها ؛ والجبابرة .

قال : ولمّا لم تتناهَ جُرْهم عن بَغْيها ، وتفرّق أولاد عمرو بن عامر من اليمن ، فانخزع[2] بنو حارثة بن عمرو ، فأوْطنوا[3] تهامة — فسمّيت[4] خُزاعة ، وهم بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة — وأسلم ومالك وملْكان بنو أفْصَى بن حارثة ، فبعث الله على جُرْهم الرّعاف والنّمل ، فأفناهم . فاجتمعت خُزاعة ليجلُوا مَنْ بَقِيَ ، ورئيسُهم عمرو بن ربيعة بن حارثة ، وأمّه فُهَيرة بنت عامر بن الحارث ابن مُضاض ، فاقتتلوا . فلمّا أحسّ عامر بن الحارث بالهزيمة ، خرج بغزالَيِ الكعبة وحجر الرّكن يلتمس التوبة ، وهو يقول :

(١) ر : « وعن كابر » .
(٢) انخزعوا ، أى تخلفوا .
(٣) أوطن بالمكان : أقام .
(٤) ط : « سميت » .

لَا هُمَّ إنَّ جُرْهُمًا عِبَادُكْ النَّاس طُرْفٌ وَهُمُ تِلَادُكْ
* بِهِمْ قَدِيمًا عمِرَتْ بِلَادُكْ *

فلم تُقْبَل توبتُه، فألقى غزالَى الكعبة وحجر الرّكن فى زمزم ، ثم دفنها وخرج مَنْ بقى من جُرْهم إلى أرض من أرض جهينة، فجاءهم سيل أتىٌّ فذهب بهم ، فذلك قول أمية بن أبى الصّلت :

وَجُرْهُمٌ دَمَّنُوا تِهَامَةَ فى الـــــدّهْرِ فَسَالَتْ بِجَمْعِهِمْ إِضَمُ[1]

١١٣٣/١ وَوَلِىَ البيت عمرو بن ربيعة . وقال بنو قصىّ : بل وَلِيَه عمرو بن الحارث الغُبْشَانِىّ[2] ، وهو يقول :

ونَحْنُ وَلِينا البَيْتَ مِنْ بَعْدِ جُرْهُمٍ لِنَعْمُرَهُ مِنْ كُلِّ باغٍ ومُلحِدِ

وقال :

وادٍ حَرَامٌ طَيْرُهُ وَوَحْشُهُ نَحْنُ وُلَاتُهُ فلَا نَغُشُّهُ

وقال عامر بن الحارث :

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الحجُونِ إلى الصَّفَا أنِيسٌ ولم يَسمُرْ بمَكَّةَ سامِرُ
بَلَى نَحْنُ كُنَّا أهْلَهَا فأبادَنَا صُرُوفُ اللَّيالِى وَالْجدُودُ الْعَوَاثِرُ

وقال :

يأيُّها النَّاسُ سِيرُوا إنَّ قَصْرَكُمُ أنْ تُصبِحُوا ذَاتَ يَوْمٍ لَاتَسِيرونَا[3]
كُنَّا أُناساً كما كُنْتُمْ فغَيَّرَنا دَهْرٌ ، فأنْتُمْ كَمَا كُنَّا تَكُونُونا
حُثُّوا المَطِىَّ وأرْخُوا من أَزِمَّتِهَا قَبْلَ المماتِ وَقَضوا ما تُقَضُّونا

١١٣٤/١ يقول : اعملوا لآخرتكم ، وافرُغوا من حوائجكم فى الدنيا ؛ فولِيَتْ خُزاعة البيتَ ؛ غير أنه كان فى قبائل مُضر ثلاث خِلال : الإجازة بالحجّ للناس من

(١) معجم ما استعجم ١٦٦ .
(٢) فى الأصول : « الغسانى » ؛ وانظر كتاب الاشتقاق ٤٧٩ .
(٣) قصركم : نهايتكم وغايتكم .

عرفة ، وكان ذلك إلى الغَوْث بن مُرّ — وهو صُوفة — فكانت إذا كانت الإجازة قالت العرب : أجيزى صُوفة . والثانية الإفاضة من جَمْع غداة النَّحر إلى مِنًى ، فكان ذلك إلى بنى زيد بن عَدْوان ؛ فكان آخر مَنْ ولِىَ ذلك منهم أبو سَيَّارة عُمَيْلة بن الأعزل بن خالد بن سعد بن الحارث بن وابش[1] ابن زيد ، والثالثة النَّسِىء للشهور الحُرُم ، فكان ذلك إلى القَلَمَّس ، وهو حُذَيْفة بن فُقَيْم بن عدىّ من بنى مالك بن كنانة ، ثم بنيه حتى صار ذلك إلى آخرهم أبى ثمامة ، وهو جُنادة بن عوْف بن أميّة بن قَلَع بن حُذَيْفة . وقام عليه الإسلام ، وقد عادت الحُرُم إلى أصلها ، فأحكمها الله وأبطل النسىء ؛ فلمّا كثرت معدّ تفرّقت ، فذلك قول مهلهل :

غَنِيَتْ دارُنا تِهامَةُ فى الدَّهْ ر وفِيها بنو مَعَدٍّ حُلُولا .

وأما قريش ، فلم يفارقوا مكّة ، فلما حفر عبدُ المطلب زمزم ، وَجَدَ الغَزَالَيْن ، غَزَالَىِ الكعبة اللذيْن كانت جُرْهم دفنتْهما فيه ، فاستخرجهما ؛ وكان من أمره وأمرهما ما قد ذكرت فى موضع ذلك فيما مضى من هذا الكتاب قبل .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : وكان الذى وجد عنده الكنز دُوَيْكًا مولًى لبنى مُلَيْح بن عمرو ، من خزاعة . فقطعت قريش يدَه من
١١٣٥/١ بينهم ، وكان مِمن اتّهم فى ذلك الحارث بن عامر بن نوفل ، وأبو إهاب[2] ابن عُزَيْز بن قيس بن سُوَيْد التميمىّ — وكان أخا الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف لأمه — وأبو لَهَب بن عبد المطّلب ؛ وهم الذين تزعم قريش أنهم وضعوا كنز الكعبة حين أخذوه عند دُوَيْك مولى بنى مُلَيْح ، فلمّا اتّهمتْهم قريش ، دلّوا على دُوَيْك ، فقُطِع ، ويقال : هم وضعوه عنده .

(١) ح : « واشر » ، ر : « واسر » ، والمثبت يوافق ما فى الاشتقاق ٢٦٨

(٢) كذا ضبطه صاحب القاموس بوزن كتاب .

وذكروا أنّ قريشًا حين استيقنُوا بأنّ ذلك كان عند الحارث بن عامر ابن نوفل بن عبد مناف، خرجوا به إلى كاهنةٍ من كُهّان العرب، فسَجَعَتْ عليه من كهانتها بألاّ يدخل مكة عشْر سنين، بما استحلّ من حُرمة الكعبة، فزعموا أنّهم أخرجوه من مكّة، فكان فيما حَوْلَها عشر سنين؛ وكان البحر قد رَمى بسفينةٍ إلى جُدّة لرجل من تجّار الروم، فتحطّمت، فأخذوا خَشَبها فأعدُّوه لسَقفِها؛ وكان بمكّة رجل قبطيٌّ نجّارٌ، فتهيّأ لهم فى أنفسهم بعض ما يصلِحها، وكانت حيّة تخرج من بئر الكعبة التى يطرح فيها ما يهدى لها كلّ يوم، فتُشرف على جدار الكعبة، فكانوا يهابونها، وذلك أنه كان لا يدنُو منها أحدٌ إلا احزألّتْ وكشّت[1] وفتحتْ فاها؛ فبينا هى يومًا تشرف على جِدار الكعبة كما كانت تصنع، بعث الله عليها طائراً، فاختطفها فذهب بها، فقالت قريش: إنّا لنرجُو أن يكون الله عزّ وجلّ قد رَضِيَ ما أردْنا. عندنا عامل رقيقٌ، وعندنا خشبٌ، وقد كفانا الله [أمر][2] الحيّة. وذلك بعد الفِجار بخمس عشرة سنَة، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم عامئِذٍ ابن خمس وثلاثين سنة. ١١٣٦/١

فلمّا أجمعوا أمرهم فى هَدْمها وبنائها، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم، فتناول من الكعبة حَجَرًا، فوثب من يده؛ حتى رجع إلى مَوْضعه، فقال: يا معشرَ قريش، لا تُدخِلوا فى بنيانها من كَسْبكم إلا طيّبًا، ولا تُدْخِلوا فيها مَهْر بَغِيٍّ، ولا بيع ربًا، ولا مظلِمة أحدٍ من النّاس.

قال: والنّاسُ يَنحَلون هذا الكلامَ الوليد بن المغيرة[3]؛ حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، قال: حدّثنا محمّد بن إسحاق، عن عبد الله ابن أبى نَجِيح المكىّ، أنه حدّث عن عبد الله بن صفْوان بن أميّة بن

(١) احزألت: انضمت خوفاً، وكشت: صوتت لاحتكاك بعض جلدها ببعض.

(٢) تكملة من ح.

(٣) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم.

خلف[١] ، أنه رأى ابنًا لجعْدَة بن هُبَيْرة بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم يطوف بالبيت ، فسأل عنه فقيل له : هذا ابنٌ لجَعْدة ابن هُبَيرة، فقال عند ذلك عبد الله بن صفوان جَدّ هذا — يعنى أبا وهب الذى أخذ من الكعبة حجراً حين اجتمعت قريش لهدمها ، فوثب من يَدِه حتى رجع إلى موضعه ، فقال عند ذلك : يا معشَر قريش ، لا تُدْخِلوا فى بنيانها من كَسْبكم إلاّ طيّبًا، لا تُدْخِلوا فيها مَهْر بغىّ ، ولا بيع ربًا ولا مظلِمة أحدٍ .

وأبو وهب خال أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان شريفًا[٢] .

١١٣٧/١ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال: حدّثنا محمّد بن إسحاق ، قال : ثم إنّ قُرَيشًا تجزّأت الكعبة ، فكان شِقُّ الباب لبنى عبد مناف وزُهرة ، وكان ما بين الرّكن الأسود والرّكْن اليمانىّ لبنى مخزوم وتيْم وقبائلَ من قريش، ضُمّوا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبنى جُمَح وبنى سَهْم[٣] ، وكان شقُّ الحِجْر — وهو الحطيم — لبنى عبد الدّار بن قصىّ ولبنى أسد بن عبد العُزّى بن قصىّ، وبنى عدىّ بن كعب .

* * *

ثم إنّ النّاس هابوا هَدْمَها وفرِقوا منه، فقال الوليد بن المغيرة : أنا

(١) بعده فى ابن هشام : « ابن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٣٠ ، ١٣١ ، وفيها: وله يقول شاعر من العرب :

وَلَوْ بِأَبِى وَهْبٍ أَنَخْتُ مَطِيَّتِى ... غَدَتْ مِنْ نَدَاهُ رَحْلُهَا غير خائبِ
بِأَبْيَضَ مِنْ فَرْعَىْ لُؤىّ بن غالبٍ ... إذَا حُصِّلتْ أَنْسَابُهَا فى الذّوائبِ
أَبِىٌّ لِأَخْذِ الضَّيْمِ يرتاح لِلنَّدَى ... تَوَسّطَ جَدّاهُ فُرُوع الأطايبِ
عَظِيمُ رَمَادِ القِدْرِ يملأ جِفَانَه ... مِنَ الخُبْزِ يَعْلُوهُنّ مِثْلُ السّبائبِ

(٣) فى ابن هشام : « لبنى جمح وسهم ابنى عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى » .

أبدؤكم فى هدمها ، فأخذ المِعْوَل ثم قام عليها ، وهو يقول : اللهمّ لم تُرَعْ[١] ، اللهمّ لا نريد إلا الخير . ثم هَدَم من ناحية الرُّكْنين ، فتربّص النّاس به تلك اللّيلة ، وقالوا : ننظر ؛ فإن أصيبَ لم نهدمْ منها شيئًا ؛ ورددْناها كما كانت ؛ وإن لم يصبه شيءٌ فقد رضِيَ الله ما صنعنا هَدَمْنا[٢] .

فأصبح الوليد من ليلته غاديًا على عمله ، فهدم والنّاس معه ؛ حتى انتهى الهَدْم إلى الأساس ، فأفضَوْا إلى حجارة خُضْرٍ كأنّها أسِنَّة[٣] آخذٌ بعضها ببعض[٤] .

١١٣٨/١ حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض مَنْ يروِى الحديث ، أنّ رجلا من قريش ممّنْ كان يهدمها ، أدخل عَتَلَةً بين حجريْن منها ، ليقلع بها أحَدهما ، فلما تحرّك الحجَر انتقضت[٥] مكة بأسْرِها ، فانتهوْا عند ذلك إلى الأساس[٤] .

قال : ثم إنّ القبائل جَمَعت الحجارة لبنائها ، جعلت كلّ قبيلة تجمع على حِدَتها ، ثم بنوْا حتى إذا بلغ البنيان مَوْضِع الرّكن اختصموا فيه ؛ كلُّ قبيلةٍ تريد أن تَرفعه إلى موضعه دون الأخرى ؛ حتى تحاوزوا[٦] وتحالفوا وتواعدوا للقتال ؛ فقرّبت بنُو عبد الدار جَفْنة مملوءة دماً ؛ ثم تعاقدوا هم

(١) قال السهيلى : « قولهم : اللهم لم ترع ؛ هى كلمة تقال عند تسكين الروع والتأنيس وإظهار اللين والبر فى القول ؛ ولا روع فى هذا الموطن فينفى ؛ ولكن الكلمة تقتفى إظهار قصد البر ؛ فلذلك تكلموا بها ؛ وعلى هذا يجوز التكلم بها فى الإسلام ؛ وإن كان فيها ذكر الروع الذى هو محال فى حق البارى تعالى ؛ ولكن لما كان المقصود ما ذكرنا جاز النطق بها ، ويروى أيضاً : اللهم لم نزغ ، وهو جلى لا يشكل » .

(٢) فى ابن هشام : «فقد رضى الله صنعنا فهدمنا » .

(٣) ابن هشام : «أسنمة» . قال السهيلى : «وتشبيهها بالأسنة لا تشبه بها إلا فى الزرقة ، وتشبيهها بأسنمة الإبل أولى لعظمها » .

(٤) سيرة ابن هشام ١ : ١٣١ .

(٥) فى ابن هشام : « تنقضت » ، أى اهتزت .

(٦) تحاوزوا ؛ أى انحازت كل قبيلة إلى جهة ، وفى إحدى نسخ ابن هشام : « تحاوروا » ، أى تجادلوا وكثر الكلام والحوار بينهم .

وبنو عدىّ بن كعب على الموت ، وأدخلوا أيديَهم فى ذلك الدم فى الجَفْنة ؛ فسُمُّوا لَعَقة الدم بذلك ؛ فمكثت قريش أربع ليالٍ — أو خمس ليال — على ذلك. ثم إنّهم اجتمعوا فى المسجد ، فتشاوروا وتناصفوا ؛ فزعم بعضُ الرّواة أنّ أبا أميّة ابنَ المغيرة كان عامئذ أسنّ[1] قريش كلّها ، قال : يا معشر قريش ؛ اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول مَنْ يدخلُ من باب هذا المسجد ، يقضِى بينَكم فيه ؛ فكان أوّلَ مَنْ دخل عليهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلما رأوْه قالوا : هذا الأمين ، قد رَضِينا به ؛ هذا محمّد . فلمّا انتهى إليهم وأخبروه الخبر ، قال : هُلمّ لى ثوبًا[2] ، فأُتِىَ به . فأخذ الرّكن ، فوضعه ١١٣٩/١
فيه بيده ثم قال : لتأخذ كلُّ قبيلة بناحيةٍ من الثّوب ، ثمّ ارفعوه جميعًا ، ففعلوا حتّى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه بيده ، ثم بنى عليه ؛ وكانت قريش تسمّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل أن ينزل عليه الوحى الأمين[3] .

قال أبو جعفر : وكان بناءُ قريش الكعبة بعد الفِجَار بخمس عشرة سنة ، وكان بين عام الفيل وعام الفِجَار عشرون سنة .

* * *

واختلف السَّلَف فى سنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين نُبّئ كم كانت ؟ فقال بعضهم : نُبّئَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد ما بنتْ قريش الكعبة بخمس سنين ؛ وبعد ما تمّت له من مولده أربعون سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنى محمد بن خلَف العسقلانىّ ، قال : حدّثنا آدم ، قال : حدّثنا حمّاد بن سلَمة ، قال : حدّثنا أبو جَمْرة الضّبْعىّ ، عن ابن عباس ، قال : بُعِث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأربعين سنة .

(١) ر : « أشرف » .

(٢) ح : « هلموا إلى بثوب » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ١٣١ ، ١٣٢

حدّثنا عمرو بن على وابن المثنّى ، قالا : حدّثنا يحيى بن محمّد بن قيس قال : سمعتُ ربيعة بن أبى عبد الرحمن يذكر عن أنَس بن مالك ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بُعث على رأس أربعين .

حدّثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرنى أبى ، قال : حدّثنا الأوزاعىّ ، قال : حدّثنى ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، قال : حدثنى أنس بن مالك أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بُعث على رأس أربعين .

حدّثنى ابنُ عبد الرحيم البرْقىّ ، قال : حدّثنا عمرو بن أبى سلَمة ، عن الأوزاعىّ ، قال : حدّثنى ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، قال : حدّثنى ١/١١٤٠ أنس بن مالك ، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بُعث على رأس أربعين .

حدثنى أبو شُرَحْبيل الحِمْصىّ ، قال : حدّثنى أبو اليمان ، قال : حدّثنا إسماعيل بن عيّاش ، عن يحيى بن سعيد ، عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، عن أنَس بن مالك ، قال : أنزل على النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وهو ابن أربعين .

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا الحجّاج بن المنهال ، قال : حدّثنا حَمّاد ، قال : حدّثنا عَمْرو بن دينار ، عن عُروة بن الزُّبَير ، قال : بُعِث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو ابن أربعين .

حدثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا الحجاج ، عن حَمّاد ، قال : أخبَرنا عمرو ، عن يحيى بن جَعْدة ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال لفاطمة : إنّه كان يُعْرَض علىّ القرآن كلّ عام مرّة ؛ وإنه قد عُرِض علىّ العامَ مرتين ، وإنه قد خُيِّلَ إلىّ أن أجَلِى قد حضر ؛ وأنّ أوّلَ أهلى لحاقًا[1] بى أنتِ ؛ وإنه لم يُبعث نبىّ إلاّ بُعِث الذى بعده بنصفٍ من عمره ، وبعث عيسى لأربعين ، وبعثتُ لعشرين »[2] .

(١) ح : « لحوقا » .

(٢) فى ط ، وفى المقاصد الحسنة ٣٦٢ : « ما بعث الله نبياً إلا عاش نصف ما عاش النبى قبله » ، ونقله برواية أخرى فى ص٣٧٢ ، وقال : إنه موضوع .

حدثني عبيد بن محمد الورّاق ، قال : حدّثنا روْح بن عبادة ، قال : حدّثنا هشام ، قال : حدّثنا عِكْرمة، عن ابن عباس ، قال : بُعِث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأربعين سنة ، فمكَثَ بمكّة ثلاث عشرة سنة .

١١٤١/١ حدّثنا أبو كُريب، قال : حدّثنا أبو أسامة ومحمّد بن ميمون الزّعفرانيّ ، عن هشام بن حسّان ، عن عِكْرمة ، عن ابن عبّاس، قال: بُعِث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأنزل عليه وهو ابن أربعين سنة ، فمكَث بمكّة ثلاث عشرة سنة .

* * *

وقال آخرون : بل نُبِّئ حين نُبِّئ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا أحمد بن ثابت الرازيّ ، قال : حدّثنا أحمد ، قال : حدّثنا يحيى بن سعيد ، عن هِشَام ، عن عِكْرمة، عن ابن عبّاس ، قال : أنزِل على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

حدّثنا ابن حُمَيد ، قال : حدّثنا جرير ، عن يحى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيَّب ، قال: أنزِل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الوحيُ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا عبد الوهّاب، قال :حدّثنا يحيى ابن سعيد ، قال : سمعت سعيداً — يعنى ابن المسيَّب — يقول : أنزِل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الوحى ؛ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

ذكر اليوم الذى نُبِّئَ فيه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الشهر الذى نُبِّئَ فيه وما جاء فى ذلك

قال أبو جعفر : صَحّ الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم بما حدّثنا به ابن المثنّى، قال : حدّثنا محمّد بن جعفر، قال : حدّثنا شُعبة ، عن غَيْلان بن جرير ، أنه سمع عبد الله بن معبد الزِّمّانىّ ، عن أبى قَتادة الأنصارىّ ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم سئل عن صوم الاثنين، فقال : ذلك يوم وُلدتُ فيه ، ويوم بعثتُ — أو أنزل علىّ فيه .

حدّثنا أحمد بن منصور ، قال : حدّثنا الحسن بن موسى الأشيب، قال : حدّثنا أبو هلال ، قال : حدّثنا غَيْلان بن جرير المَعْوَلِىّ قال : حدّثنا عبد الله بن معبد الزِّمّانىّ، عن أبى قَتّادة، عن عمر رحمه الله أنه قال ١١٤٢/١
للنبىّ صلى الله عليه وسلّم : يا نبىّ الله ، صومُ يوم الاثنين ؟ قال : ذاك يوم وُلدتُ فيه ، ويوم أنزلت علىّ فيه النبوّة .

حدّثنا إبراهيم بن سعيد ، قال : حدّثنا موسى بن داود ، عن ابن لَهِيعة، عن خالد بن أبى عمران ، عن حَنَش الصَّنْعانىّ، عن ابن عباس، قال : ولد النبىّ صلى الله عليه وسلّم يوم الاثنين ، واستنبِئَ يوم الاثنين[1] .

قال أبو جعفر : وهذا ممّا لا خلاف فيه بين أهل العلم .

* * *

واختلفوا فى أىّ الأثانين كان ذلك ؟ فقال بعضُهم : نزل القرآن على رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم لثمانِىَ عشرة خَلَتْ من رمضان .

* ذكر من قال ذلك .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن الحسَن بن دينار، عن أيّوب، عن أبى قُلابة عبد الله بن زيد

(١) طبقات ابن سعد ١ : ١٩٣ .

الجَرْمى ، أنه كان يقول — فيما بلغه وانتهى إليه من العلم : أنزِل الفرقان على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم لثمانيَ عشرة ليلةً خلَتْ من رمضان .

* * *

وقال آخرون : بل أنزل لأربع وعشرين ليلة خلَتْ منه .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، قال: حدّثني محمد بن إسحاق، قال : حدّثني مَنْ لا يُتّهم[1] ، عن سَعيد بن أبي عَروبة، عن قَتادة ابن دِعامة السدُوسيّ، عن أبي الجَلْد ، قال: نزَل الفرقان لأربع وعشرين ليلة خلَتْ من رمضان .

* * *

وقال آخرون : بل نزل لسبعَ عشرة خلَتْ من شهر رمضان ؛ واستشهدوا[2] لتحقيق ذلك بقول الله عزّ وجلّ : ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾[3] ؛ وذلكُ ملتقَى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والمشركين ببدْر ؛ وأنّ التقاء رسول الله صلى الله عليه وسلّم والمشركين ببدْر كان صبيحة سبع عشرة من رمضان . ١١٤٣/١

* * *

قال أبو جعفر : وكانَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم من قبل أن يظهرَ له[4] جبريل عليه السّلام برسالة الله عزّ وجلّ إليه — فيما ذكر عنه — يرى ويعاين آثاراً وأسبابًا من آثار مَنْ يريد الله إكرامه واختصاصه بفضله ؛ فكان مِنْ ذلك ما قد ذكرت فيما مضى من خبره عن المَلكَيْن اللذيْن أتياه فشقّا بطنه ، واستخرجا ما فيه من الغِلّ والدّنَس؛ وهو عند أمّه من

(١) ح : « أتهم » .

(٢) ر ، م : « واستشهد لتحقيق قوله » .

(٣) سورة الأنفال ٤١ .

(٤) ح : « عليه » .

الرضاعة حَليمة ، ومن ذلك أنه كان إذا مَرّ فى طريق لا يمرّ — فيما ذكر — عنه بشجرٍ ولا حَجَرَ فيه إلاّ سلّم عليه .

حدّثنى الحارث بن محمّد ، قال : حدّثنا محمّد بن سعد ، قال : أخبرَنا محمّد بن عمر ، قال : حدّثنا علىّ بن محمّد بن عبيد الله بن عمر بن الخطّاب ، عن منصور بن عبد الرحمن ، عن أمّه ، عن بَرّة بنت أبى تجراة ، قالت : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم حين أراد الله كَرامته وابتداءه[1] بالنبوّة ، كان إذا خرج لحاجته أبْعَدَ حتى لا يرى بيتًا ، ويفضِى إلى الشِّعَاب وبطون الأوْدية ، فلا يمرّ بحجرٍ ولا شجرةٍ إلاّ قالت : السّلام عليك يا رسولَ الله ، فكان يلتفِتُ عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً[2] .

قال أبو جعفر : وكانت الأمم تتحدّث بمبعثه وتخبر علماء كلّ أمة منها قومها بذلك ؛ وقد حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى علىّ بن عيسى الحكمىّ ، عن أبيه ، ١١٤٤/١
عن عامر بن ربيعة ، قال : سمعت زيد بن عمرو بن نُفَيل يقول : أنا أنتظِر نبيًّا من ولد إسماعيل ، ثم من بنى عبد المطّلب ولا أرانى أدركه ؛ وأنا أومن به وأصدّقه ، وأشهد أنه نبىّ ، فإن طالت بك مدّة فرأيته ، فأقرئه منّى السلام ، وسأخبرك ما نَعْتُه حتى لا يخفى عليك ! قلت : هَلُمّ ، قال : هو رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ، ولا بكثير الشعر ولا بقليله ، وليست تفارق عينيْه حمرة ، وخاتم النبوّة بين كتفيْه ، واسمه أحمد ، وهذا البلد مولِدُه ومبعثه ، ثم يخرِجه قومه منها ، ويكرَهون ما جاء به ، حتى يهاجرَ إلى يثرب فيظهرَ أمرُه ؛ فإيّاك أن تُخدَعَ عنه ، فإنّى طُفْت البلادَ كُلّها أطلب[3] دين إبراهيم ، فكلّ من أسأل من اليهود والنّصارى والمجوس يقولون : هذا الدّين وراءك ، وينعتونه مثل ما نعتُّه لك ؛ ويقولون : لم يبق نبىٌّ غيره[4] .

(١) م : « فابتدأه » .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ١٥٧ .

(٣) كذا فى ح ، ر وطبقات ابن سعد ، وفى ط : « لطلب » .

(٤) طبقات ابن سعد ١ : ١٦١ ، ١٦٢ .

قال عامر : فلمّا أسلمتُ أخبرتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم قول زيد ابن عمرو وأقرأته منه السّلام، فردّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ؛ وترحّم[١] عليه ، وقال : قد رأيتُه فى الجنّة يسحبُ ذيولا .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق عمّنْ لا يُتّهم ، عن عبد الله بن كعب مولى عثمان ، أنه حدّث أنّ عمر بن الخطّاب بينا هو جالسٌ فى الناس فى مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ إذ أقبل رجلٌ من العرب داخل[٢] المسجد ، يريد عمر — يعنى ابن الخطّاب — فلمّا نظر إليه عمر قال : إنّ الرجلَ لعلَى شرْكِه بعد ، ما فارقه — أو لقد كان
١/١١٤٥ كاهنًا فى الجاهلية — فسلّم عليه الرجل ، ثم جلس فقال له عمر : هل أسلمتَ ؟ فقال : نعم ، فقال : هلْ كنتَ كاهنًا فى الجاهلية ؟ فقال الرجل[٣] : سبحان الله ! لقد استقبلتَنى[٣] بأمرٍ ما أراك قلتَه لأحد من رعيّتك منذ ولّيت ! فقال عمر : اللهم غَفْرًا ؛ قد كنّا فى الجاهلية على شرٍّ من ذلك ، نعبدُ الأصنام ، ونعتنق الأوثان حتى أكرَمنا الله بالإسلام . فقال : نعم والله يا أمير المؤمنين ؛ لقد كنت كاهنًا فى الجاهليّة . قال : فأخبِرْنا ما أعجبُ ما جاءك به صاحبك . قال : جاءنى قبل الإسلام بشهر — أو سنة — فقال لى : « ألم تر إلى الجنّ وإبلاسها ، وإياسها من دينها ، ولحوقها بالقِلاص وأحلاسها[٤] ! » . قال : فقال عمر عند ذلك يحدّث الناس : والله إنى لعندَ وثنٍ من أوثان الجاهلية فى نفرٍ من قريش ؛ قد ذبح له رجل من العرب عجلاً فنحن نَنظرُ قَسْمَه ليقسِم لنا منه ، إذ سمعتُ من جوف العجل صوتًا ما سمعتُ صوتًا قطّ أنفذَ منه ؛ وذلك قبل الإسلام بشهر أو شَيْعه[٥] ، يقول : يا آل ذريح ؛

(١) كذا فى ر ، م ، وفى ط : « رحم عليه » . (٢) ابن هشام : « داخلاً » .

(٣ — ٣) ابن هشام : « سبحان الله يا أمير المؤمنين ، لقد خلت فىّ ، واستقبلتنى بأمر ما أراك قلته لأحد » .

(٤) قال ابن هشام : هذا الكلام سجع وليس بشعر . والإبلاس : الذلة . والإياس : اليأس . والقلاص من الإبل : الفتية . والأحلاس : جمع حلس ، وهو الكساء يوضع على ظهر البعير .

(٥) كذا فى ابن هشام ، قال السهيلى : « أو شيعه ، اى دونه بقليل ، وشيع كل شىء ما هو تبع له » . وفى ط : « أو سنة » ، والأجود ما أثبته عن ابن هشام .

أمرٌ نجيح ، ورَجُلٌ يصيح ؛ يقول : لا إله إلا الله[١] .

حدّثنا ابن حميد، قال : حدّثنا علىّ بن مجاهد ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرىّ ، عن عبد الله بن كعب ، مولى عثمان بن عفّان، مثله .

حدّثنا الحارث، قال: حدّثنا محمّد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر قال : حدّثنى محمد بن عبد الله، عن الزهرىّ ، عن محمد بن جُبير بن مطعِم، عن أبيه، قال: كُنّا جلوسًا عند صَنم ببُوانة قبل أن يبعثَ رسولُ الله صلى الله ١١٤٦/١
عليه وسلّم بشهر ؛ نحرنا جَزُوراً ؛ فإذا صائح يصيح من جَوْف واحدة : اسمعوا إلى العجب ! ذهب استراق الوحى ، ونرمى بالشُّهُب لنبىّ بمكة اسمه أحمد، مهاجَره إلى يثرب . قال : فأمسكنا ، وعجبنا ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلّم[٢] .

حدّثنى أحمد بن سنان القطان الواسطىّ ، قال: حدّثنا أبو معاوية قال : حدّثنا الأعمش ، عن أبى ظَبْيان، عن ابن عبّاس ، أنّ رجلاً من بنى عامر أتَى النبىّ صلى الله عليه وسلّم، فقال: أرنى الخاتَم الذى بين كتفيك؛ فإن يَكُ بك[٣] طِبٌّ داويتُك؛ فإنى أطبّ العرب ، قال : أتحبّ أن أريَكَ آية ؟ قال : نعم ؛ ادعُ ذاك العِذْق ، قال : فنظر إلى عِذْق فى نخلة ، فدعاه فجعلَ ينقُزُ[٤] ؛ حتى قام بين يديه ، قال : قل له فليرجِعْ ، فرجع ، فقال العامرىّ : يا بنى عامر ، ما رأيتُ كاليوم أسحر !

* * *

قال أبو جعفر : والأخبار عن الدلالة على نبوته صلّى الله عليه وسلّم أكثر من أن تحصى ، ولذلك كتاب يفرد إن شاء الله .

ونرجع الآن إلى :

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٣٩ — ١٤٠ .
(٢) طبقات ابن سعد ١ : ١٦١ .
(٣) الطبّ ها هنا : السحر .
(٤) النقز : الوثب .

ذكر الخبر عمّا كان من أمر نبيّ الله صلّى الله عليه وسلّم عند ابتداء الله تعالى ذكره إيّاه بإكرامه بإرسال جبريل عليه السّلام إليه بوحيه

قال أبو جعفر : قد ذكرنا قبلُ بعضَ الأخبار الواردة عن أوّل وقت مجيء جبريل نبينا محمّداً صلى الله عليه وسلّم بالوحْى من الله ، وكم كان سنّ النبيّ صلى الله عليه وسلّم يومئذ ؛ ونذكر الآن صفة ابتداء جبريل إياه بالمصير إليه ، وظهوره له بتنزيل ربّه . ١١٤٧/١

فحدّثنى أحمد بن عثمان المعروف بأبى الجوزاء ، قال : حدّثنا وهب ابن جرير ، قال : حدّثنا أبى ، قال : سمعتُ النُّعمان بن راشد ، يحدّث عن الزّهرىّ ، عن عُرْوة ، عن عائشة أنها قالت : كان أوّل ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلّم من الوَحْى الرؤيا الصادقة ، كانت تجيء مثلَ فَلَق الصُّبْح ، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء ، فكان بغار بحراء يتحنّث فيه الليالى ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ، ثم يرجع إلى أهله ، فيتزوّد لمثلها ؛ حتى فجأه الحقّ ، فأتاه ، فقال : يا محمّد ، أنتَ رسول الله ! قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : فجثوْتُ لركبتى وأنا قائم ، ثمّ زحفتُ[1] ترجفُ بوادرِى[2] ، ثمّ دخلت على خديجة ، فقلت : زمّلونى ، زمّلونى ! حتى ذهب عنى الرَّوْع ، ثم أتانى فقال : يا محمّد ، أنت رسولُ الله . قال : فلقد هممت أن أطرَح نفسى من حالِقٍ من جبل ، فتبدّى لى حين هممت بذلك ، فقال : يا محمّد ، أنا جبريل ، وأنتَ رسول الله . ثم قال : اقرأ ، قلت : ما أقرأ ؟ قال : فأخذنى فغتّنى ثلاث مرات ، حتى بلغ منّى الجهد ، ثم قال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾[3] ، فقرأتُ . فأتيتُ خديجة . فقلت : لقد أشفقتُ على نفسى ، فأخبرتها خبرِى ، فقالت : أبشِرْ ، فوالله لا يُخزِيكَ الله أبداً ؛ ووالله إنّك لتَصِلُ

(١) ر والتفسير : « رجعت » .

(٢) ر والتفسير : « فؤادى » .

(٣) سورة العلق ١ .

الرَّحِم ، وتصدقُ الحديث ، وتؤدّى الأمانة ، وتحمِلُ الكَلَّ وتَقْرِى الضّيف ، وتُعين على نوائب الحقّ . ثم انطلقتْ بى إلى ورقة بن نوفل بن أسد ، قالت : اسمع من ابن أخيك ، فسألنى فأخبرته خبرى ، فقال : هذا الناموسُ ١١٤٨/١
الذى أنزِل على موسى بن عمران ، ليتنى فيها جَذَعٌ ! ليتنى أكون حيًّا حينَ يخرجُك قومُك ! قلت : أمُخْرِجىَّ هم ؟ قال : نعم ؛ إنه لم يجئْ رجُلٌ قطُّ بما جئتَ به إلاّ عُودِىَ ، ولئن أدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزّراً[1] .

ثم كان أول ما نزل علىّ من القرآن بعد «اقرأ» : ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ * فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴾ ، و ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ و ﴿ وَالضحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾[1] .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهْب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، قال : حدّثنى عُرْوة ، أنّ عائشة أخبرته . ثم ذكر نحوه ؛ غير أنه لم يقُلْ : « ثم كان أوّل ما أنزل علىّ من القرآن » . إلى آخره .

حدّثنا محمّد بن عبد الملك بن أبى الشّوارب ، قال : حدّثنا عبدالواحد بن زياد ، قال : حدّثنا سليمان الشّيبانىّ ، قال : حدّثنا عبدالله بن شدّاد ، قال : أتى جبريلُ محمّداً صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمّد ، اقرأ ؟ فقال : ما أقرأ ؟ قال : فضمّه[2] ، ثمّ قال : يا محمّد ، اقرأ ، قال : ما أقرأ ؟ قال : فضمّه ، ثم قال : يا محمّد ، اقرأ ، قال : وما أقرأ ؟ قال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ حتّى بلغ ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، قال : فجاء إلى خديجة ، فقال : يا خديجة ، ما أرانى إلا قد عُرِض[3] لى ، قالت : كلاّ والله ما كان ربُّك يفعل ذلك بك ؛ ما أتيتَ فاحشةً قطّ . قال : فأتتْ

(١) الخبر فى التفسير ٣٠ : ١٦١ ، ١٦٢ (بولاق) .
(٢) ط : « فغمه » ، وما أثبته من التفسير .
(٣) عرض لى ، أى أصابنى مس من الجن . وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ٨٣ .

١١٤٩/١ خديجةُ ورقةَ بنَ نوفل فأخبرته الخبر ، فقال : لئن كنتِ صادقة ، إنّ زوجَك لنبيّ ، وليلقينّ من أمّته شدّة ، ولئن أدركتُه لأومننّ به .

قال : ثم أبطأ عليه جبريل، فقالت له خديجة : ما أرَى ربَّك إلاّ قد قلاك، قال: فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿والضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ (١) .

حدّثنا ابن حُميد ، قال: حدّثنا سَلَمة ، عن محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثني وهب بن كَيْسان مولى آل الزّبير ، قال : سمعتُ عبدَ الله بن الزُّبير ، وهو يقول لعُبيد بن عمير بن قَتَادة الليثيّ : حدّثنا يا عُبَيْد كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلّم من النبوّة حين جاء جبريل عليه السّلام ؟ فقال عُبيد — وأنا حاضر يحدّث عبدالله بن الزُّبير ومَنْ عنده من النّاس : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم يجاورُ في حراء من كلّ سنة شهراً ، وكان ذلك مما تحنّثُ(٢) به قريش في الجاهلية — والتحنث: التبرّر — وقال أبو طالب :

* وَرَاقٍ لِيَرْقَى فِي حِرَاءٍ وَنَازِلِ * (٣)

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلّم يجاورُ ذلك الشهر من كلّ سنة ، يطعم مَنْ جاءه من المساكين ، فإذا قَضَى رسول الله صلى الله عليه وسلّم جواره من شهره ذلك ،كان أوّل ما يبدأ به — إذا انصرف من جواره — الكعبة قبل أن يدخُل بيته ، فيطوف بها سبعًا ، أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته ، حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله عزّ وجلّ فيه ما أراد من كرامته ،من السّنة التى بعثه فيها ؛ وذلك فى شهر رمضان ، خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم إلى حِرَاء — ١١٥٠/١ كما كان يخرج لجواره — معه أهله ؛ حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها ، جاءه جبريل بأمر الله فقال رسول الله صلى الله

(١) الخبر فى التفسير ٣٠ : ١٦٢ (بولاق) . (٢) ح : « تتحنث » .

(٣) صدره فى ابن هشام :

* وثَوْرٍ وَمَنْ أَرْسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ *

عليه وسلّم ، فجاءنى وأنا نائم بنَمَطٍ من ديباجٍ ، فيه كتاب ، فقال : اقرأ ، فقلت : ما أقرأ ؟ فغتّنى[1] ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، فقلت : ماذا أقرأ ؟ وما أقول ذلك إلا افتداءً منه أن يعود إلىّ بمثل ما صنع بى ؛ قال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، قال : فقرأته ، قال : ثم انتهى ، ثم انصرفَ عنّى وهببْت من نومى ؛ وكأنّما كتب فى قلبى كتابًا .

قال : ولم يكن من خلْق الله أحدٌ أبغضَ إلىّ من شاعر أو مجنون ؛ كنت لا أطيق أن أنظر إليهما ، قال : قلت إنّ الأبْعَدَ — يعنى نفسه — لَشاعر أو مجنون ، لاتحدّث بها عنّى قريش أبداً ! لأعمدنّ إلى حالِقٍ من الجبل فلأطرحنّ نفسى منه فلأقتلنّها فلأستريحنّ .

قال : فخرجت أريد ذلك ؛ حتى إذا كنت فى وسطَ من الجبل ؛ سمعت صوتًا من السّماء يقول : يا محمّد ، أنتَ رسول الله ، وأنا جبريل ، قال : فرفعتُ رأسى إلى السّماء ؛ فإذا جبْرئيلُ فى صورة رجل صافّ قدميه فى أفق السماء ، يقول : يا محمّد ، أنت رسول الله وأنا جبرئيل . قال : فوقفت أنظرُ إليه ، وشغلنى ذلك عمّا أردت ؛ فما أتقدّم وما أتأخّر ؛ وجعلت أصرفُ وجهى عنه فى آفاق السّماء فلا أنظر فى ناحية منها إلا رأيته كذلك ؛ فما زلتُ واقفًا ما أتقدّم أمامى ، ولا أرجع ورائى ؛ حتى بعثتْ خديجة رسلَها فى طلبى ؛ حتى بلغوا مكّة ورجعوا إليها وأنا واقف فى مكانى . ثم انصرف عنى وانصرفت راجعًا إلى أهلى ؛ حتى أتيت خديجة ، فجلست إلى فخذِها مُضيفًا[2] فقالت : يا أبا القاسم ؛ أين كنت ؟ فوالله لقد بعثتُ رسلى فى طلبك ، حتى بلغوا مكة ورجعوا إلىّ . قال : قلت لها : إنّ الأبْعَدَ لشاعر أو مجنون ، فقالت : ١١٥١/١

(١) قال ابن الأثير : « الغت والغط سواء ؛ كأنه أراد : عصرنى عصراً شديداً حتى وجدت منه المشقة ، كما يجد من يغمس فى الماء قهرا » .

(٢) مضيفاً ، أى ملتصقاً بها مائلا إليها ؛ أضفت إلى الرجل ؛ إذا ملت نحوه ولصقت به .

أعيذك بالله من ذلك يا أبا القاسم ! ما كان الله ليصنعَ ذلك بك مع ما أعلم منكَ من صدق حديثك ، وعظم أمانتك ، وحسن خلقك ، وصلة رحمك ! وما ذاك يا بن عمّ! لعلّك رأيت شيئًا ؟ قال: فقلت لها : نعم . ثمّ حدّثتُها بالذى رأيت ؛ فقالت : أبشرْ يابن عمّ واثبت ، فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكونَ نبيّ هذه الأمة ، ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقتْ إلى ورقة بن نوفل بن أسد — وهو ابن عمّها ، وكان ورقة قد تنصّر وقرأ الكتب ، وسمع من أهلِ التوراة والإنجيل — فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه رأى وسمع ، فقال ورقة : قُدُّوس ، قُدُّوس ! والذى نفس ورَقَة بيده ، لئن كنتِ صدقتِنى يا خديجة ، لقد جاءه النّاموس[1] الأكبر — يعنى بالنّاموس جَبْرئيل عليه السّلام الذى كان يأتى موسى — وإنه لنبيّ هذه الأمّة ، فقولى له فليثبُتْ . فرجعت خديجة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأخبرته بقول ورقة ، فسهّل ذلك عليه بعضَ ما هو فيه من الهمّ ، فلما قضى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جواره ، وانصرف صنع كما كان يصنع ؛ وبدأ بالكعبة فطاف بها . فلقيَه ورقة بن نوفل ، وهو يطوفُ بالبيت ، فقال : يابن أخى ، أخبِرْنى بما رأيت أو سمعت ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فقال له ورقة : والذى نفسى بيده ، إنك لنبيّ ١١٥٢/١
هذه الأمّة ، ولقد جاءك النّاموس الأكبر الذى جاء إلى موسى ، ولتُكذبنّهْ ولتؤذينّهْ ، ولَتُخرَجنّهْ ، ولتقاتلنّهْ ؛ ولئن أنا أدركتُ ذلك لأنصرنّ الله نصراً يعلمُه . ثم أدنى رأسَه فقبّل يافوخه ، ثم انصرف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إلى منزله[2] .

وقد زاده ذلك من قول ورقة ثباتًا ، وخفّف عنه بعض ما كان فيه من الهمّ . فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن إسماعيل بن أبى حكيم مولى آل الزّبير ، أنه حدّث عن

(١) أصل الناموس ، هو صاحب سر الرجل فى خيره وشره ؛ فعبر عن الملك الذى جاء بالوحى بذلك .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٥٣ — ١٥٦ .

خديجة أنّها قالتْ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يثبّته فيما أكرمه الله به من نبوّته : يابن عمّ ، أتستطيع أن تخبرَنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟ قال : نعم ، قالت : فإذا جاءك فأخبرنى به ، فجاءه جَبْرئيل عليه السّلام كما كان يأتيه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لخديجة : يا خديجة هذا جبرئيل قد جاءنى ، فقالت : نعم ، فقم يابنَ عمّ ، فاجلس على فخِذِى اليُسرى ، فقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فجلس عليها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت : فتحوّل فاقعُد على فخذى اليمنى ، فتحوّل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فجلس عليها ، فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم ؛ قالت : فتحوّل فاجلس فى حجرى ، فتحوّلَ فجلس فى حجرها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، فتحسَّرت ، فألقت خِمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلّم جالسٌ فى حِجْرها ، ثم قالت : هل تراه ؟ قال : لا ، فقالت : يابن عمّ ، اثبُت وأبشر ؛ فوالله إنه لَملَكٌ وما هو بشيطان[1] .

فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : وحدّثت بهذا الحديث عبد الله بن الحسن ، فقال : قد سمعت أمّى فاطمة بنت الحسين تحدّث بهذا الحديث عن خديجة ، إلاّ أنّى ١١٥٣/١
قد سمعتها تقول : أدخلتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم بينها وبين درْعها ، فذهب عند ذلك جبرئيل ، فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا لَملَك ، وما هو بشيطان[1] .

حدثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا عثمان بن عمر بن فارس ، قال : حدّثنا علىّ بن المبارك ، عن يحيى — يعنى ابن أبى كثير — قال : سألتُ أبا سلمة : أىّ القرآن أنزِل أوّل ؟ فقال : ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ، فقلت : يقولون : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ ! فقال أبو سلمَة : سألتُ جابرَ بن عبد الله : أىّ القرآن أنزِل أوّل ؟ فقال : ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ، فقلت : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ ، فقال : لا أخبرك إلاّ ما حدّثنا النبىّ صلى الله عليه وسلّم ، قال : جاورتُ فى حِرَاء ، فلما قضيتُ جِوارى ، هبطتُ فاستبطنت الوادى ،

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٥٧ .

فنوديتُ ، فنظرتُ عن يميني وعن شمالي ، وخلْفي وقُدّامي ، فلم أرَ شيئًا ، فنظرتُ فوقَ رأسي ، فإذا هو جالسٌ عَلَى عرشٍ بين السّماء والأرض ، فخشِيتُ منه ـ قال ابن المثنّى : هكذا قال عثمان بن عمر، وإنما هو «فجُئثت منه»[1] ـ فلقيتُ خديجة، فقلت : دَثّروني ، فدثّروني ، وصبُّوا عليّ ماءً ، وأنزل عليّ : ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ .

حدّثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا وكيع ، عن عليّ بن المبارك ، عن يحيى بن أبي كثير ، قال : سألتُ أبا سلمة عن أوّلِ ما نزل من القرآن ، قال : نزلت : ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ أوّل ، قال : قلت : إنّهم يقولون : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ، فقال : سألت جابر بن عبد الله ، فقال : لا أحدّثك إلا ما حدّثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلّم، قال : جاورتُ بحراء ، فلمّا قضيت جواري، هبطت فسمعت صوتًا ، فنظرت عن يميني فلم أرَ شيئًا ١١٥٤/١
وعن شمالي فلم أرَ شيئًا ، ونظرت أمامي فلم أرَ شيئًا ، ونظرت خلْفي فلم أرَ شيئًا ، فرفعت رأسي ، فرأيت شيئًا ، فأتيت خديجة ، فقلت : دثّروني ، وصبُّوا عليّ ماءً ، قال : فدثّروني وصبُّوا عليّ ماء بارداً ، فنزلت : ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾[2] .

وحُدّثت عن هشام بن محمّد، قال : أتى جبريل رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم أوّل ما أتاه ليلةَ السّبْت ، وليلة الأحد ، ثم ظهر له برسالة الله عزّ وجلّ يوم الاثنين ، فعلّمه الوضوء، وعلّمه الصلاة، وعلّمه : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ، وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلّم يوم الاثنين، يوم أوحى إليه ، أربعون سنة .

حدّثني أحمد بن محمد بن حبيب الطّوسي ، قال : حدّثنا أبو داود الطّيالسيّ ، قال : أخبرنا جعفر بن عبد الله بن عثمان القُرشيّ ، قال : أخبرني عمر بن

(١) جئثت منه ، أي خفت وفزعت ، وانظر اللسان .
(٢) الخبر في التفسير ٢٩ : ٩٠ (بولاق) .

عروة بن الزبير ، قال : سمعتُ عروة بن الزبير يحدّث عن أبى ذرّ الغِفارىّ قال : قلتُ: يا رسولَ الله ، كيف علمتَ أنك نبىّ أوّل ما علمت، حتى علمت ذلك واستيْقنت ؟ قال : يا أبا ذرّ ، أتانى مَلَكان وأنا ببعض بطْحاء مكة، فوقع أحدُهما فى الأرض والآخر بين السّماء والأرض، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : هو هو ، قال : فزنْه برجُل ، فوُزِنْت برجل فرجحتُه ، ثم قال : زِنْه بعشرة ، فوزنى بعشرة فرجحتهم ، ثم قال : زنه بمائة ، فوزنى بمائة فرجحتهم[1] ، ثم قال: زنه بألف، فوزنى بألف فرجحتهم، فجعلوا ينتثرون[2] علىّ من كِفّة الميزان، قال : فقال أحدهُما للآخر : لو وزنتَه بأمّته رَجَحها . ثم قال أحدهُما لصاحبه: شُقّ بطنَه، فشقّ بطنِى، ثم قال أحدهما : أخرج قلبَه — أو قال : شقّ قلبَه — فشقّ قلبى ، فأخرج ١١٥٥/١
منه مغْمَز الشيطان وعلَقَ الدّم ، فطرحها ، ثم قال أحدهما للآخر : اغسِلْ بطنه غَسْل الإناء ، واغسلْ قلبه غسْل الإناء — أو اغسِلْ قلبه غسل المُلاءة — ثم دعا بالسّكينة ، كأنّها وجه هِرّة بيضاء فأدخلَتْ قلبى ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خِطْ بطنَه ، فخاطا بطنِى، وجعلا الخاتم بين كتِفىّ ، فما هو إلا أن ولّيا عنّى فكأنّما أعاين الأمرَ معاينة .

حدّثنا محمّد بن عبد الأعلى، قال : حدّثنا ابن ثَوْر ، عن معمَر ، عن الزّهرىّ ، قال : فَتَر الوحىُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترةً ، فحزن حزنًا شديداً ، جعل يغدو إلى رءوس شواهق الجبال ليتردّى منها ، فكلّما أوْفى بذِرْوَة جَبَل تبدّى له جَبْرئيل، فيقول : إنك نبىّ الله ؛ فيسكن لذلك جأشُهُ ، وترجع إليه نفسُه ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يحدّث عن ذلك ، قال : فبينما أنا أمشى يومًا ، إذ رأيتُ الملَك الذى كان يأتينى بحِراء ، على كرسىّ بين السّماء والأرض ، فجُئِثتُ منه رعبًا ، فرجعت إلى خديجة ، فقلت : زمّلونى ، فزمّلناه — أى دثّرناه — فأنزل الله عزّ وجلّ :

(١) ر ، م : « فوزنتهم » .

(٢) ح ، ر : « ينثرون » .

﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ ، قال الزّهريّ : فكان أوّل شيء أنزل عليه : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ حتى بلغ ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1] .

حدّثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهْب ، قال : أخبرَني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرَني أبو سلمة بن عبد الرّحمن ، أنّ جابر بنَ عبد الله الأنصاريّ ، قال : قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يحدّث عن فَتْرة الوحي : بينا أنا أمشي سمعتُ صوتًا من السّماء، فرفعت ١١٥٦/١
رأسي ، فإذا الملَك الذي جاءني بحراء جالس على كرسيّ بين السّماء والأرض . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجُئِثت منه فَرَقًا ، وجئت فقلت : زمّلوني ، زمّلوني! فدثّروني ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ ، قال : ثم تتابع الوحي[1] .

* * *

قال أبو جعفر : فلما أمرَ الله عزّ وجلّ نبيه محمّداً صلى الله عليه وسلم أن يقوم بإنذار قومِه عقابَ الله على ما كانوا عليه مقيمين من كفرهم بربّهم وعبادتهم الآلهة والأصنام دون الذي خلقهم ورزقهم ؛ وأن يحدّث بنعمة ربه عليه بقوله : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ ، وذلك — فيما زعم ابن إسحاق — النبوّة .

حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، أي ما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوّة فحدّث ؛ اذكرها وادعُ إليها . قال : فجعلَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يذكر ما أنعم الله عليه وعلى العباد به من النبوّة سرًّا إلى مَنْ يطمئنّ إليه من

(١) الخبر في التفسير ٢٩ : ٩٠ (بولاق) .

أهله ؛ فكان أوّل مَنْ صدّقه وآمن به واتّبعه من خلْق الله — فيما ذكر — زوجته خديجة رحمها الله[١] .

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : قال الواقديّ : أصحابُنَا مجمِعون على أنّ أوّلَ أهل القبلة استجاب لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم خديجة بنت خويلد رحمها الله .

* * *

قال أبو جعفر : ثم كانَ أوّل شيء فرَضَ الله عزّ وجلّ من شرائع الإسلام عليه بعد الإقرار بالتوحيد والبراءة من الأوثان والأصنام وخلْع الأنداد الصلاةُ — فيما ذكر .

١/١١٥٧ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمّد بن إسحاق ، قال : وحدّثني بعضُ أهلِ العلم أنّ الصّلاة حين افترِضَتْ على رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، أتاه جَبْرَئيل وهو بأعلَى[٢] مكة ، فهمزَ له بعقِبه في ناحية الوادى ، فانفجرت منه عين ، فتوضّأ جبرئيل عليه السلام ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ينظر إليه ليرَيه كيف الطّهور للصلاة ، ثم توضّأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم كما رأى جبرئيل عليه السلام توضّأ ، ثم قام جبرئيل عليه السلام ، فصلّى به وصلّى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بصلاته . ثم انصرف جبرئيل عليه السّلام ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلّم خديجة ، فتوضّأ لها يُريها كيفَ الطّهور للصّلاة ؛ كما أراه جبرئيل عليه السلام ، فتوضأتْ كما توضّأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ثم صلّى بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كما صلّى به جبرئيل عليه السلام ، فصلتْ بصلاته .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا هارون بن المغيرة وحَكّام بن سَلْم ،

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٦٢ ، ١٦٣

(٢) ح : « بمكة » .

عن عنبسة ، عن أبي هاشم الواسطيّ ، عن ميمون بن سيَاه ، عن أنس بن مالك، قال : لما كان حينُ نبِّئَ النبيّ صلى الله عليه وسلّم، وكان ينام حولَ الكعبة ، وكانت قريش تنام حولها ، فأتاه ملكان: جبرئيل وميكائيل، فقالا : بأيّهم أمرنا ؟ فقالا : أمِرْنا بسيّدهم ، ثم ذهبا ثم جاءا من القِبْلة ، وهم ثلاثة ، فألفَوْه وهو نائم ، فقلَبُوه لظهره، وشَقُّوا بطنَه ، ثم جاءوا بماء من ماء زمزم ، فغسلوا ما كان في بطنه من شكّ أو شِرْك أو جاهليّة أو ضلالة ، ثم جاءوا بطست من ذهب ، مُلِئَ إيمانًا وحِكْمة ، فملىء بطنه وجوفه إيمانًا وحكمة ، ثم عرج به إلى السّماء الدّنيا ، فاستفتح جبرئيل ، فقالوا : مَنْ هذا ؟ فقال : جَبْرئيل؛ فقالوا : مَنْ معك ؟ فقال : محمّد، قالوا : ١١٥٨/١
وقد بُعث ؟ قال : نعم ، قالوا : مرحبًا ، فدعَوْا له في دعائهم، فلمّا دخل ؛ فإذا هو برجل جَسيم وسيم ، فقال : مَنْ هذا يا جبرئيل ؟ فقال : هذا أبوك آدم ، ثم أتوْا به إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبرئيل ، فقيل له مثل ذلك ، وقالوا في السَّموات كلّها كما قال وقيل له في السّماء الدّنيا، فلما دخلَ ، إذا برجُليْن ، فقال : مَنْ هؤلاء يا جَبْرئيل ؟ فقال : يحيي وعيسى ابنا الخالة ، ثم أتى به السّماء الثالثة ، فلما دخل إذا هو برجل ، فقال : من هذا ياجبرئيل ؟ قال : هذا أخوك يوسف ، فُضّل بالحسُنْ على النّاس ، كما فُضّل القمر ليلة البدر على الكواكب ، ثم أتِيَ به السّماء الرابعة ، فإذا هو برجل ، فقال : من هذا ياجبرئيل ؟ فقال : هذا إدريس ، ثم قرأ : ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[1] ، ثم أتِيَ به السماء الخامسة ، فإذا هو برجل ، فقال : من هذا ياجبرئيل ؟ قال : هذا هارون ، ثم أتِيَ به السّماء السّادسة ، فإذا هو برجل فقال : من هذا ياجبرئيل ؟ فقال : هذا موسى ، ثم أتى به السّماء السابعة ، فإذا هو برجل ، فقال : مَنْ هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم ، ثم انطلق إلى الجنة ، فإذا هو بنهر أشدّ بياضًا من اللبن ، وأحلَى من العسل ، بجنبتيه قِباب الدرّ ، فقال : ما هذا ياجبرئيل ؟ فقال : هذا الكَوْثَرُ الذي

(١) سورة مريم ٥٧ .

أعطاك ربُّك، وهذه مساكنك ، قال : وأخذ جبرئيل بيده من تربته ، فإذا هو مسك أذفرُ ، ثم خرج إلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى وهى سدرة نَبْق أعظمُها أمثال الجرار ، وأصغرها أمثال البَيْض ، فدَنَا ربُّك عزّ وجلّ : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ (١) ، فجعل يتغشّى السدْرَةَ من دُنُوّ (٢) ربها تبارك ١١٥٩/١
وتعالى ، أمثال الدرّ والياقوت والزبرجد واللؤلؤ ألوان . فأوحى إلى عبده ، وفهّمه وعلّمه وفرض عليه خمسين صلاة ، فمرَّ على موسى ، فقال : ما فَرَض على أمتك ؟ فقال : خمسين صلاة ، قال : ارجع إلى ربك فسَلْه التخفيف لأمّتك ، فإنّ أمّتك أضعفُ الأمم قوّة ، وأقلّها عمراً ؛ وذكَر ما لقى من بنى إسرائيل ، فرجع فوضع عنه عشراً ، ثم مرّ على موسى ، فقال : ارجع إلى ربّك فسله التخفيف ؛ كذلك حتى جعلها خمسًا ، قال : ارجع إلى ربك فسلْه التخفيف ، فقال : لستُ براجع ؛ غيرَ عاصيك ؛ وقذف فى قلبه ألاّ يرجع ، فقال الله عزّ وجلّ : « لا يبدّل كلامى ، ولا يردّ قضائى وفرضى » ، وخفّف عن أمتى الصلاة لعشْر . قال أنس : وما وجدت ريحًا قطّ ولا ريحَ عَروس قطّ ، أطيب ريحًا من جِلْدِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ ألزقت جلدى بجلده وشممْتُه .

* * *

قال أبو جعفر : ثم اختلف السَّلَف فيمن اتّبع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وآمن به وصدّقه على ما جاء به (٣) من عندِ الله من الحقّ بعد زوجته خديجة بنت خويلد ، وصلّى معه .

فقال بعضهم : كان أوّل ذكَرٍ آمن برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وصلّى معه وصدّقه بما جاءه من عند الله علىّ بن أبى طالب عليه السّلام .

(١) سورة النجم ٩ .

(٢) ح : « نور » .

(٣) ح : « جاءه » .

* ذكر بعض من قال ذلك ممن حضرنا ذكره :

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا إبراهيم بن المختار ، عن شعبة[١] ، عن أبي بَلج ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس ، قال : أوّل مَنْ صلّى عليٌّ . ١١٦٠/١

حدّثنا زكريّاء بن يحيى الضّرير ، قال: حدّثنا عبد الحميد بن بحر ، قال : أخبرنا شريك ، عن عبد الله بن محمّد بن عَقيل ، عن جابر ، قال : بُعث النبيّ صلى الله عليه وسلّم يوم الاثنين ، وصلى عليٌّ يوم الثلاثاء .

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا محمّد بنُ جعفر ، قال : حدّثنا شُعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، عن أبي حمزة ، عن زيد بن أرْقم ، قال : أوّل مَنْ أسلَم مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عليُّ بن أبي طالب . قال : فذكرتهُ للنَّخَعيّ ، فأنكره ، وقال : أبو بكر أوّلُ مَنْ أسلم .

حدّثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا وكيع ، عن شُعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، عن أبي حَمْزة مولى الأنصار ، عن زيد بن أرقم ، قال : أوّلُ مَنْ أسلم مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عليُّ بن أبي طالب عليه السّلام .

حدثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا عبيد بن سعيد ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : سمعت أبا حمزة (رجلا من الأنصار) ، يقول : سمعت زيد بن أرقم ، يقول : أوّلُ رجل صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم عليٌّ عليه السّلام .

حدّثنا أحمد بن الحسن التِّرمذيّ، قال: حدّثنا عُبيد الله بن موسى ، قال: أخبرنا العَلاء [٢] ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبّاد بن عبد الله ، قال: سمعتُ عليًّا يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصِّدّيق الأكبر ، لا يقولها بعدي إلا كاذب [٣] مُفْتَرٍ ، صلّيت مع رسول الله قبْلَ النّاس بسبع سنين .

(١) ر : « سعيد » .
(٢) هو العلاء بن صالح التيمى (الميزان) .
(٣) ر : « كذاب » .

حدّثنى محمّد بن عبيد المحاربىّ[1] ، قال: حدّثنا سعيد بن خُثَيم، عن أسد بن عَبدة البجَلىّ ، عن يحيى بن عفيف ، عن عفيف ، قال : جئتُ فى الجاهلية إلى مكّة ، فنزلت على العبّاس بن عبد المطلب . قال: فلمّا طلعت ١١٦١/١
الشمس وحَلَّقت فى السماء وأنا أنظر إلى الكعبة ، أقبل شابٌّ ، فرمى ببصره إلى السّماء ، ثم استقبل الكعبة ، فقام مستقبلها ، فلم يلبثْ حتى جاء غلام ، فقام عن يمينه . قال : فلم يلبَثْ حتى جاءت امرأة ، فقامت خَلْفهما ؛ فركع الشابُّ ، فركع الغلام والمرأة ، فرفع الشابّ فرفع الغلام والمرأة ، فخرّ الشابّ ساجداً فسجدا معه ، فقلت : يا عبّاس، أمر عظيم ! فقال : أمر عظيم ! أتدرِى مَنْ هذا ؟ فقلت : لا ، قال: هذا محمّد بن عبد الله بن عبدالمطّلب، ابن أخى. أتدرِى مَنْ هذا معه ؟ قلت: لا ، قال : هذا علىُّ بن أبى طالب ابن عبد المطلب ، ابن أخى . أتدرى مَنْ هذه المرأة التى خلْفهما ؟ قلتُ : لا ، قال : هذه خديجة بنت خُويلد ، زوجة ابن أخى ، وهذا حدّثنى أنّ ربّك ربّ السماء ، أمرهم بهذا الذى تراهم عليه، وايْمُ الله ما أعلم على ظهر الأرض كلّها أحداً على هذا الدّين غير هؤلاء الثلاثة .

حدّثنا أبو كريب ، قال : حدّثنا يونس بن بكير ، قال: حدّثنا محمّد ابن إسحاق، قال : حدّثنى يحيى بن أبى الأشعث الكِنْدىّ ، من أهل الكوفة، قال : حدثنى إسماعيل بن إياس بن عفيف ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كنت امرأً تاجراً ، فقدمت أيام الحج ، فأتيت العبّاس ، فبينا نحن عنده إذ خرجَ رجلٌ يصلّى ، فقام تُجَاهَ الكعبة ، ثم خرجت امرأة فقامت معه تصلى ، ١١٦٢/١
وخرج غلام فقام يصلّى معه ، فقلت : يا عباس ، ما هذا الدّين ؟ إنّ هذا الدّينَ ما أدرى ما هو ؟ قال : هذا محمّد بن عبد الله، يزعُم أنّ الله أرسله به ، وأنّ كُنوز كسرى وقيصر ستفتَح عليه ، وهذه امرأتُه خديجة بنت خُوَيلِد آمنت به ، وهذا الغلام ابنُ عَمّه علىّ بن أبى طالب ، آمن به . قال عفيف : فليتَنى كنتُ آمنتُ يومئذ فكنتُ أكون رابعًا !

(١) ر : « النجارى » .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمَة بن الفَضْل وعلىّ بن مجاهد ، قال سلَمة : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، عن يحيى بن أبى الأشعث — قال أبو جعفر : وهو فى موضع آخر من كتابى عن يحيى بن الأشعث — عن إسماعيل بن إياس بن عفيف الكندىّ — وكان عفيف أخا الأشعث بن قيس الكندىّ لأمّه ، وكان ابن عمه — عن أبيه عن جدّه عفيف ، قال : كان العبّاس ابن عبد المطلب لى صديقًا ، وكان يختلفُ إلى اليمن ، يشترى العِطْرَ فيبيعه أيّام الموسم ؛ فبينا أنا عند العبّاس بن عبد المطلب بِمنًى ، فأتاه رجل مجتمع ، فتوضّأ فأسبغَ الوضوء ، ثم قام يصلّى ، فخرجت امرأةٌ فتوضّأت وقامت تصلّى ثم خرج غلام قد راهق ، فتوضّأ ، ثم قام إلى جَنْبه يصلّى ، فقلت : وَيْحك يا عبّاس ! ما هذا ؟ قال : هذا ابنُ أخى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، يزعم أنّ الله بعثه رسولا ، وهذا ابنُ أخى علىّ بن أبى طالب قد تابَعه على دينه ، وهذه امرأته خديجة ابنة خويلد ، قد تابعتْه على دينه . قال عفيف بعد ما أسلم ورسخ الإسلام فى قلبه : يا ليتنى كُنتُ رابعًا ! ١١٦٣/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا عيسى بن سَوادة بن الجَعْد ، قال : حدّثنا محمّد بن المنكدِر[1] وربيعة بن أبى عبد الرحمن ، وأبو حازم المدنى[2] ، والكلبىّ ، قالوا : علىّ أوّل مَنْ أسلم . قال الكلبىّ : أسلم وهو ابنُ تسع سنين .

حدّثنا ابن حُميد ؛ قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان أوّل ذَكَرٍ آمن برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وصلّى معه وصدّقه بما جاءه من عند الله ، علىّ بن أبى طالب ؛ وهو يومئذ ابن عشر سنين ، وكان ممّا أنعم الله به على علىّ بن أبى طالب عليه السّلام ، أنه كان فى حِجْر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل الإسلام .

(١) ر وابن الأثير : « المنذر » .

(٢) ر : « المرى » .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : فحدّثنى عبد الله بن أبى نَجِيح ، عن مجاهد بن جبْر أبى الحجّاج، قال : كان مِنْ نعمة الله على علىّ بن أبى طالب ، وما صنعَ الله له وأراده به من الخير ، أنّ قريشًا أصابتْهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للعبّاس عَمّه — وكان من أيْسَرِ بنى هاشم : يا عبّاس، إنّ أخاك أبا طالب كثيرُ العيال ، وقد أصاب النّاس ما تَرى من هذه الأزْمة ، فانطلِقْ بنا فلنخفِّف عنه من عِياله، آخذ من بنيه رجلا ، وتأخذ من بنيه رجلاً ، فنكفّهما عنه . قال العباس : نعم ، فانطلقا حتّى أتيا أبا طالب ، فقالا : إنّا نريد أن نخفّف عنك من عيالك حتّى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لى عَقِيلاً ١١٦٤/١
فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم عليًّا فضمّه إليه، وأخذ العبّاس جعفراً فضمّه إليه، فلم يزل علىّ بن أبى طالب مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتّى بعثَه الله نبيًّا ، فاتّبعه علىّ فآمن به وصدّقه ، ولم يزل جعفر عند العباس حتّى أسلم واستغنى عنه[1] .

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: فحدّثنى محمّد بن إسحاق، قال : وذكر بعضُ أهل العلم أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم كان إذا حضرت الصلاة ، خرج إلى شِعاب مكّة، وخرج معه علىّ بن أبى طالب مستخفيًا من عَمّه أبى طالب وجميع أعمامه وسائر قومه، فيصلّيان الصّلَوات فيها ؛ فإذا أمسيا رَجَعا ، فمكثا كذلك ما شاء الله أنْ يمكثا . ثمّ إنّ أبا طالب عثَر عليهما يومًا وهُمَا يصلّيان ، فقال لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم : يابن أخى، ما هذا الدّين الذى أراك تدين به ؟ قال : أىْ عَمّ ، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ، ودين أبينا إبراهيم — أو كما قال — بعثنى الله به رسولاً إلى العباد ، وأنت يا عمّ أحقّ مَنْ بذلتُ له النصيحة ، ودعوته إلى الهُدَى ، وأحقُّ مَنْ أجابنى إليه ، وأعاننى عليه — أو كما قال. فقال أبو طالب : يابن أخى ؛ إنى لا أستطيع أن أفارِقَ دينى ودينَ آبائى وما كانوا عليه ؛ ولكن والله لا يُخلَص إليك[1] بشىء تكرهُه ما حييت[2] .

(١) ر : « لا يخلص إليك شىء » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٦٣ .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : وزعموا أنه قال لعلىّ بن أبى طالب : أىْ بُنَىّ ، ما هذا الدين
١١٦٥/١ الذى أنت عليه ؟ قال : يا أبَهْ ، آمنتُ بالله وبرسوله وصدّقته بما جاء به ، وصلّيت معه لله . فزعموا أنه قال له : أما إنّه لا يدعوكَ (١) إلاّ إلى خَيْر ، فالزمْه(٢) .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمّد بن عمر ، قال : أخبرنا إبراهيم بن نافع ، عن ابن أبى نَجِيح ، عن مجاهد ، قال : أسلَم علىٌّ وهو ابن عشر سنين .

قال الحارث : قال ابنُ سعد : قال الواقدىّ : واجتمع أصحابنا على أنّ عليًّا أسلم بعد ما تنبّأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بسنة ، فأقام بمكّة اثنتى عشرة سنة .

* * *

وقال آخرون : أوّلُ مَنْ أسلم من الرجال أبو بكر رضى الله عنه .

* ذكر من قال ذلك :

* حدّثنا سهل بن موسى الرازىّ ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن مَغراء ، عن مُجَالِد ، عن الشعبىّ ، قال : قلت لابن عبّاس : مَنْ أوّل الناس إسلامًا ؟ فقال : أما سمعت قول حسّان بن ثابت :

إذا تَذَكَّرْتَ شَجْوًا مِنْ أَخِى ثِقَةٍ ... فَاذْكُرْ أخاك أبا بَكْرٍ بما فَعَلَا(٢)
خَيْرَ البَرِيَّةِ أتْقاها وأعْدَلَهَا ... بَعْدَ النَّبِىِّ وأوْفاها بما حَمَلا
الثانِىَ التَّالِىَ المَحْمُودَ مَشْهَدُهُ ... وأوَّلَ الناسِ منهم صَدَّقَ الرُّسُلَا

(١) ح ، ر : « يدعو » .
(٢) ابن هشام ١ : ١٦٣ .
(٢) ديوانه ٢٩٩ ، ٣٠٠ مع اختلاف فى الرواية .

وحدثنى سعيد بن عنبسة الرازىّ ، قال : حدّثنا الهيْثَم بن عدىّ ، عن مجالد ، عن الشعبىّ ، عن ابن عباس نحوه[١] . ١١٦٦/١

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدّثنا الهيثم ابن عدىّ ، عن مجالد ، عن الشعبىّ ، عن ابن عباس نحوه .

حدّثنا بَحر[٢] بن نصر الخولانىّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن وَهْب ، قال : أخبرَنى معاوية بن صالح ، قال : حدّثنى أبو يحيى وضَمْرة بن حبيب وأبو طلحة ، عن أبى أمامة الباهلىّ ، قال: حدّثنى عمرو بن عبسة[٣] قال : أتيتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو نازل بعُكاظ ، قلت: يا رسولَ الله ، مَنْ تَبِعك على هذا الأمر ؟ قال : اتّبعنى عليه رجلان ؛ حُرٌّ وعبد : أبو بكر وبلال ، قال : فأسلمت عند ذلك ، قال : فلقد رأيتُنى إذ ذاك رُبْع الإسلام .

حدثنى ابنُ عبد الرحيم البَرْقىّ ، قال : حدّثنا عمرو بن أبى سَلَمة ، قال : حدّثنا صدَقة ، عن نصر بن علقمة ، عن أخيه ، عن ابن عائذ ، عن جبير بن نفير ، قال : كان أبو ذرّ وابن عَبَسة كلاهما يقول: لقد رأيتُنى رُبْع الإسلام ، ولم يُسْلِم قَبْلى[٤] إلا النبىّ وأبو بكر وبلال ، كلاهما لا يدرى[٥] مَتَى أسلم الآخر .

حدّثنا ابنُ حَميد، قال : حدّثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : أوّل مَنْ أسلم أبو بكر .

حدّثنا أبو كُرَيب، قال : حدّثنا وكيع ، قال : حدّثنا شُعبة، عن عمرو بن مرّة ، قال : قال إبراهيم النَّخعىّ : أبو بكر أوّل مَنْ أسلم .

* * *

(١) ح : « بنحوه » .
(٢) م : « يحيى » .
(٣) فى الأصول : « عنبسة » .
(٤) م : « قبل » .
(٥) م : « لا ندرى » .

وقال آخرون : أسلم قبل أبى بكر جماعة .

١١٦٧/١ * ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا كنانة بن جَبَلة ، عن إبراهيم بن طَهْمان ، عن الحجّاج بن الحجّاج ، عن قَتادة ، عن سالم بن أبى الجَعْد ، عن محمد بن سعد ، قال : قلت لأبى : أكان أبُو بكر أوّلكم إسلامًا ؟ فقال : لا ، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ؛ ولكنْ كان أفضَلنا إسلامًا .

* * *

وقال آخرون : كان أوّلُ مَنْ آمن واتبع النبىّ صلّى الله عليه وسلّم من الرجال زيد بن حارثة مولاه .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : قال الواقدىّ : حدّثنى ابن أبى ذئب ، قال : سألت الزُّهرىّ : مَنْ أوّلُ مَنْ أسلم ؟ قال : منَ النساء خديجة ، ومن الرّجال زيد بن حارثة .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمّد بن سعد ، قال : أخبَرنا محمّد ابن عمر ، قال : حدّثنا مُصعب بن ثابت ، عن أبى الأسود ، عن سليمان ابن يسار ، قال : أوّلُ مَنْ أسلم زيد بن حارثة .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمّد بن سعد ، قال : أخبرنا محمّد — يعنى ابن عمر — قال : حدّثنا ربيعة بن عثمان ، عن عمران بن أبى أنَس مثلـــه .

وحدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدّثنا عبدُ الملك ابن مسلَمة ، قال : حدثنا ابن لَهِيعة ، عن أبى الأسود ، عن عُروة ، قال : أوّلُ مَنْ أسلم زيد بن حَارثة .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قال فى ذلك ما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة عنه : ثم أسلَم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فكان

أوّل ذكرٍ[١] أسلم، وصلّى بعد علىّ بن أبى طالب ، ثم أسلم أبو بكر بن ١١٦٨/١
أبى قُحافة الصدّيق ، فلما أسلم أظهر إسلامَه[٢] ، ودعا إلى الله عزّ وجلّ وإلى رسوله . قال: وكان أبو بكر رجلاً مألفًا لقومه، محببًا سهلاً ، وكان أنسَب قريش لقريش ، وأعلم قريش بها ، وبما كان فيها من خير أو شرّ ، وكان رجلاً تاجراً ذا خلُق ومعروفٍ ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجاربه وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام مَنْ وثِق به من قومه ممّن يغشاه ويجلس إليه ، فأسلم على يديه — فيما بلغنى — عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقّاص ، وطلحة بن عبيد الله، فجاء بهم إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين استجابوا له ، فأسلموا وصلّوْا ، فكان هؤلاء الثمانية، النّفر[٣] الذين سبقوا إلى الإسلام، فصلّوْا وصدّقُوا برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وآمنوا بما جاء به من عند الله ؛ ثم تتابع الناسُ فى الدخول فى الإسلام ؛ الرجال منهم والنساء ؛ حتى فشا ذِكْرُ الإسلام بمكّة وتحدّث به الناس[٤] .

وقال الواقدىّ فى ذلك ما حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، عنه : اجتمعَ أصحابُنا على أنّ أوّلَ أهل القبلة استجابَ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلّم خديجة بنت خُوَيلد ، ثم اختلف عندنا فى ثلاثة نَفر : فى أبى بكر وعلىّ ، وزيد بن حارثة ، أيّهم أسلم أوّل .

قال : وقال الواقدىّ : أسلم معهم خالد بن سعيد بن العاص خامسًا ، وأسلم أبو ذرّ ، قالوا : رابعًا أو خامسًا ، وأسلم عمرو بن عَبَسة السّلمىّ ، فيقال: رابعًا أو خامسًا . قال : فإنما اختلف عندنا فى هؤلاء النفر أيّهم أسلم ١١٦٩/١
أوّل ؛ وفى ذلك روايات كثيرة . قال: فيُختلف فى الثلاثة المتقدمين ، وفى هؤلاء الذين كتبنا بعدهم .

(١) ر : « من »
(٢) ح ، م : « الإسلام » .
(٣) كذا فى ح وفى ط : « نفر » ، وفى ابن هشام : « النفر الثمانية » .
(٤) الخبر فى سيرة ابن هشام ١ : ١٦٤ ، ١٦٥ .

حدثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد، قال : أخبرنا محمّد بن عمر ، قال : حدّثني مُصعب بن ثابت ، قال : حدّثنا أبوُ الأسود محمّد بن عبد الرحمن بن الأسود بن نَوْفل ، قال : كان إسلام الزُّبير بعد أبي بكر ، كان رابعًا أو خامسًا .

وأمّا ابن إسحاق، فإنّه ذكر أنّ خالد بن سعيدبن العاص وامرأته أمَينَة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة ، من خُزاعة ، أسلما بعد جماعة كثيرة غير الذين ذكرتُهم بأسمائهم ؛ أنهم كانوا من السّابقين إلى الإسلام[1] .

* * *

ثم إنّ الله عزّوجلّ أمر نبيّه محمّدًا صلّى الله عليه وسلّم بعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدَع بما جاءه منه ، وأن يبادِيَ الناسَ بأمره ، ويدعوَ إليه ، فقال له: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾[2]، وكان قبل ذلك — في السّنين الثلاث من مبعثه ؛ إلى أن أمر بإظهار الدّعاء إلى الله — مستسرًّا مخفيًا أمره صلّى الله عليه وسلّم، وأنزل عليه : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[3]، قال: وكان أصحابُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم إذا صلّوْا ذهبوا إلى الشِّعاب ، فاستخفَوْا من قومهم ؛ فبينا سعد بن أبي وقّاص في نَفَر من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في شِعْب من شِعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلّون ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون ؛ حتى قاتلوهم ، فاقتتلوا، فضرب سعد بن أبي وقّاص يومئذٍ رجلاً من المشركين بلَحْيِ جملٍ فشجّه، فكان أوّلَ دم أهرِيق[4] في الإسلام[5]. ١١٧٠/١

فحدّثنا أبو كُرَيب وأبو السائب ، قالا : حدّثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سَعيد بن جُبير ، عن ابن عبّاس ، قال :

(١) ابن هشام ١ : ١٦٨ .
(٢) سورة الحجر ٩٤ .
(٣) سورة الشعراء ٢١٤ — ٢١٦ .
(٤) ح : « هريق » .
(٥) الخبر في سيرة ابن هشام ١ : ١٦٨ ، ١٦٩

صعِد رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ذات يوم الصَّفَا، فقال : ياصَبَاحاه ! فاجتمعتْ إليه قريش ، فقالوا : مالك ؟ قال : أرأيت إنْ أخبرتكم أنّ العدوّ[1] مصبّحكم أو ممسّيكم ، أما كنتم تصدّقونني ! قالوا : بلَى ؛ قال : فإني نذير لكم بين يدىْ عذابٍ شديد . فقال أبو لهب : تبًّا لك ! ألهذا دعوتنا — أو جمعتنا ! فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وتَبَّ ﴾[2] إلى آخر السورة .

حدّثنا أبو كُرَيب ، قال : حدّثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، عن عمروبنِ مرّة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عبّاس ، قال : لما نزلتْ هذه الآية : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾[3] ، خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم حتى صعِد الصّفا ، فهتف : يا صباحاه ! فقالوا : من هذا الذى يهتِف ؟ قالوا : محمّد ، فقال : يا بنى فلان ، يا بنى عبد المطّلب ، يا بنى عبد مناف! فاجتمعوا إليه ، فقال : أرأيتكم لو أخبرتُكم أنّ خيلاً تخرج بسفْح هذا الجَبَل ، أكنتم مصدّقيّ ؟ قالوا : ما جرّبنا عليك كذبًا ، قال : فإنى نذيرٌ لكم بين يدىْ عذابٍ شديد . فقال أبولهب : تبًّا لك ! ما جمعتنا إلاّ لهذا! ثم قام، فنزلت هذه السورة : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ إلى آخر السورة .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن ١١٧١/١
إسحاق ، عن عبد الغفار بن القاسم ، عن المِنْهال بن عمرو ، عن عبد الله ابن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، عن عبد الله بن عباس ، عن علىّ بن أبى طالب ، قال : لما نزلتْ هذه الآية على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ، دعانى رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم فقال لى : يا علىّ ، إنّ الله أمرَنِى أن أنذِر عشيرتى الأقربين ،

(١) ح : « العذاب » .
(٢) سورة المسد (٣) سورة الشعراء ٢١٤

فضقتُ بذلك ذرعًا، وعرفت أنّى متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره ، فصمتُّ عليه حتى جاءنى جبرئيل فقال : يا محمد ، إنك إلاّ تَفْعل ما تؤمر به يُعذّبْك ربُّك ، فاصنعْ لنا صاعًا من طعام ، واجعل عليه رَحْلَ شاة ، واملأ لنا عُسًّا من لبن ؛ ثم اجمعْ لى بنى عبد المطلب حتى أكلّمهم [1]، وأبلغهم ما أمرت به ، ففعلت ما أمرنى به . ثم دعوتُهم له ؛ وهم يومئذ أربعون رجلا ، يزيدون رجلاً أو ينقصونه ؛ فيهم أعمامه : أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب ؛ فلما اجتمعوا إليه دعانى بالطّعام الذى صنعت لهم ، فجئت به ، فلما وضعتُه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلمّ حِذْيةً [2] مِن اللحم ، فشقّها بأسنانه ، ثم ألقاها فى نواحى الصّحْفة . ثمّ قال : خذُوا بسم الله ، فأكل القوم حتى ما لهم بشىء حاجة وما أرى إلاّ موضع [3] أيديهم ، وايمُ الله الذى نَفْسُ علىّ بيده ؛ وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكلُ ما قدمت لجميعهم . ثم قال : اسقِ القوم ، فجئتهم بذلك العُس ، فشربوا منه حتى رووُا منه جميعًا ، وايمُ الله إن كان الرجلُ الواحد منهم ليَشرب مثله ، فلما أراد رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم أن يكلّمهم بدرَهُ أبو لهب إلى الكلام ، فقال : لَهَدّما [4] سحركم صاحبُكم ! فتفرّق القوم ولم يكلّمْهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلمّ ، فقال : الغد يا علىّ ؛ إنّ هذا الرجل سبقنى إلى ما قد سمعت من القول ، فتفرّق القوم قبل أن أكلّمهم ، فعُدْ لنا من الطعام بمثل ما صنعتَ ، ثم اجمعهم إلىّ . ١١٧٢/١

قال : ففعلتُ ، ثم جمعتهم ثم دعانى بالطعام فقرّبته لهم ، ففعل كما فعل بالأمس ، فأكلوا حتّى مالهم بشىء حاجة . ثم قال : اسقهم ، فجئتهم بذلك العُسّ ، فشربوا حتى رَوُوا منه جميعًا ، ثم تكلمّ رسول الله صلى الله عليه وسلمّ ، فقال : يا بنى عبد المطلب ؛ إنى والله ما أعلمُ شابًّا فى العرب جاء قومَه

(١) م : « أعلمهم » .

(٢) الحذية من اللحم : ما قطع منه طولا .

(٣) ابن الأثير : « مواضع » .

(٤) لهدّ : كلمة يتعجب بها ، وفى ط : « لقد ما » ، والصواب ما أثبته من التفسير والنهاية لابن الأثير ٤ : ٢٤٢ .

بأفضل مما قد جئتكم به؛ إنى قد جئتكم بخير الدّنيا والآخرة ، وقد أمرنى الله تعالى أن أدعوَكم إليه ، فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيّى وخليفتى فيكم ؟ قال : فأحجم القومُ عنها جميعًا ، وقلت : وإنى لأحدثُهم سنًّا ، وأرمصهم[١] عينًا ، وأعظمهم بطنًا ، وأحمشهم ساقًا[٢] ؛ أنا يا نبىّ الله ، أكون وزيرَك عليه . فأخذ برقبتى ، ثم قال : إن هذا أخى ووصىّ وخليفتى فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا . قال : فقام القوم يضحكون ، ويقولون لأبى طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع[٣] . ١١٧٣/١

حدّثنى زكرياء بن يحيى الضرير ، قال : حدّثنا عفان بن مسلم ، قال : حدّثنا أبو عوانة ، عن عثمان بن المغيرة ، عن أبى صادق ، عن ربيعة بن ناجد ، أنّ رجلاً قال لعلىّ عليه السلام : يا أمير المؤمنين ، بمَ ورثت ابنَ عمّك دون عَمّك ؟ فقال علىّ : هاؤم ! ثلاث مرات ؛ حتى اشرأبّ الناس ، ونشروا آذانهم . ثم قال : جَمَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم — أو دعا رسول الله — بنى عبد المطلب منهم رهطه ، كلّهم يأكل الجَذَعة ويشرب الفَرْقَ[٤] ، قال : فصنع لهم مُدًّا من طعام ، فأكلُوا حتى شبعوا وبقى الطَّعَام كما هو ؛ كأنه لم يمسّ . قال : ثم دعا بغُمَرَ[٥] فشربوا حتى رَوُوا وبقى الشراب كأنه لم يمسّ ولم يشربوا . قال : ثم قال : يا بنى عبد المطلب ، إنى بُعِثتُ إليكم بخاصّة وإلى الناس بعامة ، وقد رأيتم من هذا الأمر ما قد رأيتم ، فأيّكم يبايعنى علَى أن يكون أخى وصاحبى ووارثى ؟ فلم يقم إليه أحدٌ ، فقمت إليه — وكنت أصْغَرَ القوم — قال : فقال : اجلس ، قال : ثم قال ثلاث مرات ، كلّ ذلك أقوم إليه ، فيقول لى : اجلس ، حتى كان

(١) الرمص فى العين كالغمص ، وهو قذى تلفظ به ، وهو كناية عن صغر سنه .

(٢) حمش الساقين : دقيقها .

(٣) الخبر فى التفسير ١٩ : ٧٤ ، ٧٥ (بولاق)

(٤) الفرق، بكسر الفاء ، و بعضهم يقول بالفتح : مكيال كبير لأهل المدينة يكال به اللبن .

(٥) الغمر : القدح الصغير ، وفى ر : « بعس » .

فى الثالثة، فضرب بيده على يدى، قال : فبذلك ورثتُ ابنَ عمّى دون عمّى .

فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، حدثنا محمد بن إسحاق، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن بن أبى الحسن ، قال : لما نزلتْ هذه الآية على رسول الله صلّى الله عليه وسلم: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ، قام ١١٧٤/١
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح ، ثم قال : يا بنى عبد المطّلب ، يابنى عبد مناف، يا بنى قصىّ — قال: ثم فخذَ[1] قريشا قبيلة قبيلة ، حتى مرّ[2] على آخرهم — إنى أدعوكم إلى الله وأنذركم عذابه[3] .

حدّثنا الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا جارية بن أبى عمران ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، قال : أمرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يصدَع بما جاءه من عند الله ، وأن يبادِىَ الناس بأمره ، وأن يدعوَهم إلى[4] الله ، فكان يدعو مِنْ أوّل ما نزلت عليه النبوّة ثلاث سنين، مستخفيًا ، إلى أن أمِر بالظهور للدعاء[5] .

قال ابن إسحاق — فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة، عنه : فصدع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأمر الله ، وبادَى قومَه بالإسلام ، فلما فعل ذلك لم يبعد منه قومه ، ولم يردّوا عليه بعض الردّ — فيما بلغنى — حتى[6] ذكر آلهتهم وعابها ، فلمّا فعل ذلك ناكروه وأجمعُوا على خلافه وعداوته إلاّ مَنْ عصم الله منهم[7] بالإسلام ؛ وهم قليل مستخفُون، وحَدِب عليه أبو طالب عَمّه ومنعه ، وقام دونه ، ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

(١) فخذهم : دعاهم فخذا فخذا ، والفخذ أقل من البطن ، وأولها : الشعب ثم القبيلة ، ثم الفصيلة ، ثم العمارة ، ثم البطن . وانظر اللسان . وفى ر : « عد » .

(٢) ح : « أتى » .

(٣) الخبر فى التفسير ١٩ : ٧٥ (بولاق) .

(٤) م : « فأمره أن يدعوهم » .

(٥) طبقات ابن سعد ١ : ١٩٩ وهناك : « إلى أن أمر بظهور الدعاء » .

(٦) م : « عن » .

(٧) زاد فى ح : « عن ذلك » .

على أمرِ الله مظهرًا لأمره ، لا يردّه عنه شيء . فلما رأت قريش أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لايُعتبهم[١] مِن شيء [يكرهونه مما][٢] أنكروه عليه من فراقهم وعَيْب آلهتهم ، ورأوْا أنّ أبا طالب قد حَدِبَ عليه ، وقام دونه فلم يُسلِمْه لهم ، مشى رجالٌ من أشراف قريش إلى أبى طالب: عُتْبة ١١٧٥/١
ابن ربيعة ، وشيْبة بن ربيعة ، وأبو البَخْتَرِىّ بن هشام ، والأسود بن المطّلب ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، ونبيه ومنبه ابنا الحجّاج — أو مَنْ مشى إليه منهم — فقالوا : يا أبا طالب ، إنّ ابنَ أخيك قد سبّ آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفّه أحلامنا ، وضلّل آباءنا ؛ فإمّا أن تكفّه عنّا ، وإما أنْ تُخَلّىَ بيننا وبينه ؛ فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فنكفيكَه . فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقًا ، وردّهم ردًّا جميلاً ، فانصرفوا عنه ، ومضى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على ما هو عليه ؛ يظهِر دين الله ، ويدعو إليه . قال : ثم شرِىَ[٣] الأمرُ بينه وبينهم حتى تباعد الرجالُ ، وتضاغنوا ، وأكثرت قريش ذِكْرَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بينها ، وتذامروا فيه ، وحَضّ بعضُهم بعضًا عليه . ثم إنهم مَشَوْا إلى أبى طالب مرّة أخرى ، فقالوا : يا أبا طالب ، إن لك سِنًّا وشرفًا ومنزلة فينا ، وإنّا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تَنْهه عنّا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شَتْم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا حتى تكفّه عنا أو تنازله وإيّاك فى ذلك ؛ حتى يهلِك أحدُ الفريقين — أو كما قالوا . ثم انصرفوا عنه ، فعظُم على أبى طالب فراقُ قومه وعداوتهم له ؛ ولم يطبْ نفسًا بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولا خذْلانِه[٤] .

حدّثنى محمد بن الحسين ، قال : حدّثنا أحمد بن المفضّل ، قال : حدّثنا أسباط ، عن السدّىّ : أنّ ناسًا من قريش اجتمعوا[٥] ، فيهم أبو جهل ١١٧٦/١

(١) م : « يغنيهم » ، ولا يعتبهم ، أى لا يرضيهم .
(٢) من ح .
(٣) شرى الأمر : اشتد واستطار .
(٤) سيرة ابن هشام ١ : ١٦٩ ، ١٧٠
(٥) م : « أجمعوا » .

ابن هشام، والعاص بن وائل، والأسود بن المُطلّب، والأسود بن عبد يغوث؛ فى نفرٍ من مَشْيَخة قريش، فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى أبى طالب فنكلّمَه[1] فيه؛ فلْيُنْصِفْنا منه، فيأمره فليكفّ عن شتم آلهتنا، وندَعه وإلهه الذى يعبد؛ فإنّا نخافُ أن يموتَ هذا الشيخ فيكون منا شىء فتعيّرنا العرب؛ يقولون: تركوه؛ حتى إذا مات عَمّه تناولوه.

قال: فبعثوا رجلاً منهم يُدعَى المطّلب، فاستأذن لهم على أبى طالب، فقال: هؤلاء مشيَخة قومك[2] وسَرواتهم، يستأذنون عليك، قال: أدخلْهم؛ فلما دخلوا عليه، قالوا: يا أبا طالب، أنت كبيرُنا وسيِّدنا، فأنصفْنا من ابن أخيك، فمرْه فلْيكفّ عن شَتْم آلهتنا، وندَعَه وإلهه.

قال: فبعث إليه أبو طالب، فلمّا دخلَ عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم قال: يابنَ أخى؛ هؤلاء مشيَخة قومك وسَرَواتهم، وقد سألوك[3] النَّصْف، أن تكفّ عن شَتْم آلهتهم ويدَعُوك وإلهَك. قال: أى عمّ، أوَلاَ أدعوهم إلى ما هُوَ خير لهم منها؟ قال: وإلامَ تدعوهم؟ قال: أدعوهم إلى أن يتكلّموا بكلمةٍ تدين لهم بها العرب، ويملِكون بها العجم. قال: فقال أبو جهل من بين القوم: ما هى وأبيك؟ لنعطينّكها[4] وعشرًا[5] أمثالها. قال: تقول: لا إله إلا الله، قال: فنَفَروا [وتفرّقوا][6] وقالوا: سَلْنا غير هذه، فقال: لو جئتمونى بالشمس حتى تضعُوها فى يدى ما سألتُكم غيرها! قال: فغضبوا وقاموا من عنده غِضَابى، وقالوا: والله لنشتمنّك وإلهك الذى يأمرُك بهذا، ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾، إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾[7].

١١٧٧/١

(١) ر والتفسير: «فلنكلمه».
(٢) ر: «قريش»، وسروات القوم: سادتهم.
(٣) م: «سألوا».
(٤) ر: «لنعطيكها»، م: «نعطيكها».
(٥) ح: «وعشرا معها».
(٦) من ح وابن الأثير.
(٧) سورة ص: ٦، ٧.

وأقبل على عَمِّه فقال له عَمّه : يابن أخى ، ما شططتَ عليهم ، فأقبل على عمِّه فدعاه ، فقال : قل كلمةً أشهدُ لك بها يوم القيامة ، تقول : لا إله إلا الله ، فقال : لولا أن تعيبكم بها العرب ، يقولون[1] : جزِع من الموت لأعطيتُكها ؛ ولكن على ملّةِ الأشياخ ، قال : فنزلت هذه الآية :

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[2].

حدثنا أبو كُرَيب وابن وَكِيع ، قالا : حدّثنا أبو أسامة ، قال : حدّثنا الأعمش ، قال : حدّثنا عبّاد ، عن سعيد بن جُبير ؛ عن ابن عباس ، قال : لما مَرِض أبو طالب ، دخل عليه رَهْطٌ من قريش ، فيهم أبو جهل ، فقال : إنّ ابنَ أخيك يشتِم آلهتنا ، ويفعل ويفعل ؛ ويقول ويقول ، فلو بعثتَ إليه فنهيتَه ! فبعث إليه ، فجاء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فدخل البيت وبينهم وبين أبى طالب قَدْر مجلِس رجل ، قال : فخشِيَ أبو جهل إنْ جلس إلى جنب أبى طالب أن يكون أرقّ[3] له عليه ، فوثب فجلس فى ذلك المجلس ولم يجد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجلسًا قُرْبَ عَمه ، فجلس عند الباب ، فقال له أبو طالب : أى ابنَ أخى ! ما بالُ قومِك يشكُونَك ؛ يزعمون أنك تشتِمُ آلهتَهم وتقول وتقول ! قال : وأكثروا عليه من القول ، وتكلّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ياعمّ ، ١١٧٨/١
إنى أريدهم على كلمة واحدة يقولونها ، تدين لهم بها العرب ، وتؤدّى إليهم بها العجم الجِزْية . ففزعوا لكلمته ولقوله ؛ فقال القوم كلمةً واحدة : نعم وأبيك عشرًا . فما هى ؟ فقال أبو طالب : وأىّ كلمةٍ هى يابن أخى ؟ قال : لا إله إلا الله ، قال : فقاموا فزِعين ينفضُون ثيابهم ، وهم يقولون : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ . قال : ونزلت من هذا الموضع

(١) ح : « تقول » ، ابن الأثير : « وتقول » .

(٢) سورة القصص ٥٦ ، والخبر فى التفسير ٢٣ : ٨١ (بولاق) .

(٣) ح : « أرأف » .

إلى قوله : ﴿ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَاب ﴾[1] . لفظ الحديث لأبى كريب[2] .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، قال : فحدّثنى يعقوب ابن عُتبْة بن المغيرة بن الأخنس ، أنه حدّث أنّ قُريشًا حين قالت لأبى طالب هذه المقالة ، بعث إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال له : يابن أخى ، إنّ قومَك قد جاءونى فقالوا لى كذا وكذا ، فأبقِ علىّ وعلَى نفسك ولا تُحمِّلْنى من الأمر مالاأطيق ! فظنّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قد بدَا لعمه فيه بَدَاء[3] ، وأنه خاذلُه ومُسلِمُه ، وأنه قد ضعُف عن نُصرته والقيامِ معه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ياعمّاه ، لو وضعوا الشمسَ فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلِك فيه ما تركته .[4] ثم استعبَر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فبكَى
١١٧٩/١ ثم قام ، فلمّا ولى ناداه أبو طالب ، فقال : أقبلْ يابن أخى ، فأقبل عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : اذهب يابنَ أخى ، فقل ما أحببتَ فوالله لا أسلِمُك لشىء أبداً .

قال : ثم إنّ قريشًا لما عرفتْ أنّ أبا طالب أبَىَ خذلانَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وإسلامَه وإجماعه لفراقهم فى ذلك ، وعداوتهم ، مشوْا إليه بعُمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له — فيما بلغنى : يا أبا طالب ، هذا عُمارة

(١) سورة ص ٥ — ٨ .

(٢) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٧٩ (بولاق) .

(٣) البداء : الاسم من « بدا » ؛ يريد : ظهر له رأى ؛ سمى الرأى بداء لأنه شىء يبدو بعد ما خفى .

(٤) قال السهيلى : «خص الشمس باليمين ؛ لأنها الآية المبصرة ، وخص القمر بالشمال لأنها الآية الممحوة ؛ وقد قال عمر رحمه الله لرجل قال له : إنى رأيت فى المنام كأن الشمس والقمر يقتتلان ؛ ومع كل واحد منهما نجوم ! فقال عمر : مع أيهما كنت ؟ فقال : مع القمر ، قال : كنت مع الآية الممحوّة ؛ اذهب فلا تعمل لى عملا . وكان عاملا له فعزله ؛ فقتل الرجل فى صفين مع معاوية ».

ابن الوليد أنهدُ[١] فتىً فى قريش وأشعرُه وأجمله ، فخذه فلك عقلُه ونُصْرته ، واتّخذْه ولداً ؛ فهو لك ، وأسلِمْ لنا ابنَ أخيك — هذا الذى قد خالف دينَك ودينَ آبائك ، وفرّق جماعة قومك ، وسفّه أحلامَهم — فنقتله ؛ فإنما رَجلٌ كرجل ؛ فقال : والله لبئسَ ما تسومُونى ! أتُعطونى ابنَكم أغذُوه لكم ، وأعطيكُم ابنى تقتلُونه ! هذا والله مالا يكون أبدا[٢] . فقال المُطْعِم ابن عدىّ بن نَوْفل بن عبد مناف : والله يا أبا طالب ، لقد أنصفك قومُك ، وجهدوا على التخلّص[٣] ممّا تكرهه ، فما أراك تريد أن تَقْبل منهم شيئًا ، فقال أبو طالب للمطعِم : والله ما أنصفونى ؛ ولكنّك قد أجمعتَ خِذلانى ومظاهرةَ القوم علىّ ، فاصنع ما بدا لك ! أو كما قال أبو طالب .

قال : فحقِب[٤] الأمر عند ذلك ، وحَميت الحرب ، وتنابذ القوم ، وبادَى بعضهم بعضًا .

قال : ثم إنّ قُريشًا تذامروا على مَنْ فى القبائل منهم مِنْ أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم الذين أسلمُوا معه . فوثبتْ كلُّ قبيلةٍ علَى مَنْ فيها من المسلمين يعذّبونهم ويَفْتِنونهم عن دينهم ، ومنَع الله رسولَه ١١٨٠/١
منهم بعمّه أبى طالب ، وقد قام أبو طالب حينَ رأى قريشًا تصنع ما تصنع فى بنى هاشم وبنى المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه من منْع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، والقيام دونه . فاجتمعوا إليه ، وقاموا[٥] معه ، وأجابوا إلى ما دعاهم إليه من الدّفْع عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إلاّ ما كان من

(١) أنهد ، أى أقوى وأجلد ؛ ويقال : فرس نهد ؛ للذى يتقدم الخيل . قال السهيلى : « وعمارة بن الوليد هذا هو الذى أرسلته قريش مع عمرو بن العاص إلى أرض الحبشة » .

(٢) وفى رواية أخرى عن السهيلى أن أبا طالب قال لهم حين سألوه أن يأخذ عمارة بدلا من محمد عليه السلام : « أرأيتم ناقة تحن إلى غير فصيلها وترأمه ! لا أعطيكم ابنى تقتلونه أبداً وآخذ ابنكم أكفله وأغذوه ! » ، وهو معنى ما ذكر ابن إسحاق .

(٣) ح : « أن يتخلصوا » .

(٤) فحقب الأمر عند ذلك ، قال السهيلى : « يريد اشتد ، وهو من قولك : حقب البعير ؛ إذا راغ عنه الحقب من شدة الجهد والنصب . . . ثم يستعمل فى الأمر إذا عسر » .

(٥) ح : « وأقاموا » .

أبي لهب ؛ فلما رأى أبو طالب مِنْ قومه ما سرَّه من جِدّهم معه ؛ وحَدَبهم عليه ، جعل يمدحهم ، ويذكر فضلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ؛ ومكانه منهم ليشدّ لهم رأيهم[١] .

* * *

حدّثنا على بن نصر بن على الجهضميّ ، وعبد الوارث بن عبد الصمد ابن عبد الوارث — قال على بن نصر : حدّثنا عبدُ الصّمد بن عبد الوارث ، وقال عبدُ الوارث : حدّثني أبي — قال : حدّثنا أبان العطّار ، قال : حدّثنا هشام بن عُروة ، عن عُروة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : أما بعد ، فإنّه — يعنى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم — لمّا دعا قومه لمّا بعثه[٢] الله من الهُدى والنور الذى أنزل عليه ، لم يبعُدوا منه أوّل ما دعاهم ، وكادوا يسمعون له ؛ حتى ذكر طواغيتَهم . وقدِم ناس من الطائف من قُريش لهم أموال ، أنكروا ذلك عليه ، واشتدُّوا عليه ، وكرهوا ما قال [لهم][٣] ، وأغرَوْا به مَنْ أطاعهم ، فانصفق[٤] عنه عامّةُ الناس ، فتركوه إلاّ من حفظه الله منهم ؛
١١٨١/١ وهم قليل ؛ فمكث بذلك ما قدّر الله أن يمكث . ثم ائتمرت رءوسهم بأن يفتِنوا مَنْ تبعه عن دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم ، فكانت فتنة شديدة الزلزال على مَن اتّبع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من أهل الإسلام ؛ فافتتن مَن افتتن ، وعَصَم الله منهم مَنْ شاء ؛ فلمّا فعل ذلك بالمسلمين ، أمرهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يخرجُوا إلى أرض الحبَشة — وكان بالحبشة مَلِكٌ صالح يقال له النجاشيّ ، لا يُظلَم أحدٌ بأرضه ، وكان ينثى[٥] عليه مع ذلك صلاح ، وكانت أرض الحبشة مَتْجَراً لقريش يتّجرون فيها ، يجدون فيها رَفاغًا[٦] من الرزق ، وأمنًا ومتجراً حسنًا —

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٧٠ ، ١٧١ .
(٢) م : « بما بعثه الله ».
(٣) من ح .
(٤) انصفقوا عنه : انصرفوا .
(٥) ينثى عليه ، أى يشيع عنه .
(٦) كذا فى الطبرى ، وفى اللسان : « ترفغ الرجل : توسع ، وإنه لفى رفاغة ورفاغية من العيش » .

فأمرهم بها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فذهب إليها عامّتهم لما قهِروا بمكّة ، وخاف عليهم الفتن ، ومكث هو فلم يبْرح ، فمكث بذلك سنوات ؛ يشتدّون على مَنْ أسلم منهم .

ثم إنه فشا الإسلام فيها ، ودخل فيه رجال من أشرافهم .

* * *

قال أبو جعفر : فاختُلف فى عددِ مَنْ خَرَج إلى أرض الحبَشة ، وهاجر إليها هذه الهجرة ، وهى الهجْرة الأولى .

فقال بعضهم : كانوا أحدَ عشرَ رجلاً وأرْبَعَ نسوة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا يونس بن محمد الظَّفَرِىّ ، عن أبيه ، عن رجل من قومه . قال : وأخبرنا عُبيد الله بن العباس الهُذلىّ ، عن الحارث بن الفُضَيْل ؛ قالا : خرج الذين هاجروا الهجرَة الأولى متسلّلين سرًّا ، وكانوا أحدَ عشرَ رجلا وأربعَ نسوة ، حتى انتهوْا إلى الشُّعَيْبة ؛ منهم الراكب والماشى ، ووفّق الله ١/١١٨٢ للمسلمين ساعة جاءوا سفينتين للتّجار حملوهم فيهما إلى أرض الحبشة بنصف دينار ، وكان مَخْرَجُهُم فى رجب[1] فى السنة الخامسة ، من حين نبِّئ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وخرجت قريش فى آثارهم حتى جاءوا البحر ؛ حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحداً .

قالوا : وقدمنا أرضَ الحبشة ، فجاورْنا بها خير جارٍ ؛ أمِنّا على ديننا ، وعبَدْنا الله ، لا نؤذَى ولا نسمعُ شيئًا نكرهه[2] .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد ابن عمر ، قال : حدّثنى يونس بن محمد ، عن أبيه . قال : وحدّثنى

(١) ابن سعد : « من رجب » .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ٢٠٤

عبد الحميد[١] ، عن محمد بن يحى بن حبّان ؛ قالا : تسمية القوم الرجال والنساء : عثمان بن عفان معه امرأته رُقَيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة بن عُتْبة بن ربيعة معه امرأته سَهْلة بنت سُهَيل ابن عمرو ، والزّبير بن العوام بن خُوَيلد بن أسد ، ومُصعب بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار ، وعبد الرّحمن بن عوْف بن عبد عوْف ابن الحارث بن زُهرة ، وأبو سَلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر
١١٨٣/١ ابن مخزوم ؛ معه امرأته أم سلَمة بنت أبى أميّة بن المُغيرة بن عبدالله بن عمر ابن مخزوم ، وعثمان بن مظْعون الجُمَحىّ ، وعامر بن ربيعة العَنَزِىّ ؛ من عَنْز بن وائل — ليس من عَنَزَة — حليف بنى عدىّ بن كعب ، معه امرأته ليلَى بنت أبى حَثْمةَ ، وأبو سَبْرة بن أبى رُهْم بن عبد العُزّى العامرىّ ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وسُهَيْل بن بيضاء ، من بنى الحارث بن فِهْر ، وعبد الله بن مسعود حليف بنى زهرة[٢] .

* * *

قال أبو جعفر : وقال آخرون : كان الذين لحقوا بأرض الحبشة ، وهاجروا إليها من المسلمين — سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً وولدوا بها — اثنين وثمانين رجلا ؛ إن كان عمّار بن ياسر فيهم ؛ وهو يشكّ فيه !

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : لما رأى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ما يصيبُ أصحابه من البلاء ، وما هو[٣] فيه من العافية بمكانه من الله وعمّه[٤] أبى طالب ، وأنه لا يقدرُ على أن يمنعَهم ممّا هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبَشة ! فإنّ بها ملِكًا

(١) ابن سعد : « عبد الحميد بن جعفر » .
(٢) طبقات ابن سعد ١ : ٢٠٤
(٣) م : « وما هم » .
(٤) ابن هشام : « ومن عمه » .

لا يظلَم أحدٌ عنده ، وهى أرضِ صدق ؛ حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه ! فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أرضِ الحبَشة مخافة الفِتْنة ؛ وفِراراً إلى الله عزّ وجلّ بدينهم ؛ فكانت أوّل هجرة كانت فى الإسلام ؛ فكان أوّلَ مَنْ خرج من المسلمين من ١١٨٤/١
بنى أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف عثمانُ بن عفان بن أبى العاص ابن أمية ؛ ومعه امرأته رقيّة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومن بنى عَبْد شمس أبو حُذيفة بن عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، ومعه امرأته سَهْلة بنت سُهَيل بن عمرو ؛ أحد بنى عامر بن لؤىّ ؛ ومن بنى أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ الزبير بن العوام .

فعدّ النفَر الذين ذكرهم الواقدىّ ؛ غيرَ أنه قال : من بنى عامر بن لؤى ابن غالب بن فهر أبو سَبْرة بن أبى رُهْم بن عبد العزىّ بن أبى قيس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى ؛ ويقال : بل أبو حاطِب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل ابن عامر بن لؤىّ . قال : ويقال : هو أوّلُ مَنْ قدِمها ؛ فجعلهم ابن إسحاق عشرة ؛ وقال : كان هؤلاء العَشَرة أوّل مَنْ خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة — فيما بلغنى .

قال : ثم خرج جعفر بن أبى طالب ، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ؛ فكانوا بها ، منهم مَنْ خرج بأهله معه ، ومنهم مَنْ خرج بنفسه لا أهلَ معه ؛ ثم عدّ بعد ذلك تمام اثنين وثمانين رجلا ؛ بالعشرة الذين ذكرت بأسمائهم ؛ ومَنْ كان منهم معه أهله وولده ؛ ومَنْ ولد له بأرض الحبَشة ، ومَنْ كان منهم لا أهلَ معه[1] .

* * *

قال أبو جعفر : ولما خرج مَنْ خرجَ من أصحاب رسول الله صلى الله ١١٨٥/١
عليه وسلم إلى أرضِ الحبَشة مهاجراً إليها ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٤ .

مقيمٌ بمكة ، يدعُو إلى الله سرًّا وجهراً ، قد منَعه الله بعمّه أبى طالب وبمَن استجاب لنُصرته من عشيرته ، ورأت قريش أنّهم لا سبيلَ لهم إليه ، رموْه بالسحْر والكَهانة والجنون ؛ وأنه شاعر ، وجعلوا يصدّون عنه مَنْ خافوا منه أن يسمع قوله فيتّبعه ؛ فكان أشدّ مابلغوا منه حينئذٍ — فيما ذكر — ما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عُروة بن الزبير ، عن أبيه عُرْوة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قلتُ له : ما أكثر [١] ما رأيتَ قريشًا أصابت من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيما كانت تُظْهِر من عداوته ! قال : قد حضرتُهم وقد اجتمع أشرافُهم يومًا فى الحِجْر ، فذكروا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فقالوا : ما رأينا مثلَ ما صبرنا عليه من هذا الرجل قطّ! سفّه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرّق جماعتنا ، وسبّ آلهتنا ! لقد صبرْنا منه على أمر عظيم — أو كما قالوا .

فبينا هُمْ كذلك إذْ طلَع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مرّ بهم طائفًا بالبيت ، فلما مرّ بهم غمزُوه [٢] ببعض القول . قال : فعرفتُ ذلك فى وجه رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ثمّ مضَى ، فلمّا مرّ بهم الثانية غمزُوه مثلها ؛ فعرَفت ذلك فى وجهه ، ثم مضَى ، ثم مرّ بهم الثالثة ، فغمزوه بمثلها ، فوقف فقال : أتسمعون يا معشرَ قريش ! أما والذى نفسُ محمدٍ بيده ، لقد جئتكم بالذّبح [٣] ! قال : فأخذت القومَ كلمته ؛ ١١٨٦/١
حتى ما منهم رجلٌ إلا كأنما على رأسه طائر واقع ؛ وحتى إنّ أشدّهم فيه وصاةً [٤] قبل ذلك ليرفؤه [٥] بأحسن ما يجد من القول ؛ حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم راشداً ، فوالله ما كنتَ جهُولاً [٦] !

(١) م : « ما أكبر » .
(٢) غمزوه : طعنوا فيه .
(٣) بالذبح ، أراد تهديدهم بالهلاك .
(٤) الوصاة : الوصية .
(٥) يرفؤه : يهدئه ويرفق به ، وفى ر : « ليلقاه » .
(٦) ر : « ما كنت جهولا قط » .

قال : فانصرف رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ حتى إذا كان الغد ، اجتمعوا فى الحِجْر ، وأنا معهم ، فقال بعضهُم لبعض : ذكرتم ما بَلَغ منكم ، وما بلغَكم عنه ؛ حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه ! فبيناهم كذلك إذْ طلع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا إليه وثْبة رجل واحد ؛ وأحاطوا به يقولون له : أنت الذى تقول كذا وكذا ! لما يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ؛ فيقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : نعم أنا الذى أقول ذلك ؛ قال : فلقد رأيتُ رجلاً منهم آخذاً بجُمْع ردائه . قال : وقام أبو بكر الصدّيق دونه ، يقول وهو يبكى : ويلكم ! أتقتلون رجلا أن يقول ربّى الله ! ثم انصرفوا عنه . فإنّ ذلك أشدّ ما رأيتُ قريشًا بلغت منه قطّ[1] .

حدّثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدّثنا بشر بن بكر ، قال : حدّثنا الأوزاعىّ ، قال : حدّثنا يحيى بن أبى كَثِير ، عن أبى سلَمة بن عبد الرحمن ، قال : قلتُ لعبد الله بن عمرو : حدّثنى بأشدّ شىء رأيتَ المشركين صَنَعُوا برسولِ الله صلى الله عليه وسلم . قال : أقبل عُقْبة بن أبى مُعَيْط ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند الكعبة ، فلوى ثوبه فى عنُقه ، وخَنَقَه خنقًا شديداً ، فقام أبو بكر مِنْ خلْفه ، فوضع يده على مَنْكِبه ، فدفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال أبو بكر : يا قوم : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾[2]

١١٨٧/١

قال ابن إسحاق : وحدّثنى رجل من أسلم كان واعيةً ، أنّ أبا جهل ابن هشام مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس عند الصَّفَا ، فآذاه وشَتَمه ، ونال منه بعض ما يَكْره من العَيْب لدينه والتضعيف له ، فلم يُكلّمْه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ومولاةٌ لعبدالله بن جُدْعان التّيمىّ فى مسكن لها فوق الصَّفا تسمع ذلك . ثم انصرف عنه ، فعمَد إلى نادى[3]

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٨٣ ، ١٨٤ .
(٢) سورة غافر ٢٨ .
(٣) ابن هشام : «إلى ناد من قريش» ، والنادى : مجلس القوم .

قُريش عند الكعبة ، فجلس معهم فلم يلبثْ حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشّحًا قوسَه ، راجعًا من قنَص[1] له — وكان صاحبَ قَنَص يرميه ويخرج له ، وكان إذا رجع من قَنَصه لم يصل إلى أهله حتى يطوفَ بالكعبة ، وكان إذا فعلَ ذلك لم يمرّ على ناد من قريش إلاّ وقف وسلم وتحدّث معهم ، وكان أعزّ قريش وأشدّها شكيمة — فلمّا مرّ بالمولاة وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع إلى بيته ، قالت : يا أبا عُمارة ، لو رأيتَ ما لقيَ ابنُ أخيك محمد آنفًا قبل أن تأتيَ من أبي الحكم بن هشام ! وجدَه ها هنا جالسًا فسَبّه وآذاه ، وبلَغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلّمه محمد .

قال : فاحتمل حمزةَ الغضبُ لِمَا أراد الله به من كرامته ، فخرج سريعًا — لا يقف على أحد كما كان يصنع — يريد الطواف بالكعبة ، مُعِدًّا لأبي جهل إذا لقِيَه أن يقع به ، فلمّا دخل المسجد نظر إليه جالسًا في القوم ، فأقبلَ نحوه ؛ حتى إذا قام على رأسه ، رفع القوس فضربَه بها ضربة فشجّه بها شجّةً منكرَة ، وقال : أتشْتِمُهُ وأنا على دينه أقول ما يقول ! فرُدَّ ذلك عليَّ إن
١١٨٨/١ استطعت ! وقامت رجال بني مخزوم إلى حمزة لينصُروا أبا جهل منه ، فقال أبو جهل : دعوا أبا عُمارة ، فإني والله لقد سببتُ ابنَ أخيه سبًّا قبيحًا . وتمّ حمزة على إسلامه ، فلمّا أسلم حمزة عرفت قريش أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد عزّ ، وأن حمزة سيمنعه ، فكفُّوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضَ ما كانوا ينالون منه[2] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثني يحيى بن عُروة بن الزبير ، عن أبيه ، قال : كان أوّل من جَهَرَ بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكّة عبد الله بن مسعود ، قال : اجتمع يومًا أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : والله ما سمعت قريشٌ بهذا القرآن يجهرُ لها به قطّ ، فمَنْ رجل يُسمعهموه ؟ فقال عبد الله

(١) القنص : الصيد .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٨٥

ابن مسعود : أنا ، قالوا : إنّا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه ، فقال : دعونى ، فإنّ الله سيمنعنى ، قال : فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام فى الضّحى ، وقريش فى أنديتها، حتى قام عند المقام ثم قال : ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ — رافعًا بها صوته — ﴿الرَّحْمٰنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ، قال : ثم استقبلها يقرأ فيها، قال : وتأمّلوا وجعلوا يقولون : ما يقول ابن أمّ عبْد ! ثم قالوا : إنه ليتلُو بعضَ ما جاء به محمد . فقاموا إليه ، فجعلوا يضربون فى وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلُغ . ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد أثّروا بوجهه ، فقالوا : هذا الذى خشِينَا عليك ! قال : ما كان أعداء الله أهْوَنَ علىّ منهم الآن[1] ! لئن شئتم لأغادينّهم غداً بمثلها ، قالوا : لا ، حسبك ، فقد أسمعتَهم مايكرهون[2] ١١٨٩/١

* * *

قال أبو جعفر : ولما استقرّ بالذين هاجروا إلى أرض الحبَشة القرارُ بأرض النّجاشىّ واطمأنّوا ، تآمرت قريشٌ فيما بينها فى الكَيْد بمن ضَوَى إليها من المسلمين ، فوجّهوا عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة المخزومىّ إلى النّجاشىّ ، مع هدايا كثيرة أهدوْها إليه وإلى بطارقته ، وأمروهما أن يسألا النجاشىّ تسليم مَن قِبَله وبأرضه من المسلمين إليهم. فشخَص عمرو وعبد الله إليه فى ذلك ، فنفذا لما أرسلهما إليه قومُهما ، فلم يصلا إلى ما أمّل قومهما من النجاشىّ ، فرجعا مقبوحَيْن ، وأسلم عمر بن الخطاب رحمه الله ، فلمّا أسلم — وكان رجلا جَلْداً جليداً منيعًا ، وكان قد أسلَم قبل ذلك حمزةُ ابن عبد المطّلب ، ووجد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أنفسهم قوّةً ، وجعل الإسلام يفشُو[3] فى القبائل ، وحَمَى النجاشىّ مَنْ ضَوَى[4] إلى بلده منهم — اجتمعت قريش ، فائتمرت بينها : أن يكتبوا بينهم كتابًا

(١) ح : « اليوم » .
(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٠١
(٣) ح : « يقوى ويفشو » .
(٤) ضوى إلى بلده : لجأ إليه .

يتعاقدون فيه ؛ على ألاّ يُنكحوا إلى بنى هاشم وبنى المطلب ، ولا يُنكحوهم ولا يبيعوهم شيئًا ، ولا يبتاعوا منهم ، فكتبوا بذلك صحيفة ، وتعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علّقوا الصحيفة فى جوف الكعبة ، توكيداً بذلك الأمر على أنفسهم ،
١١٩٠/١ فلمّا فعلت ذلك قريش ، انحازت بنو هاشم وبنو المطّلب إلى أبى طالب ، فدخلوا معه فى شِعْبِهِ[١] ، واجتمعوا إليه ، وخرج من بنى هاشم أبو لهب عبد العزّى بن عبد المطلب إلى قريش ، وظاهرهم عليه[٢] ، فأقاموا على ذلك من أمرهم سنتيْن أو ثلاثاً ؛ حتى جهِدُوا ألاّ يصل إلى أحد منهم شىء إلا سرًّا ، مستخفيًا به مَن[٣] أراد صلتهم من قريش . وذكر أن أبا جهل لَقِىَ حكيم بنَ حزام بن خُويلد بن أسد ، معه غلام يحمل قمحًا يريد به عَمّته خديجة بنت خويلد ، وهى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه فى الشِّعب ، فتعلّق به ، وقال : أتذهب بالطّعام إلى بنى هاشم ! والله لا تبرحُ أنت وطعامك حتى أفضحك[٤] بمكّة ! فجاء أبو البختريّ بن هشام بن الحارث ابن أسد ، فقال : مالك وله ! قال : يحمِل الطعام إلى بنى هاشم ، فقال له أبو البختريّ : طعامٌ لعمّته عنده بَعَثَتْ إليه فيه ، أفتمنعه أن يأتيَها بطعامها ! خلِّ سبيلَ الرّجل . فأبى أبو جهل حتى نال أحدُهما من صاحبه ، فأخذ أبو البَخْتَرِىّ لَحْىَ بَعير[٥] ، فضربه فشجّه ، ووطئه وطئًا شديداً ، وحمزة ابن عبد المطلب قريبٌ يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلُغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيشمتوا بهمْ ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى كلّ ذلك ، يدعو قومَه سرًّا وجهراً ، آناء الليل وآناء النهار ؛ والوحى عليه من الله متتابِعٌ بأمره ونهيه ، ووعيد[٦] مَنْ ناصبه العداوة ، والحجج لرسول الله
١١٩١/١ صلى الله عليه وسلم عَلَى مَنْ خالفه[٧] .

(١) الشعب : الطريق فى الجبل .
(٢) ح : « عليهم » .
(٣) ط : « ممن » ، وما أثبته من ابن هشام .
(٤) ح ، ر : « نفضحك » .
(٥) ر : « فقام أبو البخترى إلى لحى جمل » .
(٦) ح : « ووعيده » .
(٧) سيرة ابن هشام ١ : ٢١٩ ، ٢٢٠ .

فذكر أنّ أشرافَ قومِه اجتمعوا له يومًا — فيما حدّثنى محمد بن موسى الحرَشىّ ، قال : حدّثنا أبو خَلَف عبد الله بن عيسى ، قال : حدّثنا داود ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس ؛ أنّ قريشًا وعدُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُعطوه مالاً فيكون أغنى رجل بمكّة ، ويزوّجوه ما أراد من النساء ، ويطئوا عَقِبه ، فقالوا : هذا لك عندنا يا محمّد ، وكُفَّ عن شتم آلهتنا فلا تذكرها بسوء ؛ فإن لم تفعلَ فإنا نَعْرِضُ عليك خَصْلة واحدةً فهى لك ولنا فيها صلاح . قال : ما هى ؟ قالوا : تعبُد آلهتنا سنةً ؛ اللات والعُزّى ، ونعبد إلهك سنة ، قال : حتى أنظرَ ما يأتى من عند ربى ! فجاء الوحى من اللوح المحفوظ : ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَاأَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ السورة ، وأنزل الله عز وجل : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّى أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾[1] .

حدّثنى يعقوبُ بن إبراهيم ، قال : حدّثنا ابن عُلَيّةَ ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى سعيد بن ميناء ، مولى أبى البخترىّ ، قال : لَقِىَ الوليدُ بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خَلَف رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، هلمّ فلْنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، ونشرَكك فى أمرنا كلّه ؛ فإن كان الذى جئت به خيراً مما فى أيدينا ، كنّا قد شرَكناك فيه ، وأخذنا بحظّنا منه ؛ وإن كان الذى بأيدينا خيراً مما فى يدك ، كنت قد شرَكتنا فى أمرنا ، وأخذت بحظّك منه . فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ؛ حتى انقضت السورة[2] . ١١٩٢/١

فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حريصًا على صلاح قومه ، محبًّا مقاربتَهم بما وجد إليه السبيل ، قد ذُكِر أنه تمنّى السبيل إلى مقاربتهم ، فكان من أمره فى ذلك ما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال :

(١) سورة الزمر ٦٤ — ٦٦ ، والخبر فى التفسير ٢٠ : ٢١٤ (بولاق) .

(٢) الخبر فى التفسير ٣٠ : ٢١٤ (بولاق) .

حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن زياد المدنىّ[١] ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ ، قال : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تَوَلِّىَ قومِه عنه ، وشقّ عليه ما يرَى من مباعدتهم ما جاءهم به من الله ، تمنّى فى نفسه أن يأتيَه من الله ما يقاربُ[٢] بينه وبين قومه ، وكان يسرُّه مع حبِّه قومَه ، وحرصِه عليهم أن يلين له بعض ما قد غلظ عليه من أمرهم ؛ حتى حدّث بذلك نفسَه ، وتمنّاه وأحبّه ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ ، فلما انتهى إلى قوله : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾[٣] ، ألقى الشيطان على لسانه ، لما كان يحدّث به نفسه ، ويتمنّى أن يأتىَ به قومه : « تلك الغرانيق العلا ، وإن شفاعتهن لتُرتجى » ؛ فلما سمعتْ ذلك قريش فرِحوا ، وسرّهم وأعجبهم ما ذكر به آلهتهم ، فأصاخوا له — والمؤمنون مصدّقون نبيَّهم فيما جاءهم به عن ربّهم ، ولا يتّهمونه على خطإ ولاوهم ولا زلل — فلما انتهى إلى السجدة منها وختم السورة سجدَ فيها ، فسجد المسلمون بسجود نَبيّهم ، تصديقًا لما جاء به ، واتّباعًا لأمره ، وسجد مَنْ فى المسجد من المشركين من قريش
١١٩٣/١ وغيرهم ، لما سمعوا من ذكر آلهتهم ، فلم يبق فى المسجِد مؤمن ولا كافر إلا سجد ، إلاّ الوليد بن المغيرة ، فإنه كان شيخًا كبيراً ، فلم يستطع السجود ، فأخذ بيده حَفنة من البطحاء فسجد عليها ، ثم تفرّق الناس من المسجد ، وخرجت قريش ، وقد سرّهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ، يقولون : قد ذكر محمد آلهتنا بأحسنِ[٤] الذكر ، قد زعم فيما يتلُو : « أنها الغَرانيقُ العُلا ، وأنّ شَفَاعَتَهُنّ تُرتضى » وبلغت السجدة مَن بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقيل : أسلمت قريش ، فنهض منهم رجال ، وتخلّف آخرون ، وأتى جبريلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، ماذا

(١) ر : « المرى » .
(٢) ر : « يقرب » .
(٣) سورة النجم ١ — ٢٠
(٤) ر : « فأحسن » .

صنعتَ ! لقد تلوتَ على الناس ما لم آتِكَ به عن الله عزّ وجلّ ، وقلت مالم يقل لك ! فحزن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك حُزْنًا شديداً ، وخاف من الله خوفًا كثيراً[١] ، فأنزل الله عزّ وجلّ — وكان به رحيماً — يعزّيه ويخفّض عليه الأمر ، ويخبره أنه لم يكُ قبله نبيّ ولا رسول تمنّى كما تمنّى ، ولا أحبّ كما أحبّ إلاّ والشيطان قد ألقى فى أمْنيّته ، كما ألقى على لسانه صلى الله عليه وسلم ، فنسخ[٢] الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته ؛ أى فإنما أنت كبعض الأنبياء والرّسل ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٣] ، فأذهب الله عزّ وجلّ عن نبيّه الحزن ، وآمنه من الذى كان يخاف ، ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانه من ذكر آلهتهم : « أنها الغرانيقُ العلا وأنّ شفاعتهن ترتضى » ، بقول الله عزّ وجلّ حين ذكر اللاّت والعزّى ومناة الثالثة الأخرى : ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ أى عَوْجاء ، ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ — إلى قوله — ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[٤] ، أى فكيف تنفع شفاعة آلهتكم عنده ! ١١٩٤/١

فلمّا جاء من الله ما نسخ[٥] ما كان الشيطان ألقى على لسان نبيّه[٥] ، قالت قريش : ندِم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتكم عند الله ، فغيّر ذلك وجاء بغيره ؛ وكان ذانِكَ الحرْفان اللّذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقعا فى فم كلّ مشرك ، فازدادوا شرًّا إلى ما كانوا عليه[٦] ، وشدّةً على مَنْ أسلم واتّبع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم منهم ،

(١) ح والتفسير : « كبيراً » .
(٢) م : « فينسخ » .
(٣) سورة الحج ٥٢ .
(٤) سورة النجم ٢١ — ٢٦
(٥ — ٥) ح : « ما كان الشيطان ألقى على نبيه » .
(٦) الخبر إلى هنا فى التفسير ١٧ : ١٣١ ، ١٣٢ (بولاق) .

وأقبل أولئك النّفر من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا[١] من أرض الحبشة لِمـَا بلغهم من إسلام أهل مكّة حين سجدُوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى إذا دنوْا من مكّة ، بلَغهم أنّ الذى كانوا تحدّثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار ، أو مستخفيًا ، فكان ممّنْ قَدِم مكة منهم فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة ، فشهد معه بدرًا من بنى عبد شمس بن عبد مناف بن قصى ، عثمان بن عفان ابن أبى العاص بن أمية ، معه امرأته رقيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس معه امرأته سهلة بنت سهيل ، وجماعة أخَر معهم ، عددهم ثلاثة وثلاثون رجلا . ١١٩٥/١

حدّثنى القاسم بن الحسن ، قال : حدّثنا الحسين بن داود ، قال : حدّثنى حَجّاج ، عن أبى معشر ، عن محمد بن كعب القرظِىّ ومحمد بن قيس ، قالا : جلَس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ناد من أنديَةِ قريش ، كثير أهله ، فتمنّى يومئذ ألاّ يأتيَه من الله شىء فينفِرُواعنه ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ ، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا بلغ : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾ ألقَى الشيطان عليه كلمتين : « تلك الغرانيق[٢] العلا * وإن شفاعتهن لترجى[٣] » ، فتكلّم بهما ، ثم مضى فقرأ السورة كلّها ، فسجد فى آخر السّورة ، وسجد القوم معه جميعًا ، ورفع الوليدُ بن المغيرة ترابًا إلى جبهته ، فسجد عليه — وكان شيخًا كبيرًا لا يقدر على السُّجود — فرضُوا بما تكلّم به ، وقالوا : قد عرفنا أنّ الله يحيى ويميت ؛ وهو الذى يخلُق ويرزق ؛ ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده ؛ فإذا جعلت لها نصيبًا فنحن معك . قالا : فلما أمْسَى

(١) م : « خرجوا إليه » .

(٢) ح : « الغرانقة » .

(٣) ر : « ترتضى » .

أتاه جبرئيل عليه السّلام ، فعرض عليه السورة ، فلما بلغَ الكلمتين اللتيْن ألقى الشيطان عليه ، قال : ما جئتُك بهاتين ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افتريتُ على الله ، وقلتُ على الله ما لم يقل ، فأوحى الله إليه : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾[1] ؛ فما زالَ مغمومًا مهمومًا ، حتى نزلت : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ — إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2]. ١١٩٦/١

قال : فسمع مَنْ كان بأرض الحبَشة من المهاجرين أنّ أهلَ مكّة قد أسلمُوا كلّهم ، فرجعوا إلى عشائرهم ، وقالوا : هم أحبُّ إلينا ، فوجدوا القوم قد ارتكسُوا حينَ نسخ الله ما ألقَى الشيطان ، ثم قام — فيما حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، فى نقضِ الصحيفة التى كانت قريش كتبت بينها على بنى هاشم وبنى المطّلب — نفرٌ من قريش . وكان أحسنُهم بلاءً فيه هشام بن عمرو بن الحارث العامرىّ ، من عامر بن لؤىّ — وكان ابنَ أخى نضْلة بن هاشم بن عبد مناف لأمّه — وإنه مشىَ إلى زُهَير ابنَ أبى أميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — وكانت أمّه عاتكة بنت عبد المطلب — فقال : يا زهير ، أرضيتَ أن تأكلَ الطعام ، وتلبس الثياب ، وتنكِح النساء ، وأخوالُك حيث قد علمت ؛ لا يبايعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكِحون ولا ينكَح إليهم ! أما إنّى أحلِفُ بالله لو كانوا أخوال أبى الحكَم ابن هشام ثم دعوتَه إلى مثل مادعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبداً . قال : ويحك يا هشام ! فماذا أصنع ! إنّما أنا رجلٌ واحد ؛ والله لو كان معى رجلٌ آخر لقمت فى نقضها حتى أنقضها . قال : قد وجدتَ رجلاً ، قال : مَنْ هو ؟ قال : أنا ، قال له زهير : ابغِنَا ثالثًا ، فذهب إلى المُطعِم بن عدىّ ابن نوفل بن عبد مناف ، فقال له : يا مطعِم ، أقَدْ رَضيت أن يهلِك بَطْنان ١١٩٧/١

(١) سورة الإسراء ٧٣ — ٧٥ .

(٢) سورة الحج ٥٢ ، والخبر فى التفسير ١٧ : ١٣١ (بولاق) .

من بنى عبد مناف ، وأنت شاهد على ذلك ، موافق لقريش فيه ! أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنّهم إليها منكم سراعاً[١] . قال : ويحك! فماذا أصنع! إنّما أنا رجلٌ واحد، قال : قد وجدت ثانيًا ، قال : مَنْ هو؟ قال : أنا، قال : ابغنا ثالثًا[٢] ، قال : قد فعلت ، قال مَنْ هو ؟ قال : زهير بن أبى أميّة، قال : ابغِنا رابعاً ، فذهب إلى أبى البختريّ بن هشام، فقال له نحواً مما قال للمطعِم بن عدىّ ، فقال : وهل من أحد يُعين على هذا ؟ قال : نعم ، قال : مَنْ هو ؟ قال : زهير بن أبى أمية والمطعِم بن عدىّ وأنا معك . قال : ابغِنا خامسًا ، فذهب إلى زَمْعة بن الأسود بن المطلّب بن أسد ، فكلّمه ، وذكر له قرابتَهم وحقّهم ، فقال له : وهل على هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد ؟ قال : نعم ، ثم سمّى له القوَم . فاتّعدوا له خَطْم الحَجون الذى[٣] بأعلى مكّة ، فاجتمعوا هنالك ، وأجمعوا أمرَهم ، وتعاهدوا على القيام فى الصّحيفة حتى ينقضُوها ، وقال زهير : أنا أبدؤكم فأكون أوّلكم يتكلّم ، فلما أصبحوا غدوْا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبى أميّة ، عليه حلّة له ؛ فطاف بالبيت سبعًا ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أهلَ مكّة ؛ أنأكل الطّعام، ونشرب الثّراب ، ونلبس الثّياب ، وبنو هاشم هَلْكى لا يبايعون ولا يبتاع منهم ! والله لا أقعد حتى تشقّ هذه الصحيفة القاطعة الظّالمة ، ١١٩٨/١
قال أبو جهل — وكان فى ناحية المسجد : كذبتَ ، والله لا تشقّ ! قال زمعة ابن الأسود : أنتَ والله أكذبُ ، ما رضينا كتابها حين كتبت ؛ قال أبو البختريّ : صدق زمعة ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نُقِرُّ به ! قال المطعِم بن عدىّ : صَدَقْتما وكَذَبَ مَنْ قال غير ذلك ؛ نبرأ إلى الله منها ، ومما كُتِب فيها ؛ وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك ، قال أبو جهل : هذا أمرٌ قُضِى بليلٍ ، وتُشوورَ فيه بغيرِ هذا المكان — وأبو طالب جالس فى ناحية المسجد — وقام المطعِم بن عدىّ إلى الصحيفة ليشقّها ؛ فوجد الأرَضَةَ قد أكلتها ؛

(١) ط : « سريعاً » ، وما أثبته من ابن هشام .

(٢) قال فى اللسان : «ابغنى كذا ، بهمزة الوصل ، أى اطلب لى ، وأبغنى بهمزة القطع ، أى أعنى على الطلب » .

(٣) كذا فى ح وابن الأثير ، وفى ط : « التى » .

إلاّ ما كان من «باسمك اللهمّ» ، وهى فاتحة ما كانت تكتب قريش ؛ تفتتح بها كتابها إذا كتبت .

قال : وكان كاتب صحيفة قريش — فيما بلغنى — الّتى كتبُوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطه من بنى هاشم وبنى المطّلب، منصور بن عكرمة ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار بن قصىّ، فشلّتْ يدُه[1] .

وأقام بقيّتهم بأرض الحبشة ؛ حتّى بعثَ فيهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشىّ عمرَو بن أميّة الضَّمْرىّ ، فحملهم فى سفينتين ، فقدِم بهم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهو بخيبر بعد الحديبية . وكان جميع من قَدِم فى السفينتين ستةَ عَشَرَ رجلا .

* * *

ولم يزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مقيماً مع قُريش بمكّة يدعوهم إلى الله سرًّا وجهراً ، صابراً على أذاهم وتكذيبهم إياه واستهزائهم به ؛ حتّى إن كان بعضهم — فيما ذكر — يطرح عليه رَحِم الشّاة وهو يصلّى ، ١١٩٩/١
ويطرحها فى بُرْمته إذا نُصبت له[2] ؛ حتّى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم — فيما بلغنى — حجراً يستتر به منهم إذا صلّى .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدّثنى ابنُ إسحاق ، قال : حدّثنى عمر بن عبد الله بن عُرْوة بن الزُّبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : كانَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يخرج بذلك إذا رُمى به فى داره على العُود فيقف على بابه ، ثم يقول : يا بنى عبد مناف ، أىّ جوار هذا ! ثم يُلْقِيه بالطريق .

ثم إن أبا طالب وخديجة هلكا فى عام واحد — وذلك فيما حدّثنا ابنُ حميد، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق — قبل هجرته إلى المدينة بثلاث سنين ، فعظُمت المصيبة على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بهلاكهما ؛ وذلك أن قريشًا

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٣١، ٢٣٢ .
(٢) ر : «به» .

وصلُوا من أذاه بعد موت أبى طالب إلى ما لم يكونوا يصلُونَ إليه فى حياته منه ؛ حتى نثَر بعضُهم على رأسه التراب[١] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدّثنى هِشام بن عُروة ، عن أبيه قال : لما نثر ذلك السّفيه التّرَابَ على رأسِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتَه والتراب على رأسه ، فقامت[٢] إليه إحدى بناتِه تغسل عنه التراب ؛ وهى تبكى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها : يا بُنَيَّة لا تبكى ؛ فإنّ الله مانعٌ أباكِ ! قال : ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما نالتْ منّى قريش شيئًا أكرهه حتى مات أبو طالب[١]

* * *

ولما هلك أبو طالب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطّائف يلتمس من ثقيف النّصر والمنَعة[٣] له من قومه ؛ وذُكِر أنّه خرج إليهم وحده ؛ فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدثنا ابنُ إسحاق ١٢٠٠/١
قال : حدّثنى يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظىّ ، قال : لما انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف عَمَد إلى نفرٍ من ثَقيف — هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم ؛ وهم إخوة ثلاثة : عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، ومسعود ابن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو بن عمير ؛ وعندهم امرأة من قريش من بنى جُمَح ، فجلس إليهم — فدعاهم إلى الله وكلّمهم بما جاء لهم[٤] من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على مَنْ خالفه من قومه ، فقال أحدهم : هو يمرُط[٥] ثياب الكعبة إن كان الله أرسلَك ! وقال الآخر : ما وجد الله

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٨ .

(٢) فى الأصول : « قامت » ، وما أثبته من ابن هشام .

(٣) ر : « الفضل والمعونة » .

(٤) ح : « جاء إليه » .

(٥) يمرطها : أى ينزعها ويرمى بها .

أحداً يرسله غيرك ! وقال الثالث : والله لا أكلّمك كلمةً أبداً ؛ لئن كنتَ رسولاً من الله كما تقول ؛ لأنتَ أعظمُ خطراً من أن أردّ عليك الكلامَ ؛ ولئن كنتَ تكذب على الله ما ينبغى لى أن أكلّمك !

فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عندهم ، وقد يئس من خيرِ ثقيف ؛ وقد قال لهم — فيما ذكر لى — : إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا علىّ . وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلُغَ قومه عنه ، فيَذئرهم[1] ذلك عليه ، فلم يفعلوا وأغروْا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبّونه ويصيحون به ؛ حتى اجتمع عليه الناس وألجئوه إلى حائط[2] لعتْبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثَقيفٍ مَنْ كان يتّبعه ، فعمِد إلى ظِلٍّ حبَلةٍ[3] من عنب ، فجلس فيه ، وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويرَيان ما لقىَ من سفهاء ثقيف . وقد لقىَ ١٢٠١/١
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما ذكر لى — تلك المرأة من بنى جُمح ، فقال لها : ماذا لقينا[4] من أحمائك ! فلما اطمأنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال — فيما ذكر لى : اللهمّ إليك أشكو ضعف قوّتى ، وقلّة حيلَتى ، وهوانى على النّاس ؛ يا أرحمَ الرّاحمين ، أنتَ ربُّ المستضعَفين ، وأنتَ ربّى ؛ إلى مَنْ تكلنى ! إلى بعيد يتجهّمنى ، أو إلى عدوّ مَلّكْتَهُ أمرى ؛ إنْ لم يكن بك علىّ غضب فلا أبالى ! ولكنّ عافيتَك هى أوسع لى . أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظّلُمات ، وصلَح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بى غضبُك ، أو يحلّ علىّ سخطُك ، لك العُتبى[5] حتى ترضَى ، لا حول ولا قوة إلاّ بك .

فلما رأى ابنا ربيعة : عُتْبة وشَيْبة ما لقى ، تحرّكت له رحِمهما ،

(١) قال ابن هشام : قوله : « يذئرهم » ؛ يعنى يحرش بينهم ، قال عبيد :

وَلقَدْ أَتَانِى عَنْ تَمِيمٍ أَنَّهُمْ ذَئِرُوا لقَتْلَى عَامِرٍ وتَعَصَّبُوا

(٢) الحائط هنا : البستان .

(٣) الحبلة : الكرمة من العنب .

(٤) ح : « لقيت » .

(٥) العتبى : الرضا .

فدعَوا له غلامًا لهما نصرانيًّا ؛ يقال له عدّاس ، فقالا له : خذ قِطفاً[١] من هذا العنَب وضَعه فى ذلك الطَّبَق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرَّجل ، فقل له يأكل منه ؛ ففعل عدّاس ، ثم أقبل به حتّى وضعه بين يدىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، قال : «بسم الله» ، ثم أكل ، فنظَر عدّاس إلى وجهه ، ثم قال : والله إنّ هذا الكلام ما يقوله أهلُ هذه البلدة ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومِنْ أهل أىّ البلاد أنت يا عدّاس ؟ وما دينك ؟ قال : أنا نصرانىّ ، وأنا رجلٌ من أهل نينَوى[٢]
١٢٠٢/١ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمِنْ قرية الرّجل الصّالح يونس بن متّى ؟ قال له : وما يدريك ما يونس بن متّى ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك أخِى ، كان نبيًّا وأنا نبىّ ، فأكبّ[٣] عدّاس علَى[٤] رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبّل رأسَه ويديه ورجليه ، قال : يقول ابنا ربيعة أحدُهما لصاحبه[٥] : أمّا غلامك فقد أفسدَه عليك . فلما جاءهما عدّاس قالا له : ويلك يا عدّاس ! مالك تقبِّل رأسَ هذا الرّجل ويديه وقدميه! قال : ياسيّدى ما فى [هذه][٦] الأرض خيرٌ من هذا الرجل ! لقد خبّرنى بأمر لا يعلمه[٧] إلاّ نبىٌّ ، فقالا : ويحك يا عدّاس ! لا يصرفنّك عن دينك ، فإنّ دينَك خيرٌ من دينه .

ثم إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطّائف راجعًا إلى مكّة حين يئس من خبرِ ثقيف ، حتّى إذا كان بنخلة ، قام من جَوْف الليل يصلّى ، فمرّ به نفرٌ من الجنّ الذين ذكر الله عزّ وجلّ .

قال محمّد بن إسحاق : وهم — فيما ذكر لى — سبعة نفر من جنّ أهل

(١) القطف : اسم للعنقود ، وأصله اسم لكل ما يقطف .
(٢) نينوى : قال أبو ذر الخشنى : « ورويت ها هنا بضم النون الثانية وبفتحها » .
(٣) ر : « فانكبّ » .
(٤) م : « على رأس » .
(٥) ح : « للآخر » .
(٦) من م .
(٧) م : « بما لا يعلمه » .

نَصِيبين اليمن ، فاستمعوا له ، فلما فرغ من صلاته ولّوْا إلى قومهم مُنْذرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا ، فقصّ الله عزّ وجلّ خبرَهم عليه : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ ﴾ — إلى قوله : ﴿ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1] . وقال : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ . . . ﴾ إلى آخر القصّة من خبرهم فى هذه السورة[2] .

قال محمّد : وتسمية النّفر من الجنّ الذين استمعوا[3] الوحى — فيما بلغنى — حسّا ، ومسّا ، وشاصر ، وناصر ، واينا الأرد ، وأينين ، والأحقم . ١٢٠٣/١

* * *

قال : ثم قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكّة ، وقومُه أشدّ ما كانوا عليه من خِلافه وفراق دينه ، إلاّ قليلا مستضعفين ممّن آمن به .

وذكر بعضُهم أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطّائف مريداً مكة مرّ به بعضُ أهلِ مكّة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أنت مبلّغ عنّى رسالة أرسلك بها ؟ قال : نعم ، قال : ائت الأخْنَس ابن شَرِيق ، فقل له : يقول لك محمّد : هل أنت مجيرى حتى أبلّغَ رسالة ربّى ؟ قال : فأتاه ، فقال له ذلك ، فقال الأخْنَسُ : إنّ الحليف لا يُجير على الصريح . قال : فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ، قال : تعود ؟ قال : نعم ، قال : ائت سُهَيْلَ بن عمرو ، فقل له : إنّ محمّداً يقول لك : هل أنت مجيرى حتى أبلّغ رسالات ربّى ؟ . فأتاه فقال له ذلك ، قال : فقال : إنّ بنى عامر بن لؤىّ لا تجير على بنى كعب . قال : فرجع إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ، قال : تعود ؟ قال : نعم ، قال : ائت المطعِم بن عدىّ ، فقل له : إنّ محمداً يقول لك : هل أنت مجيرى حتى أبلّغ رسالات ربى[4] ؟ قال : نعم ، فلْيدخل ، قال : فرجع الرّجل إليه ، فأخبره ، وأصبح المطعِم

(١) سورة الأحقاف ٢٩ — ٣٠ .

(٢) سورة الجن ، والخبر فى ابن هشام ١ : ٢٦٠ — ٢٦٣ .

(٣) م : « سمعوا » .

(٤) ح : « على أن أبلغ » .

ابن عدىّ قد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه ، فدخلوا المسجد، فلمّا رآه أبو جهل ، قال : أمُجيرٌ أم متابع ؟ قال : بل مجير ، قال : فقال : قد أجرْنا مَنْ أجرَت ، فدخل النبىّ صلى الله عليه وسلم مكة ؛ وأقام بها ، فدخل يومًا المسجد الحرام والمشركون عند الكعبة ، فلما رآه أبو جهل ، قال : هذا
١٢٠٤/١ نبيّكم يا بنى عبد مناف ، قال عتبة بن ربيعة : وما تنكِرُ أن يكونَ منّا نبىّ أو ملِك ! فأخبِر بذلك النبىّ صلى الله عليه وسلم — أو سمعه — فأتاهم ، فقالْ : أمّا أنتَ يا عُتْبة بن ربيعة فوالله ما حميتَ لله ولا لرسوله ؛ ولكنْ حميتَ لأنْفِك ، وأما أنتَ يا أبا جهل بن هشام ؛ فوالله لا يأتى عليك غير كبير[1] من الدّهر حتى تضحك قليلا وتبكى كثيراً . وأمّا أنتم يا معشر الملإ من قريش ؛ فوالله لا يأتى عليكم غير كبير[2] من الدّهر حتى تدخلوا فيما تنكرون ، وأنتم كارهون .

* * *

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعرضُ نفسَه فى المواسم — إذا كانت — على قبائل العرب ، يدعوهم إلى الله [وإلى نصرته][3] ويخبرهم أنه نبىّ مرسل ، ويسألهم أن يصدّقوه ويمنعُوه حتى يبين عن الله ما بعثه به. حدّثنا ابن حُمَيد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى حسين بن عبيد الله بن عبد الله بن عباس ، قال : سمعت ربيعة بن عبّاد يُحَدّثُ أبى ، قال : إنّى لَغلامٌ شابٌّ مع أبى بمنًى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول : يا بنى فلان ، إنّى رسولُ الله إليكم ؛ يأمرُكم أنْ تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا ، وأنْ تخلعوا ما تَعْبدون[4] من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بى

(١) ر : « كثير » .

(٢) ح : « كثير » .

(٣) من ر .

(٤) م : « ما يعبد » .

وتصدّقونى وتمنعونى ؛ حتى أبين عن الله ما بعثنى به .

قال : وخلفه رجلٌ أحوَل وضيء ، له غديرتان[١] ، عليه حُلّة عَدنيّة ، فإذا فَرَغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله ، وما دعا إليه ، قال الرجل : يا بنِى فلان ، إنّ هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلُخُوا اللات والعُزّى من أعناقكم ، ١/١٢٠٥ وحلفاءكم من الجنّ من بنى مالك بن أقَيْش ، إلى ما جاء به من البدْعة والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا له .

قال : فقلت لأبى : يا أبتِ مَن هذا الرجل الذى يتّبعه ؛ يردّ عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمّه عبد العُزّى أبو لهب بن عبد المطّلب[٢] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : وحدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنا محمد بن مسلِم بن شهاب الزهرىّ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أتى كِنْدة فى منازلهم ، وفيهم سيّد لهم ، يقال له مُلَيح ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرَض عليهم نفسَه ، فأبوْا عليه[٢] .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى محمّد بن عبد الرّحمن بن عبد الله بن حُصَيْن ، أنّه أتى كلْبًا فى منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرَض عليهم نفسَه ؛ حتى إنّه لَيقول لهم : يا بنى عبد الله ، إن الله قد أحسن اسم أبيكم . فلم يقبَلوا منه ما عرَض عليهم[٣] .

حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : محمّد بن إسحاق : حدّثنى بعضُ أصحابنا ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أتى بنى حَنِيفة فى منازلهم ، فدعاهم إلى الله ، وعرَض

(١) الغديرة : الذؤابة من الشعر .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٣

(٣) سيرة ابن شام ٢ : ٢٦٤

عليهم نفسَه ؛ فلم يكن أحدٌ من العرب أقبحَ ردًّا عليه منهم[١]

حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدّثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرىّ ، أنه أتى بنى عامر بن صعصعة ، فدعاهم إلى الله ، وعَرَض عليهم نفسَه ، فقال رجل منهم ، يقال
١٢٠٦/١ له بَيْحَرَةَ بن فراس[٢] : والله لو أنّى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلتُ به العرب . ثم قال له : أرأيتَ إن نحن تابعناك[٣] على أمرك[٤] ، ثم أظهرَكَ الله على مَنْ خالفك ؛ أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال : الأمرُ إلى الله يضعُه حيث يشاء . قال : فقال له : أفتُهدَفُ[٥] نحورُنا للعرب دونك ، فإذا ظهرتَ كان الأمرُ لغيرنا! لا حاجةَ لنا بأمرك . فأبَوْا عليه ، فلما صَدَر النّاس ، رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم ؛ قد كانت أدركتْه السنّ ؛ حتى لا يقدر على أن يوافىَ معهم الموسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه ، حدّثوه[٦] بما يكون فى ذلك الموسم ؛ فلمّا قدِمُوا عليه ذلك العام ، سألهم عمّا كان فى موسمهم ، فقالوا : جاءنا فتًى من قريش ، ثم أحد بنى عبد المطّلب ؛ يزعم أنه نبىّ ، ويدعو[٧] إلى أن نمنعه[٨] ونقوم معه ؛ ونخرج به معنا إلى بلادنا . قال : فوضع الشيخُ يده على رأسه ، ثم قال : يا بنى عامر ، هل لها من تلاف ! هل لذناباها[٩] من مطلب ! والذى نفسُ فلان بيده ما تقوّلها إسماعيلى[١٠] قطّ ! وإنّها لحقّ ، فأين كان رأيكم عنه !

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٤

(٢) فى ابن هشام : « فراس بن عبد الله بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة » .

(٣) ابن هشام : « بايعناك على أمرك » .

(٤) ح : « تابعناك وآمنا بك » .

(٥) كذا فى ابن هشام ؛ أى تصير هدفاً يرمى ، وفى ط : « أفنهدف » .

(٦) ح : « يحدثونه » .

(٧) ر ، وابن هشام : « يدعونا » .

(٨) ح : « ويدعو الله ويريد أن نمنعه » .

(٩) مثل يضرب لما فات ؛ وأصله من ذنابى الطائر ؛ إذ أفلت من الحبالة .

(١٠) أى ما ادعى النبوة .

فكان رسول الله صلى عليه وسلم على ذلك من أمره ؛ كلّما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعُو القبائل إلى الله وإلى الإسلام ، ويعرِض عليهم نفسَه وما جاء به من الله من الهدى والرّحمة ، لا يسمع بقادم يقدَم من العرب ؛ ١٢٠٧/١
له اسمٌ وشرفٌ إلاّ تصدّى له فدَعاه إلى الله ، وعرَض عليه ما عنده[١] .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة، قال : حدّثنا محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة الظَّفَرِيّ ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : قدِم سُوَيد بن صامت — أخو[٢] بني عمرو بن عوف — مكة حاجًّا أو معتمراً ، قال : وكان سُوَيد إنما يسميه قومه فيهم الكامل ، لجلَده وشِعْره ، ونسبه وشرفه ؛ وهو الذّي يقول :

ألا رُبَّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقاً وَلَوْ تَرَى ... مَقَالَتَهُ بالْغَيْبِ ساءَك ما يَفْرِى[٣]
مَقَالَتُهُ كالشَّحْمِ ما كان شاهدًا ... وبالغَيْبِ مأْثورٌ على ثَغْرَةِ النَّحْرِ[٤]
يَسُرُّكَ باديهِ وتحْتَ أَدِيمِـــهِ ... نَمِيمَةُ غِشٍّ تَبْتَرِى عَقَبَ الظَّهرِ[٥]
تُبِينُ لك العَيْنانِ ما هُوَ كاتِمٌ ... ولا جِنَّ بالْبَغْضَاءِ والنَّظَرِ الشَّزْرِ
فَرِشْنِي بخَيرٍ طالمـا قَدْ بَرَيْتَنِي ... وخَيْرُ الموالى مَنْ يَرِيشُ ولا يَبْرِى[٦] ١٢٠٨/١

مع أشعار له كثيرة يقولها[٧] .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٤ ، ٢٦٥ .
(٢) ر : « أحد » .
(٣) يفرى : يخلق من القول .
(٤) المأثور هنا : السيف الموشى .
(٥) تبترى : تقطع ، وعقب الظهر : عصبه .
(٦) راشه : قواه ، وبراه : أضعفه .
(٧) ذكر منها ابن هشام :

لاتَحْسَبَنِّي يابْنَ زُغْبِ بنِ مَالكٍ ... كَمَنْ كُنْتَ تُرْدِى بالعُيوب وتَخْتِلُ
تحوّلْت قَرْناً إذْ صُرِعْتَ بِعزّةٍ ... كَذَلِكَ إنّ الحازِمَ المُتحوِّلُ

قال : فتصدّى له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدَعاه إلى الله وإلى الإسلام . قال : فقال له سُويدٌ : فلعلّ الذى معك مثلُ الذى معى ! فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وما الذى معك ؟ قال : مجلّة[1] لقمان — يعنى حكمة لقمان — فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اعرضها علىّ ، فعرضها عليه ، فقال : إنّ هذا لكلام[2] حَسَنٌ ، معى أفضلُ من هذا ؛ قرآن أنزله الله علىّ ، هدى ونورٌ . قال : فتلا عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعاه إلى الإسلام ، فلم يبعُد منه ، وقال : إنّ هذا لقولٌ حَسَنٌ .

ثم انصرف عنه ، وقدِم المدينة ، فلم يلبَثْ أن قَتَلَتْه الخزرج ؛ فإنْ كان قومه لَيقولونَ : قد قُتِل وهو مُسْلِمٌ ، وكان قتلُه قبل بُعاث[3] .

* * *

حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدّثنا سلمَة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى الحُصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ ؛ أخو بنى عبد الأشهل ، عن محمود بن لَبيد ؛ أخى بنى الأشهل ، قال : لمّا قدم أبو الحَيْسَر أنسُ بن رافع مكّة ، ومعه فتيةٌ من بنى عبد الأشهل ، فيهم إياس بن مُعاذ ؛ يلتمسون الحلْف من قُرَيْش على قومهم من الخزْرج ، سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم فجلس إليهم ، فقال لهم : هل لكم إلى خيرٍ مما جئتم له ؟ قالوا : وما ذاك ؟ قال : أنا رسول الله ، بعثنى إلى العِبَاد ، أدعوهم إلى الله أن يعبدوا الله ، ولا يشركوا به شيئًا ، وأنزل علىّ الكتابَ . ثم ذكر لهم[4] الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . فقال إياس بن مُعاذ — وكان ١٢٠٩/١

(١) المجلة : الصحيفة ؛ قال السهيلى : « ولقمان كان نبياً . من أهل أيلة ؛ وهو لقمان ابن عنقاء بن سرور — فيما ذكروا — وابنه الذى ذكر فى القرآن هو ثاران — فيما ذكر الزجاج وغيره. وقيل فى اسمه غير ذلك ؛ وليس بلقمان بن عاد الحميرى » .

(٢) م : « كلام » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٥ ، ٢٦٦

(٤) م : « ذكرهم » .

غلاماً حَدَثاً : أىْ قوم ؛ هذا والله خيرٌ مما جئتم[1] له . قال : فيأخذ أبو الحَيْسَر أنس بن رافع حَفْنَةً من البطْحَاء ، فضربَ بها وجه إياس ابن معاذ ، وقال : دَعْنا منك ، فلَعمرِى لقد جئنا لغير هذا . قال : فصمت إياس ، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا إلى المدينة . فكانت وقعة بُعَاث بين الأوس والخزرج .

قال: ثم لم يلبث إياس بن مُعاذ أن هلك . قال محمود بن لَبِيد : فأخبرنى مَنْ حضره من قومى عند موته أنهم لم يزالوا يسمعونه يُهلّل الله ويكبّرُه ، ويحمده ويسبّحه ؛ حتى مات ، فما كانوا يشكُّون أن قد مات مسلماً ، لقد كان استشعر الإسلام فى ذلك المجلس حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع[2] .

* * *

قال : فلمّا أراد الله عزّ وجلّ إظهارَ دينِه وإعزاز نبيِّه ، وإنجازَ موعده له ، خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم الذى لقِىَ فيه النفر من الأنصار ، فعرَضَ نفسَه على قبائل العرب ؛ كما كان يصنع فى كلّ موسم ؛ فبينا هو عند العَقَبة إذ لقِىَ رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً .

قال ابن حُمَيد : قال سلمة : قال محمّد بن إسحاق: فحدّثنى عاصم ابن عمر بن قَتادة، عن أشياخ من قومه ، قالوا : لما لقيَهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : مَنْ أنتم ؟ قالوا : نفرٌ من الخزرج ، قال : أمِنْ موالى يهودَ : قالوا: نعم ، قال: أفلا تجلسون حتى أكلّمكم ؟ قالوا: بلَى، قال : فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعَرَض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن .

قال : وكان ممّا صَنع الله لهم به فى الإسلام ، أنّ يهودَ كانوا معهم ١/١٢١٠

(١) ح : « جئنا » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٧

ببلادهم ، وكانوا أهلَ كتاب وعِلْم ، وكانوا أهلَ شرك ، أصحابَ أوثان ، وكانوا قد عزّوهم ببلادهم[١] ، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم : إن نبيًّا الآن مبعوثٌ قد أظلّ زمانه ، نتّبعه ونقتلكم معه قَتْلَ عاد وإرَم . فلما كلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النَّفر ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضُهم لبعض : تعلّمُنّ والله إنّه للنبيّ الذى تُوعِدكم[٢] به يهود ، فلا يَسْبُقُنّكُم[٣] إليه . فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدّقوه ، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا له : إنا قد تركْنا قومَنا ، ولا قوم بينَهم من العداوة والشرّ ما بينهم ؛ وعسى الله أن يجمَعَهُم بك ، وسنقدَم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرضُ عليهم الذى أجبْناك إليه من هذا الدين ؛ فإنْ يجمعهم الله عليه ، فلا رجلَ أعزّ منك . ثم انصرفوا عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم ، وقد آمنوا وصدّقوا .

وهم — فيما ذُكِر لى — ستّة نَفَر من الخزرج : منهم من بنى النّجار — وهم تَيْم الله — ثم من بنى مالك بن النّجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ابن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، أسعَدُ بن زرارة بن عُدَس بن عُبَيْد ابن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النّجار ؛ وهو أبو أمامة ؛ وعَوْف بن الحارث ابن رفاعة بن سَوَاد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النّجار ؛ وهو ابن عفراء[٤]

١٢١١/١ ومن بنى زُرَيْق بن عامر بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم ابن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، رافع بن مالك بن العَجْلان ابن عمرو بن عامر بن زُرَيق[٥] .

ومن بنى سَلِمة بن سَعْد بن علىّ بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جُشَم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ؛ ثم من بنى سواد ،

(١) عزوهم : غلبوهم ، وفى ابن هشام : « غزوهم » .

(٢) ابن هشام : « توعّدكم » .

(٣) ابن هشام : « تسبقنكم » .

(٤) قال ابن هشام : « وعفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار » .

(٥) قال ابن هشام : « يقال : عامر بن الأزرق » .

قُطْبة بن عامر بن حَدِيدة بن عمرو بن سواد بن غَنْم بن كعب بن سلِمة .

ومن بنى حَرَام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة ، عُقْبَة ابن عامر بن نابى بن زيد بن حرام .

ومن بنى عُبَيد بن عدىّ بن غَنْم بن كعب بن سلِمة ، جابرُ بنُ عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عُبيد[1] .

* * *

قال : فلما قَدِمُوا المدينة على قومهم ، ذكروا لهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ودعوْهم إلى الإسلام ؛ حتى فشا فيهم فلم تَبْقَ دارٌ من دُور الأنصار إلاّ وفيها ذكرٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى إذا كان العام المقبل ، وافى الموسمَ من الأنصار اثنا عَشَر رجلا ، فلقُوه بالعَقَبة ، وهى العَقَبة الأولى ، فبايعوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على بَيْعه النساء ؛ وذلك قبل أن يفترض عليهم الحرب ؛ منهم من بنى النّجار أسعد بن زُرارة ١٢١٢/١
ابن عُدَس بن عُبَيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار ؛ وهو أبو أمامة ؛ وعَوْف ومُعاذ ابنا الحارث بن رفاعة بن سَوَاد بن مالك بن غَنْم بن مالك ابن النّجار ؛ وهما ابنا عَفْراء .

ومن بنى زُرَيق بن عامر ، رافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر ابن زُرَيق ، وذكوان[2] بن عبد قيس بن خلْدة بن مخلّد بن عامر بن زُرَيق .

ومن بنى عَوْف بن الخزْرج ، ثم من بنى غَنْم بن عوف — وهم القواقل —[3] عبادة بن الصامت بن قيس بن أصْرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن عَوْف ابن الخزرج ، وأبو عبد الرحمن ؛ وهو يزيد بن ثعلبة بن خَزْمة بن أصْرم ابن عمرو بن عَمّارة ، من بنى غُضَيْنة[4] من بَلِىّ ، حليف لهم .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٧

(٢) قال ابن هشام : « ذكر أنه مهاجرى أنصارى » .

(٣) قال ابن هشام : « وإنما قيل لهم القواقل ؛ لأنهم كانوا إذا استجار بهم الرجل دفعوا له سهماً ، وقالوا له : قوقل بيثرب حيث شئت » .

(٤) فى ابن هشام : « غصينة » .

ومن بنى سالم بن عَوْف بن عمرو بن عوف بن الخزرج عَبّاس بن عُبادة ابن نَضْلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غَنْم بن سالم بن عَوْف .

ومن بنى سَلِمة ، ثم مِن بنى حَرَام ، عُقْبة بن عامر بن نابى بن
١٢١٣/١ زيد بن حَرام بن كعب بن غَنْم بن كَعْب بن سلِمة .

ومن بنى سَواد ، قُطْبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن سواد بن غَنْم بن كعب بن سلِمة .

وشهدها من الأوْس بنُ حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بنى الأشْهل : أبو الهيثم بن التَّيِّهان[١] ؛ اسمه مالك ، حليف لهم .

ومن بنى عمرو بن عوف ، عُوَيم بن ساعدة بن صَلْعجة[٢] ، حليف لهم[٣]

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن مَرْثَد بن عبد الله اليَزَنىّ ، عن أبى عبد الرحمن بن عُسَيلة الصُّنابحىّ ، عن عُبادة بن الصّامت ، قال : كنت فيمَنْ حضَر العَقَبة الأوَلى ؛ وكُنّا اثنى عشر رجلا ، فبايعْنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بَيْعة النساء ؛ وذلك قبل أن تُفْتَرَض الحرب ؛ على ألاّ نشرك بالله شيئًا ، ولا نسرِق ولا نزنِىَ ، ولا نقتلَ أولادنا ، ولا نأتِىَ ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيَه فى معروف ؛ فإنْ وَفيْتُم فلكم الجنّة ، وإن غشِيتم شيئًا من ذلك فأخذتم بحدّه فى الدنيا ؛ فهو كفارة[٤] له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة ؛ فأمْركم إلى الله ؛ إن شاء عذّبكم ، وإن شاء غفر لكم[٥] .

حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدّثنا سلمَة ، عن ابن إسحاق ؛ أنّ ابن شهاب ذكر عن عائذ الله بن عبد الله أبى إدريس الخولانى ، عن عُبادة بن

(١) قال ابن هشام : « التيهان يخفف ويثقل » .
(٢) ح : « صعلجة » .
(٣) ابن هشام ١ : ٢٦٧
(٤) م : « الكفارة » .
(٥) ح : « عفا عنكم » . والخبر فى ابن هشام ١ : ٢٦٨

الصامت ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم مثله .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فلمّا انصرف عنه القومُ بعث معهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُصعب بن ١/١٢١٤
عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار بن قُصَيّ ، وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلّمهم الإسلام ، ويفقّههم فى الدّين ؛ فكان يسمّى مُصعب بالمدينة : المقرئ ، وكان مَنْزِلُه[1] على أسعد بن زرارة بن عُدس أبى أمامة[2] .

* * *

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمّد بن إسحاق ، قال : وحدّثنى عبيد الله بن المغيرة بن مُعَيْقِيب ، وعبد الله بن أبى بكر بن محمّد ابن عمرو بن حزم ، أنّ أسْعدَ بن زرارة خرج بمُصْعَب بن عمير ؛ يريد به دارَ بنى عبْد الأشهل ، ودار بنى ظَفَر ؛ وكان سعد بن مُعاذ بن النّعمان ابن امرئ القيس ، ابن خالة أسعد بن زرارة ، فدخل به حائطًا من حوائط بنى ظَفَر[3] ، على بئر يقال لها بئر مَرْق ؛ فجلسا فى الحائط ، واجتمع إليهما رجالٌ ممّن أسلم ، وسعد بن معاذ وأسَيْد بن حُضَير يومئذ سيّدا قومهما من بنى عبد الأشْهل ؛ وكلاهما مُشرِك على دين قومه ، فلمّا سمعا به ، قال سعد ابن مُعاذ لأسَيْد بن حُضَير : لا أبا لك ! انطلق إلى هذيْن الرجلين اللذيْن قد أتيا دارنا[4] ، ليسفّها ضعفاءنا ، فازجرهما وانهما أن يأتيا دارنا[4] ، فإنه لولا أنّ أسعد بن زرارة منّى حيث قد علمت ، كفيتُك ذلك ؛ هو ابن خالتى ، ولا أجد عليه مقدَما . فأخذ أسَيْد بن حُضير حَرْبَتَه . ثم أقبل إليهما ؛

(١) قال السهيلى : « منزل ، بفتح الزاى ، وكذلك كل ما وقع فى هذا الباب ، من منزل فلان على فلان . فهو بالفتح ؛ لأنه أراد المصدر ؛ ولم يرد المكان ؛ وكذلك قيده الشيخ أبو بحر ، بفتح الزاى » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٩

(٣) قال ابن هشام : «واسم ظفر كعب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس»

(٤) ابن هشام : « دارينا » .

فلما رآه أسعد بن زُرارة قال لمُصْعَب : هذا سيّد قومه قدجاءك، فاصدق الله فيه . قال مُصعَب : إنْ يجلسْ أكلّمه ، قال : فوقف عليهما مُتَشَتِّماً ،
١٢١٥/١ فقال: ما جاء بكما إلينا ، تسفّهان ضعفاءنا ! اعتزلانا[1] إن كانت لكما فى أنفسكما حاجة . فقال له مُصعب : أوَ تجلسُ فتسمع ، فإن رضيتَ أمراً قبلتَه ، وإنْ كرهته كُفَّ عنك ما تكره ؟ قال : أنصفت ؛ ثم ركز حربته ، وجلس إليهما ، فكلّمه مُصعَب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيما يذكر عنهما : والله لَعَرَفْنا فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم، فى إشراقه وتسهّله . ثم قال : ما أحسنَ هذا وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدّين ؟ قالا له: تغتسل ، فتطهّر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحقّ ، ثم تصلّى ركعتين .

قال : فقام فاغتسلَ ، وطهّر ثوبيْه، وشهد شهادة الحقّ ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إنّ ورائى رجلاً ؛ إن اتّبعكما لم يتخلّف عنه أحدٌ من قومه ؛ وسأرسله إليكما الآن ؛ سعد بن معاذ . ثم أخذ حربتَه ، وانصرف إلى سعد وقومه؛ وهم جلُوس فى ناديهم ؛ فلمّا نظر إليه سعد بن مُعاذ مقبلا ، قال : أحلفُ بالله ، لقد جاءكم أسَيْد بن حُضَير بغيْر الوجه الذى ذهب به من عندكم ؛ فلمّا وقف على النّادى ، قال له سعد: ما فعلت ؟ قال : كلّمت الرجليْن، فوالله ما رأيت بهما بأسًا ، وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما أحببت، وقد حُدّثت أن بنى حارثة ، قد خرجوا إلى أسْعَد بن زُرارة ليقتلوه ؛ وذلك أنهم عرفوا أنه ابنُ خالتك ليُخْفِروك[2] ، قال : فقام سعد مُغضَبًا مبادرًا تخوّفًا للذى ذكر له من بنى حارثة . فأخذ الحرْبةَ من يده ، ثم قال : والله ما أراك أغنيْت شيئًا ؛ ثم خرج إليهما؛ فلمّا رآهما سعد مطمئنّين ،
١٢١٦/١ عرف أنّ أسَيْداً إنما أراد أن يسمَع منهما ، فوقف عليهما متشتّما، ثم قال لأسعد بن زرارة : يا أبا أمامة ، لولا ما بينى وبينَك من القرابة ما رمْتَ هذا

(١) ح : « اعتزلا » .

(٢) الإخفار : نقض العهد .

منّى . تغشانا[1] فى دارنا بما نكره ! وقد قال أسعد لمُصعب : أى مُصعب ! جاءك والله سيِّد مَن وراءه منْ قومه ، إن يتبعك لم يخالف عليك منهم اثنان ، فقال له مصعب : أوَ تقعد فتسمع ، فإن رضيتَ أمراً ورغبت فيه قبلتَه ، وإنْ كرهتَه عزلنا عنك ما تكره ؟ قال سعد : أنصفت ؛ ثم ركز الحربة ، فجلس فعرَض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن . قالا : فعرفنا والله فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم به ؛ فى إشراقه وتسهّله .

ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتُمْ أسلمتم ودخلتم فى هذا الدّين ؟ قالا : تغتسِل فتطهّر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحقّ ، ثم تصلّى ركعتين . قال : فقام فاغتسل وطهّر ثوبيه ، وشهِد شهادة الحقّ ، وركع ركعتيْن ، ثم أخذ حربته فأقبل عامِداً إلى نادى قومه ، ومعه أسَيد بن حُضير ؛ فلمّا رآه قومه مقبلاً ، قالوا : نحلف بالله لقد رجع سَعْد إليكم بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ؛ فلمّا وقف عليهم ، قال : يا بنى عبد الأشهل ؛ كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيّدنا وأفضلنا رأيًا ، وأيمنُنا نقيبةً ، قال : فإنّ كلامَ رجالِكم ونسائكم علىّ حرامٌ حتى تؤمنوا بالله ورسوله . قال : فوالله ما أمسى فى دار عَبْدِ الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا مسلمًا أو مسلمة .

ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة ، فأقام عنده يدعُو النّاس إلى الإسلام حتى لم تبقَ دار من دُور الأنصار إلاّ وفيها رجال ونساء مسلمون ١٢١٧/١
إلاّ ما كان من دار بنى أميّة بن زيد وخَطْمَة ووائل وواقف ؛ وتلك أوس الله ؛ وهم من أوْس بن حارثة ؛ وذلك أنه كان فيهم أبو قيْس بن الأسْلَت ؛ وهو صَيْفىّ ، وكان شاعراً لهم ، وقائداً يسمعون منه ، ويطيعونه ، فوقف بهم عن الإسلام ؛ فلم يزل على ذلك[2] حتى هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ؛ ومضى بَدْر وأحُد والخندق .

(١) ح : « تغشانى » .

(٢) ح : « كذلك » .

قال : ثم إنّ مُصعب بن عُمير ، رجع إلى مكّة وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموْسِم مع حُجّاج قومهم من أهلِ الشرك ؛ حتى قدموا مكّة ؛ فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقَبة من أوسط أيام التّشريق حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته ، والنّصر لنبيه صلى الله عليه وسلم وإعزاز الإسلام وأهله[١] ، وإذلال الشرْك وأهله[٢] .

فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثني مَعْبَد بن كعب بن مالك بن أبي كعب بن القيْن ، أخو بني سلِمة ، أنّ أخاه عبد الله بن كَعْب — وكان من أعلم الأنصار — حدّثه أنّ أباه كعب ابن مالك حدّثه — وكان كعب ممّن شهد العقبَة ، وبايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بها ، قال : خرجنا في حُجّاج قومنا ، وقد صلّينا وفقِهنا ، ومعنا البَراءُ ابن مَعْرُور ، سيّدُنا وكبيرنا . فلمّا وُجّهنا[٣] لسفرنا ، وخرجنا من المدينة ، قال البرَاء لنا : والله يا هؤلاء ، إنّ قد رأيتُ رأيًا ، والله ما أدرى أتُوافقونِي عليه أم لا ! قال : فقلنا : وما ذاك؟ قال : قد رأيتُ ألاّ أدعَ هذه البنيّة منّي بظهْر — يعني الكعبة — وأنْ أصلّيَ[٤] إليها . قال : فقلنا : والله ما بلغنا ١٢١٨/١ عن نبيّنا أنه يصلي إلاّ إلى الشّام ، وما نريدُ أن نخالفه . قال : فقال : إنّي لمُصلٍّ إليها ، قال : فقلنا له : لكنّا لا نفعل ، قال : فكنّا إذا حضرت الصّلاة صلّينا إلى الشأم ، وصلى إلى الكعبة ، حتى قدمنا مكة .

قال : وقد عِبْنا عليه ما صَنع ، وأبَى إلاّ الإقامة على ذلك ؛ فلما قدِمْنَا مكّة قال لي : يابنَ أخي ، انطلِقْ بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى أسأله عمّا صنعتُ في سفرى هذا ، فإنّي والله لقدْ وقَع في نفسي منه شيء ؛ لما رأيت من خِلافكم إيّاى فيه .

قال : فخرجْنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — وكنّا لا نعرفه ،

(١) م : « وإعزازاً لأهله » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٠ — ٢٧٣

(٣) وجهنا : توجهنا .

(٤) ر : « نصلى » .

ولم نرَهُ قبل ذلك — فلقينا رجُلاً من أهلِ مكّة، فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تعرفانه ؟ قلنا : لا ، قال : فهل تعرفان العبّاس ابن عبد المطّلب عمّه؟قلنا : نعم — قال: وقد كنا نعرف العبّاس، كان لا يزال يقدُم علينا تاجراً — قال : فإذا دخلتما المسجد فهو الرّجل الجالس مع العباس ابن عبد المطلب ، قال : فدخلنا المسجد ؛ فإذا العبّاس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع العبّاس ؛ فسلّمنا ؛ ثم جلسنا إليه، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للعبّاس : هل تعرفُ هذيْن الرّجُلين يا أبا الفضل ؟ قال : نعم ؛ هذا البَرَاء بن معرور سيّد قومه؛ وهذا كعب بن مالك — قال : فوالله ما أنسى قولَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: الشاعر؟ قال: نعم — قال : فقال له البَراء بن معرور : يا نبيّ الله ؛إنى خرَجتُ فى سفرى هذا ؛ وقد هدانى الله للإسلام ، فرأيت ألاّ أجعل هذه البنيّة منّى بظهْر ، فصلّيت إليها؛ وقد خالفنى أصحابى فى ذلك ؛ حتى وقع فى نفسى من ذلك شىء ؛ فماذا ترى ١٢١٩/١
يا رسول الله ؟ قال : قد كنتَ على قِبْلَةٍ لو صبرت عليها ! فرجع البَراء إلى قِبْلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وصلى معنا إلى الشأم . قال: وأهلُه يزعمون أنه صلىّ إلى الكعبة حتى مات ؛ وليس ذلك كما قالوا ؛ نحن أعلم به منهم .

قال : ثم خرجْنا إلى الحجّ، وواعَدنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العقَبة من أوسط أيام التّشريق .

قال : فلما فرغنا من الحجّ ؛ وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها؛ ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرَام، أبو جابر ،أخبرناه[1] ،وكنّا نكتُم مَنْ معنا من المشركين من قومنا أمرَنا ؛ فكلّمناه، وقلنا له : يا أبا جابر ؛ إنّك سيّد من سادتنا، وشريفٌ من أشرافنا، وإنّا نرغبُ بك عمّا أنت فيه أن تكون حطبًا للنار غداً . ثم دعَوْنَاه إلى الإسلام ؛ وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيّانا العقَبة .

قال : فأسلم ، وشهد معنا العقَبة — وكان نقيبًا — فبتْنا تلك اللّيلة مع قومنا فى رِحالنا حتى إذا مضى ثُلث الليل ، خرجْنا من رِحالنا لميعاد رسول

(١) ابن هشام : أخذناه معنا .

الله صلى الله عليه وسلم ، نتسلل مستخفين تسلُّل القَطا ؛ حتى اجتمعنا في الشِّعب عند العقَبة ؛ ونحن سبعون رجلاً ، ومعهم[١] امرأتان من نسائهم : نُسيبة بنت كعب أمّ عُمارة إحدى نساء بني مازن بن النّجار ، وأسماء بنت عمرو بن عديّ ، إحدى نساء بني سَلِمة ؛ وهي أمّ منيع ؛ فاجتمعنا بالشِّعب
١٢٢٠/١ ننتظر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى جاءنا ومعه عَمُّه العبّاس بن عبد المطّلب وهو يومئذ على دين قومه ؛ إلاّ أنه أحبّ أن يحضُرَ أمرَ ابن أخيه ، ويتوثّق له ؛ فلمّا جلس كان أوّل مَنْ تكلم العباس بن عبد المطلب ، فقال : يا معشرَ الخزرج — وكانت العربُ إنما يسمُّون هذا الحيّ من الأنصار : الخزرج ؛ خزرجها وأوسها — إن محمداً منّا حيث قد علمتم ؛ وقد منعناه من قومنا ممّن هو على مثل رأينا ؛ وهو في عزّ من قومه ومَنَعة في بلده ؛ وإنه قد أبى إلاّ الانقطاعَ إليكم واللّحوق بكم ؛ فإن كنتم تروْن أنّكم وافون له بما دعوتموه إليه ؛ ومانعوه ممّن خالفه ؛ فأنتم وما تحمّلتم[٢] من ذلك ؛ وإن كنتم تروْن أنّكم مُسلِموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم ؛ فمن الآن فدَعُوه ، فإنّه في عزّ ومَنَعةٍ من قومه وبلده .

قال : فقلنا له : قد سمعنا ما قلت ؛ فتكلّمْ يا رسولَ الله ؛ وخذ لنفسك وربّك ما أحببتَ .

قال : فتكلّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغّب في الإسلام ، ثمّ قال : أبايعُكم عَلَى أن تمنعوني ممّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم .

قال : فأخذ البَرَاء بن معرور بيده ، ثم قال : والذي بعثَك بالحقّ ، لنمنعنّك مما نمنَع منه أُزُرَنا[٣] ، فبايعْنا يا رسولَ الله ، فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلْقة[٤] ؛ ورثناها كابراً عن كابر .

(١) ابن هشام : « ومعنا امرأتان من نسائنا » .

(٢) ح : « حملتم » .

(٣) أزرنا ؛ أي نساءنا ؛ والمرأة قد يكنى عنها بالإزار .

(٤) الحلقة ، أي السلاح .

قال : فاعترض القول — والبرَاء يكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلّم — أبو الهيثم بن التَّيِّهان ، حليف بنى عبد الأشهل ، فقال : يا رسولَ الله ؛ إنّ بيننا وبين النّاس حِبالاً وإنّا قاطعوها — يعنى اليهود — فهل عَسِيتَ إن نحنُ فعلْنا ذلك ، ثم أظهرَك الله ، أن ترجعَ إلى قومك ، وتَدَعَنا ! قال : فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، ثم قال : بل الدَّم الدّم ، الهدْم الهدْم[1]! أنتم منّى وأنا منكم ؛ أحارب مَنْ حاربتم وأسالم من سالمتم . ١٢٢١/١

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرجوا إلىّ منكم اثنَىْ عشر نقيبًا ؛ يكونون على قومهم بما فيهم . فأخرجوا اثنى عشر نقيبًا ؛ تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس[2] .

حدّثنا ابن حُمَيد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : قال محمّد بن إسحاق : فحدّثنى عبدُالله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنقباء : أنتمْ على قومكم بما فيهم كفلاء ، ككفالة الحواريّين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومى ، قالوا : نعم .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنا محمّد بن إسحاق ، قال : وحدّثنى عاصم بن عمر بن قَتادة ، أنّ القومَ لمّا اجتمعوا لبيعةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال العباس بن عبادة بن نَضْلة الأنصارىّ ، ثم أخو بنى سالم بن عوف : يا معشرَ الخزرج ، هلْ تدرون علَامَ تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنّكم تبايعونه على حرْب الأحمر والأسود من الناس ؛ فإن كنتم ترونْ أنكم إذا نُهكت أموالكم مصيبة ؛ وأشرافُكم قتلا أسلمتموه ؛ فمن الآن فهو والله خِزْىُ[3] الدّنيا والآخرة إن فعلتم ، وإن كنتم

(١) قال ابن قتيبة : «كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار : دمى دمك ، وهدمى هدمك ؛ أى ما هدمت من الدماء هدمته أنا» .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٣ ، ٢٧٥

(٣) ر : «خزى فى الدنيا» .

تروْن أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، على نهْكة[١] الأموال ، وقتْل الأشراف فخذوه ، فهو والله خيرُ الدّنيا والآخرة . قالوا : فإنّا نأخذه على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف ؛ فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفّينا ؟ قال : الجنّة ، قالوا : ابسُط يدَك ، فبسطَ يده فبايعوه .

١٢٢٢/١

وأما عاصم بن عمر بن قَتادة ، فقال : والله ما قال العبّاس ذلك إلاّ ليشدّ العَقْدَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعناقهم . وأما عبدُ الله بن أبى بكر ، فقال : والله ما قال العبّاس ذلك إلا ليؤخّر القوم تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبىّ بن سَلُول ، فيكون أقوى لأمر القوم . والله أعلم أىّ ذلك كان ؛ فبنو النّجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أوّل مَنْ ضرب على يديه[٢] ، وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهيثم ابن التّيّهان[٣] .

قال ابن حُميد ، قال : سلمة ، قال محمّد : وأما معبَد بن كعب بن مالك فحدّثنى — قال أبو جعفر : وحدّثنى سعيد بن يحيى بن سعيد — قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنا محمّد بن إسحاق ، عن معبد بن كعب ، قال : فحدّثنى فى حديثه عن أخيه عبد الله بن كعْب عن أبيه كعب بن مالك ، قال : كان أوّل مَنْ ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البرَاء بن معرور ؛ ثم تتابع القوم ؛ فلمّا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشّيطان من رأس العَقبة بأنفذ صوت سمعته قطّ : يا أهلَ الجباجب[٤] هل لكم فى مُذمّم والصُّباة[٥] معه ، قد اجتمعوا على حربكم! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يقول عدو الله ؟ هذا أزَبّ العقبة ، هذا ابن أزْيب[٦] ؛ اسمع عدوّ الله ؛ أما والله لأفرُغَنّ

١٢٢٣/١

(١) نهكة الأموال : نقصها ، وفى م : « تهلكة الأموال » .

(٢) ح : « يده » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٧

(٤) قال ابن هشام : « الجباجب : المنازل » .

(٥) المذمم : المذموم غاية الذم . والصباة : جمع صابئ ، بالهمزة ؛ وكان يقال للرجل إذ أسلم زمن النبى عليه السلام : « صابئ » .

(٦) قال ابن هشام : « ويقال : ابن أزيب » ، وأزب العقبة : اسم الشيطان .

لك. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفضوا[١] إلى رحالكم. فقال له العباس ابن عبادة بن نضلة : والذى بعثك بالحق لئن شئت لنميلن غدا على أهل منى بأسيافنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم نؤمر بذلك ؛ ولكن ارجعوا إلى رحالكم ، قال : فرجعنا إلى مضاجعنا ، فنمنا عليها ؛ حتى أصبحنا ؛ فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاءونا فى منازلنا ، فقالوا : يا معشر الخزرج ؛ إنا قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ؛ وإنه والله ما من حى من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم ؛ قال : فانبعث من هناك من مشركى قومنا يحلفون لهم بالله : ما كان من هذا شىء وما علمناه .

قال : وصدقوا لم يعلموا . قال : وبعضنا ينظر إلى بعض ؛ وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى ، وعليه نعلان جديدان[٢] .

قال : فقلت كلمة كأنى أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا : يا أبا جابر ؛ أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلى هذا الفتى من قريش ؟ قال : فسمعها الحارث ، فخلعهما من رجليه ؛ ثم رمى بهما إلى ، وقال : والله لتنتعلنهما . قال : يقول أبو جابر : مه أحفظت[٣] والله الفتى ! فاردد عليه نعليه ، قال : قلت : والله لا أردهما ؛ فأل والله صالح ؛ والله لئن صدق الفأل لأسلبنه . ١ / ١٢٢٤

فهذا حديث كعب بن مالك عن العقبة وما حضر منها[٤] .

* * *

قال أبو جعفر : وقال غير ابن إسحاق : كان مقدم من قدم على النبى صلى الله عليه وسلم للبيعة من الأنصار فى ذى الحجة ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدهم بمكة بقية ذى الحجة من تلك السنة ، والمحرم

(١) ارفضوا : تفرقوا .

(٢) قال السهيلى : « النعل مؤنثة ؛ ولكن لا يقال : جديدة فى الفصيح من الكلام ؛ وإنما يقال : ملحفة جديد ؛ لأنها فى معنى جديدة ، أى مقطوعة » .

(٣) أحفظت : أغضبت .

(٤) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٧ ، ٢٧٨

وصفر ؛ وخرج مهاجراً إلى المدينة فى شهر ربيع الأول ؛ وقدِمها يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلَتْ منه .

وحدّثنى علىّ بن نصر بن على ، وعبد الوارث بن عبد الصّمد بن عبدالوارث — قال علىّ بن نصر : حدّثنا عبد الصّمد بن عبد الوارث ، وقال عبد الوارث : حدّثنى أبى — قال : حدّثنا أبان العطّار ، قال : حدّثنا هشام بن عُروة ، عن عُروة ؛ أنّه قال : لمّا رجع من أرض الحبشة من رَجع منها ممّن كان هاجر[1] إليها قبل هجرة النبىّ صلى الله عليه وسلّم إلى المدينة ، جعل أهلَ الإسلام يزدادون ويكثرون ، وإنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناسٌ كثير ، وفشا بالمدينة الإسلام ؛ فطفِق أهلُ المدينة يأتونَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم بمكّة ، فلمّا رأت ذلك قريش تذامرت على أنْ يفتنوهم ، ويشتدّوا عليهم[2] ، فأخذوهم وحرصوا على أن يفتنوهم ، فأصابهم جَهد شديد ، وكانت الفتنة الآخرة ، وكانت فتنتيْن : فتنة أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة ، حين أمرهم بها ، وأذن لهم فى الخروج إليها ، وفتنة لما رجعوا ورأوْا من يأتيهم من أهل المدينة .

١/١٢٢٥ ثم إنه جاء رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم من المدينة سبعون نقيباً ، رءوس الّذين أسلموا ، فوافوْه بالحجّ فبايعوه بالعقَبة ، وأعطوْه عهودهم[3] ؛ على أنّا منك وأنت منّا ، وعلى أنه منْ جاء من أصحابك أوجئتنا[4] فإنّا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا . فاشتدّت عليهم قريش عند ذلك ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم أصحابه بالخروج إلى المدينة ؛ وهى الفتنة الآخرة التى أخرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلّم أصحابه وخرج ، وهى التى أنزل الله عزّ وجلّ فيها : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾[5] .

(١) م : « مهاجرا » .
(٢) م : « عليه » .
(٣) م : « عهدهم » .
(٤) م : « وجئتنا » .
(٥) سورة الأنفال ٣٩ .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمَة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : وحدّثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم ، أنّهم أتوْا عبد الله بن أبىّ بن سَلُول — يعنى قريشًا — فقالوا مثل ما ذكر كعْب بن مالك من القول لهم ، فقال لهم : إنّ هذا لأمْرٌ جسيم ؛ ما كان قومى ليتفوّتوا [١] علىّ بمثل هذا وما علمته كان . فانصرفوا عنه ، وتفرّق النّاس مِنْ مِنىً ، فتنطّس [٢] القوم الخبر فوجدوه قد كان ، وخرجوا فى طلب القوم ، فأدركوا سعد بن عبادة بالحاجر [٣] ، والمنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة ابن كعب بن الخزرج ؛ وكلاهما كان نقيبًا ؛ فأمّا المنذر فأعجز القوم ، وأمّا سعد فأخذوه ، وربطوا يديه إلى عنقه بِنِسْع [٤] رَحْله ، ثمّ أقبلوا به حتى أدخلوه مكّة ، يضربونه ويجبِذونه بجُمّته [٥] — وكان ذا شَعَر كثير — فقال سعد: ١٢٢٦/١
فوالله إنّى لفى أيديهم ؛ إذ طلع علَىّ نفر من قريش ؛ فيهم رجُلٌ أبيض وَضِيءٌ شَعْشاع [٦] حلو من الرّجال . قال : قلت : إن يكن عند أحدٍ من القوم خيْر فعند هذا ، فلمّا دنا منّى رفع يديه فلطمنى [٧] لطمةً شديدة . قال : قلت فى نفسى : والله ما عندهم بعد هذا [٨] خير . قال : فوالله إنّى لفى أيديهم يسحبونى ؛ إذ أوى [٩] إلىّ رجل منهم ممّن معهم ، فقال : ويحك ! أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهدٌ [١٠] ! قال : قلتُ : بلَى والله ، لقد كنت أجِيرُ [١١] لجبير بن مطعِم بن عدىّ بن نوفل بن عبد مناف تِجَارَهُ ،

(١) يقال : تفوت عليه بكذا ؛ أى فاته به .
(٢) كذا فى ابن هشام ، وتنطس القوم الخبر ؛ أى أكثروا البحث عنه ، وفى ط : « تبطن » .
(٣) ابن هشام : « بأذاخر » .
(٤) النسع : الشراك الذى يشد به الرحل .
(٥) فى ابن هشام : « يجذبويه » . والجمة : مجمع الشعر .
(٦) قال ابن هشام : « الشعشاع : الطويل الحسن » .
(٧) ح ، ر ، ابن هشام : « فلكمنى لكمة » .
(٨) ح : « بعدها » .
(٩) ر : « أمى إلى » .
(١٠) م : « عقد » .
(١١) م : « أجيز » .
(١٢) التجار : جمع تاجر .

وأمنعهم ممّن أراد ظلمهم ببلادى ؛ وللحارث بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف . قال : ويحك ! فاهتف باسم الرجلين ، واذكر ما بينك وبينهما . قال : ففعلت ، وخرج ذلك الرجل إليهما ، فوجدهما فى المسجد عند الكعبة ، فقال لهما : إنّ رجلاً من الخزرج الآن يُضرب بالأبطح ؛ وإنّه ليهتف بكما ، ويذكر أنّ بينه وبينكما جوارا ، قالا : ومَنْ هو ؟ قال : سعد بن عبادة ، قالا : صَدَقَ والله إن كان ليجير تجارنا[1] ، ويمنعهم أن يظلموا ببلده . قال : فجاءا فخلّصا سعداً من أيديهم وانطلق . وكان الذى لكم سعداً سُهَيْل ابن عمرو ، أخو بنى عامر بن لؤى[2] . ١ /١٢٢٧

* * *

قال أبو جعفر : فلما قدموا المدينة ، أظهروا الإسلام بها ، وفى قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من أهل الشِّرْك ؛ منهم عمرو بن الجَمُوح ابن زيد بن حرام بن كعب بن غَنْم بن سلِمة ، وكان ابنه مُعاذ بن عمرو قد شهد العقَبة ، وبايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم فى فتيان منهم ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلّم مَنْ بايع من الأوس والخزرج فى العقَبة الآخرة ؛ وهى بيعة الحرب حين أذن الله عزّ وجلّ فى القتال بشروط غير الشروط فى العقَبة الأولى ، وأمّا الأولى فإنّما كانت على بيعة النساء ؛ على ما ذكرت الخبر به عن عبادة بن الصامت قبل ؛ وكانت بيْعة العقبة الثانية على حَرْب الأحمر والأسود على ما قد ذكرتُ قبل ، عن عروة بن الزبير . وقد حدّثنا ابن حُميد — قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، عن أبيه الوليد ، عن عبادة بن الصامت — وكان أحد النقباء — قال : بايعْنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم على بيعة الحرب ؛ وكان عُبادة من الاثنى عشر الّذين بايعوا فى العقَبة الأولى .

* * *

قال أبو جعفر : فلمّا أذِن الله عزّ وجلّ لرسوله صلى الله عليه وسلّم فى

(١) كذا فى ابن هشام وط ؛ وفى الأصول : « تجارته » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٨ ، ٢٧٩

القتال ، ونزل قوله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ (١) ، وبايعه الأنصار على ما وصفتُ من بيعتِهم ، أمَرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم أصحابه ممّن هو معه بمكّة من المسلمين بالهجرة والخروج إلى المدينة ، واللّحوق بإخوانهم من الأنصار ؛ وقال : إنّ الله عزّ وجلّ قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون فيها فخرجوا أرْسالاً ، وأقام رسولُ الله صلّى الله ١٢٢٨/١
عليه وسلّم بمكة ينتظر أن يأذن له ربُّه بالخروج من مكة ؛ فكان أول من هاجر من المدينة والهجرة إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من قريش ، ثم من بني مخزوم ، أبو سلمَة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، هاجر إلى المدينة قبل بَيْعة أصحاب العقَبة رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم بسنة ، وكان قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلّم بمكّة من أرض الحبشة ، فلما آذتْه قريش ، وبلغه إسلامُ مَنْ أسلم من الأنصار ، خرج إلى المدينة مهاجراً .

ثم كان أوّل مَنْ قدم المدينة من المهاجرين بعد أبي سلمَة ، عامر بن ربيعة ، حليف بني عديّ بن كعب ، معه امرأته ليلى بنت أبي حَثْمَة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عَبيد بن عَوِيج بن عديّ بن كعب . ثم عبد الله ابن جَحْش بن رِئَاب ، وأبو أحمد بن جَحْش — وكان رجلاً ضرير البصر ، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد — ثم تتابع أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلى المدينة أرسالا .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلّم بمكّة بعد أصحابه من المهاجرين ؛ ينتظر أن يُؤذَن له في الهجرة . ولم يتخلّف معه بمكّة أحد المهاجرين إلا أُخِذ فحبس أو فتن إلاّ عليّ بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قُحافة . وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم في الهجرة ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعجلْ ، لعلّ الله أن يجعل لك صاحبًا ، فطمع أبو بكر أن يكونه (٢) ، فلما رأتْ قُرَيش أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ١٢٢٩/١

(١) سورة الأنفال ٣٩ .

(٢) ر : « أن يكون هو صاحبه » .

قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم ، بغير[١] بلدهم ، ورأوْا خروجَ أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً ، وأصابوا منهم مَنَعة ، فحذروا خروجَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم إليهم ، وعرفوا أنّه قد أجمع أن يلحَقَ بهم لحربهم ، فاجتمعوا له فى دار النّدوة ؛ وهى دار قُصَىّ بن كِلاب ، التى كانت قريش لا تقضِى أمراً[٢] إلاّ فيها ، يتشاورون فيها ما يصنعون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلّم حين خافوه[٣] !

فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى عبد الله بن أبى نَجِيح ، عن مجاهد بن جَبْر أبى الحجاج ، عن ابن عبّاس ، قال : وحدّثنى الكلبىّ ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس والحسن بن عُمارة ، عن الحكم بن عُتَيبة ، عن مِقسَم ، عن ابن عبّاس قال : لمّا اجتمعوا لذلك واتّعدُوا أن يدخلوا دار الندوة ، ويتشاوروا فيها فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلّم غَدَوْا فى اليوم الذى اتّعدوا له ؛ وكان ذلك اليوم يسمى الزَّحْمَة ؛ فاعترضَهُم إبليس فى هيئة شيخ جليل ، عليه بتٌّ[٤] له ، فوقف على باب الدار ، فلما رأوْه واقفاً على بابها ، قالوا : مَن الشيخُ ؟ قال : شيخٌ من أهل نَجْد ، سمع بالذى اتّعدتم له ، فحضر معكم ليسْمَعَ
١/١٢٣٠ ما تقولون ، وعسى ألاّ يعدَمكُم منه رأى ونُصحٌ ، قالوا : أجَلْ ، فادخُلْ ، فدخل معهم ، وقد اجتمع فيها أشراف قريش كلّهم ، من كلّ قبيلة ؛ من بنى عبد شمس شَيْبة وعُتْبة ابنا ربيعة وأبو سفيان بن حرب ، ومن بنى نَوْفل ابن عبد مناف طُعَيْمَة بن عدىّ وجبير بن مُطْعِم والحارث بن عامر ابن نوفل . ومن بنى عبد الدار بن قُصَىّ النَّضْر بن الحارث بن كلَدَة . ومن بنى أسَد بن عبد العُزّى أبو البختَرىّ بن هشام وزَمعة بن الأسود بن المطلب ، وحكيم بن حِزام . ومن بنى مخزوم أبو جهل بن هِشام ، ومن بنى سهم نُبيه

(١) م : « من غير بلدهم » .

(٢) م : « الأمر » .

(٣) م : « خافوا » .

(٤) البت : الكساء الغليظ .

ومُنبِّه ابنا الحجاج. ومن بنى جُمَح أميّة بن خلَف؛ ومَنْ كان معهم[١] وغيرهم ممن لا يُعدُّ من قريش .

فقال بعضُهم لبعض : إنّ هذا الرجلَ قد كان أمْره ما قد كان وما قد رأيتم ؛ وإنّا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمَنْ قد اتّبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأيًا؛ قال : فتشاوروا. ثم قال قائلٌ منهم : احبِسُوه فى الحديد ، وأغلقوا عليه بابًا ، ثمّ تربّصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين قبله: زُهَيْراً ، والنّابغة ومَنْ مضى منهم ؛ من هذا الموت حتى يصيبَه منه ما أصابهم .

قال : فقال الشيخُ النجدىّ: لاوالله ، ما هذا لكم برأى؛ والله لو حبستمُوه — كما تقولون — لخرج أمرُه من وراء الباب الذى أغلقتمُوه دونَه إلى أصحابه؛ فلأوشكوا أن يثِبُوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ، ثم يكاثروكم حتى يغلِبوكم على أمركم هذا ؛ ما هذا لكم برأى فانظروا فى غيره .

ثم تشاوروا ، فقال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فنَنفيَه من بلدنا؛ ١٢٣١/١
فإذا خرج عنّا فوالله ما نبالى أين ذهبَ ، ولا حيث وقع ، إذا[٢] غاب عنا وفرغنا منه . فأصلحنا أمرَنا ، وألفتُنا كما كانت .

قال الشيخ النجدىّ : والله ما هذا لكم برأى ؛ ألم تروْا حسنَ حديثه ، وحلاوة منطقه ، وغَلَبته على قلوب الرجال بما يأتى به ! والله لو فعلتُم ذلك ما أمنتُ أن يحلّ على حىّ من العرب ، فيغلب عليهم[٣] بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد . أديروا فيه رأيًا غير هذا !

قال : فقال أبو جهل بن هشام : والله إنّ لى فيه لرأيًا ما أراكم وقعتم عليه بعدُ ! قالوا : وما هو يا أبا الحكَم ؟ قال: أرى أن تأخذوا من كلّ قبيلة

(١) كذا فى ابن هشام، وفى ط : « منهم » .
(٢) كذا فى ابن هشام ، وفى ط : « غاب عنا أذاه » .
(٣) ح : « على قلوبهم » .

فتًى شابًّا جلْداً ، نسيبًا وسيطًا فينا ، ثم نعطِى كلّ فتًى منهم سيفًا صارمًا ثم يعمِدُون إليه ، ثم يضربونه بها ضرْبة رجل واحد فيقتلونه فنستريح ؛ فإنّهم إذا فعلوا ذلك تفرّق دمه فى القبائل كلّها ؛ فلم يقدر بنُو عبد مناف على حَرْب قومهم جميعًا ، ورضُوا منّا بالعقل فعقلناه لهم .

قال : فقال[1] الشيخ النجدىّ : القول ما قال الرجُل ، هذا الرأى لا رأْىَ لكم غيره .

فتفرّق القوم على ذلك وهم مجمِعون له ، فأتى جبريل رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم ، فقال : لا تبتْ هذه الليلة على فراشك الذى كنتَ تبيت عليه !

١٢٣٢/١ قال : فلمّا كان العَتمةُ من اللّيل ، اجتمعوا على بابه فترصّدوه متى ينام ، فيثبون عليه . فلمّا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلّم مكانهم ، قال لعلى بن أبى طالب : نمْ على فراشى ، واتّشحَ[2] ببرْدى الحضرمىّ الأخضر ؛ فنمْ فإنه لا يخلُص إليك شىء تكرهه منهم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام فى بُرده ذلك إذا نام[3] .

قال أبو جعفر : زاد بعضُهم فى هذه القصّة فى هذا الموضع : وقال له : إنْ أتاك ابن أبى قُحافة ، فأخبرْه أنّى توجّهت إلى ثوْر ، فمُرْهُ فليلْحَق بى ، وأرسل إلىّ بطعام ، واستأجرْ لى دليلاً يدلّنى على طريق المدينة ؛ واشتر لى راحلةً . ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ، وأعمى الله أبصارَ الذين كانوا يرصُدونه[4] عنه ، وخرج عليهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم .

فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى يزيد بن زياد ، عن محمّد بن كعب القُرَظىّ ، قال : اجتمعوا له ، وفيهم أبو جهل بن هِشام ، فقال وهم على بابه : إنّ محمّداً

(١) ط : « يقول » ، وما أثبته من ابن هشام .
(٢) ابن هشام « وتسجّ » .
(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٢٩٠ ، ٢٩١
(٤) ح : « يترصدونه » .

يزعُم أنّكم إن تابعتمُوه على أمره كنتم ملوكَ العرب والعجم، ثم بُعثتم بعد موتكم فجعِلت لكم جنان كجنان الأردنّ ، وإن لم تفعلوا كان لكم منه ذبح ، ثم بُعثتم بعد موتكم ؛ فجعِلت لكم نار تحرَقون فيها .

قال : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم، فأخذ حَفنة من تراب ، ثم قال : نعم ، أنا أقول ذلك ، أنت أحدُهم . وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه[1] ، فجعل ينثر ذلك التراب على رءوسهم ؛ وهو يتلو هذه الآيات من ١٢٣٣/١
يس : ﴿يَسٓ * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ إلى قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ ، حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلّم من هؤلاء الآيات ، فلم يبقَ منهم رجل إلاّ وقد وضع على رأسه ترابًا ؛ ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب .

فأتاهم آت ممّن لم يكن معهم ، فقال : ما تنتظرون ها هنا ؟ قالوا : محمّدا ، قال : خيّبكم الله ! قد والله خرَج عليكم محمد ، ثم ما ترك[2] منكم رجلا إلاّ وقد وضع على رأسه ترابًا ، وانطلق لحاجته ؛ أفما ترونَ ما بكم ؟ قال : فوضع كلّ رجل منهم يده على رأسه ، فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يطّلعون[3] ، فيرونَ عليًّا على الفراش[4] متسجّيًا[5] ببُرْد رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فيقولون : والله إنّ هذا لمحمّد نائم ، عليه بُردُه ؛ فلم يبرحُوا كذلك حتى أصبحوا ، فقام عليّ عن[6] الفراش ، فقالوا : والله لقد صَدَقَنَا الذى كان حدّثنا ، فكان ممّا نزل[7] من القرآن فى ذلك اليوم ، وما كانوا أجمعوا[8] له :

(١) ح : « يرون له أثراً » .
(٢) ح : « لم يترك » .
(٣) ر : « يتطلعون » .
(٤) ح : « فى الفراش » .
(٥) ر : « متشحاً » .
(٦) ر : « من الفراش » .
(٧) ح : « أنزل الله » .
(٨) ح : « اجتمعوا » .

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾،(١) وقول الله عز وجل: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ * قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴾(٢)

وقد زعم بعضُهم أنّ أبا بكْر أتى عليًّا فسأله عن نبيّ الله صلى الله عليه
١٢٣٤/١ وسلم فأخبره أنه لحِقَ بالغار من ثوْر، وقال: إن كان لك فيه حاجةٌ فالحقْه، فخرج أبو بكر مسرعًا(٣)، فلحق نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فى الطّريق، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم جَرْسَ أبى بكر فى ظلْمة اللّيل، فحسِبه من المشركين، فأسرع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المشيَ، فانقطع قِبَالُ نعله ففلق إبهامَه حَجَرٌ فكثر دمها، وأسرع السعيَ، فخاف أبو بكر أن يشقّ على رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فرفع صوته، وتكلّم، فعرفه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقام حتى أتاه، فانطلقا ورجْل رسول الله صلى الله عليه وسلم تسْتنّ دمًا؛ حتى انتهى إلى الغار مع الصّبح؛ فدخلاه. وأصبح الرّهط الذين كانوا يرصُدون رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخلوا الدّار، وقام علىّ عليه السّلام عن فراشه، فلما دنوْا منه عرفوه، فقالوا له: أين صاحبُك؟ قال: لا أدرِى، أو رَقيبًا كنت عليه! أمرتموه بالخروج فخرج؛ فانتهروه وضربوه وأخرجوه إلى المسجد، فحبسوه ساعة ثم تركوه، ونجّى الله رسولَه من مكرهم وأنزل عليه فى ذلك: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾.

(١) سورة الأنفال ٣٠.

(٢) سورة الطور ٣٠، ٣١. قال ابن هشام المنون: الموت. وريب المنون: ما يريب ويعرض منها؛ قال أبو ذؤيب الهذلى:

أمِنَ المنُون وريبها تتوجّع والدّهرُ ليسَ بمعتبٍ من يَجْزعُ

والخبر: فى ابن هشام ١: ٢٩٢

(٣) ح: «يمشى مسرعاً».

قال أبو جعفر : وأذِنَ الله عزّ وجلّ لرسوله صلى الله عليه وسلم عندَ ذلك بالهجرة ، فحدّثنا علىّ بن نصر الجهضمىّ ، قال : حدّثنا عبد الصّمد بن عبد الوارث ، وحدّثنا عبد الوارث بن عبدالصّمد بن عبد الوارث ، قال : حدّثنا أبى ، قال : حدّثنا أبان العطّار ، قال : حدّثنا هشام بن عُرْوة ، عن عُرْوة ، قال : لمّا خرج أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وقَبْل[1] ١ / ١٢٣٥
أن يخرج — يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم — وقبل أن تنزل هذه الآية التى أمِرُوا فيها بالقتال ، استأذنه أبو بكر ؛ ولم يكن أمرَه بالخروج مَعَ مَنْ خرج من أصحابه ، حبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له : أنظِرْنى ، فإنّى لا أدرى ؛ لعلّى يُؤذن لى بالخروج . وكان أبو بكر قد اشترى راحلتين يعدّهما للخروج مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ؛ فلمّا استنظره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبره بالذى يرجو من ربّه أن يأذَن له بالخروج ، حَبَسهما وعَلَفهما ، انتظارَ صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أسمنهما ، فلما حبس عليه خروج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال أبو بكر : أتطمع أن يؤذن لك ؟ قال : نعم ؛ فانتظره فمكث بذلك[2] .

فأخبرتنى عائشة ، أنهم بينا هم ظُهْرًا فى بيتهم ، وليس عند أبى بكر إلاّ ابنتاه : عائشة وأسماء ؛ إذا هم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين قام قائم الظّهيرة — وكان لا يخطئه يومًا أن يأتىَ بيتَ أبى بكر أوّل النهار وآخرَه — فلما رأى أبو بكر النبى صلى الله عليه وسلم جاء ظُهْرًا ، قال له : ما جاء بك يا نبىَّ الله إلاّ أمرٌ حدث ؟ فلمّا دخلَ عليهم النبىّ صلى الله عليه وسلم البيت ، قال لأبى بكر : أخْرِج مَنْ عندك ، قال : ليس علينا عَيْن ، إنّما هما ابنتاى ، قال : إنّ الله قد أذِن لى بالخروج إلى المدينة ، فقال أبو بكر: يا رسولَ الله ، الصّحابة ، الصّحابة ! قال : الصحابة . قال أبو بكر: خذ إحدى الرّاحلتين — وهما الرّاحلتان اللتان كان يُعلِفهما أبو بكر ، يُعِدُّهما للخروج ، إذا ١ / ١٢٣٦

(١) م : « قبل » .

(٢) ح : « فمكثا كذلك » .

أذِنَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم — فأعطاه إحدى الرّاحلتين ، فقال : خذها يا رسول الله[١] فارتحلْها ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم . قد أخذتُها بالثمن ، وكان عامر بن فُهَيرة مُولّداً[٢] من مُوَلّدى الأزْد ، كان للطُّفَيْل ابن عبد الله بن سَخْبَرَة[٣] ، وهو أبو الحارث بن الطُّفَيل ، وكان أخا عائشة بنت أبى بكر وعبد الرحمن بن أبى بكر لأمّهما ، فأسلم عامر بن فُهيرة ، وهو مملوك لهم ، فاشتراه أبو بكر فأعتقه ، وكان حَسَنَ الإسلام ، فلمّا خرج النبيّ صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، كان لأبى بكر مَنِيحةٌ[٤] من غَنَم تروحُ على أهله ، فأرسل أبو بكر عامراً فى الغنم إلى ثوْر ، فكان عامر بن فهَيْرة يروح بتلك الغَنَم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغار فى ثَوْر ، وهو الغار الذى سمّاه الله فى القرآن ، فأرسل بظهرهما رجلاً من بنى عبد بن عدىّ ، حليفًا لقريش من بنى سَهْم ، ثم آل العاص بن وائل ؛ وذلك العَدَوىّ يومئذ مشركٌ ، ولكنّهما استأجراه ، وهو هاد بالطّريق . وفى الليالى[٥] التى مكثا[٦] بالغار كان[٧] يأتيهما عبدُ الله بن أبى بكر حين يُمسى بكلّ خبر[٨] بمكّة ، ثم يصبح بمكّة ويريح عامر الغنم كلّ ليلة ، فيحلُبان ، ثم يسرح بُكرَةً فيصبح[٩] فى رُعْيانِ النّاس ، ولا يُفْطَن له ؛ حتى إذا هدأت عنهما الأصوات ، وأتاهما أنْ قد سُكِت عنهما ، جاءهما صاحبهما ببعيريْهما[١٠] ، فانطلقا وانطُلِق معهما بعامر بن فُهَيْرةَ يخدمُهما ويعينهما ، يُردفه أبو بكر ويُعقبه على رَحْله ، ليس معهما أحدٌ إلاّ عامر بن فُهَيْرة ،

(١) ح : بأبى أنت يا رسول الله » .
(٢) ح : « مولوداً » .
(٣) ضبطه صاحب التقريب بفتح فسكون .
(٤) المنيحة : ذات اللبن . وفى الفائق : « منحة » .
(٥) ح : « فى الليالى » .
(٦) ح : « مكثها » .
(٧) م : « وكان » .
(٨) ح ، ر : « خبر » .
(٩) ح : « فأصبح » .
(١٠) ح ، هـ : « ببعيرهما » .

وأخو بنى عدىّ يهديهما الطّريق ، فأجاز بهما فى أسفَل مكة[١] ، ثم مضى ١٢٣٧/١
بهما حتى حاذَى بهما الساحل ، أسفلَ من عُسْفان ، ثم استجاز بهما حتى عارض الطّريق بعد ما جاوز قُدَيْداً ، ثم سلك الخَرّار[٢] ، ثم أجاز على ثَنيّة المَرَة[٣] ، ثم أخذ على طريق يقال لها[٤] المدْلجة بين طريق عَمْق وطريق الرَّوْحاء، حتى توافَوْا[٥] طريق العَرْج ، وسلك ماء يقال له الغابر عن يمين رَكُوبة ؛ حتى يَطْلع على بطن رِئم ، ثم جاء حتى قدِم المدينة على بنى عمرو بن عوف قبل القائلة . فحُدّثت أنه لم يبقَ فيهم إلاّ يومين — وتزعم بنو عمرو بن عوف أنْ قد أقام فيهم أفضلَ من ذلك — فاقتاد راحلتَه فاتّبعتْه حتى دخل فى دُور بنى النجّار ، فأراهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مِرْبداً كان بين ظهرىْ دورهم .

وقد حدّثنا ابن حميد، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى محمّد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمىّ ، قال : حدّثنى عُروة بن الزّبير ، عن عائشة زوْج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قالت : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يخطئه أحدٌ طرفَىِ النهار أن يأتىَ بيت أبى بكر إمّا بُكْرةً ، وإمّا عشيّة ؛ حتى إذا كان اليوم الذى أذن الله فيه لرسوله بالهجرة ، وبالخروج من مكّة من بين ظهرانىْ قومه ، أتانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالهاجِرة، فى ساعة كان لا يأتى فيها . قالت : فلمّا رآه أبو بكر قال : ما جاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ١٢٣٨/١
هذه السّاعة إلا لأمرٍ حدث . قالت : فلمّا دخل تأخّر أبو بكر عن سريره فجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وليس عند أبى بكر إلاّ أنا وأختى

(١) م : « إلى أسفل مكة » .
(٢) م : « الحرار » .
(٣) ثنية المرة ، موضع ذكره ياقوت . وفى ح : « المرأة » .
(٤) د : « له » ؛ والطريق تذكر وتؤنث .
(٥) ط : « ثم يوافق » ، وما أثبته من ح .

أسماء بنت أبى بكر ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : أخْرِجْ عَنّى مَنْ عندك[١] ، قال : يا نبىّ الله، إنّما هما ابنتاىَ ، وماذاك فداك أبى وأمّى! قال : إنّ الله عزّ وجلّ قد أذن لى بالخروج والهجرة ، فقال أبو بكر : الصُّحبة يا رسول الله ، قال : الصّحبة .

قالت: فوالله ما شعرتُ قطّ قبل ذلك اليوم أنّ أحداً يبكى من الفرح؛ حتى رأيت أبا بكر يومئذٍ يبكى من الفرح . ثم قال : يا نبىّ الله ، إنّ هاتيْنِ راحلتاىَ[٢] ، كنت أعددتُهما لهذا . فاستأجرا عبد الله بن أرقد — رجلاً من بنى الدِّيل بن بكْر ، وكانت أمّه امرأةً من بنى سَهْم بن عمرو ، وكان مشركًا — يدلّهما على الطّريق ، ودفعا إليه راحلتيْهما ، فكانتا[٣] عنده يرعاهما[٤] لميعادهما ، ولم يعلم — فيما بلغنى — بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلّم أحدٌ حين خرج إلاّ علىٌّ بن أبى طالب وأبو بكر الصدّيق ، وآل أبى بكر؛ فأمّا علىّ بن أبى طالب فإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم — فيما بلغنى — أخبره بخروجه، وأمَرَه أن يتخلّف بعده بمكّة حتى يؤدّىَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده للنّاس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلّم وليس بمكة أحدٌ عنده شىء يخشىَ عليه إلاّ وضعه عند رسول الله صلى الله عليه
١٢٣٩/١ وسلم ، لِمَا يُعرف من صدقه وأمانته . فلمّا أجمعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم للخروج أتى أبا بكر بن أبى قُحافة ، فخرجا من خَوْخَة لأبى بكر فى ظهر بيته ، ثم عَمَدا إلى غار بثَوْر جبل بأسفل مكة ، فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبى بكر أنْ يسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهارَه ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخَبر ، وأمَر عامرَ بن فُهَيرة مولاه أن يرعَى غنمه نهاره ، ثم يُريحها عليهما إذا أمسى بالغار . وكانت أسماءُ بنت أبى بكر تأتيهما من الطعام[٥] إذا أمستْ بما يصلحهما ، فأقام رسولُ الله

(١) ح : « عندى » .
(٢) ح : « راحلتان » .
(٣) ح ، م : « فكانت » .
(٤) م : « يراعيهما » .
(٥) ر : « بالطعام » .

صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثًا ، ومعه أبو بكر ، وجعلت قريش حين فقدُوه مائة ناقةٍ لمن يردّه عليهم ، فكان عبد الله بن أبى بكر يكون فى قريش ومعهم ، ويستمع ما يأتمرون به ، وما يقولون فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبَر ، وكان عامر بن فُهَيرة مولَى أبى بكر يرعَى فى رُعْيانِ أهلِ مكّة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبى بكر ، فاحتلبا وذبحا ، فإذا غدا عبد الله بن أبى بكر من عندهما إلى مكّة اتّبع عامر بن فهيرة أثرَه بالغنم ، حتى يُعفِّىَ عليه ؛ حتى إذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس ، أتاهما صاحبهُما الذى استأجرا ببعيريهما ، وأتتهما ١/١٢٤٠ أسماء بنت أبى بكر بسفرتهما ، ونسيت أن تجعل لها عِصاما[1] . فلما ارتحلا ذهبت لتعلّق السُّفرة[2] ، فإذا ليس فيها عِصامٌ فحلّت نِطاقها[3] ، فجعلَتْه لها عِصَامًا ، ثم عَلّقتها به — فكان يقال لأسماء بنت أبى بكر : ذات النّطاقين ؛ لذلك — فلما قرّبَ أبو بكر الرّاحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قرّب له أفضلهما ، ثم قال له : اركب فداك أبى وأمّى ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنّ لا أركب بعيراً ليس لى ، قال : فهو لك يا رسولَ الله بأبى أنت وأمّى ! قال : لا ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا ، قال : قد أخذتها بذلك ، قال : هى لك يا رسول الله ، فركبا فانطلقا ، وأردف أبو بكر عامر بن فُهَيرة مولاهُ خَلْفَه يخدمُهما بالطريق[4] .

حدّثنا ابن حُمَيد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : وحدّثت عن أسماء بنت أبى بكر ، قالت : لما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أتانا نفرٌ من قريش ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبى بكر ، فخرجتُ إليهم ، فقالوا : أين أبوك يا ابنة أبى بكر ؟ قلتُ : لا أدرِى والله أين أبى ! قالت : فرفع أبو جهل يدَه —

(١) العصام : ما تعلق به السفرة وغيرها . (٢) السفرة : طعام المسافر .

(٣) قال ابن هشام : «وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول : ذات النطاقين ؛ وتفسيره أنها لما أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها اثنين ، فعلقت السفرة بواحد ، وانتطقت بالآخر» .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢ — ٤

وكان فاحشًا خبيثًا ـ فلطَمَ خدّي لطمة طرح منها قُرْطِي . قالت : ثم انصرفوا ومكثنا ثلاثَ ليال ، لا ندرى أين توجّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ؛ حتى أقبلَ رجل من الجنّ ، من أسفل مكّة يغنّى بأبيات من الشّعر غناء العرب والنّاس يتّبعونه ؛ يسمعون صَوْتَه وما يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة ، وهو يقول :

جَزَى اللهُ رَبُّ النّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ رَفِيقَيْنِ حَلاّ خَيْمَتَىْ أُمِّ مَعْبَدِ (١)

١٢٤١/١ هُمَا نَزَلاها بالهُدَى وَاْهْتَدَوْا بِهِ فأفلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ

لَيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فَتَاتِهِم وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدِ

قالت : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنّ وجهه إلى المدينة ، وكانوا أربعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة ، وعبد الله بن أرقد دليلهما (٢) .

قال أبو جعفر : حدّثنى أحمد بن المقدام العجلىّ ، قال : حدّثنا هشام ابن محمّد بن السّائب الكلبىّ ، قال : حدّثنا عبد الحميد بن أبى عبْس بن محمّد بن أبى عبس بن جبر ، عن أبيه ، قال : سمعتْ قريش قائلاً يقول فى الليل على أبى قُبَيْس :

فإنْ يُسْلِمِ السَّعْدَانِ يُصْبِحْ مُحَمَّدٌ بِمَكَّةَ لا يَخْشَى خِلافَ المُخَالِفِ

١٢٤٢/١ فلمّا أصبحوا قال أبو سفيان : مَنِ السَّعْدان ؟ سَعْدُ بكر ، سَعْدُ تميم ، سعد هُذَيْم ! فلمّا كان فى الليلة الثانية ، سمعوه يقول :

أيَاسَعْدُ سَعْدَ الأَوْسِ كُنْ أَنْتَ نَاصِرًا وَيا سَعْدُ سَعْدَ الْخَزْرَجَيْنِ الْغَطَارِفِ

أجيبا إلى دَاعِي الْهُدَى وتَمَنَّيَا عَلَى اللهِ فى الفِرْدَوْسِ مُنْيَةَ عَارِفِ

فَإِنَّ ثَوَابَ اللهِ للطَّالِبِ الْهُدَى جِنَانٌ مِنَ الفِرْدَوْسِ ذات رَفَارِفِ

(١) قال ابن هشام : أم معبد بنت كعب ، من خزاعة .

(٢) الخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٤ ، ٥

فلما أصبحوا ، قال أبو سفيان : هو والله سعد بن مُعاذ وسعد بن عبادة .

* * *

قال أبو جعفر : وقدِم دليلهُما بهما قُباءَ ، على بنى عمرو بن عوف ، لثِنْتَىْ عشْرة ليلةً خلَتْ من شهر ربيع الأول ، يوم الاثنين حين اشتد الضُّحى ، وكادت الشمس أن تعتدل .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى محمّد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة بن الزّبير ، عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة ، قال : حدّثنى رجال قومى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، قالوا : لما سمِعْنَا بمخرج رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم من مكة ، وتوكّفنا قدومه[1] ، كنّا نخرج إذا صلّينا الصبح إلى ظاهِرِ حرَّتنا ، ننتظرُ[2] رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم ؛ فوالله ما نَبْرَح حتى تغلبَنا الشمس على الظلال[3] ؛ فإذا لم نجد ظِلاًّ دخلنا بيوتنا ، وذلك ١٢٤٣/١
فى أيام حارّة ؛ حتى إذا كان فى اليوم الذى قَدِم فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جلسنا كما كنّا نجلس ؛ حتى إذا لم يبق ظِلٌّ دخلنا بيوتنا . وقدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت ، فكان أوّل مَنْ رآه رجلٌ من اليهود ، وقد رأى ما كنّا نصنع ، وإنّا[4] كُنّا ننتظر قدومَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فصرخ بأعلى صوته : يا بنى قَيْلة[5] هذا جَدُّكم قد جاء .

قال : فخرجنا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم ، وهو فى ظلِّ نخلة ، ومعه أبو بكر فى مثل سِنِّه وأكثرُنا مَنْ لم يكن رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك ، قال : وركبه الناس[6] ، وما نعرفه من أبى بكر ؛ حتى زال

(١) توكفنا قدومه : انتظرناه .
(٢) ر : « فننظر » .
(٣) ح : « القلال » .
(٤) ح : « وما » ، ر : « وإنما » .
(٥) بنو قيلة ؛ هم الأنصار ؛ وقيلة : اسم جدة كانت لهم .
(٦) ركبه الناس ، أى ازدحموا عليه .

الظلّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام أبو بكر ، فأظلّه بردائه ، فعرفناه عند ذلك، فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم — فيما يذكرون — على كُلْثوم بن هِدْم، أخي بني عمرو بن عَوْف ، ثم أحد بني عُبيد ، ويقال: بل نزل على سعد بن خَيْثَمة .

ويقول مَنْ يذكُر أنه نزل على كُلثوم بن هدم: إنّما كانَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم إذا خرج من منزل كُلثوم بن هِدْم ، جلس للناس في بيت سَعْد بن خيثمة ؛ وذلك أنه كان عَزَبًا لا أهلَ له ، وكان منازلُ العزّاب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم من المهاجرين عنده ؛ فمن هنالك يقال : نزل على سعد بن خيثمة ، وكان يقال لبيت سعد بن خيثمة : بيت العزّاب ، فالله أعلم أيّ ذلك كان ، كلاّ قد سمعنا .

١٢٤٤/١ ونزل أبو بكر بن أبي قُحافة على خُبَيب بن أسَاف ، أخي بني الحارث ابن الخزرج بالسُّنْح ، ويقول قائل : كان منزلهُ على خارجة بن زيد بن أبي زُهَير ، أخي بني الحارث بن الخزرج .

وأقام عليّ بن أبي طالب رضيَ الله عنه بمكّة ثلاث ليالٍ وأيّامها ؛ حتّى أدّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم الودائعَ التي كانت عنده إلى النّاس ؛ حتّى إذا فرغ منها لحق برسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فنزل معه على كُلْثوم ابن هِدْم، فكان عليّ يقول: وإنّما كانت إقامته بقُباء على امرأة لا زوْجَ لها مسلمة، ليلةً أو ليلتين ، وكان يقول : كنتُ نزلت بقُباء على امرأة لا زوْج لها مسلمة ، فرأيتُ إنسانًا يأتيها في جَوْف الليل ، فيضرب عليها بابها ، فتخرج إليه فيعطيها شيئًا معه ، قال : فاستربْتُ لشأنه ، فقلت لها : يا أمَة الله ، مَنْ هذا الرجل الذي يضرب عليك بابَك كلّ ليلة فتخرجين إليه ، فيعطيك شيئًا ، ما أدري ما هو ؟ وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك ! قالت : هذا سَهْل بن حُنَيف بن واهب ، قد عرف أنّي امرأة لا أحدَ لي ؛ فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسّرها ، ثم[1] جاءني بها ، وقال : احتطبي بهذا . فكان عليّ بن

(١) د : « حتى » .

أبي طالب يأثر ذلك مِن أمر سهل بن حُنَيف حين هلك عنده بالعراق[١] .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثني محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثني هذا الحديث عليّ بن هند بن سعد بن سهل بن حُنَيف ، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقُباء في بني عمرو بن عوف يوم ١٢٤٥/١
الاثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ، ويوم الخميس ؛ وأسّس مسجدهم ؛ ثم أخرجه الله عزّ وجلّ من بين أظهرهم يوم الجمعة ؛ وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنّه مكث فيهم أكثرَ من ذلك . والله أعلم .

ويقول بعضهم : إنّ مقامه بقُباء كان بضعة عشر يومًا .

* * *

قال أبو جعفر : واختلف السَّلفُ من أهلِ العلم في مدّة مقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بمكّة بعد[٢] ما استنبئ ، فقال بعضهم : كانت مدّة مقامه بها إلى أن هاجر إلى المدينة عشر سنين .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا يحيى بن محمّد بن قيس المدنيّ — يقال له أبو زُكَيْر — قال : سمعتُ ربيعة بن أبي عبد الرحمن يذكر عن أنس ابن مالك ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم بُعِثَ على رأس أربعين ، فأقام بمكّة عشراً .

حدّثني الحسين بن نصر الآمُليّ ، قال : حدّثنا عبيد[٣] الله بن موسى ، عن شَيْبان ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلَمَة بن عبد الرحمن ؛ قال : أخبرتْني عائشة وابنُ عبّاس أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٠ ، ١١

(٢) ح : « يوم » .

(٣) ر : « عبد » .

لبث بمكة عشر سنين ، ينزل[١] عليه القرآن .

حدّثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا عبد الوهاب ، قال : حدّثنا يحيى
١٢٤٦/١ ابن سعيد ، قال : سمعتُ سعيد بن المسيّب ، يقول : أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلّم القرآن وهو ابن ثلاث وأربعين ، فأقام بمكّة عشراً .

حدّثني أحمد بن ثابت الرّازيّ ، قال : حدّثنا أحمد ، قال : حدّثنا يحيى بن سعيد ، عن هِشام ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس ، قال : أنزل على النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، فمكث بمكّة عشراً .

حدّثني محمّد بن إسماعيل ، قال : حدّثنا عمرو بن عثمان الحمصيّ ، قال : حدّثنا أبي ، قال : حدّثنا محمد بن مسلم الطائفيّ ، عن عمرو بن دينار ، قال : هاجرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم على رأس عَشْرٍ من مُخْرَجه .

* * *

قال أبو جعفر : وقال آخرون : بل أقام بعد ما استنبئ بمكّة ثلاث عشرة سنـــة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا حجّاج بن المنهال ، قال : حدّثنا حمّاد — يعني ابن سلمة — ، عن أبي جَمْرة ، عن ابن عبّاس ، قال : أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم بمكّة ثلاث عشرة سنة يوحَى إليه .

حدّثني محمّد بن خلف ، قال : حدّثنا آدم ، قال : حدّثنا حمّاد ابن سلَمة ، قال : حدّثنا أبو جَمْرَةَ الضُّبَعيّ ، عن ابن عباس ، قال : بُعِثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم لأربعين سنة[٢] ، وأقام بمكّة ثلاث عشرة سنة .

(١) ر : « ونزل » .

(٢) م : « لأربعين سنة بمكة » .

حدّثنى محمّد بن معمَر ، قال : حدّثنا رَوْح ، قال : حدّثنا زكرياء ابن إسحاق ، قال : حدّثنا عمرو بن دينار ، عن ابن عبّاس ، قال : مكَث رسول الله صلى الله عليه وسلّم بمكّة ثلاث عشرة سنة .

حدّثنى عبيد[1] بن محمد الورّاق ، قال : حدّثنا رَوْح ، قال : حدّثنا هشام ، قال : حدّثنا عِكْرِمة ، عن ابن عبّاس ، قال : بُعِث النبىّ صلى الله ١٢٤٧/١
عليه وسلم لأربعين سنة ، فمكث بمكّة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ، ثم أمر[2] بالهجرة .

* * *

قال أبو جعفر : وقد وافق قولُ مَنْ قال : بُعِث رسول الله صلى الله عليه وسلّم لأربعين سنة ، وأقام بمكّة ثلاث عشرة سنة قول أبى قيس صِرْمة بن أبى أنَس ، أخى بنى عدىّ بن النّجار ، فى قصيدته التى يقول فيها ، وهو يصف كرامة الله إيّاهم بما أكرمهم به من الإسلام ، ونزول نبىّ الله صلى الله عليه وسلّم ، عليهم :

ثَوَى فى قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً ... يذَكِّرُ لو يَلْقى صَدِيقاً مواتِيَا[3] !
ويَعْرِضُ فى أَهْلِ المَوَاسِمِ نَفْسَهُ ... فَلَمْ يَرَ مَنْ يُؤْوِى ، ولَمْ يَرَ داعِيا
فلمَّا أتانا أظْهَرَ اللهُ دِينَهُ ... فأصْبَحَ مَسْرُورًا بَطَيْبَةَ رَاضِيَا
وأَلْفَى صَدِيقاً وأَطْمَأَنَّتْ به النّوَى ... وكان له عَوْناً مِنَ اللهِ باديا
يَقُصُّ لنا ما قال نُوحٌ لقَوْمِهِ ... وما قال مُوسَى إذْ أجابَ المُنادِيا
وأَصْبَحَ لَا يَخْشَى مِنَ النَّاس واحدا ... قريباً ، ولا يَخْشَى من النَّاسِ نائيا ١٢٤٨/١
بَذَلْنا له الأَمْوالَ منْ جُلِّ مَالنا ... وأنفُسنا عند الْوَغَى والتَّآسِيا[4]

(١) ر : « عبيد الله » .
(٢) ح ، م : « أمره » .
(٣) الأبيات فى الاستيعاب ٣٢٣ .
(٤) بعده فى الاستيعاب :

نُعادِى الَّذى عادَى من النّاس كُلِّهِمْ ... جَمِيعاً وإنْ كَانَ الحَبِيب المواتِيَا

ونعلَمُ أن اللهَ لا شيءَ غيره ونعلَمُ أنَّ اللهَ أفضَلُ هاديا

فأخبر أبو القيس فى قصيدته هذه أن مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قومه قريش كان بعد ما استنبئ وصَدَع بالوحى من الله بضع عشرة حجّة .

* * *

وقال بعضهم كان مقامه بمكة خمس عشرة سنة :

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنى بذلك الحارث ، عن ابن سعد ، عن محمّد بن عمر ، عن إبراهيم بن إسماعيل ، عن داود بن الحصين ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس ؛ واستشهد بهذا البيت من قول أبى قيس صِرمة بن أبى أنس ، غير أنه أنشد ذلك :

ثَوَى فى قُرَيشٍ خَمْسَ عَشْرَةَ حِجَّةً يُذَكِّرُ لو يَلْقَى صَدِيقاً مُوَاتِيَا[1] !

* * *

١٢٤٩/١ قال أبو جعفر : وقد روى عن الشعبىّ أنّ إسرافيل قُرن برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحَى إليه ثلاث سنين .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر الواقدىّ ، قال : حدّثنا الثورىّ ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشعبىّ — قال : وحدّثنا إملاءً من لفظه منصورٌ عن الأشعث ، عن الشعبىّ — قال : قُرن إسرافيل بنبوّة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين ، يسمع حسّه ، ولا يرى شخصه . ثم كان بعد ذلك جبريلُ عليه السلام . قال الواقدىّ : فذكرتُ ذلك لمحمّد بن صالح بن دينار ، فقال : والله يابن أخى لقد سمعت عبدَ الله بن أبى بكر بن حَزْم ، وعاصمَ بن عمر بن قتادة يحدّثان [2] فى

(١) م : « مواليا » .

(٢) ح : « يتحدثان » .

المسجد ورجل عراقيّ يقول لهما هذا ، فأنكراه جميعًا وقالا : ما سمعنا ولا علمنا إلاّ أنّ جبريل هو الذى قُرن به ، وكان يأتيه بالوحى من يوم نُبِّئَ إلى أن توفّى صلى الله عليه وسلم[1] .

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا ابنُ أبى عديّ ، عن داود ، عن عامر ، قال : أنزلتْ عليه النبوّة وهو ابن أربعين سنة ، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلّمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل القرآن على لسانه ، فلمّا مضت ثلاث سنين قرن بنبوّته جبريل عليه السلام ، فنزل القرآن على لسانه عشر سنين بمكّة وعشر سنين بالمدينة .

قال أبو جعفر : فلعلّ الذين قالوا : كان مقامُه بمكّة بعد الوحى عشراً عدّوا مقامَه بها من حين أتاه جبريل بالوحْيِ من الله عزّ وجلّ ، وأظهر الدعاء إلى توحيد الله . وعدّ الذين قالوا: كان مُقامه ثلاث عشرة سنة من أوّل الوقت الذى استنبئ فيه ؛ وكان إسرافيل المقرون به وهى السنون الثلاث ١٢٥٠/١
التى لم يكن أُمِرَ فيها بإظهار الدعوة .

وقد روى عن قَتادة غيرُ القولين اللّذين ذكرت ؛ وذلك ما حدّثت عن رَوح بن عبادة ، قال : حدّثنا سعيد ، عن قَتادة ، قال : نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانىَ سنين بمكّة وعشراً بعد ما هاجر ، وكان الحسن يقول : عشراً بمكة وعشراً بالمدينة .

(١) طبقات ابن سعد ١ : ١٩١ .

ذكر الوقت الذى عمل فيه التأريخ

قال أبو جعفر : ولما قدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أمر بالتأريخ فيما قيل . حدّثنى زكرياء بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : حدّثنا أبو عاصم ، عن ابن جُرَيج ، عن أبى سلمة ، عن ابن شهاب ، أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة — وقد مها فى شهر ربيع الأول — أمر بالتأريخ .

* * *

قال أبو جعفر : فذكر أنّهم كانوا يؤرّخون بالشهْر والشهرين من مَقْدَمه إلى أن تمت السنة ، وقد قيل إنّ أول مَنْ أمر بالتأريخ فى الإسلام عمر بن الخطاب ، رحمه الله .

* ذكر الأخبار الواردة بذلك :

حدّثنى محمد بن إسماعيل ، قال : حدّثنا أبو نعيم ، قال : حدّثنا حَبّان ابن علىّ العَنَزِىّ ، عن مُجالد ، عن الشعبىّ ، قال : كتب أبو موسى الأشعرىّ إلى عمر : إنّه تأتينا منك كتب ليس لها تأريخ . قال : فجمع عمر النّاس للمشورة ، فقال بعضُهم : أرّخْ لمبعثِ رسول الله صلى الله عليه وسلّم . وقال ١٢٥١/ بعضهم : لمهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فقال عمر : لا بل نؤرّخ لمهاجَر رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم ، فإنّ مهاجَرَه فرّق بين الحقّ والباطل .

حدّثنى محمّد بن إسماعيل ، قال : حدّثنا قُتيبة بن سعيد ، قال : حدّثنا خالد بن حيّان أبو يزيد الخرّاز ، عن فُرات بن سَلْمان ، عن ميمون بن مهْران ، قال : رفِعَ إلى عمر صَكٌّ محلّه فى شعبان ، فقال عمر : أىّ شعبان؟ الذى هو آت ، أو الذى نحن فيه ؟ قال : ثم قال لأصحاب رسولِ الله صلى الله

عليه وسلم : ضعوا للنّاس شيئًا يعرفونه ، فقال : بعضُهم : اكتبُوا على تأريخ الرّوم ، فقيل : إنهم يكتبُون من عَهْدِ ذى القرنين ؛ فهذا يطول . وقال بعضهم : اكتبوا على تأريخ الفرْس ؛ فقيل : إنّ الفرْس كلّما قام ملك طرح مَنْ كان قبله ؛ فاجتمع[1] رأيُهُم على أن ينظروا : كَم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ؟ فوجدوه عشر سنين ؛ فكتب التأريخ من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدّثت عن أميّة بن خالد وأبى داود الطّيالسىّ ، عن قرّة بن خالد السَّدوسىّ ، عن محمّد بن سيرين ، قال : قام رجلٌ إلى عمرَ بن الخطاب فقال : أرّخوا ، فقال عُمر : ما «أرّخوا» ؟ قال : شىء تفعله الأعاجم ، يكتبون فى شَهر كذا من سنة كذا ، فقال عمر بن الخطاب : حَسَنٌ ، فأرّخوا . فقالوا : من أىّ السنين نبدأ ؟ قالوا : من مبعثه ، وقالوا : من وفاته ؛ ثم أجمعوا[2] على الهجرة . ثم قالوا : فأىّ الشهور نبدأ ؟ فقالوا : رمضان ، ثم قالوا : المحرّم ، ١٢٥٢/١
فهو منصَرَف الناس من حَجّهم ؛ وهو شهر حرام ، فأجمعوا[3] على المحرَّم .

حدّثنى محمّد بن إسماعيل ، قال : حدّثنى سعيد بن أبى مريم . وحدّثنى عبد الرّحمن بن عبد الله بن عبد الحكَم ، قال : حدّثنا أبى ، قالا جميعًا : حدّثنا عبد العزيز بن أبى حازم ، قال : حدّثنى أبو حازم ، عن سَهْل ابن سعد ، قال : ما أصاب الناس العدَد ؛ ما عدُّوا من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من وفاته ، ولا عدُّوا إلاّ من مقدَمه المدينة .

حدّثنى محمد بن إسماعيل ، قال : حدّثنا سعيد بن أبى مريم ، قال : حدّثنا يعقوب بن إسحاق ، قال : حدّثنى محمّد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن عبد الله بن عبّاس ، قال : كان التأريخ فى السّنة التى قدِم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وفيها وُلد عبدُ الله بن الزّبير .

(١) م : « فأجمع » .
(٢) م : « اجتمعوا » .
(٣) م : « فاجتمعوا » .

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكَم ، قال : حدّثنا يعقوب ابن إسحاق بن أبى عبّاد ؛ قال : حدّثنا محمد بن مسلم الطائفىّ ، عن عمرو ابن دينار ، عن ابن عبّاس ، قال : كان التأريخ فى السنَةِ التى قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيها ، فذكر مثله .

حدّثنى محمّد بن إسماعيل ، قال : حدّثنا قتيبة بن سعيد ، قال : حدّثنا نوح بن قيس الطَّاحىّ ، عن عثمان بن مِحْصن ، أنّ ابنُ عباس كان يقول فى : ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ ، قال : الفجر هو المحرّم ، فجْر السنة .

حدّثنى محمد بن إسماعيل ، قال : حدّثنا أبو نُعَيْم الفضل بن دُكَين ، قال : حدّثنا يونس بن أبى إسحاق ، عن أبى إسحاق ؛ عن الأسود بن يزيد ، عن عُبيد بن عمير ، قال : إنّ المحرّم شهرُ الله عزّ وجلّ ، وهو رأس السَّنة ، فيه يكسَى البيت ، ويؤرّخ[1] التأريخ ، ويضرب فيه الورِق ، وفيه يوم كان تاب فيه قوم ، فتاب الله عزّ وجلّ عليهم . ١٢٥٣/١

حدّثنى أحمد بن ثابت الرازىّ ، قال : حدّثنا أحمد[2] ، قال : حدّثنا رَوْح بن عبادة ، قال : حدّثنا زكرياء بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، أنّ أوّل مَنْ أرّخ الكُتُب يعلى بن أميَّة ، وهو باليمن ، وأنّ النبى صلى الله عليه وسلم قدِم المدينة فى شهر ربيع الأول ، وأنّ النَّاس أرّخوا لأوّل السّنة ؛ وإنما أرّخ النَّاس لمقدَم النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وقال علىّ بن مجاهد ، عن محمّد بن إسحاق ، عن الزهرىّ . وعن محمّد ابن صالح ، عن الشعبىّ ، قالا[3] : أرّخ بنو إسماعيل من نار إبراهيم عليه السّلام إلى بنيان البيت ، حين بناه إبراهم وإسماعيل ، ثم أرّخ بنو إسماعيل من بُنيان البيت ؛ حتى[4] تفرّقت ، فكان كلّما خرج قوم من تِهامة أرّخوا

(١) ح : « وتؤرخ التواريخ » .
(٢) هو أحمد بن حنبل .
(٣) ح : « قال » .
(٤) د : « حين » .

بمخرجهم[١] ، ومَنْ بقى بتِهامة من بنى إسماعيل يؤرّخون من خروج سعد ونَهْد وجُهَينة ، بنى زيد ، من تِهامة ؛ حتى مات كعب بن لؤىّ ، فأرّخوا من موت كعب بن لؤىّ إلى الفيل ؛ فكان التأريخ من الفيل ، حتى أرّخ عمر ابنُ الخطّاب من الهجرة ؛ وذلك سنة سبع عشرة أو ثمانىَ عشرة .

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكَم ، قال : حدّثنا نعيم بن حمّاد ، قال : حدّثنا الدراوردىّ ، عن عثمان بن عبيد الله بن أبى رافع ، قال : سمعتُ سعيد بن المسيّب ، يقول : جمع عمرُ بن الخطّاب النّاس ، فسألهم ، فقال : من أىّ يوم نكتب ؟ فقال علىّ عليه السّلام : من يوم هاجَر رسول ١١٥٤/١
الله صلى الله عليه وسلّم ، وترك أرض[٢] الشِّرْك ، ففعله عمر رضى الله عنه .

قال أبو جعفر : وهذا الذى رَوَاه علىّ بن مجاهد ، عمّن رواه عنه فى تأريخ بنى إسماعيل غيرُ بعيد من الحق ؛ وذلك أنّهم لم يكونوا يؤرّخون على أمر معروف يعمل به عامّتهم ، وإنّما كان المؤرّخ منهم يؤرّخ بزمان قُحْمة[٣] كانت فى ناحية من نواحى بلادهم ، ولَزْبَةٍ أصابتهم ؛ أو بالعامل كان يكون عليهم ، أو الأمر الحادث فيهم ينتشر خبره عندهم ؛ يدلّ على ذلك اختلافُ شعرائهم فى تأريخاتهم ؛ ولو كان لهم تأريخ على أمرٍ معروف ، وأصلٍ معمول عليه ، لم يختلف ذلك منهم .

ومن ذلك قول الربيع بن ضبُع الفَزارِىّ :

هأَنَذَا آمُلُ الْخُلُودَ وقَدْ أدْرَكَ عَقْلِى ومَوْلِدِى حُجُرَا
أبا امْرِئِ الْقَيْسِ هَلْ سمِعْتَ بِهِ هَيْهاتَ هَيْهاتَ طالَ ذَا عُمُرَا !

فأرّخ عمْرَهُ بحجْر بن عمرو أبى امرئ القيس .

وقال نابغة بنى جَعْدة :

(١) ر ، م : « مخرجهم » .

(٢) ر : « أهل » .

(٣) القحمة ، بالضم : القحط الشديد ؛ وكذلك اللزبة .

فَمَنْ يَكُ سَائِلاً عَنِّى فَإِنِّى مِنَ الشُّبَّانِ أَزْمانَ الْخُنَانِ[1]

فجعل النّابغة تأريخَه ما أرّخ بزمان علّة كانت فيهم عامّة .

وقال آخر :

وَمَا هِىَ إِلَّا فِى إِزارٍ وعِلْقَةٍ مَغارَ ابْنِ هَمَّامٍ على حَىّ خَثْعَمَا[2]

١٢٥٥/١ فكلّ واحد من هؤلاء الذين ذكرت تأريخهم فى هذه الأبيات ، أرّخَ على قرْب زمان بعضهم من بعض ، وقرْب وقت ما أرّخ به من وقت الآخر ؛ بغير المعنى الذى أرّخ بِهِ الآخر ؛ ولو كان لهم تأريخ معروف كما للمسلمين اليوم ولسائر الأمم غيرها ، كانوا إن شاء الله لا يتعدّونه ؛ ولكنّ الأمر فى ذلك كان عندهم إنْ شاء الله على ما ذكرت ؛ فأمّا قريش من بين العرب ؛ فإنّ آخر ما حصلْتُ من تأريخها قبل هجرة النبىّ صلى الله عليه وسلم من مكّة إلى المدينة على التأريخ بعام الفيل ؛ وذلك عام وُلد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان بين عام الفيل والفجار عشرون سنة ، وبين الفجار وبناء الكعبة خمس عشرة سنة ، وبين بناء الكعبة ومبعث النبىّ صلى الله عليه وسلّم خمس سنين .

* * *

قال أبو جعفر : وبُعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة ، وقُرن بنبوّته — كما قال الشعبىُّ — ثلاث سنين : إسرافيلُ ؛ وذلك قبل أن يؤمر بالدعاء وإظهاره على ما قدّمنا الرواية والإخبار به ، ثم قُرن بنبوّته جبريلُ عليه السلام بعد السنين الثلاث ، وأمرَه بإظهار الدعوة إلى الله ، فأظهرَها ، ودعا إلى الله مقيمًا بمكّة عشر سنين ، ثم هاجر إلى المدينة فى شهر ربيع الأوّل من سنة أربع عشرة من حين استنبئ ، وكان خروجه من مكّة إليها يوم الاثنين ، وقدومه المدينة يوم الاثنين ؛ لمضىّ اثنتى عشرة ليلة من شهر ربيع الأول .

(١) فى اللسان : « وزمن الخنان زمن ماتت فيه الإبل » ، وأورد البيت .

(٢) البيت فى اللسان (علق) من غير نسبة .

حدّثنى إبراهيم بن سعيد الجوهرى ، قال : حدّثنا موسى بن داود ، عن ابن لهيعة ، عن خالد بن أبى عمران ، عن حنش الصنعانىّ ، عن ابن عبّاس ، قال : ولِد النبىّ صلى الله عليه وسلم يومَ الاثنين ، واستُنبئ يوم الاثنين ، ورفع الحجَر يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكّة إلى المدينة يوم الاثنين ، ١٢٥٦/١
وقدم المدينة يوم الاثنين ، وقبِض يوم الاثنين .

حدّثنا ابن حُمَيد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرىّ ، قال : قدِم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة يوم الاثنين ، لاثنتى عشرة ليلة خلتْ من شهر ربيع الأول .

* * *

قال أبو جعفر : فإذا كان الأمرُ فى تأريخ المسلمين كالذى وصفت ، فإنّه وإن كان من الهجرة ، فإنّ ابتداءهم إياه قبل مقدَم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم المدينة بشهرين وأيام ؛ هى اثنا عشر ؛ وذلك أنّ أوّل السّنة المحرّم ، وكان قدومُ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم المدينة ، بعد مُضِىّ ما ذكرت من السنة ، ولم يؤرّخ التأريخ من وقت قدومه ؛ بل من أول تلك السنة .

ذكر ما كان
من الأمور المذكورة فى أول سنة من الهجرة

قال أبو جعفر : قد مضَى ذكرُنا وقْت مقدَم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم المدينة ، وموضعه الذى نزل فيه حين قدمها ، وعلى مَنْ كان نزوله ، وقَدْر مُكْثه فى الموضع الذى نزله[1] ، وخبر ارتحاله عنه . ونذكر الآن ما لم نذكُر قبلُ ممّا كان من الأمور المذكورة فى بقيّة سنة قدومه ؛ وهى السَّنة الأولى من الهجرة.

فمن ذلك تجميعُه صلّى الله عليه وسلّم بأصحابه الجمُعة ، فى اليوم الذى ارتحل فيه من قُبَاء ؛ وذلك أنّ ارتحاله عنها كان يوم الجمعة عامداً[2] المدينة ، فأدركتْه الصّلاة ، صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف ، ببطن واد لهم — قد اتُّخذ[3] اليوم فى ذلك الموضع مسجداً — فيما بلغنى — وكانت هذه الجمعة ، أوّلَ جمعة جمّعها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى الإسلام ، فخطب فى هذه الجمعة ؛ وهى أول خطبة خطبها بالمدينة فيما قيل . ١٢٥٧/١

* * *

خطبة رسول الله
صلَّى الله عليه وسلَّم فى أوّل جمعة جمَّعها بالمدينة

حدّثنى يونس بن عبد الأعْلى ، قال : أخبرَنا ابنُ وهْب ، قال : حدّثنى سعيد بن عبد الرحمن الجُمحىّ ، أنه بلغه عن خطبة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى أوّل جمعة صلاّها بالمدينة فى بنى سالم بن عوف :

الحمد لله ، أحمَده وأستعينه ، وأستغفره وأستهديه ، وأومن به ولا أكفُره ، وأعادى مَنْ يكفره ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له ، وأنّ محمّداً عبدُه ورسوله ؛ أرسله بالهُدى والنور والموعظة ، على فَتْرَة من الرسل ، وقلّةٍ من

(١) ر : « نزل » . (٢) ح : « عامداً إلى المدينة » .
(٣) ح : « اتخذوا » .

العلم، وضلالة من النّاس، وانقطاع من الزمان، ودُنوّ من الساعة، وقُرْب من الأجَل ؛ من يُطع الله ورَسُولَه فقَد رَشَد ، ومن يعْصهما فقد غَوَى وفَرّط ؛ وضَلّ ضَلالا بَعيداً . وأوصيكُم بتقوى الله ، فإنه خيرُ ما أوصَى به المسلمُ المسلمَ ؛ أن يَحُضّه على الآخرة ، وأن يأمرَه بتقوى الله ، فاحذروا ما حذّركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أفضل من ذلك ذكراً ؛ وإنّ تقوى الله لمن عَمِلَ به على وَجلٍ [1] ومخافة من ربّه، عَوْنٌ صدْق على ما تَبْغُون من أمر الآخرة . ومَن يصلِح الذى بينه وبين الله من أمره فى السرّ والعلانية ، لاينوى بذلك إلاّ وجهَ الله يكن له ذكراً [2] فى عاجل أمره ، وذُخْراً فيما بعد الموت ، حين يفتقر المرء إلى ما قدّم ، وما كانَ من سِوَى ذلك يَوَدُّ لَوْأنّ بيْنها وبينهُ أمَداً بعيداً ، ويحذّركم الله نفسَه ، والله رءوف بالعباد. والذى صدّق قوله ، وأنجز [3] وَعْدَه ، لا خُلفَ لذلك ، فإنّه يقول عزّ وجلّ : ١٢٥٨/١
﴿ مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَىَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيد ﴾[4] . فاتقوا الله فى عاجل أمركم وآجله فى السرّ والعلانية ، فإنّه مَنْ يتّقِ اللهيُكفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاته ، ويُعْظم له أجْرًا ، ومَنْ يتّق الله فقد فاز فَوْزاً عظيمًا . وإنّ تقوى الله يُوَقِّى مقته ، ويوقّى عقوبته ، ويوقّى سَخَطه ، وإنّ تقوى الله يُبيِّض الوجوه ، ويرْضى الربَّ ، ويرفع الدّرجة .

خذوا بحظّكم ، ولا تفرّطوا فى جَنْب الله ؛ قد علّمكم الله كتابه ، ونهج لكم سبيلَه ، ليعلَمَ الّذين صدقوا ويعلَمَ الكاذبين . فأحْسِنوا كما أحْسَن الله إليكم ، وعادوا أعداءه ، وجاهدوا فى الله حقّ جهاده هو اجتباكم وسمّاكم المسلمين ، ليهْلِكَ مَنْ هلَكَ عن بيِّنة ، ويحيا من حَيَّ عنْ بيِّنة ، ولا قوّة إلا بالله . فأكثِرُوا ذكْرَ الله ، واعملوا لما بعد اليوم ، فإنه مَنْ يصلح ما بينه وبين الله يَكْفِه الله مابينه وبين النّاس ، ذلك بأنّ الله يقضِى على النّاس ولا يقضُون عليه ، ويملِكُ من النّاس ولا يملكون[5]

(١) ح : « رجاء » .
(٢) ح : « ذخراً وذكراً » .
(٣) ح ، م : « ونجز » .
(٤) سورة ق ٢٩ .
(٥) ر : « ما لا يملكون » .

منه ؛ الله أكبرُ ، ولا قوّةَ إلاّ بالله العظيم ! .

* * *

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، عن ابن إسحاق ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ركِب ناقتَه ، وأرخَى لها الزّمام ، فجعلَت لا تَمُرُّ بدار من دُور الأنصار إلاّ دعاه أهلُها إلى النزول عندهم ، وقالوا له : هَلُمّ يا رسولَ الله! إلى العَدَد والعُدّة والمَنَعة ؛ فيقول لهم صلّى الله عليه وسلّم : خَلّوا زِمامها فإنّها مأمورة ؛ حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم ، فبرَكت على باب مسجده(١) ؛ وهو يومئذ مِرْبَدٌ(٢) لغلامين يتيمين من بنى النّجار فى حِجْر مُعاذ بن عَفْراء ؛ يقال لأحدهما سهل وللآخر سهيل، ابنا عمرو بن عباد ابن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النّجار. فلما بركَتْ لم ينزل عنها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، ثم وثبَتْ فسارتْ غيرَ بعيد، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلم واضعٌ لها زمامها لا يَثْنِيها به ؛ ثم التفتت خلْفها، ثم رجعت إلى مَبْرَكِها أوّل مرة ، فبركت فيه ووضعت جِرانَها ، ونزل عنها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتمل أبو أيوب رحله ، فوضعه فى بيته ، فدعَتْه الأنصار إلى النزول عليهم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : المرءُ مع رحله . فنزل على أبى أيوّب خالد بن زيد بن كليب ، فى بنى غَنْم بن النجّار(٣) . ١٢٥٩/١

قال أبو جعفر : وسألَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عن المِرْبَد لمن هو ؟ فأخبره مُعاذ بن عفراء ، وقال : هو ليتيميْن لى ، سأرضيهما . فأمر به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُبْنى مسجداً ، ونزل على أبى أيّوب ، حتى بنى مسجدَه ومساكنه . وقيل : إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم اشترى موضعَ مسجده ، ثم بناه .

والصحيح عندنا فى ذلك ، ما حدّثنا مجاهد بن موسى ، قال : حدّثنا

(١) و : « المسجد » .

(٢) المربد : الموضع الذى يجفف فيه التمر .

(٣) الخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ١١ ، ١٢

يزيد بن هارون، قال : أخبرنا حمّاد بن سلمة ، عن أبى التّيّاح ، عن أنس ابن مالك ، قال : كان موضع مسجدِ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم لبنى النّجار ، وكان فيه نخل وحَرْث وقبورٌ من قبور الجاهليّة ، فقال لهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ثامنُونى[1] به ، فقالوا : لا نبتغى[2] به ثمنًا إلاّ ما عندالله . فأمَر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالنّخْل فقطِع ، وبالحرْث فأفسد ، وبالقبور فنبشتْ ، وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قبل ذلك يصلّى فى مرابضِ الغنم ، وحيث أدركته الصلاة . ١/٢٦٠

قال أبو جعفر : وتولّى بناء مسجِده صلّى الله عليه وسلّم هو بنفسه وأصحابه[3] من المهاجرين والأنصار .

وفى هذه السّنة بُنِى مسجد قُباء .

* * *

وكان أوّلَ من تُوفّىَ بعد مقدمه المدينة من المسلمين — فيما ذكر — صاحب مَنْزِلِه كُلْثوم بن الهِدْم ، لم يلبَث بعد مقدَمه إلا يسيراً حتى مات .

ثم توفّىَ بعْده أسعدُ بن زُرارة فى سنَة مقدَمه ، أبو أمامة . وكانت وفاته قبل أن يَفْرُغَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من بناء مسجده ، بالذّبْحَة[4] والشّهْقَة[5] . فحدّثنا ابنُ حُمَيْد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : قال محمد ابن إسحاق . حدّثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن يحيى بن عبد الله بن عبدالرحمن ؛ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : بئس[6] الميّتُ أبو أمامة ليَهودَ ومنافقى العرب ! يقولون : لو كان محمّد نبيًّا لم يَمُتْ صاحبُه ؛ ولا أمْلِكُ لنفسى ولا لصاحبى من الله شيئًا[7] .

(١) ثامنونى به ؛ أى اجعلوا لها ثمناً .

(٢) و : « لا نبغى » .

(٣-٣) و : « وأصحابه المهاجرون » .

(٤) الذبحة : وجع فى الحلق يخنق فيقتل .

(٥) الشهقة : الصيحة .

(٦) ر : « لبئس » .

(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ١٩

وقد حدّثنا محمّد بن عبد الأعلى ، قال : حدّثنا يزيد بن زُرَيع ، عن معمَر ، عن الزهرى ، عن أنَس ، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كَوَى أسعد ابن زُرارة من الشَّوْكَة (١) .

قال ابنُ حُميد ، قال سلمَة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدّثنى عاصم ابن عمر بن قتادة الأنصارىّ أنه لما مات (٢) أبو أمَامة أسعد بن زرارة ، ١٢٦١/١ اجتمعتْ بنو النَّجار إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم — وكان أبو أمامة نقيبَهم — فقالوا : يا رسولَ الله ؛ إنّ هذا الرّجل قد كان منّا حيث قد علمت ؛ فاجعلْ منّا رجلاً مكانه ، يقيم من أمرنا ما كان يقيمه ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتمْ أخوالِى وأنا منكم ؛ وأنا نقيبكم .

قال : وكَرِه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يَخُصّ بها بعضَهم دون بعض ؛ فكان من فَضْل (٣) بنى النجار الذى تَعدّ (٤) على قومهم ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم كان نقيبَهم (٥) .

وفى هذه السنة مات أبو أحَيْحَة بماله بالطائف . ومات الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السَّهْمىّ فيها بمكّة .

* * *

وفيها بَنَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعائشة بعد مقدَمِه المدينة بثمانيَة أشهر ؛ فى ذى القَعدة فى قول بعضهم ، وفى قول بعضٍ : بعد مقدَمِه المدينة بسبعة أشهر ، فى شَوّال ، وكان تزوّجها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاة خديجة وهى ابنة ستّ سنين ، وقد قيل : تزوّجها وهى ابنةُ سبع .

(١) الشوكة : حمرة تظهر فى الوجه وغيره من الجسد . والخبر فى نهاية ابن الأثير ٤ : ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(٢) ح : « أصيب » .

(٣) ح : « قصة بنى النجار وفضلهم » .

(٤) ح : « يعدونه » . ر : « يعد » ، سيرة ابن هشام : « الذى يعدون » .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ١٩ .

حدّثنا عبدُ الحميد بن بَيَان السكرىّ ، قال : أخبرَنا محمّد بن يزيد، عن إسماعيل — يعنى ابن أبى خالد — عن عبد الرحمن بن أبى الضّحاك ، عن رجل من قُرَيش، عن عبد الرحمن بن محمّد ، أنّ عبد الله بن صفوان وآخر معه أتيا عائشة ، فقالت عائشة : يا فلان ؛ أسمعتَ حديث حَفْصَة ؟ قال لها : نعم يا أمّ المؤمنين ، قال لها عبدُ الله بن صفوان : وما ذاك ؟ قالت: خِلالٌ فىّ تسع لم تكن فى أحدٍ من النِّساء إلاّ ما آتى الله مَرْيَمَ بنت عِمْران ؛ والله ما أقول هذا فخراً على أحد من صواحبى ، قال لها: وما هنّ[1] ؟ قالت : نزل المَلَكُ بصورتى ، وتزوّجنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لسبع سنين ، وأهدِيتُ إليه لتسع سنين ، وتزوّجَنى بكراً لم يشرَكْهُ فىّ أحدٌ من الناس ، وكان يأتيه الوحى وأنا وهو فى لحاف واحد ، وكنتُ مِنْ أحبِّ الناس إليه[2] ، ونزل فىّ آيةٌ من القرآن كادت الأمّةُ أن تهلك ، ورأيت جبريل ولم يره أحدٌ من نسائه غيرى ، وقُبض فى بَيْتى لم يلِهِ أحدٌ غير المَلَك وأنا . ١٢٦٢/١

* * *

قال أبو جعفر : وتزوّجها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما قيل — فى شوّال، وبَنَى بها حين بنى بها فى شوّال .

* ذكر الرّواية بذلك :

حدثنا ابنُ بشّار ،قال : حدثنا يحيى بن سعيد ، قال: حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أميّة ، عن عبد الله بن عُرْوة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت: تزوّجنى رسُول الله صلّى الله عليه وسلّم فى شوّال، وبنَى بى فى شوّال. وكانت عائشة تستحبُّ أن يُبْنى بالنساء[3] فى شوّال .

(١) كذا فى ر ، وفى ط : « هو » .

(٢) زاد بعدها ر : « وابنة أحب الناس إليه » .

(٣) كذا فى ر ، وفى ط : « بنسائها » .

حدَّثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أمية ،
١/١٢٦٣ عن عبد الله بنُ عُرْوة ، عن عُرْوة ، عن عائشة ، قالت : تزوَّجنى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى شوّال ، وبنى بى فى شوّال ، فأىُّ نساء رسول الله كانت أحْظَى عنده منّى ! وكانت عائشة تستحبّ أن يُدْخَلَ بالنساء[١] فى شوّال .

قال أبو جعفر : وقيل : إنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بَنَى بها فى شوَّال يوم الأربعاء ، فى منزل أبى بكر بالسُّنْح .

وفى هذه السنة بعثَ النبىُّ صلَّى الله عليه وسلَّم إلى بناتِهِ وزوجتِهِ سَوْدَةَ بنت زَمْعَةَ ، زيدَ بن حارثة وأبا رافع ، فحملاهنّ[١] من مكّة إلى المدينة .

ولما رجع — فيما ذكر — عبد الله بن أرَيْقِط إلى مكّة أخبر عبد الله بن أبى بكر بمكان أبيه أبى بكر ، فَخَرَجَ عبدُ الله بِعِيَال أبيه إليه ، وصَحِبَهم طلْحَةَ بن عبيد الله ، معهم[٢] أمّ رُومان ، وهى أمّ عائشة ؛ وعبد الله بن أبى بكر حتى[٣] قدموا المدينة .

وفى هذه السنة زِيدَ فى صلاة الحَضَرِ — فيما قيل — ركعتان ، وكانت صلاة الحَضَر والسفَر ركْعتين ؛ وذلك بعد مقدَم رسول الله صلَّى عليه وسلَّم المدينةَ بشهر ، فى ربيع الآخر ، لمُضىّ اثنتىْ عشرة ليلة منه[٤] ، زعم الواقدىّ أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه .

* * *

وفيها — فى قول بعضهم — وُلِد عبد الله بن الزُّبير . وفى قول الواقدىّ : وُلِدَ فى السَّنَة الثانية من مقْدَم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم المدينة فى شوالٍ .

(١) كذا فى ر وفى ط : « بنسائها » .
(٢) ر : « معه » .
(٣) م : « حين » .
(٤) ر : « مضت منه » .

حدّثنى الحارثُ ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : قال محمد بن عُمَر الواقدىّ : وُلِد ابنُ الزّبير بعد الهجرة بعشرين شهرًا بالمدينة . ١٢٦٤/١

قال أبو جعفر : وكان أوّلَ مولودٍ ولد من المهاجرين فى دار الهِجْرة ، فكبَّر — فيما ذُكر — أصحابُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم حين وُلِد ؛ وذلك أنَّ المسلمين كانوا قد تحدّثوا أنَّ اليهود يذكرون أنَّهم قد سَحَروهم فلا يُولَد لهم ؛ فكان تكبيرُهم ذلك سرورًا منهم بتكذيب الله اليهود فيما قالوا من ذلك .

وقيل : إن أسماءَ بنت أبى بكر ، هاجرتْ إلى المدينة وهى حامِلٌ به .

وقيل أيضًا : إنَّ النّعمان بن بَشِير وُلِد فى هذه السنة ؛ وإنَّه أوّل مولود وُلِد للأنصار بعد هجْرة النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم إليهم ؛ وأنكر ذلك الواقدىّ أيضًا .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا الواقدىّ ، قال : حدّثنا محمّد بن يحيى بن سهل بن أبى حثْمَة ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كانَ أوّل مولود من الأنصار[1] النعمان بن بشير ؛ ولد بعد الهجْرَة بأربعة عشر شهرًا ، فتوفّى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وهو ابن ثمانى سنين ، أوْ[2] أكثر قليلا .

قال : وولد النُّعمان قبل بدْر بثلاثة أشهر أو أربعة .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا مُصْعَب بن ثابت ، عن أبى الأسود ، قال : ذُكِر النُّعمان بن بشير عند ابنِ الزبير[3] ، فقال : هو أسنُّ منِّى بستّة أشهر .

قال أبو الأسود : ولد ابنُ الزُّبير على رأس عشرين شهرًا من مهاجَر

(١) ر : « ولد للأنصار » .
(٢) م : « وأكثر » .
(٣) ح ، م : « عبد الله بن الزبير » .

رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وولِد النعمان على رأس أربعة عشر شهرًا فى ربيع الآخر .

قال أبو جعفر : وقيل : إنَّ المُختارَ بن أبى عُبَيْد الثَّقَفىّ وزياد ابن سُمَيَّة فيها وُلدا .

* * *

قال : وزعم الواقدىّ أنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عقد فى هذه السَّنة فى شهر رمضان ، على رأس سبعة أشهر من مهاجَره ، لحمزة بن عبد المطَّلب لواءً أبيض فى ثلاثين رجلا من المهاجرين ، ليعترض[1] لِعَيرات[2] قريش ، وأنّ حمزة لقىَ أبا جهل [بن هشام][3] فى ثلاثمائة رجل ، فحجز بينهم مَجْدِىُّ بن عمْرو الجُهنىّ فافترقوا ، ولم يكن بينهم قتال . وكان الَّذى يحمل لواءَ حمزة أبو مَرْثَد . ١١٦٥/١

وأنّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عقد أيضًا فى هذه السَّنة ، على رأس ثمانية أشهر من مهاجَره فى شوّال ، لعُبَيْدة بن الحارث بن المطَّلب بن عبد مناف لواء أبيض ، وأمَرَه بالمسير[4] إلى بطْن رَابِغ ، وأنّ لواءه كان مع مِسْطَح بن أُثَاثَة ، فبلغ ثنيَّة المرَة — وهى بناحية الجُحْفة — فى ستّين من المهاجرين ، ليس فيهم أنصارىّ ؛ وأنَّهم التقوْا هم والمشركون على ماء يقال له أحياء ؛ فكان بينهم الرَّمْى دون المسايَفة[5] .

قال : وقد اختلفوا فى أمير السريَّة ؛ فقال بعضُهم : كان أبو سفيان بن حَرْب ، وقال بعضهم : كان مُكرَز بن حفص .

قال الواقدىّ : ورأيت الثَّبتَ على أبى سفيان بن حرب ، وكان فى مائتين من المشركين .

(١) ر : « ليعرض » .

(٢) العيرات : جمع العير ؛ وهى الإبل التى تحمل الميرة ؛ لا واحد لها من لفظها ، قال سيبويه : « جمعوه بالألف والتاء لمكان التأنيث ؛ وحركوا الياء لمكان الجمع بالتاء » .

(٣) من ر .

(٤) م : « بالسير » .

(٥) المسايفة : التضارب بالسيف .

قال : وفيها عقد رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم لسعد بن أبى وقّاص إلى الخرّار لواءً أبيض يحمله المقداد بن عمرو فى ذى القَعْدة . وقال : حدّثنى أبو بكر بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن عامر[1] بن سعد ، عن أبيه ، ١٢٦٦/١
قال : خرجتُ فى عشرين رجلا على أقدامنا — أو قال : واحد[2] وعشرين رجلا — فكُنّا نكمُنُ النّهار ، ونسير الليل حتى صَبَّحْنا الخرّار صُبْحَ خامسة ؛ وكان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، قد عهد إلىّ ألاّ أجاوز الخرّار ، وكانت العيرُ قد سبقتْنى قبل ذلك بيوم ، وكانوا ستين ، وكان مَنْ مع سعد كلّهم من المهاجرين .

* * *

قال أبو جعفر : وقال ابن إسحاق فى أمر كلّ هذه السرايا التى ذكرتُ عن الواقدىّ قولَه فيها غير ما قاله الواقدىّ ، وأنّ ذلك كلَّه كان فى السنة الثّانية من وقت التاريخ .

حدثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدّثنا سلَمة بن الفضل ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : قدِم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم المدينةَ فى شهر ربيع الأول لاثنتى عشرة ليلة مضت منه ، فأقام بها ما بقِىَ من شهر ربيع الأوّل وشهرَ ربيع الآخر وَجُمَادَيَيْن وَرجَب وشعبان ورمضان وشوّالا وذا القَعدة وذا الحجّة — وولى تلك الحجّة المشركون — والمحرَّمَ . وخرج فى صفَر غازياً على رأس اثنى عشر شهرًا من مقدَمه المدينة ، لِثِنْتَىْ عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأوّل ؛ حتى بلغ وَدّان ؛ يريد قريشا وبنى ضَمْرة بن بكْر بن عبد مناة بن كنانة ؛ وهى غزوة الأبْواء ، فوادعتْه[3] فيها بنو ضَمْرة ؛ وكان الّذى وادَعه منهم عليهم سيّدهم كان فى زمانه ذلك ، مَخشِىّ بن عمرو ، رجل[4] منهم .

(١) ح ، م : « عاصم » .
(٢) ح : « فى واحد وعشرين » .
(٣) وادعته : سالمته وعاهدته ألا تحاربه .
(٤) ح : « ورجل » . .

قال : ثمّ رجع رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى المدينة ، ولم يلقَ كيْدًا ، فأقام بها بقيَّة صَفر وصدْرًا من شهر ربيع الأوّل[١] . ١٢٦٧/١

وبعث فى مقامه ذلك عُبَيْدَةَ بن الحارث بن المطَّلب فى ثمانين أو ستين راكبا من المهاجرين ؛ ليس فيهم من الأنصار أحدٌ ، حتى بلَغ أحياء (ماء بالحجاز بأسفل ثنيَّة المرَة) ، فلقِيَ بها جَمْعًا عظيمًا من قريش ؛ فلم يكن بينهم قتال ؛ إلاّ أنّ سعد بن أبى وقَّاص قد رَمَى يومئذ بسهم ؛ فكان أوّل سهم رُمِى به فى الإسلام .

ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حامِيَةٌ ، وَفَرَّ مِنَ المشركين إلى المسلمين المِقْداد بن عمرو البَهْرانىّ حليف بنى زُهْرة ، وعُتْبة بن غَزْوان بن جابر حليف بنى نوْفل بن عبد مناف — وكانا مسلمين ؛ ولكنّهما خرجا يتوصّلان[٢] بالكُفَّار إلى المسلمين — وكان على ذلك الجمع[٣] عِكْرِمَة بن أبى جهل .

قال مُحَمَّد : فكانت رايةُ عُبَيدة — فيما بلغنى — أول راية عقدها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى الإسلام لأحد من المسلمين[٤] .

وحدّثنا ابن حُمَيد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : وبعض العلماء يزعُم أن رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم كان بعثه حين أقبل من غزوة الأبْواء قبل أن يصِلَ إلى المدينة . قال : وبعث حمزة بن عبد المُطَّلب فى مقامه ذلك إلى سِيف البحر من ناحية العِيص فى ثلاثين راكبًا من المهاجرين ؛ وهى من أرض جُهَينة ليس فيهم من الأنصار أحدٌ ، فلقِيَ أبا جهل بن هشام بذلك السَّاحل فى ثلثمائة

(١) فى السيرة : « قال ابن هشام : وهى أول غزوة غزاها » ، والخبر فى السيرة ٢ : ٥٤ .

(٢) فى ابن هشام : « ليتوصلا بالكفار » ؛ أى أنهما جعلا خروجهما مع الكفار وسيلة للوصول إلى المسلمين .

(٣) و : « ذلك الجمع من المشركين » .

(٤) الخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٥٥ .

راكب من أهل مكّة ، فحجز بينهم مَجْدِيُّ بن عمرو الجُهَنيّ ، وكان ١٢٦٨/١
مُوَادِعًا للفريقين جميعًا ، فانصرف القومُ بعضهم عن بعض ، ولم يكن بينهم قتال .

قال : وبعضُ القوم يقول : كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأحد من المسلمين ، وذلك أنّ بَعْثَه وَبَعْثَ عُبَيدة بن الحارث كانا معًا ، فُشبِّه ذلك على الناس .

قال : والّذى سمعْنا من أهل العلم عندنا أنّ راية عُبيدة بن الحارث كانت أوّلَ راية عُقِدت فى الإسلام[١] .

قال : ثم غزا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى شهر ربيع الآخر ، يريد قريشًا ، حتى إذا بلغ بُوَاط من ناحية رَضْوَى رجع ولم يَلْقَ كيْدًا ، فلبث بقيّة شهر ربيع الآخر وبعضَ جُمادى الأولى[٢] .

ثم غزا يريد قريشًا ، فسلك على نَقْب بنى دينار بن النجّار ، ثم على فَيْفَاء الخَبَار ، فنزل تحت شجرة ببطْحاء ابن أزْهَر ، يقال لها : ذات السّاق ، فصلّى عندها ، فثمّ مسجده . وصُنِعَ له عندها طعامٌ فأكل منه وأكل الناس معه ، فموضع أثَافِيّ البُرْمة معلوم هنالك . واستُقِيَ[٣] له من ماء به يقال له المُشَيْرِب[٤] . ثم ارتحل ١٢٦٩/١
فترك الخلائق[٥] بيَسار ، وسلك شعْبَة يقال لها شعبة عبد الله — وذلك اسمها اليوم — ثم صبّ ليَسار ، حتى هبطَ يَلْيَل ، فنزل بمجتمعه ومجتمع الضَّبُوعة ؛ واستُقِيَ له من بئر بالضَّبُوعة . ثم سلك الفَرْش ؛ فرش ملَل ، حتى لقىَ الطريق بصخَيرات اليمام . ثم اعتدل به الطريق حتى

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٦

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٧ .

(٣) ط : « فاستق » ؛ وما أثبته من ابن هشام .

(٤) ابن هشام : « المشترب » .

(٥) فى ياقوت : « وكان لعبد الله بن أحمد بن جحش أرض يقال لها الخلائق بنواحى المدينة ».

نزل العُشَيْرَة من بطن يَنْبُع ، فأقام بها بقيَّة جُمَادى الأولى ولياليَ من جُمادى الآخرة ، ووادَع فيها بنى مُدْلج وحلفاءهم من بنى ضَمْرة . ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلْقَ كيداً .

وفى تلك الغزوة قال لعليّ بن أبى طالب عليه السلام ما قال .

قال : فلم يُقِمْ رسولُ الله صلَّى عليه وسلَّم حين قَدِم من غَزْوة العُشَيْرة بالمدينة إلاّ ليالىَ قلائل لا تَبْلغ العَشْر ، حتى أغار كُرْزُ بن جابر الفِهْرىّ على سَرْح المدينة ، فخرج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلّم فى طلَبه ، حتى بلغ واديًا يقال له سَفَوَان من ناحية بدْر ، وفَاتَه كرز فلم يدرِكه ؛ وهى غزو بدر الأولى ؛ ثم رجع رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ١٢٧٠/١
إلى المدينة ، فأقام بها بقيَّة جُمادى الآخرة ورجبَ وشعبان . وقد كان بعث فيما بين ذلك سَعْد بن أبى وَقَّاص فى ثمانية رهط[1] .

* * *

وزعم الواقدىّ أنّ فى هذه السنة — أعنى السَّنة الأولى من الهجرة — جاء أبو قيس بن الأسْلَت رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فعرَض عليه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم الإسلام ، فقال : ما أحسَنَ ما تدعو إليه ! أنظُرُ فى أمرى ، ثم أعود إليك . فلقيَهُ عبدُ الله بن أبىّ ، فقال له : كرهتَ والله حرب الخزرج ! فقال أبو قيس : لا أسلِم[2] سنة ؛ فمات فى ذى القعدة .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٧ ، ٥٨ .

(٢) ابن الأثير : « إلى سنة » .

ثم كانت السنة الثانية من الهجرة

فغزا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم — فى قول جميع أهل السِّيَر — فيها ، فى ربيع الأوّل بنفسه غَزْوَةَ الأبْواء — ويقال وَدَّان — وبينهما ستَّة أميال هى بحذائها ؛ واستخلَف رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على المدينة حين خرج إليها سعدَ بن عُبادة بن دُلَيْم . وكان صاحبَ لوائه فى هذه الغَزاة حمزة بن عبد المُطَّلب ، وكان لواؤه — فيما ذكر — أبيض .

وقال الواقدىّ: كان مُقامه بها خمسَ عشرة ليلة ، ثم قَدِم المدينة.

* * *

قال الواقدىّ : ثم غزا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى مائتين من أصحابه ؛ حتى بلغ بُواط فى شهر ربيع الأوّل ؛ يعترض لِعيرات قريش ، ١٢٧٠/١
وفيها أميَّة بن خلَف ومائة رجلٍ من قريش ، وألفان وخمسمائة بعير . ثم رَجَعَ ولم يَلْقَ كيدًا .

وكان يحملُ لواءه سعدُ بن أبى وقَّاص ، واستخلَف على المدينة سَعْد ابن مُعاذ فى غَزْوَتِه هذه .

* * *

قال[1] : ثم غزا فى ربيع الأوّل فى طلب كُرْزين بن جابر الفِهْرىّ فى المهاجرين ، وكان قد أغار على سَرْح[2] المدينة ، وكان يرعى[3] بالجَمَّاء فاستاقه ، فطلبه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم حتى بلغ بدْرًا فلم يلحقه ؛ وكان يحمل لواءه علىُّ بن أبى طالب عليه السلام . واستخلف على المدينة زيدَ بن حارثة .

(١) ح : « قال الواقدى» . (٢) السرح : المال السارح ، ولا يسمى من الأموال سرحاً إلا ما يغدى به ويراح . (٣) ح ، ر : « وكانت ترعى » .

[غزوة ذات العُشيرة]

قال : وفيها خرجَ رسولُ الله صلَّى عليه وسلَّم يعترض لِعَيرات قريش حين أبدأت[١] إلى الشَّأم فى المهاجرين — وهى غزوة ذات العُشَيرة — حتى بلغ يَنْبُع ؛ واستخلف على المدينة أبا سلَمة بن عبد الأسد ؛ وكان يحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب . فحدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرَّقِّىُّ ، قال : حدّثنا محمّد بن سلَمة ، عن محمَّد بن إسحاق ، عن محمّد بن يزيد بن خُثَيم[٢] ؛ عن محمد بن كعب القرظىّ ؛ قال : حدّثنا أبوك يزيد بن خُثَيْم ، عن عمَّار بن ياسر ، قال كنت أنا وعلىّ رفيقين مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى غزوة العُشَيْرَة ، فنزلنا منزلا ، فرأينا رجالا من بنى ١٢٧٢/١
مُدْلِج يعملون فى نخْل لهم ، فقلت : لو انطلقنا ! فنظرنا إليهم كيف يعملون ، فانطلقنا فنظرنا إليهم ساعة ، ثم غَشيَنا النُّعَاسُ ، فعمَدنا إلى صَوْر[٣] من النخل ؛ فنمْنا تحته فى دقْعاء[٤] من التراب ، فما أيقَظنا[٥] إلاّ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، أتانا وقد تَتَرَّبْنَا فى ذلك التراب ؛ فحرّك عليًّا[٦] برجله ، فقال : قم يا أبا تراب ؛ ألاَ أخبِرُك بأشْقَى النَّاس؟ أحمر ثمود عاقر النَّاقة ، والذى يضرُبك [يا عَلِىّ][٧] علَى هذا

(١) يقال : أبدأ من أرض إلى أرض أخرى ، وبدأ ؛ إذا خرج منها إلى غيرها .

(٢) فى ابن هشام : « يزيد بن محمد بن خيثم » .

(٣) الصور : جماع النخل ، ولا واحد له من لفظه .

(٤) الدقعاء : التراب اللين .

(٥) فى ابن هشام : « فو الله ما أهبنا إلا رسول الله » ؛ وأهبنا : أيقظنا .

(٦) ح : « فحرك علياً » ، وفى ابن هشام : « يحركنا برجله » .

(٧) من سيرة ابن هشام .

— يعنى قَرْنَه — فيخضِب[١] هذه منها ؛ وأخذ بلحيته[٢] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى يزيد بن محمد بن خُثَيْم[٣] المحاربىّ ، عن محمد ابن كعب القرظىّ ، عن محمد بن خُثَيْم — وهو أبو يزيد — عن عمّار بن ياسر ، قال : كنت أنا وعلىّ رفيقيْن ، فذكر نحوه .

وقد قيل فى ذلك غير هذا القول ؛ وذلك ما حدّثنى به محمد بن عبيد المحاربىّ ، قال : حدّثنا عبد العزيز بن أبى حازم ، عن أبيه ، قال : قيل لسهل[٤] بن سعد : إنّ بعضَ أمراء المدينة يريد أن يبعث إليك تَسُبُّ عليًّا[٥] عند المنبر ، قال : أقول ماذا ؟ قال : تقول : أبا تراب ، قال : والله ما سَمّاه بذلك[٦] إلاّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال : قلتُ : وكيف ذاك يا أبا العبّاس ؟ قال : دخل علىّ على فاطمة ، ثم خرج من عندها ، فاضطجع فى فَيْءِ المسجد . قال : ثم دخلَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ١٢٧٣/١
على فاطمة ، فقال لها : أين ابنُ عمّك ؟ فقالت : هو ذاك مضطجع فى المسجد ، قال : فجاءه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فوجده قد سقط رداؤه عن ظهره ، وخلَص التراب إلى ظهره ، فجعل يمسح التّراب عن ظهره ، ويقول : اجلس أبا تراب . فوالله ما سَمّاه به إلاّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ ووالله ما كان له اسمٌ أحبّ إليه منه !

* * *

(١) ابن هشام : « حتى يبل منها هذه » .

(٢) الخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٥٨ . قال السهيلى : « وأصح من ذلك ما رواه البخارى فى جامعه ؛ وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده فى المسجد نائماً ، وقد ترب جنبه ، فجعل يحث التراب عن جنبه ويقول : قم أبا تراب ؛ وكان قد خرج إلى المسجد مغاضباً لفاطمة . وهذا معنى الحديث ؛ وما ذكره ابن إسحاق من حديث عمار مخالف له ؛ إلا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم كناه بها مرتين : مرة فى المسجد ، ومرة فى هذه الغزوة » .

(٣) كذا ضبطه صاحب التقريب ، بمعجمة ومثلثة ، مصغراً .

(٤) م : « لسهيل » . (٥) س : « على » (٦) ر ، م : « ذلك » .

قال أبو جعفر : وفى هذه السَّنة فى صفرَ ، لليال بِقينَ منه ، تزوّج علىُّ بن أبى طالب عليه السلام فاطمةَ رضى الله عنها ؛ حدّثتُ بذلك ، عن محمّد بن عمر ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة ، عن إسحاق ابن عبد الله بن أبى فَرْوة ، عن أبى جعفر .

* * *

[سريّة عبد الله بن جحش]

قال أبو جعفر الطبرىّ : ولمّا رَجَع رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من طلب كُرْز بن جابر الفِهرىّ إلى المدينة ، وذلك فى جُمادى الآخرة ، بعث فى رجب[1] عبدَ الله بن جَحْش معه ثمانية رهْط من المهاجرين[2] ؛ ليس فيهم من الأنصار أحدٌ ؛ فيما حدّثنا ابن حُمَيد ، قال : حدّثنا سلَمة قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى الزّهرىُّ ويزيد بن رُومان ؛ عن عُرْوة بن الزبير ، بذلك .

* * *

وأما الواقدىّ فإنه زعم أنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بعث عبد الله ابن جحش سَرِيَّةً فى اثنى عشر رجلا من المهاجرين .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، عن الزهرىّ ويزيد بن رُومان ، عن عروة ، قال : وكتبَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم له كتابًا — يعنى ١٢٧٤/١

(١) زاد ابن هشام : « مقفله من بدر الأولى » .

(٢) فى ابن هشام : « وكان أصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين ثمّ من بنى عبد شمس بن عبد مناف : أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ؛ ومن حلفائهم عبد الله ابن جحش ؛ وهو أمير القوم ، وعكاشة بن محصن بن حرثان ، أحد بنى أسد بن خزيمة ؛ حليف لهم . ومن بنى نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان بن جابر ، حليف لهم . ومن بنى زهرة بن كلاب سعد ابن أبى وقاص . ومن بنى عدى بن كعب عامر بن ربيعة ؛ حليف لهم من عنز بن وائل ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع ؛ أحد بنى تميم ، حليف لهم ، وخالد بن البكير أحد بنى سعد بن ليث حليف لهم . ومن بنى الحارث بن فهر سهيل بن بيضاء » .

لعبد الله بن جَحْش — وأمره ألاّ ينظر فيه حتى يسير يومين ؛ ثم ينظر فيه فيُمضى له أمرَه به ، ولا يستكرِه أحداً من أصحابه ، فلمّا سار عبدُ الله ابن جحش يومين ، فتح الكتاب ، ونظر فيه ، فإذا فيه : « وإذا نظرتَ فى كتابى هذا ؛ فسِرْ حتى تنزل نَخْلة[1] بين مكّة والطّائف ؛ فترصَّدْ بها قريشاً ، وتعلَّمْ لنا من أخبارهم ». فلمّا نظرَ عبدُ الله فى الكتاب ، قال : سمعٌ وطاعةٌ ؛ ثم قال لأصحابه : قد أمرنى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن أمضىَ إلى نَخْلة ، فأرصد بها قريشاً حتى آتيَه منهم بخَبر ، وقد نهانى أن أستكرِهَ أحداً منكم ؛ فمن كان منكم يريد الشهادة ، ويرغب فيها فلينطلِقْ ، ومَنْ كره ذلك فلْيرجِع ؛ فأمّا أنا فماضٍ لأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

فمضى ومضى معه أصحابُه ، فلم يتخلَّف عنه منهم أحد ، وسلَك على الحجاز ؛ حتى إذا كان بمَعْدِن فوق الفُرْع[2] [يقال له بُحْران][3] ، أضلّ سعد بن أبى وقاص وعُتْبة بن غَزْوان بعيراً لهما كانا يَعْتقبانه[4] ، فتخلّفا عليه فى طلبه . ومضى عبد الله بن جحش وبقيّة أصحابه حتى نزل بنخْلة ، فمرّت به عِيرٌ لقريش تحمل زَبيباً وأدَماً وتجارة من تجارة قريش فيها ، منهم عمرو بن الحضرمىّ[5] ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزوميّان ، والحكَم بن كَيْسان مولى هشام بن المغيرة . فلمّا رآهم القوم هابوهم ؛ وقد نزلوا قريباً منهم ، فأشرف لهم عُكّاشة بن مِحْصَن — وقد كان حلَق رأسه — فلما رأوْه أمِنوا ، وقالوا : عُمّار[6] لا بأس عليكم منهم[7] . وتشاور القوم فيهم ؛ وذلك فى آخر يوم من رجب ؛ ١٢٧٥/١

(١) و : « بنخلة » .

(٢) كذا ضبطه ياقوت ، بضم أوله وسكون ثانيه ؛ وقال السهيلى : هو بضمتين .

(٣) من سيرة ابن هشام .

(٤) يعتقبانه ، أى يركبه هذا عقبة وهذا عقبة ، والعقبة : النوبة .

(٥) قال ابن هشام : « واسم الحضرمى عبد الله بن عباد ، أحد الصدف ، واسم الصدف عمرو ابن مالك . أحد السكون بن المغيرة بن أشرس بن كندة ، ويقال : كندىّ » .

(٦) عمار ، أى معتمرون ، والاعتمار زيارة البيت الحرام .

(٧) ح : « منه » .

فقال القوم : والله لئن تركتم القومَ هذه الليلة ليدخلُنّ الحرَم ؛ فليمتنعُنّ به منكم ؛ ولئن قتلتموهم لتقتُلنّهم فى الشهر الحرام . فتردّد القوم ، وهابوا الإقدام عليهم ؛ ثم تشجّعوا[1] عليهم ، وأجمعوا على قتل مَنْ قدَروا عليه منهم ، وأخذ ما معهم ؛ فرمى واقدُ بن عبد الله التميمىّ عمرو بنَ الحضرمىّ بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، وأفلت نوفل بن عبد الله فأعجزهم ، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعِير والأسيرين ؛ حتى قَدِموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة .

قال : وقد ذكَر بعضُ آل عبد الله بن جحش ، أنّ عبد الله بن جَحْش ، قال لأصحابه : إنّ لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ممّا غنمتم الخمسَ — وذلك قبل أن يفرض الله من الغنائم الخمس — فعزل لرسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم خُمُس الغنيمة ، وقسّم سائرها بين أصحابه ؛ فلمّا قدِمُوا على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال : ما أمرتُكم بقتال فى الشّهر الحرام . فوقّف العير والأسيرين ؛ وأبَى أن يأخذ من ذلك شيئًا . فلمّا قال ذلك رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم سُقِط فى أيدِى القوم ، وظنُّوا أنّهم قد هلَكوا ، وعنّفَهم المسلمون فيما صنعوا . وقالوا لهم : صنعْتُمْ ما لم تُؤْمَروا به ، وقاتلتم فى الشّهرِ الحرام ولم تؤمروا بقتال ! وقالت قريش : قد استحلّ مُحَمدٌ وأصحابُهُ الشّهرَ الحرام ، فسفكوا فيه الدّم وأخذوا فيه الأموال ، وأسَرُوا فيه الرّجال . فقال مَنْ يردّ ذلك عليهم من المسلمين ممّن كان بمكّة : إنما أصابوا ما أصابوا فى شعبان . وقالت يهود ؛ تفاءل[2] بذلك علَى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : عمرو بن الحضرمىّ قتله واقد بن عبد الله : «عمرو» عمرت الحرب ، و«الحضرمىّ» حضرت الحرب ، و«واقد بن عبد الله» وقدت الحرب ؛ فجعل الله عزّ وجلّ ذلك عليهم لا لهم[3] . ١٢٧٦/١

فلمّا أكثر الناس فى ذلك أنزل الله عزّ وجلّ على رسولِه صلّى الله عليه

(١) التفسير : «ثم شجعوا» .

(٢) و : «تفاؤلا» ؛ وفى التفسير : «تتفاءل» .

(٣) ح والتفسير : «وبهم» .

وسلَّم : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ.... ﴾[١] الآية . فلمّا نزل القرآن بهذا من الأمر وفَرَّج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشَّفَق[٢] ، قبض رسول الله صلَّى عليه وسلَّم العير والأسيرين[٣] .

وبعثَت إليه قريش فى فداء عثمان بن عبدالله والحكَم بن كيسان ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم : لا نُفْدِيكموهما ؛ حتى يَقدَم صاحبانا — يعنى سعد ابن أبى وقَّاص وعتْبة بن غزوان — فإنَّا نخشاكم عليهما ؛ فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم . فقدم سعد وعُتْبة ، ففاداهما[٤] رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم منهم ؛ فأما الحكَم بن كَيْسان فأسلم فحسُن إسلامه ، وأقام عند رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم حتى قتِل يوم بئر مَعُونة شهيدًا[٥] .

* * *

قال أبو جعفر : وخالف فى بعض هذه القصة محمدَ بن إسحاق والواقدىّ جميعًا السدىّ ؛ حدّثنى موسى بن هارون ، قال : حدّثنا عمرو بن حمّاد ، ١٢٧٧/١
قال : حدّثنا أسْباط ، عن السدّىّ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ ؛ وذلك أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بعَث سريَّة وكانوا سبعة نَفَر ؛ عليهم عبدالله بن جحش الأسدىّ وفيهم عمّار بن ياسر ، وأبو حُذَيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسعد بن أبى وقَّاص ، وعُتْبة بن غزوان السُّلَمىّ حليف لبنى نَوْفل ، وسُهَيْل بن بيْضاء ، وعامر بن فُهَيْرة ، وواقد بن عبد الله اليربوعىّ ؛ حليف لعمر بن الخطاب . وكتب مع ابن جحش كتابًا وأمره ألاّ يَقرَأه حتى ينزل بطن ملَل ؛ فلمّا نزل بطنَ مَلَل فتح الكتاب ؛ فإذا فيه : أن سِرْ حتّى تنزل بطن نخلة ؛ فقال لأصحابه : مَنْ كان يريد

(١) سورة البقرة ٢١٧ .
(٢) الشفق : الخوف والحذر .
(٣) الخبر إلى هنا فى التفسير ٤ : ٣٠٢ — ٣٠٥ .
(٤) ابن هشام : « فأفداهما » .
(٥) ابن هشام ٢ : ٥٩ ، ٦٠ .

الموت فليَمْضِ وليُوصِ ؛ فإنى مُوصٍ وماضٍ لأمر رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلم . فسار وتخلَّف عنه سعد بن أبى وقَّاص وعُتْبة بن غزوان ، أضَلاّ راحلة لهما ، فأتيا بُحْران يطلبانِها ، وسار ابنُ جَحْش إلى بطْن نخلة ؛ فإذا هو بالحكَم بن كَيْسان ، وعبد الله بن المغيرة ، والمغيرة بن عثمان ، وعمرو بن الحضرمىّ ؛ فاقتتلوا ، فأسَرُوا الحكَم بن كَيْسان وعبد الله بن المغيرة ، وانفلت[1] المغيرة ، وقُتِل عمرو بن الحضرمىّ ، قتله واقد بن عبد الله . فكانت أوّلَ غنيمةَ غَنِمها أصحابُ محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم .

فلما رجعوا إلى المدينة بالأسيريْن وما أصابوا من الأموال ؛ أراد أهل
١٢٧٨/١ مكّة أن يُفادوا الأسيرْين ، فقال النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم : حتَّى ننظرَ ما فعل صاحبانا ! فلما رجع سعد وصاحبه فادَى بالأسيرْين ، ففجَرَ[2] عليه المشركون ، وقالوا : محمَّد يزعم أنَّه يتبع طاعة الله[3] ، وهو أوّلُ مَن استحلّ الشهر الحرام ، وقتل صاحبنا فى رجَب ! فقال المسلمون : إنَّما قتلناه فى جُمادى — وقيل فى أوّل ليلة من رجَب وآخر ليلة من جُمادى — وغَمَدَ[4] المسلمون سيوفَهم حين دخل رجب ؛ فأنزل الله عز وجل يُعَيِّر أهل مكة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ . . . ﴾ الآية[5] .

* * *

قال أبو جعفر : وقد قيل إنّ النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم كان

(١) ح ، و : « وأفلت » .

(٢) و : « ففخر » .

(٣) م : « ربه » .

(٤) و : « أغمد » ؛ وغمد السيف وأغمده : أدخله فى الغمد .

(٥) الخبر فى التفسير ٤ : ٣٠٥ — ٣٠٦ .

انتدَب[١] لهذا المسير أبا عُبيدة بن الجرّاح، ثم بدا له[٢] فيه، فندَب له عبد الله بن جحش.

* ذكر الخبر بذلك:

حدّثنا محمّد بن عبد الأعلى، حدّثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، أنه حدّثه رجل عن أبي السوّار، يحدّثه عن جُنْدَب بن عبدالله، عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنّه بعث رهطًا، فبعث عليهم أبا عبيدة بن الجرّاح؛ فلمّا أخذ لينطلق بكى صَبابَةً إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فبعث رجلا مكانه يقال له عبد الله بن جحش، وكتب له كتابًا وأمره ألاّ يقرأ الكتاب حتى يبلغ كذا وكذا: «ولا تُكرِهنّ أحدًا من أصحابك على السَّير[٣] معك». فلمّا قرأ الكتاب استرجع، ثم قال: سمعًا وطاعة لأمر الله ورسوله! فخبّرهم بالخبر؛ وقرأ عليهم الكتاب، فرجع رجلان ومضى بقيّتهم، فلقوا ابن الحضرميّ فقتلوه، ولم يدرُوا ذلك اليوم من[٤] رَجَب أو من جُمادى! فقال المشركون للمسلمين: فعلتم كذا وكذا في الشّهر الحرام! فأتوُا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فحدّثوه الحديث، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾، الفتنة هي الشِّرْك. ١٢٧٩/١

وقال بعض الذين — أظنُّه قال —: كانوا في السريّة: والله ما قتَله إلاّ واحدٌ؛ فقال: إن يكنْ خيرًا فقد وليتَ، وإنْ يكن ذنبًا فقد عمِلت[٥].

* * *

ذكر بقية ما كان في السنة الثانية من سني الهجرة

ومن ذلك ما كان من صرْف الله عزّ وجلّ قِبْلَةَ المسلمين من الشّأم

(١) و: «ندب».

(٢) بدا له في الأمر بدوا وبداء؛ أي نشأ له فيه رأي آخر؛ ومنه قولهم: «هو ذو بدوات».

(٣) ر: «المسير».

(٤) التفسير: «ولم يدروا ذلك اليوم أمن رجب أو من جمادى».

(٥) كذا في م و التفسير، وفي ط «علمت» والخبر في التفسير ٤: ٣٠٦، ٣٠٧.

إلى الكعبة ، وذلك فى السنة الثانية من مقدَم النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم المدينة فى شعبان .

* * *

واختلف السَّلَف من العلماء فى الوقت الذى صُرفت[١] فيه من هذه السَّنة ؛ فقال بعضهم — وهم الجمهور الأعظم : صُرفت فى النّصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهرًا من مقدَم رسول الله صلَّى الله عليه وسلم المدينة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا موسى بن هارون الهمْدانىّ ، قال : حدّثنا عمرو بن حَمَّاد ، قال : حدّثنا أسْبَاط ، عن السُّدّىّ — فى خبر ذكره — عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عبَّاس — وعن مُرَّةَ الهمدانىّ ، عن ابن مسعود — ١٢٨٠/١
وعن ناس من أصحاب النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم : كان النَّاس يصلّون قِبَل بيت المقدس ؛ فلما قَدِم النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم المدينةَ على رأس ثمانية عشر شهرًا من مُهَاجَره ، كان[٢] إذا صلَّى رفع رأسه إلى السماء ينظر ما يؤمر ، وكان يصلّى قِبَل بيت المقدس ؛ فنسختْها الكعبة ، وكان النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم يحب أن يصلِّىَ قبَل الكعبة ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فى السَّمَاءِ ... ﴾[٣] ، الآية .

حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : صُرِفت القبلة فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهرًا من مقدَم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم المدينة .

وحُدّثت عن ابن سعد ، عن الواقدىّ مثل ذلك . وقال : صرِفت القبلة فى الظّهْر يوم الثلاثاء للنصف من شعبان .

* * *

(١) ح : « صرفت القبلة فيه » .
(٢) ط : « وكان » ، وما أثبته من التفسير .
(٣) سورة البقرة ١٤٤ . والخبر فى التفسير ٣ : ١٧٣ .

قال أبو جعفر : وقال آخرون : إنّما صُرِفت القبلة إلى الكعبة لستّة عشر شهرًا مضت من سنِي الهجرة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا المثنّى بن إبراهيم الآمُلِيّ ، قال : حدّثنا الحجّاج ، قال : حدّثنا همّام بن يحيى ، قال : سمعتُ قَتادة ، قال : كانوا يصلُّون نحو بيتِ المقدِس ، ورسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بمكّةَ قبل الهجرة ، وبعد ما هاجر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم صلَّى نحو بيت المقدس ستّة عشر شهرًا ، ثم وُجِّه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام [1] .

حدّثني يونسُ بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهْب ، قال : سمعتُ ابنَ زيد يقول : استقبل النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم بيتَ المقدِس ستّةَ عشر شهرًا ، فبلغه أن يهودَ تقول : والله ما دَرَى محمّدٌ وأصحابه أين قبلتُهم حتّى هدَيْناهم ! فكرِهَ ذلك النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، ورفع وجهَه إلَى السماء ، فقال الله عزّ وجلّ : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ... ﴾ [2] الآية . ١٢٨١/١

* * *

قال أبو جعفر : وفى هذه السَّنة فُرِض — فيما ذُكر — صومُ رمضان . وقيل : إنّه فرِض فى شعبان منها . وكان النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم حين قدِم المدينة ، رأى يهود تصوم يومَ عاشوراء ؛ فسألهم فأخبروه أنّه اليوم الّذِى غرّق الله فيه آلَ فرعون ، ونَجّى موسى ومن معه منهم ؛ فقال : نحنُ أحقُّ بموسى منهم . فصامَ وأمر النّاس بصومه ، فلمّا فُرِض صوم شهر رمضان ، لم يأمرهم بصوم يوم عاشوراء ، ولم ينههم عنه .

(١) الخبر فى التفسير ٢ : ٥٢٩ ، مع اختلاف فى الرواية .

(٢) الخبر فى التفسير ٢ : ٥٢٩ ، ٥٢٦ ، مع اختلاف فى الرواية .

وفيها أمر الناس بإخراج زكاة الفطر . وقيل إنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم خطب الناس قبل [يوم][1] الفِطْر بيوم أو يومين ، وأمرهم بذلك .

وفيها خرَج[2] إلى المُصلّى فصلّى بهم صلاةَ العيد ؛ وكان ذلك أوّلَ خَرْجَةٍ خرجها بالنّاس إلى المصلّى لصلاة العيد .

وفيها — فيما ذكر — حُمِلت العَنَزة[3] له إلى المصلّى فصلّى إليها ، وكانت للزبير بن العوام — كان النجاشىّ وهبها له — فكانت تحمَلُ بين يديه فى الأعياد ، وهى اليوم فيما بلغنى عند المؤذّنين بالمدينة .

وفيها كانتْ وقعة بدْر الكبرَى بين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والكفار من قُريش ؛ وذلك فى شهر رمضان منها .

* * *

١٢٨٢/١ ثم اختلفوا فى اليومِ الّذِى فيه كانت الحرب بينه وبينهم ، فقال بعضهم : كانت وقْعة بدر يوم تسعة عشر من شهر رمضان .

ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا هارون بن المغيرة ، عن عنْبسة ، عن أبى إسحاق ، عن عبدالرحمن بن الأسود ، عن أبيه ، عن ابن مسعود ، قال : التمِسُوا ليلَةَ القَدْرِ فى تِسْع عشرة ليلةً من رمضان ؛ فإنها ليلةُ بَدْر .

حدّثنا محمد بن عُمارة الأسدىّ ، قال : حدّثنا عُبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن حُجَيْر الثعلبىّ ، عن الأسود

(١) من ح .

(٢) ح : « خرج النبى صلى الله عليه وسلم » .

(٣) فى شرح مواهب القسطلانى للزرقانى (٣ : ٤٣٧) : « العنزة ، بفتح المهملة والنون والزاى ، قال الحافظ : عصا أقصر من الرمح يقال لها سنان ؛ وقيل : هى الحربة القصيرة ، وفى رواية : عصا عليها زج . وفى طبقات ابن سعد أن النجاشى أهداها للنبى صلى الله عليه وسلم ... ، وروى أنها للزبير أخذها من مشرك يوم أحد . ونقل عن ابن سيد الناس أن الزبير قدم بها من الحبشة » .

عن عبد الله ، قال : التمسوا ليلة القدر فى تسعَ عشرة من رمضان ، فإنّ صبيحتَها كانت صبيحة بدر .

حدّثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا عُبيد بن محمد المحاربىّ ، قال : حدثنا ابنُ أبى الزّناد ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد ، أنه كان لا يُحْيِى ليلةً من شهر رمضان كما يحيى ليلةَ تسع عشرة وثلاث وعشرين ، ويصبح وجهه مصفرًّا مِنْ أثَر السَّهَر ، فقيل له ، فقال : إنّ الله عزّ وجلّ فرَق فى صبيحتها بين الحقّ والباطل .

* * *

وقال آخرون : كانتْ يوم الجمعة صبيحةَ سبع عشرة من شهر رمضان .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا محمد بن جعفر ، قال : حدّثنا شُعبة ، قال : سمعتُ أبا إسحاق يُحدّث عن حُجَير ، عن الأسود وعلْقَمة ، أنّ[1] ١٢٨٣/١
عبد الله بن مسعود ، قال : التمِسُوها فى سبع عَشرة . وتلا هذه الآية : ﴿ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾[2] ، يوم بدر ، ثم قال : أو تسعَ عشرةَ ، أو إحدى وعشرين .

حدّثنا الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرَنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا الثورىّ ، عن الزّبير بن عدىّ ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله ، قال : كانتْ بدر صبيحة تسعَ عشرة من رمضان .

حدّثنا الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا الثورىّ ، عن أبى إسحاق ، عن الأسود ، عن عبد الله مثله .

قال الحارِث : قال ابنُ سعد ، قال الواقدىّ : فذكرتُ ذلك لمحمّد بن

(١) ح : « عن » .
(٢) سورة الأنفال ٤١ .

صالح ، فقال : هذا أعجب الأشياء ؛ ما ظننتُ أنّ أحدًا من أهل الدّنيا شكّ[١] فى هذا ؛ إنها صبيحة سبع عشرة من رمضان[٢] ، يوم الجمعة .

قال محمد بن صالح : وسمعتُ عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رُومان ، يقولان ذلك . قال لى محمد بن صالح : يابنَ أخى ، وما تحتاج إلى تسمية الرجال فى هذا ! هذا أبينُ من ذلك[٣] ؛ ما يجهل هذا النساء فى بيوتهنّ .

قال الواقدىّ : فذكرتُه لعبد الرحمن بن أبى الزّناد ، فقال : أخبرنى أبى ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد بن ثابت ، أنه كان يُحْيِي ليلةَ سبعَ عشرة من شهر رمضان ؛ وإن[٤] كان ليُصبِحُ وعلى[٥] وجهه أثر السّهَرِ ، ١٢٨٤/١ ويقول : فرّق الله فى صَبيحتها بين الحقّ والباطل ، وأعزّ فى صُبْحها[٦] الإسلام ، وأنزل فيها القرآن[٧] ، وأذلّ فيها أئمّة الكفر .

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة . حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا يحيى ابن واضح ، قال : حدّثنى يحيى بن يعقوب أبو طالب ، عن أبى عَوْن محمد ابن عبيد الله الثقفىّ ، عن أبى عبد الرحمن السُّلَمىّ عبد الله بن حبيب ، قال : قال قال الحسنُ بن علىّ بن أبى طالب : كانت ليلة الفُرْقان يوم التقى الجمعان ، لسبع عشْرة من رمضان .

وكان الّذى هاجَ وقْعة بدر وسائر الحروب الّتى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلمَ وبين مشركى قريش — فيما قال عُرْوة بن الزُّبير — ما كان من قَتْل واقد بن عبد الله التميمىّ عمرَو بن الحضرمىّ .

(١) و : « يشك » .

(٢) و : « من شهر رمضان » .

(٣) و : « ذاك » .

(٤) ر : « وأنه » .

(٥) م : « على » .

(٦) ح ، ر : « صبيحتها » .

(٧) ر ، و : « الفرقان » .

ذكر وقعة بدر الكبرى

حدّثنا علىّ بن نصر بن علىّ ، وعبد الوارث بن عبد الصّمد بن عبدالوارث — قال علىّ : حدّثنا عبد الصّمد بن عبد الوارث ، وقال عبد الوارث : حدّثنى أبى — قال : حدّثنا أبان العطار ، قال : حدّثنا هشام بن عُروة ، عن عُروة ، أنه كتب إلى عبدِ الملك بن مروان : أمّا بعد ، فإنك كتبتَ إلىّ فى أبى سفيان ومخرَجه ، تَسألنى كيف كان شأنه ؟ كان من شأنه أنّ أبا سُفْيان بن حَرْب أقبل من الشأم فى قريب من سبعين راكبًا من قبائل قريش كلّها ، كانوا ١/١٢٨٥ تجاراً بالشأم ، فأقبلوا جميعًا معهم أموالُهم وتجارتهم ، فذكروا لرسول الله صلّى الله عليه وسلم وأصحابه ؛ وقد كانت الحرب بينهم قبل ذلك ، فقُتلت قتلى ، وقُتِل ابن الحضرمىّ فى ناس بنَخْلَة ، وأسِرَتْ أسارَى من قريش ؛ فيهم بعضُ بنى المغيرة ، وفيهم ابن كَيْسان مولاهم ، أصابهم عبد الله بن جَحْش وواقد حليف بنى عدىّ بن كعب ، فى ناسٍ من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعثهم مع عبد الله بن جحش ، وكانت تلك الوقعة هاجت الحرب بين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبين قريش ، وأول ما أصاب به بعضهم بعضًا من الحرب ، وذلك قبلَ مخرج أبى سفيان وأصحابه إلى الشأم. ثم إنّ أبا سفيان أقبل بعد ذلك ومَن معه من ركْبان قريش[1] مقبلين من الشأم ، فسلكوا طريق الساحل ، فلمّا سمع بهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم نَدبَ أصحابه وحدّثهم بما معهم من الأموال ، وبقلّة عَدَدِهم ، فخرجوا لا يريدون إلاّ أبا سفيان والركْبَ معه ؛ لا يرونها إلاّ غنيمة لهم ؛ لا يظنّون أن يكون كبيرُ قتال إذا لقُوهم ، وهى التى أنزل الله عزّ وجلّ فيها : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾[2].

فلما سمعَ أبوسفيان أنّ أصحابَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم معترضون له[3] ،

(١) الركبان والركب : أصحاب الإبل فى السفر . وفى م : « رؤساء قريش » .

(٢) سورة الأنفال ٧ ، والخبر فى التفسير ١٣ : ٣٩٩ .

(٣) ر ، و : « لهم » .

بعث إلى قريش : إنّ محمداً وأصحابه معترضون لكم ، فأجيرُوا[١] تجارتَكم[٢] . فلمّا أتى قريشًا الخبرُ — وفى عِيرِ أبى سفيان ؛ من بُطون كعب
١٢٨٦/١ ابن لُؤىّ كلّها — نَفَر لها أهلُ مكة ؛ وهى نَفْرة بنى كعب بن لُؤىّ ، ليس فيها من بنى عامر أحدٌ إلاّ من كان من بنى مالك بن حِسْل ؛ ولم يَسمع بنَفْرَة قريش رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ولا أصحابه ؛ حتى قدِم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بدْرًا — وكان طريق ركبان قريش ؛ مَنْ أخذ منهم طريق الساحل إلى الشأم — فخفض[٣] أبو سفيان عن بدْر ، ولزِم طريقَ الساحل ، وخاف الرّصَد[٤] على بدْر ، وسار النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، حتى عرّسَ قريبًا من بدر ، وبعث النبىّ صلّى الله عليه وسلم الزبير بن العوام فى عصابة من أصحابه إلى ماء بدر ، وليسوا[٥] يحسِبُون أنّ قريشًا خرجت لهم ، فبينا النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قائم يصلّى ؛ إذ ورد بعض روايا[٦] قريش ماءَ بدر ، وفيمن ورد من الرّوايا غلام لبنى الحجّاج أسودُ ؛ فأخذه النّفرُ الذين بعثهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مع الزبير إلى الماء ، وأفلت بعضُ أصحاب العبد نحو قريش ، فأقبلوا به حتى أتوْا به رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو فى مُعَرّسه ، فسألوه عن أبى سفيان وأصحابه ؛ لايحسبون إلاّ أنه معهم ، فطفِق العبد يحدّثهم عن قريش ومن خرج منها ، وعن رءوسهم ، ويصدُقهم الخبر ؛ وهم أكره شىء إليهم الخبر الذى يخبرهم ؛ وإنما يطلبون حينئذ بالركْب أبا سفيان وأصحابه ، والنبىّ صلّى الله عليه وسلم يصلّى ؛ يركع ويسجد يرى ويَسمع ما يُصنع[٧] بالعبد ، فطفِقوا إذا ذكر لهم أنها قريش جاءتهم ،
١٢٨٧/١ ضربوه وكذّبوه ، وقالوا : إنما تكتمنا أبا سفيان وأصحابَه ؛ فجعل العبد إذا

(١) و : « فأجيزوا » .

(٢) م : « فأخبروا تجاركم » .

(٣) الخفض : السير اللين .

(٤) الرصد : المرتصدون المترقبون على الطريق .

(٥) و : « ليس » .

(٦) روايا : جمع راوية ، ويراد بالراوية هنا القوم يستقون الماء على الدواب .

(٧) م : « ما صنع » .

أذلقوه بالضرب[١] وسألوه عن أبي سفيان وأصحابه[٢] — وليس له بهم علم؛ إنما هو من رَوَايا قريش — قال : نعم ، هذا[٣] أبو سفيان ،والرَّكْب حينئذ أسفل منهم[٤]؛ قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ — حتّى بلغ — ﴿ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً ﴾[٥] ، فطفقوا إذا قال لهم العبد : هذه قريش قد أتتكم ضربوه ، وإذا قال لهم : هذا أبو سفيان تركوه .

فلمّا رأى صنيعَهم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم انصرف من صلاته وقد سمع الذى أخبرهم ، فزعموا أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال : والذى نفسى بيده ، إنكم لتضربونه إذا صَدَقَ ، وتتركونه إذا كذب ! قالوا : فإنه يحدّثنا أنّ قريشًا قد جاءت ، قال : فإنّه قد صدق ؛ قد خرجت قريش تجير[٦] رِكَابها ، فدعا الغلام فسأله فأخبره بقريش، وقال : لا عِلْمَ لى بأبى سفيان ، فسأله : كم القوم[٧] ؟ فقال : لا أدرى ؛ والله هم كثير عددهم[٨] . فزعموا أن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال : مَنْ أطعمهم[٩] أوّل مِنْ أمس ؟ فسمّى رجلاً أطعمهم ، فقال : كم جزائر نَحَرَ لهم[١٠] ؟ قال : تسع جزائر ، قال : فمَنْ أطعمهم أمسِ ؟ فسمّى رجلا ، فقال : كم نحر لهم ؟ قال : عشر جزائر ؛ فزعموا أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال : القومُ ما بين التسعمائة إلى الألف . فكان نَفْرَة[١١] قريش يومئذ خمسين وتسعمائة . ١٢٨٨/١

(١) أذلفوه بالضرب : أضعفوه .
(٢) ساقط من ح ، م .
(٣) م : « هو » .
(٤) ر : « منكم » .
(٥) سورة الأنفال ٤٢ .
(٦) و : « تجيز » .
(٧) ح : « فسأله عن القوم » .
(٨) ر : « عدد كثير » .
(٩) ر : « أطعمكم » .
(١٠) و : « لكم » . والجزور : الناقة المجزورة ، والجمع جزائر .
(١١) النفرة والنفر والنفير : القوم ينفرون إلى القتال .

فانطلق النبيّ صلى الله عليه وسلم فنزل الماء وملأ الحياضَ ، وصفّ عليها أصحابه ، حتى قدِم عليه القوم . فلمّا ورد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بدراً قال : هذه مصارعُهم ؛ فوجدوا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قد سبقهم إليه ونزل عليه . فلمّا طلعوا[1] عليه زعموا أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال : هذه قريش قد جاءت بجلَبتها[2] وفخرها ؛ تحادُّك[3] وتُكذّبُ رسولك! اللهمّ إنّى أسألك ما وعدتنى .

فلما أقبلوا استقبلهم ، فحثَا فى وجوههم التراب ؛ فهزمَهم الله . وكانوا قبل أن يلقاهم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قد جاءهم راكب من أبى سفيان والركب الذين معه : أن ارْجعوا[4] — والركْب الذين يأمرون قريشًا بالرجْعَة بالجُحْفة — فقالوا : والله لا نرجع حتى ننزل بدرًا ، فنقيم به[5] ثلاثَ ليال ، ويرانا مَن غشَينا من أهل الحجاز ؛ فإنه لن يرانا أحد من العرب وما جمعْنا فيقاتلنا . وهم الذين قال الله عزّ وجلّ : ﴿ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ ﴾[6] ؛ فالتقوا هُمْ والنبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، ففتح الله على رسوله ، وأخزى أئمة الكُفْر وشفى صدورَ المسلمين منهم[7] .

حدّثنى هارون بن إسحاق ، قال : حدّثنا مصعب بن المِقْدام ، قال : حدّثنا إسرائيل ، قال : حدّثنا أبو إسحاق ، عن حارثة ، عن علىّ عليه السلام ، قال : لما قَدِمْنا المدينة أصبنا من ثمارها ، فاجتَويْناها ، وأصابنا بها وعْكٌ ، وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يتخبّر عن بدر ؛ فلما بلغنا ١٢٨٩/١
أنّ المشركين قد أقبلُوا سار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بدر — وبدر بئر — فسبَقْنا المشركين إليها ، فوجدنا فيها رجليْن ، منهم رجلٌ من

(١) و : « اطلعوا » .
(٢) ح ، و : « بحليتها » .
(٣) ر ، م : « تجادل » .
(٤) فى التفسير : « إنا أجزنا القوم ، وأن ارجعوا » .
(٥) و ، والتفسير : « فبه » .
(٦) سورة الأنفال ٤٧ .
(٧) الخبر ورد مفرقاً فى التفسير ١٣ : ٤٤٣ ، ٥٧٨ .

قريش ، ومولًى لعُقْبة بن أبى مُعَيْط ؛ فأما القرشىّ فانفلت[١] ، وأمّا مولى عُقْبة فأخذناه ، فجعلنا نقول : كم القوم ؟ فيقول : هم والله كثير ، شديدٌ بأسهم ؛ فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه ، حتى انتهوْا به إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال له : كم القوم ؟ فقال : هم والله كثير ، شديد بأسهم ، فجهد النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أن يخبرَه كم هم ، فأبى . ثمّ إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سأله : كم ينحرون من الجُزُر ؟ فقال : عشراً كلّ يوم ، قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : القوم ألف .

ثم إنه أصابنَا من الليل طَشٌّ[٢] من المطر ، فانطلقنا تحت الشجر والحَجَف[٣] نستظلّ تحتها من المطر ، وبات رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يدعو ربّه : اللّهمّ إنْ تهلِكْ هذه العِصابة لا تُعبَد فى الأرض . فلمّا أنْ طلع الفجر نادى : الصلاة عباد الله ! فجاء الناس من تحت الشجر والحَجف ، فصلى بنا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وحرّض على القتال ، ثم قال : إنّ جَمْع قريش عند هذه الضَّلْعة[٤] من الجبل . فلما أن دنا القوم منّا وصافَفْناهم[٥] ؛ إذا رجلٌ من القوم على جَمل أحمر يسير فى القوم ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : يا علىّ ، نادِ لى حمزة — وكان أقربهم إلى المشركين — : مَنْ صاحبُ الجمل الأحمر ؟ وماذا يقول لهم ؟ وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إن يكن فى القوم مَنْ يأمر بالخير ؛ فعسى أن يكونَ صاحبَ الجمل الأحمر ، فجاء حمزة ، فقال : هو عتْبة بن ربيعة ؛ ١٢٩٠/١
وهو ينهى عن القتال ، ويقول لهم : إنّى أرى قومًا مُسْتَميتين لا تصلون[٦] إليهم وفيكم خير ؛ يا قوم اعصِبُوها اليومَ برأسى ، وقولوا : جَبُنَ عُتْبة ابن ربيعة ؛ ولقد علمتم أنّى لستُ بأجبنِكم .

(١) ر : « فأفلت » .
(٢) الطش : المطر الصعيف فوق الرذاذ .
(٣) الحجف : ضرب من الترسة ؛ واحدتها حجفة ؛ وهى من الجلود خاصة .
(٤) الضلعة : الجانب .
(٥) صاف القوم غيرهم فى القتال مصافة ، أى وقفوا مصطفين .
(٦) و : « لا يوصل إليهم » .

قال : فسمِعَ أبوجهل فقال : أنت تقول هذا ! والله لو غيرك يقول هذا لعضضتُه[١] ! لقد ملئت رِئتُك وجوفك رُعبًا ، فقال عتبة : إيّاىَ تُعَيِّر يامصَفِّر[٢] استِه ! ستَعلم اليومَ أيّنا أجْبَن !

قال : فبرز عُتبة بن ربيعة وأخوه شيبة بن ربيعة ، وابنه الوليد، حميّةً ، فقالوا : مَنْ يبارز ؟ فخرج فِتْيةٌ من الأنصار ستّة ، فقال عُتبة : لا نريدُ هؤلاء ؛ ولكن يبارزُنا من بنى عَمّنا من بنى عبد المطلب . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : يا علىّ قُم ، ياحمزة قم ، يا عُبيدة بن الحارث قم ، فقتل الله عتبةَ بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة ، وجرح عُبيدة بن الحارث ؛ فقتلنا منهم سبعين ، وأسرْنا منهم سبعين .

قال : فجاء رجل من الأنصار قصير بالعبّاس بن عبد المطلب أسيراً، فقال : يا رسولَ الله ؛ والله ما هذا أسَرنى ، ولكن أسَرَنى رجل أجْلَح[٣] من أحسن الناس وجهًا ، على فرس أبْلق ، ما أراه فى القوم ، فقال الأنصارىّ : أنا أسرته ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لقد آزرك الله بملَكٍ كريم . قال علىّ : فأسِر من بنى عبد المطّلب العباس وعَقِيل ونوفل بن الحارث .

حدّثنى جعفر بن محمد البزُورىّ ، قال : حدّثنا عُبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق، عن حارثة ، عن علىّ ، قال : لمّا أن كان ١٢٩١/١
يومُ بدر ، وحضر البأس اتّقينا برسول الله ، فكان من أشدّ الناس بأسًا ، وما كان منّا أحدٌ أقربَ إلى العدوّ منه .

حدّثنا عمرو بن على ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن مهدىّ ، عن شُعبة ، عن أبى إسحاق ، عن حارثة بن مُضرّب[٤] ، عن علىّ ، قال : سمعتُه

(١) ح : « لفصصته » .
(٢) مصفر استه ، قال السهيلى : « إنما أراد مصفر بدنه ؛ ولكنه قصد المبالغة فى الذم، فخص منه بالذكر ما يسوء أن يذكر » .
(٣) الجلح : انحسار الشعر عن جانبى الرأس ، وفى ح : « أجلح الرأس » .
(٤) و : « مصرف » .

يقول : ما كان فينا فارسٌ يوم بدر غير مِقْداد بن الأسود ؛ ولقد رأيتُنا وما فينا إلاّ نائمٌ ، إلاّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قائمًا إلى شجرة يصلّى ، ويدعو حتى الصبح .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سمِعَ بأبى سفيان بن حَرْب مقبلاً من الشأم فى عِيرٍ لقريش عظيمة ، فيها أموال لقريش وتجارة من تجاراتهم ؛ وفيها ثلاثون راكبًا من قريش — أو أربعون — منهم مخرَمة بن نوفل بن أهَيْب بن عبد مناف بن زهرة ، وعمرو بن العاص بن وائل بن هشام ابن سُعَيْد بن سهم .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، قال : فحدّثنى محمد بن مسلم الزهرىّ وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ويزيد بن رومان ؛ عن عُروة وغيرهم من علمائنا ، عن عبد الله بن عباس ، كلٌّ قد حدّثنى بعض هذا الحديث ؛ فاجتمع حديثهم ١٢٩٢/١
فيما سُقتُ من حديث بدر ، قالوا : لما سمع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بأبى سفيان مقبلاً من الشأم ، ندَب المسلمين إليهم ، وقال : هذه عِيرُ قريش فيها أموالهم ، فاخرُجوا إليها ، لعلّ الله أن يُنَفِّلكموها ، فانتدب الناس فَخفّ بعضهم وثقُل بعضهم ؛ وذلك أنهم لم يظنُّوا أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يلقى حَرْبًا ، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسَّس الأخبار ، ويسأل مَنْ لقِىَ من الرُّكبان تخوُّفًا على أموال الناس ؛ حتى أصاب خبراً من بعض الركبان ؛ أنّ محمداً قد استنفَر أصحابه لك ولِعيرك . فحذِر عند ذلك ، فاستأجر ضَمْضَم بن عمرو الغِفارىّ ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتىَ قريشًا يستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أنّ محمداً قد عَرَض لها فى أصحابه ،

فخرج ضمضم بن عمرو سريعًا إلى مكة[١] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : قال ابنُ إسحاق : وحدّثني مَن لا أتّهم ، عن عِكْرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ويزيد ابن رُومان ، عن عُروة ، قال : وقد رأتْ عاتكةُ بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفزَعتها ، فبعثتْ إلى أخيها العباس بن عبدالمطلب فقالت له : يا أخي ، والله لقد رأيتُ الليلة رؤيا لقد أفظعتني[٢] ، وتخوّفت أن يدخلَ على قومك منها شرٌّ ومصيبة ، فاكتُمْ عليَّ[٣] ما أحدّثك [به][٤] ١٢٩٣/١
قال لها : وما رأيتِ ؟ قالت : رأيت راكبًا أقبل على بعيرٍ له حتى وقف بالأبطح . ثم صرخ بأعلى صوته : أن[٥] انفِروا يا آل غُدَرَ[٦] لمصارعكم فى ثلاث ! فأرى الناس[٧] اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ؛ فبيناهم حولَه مثَلَ به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بأعلى صوته بمثلها : أن انفروايا آل غُدر لمصارعكم فى ثلاث ! ثمّ مثل به بعيرهُ على رأس أبى قُبَيْس ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذَ صخرة فأرسلها ، فأقبلتْ تهوِى حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضّت[٨] فما بقِىَ بيت من بيوت مكة ، ولا دارٌ من دورها إلاّ دخلت منها فِلْقة .

قال العباس : والله إنّ هذه لرؤيا رأيتِ فاكتُميها ولا تذكريها لأحد .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦١ .
(٢) أفظعتنى : اشتدت على .
(٣) ابن هشام : « اكتم عنى » .
(٤) من سيرة ابن هشام .
(٥) ابن هشام : « ألا انفروا » .
(٦) كذا فى ط ، بضم الغين وفتح الدال . وفى اللسان : « ورجل غادر وغدار وغدير وغدور ، وكذلك الأنثى بغير هاء ، وغدر (بضم الغين وفتح الدال) ، وأكثر ما يستعمل هذا النداء فى الشتم ، يقال : يا غدر ، وفى الحديث : « يا غدر ، ألست أسعى فى غدرتك ! » ، ويقال فى الجمع : يا لغدر (بضم الغين وفتح الدال) ، ومنه حديث عاتكة : يا لغدر يالفجر ! » . وقال السهيلى : « هو بضم الغين والدال ، جمع غدور » .
(٧) فى سيرة ابن هشام : « فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ؛ فبينما هم حوله ، مثل به بعيره . ومثل به : قام به » .
(٨) ارفضت : تفرقت .

ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة — وكان له صديقًا — فذكرها له واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عُتْبة ، ففشا الحديث ؛ حتى تحدّث به قريش [فى أنديتها][1] .

قال العبّاس : فغدوت أطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام فى رهْط من قريش قُعودٌ يتحدّثون برؤيا عاتكة ؛ فلمّا رآنى أبو جهل ، قال : ياأبا الفضْل ؛ إذا فرغتَ من طوافك فأقبل إلينا . قال: فلمّا فرغت أقبلتُ إليه حتى جلست معهم ، فقال لى أبو جهل : يا بنى عبد المطّلب ؛ متى حدَثتْ ١٢٩٤/١
فيكم هذه النبيّة ! قال: قلتُ: وما ذاك ؟ قال: الرؤيا التى رأت عاتكة ، قال: قلت: وما رأت ؟ قال: يا بنى عبد المطّلب ، أما رضيتُم أن تتنبّأ رجالُكم ، حتى تتنبّأ نساؤكم ! قد زعمت عاتكة فى رؤياها أنه قال : انفرُوا فى ثلاث ، فستربّص بكم هذه الثلاث ؛ فإن يكن ما قالت حقًّا فسيكون ، وإن تمضِ الثلاث ولم يكن من ذلك شىء ؛ نكتب عليكم كتابًا أنّكم أكذبُ أهل بيتٍ فى العرب .

قال العباس : فوالله ما كان منّى إليه كبير إلاّ أنى جحدت ذلك وأنكرت أن تكونَ رأتْ شيئًا . قال : ثم تفرّقنا ؛ فلمّا أمسيتُ لم تبقَ امرأةٌ من بنى عبد المطلب إلاّ أتتْنِى ، فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ؛ ثم لم يكن عندك غَيْرة لشىء مما سمعت ! قال : قلت : قد والله فعلتُ ؛ ما كان منّى إليه من كبيرٍ ، وايمُ الله لأتعرّضنّ له ؛ فإن عاد لأكفِينّكموه[2] .

قال : فغدوتُ فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديد مغضَب ، أرى أن قد فاتنى منه أمرٌ أحبّ أن أدركه منه .

قال : فدخلت المسجد فرأيته ؛ فوالله إنّى لأمشى نحوه أتعرّضه [3] ليعود لبعض ما قال فأقع به — وكان رجلا خفيفًا حديدَ الوجه ، حديدَ اللسان ، ١٢٩٥/١

(١) من سيرة ابن هشام .
(٢) سيرة ابن هشام : « لأكفينكنه » .
(٣) ج : « أتعرض له » .

حديد النظر — إذْ خرج نحو باب المسجد يشتدّ . قال : قلتُ فى نفسى : ما له لعنه الله ! أكلّ هذا فرَقاً من أن أشاتمه ! قال : وإذا هو قد سمع ما لم أسمع ؛ صوت ضمضم بن عمرو الغِفارىّ ، وهو يصرخ ببطن الوادى واقفاً على بعيره ، قد جدَّع[1] بعيره ، وحوَّل رحلَه ، وشقّ قميصه ، وهو يقول : يا معشر قريش ، اللطِيمة اللَّطِيمة[2]! أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ؛ الغوث الغوث !

قال : فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء من الأمر . فتجهّز الناس سراعاً ، وقالوا : أيظنّ محمد وأصحابه أن تكون كعِير ابن الحضرمىّ ! كلاّ والله ليعلمُنّ غيرَ ذلك . فكانوا بين رجلين : إمّا خارج ، وإمّا باعث مكانه رجلا ، وأوعَبَتْ[3] قريش فلم يتخلّف من أشرافها أحدٌ ؛ إلاّ أنّ أبا لهب بن عبد المطلب تخلّف ، فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ؛ وكان لاط له[4] بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفْلَس بها ، فاستأجره بها على أن يجزىَ عنه بعثه ، فخرج عنه وتخلّف أبو لهب[5] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدّثنى عبد الله بن أبى نَجِيح ، أنّ أمية بن خلَف كان قد أجمع القعود ، وكان شيخاً جليلا ثقيلا ، فأتاه عقْبة بن أبى مُعَيط ، وهو جالس فى المسجد ١٢٩٦/١
بين ظهرىْ قومه بِمجْمرة يحملها ، فيها نار ومِجْمر[6] ، حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا علىّ ، استجمِرْ ؛ فإنما أنت من النساء ، قال : قبحك الله وقبح ما جئت به ! قال : ثم تجهّز ، فخرج مع الناس ، فلمّا فرغوا من جهازهم ، وأجمعوا السَّيْر ؛ ذكروا ما بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نَخْشى أن يأتونا من خَلْفنا[7] .

(١) جدع بعيره : قطع أنفه .
(٢) اللطيمة : الإبل التى تحمل البز والطيب .
(٣) أوعب القوم : إذا خرجوا كلهم للغزو .
(٤) لاط له : أربى ، وفى ح والأغانى : « لط » .
(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٦١ ، ٦٢ ، والأغانى ٤ : ١٧١ — ١٧٤ (طبعة الدار)
(٦) المجمر : العود يتبخر به .
(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٢ ، والأغانى ٤ : ١٧٤ ، ٢٧٥

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ، وحدّثنى يزيد بن رُومان ، عن عروة بن الزبير ، قال : لما أجمعت قريش المسيرَ ، ذكرت الذى بينها وبين بنى بكْر ؛ فكاد ذلك أن يَثْنيهم ، فتبدّى لهم إبليس فى صورة سُراقة بن جُعْشُم المُدْلجىّ — وكان من أشراف كنانة — فقال : أنا جارٌ لكم من أن تأتيَكم كنانة بشىء تكرهونه . فخرجوا سراعًا[1] .

* * *

قال أبو جعفر : وخرجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى عن غير ابن إسحاق — لثلاث ليال خَلَوْن من شهر رمضان فى ثلثمائة وبضعة عشر رجلا من أصحابه ؛ فاختلف فى مبلغ الزيادة على العشرة .

فقال بعضهم ، كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر[2] رجلاً .

١٢٩٧/١ * ذكر من قال ذلك :

حدّثنا أبو كريب ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عياش ، قال : حدّثنا أبو إسحاق[3] ، عن البَرَاء ، قال : كنّا نتحدّث أنّ أصحابَ بدر يوم بدر[4] كعِدّة أصحاب طالوت ، ثلثمائة رجل وثلاثة عشر رجلاً ؛ الذين جاوَزُوا النهر ؛ فسكت[5] .

حدّثنى محمد بن عُبيد المحاربىّ ، قال : حدّثنا أبو مالك الجَنْبىّ ، عن الحجاج ، عن الحَكَم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال : كان المهاجرون يومَ بدْر سبعة وسبعين رجلا ؛ وكان الأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلا ، وكان صاحبُ رايةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، وصاحبُ راية الأنصار سعدَ بن عُبَادة[6] .

* * *

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٣ ، والأغانى ٤ : ١٧٥

(٢) و : « وعشرين » .

(٣) كذا فى ط ، و فى م : « ابن إسحاق » ، والصواب ما فى ط ، وأبو إسحاق ممن روى عن البراء بن عازب . تهذيب التهذيب ١ : ٤٢٥ .

(٤) و : « أنهم كانوا » . (٥) كذا فى ط .

(٦) الأغانى ٤ : ١٧٥ .

وقال آخرون : كانوا ثلثمائة رجُل وأربعة عشر ، منْ شهد منهم، ومن ضُرِب بسهمه وأجره ؛ حدّثنا بذلك ابنُ حُمَيد ، قال : حدّثنا سلمَة ، عن ابن إسحاق .

وقال بعضهم : كانوا ثلثمائة وثمانية عشر .

وقال آخرون : كانوا ثلثمائة وسبعة .

* * *

وأمّا عامة السلف ؛ فإنهم قالوا : كانوا ثلثمائة رجل وبضْعة عشرَ رجلا .

١٢٩٨/١ * ذكر من قال ذلك :

حدّثنا هارون بن إسحاق ، قال : حدّثنا مُصعَب بن المِقْدام ، وحدّثني أحمد بن إسحاق الأهوازيّ ، قال : حدّثنا أبو أحمد الزُّبيريّ ، قالا : حدّثنا إسرائيل ، قال : حدثنا أبو إسحاق ، عن البَراء ، قال : كنّا نتحدّث أنّ عدّة أصحاب بدر على عِدّة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر — ولم يَجُزْ[1] معه إلاّ مؤمن — ثلثمائة وبضعة عشر .

حدّثنا ابن بشار ، قال : حدّثنا أبو عامر ، قال : حدّثنا سُفيان ، عن أبي إسحاق ، عن البرَاء ، قال : كنّا نتحدّث أن أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كانوا يوم بدر ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ، على عدّة أصحاب طالوت ؛ مَنْ جاز معه النهر ؛ وما جاز معه إلاّ مؤمنٌ .

حدّثنا ابنُ وكيع ، قال : حدّثنا أبي ؛ عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن البرَاء ، بنحوه .

حدّثنا إسماعيل بن إسرائيل الرّمْليّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن محمد ابن المغيرة ، عن مِسْعر ، عن أبي إسحاق ، عن البَرَاء ، قال: عِدّة أهل بدر عدّة أصحاب طالوت .

(١) م : « يكن » .

حدّثنى أحمد بن إسحاق ، قال : حدّثنا أبو أحمد ، قال : حدّثنا مِسْعَر ، عن أبى إسحاق ، عن البَرَاء ، مثله .

حدّثنا بِشْر بن معاذ ، قال : حدّثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قَتادة ، قال : ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم بدر : أنتم بعِدّة أصحاب طالوت يوم لقىَ جالوت ، وكان أصحابُ نبىّ الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلثمائةً وبضعة عشر رجلاً .

١٢٩٩/١ حدّثنى موسى بن هارون ، قال : حدّثنا عمرو بن حماد ، قال : حدّثنا أسباط ، عن السدّى ، قال : خَلَصَ طالوت فى ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ؛ عدّة أصحاب بدر .

حدّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرَنا مَعْمَر ، عن قَتادة ، قال : كان مع النبىّ صلّى الله عليه وسلّم يوم بدر ثلثمائة وبضعة عشر رجلا .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق. قال: وخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى أصحابه ، وجعل على الساقة (١) قيس بن أبى صَعْصَعَةَ أخا بنى مازن بن النجار ، فى ليال مضتْ من شهر رمضان ؛ فسار حتى إذا كان قريبًا من الصفراء ، بعث بسَبَّسَ بن عمرو الجهنىّ ، حليف بنى ساعدة وعَدِىّ بن أبى الزّغْباء الجُهَنىّ حليف بنى النجار إلى بَدْر ، يتحسّسان(٢) له الأخبار عن أبى سفيان بن حرب وعِيره ؛ ثم ارتحل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ وقد قدّمهما ؛ فلما استقبَلَ الصفْراء — وهى قرية بين جبلين — سأل عن جبليْهما : ما أسماؤهما ؟ فقالوا لأحدهما : هذا مُسْلِح ؛ وقالوا للآخر : هذا مُخرِئ ؛ وسأل عن أهلِهما ، فقالوا : بنو النار وبنو حُراق (بطنان ١٣٠٠/١ من بنى غِفار) ، فكرههما رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم والمرورَ بينهما ،

(١) ساقة الجيش : مؤخرته .

(٢) ابن هشام والأغانى : « يتجسسان » ، والتجسس والتحسس : تطلب الأخبار والبحث عنها .

وتفاءل[١] بأسمائهما وأسماء أهاليهما ؛ فتركهما والصَّفْراء[٢] بيَسار ، وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذَفِران ؛ فخرج منه حتى إذا كان ببعضه نزل .

وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمْنَعُوا عِيرهم ، فاستشار النبيّ صلى الله عليه وسلم الناسَ ، وأخبرهم عن قُريش ، فقامَ أبو بكر رضى الله عنه ، فقال فأحسن ، ثمّ قام عمر بن الخطاب فقال فأحسن ، ثم قام المِقْداد بن عمرو ، فقال : يا رسولَ الله ، امضِ لما أمرك الله ، فنحنُ معك ؛ والله لا نقول كما قالتْ بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُون ﴾[٣] ؛ ولكن اذهب أنتَ وربّك فقاتلا إنا معكما مقاتلون . فوالذى بعثَك بالحقّ لو سرتَ بنا إلى بَرْك الغِماد — يعنى مدينة الحبشة — لجالدْنا معك مَن دونه حتى تبلغَه . فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودَعَا له بخير[٤] .

* * *

حدّثنا محمد بن عبَيْد المحاربىّ ، قال : حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى ، قال : حدّثنا المخارق ، عن طارق ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : لقد شهدتُ من المِقداد مشهداً لأنْ أكونَ أنا صاحبه أحبّ إلىّ مما فى الأرض ١٣٠١/١
من شىء ؛ كان رجلاً فارساً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب احمارّتْ وجْنتاه ؛ فأتاه المقدادُ على تلك الحال[٥] ، فقال : أبشِرْ يا رسولَ الله ؛ فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُون ﴾ ، ولكن والذى بعثك بالحقّ لنكونن مِنْ بين يديك ومِنْ خلفك ، وعن يمينك وعن شمالك ، أو يفْتَح الله لك[٦] .

* * *

(١) الفأل فى الأصل ، ضد الطيرة ؛ وينقل إلى ما يكون صالحاً تجوزاً . وفى الحديث : « ويعجبنى الفأل الصالح » ، قال فى اللسان : « وهذا يدل على أن الفأل منه ما يكون صالحاً ، ومنه ما يكون غير صالح » .

(٢) فى بعض النسخ : « الصفيراء » . (٣) سورة المائدة ٢٤ .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٣ ، ٦٤ ، والأغانى ٤ : ١٧٦ ، ١٧٧

(٥) ج ، م : « ذلك الحال » . (٦) الأغانى ٤ : ١٧٧ .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : أشيرُوا علىّ أيها الناس — وإنما يريد الأنصار ؛ وذلك أنهم كانوا عدد الناس ؛ وذلك أنّهم حين بايعوه بالعقَبة ، قالوا : يا رسولَ الله ؛ إنا برآء من ذِمامك حتى تصلَ إلى دارنا ، فإذا وصلت إلينَا فأنت فى ذمامنا ؛ نمنعك مما نمنع منه أبناءَنا ونساءَنا ؛ فكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يتخوّف ألاّ تكون الأنصار ترى عليها نُصرته ؛ إلاّ ممن دَهِمَه بالمدينة من عدوّه ، وأن ليس عليهم أن يسيرَ بهم إلى عدوّ من بلادهم — فلمّا قال ذلك رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال له سعد بن مُعاذ : والله لكأنّك تريدنا يا رسول الله ! قال : أجَلْ ، قال : فقد آمنّا بك وصدّقناك ، وشهدنا أنّ ما جئت به هو الحقّ ، وأعطيناك على ذلك عُهُودَنا ومواثيقنا ؛ على السمع والطاعة ، فامضِ يا رسولَ الله لمَا أردْتَ ؛ فوالذى بعثك بالحقّ ، إن استعرضت[1] بنا هذا البحر ١٣٠٢/١
فخضْتَه لخضْناه معك ؛ ما تخلّف منّا رجلٌ واحد ؛ وما نكره أن تَلقى بنا عدوَّنا غداً ! إنا لَصُبُرٌ عند الحرب ، صُدُقٌ عند اللقاء ؛ لعلّ الله يريك منّا مَا تقَرُّ به عينُك ؛ فسرْ بنا على بَركة الله .

فَسُرَّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بقول سعد ، ونشّطه ذلك ، ثم قال : سيروا على بركة الله ، وأبْشروا ؛ فإنّ الله قد وَعَدَنى إحدى الطائفتين ؛ والله لكأنّى الآنَ أنظرُ إلى مصارع القوم .

ثم ارتحل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من ذَفران ، فسلك على ثنايا يقال لها الأصافر[2] ، ثم انحطّ منها على بلد يقال لها الدَّبَّة ، وترك الحنّان بيمين ؛ — وهو كثيب عظيم كالجبل — ثم نزل قريبًا من بَدْر ، فركب هو ورجلٌ من أصحابه — كما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن محمد بن يحيى بن حبّان — حتى وقف على شَيْخ من العرب[3] ؛ فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال

(١) استعرض البحر : أتاه من جانبه عرضاً . (٢) فى بعض النسخ : « الصفيراء » .
(٣) قال ابن هشام : « يقال ذلك الشيخ سفيان الضمرى » .

١٣٠٣/١ الشيخ : لا أخبركما حتى تخبرانى ممّن أنتما ! فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتَنا أخبرناك ؛ فقال : وذاك بذاك ! قال : نعم ، قال الشيخ : فإنّه بلغنى أنّ محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدَقَنِى الذى أخبرنى فهو اليوم بمكان كذا وكذا — للمكان الذى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — وبلغنِى أنّ قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا ؛ فإن كان الذى حدّثنى صدقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا — للمكان الذى به قريش — فلما فرغ من خبره ، قال : ممّن أنتما ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء ؛ ثم انصرف عنه . قال : يقول الشيخ : « ما من ماءٍ » ، أمِنْ ماءِ العِرَاق (١) !

ثم رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ؛ فلمّا أمسى بعث علىّ ابن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص ، فى نَفَرٍ من أصحابه إلى ماء بَدْر يلتمسون له الخبر عليه — كما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، كما حدّثنى يزيد بن رومان ، عن عُروة بن الزبير — فأصابوا راويةً لقريش فيها أسْلَم ؛ غلام بنى الحجّاج ، وعَرِيض أبو يَسَار ، غلام بنى العاص بن سعيد ؛ فأتوْا بهما رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم قائم يصلّى ؛ فسألوهما ، فقالا : نحن سقاة قريش ؛ بعثونا لنسقيَهم من الماء ، فكره القوم خبرَهما ، ورَجَوْا أن يكونا لأبى سفيان ؛ فضربوهما ، فلما أذْلَقوهما قالا : نحن لأبى سفيان ، فتركوهما ، وركع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد سجدتين ، ثم سلّم ، فقال : إذَا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما ! صَدَقَا والله ! إنّهما لقريش ؛ أخبِرانى : أين (٢) قريش ؟ قالا : هم وراءَ هذا الكثيب الذى ترى بالعُدْوَة القُصْوَى — والكثيب : العَقَنْقَل — فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لهما : كم القوم ؟ قالا : كثيرٌ ، قال : ما عِدّتهم ؟ قالا : لا ندرى ، قال : كم ينحرون كلّ يوم ؟ قالا : يومًا تسعًا ويومًا عشراً ، قال رسول

١٣٠٤/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٥ ، والأغانى ٤ : ١٧٨ ، ١٧٩

(٢) سيرة ابن هشام : « عن قريش » .

الله صلى الله عليه وسلم : القوم ما بين التسعمائة والألف . ثم قال لهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: فَمَنْ فيهم من أشراف قريش ؟ قال: عُتْبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو البختَرِىّ بن هشام ، وحكيم بن حِزَام ، ونوْفل بن خُوَيلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطُعَيْمَة بن عَدِىّ بن نوفل ، والنضْر بن الحارث بن كَلَدَة ، وَزَمْعَة بن الأسود ، وأبو جهل ابن هشام، وأمَيَّة بن خلَف ونُبَيه، ومُنبّه ابنا الحجاج ،وسُهَيْل بن عمرو، ١/١٣٠٥
وعمرو بن عبد ودّ . فأقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على الناس ، فقال : هذه مكّة قد ألْقَتْ إليكم أفْلاَذَ(١) كبِدِها .

قالوا : وقد كان بَسْبَس بن عمرو وَعَدِىٌّ بن أبى الزَّغْباء مَضَيا حتى نزلا بدراً ، فأناخا إلى تَلّ قريب من الماء ، ثم أخذا شنًّا (٢) يستقيان فيه — ومجدِىّ بن عمرو الجهنىّ على الماء — فسمع عدِىّ وبسبس جار يتيْن من جوارى الحاضر (٣) ؛ وهما تتلازمان(٤) على الماء؛ والملزومة(٥) تقول لصاحبتها : إنّما تأتى العيرُ غداً أو بعد غد ، فأعمل لهم ثم أقْضيكِ الذى لكِ . قال : مَجْدِىّ: صدقت ، ثم خلّص بينهما ؛ وسمع ذلك عدِىّ وَبسْبَس ، فجلسا على بعيرَيْهما ، ثم انطلقا حتى أتيا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأخبراه بما سمِعَا .

وأقبل أبو سفيان قد تقدّم العيرَ حَذِرًا حتى ورد الماء ، فقال لمجدِىّ بن عمرو : هل أحْسَسْتَ أحداً ؟ قال : ما رأيتُ أحداً أنْكرُه ؛ إلاّ أنى رأيتُ راكبين أناخا إلى هذا التلّ ، ثم استقيا فى شَنَّيْهما ؛ ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مناخهما ، فأخذ من أبعار بعيرَيْهما ففتّه ؛ فإذا فيه نَوًى(٦) . فقال : هذه والله علائف يثْرب! فرجع إلى أصحابه سريعًا ، فضرب وجه عِيره عن الطريق ، فساحَلَ

(١) الأفلاذ : القطع .
(٢) الشن : الزق البالى .
(٣) الحاضر : القوم النازلون على الماء .
(٤) التلازم : تعلق الغريم بغريمه .
(٥) الملزومة : المدينة .
(٦) ابن هشام : « النوى » .

١٣٠٦/١ بها[١] ، وترك بدراً يساراً ، ثم انطلق حتى أسرع .

وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجُحْفة رأى جُهَيمُ بن الصَّلْت بن مَخْرَمَة ابن المطّلب بن عبد مناف رؤيا ؛ فقال : إنّى رأيتُ فيما يرى النائم ، وإنّى لبينَ النائم واليقظان ، إذْ نظرتُ إلى رجل أقبل على فرسٍ حتى وقف ومعه بعيرٌ له ، ثم قال : قُتِلَ عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأميّة بن خلف ، وفُلاَن وفلان ؛ فعَدّدَ رجالا ممن قتل يومئذ من أشراف قريش ؛ ورأيته ضرب فى لَبَّة بعيره ، ثم أرسله فى العسكر ، فما بقى خِبَاء من أخْبِيةِ العسكر . إلاّ أصابه نَضْحٌ[٢] من دمه .

قال : فبلغتْ أبا جهل ، فقال : وهذا أيضًا نبيٌّ آخرُ من بنى المطّلب ؛ سيَعلَمَ غداً مَن المقتول إن نحن التقينا !

ولما رأى أبوسفيان أنه قد أحرز عِيرَه ، أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم
١٣٠٧/١ لتمنعوا عِيرَكم ورجالكم وأموالَكم ؛ فقد نجّاها الله ، فارجعوا . فقال أبوجهل ابن هشام : والله لا نرجع حتى نَرِدَ بَدْراً — وكان بدرٌ مَوْسِما من مواسم العرب ، تجتمع لهم بها سُوقٌ كلَّ عام — فنقيم عليه ثلاثاً ، ونَنحَرُ الجُزُرَ ، ونُطْعِمُ الطعام ، ونسقى الخُمور ، وتَعْزِف علينا القيَان ، وتسمع بنا العرب ؛ فلا يزالون يهابوننا أبداً ؛ فامضوا . فقال الأخْنَسُ بن شَرِيق بن عمرو بن وهب الثقفىّ — وكان حليفًا لبنى زُهْرةَ وهم بالجُحْفَة : يا بنى زُهرة ؛ قد نجّى الله لكم أموالَكم ، وخلّص لكم صاحبَكم مَخْرَمة بن نوفل ؛ وإنّما نفرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا بى جُبْنَها وارجعوا ، فإنه لا حاجةَ بكم فى أن تخرجوا فى غير ضَيْعَة ؛ لا ما يقول هذا — يعنى أبا جهل — فرجعوا ؛ فلم يَشْهدْها زهرىٌّ واحدٌ ؛ وكان فيهم مطاعًا . ولم يكن بقى من قريش بطن إلاّ نَفَرَ منهم ناس ، إلاّ بنى عدىّ بن كعب ، لم يخرج منهم رجلٌ واحدٌ ، فرجعت بنو زُهرة مع الأخنس بن شَرِيق ، فلم يشهد بدراً من هاتَيْن القبيلتَيْن أحدٌ . ومضى القوم .

(١) ساحل بها ، أى أخذ بها طريق الساحل .

(٢) نضح ، أى لطخ .

قال : وقد كان بين طالب بن أبى طالب — وكان فى القوم — وبين ١٣٠٨/١
بعض قريش مُحاورة[١] ، فقالوا : والله لقد عرَفْنا يا بنى هاشم — وإن[٢]
خرجتم معنا — أنّ هواكم مع محمد . فرجع طالب إلى مكة فيمن[٣] رجع .

* * *

قال أبو جعفر : وأما ابن الكلبىّ ؛ فإنه قال فيما حُدّثتُ عنه : شَخَص طَالبُ بن أبى طالب إلى بدر مع المشركين ، أخرِج كرهًا . فلم يوجَدْ فى الأسْرَى ولا فى القتلى ، ولم يرجع إلى أهله ، وكان شاعراً ؛ وهو الذى يقول :

يَارَبِّ إمَّا يَغْزُوَنَّ طَالِبْ[٤] فى مِقْنَبٍ من هٰذِهِ المَقَانِبْ[٥]
فَلْيَكُنِ الْمَسْلُوبَ غَيْرَ السَّالِبْ وَلْيَكُنِ المَغْلُوبَ غَيْرَ الغَالِبْ[٦]

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : ومضت قريش حتى نزلوا بالعُدْوَة القُصْوَى من الوادى ؛ خلف العَقَنْقَل ، وبطن الوادى وهو يَلْيَل ، بين بدر وبين العَقَنْقَل ؛ الكثيب الذى خلفه قريش ، والقُلُب[٧] ببدر فى العُدْوة الدنيا من بطن يَلْيل إلى المدينة ، وبعث الله السماء ، وكان الوادى دَهْسًا[٨] ، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ما لبَّدَ لهم الأرض ؛ ولم يمنعهم المسير ، وأصاب قريشًا منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه ؛ فخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يُبَادِروهم إلى الماء ؛ ١٣٠٩/١
حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به[٩] .

(١) ح : « مجاورة » . (٢) م : « إن » .
(٣) و : « مع من رجع » . (٤) ابن هشام : « لا هم » .
(٥) ابن هشام : « فى عصبة مخالف محارب » ؛ والمقنب : الجماعة من الخيل ؛ مقدار ثلاثمائة أو نحوها .
(٦) قال ابن هشام : قوله : « فليكن المسلوب » ، وقوله : « وليكن المغلوب » ، عن غير واحد من الرواة للشعر .
(٧) القلب : جمع قليب ، وهو البئر .
(٨) الدهس : كل مكان لين لم يبلغ أن يكون رملا .
(٩) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٤ ، ٦٥ ، والأغانى ٤ : ١٧٨ ، ١٨٣ .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : فحدثني محمد بن إسحاق ، قال : حُدّثتُ عن رجال من بني سلمَة ؛ أنهم ذكروا أنّ الحُبَاب ابن المُنْذر بن الجموح ، قال : يا رسولَ الله ، أرأيت هذا المنزل ، أمَنزِلٌ أنزَلكه الله ليسَ لنا أن نتقدّمه ولا نتأخّره ، أم هو الرّأيُ والحرب والمكيدة ؟ قال : بَلْ هو الرأى والحرب والمكيدة ؛ فقال : يا رسولَ الله ، فإنّ هذا ليس لك بمنزِل ، فانهَضْ بالناس حتى نأتيَ أدنى ماء من القوم فننزلَه ، ثم نغوِّر(٢) ما سواه من القُلُب ، ثم نبنِي عليه حَوْضًا فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرتَ بالرأى . فنهض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ومَنْ معه من الناس ، فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم ؛ فنزل عليه ، ثم أمر بالقُلب فغُوِّرَتْ ، وبنى حوضًا على القليب
١٣١٠/١ الذى نزل عليه فمُلِىء ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية(٣) .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : قال محمد بن إسحاق : فحدّثني عبد الله بن أبي بكر ، أنّ سعد بن معاذ قال : يا رسول الله ، نَبْنِى لَكَ عريشًا من جريد فتكون فيه ، ونُعِدُّ عندك ركائبك ، ثم نَلقَى عَدُوّنا ؛ فإنْ أعزّنا الله وأظهرنا على عَدُوّنا(٤) كان ذلك مما(٥) أحببْنَا ، وإن كانت الأخْرَى جلستَ على ركائبك ، فلحقْت بمَنْ وراءنا من قومنا ، فقد تخلّف عنك أقوام يا نبيّ الله ، ما نحن بأشدّ حُبًّا لك منهم ؛ ولو ظنّوا أنك تلْقَى حربًا ما تخلّفوا عنك . يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك . فأثنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليه(٦) خيراً ، ودعا له بخير .

(١) م : « منزل » .

(٢) عور العين ؛ إذا دفنها ، وفى ابن هشام : « نغور » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٥ ، والأغانى ٤ : ١٨٣ ، ١٨٤

(٤) ح : « عليه » .

(٥) ابن هشام : « ما أحببنا » .

(٦) ر : « عليهم » .

ثم بُنِى لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم عريشٌ ، فكان فيه ؛ وقد ارتحلت قريش حين أصبحت ، فأقبلتْ ، فلمّا رآها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم تصوّب[١] من العَقَنْقل — وهو الكثيب الذى منه جاءوا إلى الوادى — قال : اللهمّ هذه قريش قد أقبلت بخُيَلائها وفخرها تُحادُّك وتُكذّب رسولَك ؛ اللهُمّ فنصرَك الذى وعدتَنى ؛ اللهم فأحْنِهِم[٢] الغَداة !

وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — ورأى عتبة بن ربيعة فى القوم ، على جمل له أحمر : إن يكنْ عندَ أحد من القوم خيرٌ ؛ فعند صاحب الجمل ١٣١١/١
الأحمر ؛ إن يُطيعوه يَرْشُدُوا . وقد كان خُفاف بن إيماء بن رَحَضَة الغِفارىّ — أو أبوه إيماء بن رَحَضة — بعث إلى قريش حين مرّوا به ابنًا له بجزائر[٣] أهداها لهم ، وقال : إن أحببتم أن أمِدّكم بسلاح ورجال فَعلنا ؛ فأرسلوا إليه مع ابنه : أنْ وصلتْك الرّحم[٤] ! فقد قضيت الذى عليك ؛ فلَعمرى لئن كنّا إنما نقاتل الناس ؛ ما بنا ضعفٌ عنهم ؛ ولئن كنا نقاتل الله — كما يزعم محمد — فما لأحد بالله من طاقة .

فلمّا نزل الناس ، أقبل نفر من قريش ؛ حتى وردوا حوضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم حَكِيم بن حِزام ، على فرس له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوهم ؛ فما شرب منهم رجل إلا قُتل يومئذ ؛ إلاّ ما كان من حَكِيم بن حزام ، فإنه لم يُقتل[٥] ؛ نجا على فرسه يقال له الوجيه ، وأسلم بعد ذلك ، فحسن إسلامه ؛ فكان إذا اجتهد فى يمينه قال : لا والذى نجّانى ١٣١٢/١
يوم بدر[٦] !

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : قال محمّد بن إسحاق :

(١) التصوب : الانحدار من علو .
(٢) أحنهم : أهلكهم .
(٣) الجزائر : الذبائح ؛ واحدها جزور .
(٤) ابن هشام : « رحم » .
(٥ — ٥) ابن هشام : « فإنه لم يقتل ، ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه » .
(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٦ ، والأغانى ٤ : ١٨٤ ، ١٨٥ .

وحدّثنى إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم ، عن أشياخ من الأنصار ، قالوا : لما اطمأنّ القومُ ، بعثوا عُمَيْر بن وهب الجُمَحِيّ ، فقالوا : احزُرْ[1] لنا أصحابَ محمد ، قال : فاستجال بفرسه حول العسكر ، ثم رجع إليهم ، فقال : ثلثمائة رجل ، يزيدون قليلا أو ينقصون[2] ؛ ولكن أمْهلونى حتى أنظر ؛ أللقوم كمين أم مَدَد ؟ قال : فضرب فى الوادى ؛ حتى أبْعد فلم ير شيئًا ، فرجع إليهم ، فقال : ما رأيت شيئًا ، ولكنى قدرأيتُ — يا معشرَ قريش — الوَلايا[3] تحمل المنايا ، نواضح[4] يثرب تحمل الموت الناقع ؛ قوم ليس لهم[5] مَنَعة ولا مَلْجأ إلاّ سيوفُهم ؛ والله ما أرى [أن][6] يقتل رجل منهم حتى يُقتل رجل منكم ؛ فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خيرُ العيش بعد ذلك ! فَرَوْا رَأيكم .

١٣١٣/١ فلمّا سمع حَكِيم بن حزام ذلك ، مشى فى الناس[7] ، فأتى عتبةَ بن ربيعة ، فقال : يا أبا الوليد ؛ إنكّ كبيرُ قريش الليلة وسيّدُها ، والمطاع فيها ؛ هل لك ألاّ تزال[8] تذكر منها[9] بخير إلى آخر الدهر ! قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس ، وتحمل دمَ حليفك عمرو بن الحضرمىّ ! قال : قد فعلت ، أنتَ علىّ بذلك ؛ إنما هوحليفى فعلىّ عَقْله ، وما أصيب من ماله ؛ فأت ابنَ الحنْظَلية[10] ؛ فإنّى لاأخشى أن يشجُرَ[11] أمرَ الناس غيرُه —

(١) الحزر : التخمين .

(٢) كذا فى ابن هشام ، وفى ط : « ينقصونه » .

(٣) الولايا : جمع ولية : وهى البرذعة التى تكون تحت الرحل ؛ وفى ابن هشام : « البلايا » .

(٤) النواضح : الإبل التى يستقى عليها الماء . ، ثم استعمل فى كل بعير ولو لم يحمل الماء .

(٥) ح ، م ، ابن هشام : « معهم » .

(٦) تكملة من ابن هشام .

(٧) خ : « القوم » .

(٨) ابن هشام : « إلى أن » .

(٩) ابن هشام « فيها » .

(١٠) فى ابن هشام : « والحنظلية أم أبى جهل ؛ وهى أسماء بنت مخربة ، أحد بنى نهشل ابن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم » .

(١١) يشجر ؛ من الشجار ؛ وهو المخالفة والمخاصمة .

يعنى أبا جهل بن هشام[١]

حدّثنا الزُّبير بن بكار، قال: حدّثنا عثامة[٢] بن عمرو السهمىّ، قال: حدّثنى مُسوَّر بن عبد الملك اليَربوعىّ، عن أبيه، عن سعيد بن المسيّب، قال: بينَا نحن عند مروان بن الحَكَم؛ إذ دخل حاجبُه، فقال: هذا أبو خالد حكيم بن حِزام، قال: إئذنْ له، فلمّا دخل حكيم بن حِزام، قال: مرحبًا بك يا أبا خالد! ادْنُ، فحال له مرْوان عن صدْر المجلس؛ حتى كان بينه وبين الوِسادة، ثمّ استقبله مرْوان، فقال: حدّثنا حديثَ بدْر، قال: خرجنا حتى إذا نزلنا الجُحْفَة رجعَتْ قبيلة من قبائل قريش بأسْرها، فلم يشهد أحدٌ من مشركيهم بدْراً. ثم خرجنا حتى نزلنا العُدْوة التى ذكرها[٣] ١٣١٤/١
الله عزّ وجلّ، فجئت عُتْبة بن ربيعة، فقلت: يا أبا الوليد، هل لك أن تذهب بشَرَفِ هذا اليوم ما بقيت؟ قال: أفعل ماذا؟ قلت: إنكم لا تطلبون من محمّد إلا دَم ابن الحضرمىّ؛ وهو حليفك، فتحمّل دِيَتَه وترجع بالناس. فقال: أنت وذاك، وأنا أتحمّل بِديَتِه، واذهبْ إلى ابن الحنظليّة — يعنى أبا جهل — فقل له: هل لك أن ترجعَ اليوم بمَنْ معك عن ابن عمّك؟ فجئته فإذا هو فى جماعة من بين يديه ومن ورائه، وإذا ابنُ الحضرمىّ واقف على رأسه؛ وهو يقول: قد فَسَخْتُ عقْدى من عبد شمس، وعقْدى إلى بنى مخزوم. فقلت له: يقول لك عُتْبة بن ربيعة: هل لك أن ترجعَ اليوم عن ابن عمك بمَنْ معك؟ قال: أما وجدَ رسولا غيرك! قلت: لا، ولم أكن لأكونَ رسولاً لغيره. قال حكيم: فخرجت مبادراً إلى عُتْبة؛ لئلا يَفُوتَنى من الخبر شىء، وعتبة مُتَّكىء على إيماء بن رَحَضة الغِفَارىّ؛ وقد أهْدَى إلى المشركين عشر جزائر، فطلع أبو جهل والشرّ فى وجهه، فقال لعتبة: انتفخ سَحْرُك! فقال له عتبة: ستعلم! فسَلّ أبو جهل سيفَه، فضرب به متنَ فرسه، فقال إيماء بن رَحَضة: بئس الفأل[٤] هذا! فعند ذلك قامت الحرب[٥]. ١٣١٥/١

* * *

(١) سيرة ابن هشام ٢: ٦٦، ٦٧، والأغانى ٤: ١٨٥، ١٨٦.
(٢) ط: «عمامة»، وانظر الفهرس. (٣) كذا فى و، وفى ط: «قال».
(٤) الأغانى: «المقام». (٥) الخبر فى الأغانى ٤: ١٨٦، ١٨٧.

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . ثم قام عُتْبة بن ربيعة خطيباً ، فقال : يا معشرَ قريش ، إنكم والله ما تصنعون بأن تَلْقوا محمداً وأصحابه شيئًا ؛ والله لئن أصبتُموه لا يزال رجلٌ ينظر فى وَجْهِ رجل يكره النَّظَر إليه ، قتل ابن عمّه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته ؛ فارجعوا وخلُّوا بين محمّد وبين سائر العرب ؛ فإن أصابوه فذاك الذى أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرَّضوا[1] منه ماتريدون . قال حكيم : فانطلقتُ أؤمُّ أبا جهل ؛ فوجدته قد نَثَلَ[2] درْعًا له من جِرابها ؛ فهو يُهيّئها[3] . فقلت : يا أبا الحكم ؛ إنّ عُتْبة قد أرسلنى إليك بكذاوكذا — للذى قال — فقال : انتفخ والله سَحْرُه[4] حين رأى محمداً وأصحابه ؛ كلاّ والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمّد وأصحابه ، وما بعتْبة ما قال ؛ ولكنه قد رأى محمداً وأصحابه ١٣١٦/١
أكلةَ جَزور ؛ وفيهم ابنه فقد تخوّفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضرمىّ ، فقال له : هذا حليفُك ، يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثأرَك بعينك ، فقم فانشُد خُفْرتك[5] ومقتلَ أخيك . فقام عامر بن الحضرمىّ فاكتشف ثم صرخ : واعمراه ! واعمراه ! فحميَت الحربُ ، وحَقِبَ[6] أمر الناس ؛ واستوسقوا[7] على ما هم عليه من الشرّ ، وأفسد على الناس الرأى الذى دعاهم إليه عُتْبة بن ربيعة .

فلما بلغ عُتبةَ بن ربيعة قولُ أبى جهل : « انتفخ سَحْره » ، قال : سيعلم المُصَفَّرُ استُه من انتفخ سَحْره ، أنا أم هو ! ثم التمس بَيْضَة يُدْخِلها فى رأسه فما وجد فى الجيش بيضة تَسَعُه من عِظَم هامته ، فلما رأى ذلك اعتَجَر[8] على رأسه ببُرْد له .

(١) الأغانى : « ولم تعدموا » .
(٢) نثل : أخرج .
(٣) ابن هشام : « يهنّها » ؛ أى يطليها بعكر الزيت .
(٤) انتفخ سحره ؛ أى رئته ؛ يقال ذلك للجبان .
(٥) انشد خفرتك ؛ أى اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك ، أى عهدهم ؛ لأنه كان حليفاً لهم وجاراً .
(٦) حقب أمرهم : اشتد .
(٧) استوسقوا : اجتمع أمرهم .
(٨) الاعتجار : لف العمامة على الرأس .

وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومىّ — وكان رجلا شرِسًا سيِّىء الخلُق — فقال : أعاهد الله لأشْرَبنّ من حَوْضِهم ولأهْدِمنّه أو لأمُوتنّ دونه . فلما خرج خرج له حمزة بن عبد المطلب ، فلمّا التقيا ضربه حمزة ، فأطنّ[1] قدمه بنصف ساقه ؛ وهو دُونَ الحوض ، فوقع على ظهره تَشْخُبُ[2] رجله دماً نحو أصحابه ، ثم حَبَا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد ١٣١٧/١
— زَعَمَ — أن يبُرَّ يمينَه ، واتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض .

ثم خرج بعده عُتْبة بن ربيعة بين أخيه شَيْبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عُتْبة ؛ حتى إذا فَصَل من الصفّ دَعَا إلى المبارزة ، فخرج إليه فتْية من الأنصار ثلاثة نفر منهم : عوف ومُعَوِّذ ابنا الحارث — وأمهما عفراء — ورجل آخر يقال له عبد الله بن رواحة ، فقال : مَنْ أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار . فقالوا : ما لنا بكم حاجة ! ثم نادى مناديهم : يا محمد ، أخْرِجْ إلينا أكفاءَنا من قومنا ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : قم يا حمزة بن عبد المطلب ، قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا علىّ بن أبى طالب ؛ فلما قاموا ودَنَوْا منهم ، قالوا : مَنْ أنتم ؟ قال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال علىّ : علىّ ، قالوا : نعم أكفاءٌ كِرَام ! فبارز عُبيدة بن الحارث — وكان أسنّ القوم — عُتْبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شَيْبةَ بن ربيعة ، وبارز علىٌّ الوليد بن عتبة ؛ فأمّا حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله ، وأما علىٌّ فلم يمهل الوليد أن قتله ؛ واختلف عُبيدة وعتبة بينهما بضربتيْن ، كلاهما أثبَت صاحبه[3] ، وكرَّ حمزة وعلىّ ١٣١٨/١
بأسيافهما على عُتْبة ، فذفّفا[4] عليه فقتلاه ، واحتملا صاحبهما عبيدة فجاءا به[5] إلى أصحابه ؛ وقد قطعت رجله ، فمُخُّها يسيل ، فلما أتوا بعبيدة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : ألستُ شهيداً يا رسول الله ! قال :

(١) أطن : اطار .
(٢) تشخب : يسيل منها الدم بصوت .
(٣) أثبت صاحبه : جرحه جراحة لم يقم معها .
(٤) ذففا عليه : أسرعا لقتله .
(٥) ابن هشام : « فحازاه » .

بلى، فقال عبيدة : لوكان أبو طالب حيًّا لعلم أنى أحقّ بما قال منه حيث يقول :

ونُسْلِمُهُ حتى نُصَرَّعَ حَوْلَه (١) ونَذْهَلَ عن أبنائِنا والحلائِلِ (٢)

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدّثنى عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أن عتبة بن ربيعة قال للفتية من الأنصار حين انتسبوا : أكفاءٌ كرامٌ ، إنما نريد قومَنا ، ثم تزاحف الناس ؛ ودنا بعضُهم من بعض ، وقد أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابَه ألاّ يحملوا حتى يأمرهم ؛ وقال : إن اكتنفكُم القوم فانضحوهم (٣) عنكم بالنَّبْل ؛ ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش معه أبو بكر .

قال أبو جعفر : وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان ، كما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ؛ كما حدّثنى أبو جعفر محمد بن على بن الحسين . وحدثنا
١٣١٩/١ ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدّثنى حَبّان بن واسع بن حَبّان بن واسع ، عن أشياخ من قومه ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عدّل صفوفَ أصحابه يوم بدر ، وفى يده قِدْحٌ (٥) يعدّلُ به القوم ، فمرّ بسَوَاد (٦) بن غَزِيّة ، حليف بنى عدىّ بن النجار ، وهو مُسْتَنِتل (٧) من الصفّ ، فطعَن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بطنه بالقِدْح ، وقال : اسْتَوِ يا سوادَ بن غزيّة ؛ قال : يا رسولَ الله أوجعتَنى وقد بعثك الله بالحقّ ، فأقِدْنى (٨) . قال : فكشف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه ثم قال : استقِدْ ، قال : فاعتنقَه وقبّل بطنه ، فقال : ماحملك

(١) الخبر إلى هنا فى سيرة ابن هشام ٢ : ٦٧ ، ٦٨ ، وهو أيضاً فى الأغانى ٤ : ١٨٧ - ١٩٠

(٢) م : « دونه » .

(٣) النضح بالنبل : الرمى به .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٨ ، والأغانى ٤ : ١٩٠

(٥) القدح : السهم .

(٦) كذا فى ط ، وقال ابن هشام : يقال « سواد » ، مثقلة ، وسواد فى الأنصار غير هذا مخفف .

(٧) مستنتل : متقدم . قال ابن هشام : يقال : « مستنصل » .

(٨) أقدنى : أى اقتص لى من نفسك .

على هذا يا سَوَاد ؟ فقال : يا رسولَ الله ، حضَر ما ترى فلم آمن القتْل . فأردتُ أن يكونَ آخرَ العهد بك أن يمسّ جلدى جلدَك . فدعا له رسول الله صلّى الله عليه وسلم بخير ، وقال له خيراً .

ثم عدّل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الصّفوفَ ، ورجع إلى العريش ، ودخلَه ، ومعه فيه أبو بكر ليس معه فيه غيره ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربّه ما وعده من النّصر، ويقول فيما يقول : اللهمّ إنك إن تَهْلِكْ هذه العِصابة اليوم — يعنى المسلمين — لا تُعبَد بعد اليوم ، وأبو بكر يقول : يا نبيّ الله، بعضَ مناشدتِك ربّك! ، فإن الله عزّ وجلّ منجزٌ لك ما وعدك[1]. ١٣٢٠/١

* * *

فحدّثنى محمد بن عبيد المحاربىّ ، قال : حدّثنا عبدُ الله بن المبارك ، عن عكرمة بن عَمّار ، قال : حدّثنى سماك الحنفىّ ، قال : سمعتُ ابنَ عباس يقول : حدّثنى عمر بن الخطاب ، قال : لما كان يوم بدْر ، ونظر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وعِدّتهم ، ونظر إلى أصحابه نيّفًا على ثلثمائة ، استقبل القبلة ، فجعل يدعو ، يقول : اللهمّ أنجزْ لى ما وعدتَنى ، اللهمّ إن تَهْلِك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبَد فى الأرض ؛ فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه ، فأخذ أبو بكر فوضع رداءه عليه ، ثمّ التزمه من ورائه، ثم قال : كفاك يا نبيّ الله، بأبى وأنت وأمى ، مناشدتك ربّك ؛ فإنه سينجز لك ما وعدك ! فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[2] .

حدّثنا ابنُ وكيع ، قال : حدّثنا الثقفىُّ — يعنى عبد الوهاب — عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال وهو فى قبّته يومَ بدر : اللهمّ إنى أسألُك عهدَك ووعدَك ؛ اللهمّ إن شئت لم تُعْبَدْ بعدَ اليوم !

(١) سيرة ابن هشام ٦٨ ، ٦٩ ، والأغانى ٤ : ١٩٠ ، ١٩١ .

(٢) سورة الأنفال ٩ ، والخبر فى التفسير ١٣ : ٤٠٩ والأغانى ٤ : ١٩١ ، ١٩٢ .

قال : فأخذ أبو بكر بيده ، فقال : حسبُك يا نبيّ الله ، فقد ألححت على ربّك — وهو فى الدّرع — فخرج وهو يقول : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ * بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ والسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾(١) .

* * *

١٣٢١/١ رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : وقد خَفَقَ(٢) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خفقةً وهو فى العريش ؛ ثم انتبه ، فقال : يا أبا بكر ، أتاك نصرُ الله ، هذا جبريل آخذ بِعنان فرسه يقوده ، على ثناياه النَّقع(٣) . قال : وقد رُمِيَ مِهْجَعٌ مولى عمر بن الخطاب بسهم فقُتل ؛ فكان أوّلَ قتيل من المسلمين ، ثم رُمِيَ حارثة بن سُراقة ، أحد بنى عدىّ بن النجار وهو يشرب من الحوْض فقتِل . ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النّاس فحرَّضهم ، ونفّل كلّ امرئ منهم ما أصاب ، وقال : والّذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتَلُ صابراً محتسِبًا مُقْبِلا غير مُدْبِر ؛ إلاّ أدخله الله الجنة . فقال عمَيرُ بن الحُمَام ، أخو بنى سلَمة ، وفى يده تَمَرَاتٌ يأكُلهنّ : بَخْ بَخْ(٤) ، فما بينى وبين أن أدخلَ الجنة إلا أن يقْتلَنى هؤلاء ! ثم قذف التَّمرَاتِ من يده ، وأخذ سيفَه ، فقاتل القوم حتى قُتِل(٥) وهو يقول :

رَكْضًا إلَى اللهِ بغيْرِ زادِ إلاَّ التُّقَى وعَمَلِ المَعادِ
وَالصَّبْرَ فى اللهِ على الجهادِ وكلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ
* غَيْرُ التُّقَى والبرّ والرَّشَادِ *

١٣٢٢/١ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أنّ عوْف بن الحارث — وهو ابن

(١) سورة القمر ٤٥ ، ٤٦ . والخبر فى الأغانى ٤ : ١٩٢
(٢) خفق : نام نوماً خفيفاً .
(٣) النقع : التراب .
(٤) بخ ، بكسر الخاء وإسكانها ؛ كلمة تقال للإعجاب .
(٥) الخبر إلى هنا فى سيرة ابن هشام ٢ : ٦٨ ، ٦٩ ، وهو أيضاً فى الأغانى ٤ : ١٩٢ ، ١٩٣

عفراء — قال : يا رسول الله ، ما يُضْحِكُ[١] الربَّ من عبده ؟ قال : غَمْسُه يدَه فى العدوّ حاسِرًا . فنزع درْعًا كانت عليه ، فقذفها ؛ ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتِل[٢] .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : قال محمد بن إسحاق . وحدّثنى محمد بن مسلم الزهرىّ ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير العُذرِىّ ، حليف بنى زُهرة ، قال : لما التقى النّاس ، ودنا بعضُهم من بعض ، قال أبو جهل : اللهمّ أقْطَعَنَا لِلرَّحم ، وآتانا بما لا يُعرف ؛ فأحِنْه[٣] الغداة ، فكان هو المستفتِح[٤] على نفسه .

ثم إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم أخذ حَفْنة من الحَصْباء ، فاستقبل بها قريشًا ، ثم قال : شاهت الوُجوه ! ثم نَفَحهم بها ، وقال لأصحابه : شُدُّوا ، فكانت الهزيمة ، فقتل الله مَنْ قتلَ من صناديد قريش ، وأسِر مَنْ أسِر منهم . فلما وضع القوم أيديَهم يأسرون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلّم فى العريش ، وسعد بن مُعاذ قائم على باب العريش الذى فيه رسول الله صلىّ الله عليه وسلم ، متوشّحًا السيف ، فى نفر من الأنصار يحرُسون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يخافون عليه كَرَّةَ العدوّ ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما ذكر لى — فى وجه سعد بن معاذ الكَرَاهِيةَ لمَا يصنع الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : لكأنّك يا سعد تكره ما يصنع الناس ! ١٣٢٣/١
قال : أجلْ والله يا رسولَ الله ! كانت أوّل وقعة أوقَعها الله بالمشركين ؛ فكان الإثخَانُ فى القتل أعجَبَ إلىّ من استبقاء الرجال[٥] .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدّثنى العباس بن عبد الله بن مَعْبَد ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس ،

(١) ما يضحك ربك ، أى ما يرضيه غاية الرضا .
(٢) ابن هشام ٢ : ٦٨ ، ٦٩ .
(٣) أحنه : أهلكه .
(٤) يريد أنه حكم على نفسه بهذا الدعاء ، وانظر اللسان (فتح) .
(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٠٩ ، والأغانى ٤ : ١٩٣ ، ١٩٤

أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال لأصحابه يومئذ : إنّى قد عرفت أنّ رجالاً من بنى هاشم وغيرهم قد أخرِجُوا كرْهًا ، لا حاجة لهم بقتالنا ، فمَنْ لقِىَ منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله ، ومَنْ لقِى أبا البخترىّ بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله ، ومَنْ لقِىَ العبّاس بن عبد المطلب عمّ رسول فلا يقتله ؛ فإنه إنما أخرِج مستكرَهًا .

قال : فقال أبو حُذيفة بن عُتْبة بن ربيعة : أنقتلُ آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتَنا ، ونترك العباس ! والله لئن لقيتُه لألْحِمنّه[1] السيف . فبلغتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يقول لعمر بن الخطاب : يا أبا حفص ، أما تسمع إلى قول أبى حُذَيفة ، يقول : أضرب وجه عمّ رسول الله بالسيف ! فقال عمر : يارسولَ الله، دعْنِى فلأضربنّ[2] عنقَه بالسيف ؛ فوالله لقد نافقَ .

١٣٢٤/١ — قال[3] عمر : والله إنه لأوّلُ يوم كنّانى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلّم بأبى حفص — .

قال : فكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بآمِنٍ من تلك الكلمة التى قلتُ يومئذ ، ولا أزال منها خائفًا إلاّ أن تكفّرها عنى الشهادة . فقُتِل يوم اليمامة شهيداً .

قال : وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبى البَخترىّ ؛ لأنه كان أكفَّ القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم وهو بمكّة ، كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شىء يكرهه ؛ وكان ممّن قام فى نقض الصحيفة التى كتبت قريش على بنى هاشم وبنى المطّلب ، فلقيه المُجذَّرُ بن ذياد البَلوىّ ، حليف الأنصار من بنى عدىّ ، فقال المجذَّر بن ذياد لأبى البخترىّ : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قد نهى عن قتلك — ومع أبى البخترىّ زميلٌ[4] له خرج معه من مكة ، وهو جُنادة بن مُلَيْحَة بنت زُهَيْر بن الحارث بن أسَد ، وجُنادة رجل من بنى لَيْث . واسم أبى البخترىّ العاص بن هشام

(١) لألحمنه ، أى لأطعنن لحمه بالسيف ولأخالطنه . وقال ابن هشام : « ويقال : لألحمنه بالسيف » ، أى لأضربنه به فى وجهه .

(٢) و : « فلأضرب » ، وكذلك فى ابن هشام .

(٣) كذا فى ابن هشام ، وفى ط : « فقال » .

(٤) الزميل : الذى يركب مع صاحبه على بعير واحد .

ابن الحارث بن أسد — قال : وزميلى ؟ فقال : المجذّر : لا والله ما نحن بتاركى زميلَك ؛ ما أمرَنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلاّ بك وحدَك ، قال : لا والله إذاً، لأمُوتَنّ أنا وهو جميعًا ؛ لاتحدّث عنّى نساء قريش من أهل مكة أنّى تركتُ زميلى حِرْصًا على الحياة . فقال أبو البخترىّ حين نازله المجذّر ، وأبى إلاّ القتال ، وهو يرتجز :

لَنْ يُسْلِمَ ابنُ حُرَّةٍ أَكِيلَهْ حتَّى يموتَ أَوْ يرى سَبِيلَهْ ١٣٢٥/١

فاقتتلا ، فقتله المجذّر بن ذياد .

قال : ثم أتى المجذّر بن ذياد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : والّذى بعثَك بالحقّ ، لقد جهِدتُ عليه أن يستأسِرَ فآتيَك به ؛ فأبى إلاّ القتال ، فقاتلته فقتلتُه[1] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، قال : قال محمد بن إسحاق: حدّثنى يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه ، قال . وحدّثنى أيضًا عبد الله بن أبى بكر ، وغيرهما ، عن عبد الرّحمن بن عوْف ، قال : كان أميّة بن خلَف لى صَديقًا بمكّة — وكان اسمى عبدعمْرو ، فسمّيتُ حين أسلمتُ: « عبد الرحمن» ، ونحن بمكة — قال: فكان يلْقانِى ونحن بمكّة ، فيقول : يا عبدَ عمرو ، أرغِبْت عن اسم سمّاكَه أبوك ؟ فأقول . نعم، فيقول : فإنّى لا أعرف «الرحمن» ؛ فاجعل بينى وبينك شيئًا أدعوك به ؛ أما أنتَ فلا تجيبنى باسمك الأوّل، وأمّا أنا فلا أدعوك بما لا أعرف. قال : فكان إذا دعانى : « يا عبد عمرو» ، لم أجبه ، فقلت : اجعل بينى وبينك يا أبا علىّ ما شئت ، قال : فأنت « عبد الإله » ، فقلت : نعم ، فكنت إذا مررت به قال : يا عبد الإله ، فأجيبه ، فأتحدّث معه ؛ حتى إذا كان يومُ بدر ، مررت به وهو واقف مع ابنه علىّ بن أميّة ، آخذاً بيده ، ومعى أدراعٌ قد استلبتُها ، فأنا أحملها . فلمّا رآنى[2] قال : يا عبد عمرو ! فلم أجبه ، ١٣٢٦/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٩ ، ١٧ ، والأغانى ٤ : ١٩٤ ، ١٩٥ .
(٢) م : « رأى ذلك » .

فقال : يا عبد الإله ، قلت : نعم ، قال : هل لك فىّ ، فأنا خير لك من هذه الأدراع التى معك ؟ قال : قلت : نعمْ ، هلُمَّ إذاً[١] . قال : فطرحتُ الأدراع من يدى وأخذت بيده ويد ابنه علىّ ، وهو يقول : ما رأيتُ كاليوم قطّ ! أما لكم حاجة فى اللّبن![٢] قال : ثم خرجت أمشى بهما[٣] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى عبد الواحد بن أبى عوْن ، عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : قال لى أميّة بن خلف وأنا بينه وبين ابنه ، آخِذٌ بأيديهما : يا عبدَ الإله ، مَن الرجل منكم ، المعْلِم بريشة نعامة فى صدره ؟ قال : قلت : ذاك حمزة بن عبد المطّلب ، قال : ذاك الذى فَعل بنا الأفاعيل ! قال عبد الرحمن : فوالله إنّى لأقودهما إذْ رآه بلال معى — وكان هو الذى يعذّب بلالا بمكّة على أن يترك الإسلام فيخرجُه إلى رَمْضاء[٤] مكة إذا حميَتْ ، فيضجِعه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضَع على صدره ، ثم يقول : لاتزالُ هكذا حتى تفارقَ دين محمد ، فيقول بلال : أحدٌ أحَدٌ — فقال بلال حين رآه : رأس الكفر أميّة ابن خلَف ، لا نجوتُ إن نَجَوْتَ[٥] ؛ قال : قلت : أىْ بلال ، أسيرَىّ[٦] ! قال : لا نجوتُ إن نجوا . قال : قلت : تسمّع[٧] يابن السوداء ! قال : لانجوتُ إن نجَوَا ، ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصارَ الله ، رأس الكفر أميّة ابن خلَف ، لانجوتُ إن نجا ! قال : فأحاطوا بنا ، ثم جعلونا فى مثل المسَكَة[٨] ١٣٢٧/١

(١) ابن هشام : « ها الله ذا » ، وها تنبيه ، وذا إشارة إلى نفسه .

(٢) قال ابن هشام : « يريد باللبن ، أن من أسرنى افتديت منه بإبل كثيرة اللبن » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٠ ، ٧١ ، والأغانى ١٤ : ١٩٦ ، ١٩٧

(٤) الرمضاء : الرمل الحار من الشمس .

(٥) فى ابن هشام : « لا نجوت إن نجا » .

(٦) ابن هشام : « أبأ سيرى » .

(٧) ابن هشام : « اتسمع » والتسميع : التشهير .

(٨) فى مثل المسكة ، أى جعلونا فى حلقة كالسوار وأحدقوا بنا .

وأنا أذُبُّ عنه[١] ؛ قال : فضرب رجلٌ ابنه فوقع . قال : وصاح أميّة صيحة ما سمعت بمثلها قطّ . قال : قلتُ : انجُ بنفسك ، ولا نجاءَ ؛ فوالله ما أغنى عنك شيئاً . قال : فهبرُوهما[٢] بأسيافهم حتى فرغوا منهما .

قال : فكان عبد الرحمن يقول : رحم الله بلالا ! ذهبت أدراعى وفجعنى بأسيرىَّ[٣] .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدّثنى عبدُ الله بن أبى بكر ، أنّه حُدّث عن ابن عبّاس ، أن ابن عباس ، قال : حدّثنى رجلٌ من بنى غِفار ، قال : أقبلتُ أنا وابنُ عمّ لى حتى أصعدنا فى جبل يُشْرف بنا على بدْر ، ونحن مشركان ، ننتظر الوقْعة على مَنْ تكون الدَّبْرَة ، فننتهب مع من ينتهب . قال : فبينا نحن فى الجبل ؛ إذ دنت منّا سحابة ، فسمعنا فيها حَمْحَمَة الخيل ، فسمعت قائلا : ١٣٢٨/١
يقول : أقدِمْ حَيْزُوم[٤] . قال : فأمّا ابن عمّى فانكشف قِناعُ قلبه فمات مكانه ؛ وأمّا أنا فكدتُ أهلِك ، ثم تماسكت[٥] .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدّثنى أبى إسحاق بن يَسار ، عن رجال من بنى مازن بن النَّجار ، عن أبى داود المازنىّ — وكان شهد بدرا — قال : إنى لأتْبَعُ رجلاً من المشركين يوم بدر لأضرِبه ، إذْ وقع رأسه قبل أن يصِلَ إليه سيفى ، فعرفت أن قد قتله غيرى .

حدّثنى عبدُ الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصرىّ ، قال : حدّثنا يحيى بن بُكير[٦] ، قال : حدّثنا محمد بن يحيى الإسكندرانىّ عن العَلاء بن

(١) فى ابن هشام بعدها : «قال : فأخلف رجل السيف» ؛ ويقال : أخلف الرجل السيف ، إذا سله من غمده .

(٢) هبروهما : قطعوهما . (٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٧١ ، والأغانى ٤ : ١٩٧ ، ١٩٨

(٤) قال أبو ذر الخشنى . «قال ابن سراج : اقدم ، كلمة تزجر بها الخيل ، وحيزوم اسم فرس جبريل عليه السلام ، ويقال فيه : جيرون» .

(٥) ابن هشام ٢ : ٧١ ، والأغانى ٤ : ١٩٨ .

(٦) هو يحيى بن عبد الله بن بكير .

كثير ، عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مخرَمة ، عن أبى أمامة ابن سَهْل بن حُنَيف ، قال : قال لى أبى : يا بُنىّ ، لقد رأيتُنا يوم بدر ؛ وإنّ أحَدنا ليشيرُ بسيفه إلى المشرك فيقع رأسُه عن جسده قبل أن يصلَ إليه السيف(١) .

حدّثنا ابنُ حُميد، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن محمد بن إسحاق، قال : وحدّثنى الحسن بن عُمارة ، عن الحكَم بن عتبية ، عن مِقْسم مولى عبدالله بن الحارث، عن عبد الله بن عباس ، قال : كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم
١٣٢٩/١ بيضًا قد أرسلوها فى ظهورهم ، ويوم حنين عمائم حمرًا ، ولم تقاتل الملائكة فى يوم من الأيام سوى يوم بدر . وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عُدّدًا ومدَدًا لا يضربون(٢) .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال: قال محمد : وحدّثنى ثور بن زيد مولى بنى الدِّيل ، عن عِكْرِمة مولى ابنِ عبّاس ، عن ابن عبّاس قال : وحدّثنى عبد الله بن أبى بكر ، قالا : كان مُعاذ بن عمرو بن الجَمُوح أخو بنى سَلَمة يقول : لما فرغ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من عدوّه ، أمرَ بأبى جهل أن يلتَمس فى القتلى ، وقال : اللهمّ لا يعجزنّك ، قال : فكان أوّل مَنْ لقِىَ أبا جهل معاذ بن عمرو بن الجموح ، قال : سمعت القوم وأبو جهل فى مثل الحرَجة(٣) وهم يقولون : أبو الحكَم لا يُخْلَص إليه . فلما سمعتها جعلته من شأنى ، فصَمدْت نحوه ، فلمّا أمكننى حملتُ
١٣٣٠/١ عليه فضربته ضربة أطنّت(٤) قدَمه بنصف ساقه؛ فوالله ما شبّهتُها حين طاحت إلا النّواة تَطيح(٥) من تحت مِرْضَخةِ(٦) النّوى حين يُضرب بها .

(١) الأغانى ٤ : ١٩٩ .

(٢) ابن هشام ٢ : ٢٨٦ ، ٧٠ ، والأغانى ٤ : ١٩٩ .

(٣) قال ابن هشام : « الحرجة الشجر الملتف ؛ وفى الحديث ، عن عمر بن الخطاب أنه سأل عن الحرجة فقال : هى شجرة من الأشجار لا يوصل إليها » .

(٤) أطنت قدمه : أطارتها .

(٥) تطيح : تذهب .

(٦) المرضخة : التى يدق بها النوى للعلف .

قال : وضربنى ابنُه عِكْرِمة على عاتقى ؛ فطرح يدى ، فتعلقت بجلْدة من جنبى ، وأجهضنى[١] القتال عنه ؛ فلقد قاتلت عامَّة يومى ، وإنى لأسحبها خلْفِى ؛ فلما آذتْنِى جعلت عليها رجلى ، ثم تمطَّيت بها ، حتى طرحتُها .

قال : ثم عاش مُعاذ بعد ذلك ، حتى كان فى زمن عثمان بن عفان . قال : ثم مرّ بأبى جهل — وهو عقير[٢] — مُعَوّذ بن عفراء ، فضربه حتى أثبتَه[٣] ؛ فتركه وبه رمق ؛ وقاتل معوّذ حتى قُتل ، فمرّ عبد الله بن مسعود بأبى جهل حين أمر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أن يُلتمس فى القتلى ، وقد قال لهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم — فيما بلغنى : انظروا إنْ خفِىَ عليكم فى القتلى إلى أثر جُرْح بركبتِه ؛ فإنى ازدحمت أنا وهو يومًا على مأدُبة لعبد الله ابن جُدعان ؛ ونحن غلامان ؛ وكنت أشفُّ منه بيسير ؛ فدفعته ، فوقع على ركبتَيْه ، فجُحِشَ[٤] فى إحداهما جَحْشًا لم يزل أثرُه فيه بعد . قال عبد الله بن مسعود : فوجدته بآخر رَمَق ، فعرفته ، فوضعت رجلى على عنقه . قال : وقد كان ضَبَثَ[٥] بى مرّة بمكة ، فآذانى ولكَزنى . ثم قلت : هل أخزاك الله يا عدوّ الله ! قال : وبما ذا أخزانى ! أعْمَدُ من رجل قتلتموه[٦] ! ١٣٣١/١
أخبرنى لمن الدَّبْرَة ؟ [اليوم][٧] قال : قلت : لله ولرسوله[٨] .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن محمد بن إسحاق : وزعم رجال من بنى مخزوم أنّ ابن مسعود ، كان يقول : قال لى أبو جهل : لقد ارتقيتَ يا رُوَيْعِىَ الغنم مرتقًى صعبًا ! ثم احتززتُ رأسه ؛ ثم جئت به رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقلت : يا رسولَ الله ، هذا رأس عدوّ الله

(١) أجهضنى : غلبنى واشتد على . (٢) العقير : المجروح .
(٣) أثبته : جرحه جراحة لا يتحرك معها .
(٤) جحش : خدش .
(٥) ضبث ، قال ابن هشام : « قبض عليه ولزمه» .
(٦) يقال : أعمد من رجل قتله قومه ، أى أعجب ، قال أبو عبيد : معناه هل زاد على سيد قتله قومه ! أى أن هذا ليس بعار . (٧) من الأغانى . (٨) سيرة ابن هشام ٢ : ٧١ ، والأغانى ٤ : ٢٠١ ، ٢٠٢ .

أبى جهل ، قال : فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : آللهِ الذى لا إله غيره[١]! — وكانت يمينَ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم — قال: قلتُ: نعم ؛ والله الذى لا إله غيره ، ثم ألقيتُ رأسه بين يدىْ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم . قال : فحمد الله[٢].

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن محمّد بن إسحاق ، قال : وحدّثنى يزيد بن رُومان ، عن عُروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لما أمرَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالقتلى أن يُطرَحوا فى القَلِيب[٣] طُرحوا فيه ؛ إلا ما كان من أميّة بن خلَف ؛ فإنه انتفخ فى دِرْعه حتى ملأها ، فذهبوا ليحرّكوه ، فتزايل[٤] فأقرّوه ، وألقوا عليه ما غيَّبه من التراب والحجارة ، فلما ألقاهم فى القَلِيب ، وقف رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عليهم ، فقال : يا أهلَ القليب ، هل وجدتم ما وعَدَكم ربكم حقًّا ! فإنى وجدتُ ما وعدنى ربى حقًّا . فقال له أصحابه : يا رسولَ الله ، أتكلّم قوماً موتَى! قال : لقد علموا أن ما وعدتُهم حقّ ، قالت عائشة : والناس يقولون : «لقد سمعوا ما قلت لهم» ، وإنّما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لقد علموا»[٥]. ١٣٣٢/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن محمد بن إسحاق . قال : وحدّثنى حُميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : سمع أصحابُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وهو يقول من جوف الليل : يا أهلَ القليب ، يا عُتْبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، يا أميّة بن خلَف ، يا أبا جهل بن هشام — فعدَّدَ مَنْ كان معهم فى القَلِيب : هل وجدتم ما وعدكُمْ ربّكم حقًّا ؛ فإنى قد وجدتُ ما وعدنى

(١) قال السهيلى : « الله الذى لا إله إلا هو » ، هو بالخفض عند سيبويه وغيره ؛ لأن الاستفهام عوض عن الخافض عنده » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٢ ، والأغانى ٤ : ٢٠١ .

(٣) القليب : البئر .

(٤) تزايل : تفرق .

(٥) ابن هشام ٢ : ٧٤ ، والأغانى ٤ : ٢٠١ ، ٢٠٢

ربِّى حقًّا ! قال : المسلمون : يارسولَ الله ؛ أتنادى قومًا قد جيَّفوا[١]! فقال : ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم ؛ ولكنَّهم لا يستطيعون أن يجيبونى[٢].

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدّثنى بعضُ أهلِ العلم ، أنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يوم قال هذه المقالة : قال : يا أهلَ القَليب ، بئس عشيرة النبىّ كنتم لنبيّكم ! كذّبتمونى وصدّقنى الناس ، وأخرجتمونى وآوانى النَّاس ، وقاتلتمونى ونصرنى الناس . ثم قال : هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقًّا ؟ للمقالة التى قال . قال : ولما أمر بهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أن يُلْقَوْا فى القَليب ، أخِذ عتبة بن ربيعة ١٣٣٣/١
فسحِب إلى القَليب ، فنظر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فيما بلغنى ــ فى وجه أبى حُذيفة بن عتبة ؛ فإذا هو كئيب قد تغيّر ، فقال : يا أبا حذيفة ؛ لعلَّك دخلك مِنْ شأن أبيك شىء ! ــ أو كما قال صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فقال : لا والله يا نبىّ الله ، ما شككتُ فى أبى ولا فى مصرعه ؛ ولكنِّى كنتُ أعرِف من أبى رأيًا وحِلْمًا وفضلاً ؛ فكنت أرجو أن يهدَيه ذلك إلى الإسلام ؛ فلما رأيتُ ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذى كنتُ أرجو له ، حزَنَنى ذلك ، قال : فدعا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم له بخير ، وقال له خيراً .

ثم إنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم أمر بما فى العسكر ممَّا جَمَع الناس فجُمع ؛ فاختلف المسلمون فيه ، فقال مَنْ جمعه : هو لنا ؛ قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفّل كلّ امرئ ما أصاب ، فقال الذين كانوا يقاتلون العَدُوّ ويطلبونهم : لولا نحن ما أصبتموه ، لنحن شغلْنا القوم عنكم حتى أصبتم ما أصبتم . فقال الذين يَحْرسون رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم مخافة أن يخالِف إليه العدوّ : والله ما أنتم بأحَقّ به منَّا ؛ لقد رأينا أن نقتلَ العدوّ إذْ ولّانا الله ، ومنحنا أكتافهم ؛ ولقد رأينا أن نأخذ المتاع

(١) جيفوا : أى صاروا جيفاً .

(٢) ابن هشام ٢ : ٧٤ ، والأغانى ٤ : ٢٠٢ .

حين لم يكن دونه مَنْ يمنعه ؛ ولكن خفْنا على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم كرّة العدوّ ، فقمنا دونه ؛ فما أنتم بأحقّ به منَّا[1] .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال :
١٣٣٤/١ وحدّثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا ، عن سليمان بن موسى الأشدَق ، عن مكحول ، عَنْ أبي أمامة الباهليّ ، قال : سألت عبادة بن الصّامت عن الأنفال ، فقال : فينا معشَر أصحاب بدر نزلتْ ؛ حين اختلفنا في النَّفَل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا ، فجعله إلى رسوله ، فقسَّمه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بين المسلمين عن بَوَاء — يقول على السَّوَاء — فكان في ذلك تقوى الله ، وطاعة رسوله ، وصلاح ذات البين .

قال : ثمّ بعث رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عند الفتح عبدَ الله بن رواحة بشيرًا إلى أهل العالية بما فتح الله على رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم وعلى المسلمين ، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة .

قال أسامة بن زيد : فأتانا الخبر حين سوّينا التّراب على رقيَّة بنت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم التي كانت عند عثمان بن عفان ، كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم خلّفني عليها مع عثمان .

قال : ثم قدم زيد بن حارثة فجئته وهو واقف بالمصلّى قد غشيهُ الناس وهو يقول : قُتِل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وزَمعة بن الأسود ، وأبو البَختريّ بن هشام ، وأميّة بن خلَف ونبيه ومنبّه ابنا الحجاج . قال : قلت : يا أبهْ أحقٌّ هذا ! قال : نعم والله يا بُنيَّ . ثم أقبل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قافلاً إلى المدينة ؛ فاحتمل معه النَّفَل الذي أصيب من المشركين ، وجعل على النَّفَلِ عبد الله بن كعب بن زيد
١٣٣٥/١ ابن عوف بن مبذول بن عمرو بن مازن بن النَّجار . ثم أقبلَ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم حتى إذا خرج من مضيق الصَّفْراء ، نزل على كَثيب بين المضيق وبين النازية — يقال له سَيَر — إلى سَرْحة به ، فقسَّم هنالك النَّفَل

(١) ابن هشام ٢ : ٧٤ — ٧٦ ، والأغاني ٤ : ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

الَّذى أفاء الله على المسلمين من المشركين على السَّواء ، واستتى له من ماء به يقال له الأرواق .

ثم ارتحل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالرَّوْحاء ، لقيَه المسلمون يُهنِّئونه بما فتح الله عليه ومَنْ معه من المسلمين ، فقال سلمة بن سلامة بن وقْش — كما حدّثنا ابن حميد ، فقال : حدّثنا سَلَمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ، كما حدّثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، ويزيد بن رومان : وما الذى تُهنِّئون به ! فوالله إن لقينا إلا عجائز صُلعًا كالبُدْن المعقّلة ، فنحرناها . فتبسَّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : يا بنَ أخى ، أولئك الملأ[1] . قال : ومع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الأسارى من المشركين وكانوا أربعة وأربعين أسيراً ، وكان من القتلى مثل ذلك — وفى الأسارَى عُقْبة بن أبى مُعَيط ، والنَّضْر بن الحارث بن كَلَدَة — حتى إذا كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالصَّفْراء ، قتل النَّضْر بن الحارث ، قتله علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه[2] .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة قال : قال محمد بن إسحاق : كما حدّثنى بعضُ أهل العلْم من أهل مكة ؛ قال : ثم خرج رسولُ الله ١٣٣٦/١
صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ حتى إذا كان بعرْق الظَّبْية ، قتل عُقْبة بن أبى مُعَيط ، فقال حين أمر به رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أن يُقتل : فمَنْ للصبية يا محمد ! قال : النار ، قال : فقتله عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح الأنصارىّ ، ثم أحد بنى عمرو بن عوف .

قال : كما حدثنى أبو عبيدة بن محمد بن عمَّار بن ياسر ، قال : ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عِرْق الظبية حين قتل عُقبة لَقيَه أبو هند مولى فَرْوة بن عمرو البَيَاضىّ بحَميت مملوء حَيْساً[3] ، وكان قد تخلَّف عن بدر ، ثم شهد المشاهد كلّها مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ،

(١) الملأ : الأشراف .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٧ ، والأغانى ٤ : ٢٠٣ .

(٣) قال ابن هشام : الحميت : « الزق . والحيس : السمن يخلط بالتمر والأقط » .

وكان حجّام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إنما أبو هند امرؤٌ من الأنصار ، فأنكحوه وأنكحوا إليه ، ففعلوا. ثم مضَى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى قدِم المدينة قبل الأسارى بيوم[1] .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن
١٣٣٧/١ زُرَارة ، قال : قُدِم بالأسارى حين قُدم بهم وسَوْدَة بنت زَمْعة زوج النبى صلّى الله عليه وسلّم عند آل عَفْرَاء فى مَنَاحتهم على عَوْف ومُعوّذ ابنَى عفراء — قال : وذلك قبل أن يُضْرَب عليهنّ الحجاب — قال : تقول سَوْدة : والله إنى لَعندهم إذ أتينا ، فقيل : هؤلاء الأسارى قد أُتِىَ بهم ، قالت : فرُحْت إلى بيتى ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فيه ؛ وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو فى ناحية الحُجْرة ، مجموعة يداه إلى عنقه بحبْل ، قالت : فوالله ما ملكتُ نفسى حين رأيتُ أبا يزيد كذلك أن قلت : يا أبا يزيد ، أعطيْتم بأيديكم ، ألاّ متّم كراما! فوالله ما أنبهنى إلاّ قولُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من البيت : يا سودة ، أعَلى الله وعلى رسوله! قالت : قلت : يارسولَ الله ؛ والّذى بعثك بالحقّ ما ملكتُ نفسى حين رأيت أبا يزيدَ مجموعةً يداه إلى عنقه بحبْل أن قلت ما قلت[2] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثنى نُبَيْه بن وهب ، أخو بنى عبد الدّار ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم حين أقبل بالأسارَى فرّقهم فى أصحابه ، وقال : استوصُوا بالأسارى خيرًا — قال : وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم ، أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمّه فى الأسارى — قال : فقال أبو عزيز : مَرّ بى أخى مصعب بن عمير ، ورجل من الأنصار يأسِرنى ، فقال : شُدّ يَديك به ؛

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٧ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٧ ، ٧٨ ، والأغانى ٤ : ٢٠٤ .

فإن أمه ذاتُ متاع ، لعلّها أن تفتديَهُ منك . قال : وكنت فى رهط من الأنصار حين أقبلوا بى من بدْر ؛ فكانوا إذا قدّموا غَدَاءهم وعشاءهم خصُّونى ١٣٣٨/١ بالخبز ، وأكلوا التمر لوصيّة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بنا ، ما تقع فى يد رجل منهم كسرة من الخبز إلا نَفحنى بها . قال : فأستحى ، فأردّها على أحدهم فيردّها علىّ ما يَمسُّها[1] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وكان أوّل مَنْ قدم مكة بمُصاب قريش الْحَيْسُمان بن عبد الله بن إياس ابن ضُبَيْعة بن مازن بن كعب بن عمرو الخزاعىّ — قال أبو جعفر : وقال الواقدىّ : الحيسُمان بن حابس الخزاعى — قالوا : ما وراءك ؟ قال : قُتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمية بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البخترىّ بن هشام ونُبَيه ومنبه ابنا الحجاج . قال : فلمّا جعل يعدّد أشراف قريش ، قال صَفْوان بن أمية وهو قاعد فى الحِجْر : والله إنْ يعقل هذا فَسلُوه عنى ، قالوا : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : هو ذاك جالسا فى الحِجْر ، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قتلا[2] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدّثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكْرمة مولى ابن ١٣٣٩/١ عبّاس ، قال : قال أبو رافع مولى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم : كنت غلامًا للعبّاس بن عبد المطّلب ، وكان الإسلام قد دخلنَا أهل البيت ، وأسلمتْ أمّ الفضل وأسلمتُ ، وكان العبّاس يهاب قومه ، ويكره أن يخالفَهم ، وكان يكتم إسلامَه ، وكان ذا مال كثير متفرّق فى قومه ، وكان أبو لهب عدوّ الله قد تخلّف عن بدر ، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكذلك صنعوا ، لم يتخلّف رجل إلاّ بعثَ مكانه رجلا ، فلمّا جاء الخبر عن مُصاب أصحاب بدر من قريش ، كبته الله وأخزاه ، ووجدنا فى أنفسنا قوّة وعزًّا .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٠ .

قال : وكنت رجلاً ضعيفًا ، وكنت أعمل القِداح ، أنحتُها فى حَجْرة زمزم ، فوالله إنى لجالس فيها أنحت القِداح ، وعندى أمّ الفضْل جالسة ، وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبلَ الفاسق أبو لهب يجرّ رجليْه بشرّ ، حتى جلس على طُنُب الحجرة ، فكان ظهره إلى ظهرى ؛ فبينا هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب قد قدِم . قال : فقال أبو لهب : هلمّ إلىّ يا بنَ أخِى ؛ فعندك الخبر . قال : فجلس إليه ، والناس قيام عليه ، فقال : يا بن أخى ، أخبِرْنى ؛ كيف كان أمر الناس ؟
١٣٤٠/١ قال : لا شىء ؛ والله إن كان إلاّ أن لقِيناهم ، فمنحناهم أكتافنا ، يقتُلوننا ويأسرون كيف شاءوا ؛ وايمُ الله مع ذلك ما لُمْتُ الناس ؛ لقِينا رجالاً بِيضًا على خيل بُلْقٍ بين السماء والأرض ؛ ما تليق[1] شيئًا ولا يقوم لها شىء . قال أبو رافع : فرفعت طُنُب[2] الحجْرة بيدى ، ثم قلت : تلك الملائكة . قال : فرفع أبو لهب يدَه فضرب وجهى ضربة شديدة ، قال : فثاورتُه[3] ، فاحتملنى ، فضرب بى الأرضَ ثم برَك علىّ يضربنى — وكنت رجلا ضعيفًا — فقامت أمّ الفضل إلى عَمُود من عُمُد الحجرة ، فأخذته فضربته به ضربة فشجّتْ[4] فى رأسه شجّة منكرة ، وقالت : تستضعفه أنْ غاب عنه سيّده! فقام مولّيا ذليلا ، فوالله ما عاش إلاّ سبع ليال حتى رماه الله عزّ وجلّ بالعَدَسة[5] فقتلته ، فلقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثا ما يدفنانه حتى أنتن فى بيته — وكانت قريش تتّقى العَدسة وعَدْوَتَها كما يتّقى الناس الطاعون — حتى قال لهما رجل من قريش : ويحكما ! ألاَ تستحيان أنّ أباكما قد أنتن فى بيته لا تغيّبانه ! فقالا : إنا نخشى هذه القَرْحة ، قال : فانطلِقا فأنا معكما ، فما غسلوه إلا قذْفًا بالماء عليه من بعيد ، ما يمسّونه ، ثم احتملوه فدفنوه بأعلى
١٣٤١/١ مكّة إلى جدار ، وقذفوا عليه الحجارة حتى واروْه[6] .

(١) ما تليق : ما تبقى .
(٢) طنب الحجرة : طرفها .
(٣) ثاورته : وثبت إليه .
(٤) كذا فى الأغانى ، وفى ط : « فلقت » .
(٥) العدسة : قرحة قاتلة كالطاعون .
(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٨ ، ٧٨ ، والأغانى ٤ : ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة بن الفضل ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدّثنى العبّاس بن عبد الله بن معبد ، عن بعض أهله ، عن عبدالله ابن عبّاس ، قال : لمّا أمسى القوم من يوم بدْر ، والأسارى محبوسون فى الوَثاق ، باتَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ساهرًا أوّل ليلة ، فقال له أصحابه : يا رسولَ الله ، مالك لا تنام ! فقال : سمعت تضوّرَ العبّاس فى وَثاقه ، قال : فقاموا إلى العبّاس فأطلقوه ، فنام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم[1] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدّثنى الحسنُ بن عُمارة ، عن الحكم بن عتيبة بن مِقْسَم ، عن ابن عبّاس ، قال : كان الذى أسر العبّاس أبو اليَسَر كعب بن عمرو أخو بنى سلمة ، وكان أبو اليَسَر رجلاً مجموعًا ، وكان العبّاس رجلاً جسيمًا ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لأبى اليَسَر : كيف أسرت العباس يا أبا اليَسَر ؟ فقال : يا رسولَ الله ؛ لقد أعانى عليه رجلٌ ما رأيته قبلَ ذلك ولا بعده ؛ هيئته كذا وكذا ، قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لقد أعانك عليه مَلَك كريم[1] .

١٣٤٢/١ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدّثنى يحيى بن عبّاد ، عن أبيه عبّاد ، قال : ناحتْ قريش على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلُغَ ذلك محمدًا وأصحابَه ، فيشمَتَ[2] بكم ، ولا تبعثوا فى فداء أسراكم حتى تستأنوا بهم[3] ؛ لا يتأرّب[4] عليكم محمد وأصحابُه فى الفداء[5] .

(١) الأغانى ٤ : ٢٠٦ .

(٢) سيرة ابن هشام والأغانى : « فيشمتوا » .

(٣) حتى تستأنوا بهم : أى تؤخروا فداءهم ، وفى الأغانى : « حتى تيأسوا » .

(٤) يتأرب : يتأبى ويتشدد . وفى السيرة واللسان - مادة أرب : « لا يأرب » ، وأرب : تشدد .

(٥) سيرة ابن هشام ٧٩ ، والأغانى ٤ : ٢٠٦ .

قال : وكان الأسود بن عبد المطّلب[١] قد أصيب له ثلاثة من ولده : زَمْعة بن الأسود ؛ وعقيل بن الأسود ، والحارث بن الأسود ؛ وكان يحبّ أن يبكِيَ على بنيه ؛ فبينا هو كذلك ؛ إذ سمع نائحة من الليل ، فقال لغلام له وقد ذهب بصره : انظر هل أحلّ النّحبُ ؟ هل بَكت قريش على قتلاها ؟ لعلّى أبكى على أبى حكيمة — يعنى زَمْعة — فإنّ جَوْفى قد احترق ! قال : فلما رجع إليه الغلام ، قال : إنما هى امرأة تبكى على بعيرها أضلّتْه. قال : فذلك حين يقول :

١٣٤٣/١ أتَبْكى أنْ يَضِلَّ لها بَعِيرٌ ... ويَمْنَعُها مِنَ النَّوْمِ السُّهُودُ[٢]
فلا تَبْكى على بَكْرٍ ولٰكنْ ... على بَدْرٍ تَقَاصَرَتِ الجدُودُ[٣]
على بَدْرٍ سَراةِ بَنى هُصَيْصٍ ... ومَخْزُومٍ ورَهْطِ أبى الوَلِيدِ[٤]
وبَكِّى إنْ بَكَيْتِ على عَقِيلٍ ... وبَكِّى حارِثًا أسَدَ الْأُسُودِ[٥]
وبَكِّيهِمْ ولا تَسَمِى[٦] جَمِيعاً ... فما لأبى حَكِيمَةَ منْ نَدِيدِ
ألا قد سَادَ بَعْدَهُمُ رِجالٌ ... ولَوْلا يومُ بدْرٍ لَمْ يَسُودُوا[٧]

قال : وكان فى الأسارى أبو وداعة بن ضُبَيْرة السَّهْمىّ ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إن له ابناً تاجرًا كيّساً ذا مال ؛ وكأنكم به قد جاءكم فى فداء أبيه ! قال : فلمّا قالت قريش : لا تعجلوا فى فداء أسرائكم لا يتأرّب[٨] عليكم محمد وأصحابه ، قال المطّلب بن أبى وداعة — وهو الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عَنَى — : صدقتم ، لا تعجلوا بفداء أسُرائكم .

(١) كذا فى السيرة ؛ وهو الموافق لما فى حماسة أبى تمام والاشتقاق لابن دريد ٩٤ ، وفى ط : « ابن عبد يغوث » .

(٢) حماسة أبى تمام — بشرح التبريزى ٢ : ٣٤٠ ، ٣٤١ .

(٣) البكر : الفتى من الإبل . تقاصرت الجدود ، أى تواضعت الحظوظ .

(٤) سراة : جمع سرى ؛ وهو السيد الكريم .

(٥) بكّاه بالتضعيف ، كبكاه المخفف .

(٦) لا تسمى مخفف « لا تسأمى » .

(٧) قال ابن هشام : « هذا إقواء » .

(٨) سيرة ابن هشام : « لا يتأرث » .

ثم انسلّ من الليل ، فقدِم المدينة ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم ، ثم انطلق به ، ثم بعثت قريش فى فداء الأسارَى ، فقدم مِكرَزُ بن حفص ابن الأخيْف فى فداء سُهيْل بن عمرو ، وكان الذى أسرَه مالك بن الدُّخُشم ، أخو بنى سالم بن عوف ، وكان سهيل بن عمرو أعْلَم[1] من شَفَته السُّفْلَى[2] .

حدّثنا ابنٌ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : فحدّثنى محمد بن عمرو بن عطاء بن عيّاش[3] بن علقمة ، أخو بنى عامر بن لؤىّ ، أنّ عمر بن الخطاب قال لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم : يا رسولَ الله انتزع ثنيّتَىْ سُهَيْل بن عمرو السُّفْليَيْن يَدْلَعْ[4] لسانه ، فلا يقوم عليك خَطيبا فى موطنٍ أبداً ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : لاأمثِّلُ به فيمثِّل الله بى ؛ وإن كنت نبيًّا . ١٣٤٤/١

قال : وقد بلغنى أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال لعمر فى هذا الحديث : إنّه عسى أن يقوم مقامًا لا تذمّه ؛ فلمّا قاولهم فيه مِكْرَز ، وانتهى إلى رضاهم ، قالوا : هات الذى لنا . قال : اجعلُوا رجلى مكان رجْله ، وخلُّوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه . قال : فخلّوْا سبيل سُهيل ، وحبسوا مِكرزًا مكانَه عنْدهم[5] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : قال محمّد بن إسحاق ، عن الكلبىّ ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال للعبّاس بن عبد المطلب حين انتهى به إلى المدينة : يا عبّاس ، افد نفسَك وابنىْ[6] أخيك عَقِيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث ، وحليفك عُتْبة بن عمرو بن جَحْدم ، أخابنى الحارث بن فهر ؛ فإنك ذو مال .

(١) الأعلم : المشقوق الشفة العليا ؛ وأما المشقوق الشفة السفلى ؛ فهو الأفلح .
(٢) الخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٧٩ ، ٨٠ ، والأغانى ٤ : ٢٠٨ ، ٢٠٩ .
(٣) ط : « عباس » ، والصواب ما أثبته ، وانظر كتب التراجم .
(٤) يدلع : يخرج .
(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٨٠ .
(٦) الأغانى : « ابن » .

فقال : يا رسولَ الله ؛ إنّى كنتُ مُسْلِمًا ؛ ولكنّ القوم استكرهونى ، فقال : الله أعلم بإسلامك ؛ إن يكن ما تذكر حقًّا فالله يجزيك به ، فأمّا ظاهرُ أمرك فقد كان علينا ، فافْدِ نفسَك — وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قد أخذ منه عشرين أوقيّة من ذهب — فقال العبّاس : يا رسولَ الله ، احسبها لى فى فدائى ، قال : لا ؛ ذاك شىء أعطاناه الله عزّ وجلّ منك ، قال : فإنّه
١٣٤٥/١ ليس لى مال . قال : فأين المال الذى وضعتَه بمكة حيث خرجتَ من عند أم الفضل بنت الحارث ، ليس معكما أحد . ثم قلتَ لها : إن أصِبتُ فى سفرى هذا فللفضل كذا وكذا ، ولعبد الله كذا وكذا ، ولِقُثَم كذا وكذا ، ولعبيد الله كذا وكذا ! . قال : والّذى بعثَك بالحقّ ما علِمَ هذا أحد غيرى وغيرها ؛ وإنى لأعلم أنك رسول الله ، ففدَى العبّاس نفسَه وابنى[1] أخيه وحليفَه[2] .

حدّثنا ابنُ حميد ؛ قال : حدّثنا سلَمة بن الفضل ، عن محمد ، قال : وحدّثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، قال : كان عمرو بن أبى سفيان بن حرب — وكان لابنة عُقْبة بن أبى مُعيْط — أسيرًا فى يدىْ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من أسارى بدر ، فقيل لأبى سفيان : افْدِ عَمْرًا ، قال : أيجمع علىّ دمى ومالى ! قتلوا حَنْظَلة وأفدى عمرا ! دَعُوه فى أيديهم يمسكوه ما بدا لهم . قال : فبينا هو كذلك محبوسٌ عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم ، خرج سعدُ بن النّعمان بن أكّال ، أخو بنى عمرو بن عوف ، ثم أحد بنى معاوية معتمرًا ، ومعه مُرَيّة[3] له ؛ وكان شيخاً كبيرًا مسلما فى غنم له بالنقيع[4] ؛ فخرج من هنالك معتمراً ؛ ولا يخشى الذى صُنع به ؛ لم يظن أنه يُحْبس بمكّة ؛ إنما جاء معتمراً ؛

(١) الأغانى : « وابن أخيه » .
(٢) الأغانى ٤ : ٢٠٧ .
(٣) مرية ، تصغير امرأة .
(٤) م : « البقيع » ، والصواب ما فى ط والسيرة ؛ والنقيع : موضع قرب المدينة ، والبقيع : موضع داخل المدينة ؛ والأول هو المراد .

وقد عهد قريشا لا تعترض لأحد حاجًّا أو معتمرًا إلاّ بخير ؛ فعدا عليه ١٣٤٦/١
أبو سفيان بن حرب ، فحبسه بمكّة بابنه عمرو بن أبى سفيان ، ثم قال أبو سفيان :

أرَهْطَ ابْنِ أكّالٍ أجيبُوا دُعاءه تعاقدتمُ لا تُسْلِمُوا السَّيِّدَ الكَهلا[1]
فإنَّ بَنى عَمْرٍو لئامٌ أذِلّةٌ لئنْ لم يَفُكُّوا عن أسيرِهِمُ الكَبْلاَ

قال : فمشى بنُو عمرو بن عوف إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فأخبروه خبره ، وسألوه أن يعطيَهم عمرو بن أبى سفيان فيفكّوا شيخَهم ؛ ففعل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فبعثوا به إلى أبى سفيان ، فخلّى سبيل سعد .

قال : وكان فى الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العُزّى بن عبد شمس[2] ختَنُ رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، زوج ابنته زَيْنَب ، وكان أبو العاص من رجال مكّة المعدودين مالا وأمانة وتجارةً ، وكان لهالَة بنت خُوَيْلد [وكانت][3] خديجة خالته ، فسألت خديجة رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يزوّجه ؛ وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لا يخالفها ؛ وذلك قبل أن ينزَل عليه ، فزوّجه ؛ فكانت تعدّه بمنزلة ولدها ؛ فلما أكرم الله عزّ وجل رسولَه بنُبُوّته آمنت به خديجة وبناته ، فصدّقنهُ وشهدْنَ[4] أنّ ما جاء به هو الحقُّ ؛ ودِنّ بدينه ؛ وثبتَ أبو العاص على شِرْكه .

وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قد زوّج عتبة بن أبى لهب إحدى ابنتيْه رُقيّة أو أمّ كُلْثوم ؛ فلما بادى قريشًا بأمر الله عزّ وجلّ وباعدوه[5] ، قالوا : إنكم قد فرّغتم محمّدًا من همّه ؛ فردوا عليه بناته ، فاشغَلُوه بهنّ ، فمشوْا إلى أبى العاص بن الربيع ، فقالوا له : فارقْ صاحبتَك ؛ ونحن ١٣٤٧/١

(١) كذا فى السيرة ، و ، وفى ط : « تفاقدتم » .
(٢) قال ابن هشام : « أسره خراش بن الصمة ، أحد بنى حرام » .
(٣) من ابن هشام .
(٤) م : « وشهدت » .
(٥) ابن هشام : « بالعداوة » .

نزوّجك أيّ امرأة شئت من قريش ، قال : لا ها الله إذاً ؛ لاأفارق صاحبتي وما أحبّ أنّ لى بامرأتى امرأة من قريش ؛ وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يثنى عليه فى صهْره خيرًا — فيما بلغنى .

قال : ثم مشوْا إلى الفاسق ابن الفاسق، عُتبة بن أبى لهب، فقالوا له: طلّق ابنةَ محمد ونحن نزوّجك أيّ امرأة من قريش شئت؛ فقال : إن زوّجتمونى ابنَة أبان بن سعيد بن العاص ، أو ابنة سعيد بن العاص فارقتُها . فزوّجوه ابنة سعيد بن العاص وفارقها ، ولم يكن عد وّ الله دخل بها ، فأخرجها الله من يده كرامة لها ، وهوانًا له ؛ فخلفَ عليها عثمان بن عفّان بعده ؛ وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لا يُحِلّ بمكّة ولا يحرم مغلوبًا على أمره ، وكان الإسلام قد فرّق بين زينب بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين أسلمت وبين أبى العاص بن الربيع ؛ إلاّ أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم كان لا يقدر على أن يفرّق بينهما ؛ فأقامت معه على إسلامهم وهو على شِرْكه ؛ حتى هاجر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلمّا سارت قريش إلى بدْر سار فيهم أبو العاص بن الرّبيع ؛ فأصيب فى الأسارى يوم بدر ، وكان بالمدينة عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[1] .

حدّثنا ابنُ حُميد، قال : حدّثنا سَلَمة، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدّثنى يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبّاد ، عن عائشة زوْج النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، قالت : لما بعث أهل مكة فى فِداء أُسَرَائهم، بعثت زينب بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى فداء أبى العاص
١٣٤٨/١ ابن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتْها بها على أبى العاص حين بَنَى عليها .

قالت : فلمّا رآ ها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم رقّ لها رِقّةً شديدةً ، وقال : إن رأيتم أن تُطْلِقُوا لها أسيرَها وتَرُدّوا عليها الذى لها فافعلوا ! فقالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلَقُوه ورَدُّوا عليها الذى لها .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٨٠ ، ٨١ .

وكان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد أخذَ عليه — أو وَعَدَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم — أن يخلّىَ سبيلَ زينب إليه، أو كان فيما شَرَط عليه فى إطلاقه ؛ ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فيعلم ما هو ! إلاّ أنَّه لما خرج أبو العاص إلى مكَّة وخُلّىَ سبيلُه، بعث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم زيدَ بن حارثة ورجلا من الأنصار مكانه ، فقال : كونا ببطن يأجَج ؛ حتى تمرَّ بكما زينب فتصحباها ،حتى تأتيانى بها ، فخرجا مكانهما ؛ وذلك بعد بدر بشهر أوشَيْعه[١] . فلما قدِم أبوالعاص مكَّة أمرها باللحوق بأبيها ؛ فخرجت تجهّز[٢] .

فحدّثنا ابنُ حُميد قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق، قال: حدّثنى عبدُ الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، قال : حُدّثت عن زينب أنَّها قالت: بينا أنا أتجهَّزُ بمكَّة للّحوق بأبى ، لقيتْنِى هنْد بنت عُتْبة ، فقالت : أى ابنة محمد[٣] ؛ ألم يَبْلغْنى أنَّك تريدين اللحوق بأبيك ! قالت : فقلت : ما أردتُ ذلك ، قالت : أى ابنةَ عمى ، لا تفعلى ؛ إن كانت لكِ حاجة بمتاع مما يرفُق بك فى سفرك ، أو بمال تبلُغين[٤] به إلى أبيك ، فإنّ عندى حاجَتك فلا تضطنِى[٥] منّى ؛ فإنَّه لا يدخل بين ١٣٤٩/١
النساء ما يدخل بين الرجال . قالت : ووالله ما أراها قالت ذلك إلاّ لتفعل . قالت : ولكنى خفْتُها ، فأنكرتُ أن أكون أريد ذلك ، وتجهّزْت .

فلمّا فرغت ابنةُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من جِهازها قدّم لها حمُوها كِنانة بن الربيع أخو زوجها بعيرًا فركبتْه ، وأخذ قوسه وكِنانته ، ثم خرج بها نهارًا يقود بها، وهى فى هوْدج لها. وتحدّث بذلك رجال قريش،

(١) شيعه : قريب منه .
(٢) الخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٨١ .
(٣) سيرة ابن هشام : « يا بنت محمد » .
(٤) سيرة ابن هشام : « تتبلغين » .
(٥) لا تضطنى : لا تستحى ، وأصله الهمز؛ يقال : اضطأنت المرأة : استحيت ؛ فحذفت الهمزة تخفيفاً .

فخرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذى طَوًى ، فكان أوّل مَنْ سبق إليها هَبَّار بن الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العُزّى ونافع بن عبد القيس ، والفهرىّ[1] . فروّعها هبّار بالرّمح وهى فى هودجها — وكانت المرأة حاملا ؛ فيما يزعمون — فلمّا رجّعَت طرحَتْ ذا بطنها ، وبرك حَمُوها ، ونثر كنانته ثم قال : والله لا يدنُو منى رجُلٌ إلاّ وضعت فيه سهما ، فتكركر[2] النّاس عنه ، وأتاه أبو سفيان فى جِلّة قريش ، فقال : أيّها الرجل ، كفّ عنا نَبْلَك حتى نكلّمك ، فكفّ . فأقبل أبو سفيان حتّى وقف عليه ، فقال : إنّك لم تُصِبْ ، خرجتَ بالمرأة على رءوس الرّجال علانية ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتَنا وما دخل علينا من محمّد ، فيظنّ الناس إذا خُرج بابنته علانيةً من بين أظهُرنا أنّ ذلك عن ذلّ أصابنا عن مصيبتنا ، ونكبتنا التى كانت ، وأنّ ذلك منّا ضعفٌ ووَهَنٌ ؛ لَعَمْرِى ما لنا حاجة فى حبسها عن أبيها ، ومالنا فى ذلك من ثؤْرة[3] ؛ ولكن أرجع المرأة ، فإذا هدأ الصوت ، وتحدّث النّاس ١٣٥٠/١
أنا قد رددناها ، فسُلّها سرًّا فألحِقْها بأبيها[4] . ففعل حتى إذا هدأ الصوتُ خرج بها ليلا ؛ حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحِبه ، فقدِما بها على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

قال : فأقام أبو العاص بمكّة ، وأقامت زينبُ عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة ، قد فرّق بينهما الإسلام ، حتى إذا كان قبَيْل الفتح خرج تاجرًا إلى الشأم — وكان رجلا مأمونا بمال له ، وأموال رجال من قريش أبضعوها معه — فلما فرغ من تجارته — وأقبل قافلاً ؛ لقِيتْه سريّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصابوا ما معه ، وأعجزهم هربًا ، فلما قدِمت السريّة بما أصابوا من ماله ، أقبل أبو العاص تحت الليل ؛ حتى دخل على زينب بنت رسول الله

(١) ط : « الفهرى » ؛ . وما أثبته من الروض الأنف . قال السهيلى : « قال : وسبق إليها هبار بن الأسود ، والفهرى ، ولم يسم ابن إسحاق الفهرى ، وقال ابن هشام : هو نافع بن عبد قيس ، وفى غير السيرة أنه خالد بن عبد قيس » .

(٢) تكركر الناس عنه : رجعوا وانصرفوا .

(٣) الثؤرة : طلب الثأر .

(٤) م : « بأهلها » .

صلّى الله عليه وسلم ، فاستجار بها ، فأجارته فى طلب ماله ، فلمّا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبْح — فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كما حدّثنى يزيد بن رومان — فكبَّر وكبَّر الناس معه ، صرخت زينب من صُفَّة[1] النساء : أيها الناس ، إنى قد أجرت أبا العاص بن الربيع. فلما سلَّم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من الصلاة ، أقبل على النّاس، فقال: أيّها النّاس ، هل سمعتم ما سمعت ! قالوا : نعم ، قال : أما والّذى نفس محمد بيده ، ما علمت بشىء كان حتى سمعت منه ما سمعتم ؛ إنه يجير على المسلمين أدناهم . ثم انصرف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فدخل على ابنته ، فقال : أى بنيّة أكرمى مثواه ولا يخلُصْ إليك ، فإنك لا تَحِلّين له[2] . ١٣٥١/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدّثنى عبدُ الله بن أبى بكر ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بعث إلى السريّة الذين أصابوا مال أبى العاص، فقال لهم: إنّ هذا الرّجل منّا حيث قد علمتم ، وقد أصَبْتم له مالاً ، فإن تُحسنوا تردّوا عليه الذى له ؛ فإنا نحبّ ذلك ؛ وإن أبيتم فهو فَىْء الله الذى أفاءه عليكم ؛ فأنتم أحقّ به . قالوا : يا رسولَ الله ، بل نردّه عليه !

قال : فردّوا عليه ماله حتى إنّ الرجلَ ليأتى بالحبْل[3] ، ويأتى الرجل بالشّنّة[4] والإداوة[5] ، حتى إنّ أحدهم ليأتى بالشّظاظ[6] ، حتى رَدُّوا عليه ماله بأسره ؛ لا يفقد منه شيئًا . ثم احتَمل إلى مكّة، فأدّى إلى كلّ ذى مال من قريش

(١) الصفة : السقيفة .

(٢) الخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٨٢ ، ٨٣

(٣) ابن هشام : « الدلو » .

(٤) الشنة : السقاء البالى .

(٥) الإداوة : إناء صغير من جلد .

(٦) الشظاظ : خشبة عقفاء تدخل فى عروة الجوالق ، والجمع أشظة .

ماله ممن كان أبْضَع معه، ثم قال :يا معشرَ قريش؛ هل بَقِى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه؟ قالوا : لا فجزاك الله خيرًا؛ فقد وجدناك وفيًّا كريمًا، قال: فإنى أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا عبده ورسوله؛ والله ما منعنى من الإسلام عنده إلاّ تخوُّفُ أن تظنوا أنّى إنما أردت أكلَ أموالكم ؛ فلما أدّاها الله إليكم ، وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدِم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم(١) .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدّثنى داود بن الحُصين ، عن عِكْرِمة مولى ابن عباس ، عن عبد الله بن عباس ، قال : ردّ عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم زينب بالنِّكاح الأول ، ولم يُحْدِثْ شيئًا بعد ستّ سنين(١) .

* * *

١٣٥٢/١ حدّثنا ابنُ حُميد، قال حدّثنا سلمة بن الفضل، قال : قال محمّد بن إسحاق، حدّثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة بن الزبير ، قال : جلس عُمَير بن وهب الجُمحىّ مع صفوان بن أميّة بعد مصاب أهل بدْر من قريش بيسير فى الحِجْر — وكان عُمير بن وهب شيطانًا من شياطين قريش ، وكان ممن يؤذِى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه ، ويلْقَوْن منه عناء وهم بمكّة ، وكان ابنُه وهب بن عمير فى أسارَى بَدْر — فذكر أصحاب القَلِيب ومصابهم ، فقال صفوان : والله إنْ فى العيش خير بعدهم ، فقال عُمَيْر : صدقت والله ! أما والله لولا دينٌ علىّ ليس له عندى قضاء وعيالٌ أخْشى عليهم الضَّيْعة بعدى ، لركبت إلى محمّد حتى أقتله ، فإنّ لى قِبَلهم علّةً ، ابنى أسيرٌ فى أيديهم .

فاغتنمها صفوان بن أمية ، فقال : علىّ دينُك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقُوا ، لا يَسعُنى شىء ويعجز عنهم ، قال عمير : فاكتُم علىّ شأنى وشأنك : قال : أفعل .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٨٣ .

قال : ثمّ إنّ عميرًا أمر بسيفه فشُحِذ له وسُمّ ، ثم انطلق حتى قدِم
١٣٥٣/١ المدينة ، فبينا عمر بن الخطاب فى نفر من المسلمين فى المسجد يتحدّثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله عزّ وجلّ به ، وما أراهم فى عَدُوّهم ؛ إذ نظر عمر إلى عُمير بن وهب حين أناخ بعيره على باب المسجد ، متوشّحًا السيف ، فقال : هذا الكلب عدُوّ الله عمير بن وهب ، ما جاء إلا لشرّ ! وهو الذى حرّش[1] بيننا ، وحَزَرَنا[2] للقوم يوم بدر . ثمّ دخل عمر على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا نبىّ الله ، هذا عدوُّ الله عُمير بن وهب قد جاء متوشّحًا سيفه ، قال : فأدْخِله علىّ .

قال : فأقبل عُمَر حتى أخذ بحمالة سيفه فى عنقه ، فلبّبه بها ، وقال لرجال ممّن كان معه من الأنصار : ادخُلوا على رسول الله صلّى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده ، واحذروا هذا الخبيث عليه ، فإنه غير مأمون . ثم دخل به على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

فلمّا رآه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وعمر آخذ بحمالة سيفه ، قال : أرسلْه يا عمر ، ادْنُ يا عمير ، فدَنا ثم قال : أنعِمُوا صباحًا — وكانت تحيّة أهل الجاهليّة بينهم — فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : قد أكرمنا الله بتحيّة خير من تحيّتك يا عمير ؛ بالسّلام تحيّة أهلِ الجنّة ، قال : أما والله يا محمد إن كنْت لحديث عَهد بها . قال : ما جاء بك يا عُمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم ، فأحسنوا فيه . قال : فما بالُ السّيْف فى عنقك ! قال : قَبحها الله من سيوف ! وهل أغنت شيئاً ! قال : اصدُقْنى بالذى جئتَ له ، قال : ما جئت إلاّ لذلك ، فقال : بلى ، قعدتَ أنت وصفوان بن أمية فى الحِجْر ، فذكرتما أصحاب القَليب من قريش ، ثم قلت : لولا دَيْن علىّ وعيالى لخرجتُ حتى أقتُلَ محمداً ، فتحمّل لك
١٣٥٤/١ صفوان بدَيْنك وعيالك ، على أن تقتلنى له . والله عزّ وجلّ حائلٌ بينى وبينك . فقال عمير : أشهدُ أنك رسول الله ؛ قد كنّا يا رسولَ الله نكذّبك بما كنت

(١) حرش : أفسد .

(٢) الحزر : تقدير العدد تخمينه .

تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحى ؛ وهذا أمرٌ لم يَحضره إلاّ أنا وصفوان ؛ فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله ؛ فالحمد لله الّذى هدانى للإسلام ، وساقنى هذا المساق . ثم تشهّدَ شهادة الحقّ ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فَقّهُوا أخاكم فى دينه ، وأقرئوه وعلّموه القرآن ، وأطلقوا له أسيرَه .

قال : ففَعَلُوا ، ثم قال : يا رسول الله : إنى كنت جاهدًا فى إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ؛ وإنّى أحبّ أن تأذن لى فأقدَم مكّة فأدعُوهم إلى الله وإلى الإسلام ؛ لعلّ الله أن يهديَهم ! وإلا آذيتُهم فى دينهم كما كنتُ أوذِى أصحابك فى دينهم .

قال : فأذن له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلحق بمكّة ، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول لقريش : أبشروا بوقْعَةٍ تأتيكم الآن فى أيام تنْسيكم وقْعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان ؛ حتى قَدِم راكبٌ فأخبره بإسلامه ، فحلف ألاّ يكلّمه أبدًا ولا ينفعه بنفعٍ أبدًا . فلما قدم عُمير مكّة أقام بها يدعوإلى الإسلام ، ويؤذى مَنْ خالفه أذًى شديدًا فأسلم على يديه أناس كثير[1] .

* * *

فلما انقضى أمرُ بدر ، أنزل الله عزّ وجلّ فيه من القرآن الأنفال بأسْرِها . حدّثنا أحمدُ بن منصور ، قال : حدّثنا عاصم بن علىّ ، قال : حدّثنا عِكْرِمة بن عمار ، قال : حدّثنا أبو زُمَيْل ، قال : حدّثنى عبد الله بن عباس ؛ حدّثنى عُمر بن الخطاب ، قال : لمّا كان يوم بدر التقوْا ، فهزم الله المشركين ، فقتِل منهم سبعون رجلا ، وأسِرَ سبعون رجلا ، فلمّا كان يومئذ شاوَرَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أبا بكر وعليًّا وعمر ، ١٣٥٥/١
فقال أبو بكر : يا نَبِىَّ الله ، هؤلاء بنو العمّ والعشيرة والإخوان ؛ فإنى أرَى أن تأخذ منهم الفِدْيَة ؛ فيكون ما أخذنا منهم قوّة ، وعسى الله أن يهديَهم ،

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٨٤ .

فيكونوا لنا عَضُداً . فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ما ترى يا بن الخطاب ؟ قال : قلتُ :لا والله ، ما أرى الذى رأى أبو بكر ،ولكنى أرى أن تمكِّننى من فلان فأضربَ عنقه ، وتمكِّن حمزة من أخ له فيضرب عنقه ، وتمكِّن عليًّا من عَقِيل فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أن ليس فى قلوبنا هَوَادَة للكفَّار ؛ هؤلاء صناديدهم وقادتهم وأئمتهم .

قال : فهوى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ما قال أبو بكر ، ولم يهوَ ما قلت أنا ، فأخذ منهم الفِداء ، فلمَّا كان الغدُ قال عمر : غدوتُ إلى النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم وهو قاعِدٌ وأبو بكر ، وإذا هما يبكيان ، قال : قلت : يا رسول الله أخبِرْنى ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فإن وجدتُ بكاءً بكيتُ ، وإن لم أجِدْ تباكيتُ لبُكائكما . فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: للَّذى عرض علىّ أصحابُك من الفداء . لقد عُرِض علىّ عذابُكم أدْنى من هذه الشجرة — لشجرة قريبة — وأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِى الْأَرْضِ﴾ إلى قوله : ﴿فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1] ؛ ثم أحلّ لهم الغنائم .

فلمَّا كان من العام القابل فى أحُد عُوقِبُوا بما صنعوا ، قُتِل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعون ، وأسر سبعون ، وكسرت رباعِيَتُه وهُشِمَتِ البَيْضة على رأسه ، وسال الدم على وجهه ، وفرَّ أصحابُ النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، وصعدوا الجبل ، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية : ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾ إلى قوله : ١٣٥٦/١
﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2] ، ونزلت هذه الآية الأخرى : ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِى أُخْرَاكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً﴾[3].

(١) سورة الأنفال ٦٧
(٢) سورة آل عمران ١٦٥
(٣) سورة آل عمران ١٥٣ ، ١٥٤

حدّثنى سلم بن جُنادة ، قال : حدّثنا أبو معاوية ، قال : حدّثنا الأعمش ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله ، قال : لمّا كان يوم بدْر ، وجىء بالأسرى ، قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ما تقولون فى هؤلاء الأسرى ؟ فقال أبو بكر : يا رسولَ الله ، قومُك وأهلُك ، استَبْقِهم واستَأنِهم ؛ لعلّ الله أن يتوبَ عليهم . وقال عُمَر : يا رسولَ الله كذّبوك وأخرجوك ، قَدِّمهم فضرِّبْ أعناقهم . وقال عبدُ الله بن رَوَاحة : يا رسول الله ، انظر وَادِيًا كثير الحطب فأدْخِلْهم فيه ، ثم أضْرِمه عليهم نارًا . قال : فقال له العبّاس : قطعتْك رحِمك ! قال : فسكت رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فلم يُجِبهُم ، ثم دخل ، فقال ناس : يأخذ بقول أبى بكر ، وقال ناس : يأخذ بقول عمر ، وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله بن رواحة ، ثم خرج عليهم رسول الله ، فقال : إنّ الله عزّ وجلّ ليلِينُ قلوبَ رجال فيه حتى تكون ألْيَنَ من الزُّبد[1] ؛ وإنّ الله ليشدّد قلوب رجال فيه حتى تكون أشدَّ من الحجارة ؛ وإنّ مثلك يا أبا بكر مثلُ إبراهيم ، قال : ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[2] ، ومثلك يا أبا بكر، مثل عيسى ، قال : ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[3] ومثلك يا عمر مثل نوح ، قال : ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾[4] ، ومثلك كمثل موسى ، قال : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾[5] . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم اليوم عَالَةٌ فلا يفلتنّ منهم أحدٌ إلا بفداء أو ضرب عُنق ؛ قال عبد الله بن مسعود : إلا سُهَيْل ابن بَيْضاء ؛ فإنى سمعته يذكر الإسلام . فسكتَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ١٣٥٧/١

(١) م : « اللين » .
(٢) سورة إبراهيم ٣٦
(٣) سورة المائدة ١١٨
(٤) سورة نوح ٢٦
(٥) سورة يونس ٨٨

فما رأيتُنى فى يوم أخوف أن تقع علىَّ الحجارة من السماء منّى فى ذلك اليوم ؛ حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إلاّ سهيل بن بيضاء » قال : فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ مَا كَانَ لنَبِىٍّ أنْ يكُونَ لَهُ أسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فى الأَرْض . . . ﴾ إلى آخر الآيات الثلاث .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن اسحاق : لما نزلت — يعنى هذه الآية : ﴿ مَا كَانَ لنَبِىٍّ أنْ يكُونَ لَهُ أسْرَى ﴾، قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لو نزل عَذَابٌ من السَّمَاء لم يَنْجُ منه إلاّ سعد بن معاذ ، لقوله : يا نبىَّ الله ، كان الإثْخَانُ فى القتل أحبَّ إلىَّ من استبقاء الرجال .

* * *

قال أبو جعفر : وكان جميعُ مَنْ شهد بدرًا من المهاجرين ، ومن ضَرَب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجْرِه ثلاثةً وثمانين رجلاً فى قول ابن إسحاق .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عنه : وجميع من شهد من الأوْس معه ومن ضَرَب له بسهمه واحدٌ وستون رجلا . وجميع مَنْ شهِد معه من الخزرج مائةٍ وسبعون رجلا فى قول ابن إسحاق ، وجميعُ مَن استشهد ١٣٥٨/١
من المسلمين يومئذ أربعةَ عشر رجلا ، ستّة من المهاجرين وثمانية من الأنصار .

وكان المشركون — فيما زعم الواقدى — تسعمائة وخمسين مقاتلا ؛ وكانت خيلهم مائة فرس .

ورَدَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يومئذ جماعة استصغرهم — فيما زعم الواقدى — فمنهم فيما زعم عبدُالله بن عمر ، ورافع بن خَدِيج ، والبَرَاءُ ابن عازب ، وزيد بن ثابت ، وأسَيْد بن ظُهَيْر ، وعُمَيْر بن أبى وقاص ثم أجاز عميرًا بعد أن رَدّه فقتل يومئذ .

وكان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد بعث قبل أن يخرج من المدينة طَلْحة بن عبيد الله ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفَيل، إلى طريق الشأم يتحسَّسان الأخبار عن العِير ، ثم رجعا إلى المدينة ، فَقَدِماها يوم وقْعَة بدر ، فاستقبلا رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بتُرْبَان ؛ وهو منحدرٌ من بدر يريد المدينة .

* * *

قال الواقدىّ : كان خروج رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من المدينة فى ثلثمائة رجل وخمسة ، وكان المهاجرون أربعةً وسبعين رجلا ، وسائرهم من الأنصار ، وضرب لثمانية بأجورهم وسُهمانهم : ثلاثة من المهاجرين ؛ أحدهم عثمان بن عفان كان تخلّف على ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ماتت، وطَلْحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد ، كان بَعَثهما يتحسَّسان الخبر عن العِير ، وخمسة من الأنصار : أبو لُبابة بشير بن عبد المنذر ؛ خلَّفه على المدينة ، وعاصم بن عدىّ بن العجلان ؛ خلَّفه على العالية ، والحارث بن حاطب ؛ ردّه من الرَّوْحاء إلى بنى عمرو بن عوف لشىء بلغه عنهم ، والحارث ابن الصِّمة ؛ كُسِرَ بالرَّوْحاء ، وهو من بنى مالك بن النجَّار ، وخَوَّاتُ بن جُبَيْر ، كسر من بنى عمرو بن عوف. قال : وكانت الإبل سبعين بعيرًا ، والخيل فرسيْن : فرس للمِقْداد بن عمرو ، وفرس لمرثَد بن أبى مَرْثَد . ١٣٥٩/١

* * *

قال أبو جعفر : وروى عن ابن سعد، عن محمّد بن عمر ، عن محمد بن هلال ، عن أبيه، عن أبى هريرة ، قال : ورئِىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثر المشركين يوم بدر مُصْلِتًا السَّيْفَ ، يتلو هذه الآية : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾[1] .

قال : وفى غزوة بدر انتفَل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفَه ذا الفَقَار ،

(١) سورة القمر ٤٥ .

وكان لمُنَبِّه بن الحجّاج .

قال : وفيها غنم جَمَلَ أبي جَهْل؛ وكان مَهْرِيًّا يغزو عليه ويضرب في لِقاحه .

* * *

قال أبو جعفر : ثم أقام رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالمدينة ، مُنْصَرَفه من بدر ، وكان قد وادع حين قدم المدينة يهودَها ؛ على أن لا يُعِينوا عليه أحدًا ؛ وأنَّه إن دَهمَه بها عَدوٌّ نصروه . فلمَّا قَتَل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم مَنْ قتل ببدر من مشركي قريش ، أظهروا له الحسدَ والبغي ، وقالوا : لم يلق محمدٌ من يُحْسِنُ القتال ؛ ولو لقيَنَا لاقى عندنا قتالاً لا يشبهه قتال أحد ؛ وأظْهَرُوا نقْضَ العهد .

* * *

غزوة بني قَيْنُقاع

فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمَّد بن إسحاق ، قال : كان من أمر بني قينُقاع ، أنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم جمعهم ١/١٣٦٠
بسوق بني قَيْنُقَاع ، ثم قال : يا معشر اليهود، احْذَرُوا من الله عزّ وجلّ مثل ما نزل بقريش من النِّقْمة ، وأسلموا ؛ فإنّكم قد عرفتم أني نبيٌّ مُرْسَلٌ تجدون ذلك في كتابكم ؛ وفي عهد الله إليكم . قالوا : يا محمَّد ؛ إنّك ترى أنا كقومك! لا يغرّنّك أنك لقيت قومًا لا علْم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة؛ إنا والله لئن حاربتنا لتعلمنّ أنَّا نحن الناس[1] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمَّد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّ بني قينُقاع كانوا أوّلَ يهود نقضوا ما بينهم وبين رسولِ الله صلى الله عليه وسلَّم ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد .

فحدّثني الحارث، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر :

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٢٠ .

عن محمد بن عبد الله ، عن الزهرىّ ، أنّ غزوة رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلِم بنى القينُقاع كانت فى شوّال من السنة الثانية من الهجرة .

قال الزهرىّ عن عروة : نزلَ جبريلُ على رسول الله صلى الله عليهما وسلم بهذه الآية : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾[1] ، فلما فرغ جبريل عليه السلام من هذه الآية ، قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ إنى أخاف من بنى قينُقاع ، قال عروة : فسار إليهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بهذه الآية .

قال الواقدىّ : وحدّثنى محمّد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : حاصرهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم خمسَ عشرةَ ليلة لا يطلُع منهم أحد. ثم نزلوا على حكْم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فكتَّفوا وهو يريد قتلهم ، فكلّمه فيهم عبد الله بن أبىّ .

* * *

١٣٦٠/١ رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : فحاصرَهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أبىّ بن سَلُول حين أمكنه الله منهم ، فقال : يا محمّد ، أحْسِنْ فى موالىّ — وكانوا حلفاء الخزرج — فأبطأ عليه النبىّ صلى الله عليه وسلّم فقال : يا محمّد ، أحسِنْ فى موالىّ ، فأعرض عنه النبىّ صلى الله عليه وسلّم . قال : فأدخل يده فى جَيْب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم : أرسلنى ، وغضب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم حتى رأوْا فى وجهه ظلالاً[2] — يعنى تلوّنا — ثم قال : ويحك أرسِلنى ! قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن إلى موالىّ . أربعمائة حاسر و ثلثمائة دارع قد منعونى من الأسود والأحمر ؛ تحصدهم فى غداة واحدة ! وإنى والله لا آمنُ وأخشى الدوائر . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : هُمْ لك[3] .

(١) سورة الأنفال ٥٨ .

(٢) ابن هشام « ظللا » ، وهما جمع ظلة ، وهى السحابة ، استعارها لتغير الوجه عند الغضب .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٠ ، ١٢١ .

قال أبو جعفر : وقال محمّد بن عمر فى حديثه عن محمّد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، فقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : خلّوهم لعنهم الله ولعنه معهم ! فأرسلوهم . ثم أمر بإجلائهم ، وغنّمَ الله عزّ وجلّ رسوله والمسلمين ما كان لهم من مال — ولم تكن لهم أرضون ؛ إنّما كانوا صاغةً — فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلّم لهم سلاحًا كثيرًا وآلة صياغتهم ؛ وكان الذى وَلِىَ إخراجَهم من المدينة بذراريّهم عُبادة بن الصامت ، فمضى بهم حتى بلغ بهم دِباب[1] ؛ وهو يقول : الشرف الأبعد ، الأقصى فالأقصى ! وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف على المدينة أبا لُبابة بن عبد المنذر . ١٣٦٢/١

* * *

قال أبو جعفر : وفيها كان أوّل خُمسٍ خَمَسَهُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى الإسلام ؛ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم صَفِيَّهُ[2] والْخُمُسَ وسهمه ، وفَضَّ[3] أربعة أخماس على أصحابه ، فكان أول خُمسٍ قَبَضَه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم . وكان لِوَاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم بنى قينُقاع لواءً أبيض ، مع حمزة بن عبد المطّلب ، ولم تكن يومئذ رايات . ثم انصرف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة ، وحضرت الأضحى ؛ فذُكِر أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ضحّى وأهل اليُسْر من أصحابه ، يوم العاشر من ذى الحجة ، وخرج بالنّاس إلى المصلّى فصلّى بهم ، فذلك أوّلُ صلاة صلّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالناس بالمدينة بالمصلّى فى عيد ، وذبح فيه بالمصلّى بيده شاتيْن — وقيل ذبح شاة .

قال الواقدىّ : حدّثنى محمد بن الفضل ، من ولد رافع بن خَدِيج ، عن أبى مُبشِّر ، قال : سمعتُ جابرَ بنَ عبد الله ، يقول : لما رجعْنا من بنى قينُقاع ضحّينا فى ذى الحجّة صَبِيحة عشر ، وكان أوّل أضحى رآه

(١) ط : « ذباب » ، وانظر الفهرس و ياقوت . (٢) الصفى : سهم الرئيس من الغنيمة .
(٣) يقال : فض الشىء على القوم ؛ أى فرقه وقسمه عليهم .

المسلمون ، وذبحنا فى بنى سلِمة فَعُدَّتْ فى بنى سلَمة سبع عشرة أضْحِية .

* * *

قال أبو جعفر : وأمَّا ابن إسحاق فلم يُوَقِّتْ لغزوة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم التى غزَاها بنى قَيْنُقاع وقتًا ، غير أنه قال : كان ذلك بين غزوة السَّويق وخروج النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم من المدينة يريد غَزْوَ قريش ؛ حتى بلغ بنى سُليم وبَحْرَانَ ، مَعْدِنًا بالحجاز من ناحية الفُرُع[1] .

١٣٦٣/١ وأما بعضُهم ، فإنه قال : كان بين غزوة رسول الله صلَّى الله عليه وسلم بدرًا الأولى وغزوة بنى قينُقاع ثلاث غزوات وسريَّة أسْراها . وزعم أن النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم إنَّما غزاهم لتسع ليالٍ خَلَوْن من صَفر من سنة ثلاث من الهجرة ، وأنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم غزا بعد ما انصرف من بدر ، وكان رجوعه إلى المدينة يوم الأربعاء لثمانىَ ليالٍ بقينَ من رمضان ، وأنه أقام بها بقيَّة رمضان . ثم غزا قَرْقَرة الكُدْر حين بلغه اجتماع بنى سُلَيْم وغطفان ؛ فخرج من المدينة يوم الجمعة بعد ما ارتفعت الشمس ، غُرَّةَ شوّال من السنة الثانية من الهجرة إليها .

وأما ابنُ حميد ، فحدّثنا عن سلمَة ، عن ابن إسحاق ، أنه قال : لما قدِم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من بدر إلى المدينة ، وكان فراغه من بدر فى عقب شهر رمضان — أو فى أول شوّال — لم يقِمْ بالمدينة إلاّ سبع ليال ؛ حتى غزا بنفسه يريد بنى سُليم ، حتى بلغ ماء من مياههم ؛ يقال له الكُدْر ، فأقام عليه ثلاث ليال ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيْدًا ، فأقام بها بقيَّة شوّال وذا القعدة ، وفدى فى إقامته تلك جُلّ الأسارى من قريش[2] .

وأما الواقدىّ ، فزعم أنّ غزوة النبىّ صلى الله عليه وسلَّم الكُدْر كانت فى المحرّم من سنة ثلاث من الهجرة ، وأنّ لواءه كان يحمله فيها علىّ بن

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٠ .
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١١٩ .

أبى طالب ؛ وأنه استخلف فيها ابنَ أمّ مكتوم المَعِيصِيّ على المدينة .

وقال بعضهم : لمّا رجع النبىّ صلّى الله عليه وسلّم من غزوة الكُدْر إلى المدينة ، وقد ساق النَّعم والرِّعاء ولم يلق كيدًا . وكان قدومه منها — فيما ١٣٦٤/١
زعم — لعشر خَلَوْن من شوّال ، بعث غالب بن عبد الله الليثىّ يوم الأحد لعشر ليال مضينْ من شوّال إلى بنى سليم وغطفان فى سَرِيَّة ، فقتلوا فيهم ، وأخذوا النَّعم ، وانصرفوا إلى المدينة بالغنيمة يوم السبت ، لأربع عشرة ليلة بقيتْ من شوّال ، واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر ، وإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أقام بالمدينة إلى ذى الحجّة ، وإنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم غزا يوم الأحد لسبع ليال بقِينَ من ذى الحجّة غزوة السَّويق .

* * *

غزوة السَّوِيق

قال أبو جعفر : وأما ابنُ إسحاق ، فإنه قال فى ذلك ما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لمّا رجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من غزوة الكُدْر إلى المدينة ، أقام بها بقيّة شوّال من سنة اثنتين من الهجرة ، وذا القعدة . ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السَّويق فى ذى الحجّة . قال : ووَلِىَ تلك الحجّة المشركون من تلك السَّنة[1] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رُومان ومَنْ لا أتّهم ، عن عبيد الله ابن كعب بن مالك — وكان من أعلم الأنصار — قال : كان أبو سفيان بن حرب حين رجع إلى مكّة ، ورجع فَلُّ[2] قريش إلى مكّة من بدر ، نَذَر ألاّ يمسّ رأسه ماء من جَنابة حتى يغزُوَ محمدًا . فخرج فى مائتى راكب ١٣٦٥/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١١٩ .
(٢) الفلّ : القوم المنهزمون .

من قريش ، ليُبِرّ يمينه ، فسلك النَّجديَّة حتى نزل بصدور قَناة إلى جبل يقال له تَيْت ، من المدينة على بريد أو نحوه . ثم خرج من اللَّيل حتى أتى بنى النَّضير تحت اللَّيل ، فأتى حُيَىَّ بن أخْطَب ، فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه ، فأبى فانصرف إلى سلاّم بن مِشْكم — وكان سيد النَّضير فى زمانه ذلك ، وصاحب كنزهم (١) — فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه ، وبَطَن (٢) له خبر الناس ، ثم خرج فى عَقِب ليلته ؛ حتى جاء أصحابه ، فبعث رجالا من قُريش إلى المدينة ، فأتوْا ناحية منها يقال لها العُرَيْض ، فحرّقوا فى أصوار (٣) من نخل لها ، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفًا له فى حَرْث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين ؛ ونَذِرَ بهم الناس ، فخرج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم فى طلبهم ، حتى بلغ قرقرة الكُدْر ، ثم انصرف راجعًا ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابُه ، وقد رأوا من مزاود القوم ما قد طرحوه فى الحرث ؛ يتخفَّفون منه للنّجاة . فقال المسلمون حين رجع بهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أنطمع أن تكون لنا غزوة ؟ قال : نعم (٤) .

* * *

وقد كان أبو سفيان قال وهو يتجهَّز خارجًا من مكة إلى المدينة أبياتًا من شعر يُحَرِّضُ قريشًا :

١٣٦٦/١ كُرُّوا على يَثْرِبَ وجَمْعِهِمُ فإنَّ ما جمَّعوا لكُمْ نَفَلُ
إنْ يكُ يومُ القَليبِ كان لهُمْ فإنَّ ما بعده لكُم دُوَلُ
آلَيْتُ لا أقْرَبُ النِّساءَ ولا يَمَسُّ رأْسى وجِلْدىَ الغُسُلُ
حتَّى تُبيرُوا قبائلَ الأَوس والْـ ـخَزْرج ، إنَّ الْفُؤادَ مُشْتَعِلُ

فأجابه كعب بن مالك :

تَلْهَفُ أُمُّ المُسَبِّحِينَ على جيْش ابْن حرْبٍ بالْحرَّةِ الْفَشِلِ
إذ يطْرَحُونَ الرِّجال مَنْ سَئِمَ الطَّـ ـير تَرَقَّى لقُنَّة الْجَبَلِ

(١) الكنز هنا : ما كان يجمعون من أموال يحفظونها لمهماتهم ونوائبهم .
(٢) بطن له ، أى أعلمه سرهم .
(٣) الأصوار : جمع صور ؛ وهو النخل مجتمعة .
(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١١٩

جاءوا بجمْعٍ لو قيسَ مبرَكَهُ ما كان إلّا كمفْحَصِ الدُّئلِ[1]
عارٍ منَ النَّصْر والثّراء ومن أبطَال أهل البَطْحاء والأسَل

وأما الواقدىّ فزعم أنّ غزوة السّويق كانت فى ذى القَعدة من سنة اثنتين من الهجرة . وقال : خرجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم فى مائتى رجل من أصحابه من المهاجرين والأنصار . ثم ذكر من قصّة أبى سفيان نحوًا مما ذكره ابن إسحاق، غيرَ أنه قال : فمرّ — يعنى أبا سفيان — بالعُرَيْض، برجل معه أجير له يقال له مَعْبَد بن عمرو، فقتلهماوحرَّق أبياتًا هناك وتبنًا، ورأى أنّ ١٣٦٧/١
يمينه قد حُلّت ، وجاء الصريخ إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فاستنفر الناس ، فخرجوا فى أثره فأعجزهم . قال : وكان أبو سفيان وأصحابه يلقُون جُرُب الدقيق ويتخفّفون ، وكان ذلك عامّة زادهم ؛ فلذلك سُمّيت غزوة السّويق .

وقال الواقدىّ: واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلّم على المدينة أبا لبابة ابن عبد المنذر .

* * *

قال أبو جعفر : ومات فى هذه السنة — أعنى سنة اثنتين من الهجرة — فى ذى الحجّة عثمان بن مظعون ، فدفنَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالبقيع ، وجعل عند رأسه حَجَرًا علامة لقبره .

وقيل : إنّ الحسن بن علىّ بن أبى طالب عليه السلام وُلد فى هذه السنة .

قال أبو جعفر : وأما الواقدىّ ، فإنّه زعم أنّ ابن أبى سَبْرة حدّثه عن إسحاق بن عبد الله عن أبى جعفر ، أن علىّ بن أبى طالب عليه السلام بنَى

(١) البيت فى اللسان (دأل) ، وروايته :

جَاءوا بِجَيْشٍ لَوْ قِيسَ مُعرَسُه مَا كَانَ إلّا كَمُعْرَس الدُّئلِ

بفاطمة عليها السَّلام فى ذى الحجَّة ، على رأس اثنين وعشرين شهرا .

قال أبو جعفر : فإن كانت هذه الرواية صحيحة فالقول الأول باطل .

وقيل : إنّ فى هذه السَّنة كتب رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم المعَاقِل[1] فكان معلَّقًا بسيفه .

(١) المعاقل : جمع معقلة ، بضم القاف ؛ وهى الدية .

ثم دخلت السنة الثالثة من الهجرة

[غزوة ذى أمَر]

فحدّثنا ابن حميد ، قال حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السَّويق ، أقام بالمدينة بقيَّة ذى الحجَّة والمحرّم ، أو قريبًا منه ، ثم غزا نجدا يريد غَطَفان ؛ وهى غزوة ذى أمَر ، فأقام بنجد صَفَرًا كلَّه أو قريبًا من ذلك . ثم رجع إلى المدينة ولم يلقَ ١٣٦٨/١ كيدًا ، فلبث بها شهر ربيع الأوّل كلَّه إلاّ قليلا منه .

ثم غزا يريد قريشًا وبنى سُلَيْم ، حتى بلغ بَحْران (مَعْدِنًا بالحجاز من ناحية الفُرُع) فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلقَ كيدا[1] .

* * *

خبر كَعب بن الأشْرَف

قال أبو جعفر : وفى هذه السَّنة سَرَّى النبى صلى الله عليه وسلم سريَّة إلى كعب بن الأشرف ؛ فزعم الواقدىّ أن النبىّ وجَّه مَن وجَّه إليه فى شهر ربيع الأوّل من هذه السنة .

وحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان من حديث ابنِ الأشرف أنَّه لمَّا أصيب أصحاب بدر ؛ وَقَدِمَ زيد بن حارثة إلى أهل السَّافلة وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية[2] بَشِيرَيْنِ ، بعثهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم إلى مَن بالمدينة من المسلمين بفتح الله عزّ وجلّ عليه وقتْل مَنْ قُتِل من المشركين ؛ كما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن المغيث ابن أبى بُرْدة بن أسير الظَّفَرِىّ ، وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وصالح بن أبى أمامة بن سهل ، قال : كلٌّ

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٠ .

(٢) العالية : اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها إلى تهامة ، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهو السافلة .

قد حدثنى بعض حديثه، قال: قال كعب بن الأشرف — وكان رجلاً من طيئ، ثم أحد بنى نَبْهان، وكانت أمّه من بنى النَّضير، فقال حين بلغه الخبر: ويلكم أحَقٌّ هذا! أترَوْن أنّ محمداً قتل هؤلاء الَّذين يسمّى هذان الرجلان — يعنى زيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة؟ وهؤلاء أشراف العرب وملوك ١٣٦٩/١
الناس. والله لئن كان محمَّد أصاب هؤلاء القوم لَبطنُ الأرضِ خيرٌ لنا من ظهرها[1].

فلما تيقَّن عدوُّ الله الخبر، خرج حتَّى قدم مكَّة، فنزل على المطَّلب بن أبى وَدَاعة بن ضُبَيْرة السَّهمىّ، وعنده عاتكة بنت أسَيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس، فأنزلَتْه وأكرمتْه؛ وجعل يحرّض على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وينشد الأشعار، ويبكى على أصحاب القَلِيب الذين أصيبوا ببدر من قريش. ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة، فشبَّبَ بأمّ الفضل بنت الحارث، فقال:

أرَاحِلٌ أنتَ لم تَحْلُل بمَنقَبةٍ ... وتاركٌ أنت أُمَّ الفضل بالحَرَمِ!
صفْرَاء رادعةٌ لو تُعْصَرُ انْعَصرت ... منْ ذى القوارير والحنَّاء والكَتَم
يرْتَجُّ ما بين كَعْبيْها ومرْفقها ... إذا تأتّتْ قياماً ثم لم تَقُم
أشباهُ أُمِّ حكيمٍ إذْ تُواصِلُنا ... والحبْلُ منها مَتينٌ غيرُ مُنْجَذِمِ
إحْدَى بنِى عامرٍ جُنَّ الفُؤادُ بها ... ولو تَشاء شفَتْ كَعْباً من السَّقَمِ
فرعُ النِّساءِ وفرعُ القومِ والدُها ... أهلُ التَّحِلَّةِ والإيفاء بالذِّمَم
لم أرَ شَمْساً بليْلٍ قبلها طلَعَتْ ... حتى تجَلّتْ لنا فى ليلةِ الظُّلَم[2]

ثم شبَّبَ بنساء من نساء المسلمين حتى آذاهم؛ فقال النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم كما حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن المغيث بن أبى بُرْدة: مَنْ لى من ابن الأشرف!

(١) م: «ظاهرها».
(٢) لم تذكر هذه الأبيات فى رواية ابن هشام؛ وذكر موضعها أبياتاً مطلعها:
طَحَنَتْ رَحَى بَدْرٍ لمهلِكِ أهلِهِ ... ولمِثل بدرٍ تستهلّ وتدمَعُ

قال : فقال محمد بن مسلمة ، أخو بنى عبد الأشهل : أنا لك به يا رَسولَ الله ، ١٣٧٠/١
أنا أقتله . قال : فافعل إن قَدَرْت على ذلك ، فرجع محمَّد بن مسلمة ،
فمكث ثلاثًا لا يأكل ولا يشرب . إلاّ ما يعلّقُ [به](١) نفسه ، فذكر ذلك
لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فدعاه فقال له : لِمَ تركتَ الطعام والشراب ؟
قال : يا رسولَ الله ، قلت قولا لا أدرى أفِى به أم لا! قال : إنما عليك الجَهْد ،
قال : يا رسول الله ، إنه لا بُدَّ لنا من أن نقول . قال : قولوا ما بدا لكم ، فأنتم
فى حلّ من ذلك !

قال : فاجتمع فى قتله محمَّد بن مسلمة وسِلْكَان بن سلامة بن وَقْش —
وهو أبو نائلة أحدُ بنى عبد الأشهل ، وكان أخا كعب من الرّضاعة — وعَبَّادُ
ابن بشر بن وقْش ، أحد بنى عبد الأشْهَل ، والحارث بن أوس بن مُعاذ ،
أحد بنى عبد الأشهل ، وأبو عَبْس بن جَبْر ، أخو بنى حارثة . ثم قَدَّموا
إلى ابن الأشرف قبل أن يأتوه سِلْكان بن سلامة أبا نائلة ، فجاءه فتحدَّث
معه ساعة ، وتناشدا شعرًا — وكان أبو نائلة يقول الشعر — ثم قال : ويحك
يا بن الأشرف ! إنى قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك ، فاكتُم علىّ ، قال :
أفعل ، قال : كان قدوم هذا الرّجل بلاءً [علينا](١) عادَتْنا(٢) العرب ورَمَوْنا
عن قوسٍ واحدة ، وقُطِعَتْ عنا السُّبُلُ حتى ضاع العِيَال ، وجُهِدَتِ
الأنفس ، وأصبحنا قد جُهدنا وجُهد عيالُنا ! فقال كعب : أنا ابن الأشرف ،
أما والله لقد كنتُ أخبرتك يا بنَ سلامة أنّ الأمْرَ سيصير إلى ما كنت أقول ،
فقال سِلْكان : إنى قد أردت أن تبيعنا طعامًا ونَرْهَنك ونُوثّق لك ، وتُحْسن
فى ذلك . قال : ترهنونى أبناءكم ! فقال : لقد أردت أن تَفضَحَنا ! إن معى
أصحابًا لى على مثل رأيى ، وقد أردت أن آتيَك بهم فتبيعهم ، وتحسن فى ١٣٧١/١
ذلك ، ونرهنك من الحَلْقَة(٣) ما فيه لك وفاء — وأراد سِلْكان ألاّ ينكر
السلاح إذا جاءوا بها — فقال : إنّ فى الحلقة لوفاء ، قال : فرجع سِلْكان إلى

(١) من ابن هشام .
(٢) م : « عادينا » .
(٣) الحلقة هنا : السلاح كله .

أصحابه ، فأخبرهم خبرَه ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح فينطلقوا فيجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلّم[١] .

حدّثنا ابنُ حميد قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمّد بن إسحاق قال : فحدّثني ثَوْر بن زيد الدّيلىّ ، عن عِكْرمة مولى ابن عبّاس ، عن ابنِ عباس ، قال : مشى معهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بقيع الغَرْقَد ، ثم وجّههم وقال : انطلقوا على اسم الله ، اللّهمّ أعِنْهم . ثم رجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بيته فى ليلة مُقْمِرة ، فأقبلوا حتى انتهوْا إلى حصنه ، فهَتَفَ به أبو نائلة — وكان حديثَ عهد بعُرْس — فوثب فى مِلْحَفته[٢] ؛ فأخذت امرأته بناحيتها ، وقالت : إنك امرؤ مُحاربٌ ؛ وإنّ صاحبَ الحرب لا ينزِل فى مثل هذه الساعة . قال : إنه أبو نائلة ؛ لو وجدنى نائمًا لما أيقظنى ، قالت : والله إنى لأعرِف فى صوته الشرّ . قال : يقول لها كعب : لو دُعِىَ الفتى لطعنة[٣] أجاب ، فنزل فتحدّث معهم ساعة ، وتحدّثوا معه ، ثم قالوا له : هل لك يا بن الأشرف ، أن نتماشى إلى شِعْب العجوز[٤] فنتحدّث به بقية ليلتنا هذه ! قال : إنّ شئتم ! فخرجوا يتماشوْن ، فمشوْا ساعة . ثم إنّ أبا نائلة شام يدَه فى فَوْدِ رأسه ، ثم شمّ يدَه ، فقال : ما رأيتُ كاللّيلة طيبَ عطرٍ قطّ . ثم مَشى ساعة ثم عاد لمثلها ، حتى اطمأنّ ثمّ مشى ساعة ، فعاد لمثلها ، فأخذ بفودَىْ رأسه ، ثم قال : اضربوا عدوّ الله ؛ فاختلَفتْ عليه أسيافهم ، فلم تُغْنِ شيئًا . قال محمّد بن مسلمة : فذكرت مِغْوَلاً[٥] فى سيفِى حين رأيتُ أسيافنا لا تغنى شيئًا ، فأخذته ، وقد صاح عدوُّ الله صيحة لم يبق حولَنا حِصنٌ إلاّ أوقدت عليه نار . قال : فوضعته فى ثُنْدؤته ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانَتَه ، ووقع عدوُّ الله ، وقد أصيب الحارث بن أوْس بن معاذ بجُرْح فى رأسه أو رجله ، أصابه بعض أسيافنا .

١٣٧٢/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٤ .

(٢) الملحفة : اللباس الذى فوق سائر اللباس .

(٣) و : « إلى طعنة » ، ابن هشام : « لو يدعى إلى طعنة » .

(٤) شعب العجوز : موضع بظاهر المدينة ؛ ذكره ياقوت ، وقال : « قتل عنده كعب ابن الأشرف » .

(٥) المغول : السكين التى تكون فى السوط .

قال : فخرجنا حتى سلكنا على بنى أميّة بن زيد ، ثم على بنى قريظة ، ثم على بُعاث حتى أسندنا[١] فى حرّة العُرَيْض ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونزَفه الدّمُ ، فوقفنا له ساعة ، ثم أتانا يتبع آثارنا . قال : فاحتملناه فجئنا به رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم آخر الليل وهو قائم يصلّى ، فسلّمنا عليه ، فخرج إلينا ، فأخبرناه بقتل عدوّ الله ، وتفل على جُرْح صاحبنا ، ورجعنا إلى أهلنا ، فأصبحنا وقد خافت يهود بوقعتنا بعدوّ الله ، فليس بها يهودىّ إلاّ وهو يخاف على نفسه . قال : فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : مَنْ ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه ، فوثب مُحيِّصَةُ بن مسعود على ابن سُنَيْنة — رجل من تجار يهود كان يلابسهم ويبايعهم فقتله — وكان ١٣٧٣/١
حُوَيِّصة بن مسعود إذ ذاك لم يُسْلِمْ ، وكان أسَنّ من محيِّصة — فلما قتله جعل حويِّصة يضربه ويقول : أى عدوّ الله ! قتلته[٢] ! أما والله لرُبّ شَحْم فى بطنك من ماله ! قال محيِّصة : فقلت له : والله لو أمرنى بقتلك مَنْ أمرنى بقتله لضربت عنقك . قال : فوالله إنْ كان لأوّل إسلام حويِّصة ، وقال : لو أمرك محمد بقتلى لقتلتنى ! قال : نعم والله ، لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك . قال : والله إن دينًا بلغ بك هذا لَعَجب ! فأسلم حُوَيِّصة[٣] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق . قال : حدثنى هذا الحديث مولى لبنى حارثة ، عن ابنة محيِّصة ، عن أبيها .

قال أبو جعفر : وزعم الواقدىّ أنهم جاءوا برأس ابن الأشرف إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم .

* * *

وزعم الواقدىّ أن فى ربيع الأول من هذه السّنة تزوّج عثمان بن عفان أمّ كلثوم بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأدْخِلَتْ عليه فى جمادى

(١) أسند فى الحرّة : صعدها .
(٢) ابن هشام : « أقتلته ! » .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٤ .

الآخرة ، وأنّ فى ربيع الأول من هذه السنة غزا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم غزوة أنْمار — ويقال لها : ذو أمَر — وقد ذكرنا قول ابن إسحاق فى ذلك قبل.

قال الواقدىّ : وفيها وُلِدَ السائب بن يزيد ابن أخت النَّمِر .

* * *

غزوة القَرْدة

١٣٧٤/١ قال الواقدىّ : وفى جُمَادى الآخرة مِنْ هذه السنة ، كانت غزوة القَرْدة وكان أميرهم — فيما ذكر — زيد بن حارثة ، قال : وهى أول سريّة خرج فيها زيد بن حارثة أميرًا .

قال أبو جعفر : وكان من أمرها ما حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : سريّة زيد بن حارثة الّتى بعثه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فيها حين أصاب عيرَ قريش ، فيها[١] أبو سفيان بن حرب ، على القَرْدة ، ماء من مياه نجد . قال : وكان من حديثها أن قريشاً قد كانت خافت[٢] طريقها التى كانت تسلك إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريق العِراق ، فخرج منهم تجّار فيهم أبو سفيان بن حرْب ، ومعه فضّة كثيرة ؛ وهى عُظْم تجارتهم ، واستأجروا رجلاً من بكر بن وائل يقال له فُرَات بن حَيّان ، يدلّهم على ذلك[٣] الطريق ، وبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم زيدَ بن حارثة ، فلقيَهم على ذلك الماء ، فأصاب تلك العيرَ وما فيها ، وأعجزه الرّجَال ، فقدم بها على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم[٤]

* * *

قال أبو جعفر : وأما الواقدىّ ، فزعم أنّ سبب هذه الغزوة كان أنّ قريشاً قالت : قد عوَّر علينا محمد مَتْجَرَنَا وهو على طريقنا . وقال أبو سفيان

(١) ابن هشام : « وفيها » .
(٢) ابن هشام : « خافوا طريقهم » .
(٣) ابن هشام : « فى ذلك على الطريق » .
(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢١ .

وصفوان بن أمية : إن أقمنا بمكّة أكلنا رءوس أموالنا . قال أبو زَمْعة[1] بن الأسود : فأنا أدلّكم على رجل يسلك بكم النَّجديّة ، لو سلكها مغمَّض العينين لاهتدى . قال صفوان : مَنْ هو ؟ فحاجتنا إلى الماء قليل ؛ إنّما نحن شاتون . قال : فرات بن حيّان ؛ فدعَواه فاستأجراه ؛ فخرج بهم فى الشتاء ، فسلك بهم على ذات عِرْق ، ثم خرج بهم على غَمْرة ، وانتهى إلى النبىّ ١٣٧٥/١ صلَّى الله عليه وسلَّم خبر العيرِ وفيها مال كثير ، وآنية من فضّه حملها صَفْوان بن أميّة ؛ فخرج زيد بن حارثة ، فاعترضها ، فظفر بالعير ، وأفلت أعيانُ القوم ؛ فكان الخمُس عشرين ألفا ، فأخذه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وقسّم الأربعة الأخماس على السريّة ، وأتِىَ بفرات بن حيّان العِجْلىّ أسيرًا ، فقيل : إنْ أسلمت لم يقتلْك رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فلمّا دعا به رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أسلم ، فأرسله .

* * *

مقتل أبى رافع اليهودىّ

قال أبو جعفر : وفى هذه السَّنة كان مقتل أبى رافع اليهودىّ — فيما قيل — وكان سبب قتله ، أنّه كان — فيما ذُكِر عنه — يُظاهر كعبَ بن الأشرف علَى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فوجّه إليه — فيما ذُكِر — رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى النصف من جمادى الآخرة من هذه السنة عبد الله بن عَتِيك ، فحدّثنا هارون بن إسحاق الهمْدانىّ ، قال : حدثنا مصعب بن المقدام ، قال : حدّثنى إسرائيل ، قال : حدّثنا أبو إسحاق ، عن البَراء ، قال : بعث رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى أبى رافع اليهودىّ — وكان بأرض الحجاز — رجالا من الأنصار ، وأمَّر عليهم عبد الله بن عقبة — أو عبد الله بن عتيك — وكان أبو رافع يؤذِى رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ويبغى عليه ، وكان فى حصن له بأرض الحجاز ، فلما دَنَوْا منه وقد غربت ١٣٧٦/١ الشمس ، وراحَ النَّاس بسَرْحهم ، قال لهم عبد الله بن عقبة — أو عبد الله بن

(١) ط : « زمعة » ، وزمعة مات يوم بدر .

عَتِيك : اجلسوا مكانكم ، فإنى أنطلق وأتلطَّف للبوّاب ، لعلّى أدخل ! قال : فأقبل حتَّى إذا دنا من الباب ، تقنّع بثوبه ؛ كأنه يقضى حاجة ، وقد دخل النَّاس ، فهتف به البوّاب . يا عبد الله ، إن كنت تريد أن تدخل فادخل ، فإنى أريدُ أنْ أغلق الباب . قال : فدخلت فكمَنْتُ[1] تحت آرِىّ[2] حمار ؛ فلمّا دخل النَّاس أغلق الباب ثم علَّقَ الأقاليد على وَدٍّ[3] . قال : فقمت إلى الأقاليد فأخذتها ، ففتحت الباب ، وكان أبو رافع يسْمرُ عنده فى علالىّ ؛ فلما ذهب عنه أهل سَمَرِه ، فصعَدتُ إليه فجعلت كلَّما فتحت بابًا أغلقته علَىّ مِنْ داخل . قلت : إن القوم نَذِروا بى لم يخلصوا إلىّ حتى أقتلَه . قال : فانتهيتُ إليه ؛ فإذا هو فى بيت مظلم وسْط عياله ؛ لا أدرى أين هو من البيت ! قلت : أبا رافع ! قال : مَنْ هذا ؟ قال : فأهوْيتُ نحو الصوت ، فأضربهُ ضربة بالسيف ، وأنا دَهِش فما أغنى شيئًا وصاح ؛ فخرجت من البيت ومكثت غير بعيد . ثم دخلت إليه ، فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟ قال : لأمّك الوَيْل ! إنّ رجلا فى البيت
١٣٧٧/١ ضربنى قبل بالسيف ، قال : فأضربه فأثخنه ولم أقتله . قال : ثم وضعتُ ضبيب[4] السَّيف فى بطنه ، حتى أخرجته من ظهره ، فعرفت أنى قد قتلته ، فجعلت أفتح الأبواب بابًا فبابًا ، حتى انتهيت إلى درجة ؛ فوضعت رجلى ، وأنا أرى أنى انتهيت إلى الأرض ، فوقعت فى ليلة مقمرة ؛ فانكسرتْ ساقى ، قال : فعصَبتها بعمامتى ، ثم إنى انطلقتُ حتى جلست عند الباب ، فقلت : والله لا أبرح الليلة حتى أعلَم : أقتلته أم لا ؟ قال : فلما صاح الدّيك ، قام الناعى عليه على السُّور ، فقال : أنْعَى أبا رافع ربَّاح أهل الحجاز ! قال : فانطلقت إلى أصحابى ، فقلت : النَّجاء ! قد قتل الله أبا رافع ، فانتهيت إلى

(١) م : « فكثت » .

(٢) الآرى : محبس الدابة .

(٣) الود : الوتد ، بلغة تميم ، وفى ابن الأثير : « وتد » .

(٤) ضبيب السيف : حده .

النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فحدّثته فقال : ابسُط رجلك، فبسطتها فمسحها فكأنما لم أشتكها قطّ .

* * *

قال أبو جعفر : وأما الواقدىّ ؛ فإنه زعم أن هذه السريّة التى وجّهها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى رافع سلاّم بن أبى الحُقيق إنّما وجهها إليه فى ذى الحجّة من سنة أربع من الهجرة ، وأنّ الذين توجّهوا إليه فقتلوه ، كانوا أبا قتادة ، وعبد الله بن عَتيك ، ومسعود بن سنان، والأسود بن خُزَاعىّ ١٣٧٨/١
وعبد الله بن أُنَيْس .

وأما ابنُ إسحاق ، فإنّه قصّ من قصّة هذه السريّة ما حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة عنه : كان سلاّم بنُ أبى الحُقَيق — وهو أبو رافع — ممّن كان حزّبَ الأحزاب على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكانت الأوس قبل أحُد قتلت كعب بن الأشرف فى عَداوته رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وتحريضه عليه ، فاستأذنت الخزرج رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فى قتل سلاّم بن أبى الحُقيق ؛ وهو بخيبر ، فأذن لهم[1] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، عن محمد مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرىّ ، عن عبد الله بن كَعْب بن مالك، قال : كان مما صنع الله به لرسوله أنّ هذين الحيّين من الأنصار : الأوس والخزرج ؛ كانا يتصاولان[2] مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم تصاوُلَ الفحْلين ؛ لا تصنع الأوس شيئًا فيه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم غَناء[3] إلاّ قالت الخزرج : والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى الإسلام ؛ فلا ينتهون حتى يُوقِعوا مثلها . قال : وإذا فعلت الخزرج شيئاً ، قالت الأوس مثل ذلك . فلمّا أصابت الأوْس

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٩

(٢) يتصاولان : يتفاخران .

(٣) غناء : كفاية وخير .

كعبَ بن الأشرف فى عداوته لرسول الله صلَّى الله عليه وسلم ، قالت الخزرج : لا يذهبون بها فضلا علينا أبدًا . قال : فتذاكروا : مَنْ رجلٌ لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى العداوة كابن الأشرف ! فذكروا ابنَ أبى الحُقيق وهو بخيبر ؛ فاستأذنوا رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى قتله ، فأذن لهم ؛
١٣٧٩/١ فخرج إليه من الخزرج ثم من بنى سلِمة خمسة[١] نفر : عبد الله بن عَتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أنَيْس ، وأبو قَتادة الحارث بن رِبعىّ ، وخُزاعىّ بن الأسود ؛ حليف لهم من أسلَم ؛ فخرجوا ، وأمَّر عليهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عبدَ الله بن عتيك ، ونهاهم أن يقتلوا وليدًا أو امرأة .

فخرجوا حتى قدموا خيبر ؛ فأتوا دار ابن أبى الحُقيق ليلاً ؛ فلم يَدَعوا بيتًا فى الدّار إلاّ أغلقوه من خلفهم على أهله ، وكان فى عُلِّيَّة[٢] له إليها عَجلَة[٣] روميَّة ، فأسندوا فيها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا ، فخرجت إليهم امرأته فقالت : مَنْ أنتم ؟ فقالوا : نفرٌ من العرب نلتمس الميرَة ، قالت : ذاك صاحبكم فادخلوا عليه ، فلمَّا دخلنا أغلقنا عليها وعلينا وعليه باب الحجرة ، وتخوّفنا أن تكون دونه مجاولة تحول بيننا وبينه . قال : فصاحت امرأته ، ونوّهت بنا ، وابتدرناه وهو على فراشه بأسيافنا ؛ والله ما يدّلنا عليه فى سواد اللَّيل إلا بياضُه ؛ كأنه قُبْطِيَّة[٤] مُلقاة . قال : ولما صاحتْ بنا امرأته ، جعل الرّجل منَّا يرفع عليها السَّيف ثم يذكر نهىَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ فيكفّ يده ؛ ولولا ذاك فرغنا منها بليلٍ ، فلمَّا ضربناه بأسيافنا ، تحامل عليه عبدُ الله بن أنَيس بسيفه فى بطنه حتى أنفَذه وهو يقول : قَطْنِى قَطْنِى !

١٣٨٠/١ قال : ثم خرجنا ، وكان عبد الله بن عتيك سيئ البصر ، فوقع من الدرجة فَوُثِئَتْ رجله وَثْئًا شديدًا واحتملناه حتى نأتى به مَنهرًا من عيونهم ، فندخل فيه . قال : وأوقدوا النِّيران ، واشتدُّوا فى كلّ وجه يطلبوننا ؛ حتى إذا

(١) ط : « ثمانية » ، والصواب ما أثبته من ابن هشام .

(٢) العلّية ، بالكسر والضم : بيت منفصل عن الأرض ببيت أو نحوه .

(٣) قال ابن الأثير : « فى عجلة من نخل ، هو أن ينقر الجذع ويجعل فيه مثل الدرج ليصعد فيه إلى الغرف ونحوها » .

(٤) القبطية : ضرب من الثياب منسوب إلى قبط مصر (بالكسر) على غير قياس .

يئسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتنفوه ؛ وهو يقضى بينهم . قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم أن عدوّ الله قد مات ! فقال رجل منّا : أنا أذهب فأنظر لكم ، فانطلق حتى دخل فى الناس ، قال : فوجدُته ورجال يهود عنده ، وامرأته فى يدها المصباح تنظر فى وجهه . ثم قالت تحدّثهم وتقول : أما والله لقد عرفتُ صوتَ ابن عتيك ؛ ثم أكذبت ، فقلت : أنّى ابن عتيك بهذه البلاد ! ثم أقبلت عليه لتنظرَ فى وجهه ثم قالت : فاظ[1] وإله يهود ! قال : يقول صاحبُنا ؛ فما سمعتُ من كلمة كانت ألذّ إلى نفسى منها ، ثم جاءنا فأخبرنا الخبر فاحتملنا صاحبنا ، فقدمنا على رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، وأخبرناه بقتل عدوّ الله ، واختلفنا عنده فى قتله ؛ وكلُّنا يدّعيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاتوا أسيافكم ، فجئناه بها فنظر إليها ، فقال لسيف عبد الله بن أُنيس : هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام . فقال حسان بن ثابت ؛ وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف وسلاّم ابن أبى الحُقَيق :

لله دَرُّ عِصَـــابَةٍ لَاقَيْتَهُمْ ... يابنَ الْحُقَيْقِ وَأَنْتَ يابنَ الأَشْرَف[2]

يسْرُونَ بالْبيضِ الخفاف إِلَيْكُمُ ... مرحاً كأُسْدٍ فى عرِينٍ مُغْرِف[3] ١٣٨١/١

حتى أتوكُمْ فى محـــلِّ بِلادكُمْ ... فسقَوْكُمُ حتْفاً ببيضٍ ذُفَّف[4]

مُسْتَبْصرِينَ لنَصْر دين نبِيِّهِمْ ... مُسْتضْعفِينَ لكلِّ أمرٍ مُجْحِف[5]

حدّثنى موسى بن عبد الرحمن المسْرُوقىّ وعبّاس بن عبد العظيم العَنْبَرىّ ، قالا : حدّثنا جعفر بن عون ، قال : حدّثنا إبراهيم بن إسماعيل ، قال : حدّثنى إبراهيم بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، أنّ أباه حدّثه عن أمّه ابنة عبدالله بن أنَيس ، أنّها حدّثته عن عبد الله بن أنَيس ، أنّ

(١) فاظ : هلك .
(٢) ديوانه ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، والعصابة : الجماعة من الناس .
(٣) يسرون ، من السرى ؛ وهو السير ليلا . والبيض الخفاف : السيوف . ومرحا : نشاطاً . مغرف : أى فى غريف ؛ وهو الأجمة من البردى والحلفاء والقصب .
(٤) ذفف ، أى سريعة القتل .
(٥) رواية الديوان : « مستصغرين لكل أمر » . والخبر والشعر سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٩–٢١١ .

الرهط الّذين بعثهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى ابن أبى الحُقَيْق ليقتلوه : عبد الله بن عَتيك ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قَتادة ، وحليف لهم ، ورجل من الأنصار ؛ وأنهم قَدِمُوا خَيْبَر ليلا . قال : فعَمَدْنا إلى أبوابهم نغلقها من خارج ، ونأخذ المفاتيح ، حتى أغلقناعليهم أبوابهم ، ثم أخذنا المفاتيح فألقيناها فى فقير[1] ، ثم جئنا إلى المَشْرَبة[2] ١٣٨٢/١
الّتى فيها ابنُ أبى الحقيق ، فظهرت عليها[3] أنا وعبد الله بن عتيك وقعد أصحابنا فى الحائط ، فاستأذن عبد الله بن عتيك ؛ فقالت امرأة ابن أبى الحُقيق : إنّ هذا لصوت عبد الله بن عَتيك . قال ابنُ أبى الحقيق : ثكلتْك أمّك ! عبدُ الله بن عتيك بيثرب ؛ أين هو عندك هذه الساعة ! افتحى لى ؛ إنّ الكريم لا يردّ عن بابه هذه الساعة. فقامت ففتحت ؛ فدخلتُ أنا وعبد الله على ابن أبى الحُقَيق ، فقال عبد الله بن عَتيك : دونك ، قال : فشهرت عليها السيف ، فأذهب لأضربها بالسيف فأذكر نَهْىَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم عن قتل النساء والوِلْدان ، فأكفّ عنها ، فدخل عبد الله بن عتيك على ابن أبى الحُقيق . قال : فأنظر إليه فى مَشْرَبة مظلمة إلى شدّة بياضه ، فلمّا رآنى ورأى السيف ، أخذ الوسادة فاتّقانى بها ، فأذهب لأضربه فلا أستطيع ، فوخزتُه بالسيف وخزًا . ثم خرج إلىّ عبد الله ابن أنَيس ، فقال : أقتله؟ قال : نعم ، فدخل عبد الله بن أنيس فذفّف عليه . قال : ثم خرجت إلى عبد الله بن عَتيك ؛ فانطلقنا ، وصاحت المرأة : وا بَيَاتاه وابَيَاتاه ! قال : فسقط عبدُ الله بن عَتيك فى الدّرجة ، فقال : وارجلاه وارجلاه ! فاحتمله عبدالله بن أنَيس ؛ حتى وضعه إلى الأرض . قال : قلت: انطلق، ليس برجلك بأس . قال : فانطلقنا ، قال عبد الله بن أنيس : جئنا أصحابنا فانطلقنا ، ثم ذكرت قوسِى أنى تركتها فى الدّجة[4] ؛ فرجعت إلى قوسى ؛ فإذا أهلُ خَيْبر يموجُ بعضهم فى بعض ؛ ليس لهم

(١) قال ابن الأثير : الفقير هنا : البئر .

(٢) المشربة : الغرفة ؛ لأنهم كانوا يشربون فيها .

(٣) و : « عليه » .

(٤) الدرجة : المرقاة .

كلام إلاّ مَنْ قَتَلَ ابن أبى الحقيق ؟ مَنْ قتل ابن أبى الحُقيق ؟ قال : فجعلت لا أنظر فى وجه إنسان ، ولا ينظر فى وجهى إنسان إلاّ قلت : مَنْ قتل ابن أبى الحُقَيق ؟ قال : ثم صعدت الدّرجة ؛ والناس يظهرون ١٣٨٣/١
فيها ؛ وينزلون ؛ فأخذت قوسى من مكانها ، ثم ذهبتُ فأدركتُ أصحابى ، فكُنّا نكمنُ النهار ونسير الليل ؛ فإذا كمنّا بالنهار أقعدنا منّا ناطوراً[1] ينظر لنا ؛ فإنْ رأى شيئاً أشار إلينا ؛ فانطلقنا حتى إذا كنّا بالبيضاء كنت — قال موسى : أنا ناطرهم ، وقال عباس : كنتُ أنا ناطورهم — فأشرت إليهم فذهبوا جمْزاً[2] وخرجت فى آثارهم ؛ حتى إذا اقتربنا من المدينة أدركتهم ، قالوا : ما شأنك ؟ هل رأيت شيئاً ؟ قلت : لا ، إلاّ أنى قد عرفت أنْ قد بلغكم الإعياء والوَصَبُ ، فأحببت أن يحملكم الفَزَع .

* * *

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة تزوّج النبى صلى الله عليه وسلم حَفْصَة بنت عمر فى شعبان ؛ وكانت قبله تحت خُنَيْس بن حذافة السَّهْمىّ فى الجاهليّة ، فتوفّىَ عنها .

وفيها كانت غزوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أحُدًا ؛ وكانت فى شوّال يوم السبت لسبع ليالٍ خلوْن منه — فيما قيل — من سنة ثلاث من الهجرة .

* * *

غزوة أُحد

قال أبو جعفر : وكان الّذى هاج غزوة أحُد بين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومشركى قريش وقْعة بدر وقتل مَنْ قُتل ببدْر من أشراف قريش ورؤسائهم ؛ فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدّثنى محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب ١٣٨٤/١

(١) الناطور فى الأصل : حارس الكرم والنحل .

(٢) الجمز : السير السريع .

الزُّهريّ ، ومحمد بن يحيى بن حَبَّان ، وعاصم بن عمر بن قَتادة ، والحُصَيْن ابن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ وغيرُهم من علمائنا ؛ كلّهم قد حدّث ببعض هذا الحديث عن يوم أحُد ، وقد اجتمع حديثهم كلّهم فيما سُقْتُ من الحديث عن يوم أحُد ، قالوا[1] :

لما أصيبتْ قريش — أو من قاله منهم — يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القَلِيب ، فرجع فَلُّهم[2] إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بعِيره ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة ، وعِكْرِمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أميّة ، في رجال من قريش ممّن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر ؛ فكلّموا أبا سفيان بن حرب ومَنْ كانت له في تلك العِير من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشرَ قريش ، إنّ محمّدًا قد وَتَرَكم ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حَرْبه ؛ لعلّنا أن ندرك منه ثأرًا بمن أصيب منّا ، ففعلوا ، فاجتمعت
١/١٣٨٥ قريش لحرب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العِير بأحابيشها[3] ومن أطاعها من قبائل كِنانة وأهل تِهامة ؛ وكلّ أولئك قد استَعووْا[4] على حرب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

وكان أبو عَزَّة عمرو بن عبد الله الجُمحيّ قد منّ عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم بدر . وكان فقيرًا ذا بنات[5] ، وكان في الأسارى ، فقال : يا رسولَ الله ، إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتَها ، فامنن عليّ صلّى الله عليك ! فمنّ عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال صَفوان

(١) أخبار غزوة أحد عن ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٥ — ١٤٣ ، والأغاني ١٥ : ١٧٩ — ٢٠٧ (طبعة دار الكتب) .

(٢) الفل : القوم المنهزمون .

(٣) الأحابيش : الجماعة أيا كانوا ؛ أو هم أحابيش قريش ، أو هم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة ؛ اجتمعوا عند جبل يسمى « حبشيا » ، بأسفل مكة ، فحالفوا قريشاً .

(٤) يقال : هو يستعوى القوم ؛ أي يستغيث بهم ؛ وفي الأغاني : « استغووا » بالغين المعجمة ؛ وهما سواء .

(٥) ابن هشام : « عيال » .

ابن أميّة : يا أبا عزّة ، إنك امرؤٌ شاعرٌ ، فأعنّا بلسانك ، فاخرج معنا . فقال : إنّ محمدًا قد منّ علىّ فلا أريد أن أظاهِرَ عليه ، فقال : بلَى فأعنّا بنفسك ، فلك الله[1] إن رجعتَ أن أغنيَك ، وإن أصبْتَ أن أجعل بناتِك مع بناتى يصيبهنّ ما أصابهنّ من عسر ويسر . فخرج أبو عزّة يسير فى تِهامة ، ويدعو بنى كنانة . وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حُذافة بن جُمح ؛ إلى بنى مالك بن كنانة يحرّضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ودعا جبير بن مُطْعِم غُلامًا له يقال له وحشىّ ، كان حبشيًّا يقذف بحربة له قَذْف الحَبَشة ، قلّما يُخْطِئْ بها ، فقال له : اخرج مع النّاس ، فإن أنت قتلت عمّ محمد بعمى طُعَيْمة بن عدىّ فأنت عَتيقٌ .

فخرجت قريش بحدّها وجَدّها وأحابيشها ، ومَن معها[2] من بنى كِنانة وأهل تِهامة ، وخرجوا معهم بالظُّعُن[3] التماس الحفيظة ؛ ولئلاّ يفرّوا . فخرج أبو سفيان بن حرب — وهو قائد النّاس ، معه هند بنت عُتبة ١٣٨٦/١
ابن ربيعة — وخرج عِكْرِمة بن أبى جهل بن هشام بن المغيرة بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أميّة بن خلف بِبَرْزَةَ — قال أبو جعفر: وقيل ببرّة — بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثّقفيّة ؛ وهى أمّ عبد الله ابن صفوان — وخرج عمرو بن العاص بن وائل بريْطة بنت منبّه بن الحجّاج ، وهى أمّ عبد الله بن عمرو بن العاص ، وخرج طلحة بن أبى طلحة ، وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدّار بسُلافة بنت سعد بن شهيد — وهى أمّ بنى طلحة مُسافع والجُلاس وكلاب ؛ قتلوا يومئذ وأبوهم — وخرجت خناس بنت مالك بن المضَرّب إحدى نساء بنى مالك ابن حِسْل ، مع ابنها أبى عزيز بن عمير ؛ وهى أمّ مُصْعَب بن عمير ،

(١) ابن هشام : « لك الله » .
(٢) م : « تبعها » .
(٣) الظعن : جمع ظعينة ؛ وهى المرأة ما دامت فى الهودج .

وخرجت عَمْرة بنت علقمة إحدى نساء بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة ؛
١٣٨٧/١ وكانت هند بنت عُتْبة بن ربيعة كُلَّمَا مَرَّتْ بوحشىّ أو مَرَّ بها قالت : إيه [١] أبا دَسْمَة ! اشْفِ واشْتَفِ — وكان وحشىّ يكنى أبا دَسْمة . فأقبلوا حتى نزلوا بعَيْنين بجبل ببطن السَّبْخَة ؛ من قناة على شفير الوادى ممَّا يلِى المدينة .

فلمَّا سمع بهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم للمسلمين : إنى قد رأيت بقرًا فأوّلتها خيرًا ، ورأيت فى ذُباب سيفى ثَلْمًا ، ورأيت أنَّى أدخلت يدى فى درع حَصِينَة فأوّلتها المدينة ؛ فإنْ رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ؛ فإن أقاموا أقاموا بشرّ مقام ؛ وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها . ونزلت قريش منزلَها من أحد يوم الأربعاء . فأقاموا به ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم الجمعة . وراح رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم حين صلَّى الجمعة ، فأصبح بالشِّعب من أحُد . فالتقوْا يومَ السبت للنّصف من شوّال ؛ وكان رأى عبد الله بن أبىّ ابن سَلول مع رأى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، يرى رأى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى ذلك : ألاّ يخرج إليهم ؛ وكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يكره الخروجَ من المدينة ، فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحُد وغيرهم ممَّن كان فاته بدر وحضوره : يا رسول الله ، اخرج
١٣٨٨/١ بنا إلى أعدائنا [٢] ، لا يرَوْن أنَّا جَبُنَّا عنهم وضَعُفْنا ، فقال عبدُ الله بن أبىّ بن سَلُول : يا رسولَ الله ، أقمْ بالمدينة ولا تخرجْ إليهمْ ؛ فوالله ما خرجنا منها إلى عَدوٍّ لنا قطّ إلاّ أصاب منَّا ، ولا دخلها [٣] علينا إلا أصبنا منه ، فَدَعْهم يا رسولَ الله ؛ فإن أقاموا أقاموا بشرّ مجلس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ، ورماهم النِّساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ،

(١) ابن هشام : « ويها » .

(٢) م : « أعداء الله » .

(٣) الأغانى : « يدخلها » .

وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا. فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلّم الذين كان من أمرهم حُبٌّ لقاء القوم ؛ حتى دخل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلبِس لأمته ؛ وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات فى ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو ، أحد بنى النّجار ، فصلّى عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ ثم خرج عليهم وقد ندم الناس ، وقالوا : استكرَهْنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لنا .

* * *

قال أبو جعفر : وأما السدّىّ ؛ فإنّه قال فى ذلك غير هذا القول ؛ ولكنه قال ما حدّثنى محمّد بن الحسين ، قال : حدّثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدّثنا أسباط ، عن السدّىّ ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم لما سمع بنزول المشركين من قُريش وأتباعها أحداً ، قال لأصحابه : أشيروا علىّ ما أصنع ! فقالوا : يا رسولَ الله ، اخرج بنا إلى هذه الأكلب ، فقالت الأنصار : يا رسول الله ، ما غلبنا عَدوٌّ لنا قطّ أتانا فى ديارنا (١) ، فكيف وأنت فينا! فدعا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عبدَ الله بن أبىّ بن سَلُول — ولم يدعه قطّ قبلها — فاستشاره فقال : يا رسولَ الله ، اخرج بنا إلى هذه ١٣٨٩/١
الأكلُب ؛ وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة ، فيقاتلوا فى الأزقّة ، فأتاه النّعمان بن مالك الأنصارىّ ، فقال : يا رسولَ الله لا تحرمْنى الجنة ؛ فوالّذى بعثك بالحقّ لأدخلنّ الجنّة ، فقال له : بِمَ ؟ قال : بأنّى أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنّك رسول الله ، وأنّى لا أفرُّ من الزّحف . قال : صدقتَ ، فقتل يومئذ . ثم إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم دعا بدرعه فلبِسها ، فلمّا رأوْه قد لبس السّلاح ندموا وقالوا : بئس ما صنعنا ! نشيرُ على رسول الله والوحى يأتيه ! فقاموا فاعتذروا إليه ، وقالوا : اصنع ما رأيت ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لا ينبغى لنبىّ أن يلبس لأمته فيضَعَها حتى يقاتل . فخرج

(١) م : « دارنا » .

رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى أحُد فى ألف رجل ؛ وقد وعدهم الفتح إن صبروا . فلمَّا خرج رجع عبد الله بن أبى بن سلول فى ثلاثمائة ، فتبعهم أبو جابر السُّلمىّ يدعوهم ، فلمّا غلبوه وقالوا له : ما نعلم قتالا ؛ ولئن أطعتَنا لترجعنّ معنا ؛ قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾[1] فهمّ بنو سَلِمة وبنو حارثة ، هَمُّوا بالرجوع حين رجع عبد الله بن أبىّ ، فعصمهم الله عزّ وجلّ ، وبقىَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم فى سبعمائة .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : قال : قالوا : لما[2] خرج عليهم
١٣٩٠/١ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قالوا : يا رسولَ الله ؛ استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإنْ شئت فاقعُد صلى الله عليك ! فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ما ينبغى لنبىّ إذا لبس لأمَتَه أن يضَعها حتى يقاتل ؛ فخرج رسولُ الله فى ألف رجل من أصحابه ؛ حتى إذا كانوا بالشَّوط بين أحُد والمدينة انخزل عنه عبد الله بن أبىّ بن سلول بثلث الناس ، فقال : أطاعهم فخرج وعصانى ؛ والله ما ندرى علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس ! فرجع بمن اتَّبعه من الناس من قومه من أهل النِّفاق وأهل الرَّيْب ، واتَّبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام ، أخو بنى سلمة ، يقول : يا قوم أذكّرُكم الله أن تخذلوا نبيَّكم وقومَكم عند ما حضر من عدوّهم! قالوا : لو نعلم أنَّكم تقاتلون ما أسلمناكم ؛ ولكنَّا لا نرى أن يكون قتال ، فلما استعصوْا عليه ، وأبَوْا إلاّ الانصراف عنه ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ! فسيغنى الله عنكم !

* * *

قال أبو جعفر : قال محمد بن عمر الواقدىّ : انخزل عبد الله بن أبىّ عن رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من الشَّيْخين بثلثمائة ، وبقىَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى سبعمائة ، وكان المشركون ثلاثة آلاف ، والخيل

(١) سورة آل عمران ١٢٢ .

(٢) م : « فلما » .

مائتى فرس ، والظُّعنُ خمس عشرة امرأة .

قال : وكان فى المشركين سبعمائة دارع ؛ كان فى المسلمين مائة دارع ؛ ولم يكن معهم من الخيل إلاّ فَرَسان : فرسٌ لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وفرس لأبى بردة بنِ نيار الحارثى . فأدلج[1] رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من ١/١٣٩١ الشيخيْن حين طلعت الحمراء — وهما أُطمان ، كان يهودى ويهودية أعميان يقومان عليهما ؛ فيتحدّثان فلذلك ، سُميَّا الشيخين ؛ وهو فى طرف المدينة — قال : وعرض رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم المقاتِلة بالشَّيْخين بعد المغرب ؛ فأجاز مَنْ أجاز ، وردّ مَنْ رَدّ ، قال : وكان فيمن ردّ زيد بن ثابت وابن عمر ، وأسَيد بن ظُهَير ، والبَرَاء بن عازب ، وعَرَابة بن أوس . قال : وهو الذى قال فيه الشَّماخ :

رأيتُ عَرَابةَ الأوسىَّ يَنْمِى إلى الْخَيْراتِ مُنْقطعَ القَرين[2]
إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمَجْـــدٍ تلقَّاها عَرَابةُ باليمِـــين

قال : وردّ أبا سعيد الخُدْرِىّ ، وأجاز سَمُرة بن جندَب ورافع بن خَدِيج ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم ، قد استصغر رافعًا ، فقام على خُفَّيْن له فيهما رقاع ، وتطاول على أطراف أصابعه ؛ فلمّا رآه رسولِ الله صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم أجازه .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : كانت أم سَمُرة بن جندَب تحت مُرَىّ بن سِنَان بن ثعلبة ، عمّ أبى سعيد الخُدرىّ ، فكان ربيبَه ، فلمّا خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أحُد ، وعرض أصحابه ، فردّ من استصغر ردّ سَمُرة بن جندب ، وأجاز رافع بن خديج ، فقال سَمُرة بن جندب لربيبه مُرَىّ بن سنان : يا أبتِ ،

(١) أدلج : سار فى آخر الليل .
(٢) ديوانه ٩٦ ، ٩٧

١٣٩٢/١ أجاز رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم رافع بن خَدِيج ، وردّنى وأنا أصرع رافع بن خَدِيج، فقال : مُرَيّ بن سنان : يا رسول الله ، رددت ابنى ، وأجزت رافع بن خَدِيج وابنى يصرعه ! فقال النبى صلَّى الله عليه وسلَّم لرافع وسمُرة : تصارعا ، فصرع سُمرة رافعًا ، فأجازه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فشهدها مع المسلمين .

قال : وكان دليل النبيّ صلى الله عليه وسلَّم أبو حَثْمَة الحارثيّ .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق: قال: ومضى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم حتى سلك فى حرّة بنى حارثة ، فَذبّ فرس بذنبه[1] ، فأصاب كلاّب[2] سيف ، فاستلّه ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم — وكان يُحبُّ الفأل ولا يعتاف — لصاحب السيف : شِمْ سيفَك ، فإنى أرى السيوف ستُسَلُّ اليوم . ثمّ قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لأصحابه : مَنْ رجُلٌ يخرج بنا على القوم من كثَبٍ ، من طريق لا يمُرُّ بنا عليهم ؟ فقال أبو حثمة[3] أخو بنى حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله ، فقدّمه فنفذ به فى حرّة بنى حارثة وبين أموالهم حتى سلَك به فى مال المِرْبع بن قيظىّ — وكان رجلا منافقًا ضرير البصر — فلمّا سمع حسّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ومن معه من المسلمين ، قام يَحْثِى فى وجوههم التراب ، ويقول : إن كنتَ رسول الله ؛ فإنى لا أحلُّ لك أن تدخل حائطى ؛ قال : وقد ذكر لى أنه
١٣٩٣/١ أخذ حَفْنة من تراب فى يده ، ثم قال: لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك. فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لا تفعلوا ؛ فهذا الأعمى البصر ، الأعمى القلب . وقد بَدَر إليه سعد بن زيد أخو بنى عبد الأشهل حين نهىَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عنه ،

(١) ذب بذنبه ، أى حركه ليذب به الطير .

(٢) الكلاب : مسمار يكون فى قائم السيف ؛ وفيه الذؤابة لتعلقه بها .

(٣) ابن هشام والأغانى : « خيثمة » .

فضربه بالقوس فى رأسه فشجّه ، ومضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على وجهه ؛ حتى نزل الشِّعب من أُحُد فى عُدْوة الوادى إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحُد ، وقال : لا يقاتلنّ أحدٌ حتى نأمره بالقتال ؛ وقد سرّحت قريش الظّهْر[١] والكُراع فى زروع كانت بالصَّمْغة[٢] من قناة للمسلمين . فقال رجل من المسلمين حينَ نهى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عن القتال : أتُرْعَى زروع بنى قيلة[٣] ولمّا نُضارب ! وتعبّأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للقتال وهو فى سبعمائة رجل ، وتعبّأت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ؛ ومعهم مائتا فرس قد جنّبُوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عِكْرمة بن أبى جهل ، وأمّرَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على الرُّماة عبد الله بن جُبَيْر ، أخا بنى عمرو بن عوف وهو يومئذ معلِمٌ بثياب بيض ، والرماة خمسون رجلا ، وقال : انضح[٤] عنا الخيل بالنّبل لا يأتونا من خلْفنا إن كانت لنا أو علينا ؛ فاثبت مكانك لا نؤْتيَنّ من قِبَلك ، وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين دِرْعين[٥] .

* * *

١٣٩٤/١ فحدثنا هارون بن إسحاق ، قال : حدّثنا مُصعب بن المقدام ، قال : حدّثنا إسرائيل . وحدّثنا ابنُ وكيع ، قال : حدّثنا أبى ، عن إسرائيل ، قال : حدّثنا أبو إسحاق ، عن البَراء ، قال : لمّا كان يومُ أحُد ، ولقِىَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المشركين أجْلسَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم رجالاً بإزاء الرّماة ، وأمّر عليهم عبد الله بن جُبير ، وقال لهم : لاتبرحوا مكانَكم إن رأيتمونا ظهرْنا عليهم ، وإنْ رأيتموهم ظَهَرُوا علينا فلا تعينونا . فلمّا لقِىَ القوم هزَم المشركين حتى رأيت النساء قد رَفَعن عن سوقهنّ ، وبدت

(١) الظهر : الإبل . والكراع : الخيل .
(٢) الصمغة : موضع قرب أحد .
(٣) بنو قيلة : الأوس والخزرج .
(٤) انضح الخيل ؛ أى ادفعهم .
(٥) ظاهر بين درعين ؛ أى لبس درعا فوق درع .

خلاخيلهنّ ، فجعلوا يقولون : الغنيمة الغنيمة ! فقال عبد الله : مهلا ، أما علمتم ما عهد إليكم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ! فأبَوْا ، فانطلقوا ، فلمّا أتوْهم صَرَف الله وجوههم ؛ فأصيب من المسلمين سبعون .

حدثنى محمّد بن سعد ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى عمّى ، قال : حدّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عبّاس ، قال : أقبل أبو سفيان فى ثلاث ليال خلوْن من شوّال ، حتّى نزل أحُدًا ، وخرج النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فأذّن فى الناس فاجتمعوا ، وأمّر الزّبير على الخيل ؛ ومعه يومئذ المِقداد بن الأسود الكِندىّ ، وأعطى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم اللّواء[1] رجلاً من قريش يقال له مُصعب بن عمير ، وخرج حمزة بن عبد المطّلب بالحسَر[2] ، وبُعِث حمزةُ بين يديه ، وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين ؛ ومعه عِكْرِمة بن أبى جهل ، فبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الزّبير ، وقال : استقبلْ خالدَ[3] بن الوليد ؛ فكنْ بإزائه حتّى ١٣٩٥/١
أوذنك ، وأمر بخيل أخرى ، فكانوا من جانب آخر ، فقال : لا تبرحُنّ[4] حتّى أوذنكم . وأقبل أبو سفيان يحمِل اللّات والعُزّى ، فأرْسلَ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم إلى الزُّبير أن يحمِل ، فحمل على خالد بن الوليد ؛ فهزمه الله ومَنْ معه ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ ﴾ — إلى قوله — ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴾[5] ؛ وإنّ الله عزّ وجلّ وَعَدَ المؤمنين أن ينصرهم[6] ؛ وأنّه معهم . وأنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعث ناسًا من الناس ؛ فكانوا من ورائهم ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : كونوا ها هنا ، فرُدُّوا وجهَ مَن فرّ منّا ، وكونوا حرّاسًا لنا من قِبَل ظهورنا . وأنّ رسولَ

(١) الأغانى : « الراية » .
(٢) الأغانى : « بالجيش » .
(٣) و : « خالدا » .
(٤) و : « لا تبرحوا » .
(٥) سورة آل عمران ١٥٢ .
(٦) الأغانى : « النصر » .

الله صلّى الله عليه وسلّم لمّا هزم القوم هو وأصحابه ، قال الذين كانوا جُعِلوا من ورائهم بعضهم لبعض ، ورأوا النساء مُصْعدات فى الجبل ، ورأوُا الغنائم : انطلقوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم ؛ فأدركوا الغنيمة[١] قبل أن يسبقونا[٢] إليها ؛ وقالت طائفة أخرى : بل نطيع رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فنثبُت مكاننا ؛ فذلك قوله لهم : ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾ الذين أرادوا الغنيمة ، ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾ الذين قالوا : نطيع رسول الله ونثبت مكاننا ، فكان ابن مسعود يقول : ما شعرت أن أحدًا من أصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم كان يريد الدُّنيا وعرضَها ؛ حتى كان يومئذ .

حدّثنى محمد بن الحسين ، قال : حدّثنا أحمد بن المفضّل ، قال : حدّثنا أسباط ، عن السّدّىّ ، قال : لمّا برز رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ١٣٩٦/١
إلى المشركين بأحُد أمر الرُّماة ، فقاموا بأصل الجبل فى وجوه خيل المشركين ؛ وقال [لهم][٣] : لا تبرحوا مكانكم إن رأيتم [أننا][٣] قد هزمناهم ، فإنّا لا نزال غالبين ما ثبتّم مكانكم . وأمّر عليهم عبد الله بن جُبير أخا خوّات بن جُبير .

ثم إنّ طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين قام ، فقال : يا معشَر أصحابِ محمد ، إنّكم تزعمون أنّ الله يعجّلنا[٤] بسيوفكم إلى النار ، ويعجّلكم بسيوفنا إلى الجنة ؛ فهل منكم أحدٌ يعجّله الله بسيفى إلى الجنة ، أو يعجّلنى بسيفه إلى النار ! فقام إليه علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقال : والّذى نفسى بيده لا أفارقك حتى أعجّلك[٥] بسيفى إلى النار ، أو تعجّلنى بسيفك إلى الجنّة ، فضربه علىّ فقطع رجله فسقط فانكشفت عورته ، فقال : أنشدك الله والرَّحمَ يا بن عمّ ! فتركه ، فكبّر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقال لعلىّ : ما منعك أن تجهزَ عليه ؟ قال : إنّ ابنُ عمّى ناشدنى حين انكشفف

(١) الأغانى : « الغنائم » .
(٢) الأغانى : « يسبقوا » .
(٣ - ٣) من الأغانى .
(٤) الأغانى : « تعجلنا » .
(٥) الأغانى : « يعجلك الله عز وجل بسيفى إلى النار » .

عورته فاستحييتُ منه . ثم شدّ الزبير بن العوّام والمقداد بن الأسود على المشركين فهزماهم ؛ وحَمَل النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابه فهزموا أبا سفيان . فلمَّا رأى ذلك خالد بن الوليد — وهو على خيل المشركين — حمل فرمَتْه الرماة فانقمع[1] . فلَّما نظر الرّماة إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابه فى جوف عسكر المشركين ينتهبونه ، بادروا الغنيمة ، فقال بعضهم : لا نترك أمرَ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم . وانطلق عامتهم فلحقوا[2] بالعسكر ، فلما
١٣٩٧/١ رأى خالد قلَّة الرّماة صاح فى خيله ، ثم حمل فقتل الرماة ؛ وحمل على أصحاب النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم . فلمَّا رأى المشركون أنّ خيلهم تقاتل ، تنادَوْا فشدُّوا على المسلمين ، فهزموهم وقتلوهم .

فحدّثنى بشر بن آدم ، قال : حدّثنا عمرو بن عاصم الكِلابىّ ، قال : حدّثنا عبيد الله بن الوازع ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : قال الزُّبير : عَرَض رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم سيفا فى يده يوم أحُد ؛ فقال : مَنْ يأخذ هذا السيف بحقه ؟ قال : فقمت فقلت : أنا يا رسول الله ، قال : فأعرض عنّى ، ثم قال : مَنْ يأخذ هذا السيف بحقِّه ؟ فقمت فقلت : أنا يا رسول الله ، فأعرض عنّى ، ثم قال : مَنْ يأخذ هذا السَّيف بحقِّه ؟ قال : فقام أبو دُجَانة سِماك بن خَرَشةَ ، فقال : أنا آخذه بحقِّه ؛ وما حقُّه ؟ قال : حقه ألاّ تقتل به مسلما ، وألاّ تفرّ به عن كافر ؛ قال : فدفعه إليه . قال : وكان إذا أراد القتال أعْلَم بعصابة ؛ قال : فقلت : لأنظرنّ اليوم ما يصنع ، قال : فجعل لا يرتفع له شىء إلاّ هتكه وأفراه ؛ حتى انتهى إلى نسوة فى سفح جبل ، معهنّ دُفوف لهنّ ؛ فيهنّ امرأةٌ تقول :

نَحْنُ بنـــاتُ طارقْ إنْ تُقْبِـــلوا نُعانقْ
ونَبْسُـــطُ النَّمارقْ أو تدْبِرُوا نُفـــارقْ
* فِراقَ غَيْرِ وامِقْ *

(١) انقمع : اختفى .
(٢) و : « فلحق » .

قال : فرفع السّيف ليضربَها ، ثم كفّ عنها . قال : قلت : كلّ عملك قد رأيت ، أرأيت رفعك للسيف عن المرأة بعد ما أهويت به إليها ! قال : فقال : أكرمت سيف رسول الله أن أقتل به امرأة .

* * *

١٣٩٨/١ رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : مَنْ يأخذ هذا السيف بحقّه ؟ فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم (١) ؛ حتّى قام إليه أبو دُجَانة سماك بن خَرَشة أخو بنى ساعدة ، فقال : وما حقُّه يا رسول الله ؟ قال : أن تضرب به فى العدوّ حتى ينحَنِيَ ؛ فقال : أنا آخذه بحقّه يا رسول الله ؛ فأعطاه إياه — وكان أبو دُجَانة رجلا شجاعًا يختال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أعلِم بعصابة له حمراء يعصبها على رأسه علم النّاس أنه سيقاتل — فلمّا أخذ السيف من يد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أخذ عصابته تلك ، فعصب (٢) بها رأسه ؛ ثم جعل يتبختر بين الصّفّين .

فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى جعفر بن عبد الله بن أسلم ، مولى عمر بن الخطاب ، عن رجل من الأنصار من بنى سلمة ؛ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أبا دُجَانة يتبختر : إنّها لمشيةٌ يبغضُها الله عزّ وجلّ إلاّ فى هذا الموطن . وقد أرسل أبو سفيان رسولاً ، فقال : يا معشر الأوْس والخزرج ، خلّوا بيننا وبين ابن عمّنا ننصرفْ عنكم ، فإنّه لا حاجة لنا بقتالكم . فردّوه بما يكره .

١٣٩٩/١ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّ أبا عامر عبد (٣) عمرو بن صيفيّ بن مالك بن النعمان بن أمة (٤) ، أحد بنى ضُبَيْعَة ؛ وقد كان خرج إلى مكة مُباعدًا

(١) الأغانى : « بينهم » .
(٢) ابن هشام : « فاعتصب بها » .
(٣) ساقطة من الأغانى .
(٤) الأغانى : « امية » .

لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، معه خمسون غلامًا من الأوْس؛ منهم عثمان ابن حُنَيْف — وبعض النّاس يقول : كانوا خمسة عشر — فكان يعِد قريشًا أنْ لو قد لقِيَ محمّدًا لم يختلف عليه منهم رجلان ، فلمّا التقى الناس ، كان أوّل مَنْ لقيَهم أبو عامر فى الأحابيش وعُبْدَانِ أهل مكّة ، فنادى : يا معشرَ الأوس ، أنا أبو عامر ، قالوا : فلا أنعم الله بك عينًا يا فاسق — وكان أبو عامر يسمّى فى الجاهلية « الراهب» ، فسمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم « الفاسق » — فلمّا سمع ردّهم عليه ، قال : لقد أصاب قومى بعدى شرّ . ثم قاتلهم قتالا شديدًا ، ثم راضخهم بالحجارة [1] ، وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللِّواء من بنى عبد الدار يحرّضهم بذلك على القتال : يا بنِى عبدِ الدّار ، إنّكم وليتم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ؛ وإنّما يؤتى النّاس من قبَل
١٤٠٠/١ راياتهم ؛ إذا زالت زالوا ؛ فإما أن تكفونا لواءنا ؛ وإما أن تخلُّوا بيننا وبينه فسنكفيكموه . فهمُّوا به وتواعدوه ، وقالوا : نحن نسلِّم إليك لواءنا ، ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع ! وذلك الذى أراد أبو سفيان . فلمّا التقى الناس ، ودنا بعضُهم من بعض ، قامت هند بنت عُتْبة فى النِّسوة اللّواتى معها ، وأخذن الدُّفوفَ يضربْن خلْف الرّجال ويُحرّضْنهم ، فقالت هند فيما تقول :

إنْ تُقْبلوا نُعانقْ ونَفْـــرش النّمارقْ
أو تدْبرُوا نُفـــارقْ فِراقَ غيْرِ وامِقْ

وتقول :

وَيْهًا بنى عَبد ٱلدّار[2]! وَيْهًا حُماةَ الأدْبار[3] !
* ضرْبًا بكلّ بتّارْ[4] *

(١) الأغانى : « الحجارة » . والمراضخة : المراماة .

(٢) الأغانى : « إيهاً » .

(٣) حماة الأدبار : الذين يحمون أعقاب الناس .

(٤) البتار : السيف القاطع .

واقْتتل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دُجَانة حتَّى أمعن فى الناس ، وحمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب فى رجال من المسلمين ، فأنزل الله عزّ وجلّ نصرَه ، وصدَقهم وعدَه ، فحسُّوهم[1] بالسيوف حتى كشفوهم ، وكانت الهزيمة لا شكّ فيها .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : قال الزبير : والله لقد رأيتُنى أنظر إلى خَدَمِ هند بنت عتبة وصواحبها[2] ١/١٤٠١ مشمّرات هوارب ، مادون أخْذِهنّ قليل كثير ؛ إذ مالت الرُّماة إلى العسكر حين كَشَفْنَا القوم عنه يريدون النَّهب ، وخلَّوْا ظهورنا للخيل ؛ فأتينا من أدبارنا وصَرخَ صَارِخٌ : ألا إن محمدًا قد قتِلَ ! فانكفأنا[3] وانكفأ علينا القوم ؛ بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحدٌ من القوم .

حدّثنا ابن حميد قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، أنّ اللِّواء لم يزل صريعًا حتَّى أخذتْهُ عَمْرَةُ بنت علقمة الحارثيّة ، فرفعتْهُ لقريش ، فلاثوا به[4] ، وكان اللِّواء مع صَوَاب ، غُلاَم لبنى أبى طلحة ، حبشىّ ، وكان آخر من أخذه منهم ، فقاتل حتى قُطِعَتْ يداه ، ثم برك عليه ، فأخذ اللواء بصدره وعُنُقِه حتى قُتِلَ عليه ؛ وهو يقول : اللَّهمّ هل أعذرت ! فقال حَسَّان بن ثابت فى قطع يد صواب حين تقاذفوا بالشعر :

فَخَرْتم باللِّواء وشرُّ فخرٍ ... لواءٌ حينَ رُدَّ إلى صوَابِ[5]

جَعلْتُمْ فخْرَكُمْ فيها لعَبْدٍ ... من الأَدْمِ مَنْ وَطِىء عَفرَ التُّرَاب[6]

(١) حسوهم : استأصلوهم . (٢) و : « وصواحباتها » .

(٣) انكفأنا : رجعنا .

(٤) لاثوا به : اجتمعوا حوله . وفى الأغانى : « فلاذوا بها » . (٥) ديوانه ٦٢

(٦) ابن هشام والديوان : « من يطا عفر التراب » .

ظَنَنْتُمْ والسفيهُ له ظُنُونٌ وما إن ذاك منْ أمْرِ الصَّوابِ
١٤٠٢/١ بأنَّ جِلادَنا يوْمَ الْتَقَيْنا بمَكَّةَ بيْعُكُمْ حُمْرَ العِياب
أقرَّ العيْنَ أنْ عُصِبَتْ يداهُ وما إنْ تُعصبَانِ على خضَاب[1]

حدّثنا أبو كُرَيب، قال : حدّثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدّثنا حِبّان ابن علىّ ، عن محمد بن عبيد الله بن أبى رافع ، عن أبيه، عن جدّه ، قال: لما قُتِل علىّ بن أبى طالب أصحاب الألوية[2] ، أبصر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم جماعة من مشركى قريش ، فقال لعلىّ : احمل عليهم ، فحمل عليهم ؛ ففرّق جمعهم ، وقتل عمرو بن عبد الله الجُمَحىّ . قال : ثم أبصر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم جماعةً من مشركى قريش ، فقال لعلىّ : احمِل عليهم ، فحمل عليهم ففرّق جماعتهم ؛ وقتل شيبة بن مالك أحَد بنى عامر بن لُؤىّ ، فقال جبريل : يا رسولَ الله ، إنّ هذه لَلْمواساة ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إنه منّى وأنا منه ، فقال جبريل : وأنا منكما ، قال : فسمعوا صَوْتا :

لا سيْفَ إلّا ذو الفَقَا ر ولا فتًى إلّا علِي

قال أبو جعفر : فلمّا أتِىَ المسلمون من خلفهم انكشفوا وأصاب منهم المشركون ، وكان المسلمون لمّا أصابهم ما أصابهم من البلاء أثلاثا : ثلث قتيل، وثلث جريح ، وثلث منهزم ؛ وقد جهدته الحرب حتّى ما يدرى ما يصنع ،
١٤٠٣/١ وأصيبت رَبَاعِيَتُهُ[3] رسول الله صلى الله عليه وسلم السفْلى ، وشُقَّتْ شفته ،

(١) قال ابن هشام : « آخرها بيتا يروى لأبى خراش الهذلى ، وأنشدنيه له خلف الأحمر :

أقرّ العيْن أنْ عُصِبتْ يَدَاها وَمَا إنْ تُعْصبَان عَلَى خضَاب

فى أبيات له يعنى امرأته فى غير حديث أحد ، وتروى الأبيات أيضاً لمعقل بن خويلد الهذلى » .

(٢) الأغانى : « لما قتل أصحاب الألوية » .

(٣) الرباعية : السن التى بين الثنية والناب .

وكُلِم فى وجنتيه وجبهته فى أصول شعره ، وعلاه ابنُ قميئة بالسيف على شقّه الأيمن ؛ وكان الذى أصابه عُتْبة بن أبى وقاص .

حدّثنا ابن بشار ، قال : حدّثنا ابن أبى عَدِىّ ، عن حُمَيْد ، عن أنس بن مالك ، قال : لمّا كان يوم أحدٍ ، كُسِرَتْ رَبَاعِيَةُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وشُجَّ ، فجعل الدم يسيل على وجهه ، وجعل يمسح الدم عن وجهه ، ويقول : كيف يُفلح قومٌ خضّبوا وجه نبيّهم بالدم. وهو يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ ! فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ... ﴾ (١) الآية .

* * *

قال أبو جعفر : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غشيه القوم : مَنْ رجلٌ يشرِى لنا نفسه !

فحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن محمود بن عمرو بن يزيد بن السَّكَن ، قال : فقام زياد بن السَّكَن فى نفر خمسة من الأنصار ، وبعض الناس يقول : إنّما هو عُمارة بن زياد ابن السَّكَن ، فقاتلوا دونَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رجلا ، ثم رجلا ، يقتلون دونه ؛ حتّى كان آخرهم زيادٌ ــ أوعمارة بن زياد بن السَّكن (٢) ــ فقاتل حتى أثبتَتْه الجراحة ، ثم فاءَت من المسلمين فِئَةٌ (٣) حتّى أجهَضوهم (٤) عنه ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أدنوهُ منى ، فأدنوْه منه ، فوَسَّدَه قدمه ؛ فمات وخدُّه على قَدَمِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتَرَّس دون ١٤٠٤/١

(١) سورة آل عمران ١٢٨ .
(٢) الأغانى : « زياد بن عمارة بن زياد بن السكن » .
(٣) الفئة : الجماعة .
(٤) أجهضوهم : أزالوهم وغلبوهم .
(٥) الأغانى : « من دون » .

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أبو دُجانة بنفسه يَقَعُ النَّبل فى ظهره وهو مُنْحَنٍ عليه ؛ حتى كثُرت فيه النَّبل، ورَمى سعد بن أبى وقاص دونَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال سَعْدٌ : فلقد رأيتُه يناولنى ويقول : ارْمِ فِداك أبى وأمّى ! حتى إنّه ليُناوِلُنى السَّهم ما فيه نَصْلٌ ، فيقول : ارْمِ به !

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم رَمَى عن قوسه حتى اندقّتْ سِيَتُهَا (١) ، فأخذها قتادة بن النعمان ؛ فكانت عنده ، وأصيبت يومئذ عينُ قَتادة بن النعمان ؛ حتى وقعت على وجْنَتِه .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ردّها بيده ؛ فكانت أحسن عينيه وأحَدّهما .

* * *

قال أبو جعفر : وقاتَل مُصعب بن عمير دون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومعه لواؤه حتى قتل ؛ وكان الذى أصابه ابن قَمِيئة(٢) الليثىّ . وهو يظنّ أنّه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فرجع إلى قريش ، فقال : قتلت محمدًا . فلما قتِل مُصعب بن عمير أعطى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم اللواءَ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن عبد(٣) شُرَحْبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصىّ ؛ وكان أحدَ النّفر الّذين يحملون اللّواء ، ثم مَرّ به سباع بن عبدالعُزّى الغُبْشانىّ — وكان يكنى بأبى نِيَار — فقال له حمزة بن عبد المطّلب : هلمّ إلىّ يا بنَ مُقَطِّعة البُظور — وكانت أمّه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفىّ ، وكانت ختّانة بمكّة — فلمّا التقيا ضربه حمزة فقتله ، فقال ١٤٠٥/١

(١) سيه القوس : طرفه .

(٢) الأغانى وابن هشام : « ابن قمئة » . (٣) ساقطة من رواية الأغانى .

وَحْشِيّ غُلاَمُ جبَير بن مطعِم : والله إنى لأنْظُر إلى حمزة يَهُدُّ[١] الناس بسيفه، ما يُليق[٢] شيئًا يمرُّ به ؛ مثل الجمل الأورق؛ إذ تقدَّمنى إليه سِباع بن عبد العزّى ، فقال له حمزة : هلُمَّ إلىّ يا بن مقطِّعة البظور ! فضربه ؛ فكأنما أخطأ رأسَه ، وهززت حربتى حتى إذا رضيتُ منها دفعتُها عليه فوقعت فى لَبّته حتى خرجت من بين رجليه ، وأقبل نحوى ، فغلب فوقع ، فأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذتُ حربتى ؛ ثم تنحَّيت إلى العسكر ؛ ولم يكن لى بشىء حاجة غيره . وقد قتل عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح أخو بنى عمرو بن عوف مسافع بن طلحة وأخاه كِلاَبَ بن طلحة ؛ كلاهما يُشعره[٣] سهماً ؛ فيأتى أمّه سُلافة فيَضَعُ رأسه فى حجرها ، فتقول : يا بنىَّ ، مَنْ أصابك ؟ فيقول : سمعتُ رجلاً حين رمانى يقول : خذها وأنا ابن الأقلح ! ١٤٠٦/١
فتقول : أقلحىّ ! فنذَرَتْ لله إن الله أمكنها من رأس عاصم أن تشرب فيه الخَمْرَ . وكان عاصم قد عاهد الله ألاّ يمسّ مشركًا أبدًا ولا يمسّه .

فحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى القاسم بن عبد الرحمن بن رافع ؛ أخو بنى عدىّ بن النّجار ، قال : انتهى أنس بن النضر ؛ عمّ أنس بن مالك، إلى عمر بن الخطاب وطلْحة بن عبيد الله فى رجال من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقوْا بأيديهم ، فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : قتِل محمد رسول الله، قال: فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا [كراما] [٤] على ما مات عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . ثم استقبل القوم ؛ فقاتل حتى قتِل ؛ وبه سمّى أنس بن مالك .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى حُميْد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد وجدنا بأنس بن

(١) هذه بالسيف : قطعه .
(٢) ما يليق : ما يترك وما يبقى .
(٣) أشعره سهما : خالطه به .
(٤) من الأغانى .

النَّضر يومئذ سبعين ضربة وطعنة فما عرفه إلاّ أخته ، عرفتْه بحسن بنانِه .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كان أوّل مَنْ عرف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد الهزيمة وقول الناس : « قُتِل رسول الله صلى الله عليه وسلم » — كما حدثني ابن شهاب الزهريّ — كعب بن مالك ، أخو بني سلِمة ، قال : عرفت عينيه تزهَران تحت المغْفر ، فناديت : بأعلى صوتي : يا معشرَ المسلمين أبشروا ! هذا[1] رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ! ١٤٠٧/١
فأشار إليّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أن أنصِتْ . فلمّا عرف المسلمون رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم نهضوا به ، ونهضَ نحو الشِّعب ، معه عليّ بن أبي طالب ، وأبو بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، والحارث بن الصِّمَّة ، في رهط من المسلمين[2] . فلما أسند[3] رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في الشِّعب أدركه أبيّ بن خلف وهو يقول : أين مُحَمَّد ! لا نجَوْتُ إن نجوتَ ! فقال القوم : يا رسولَ الله ، أيعطف عليه رجل مِنّا؟ قال : دعوه ، فلمّا دنا تناول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الحربة من الحارث بن الصِّمَّة — قال : يقول بعض الناس فيما ذكر لي : فلمّا أخذها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، انتفض بها انتفاضة تطايَرْنا عنه تطايُر الشَّعْراء[4] عن ظهر البعير إذا انتفض بها ؛ ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تَدَأْدَأ[5] منها عن فرسه مرارًا .

وكان أبيّ بن خلف — كما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد ابن اسحاق ، عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف — يلْقَى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بمكّة ، فيقول : يا محمّد إن عندي العَوْد ، أعلفه كلّ يوم فَرَقًا[6] من ذُرة أقتلك عليه ! فيقول

(١) م : « هذاك » . (٢) الخبر إلى هنا في التفسير ٧ : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٣) أسند في الجبل : رقى فيه .

(٤) الشعراء : ذباب أحمر ، وقيل أزرق ، يقع على الإبل ويؤذيها أذى شديداً .

(٥) تدأدأ : تدحرج .

(٦) الفرق : مكيال لأهل المدينة يسع ثلاثة أصواع .

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : بل أنا أقتلك إن شاء الله . فلما رجع إلى قريش ، وقد خدشه فى عنقه[١] خَدْشًا غير كبير ؛ فاحتقن الدم ، قال : قتلنى والله محمّد . قالوا : ذهب والله فؤادك ؛ والله إنْ بك بأس[٢] . قال : إنه قد كان ١٤٠٨/١
بمكّة قال لى : أنا أقتلك ؛ فوالله لو بصق علىّ لقتلنى . فمات عدوّ الله بسَرِف وهم قافلون به إلى مكّة .

قال : فلمّا انتهى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى فم الشِّعب ، خرج علىّ بن أبى طالب حتى ملأ دَرَقَتَه من المِهْراس[٣] . ثم جاء به إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ليشرب منه ؛ فوجد له ريحًا فعافه ؛ ولم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدّم ؛ وصُبّ على رأسه ؛ وهو يقول : اشتدّ غضب الله على من دَمّى وَجْهَ نَبيِّه .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى صالح بن كيسان ، عمّن حدّثه ، عن سعد بن أبى وقّاص ، أنه كان يقول : والله ما حَرَصْت على قتل رجل قطّ ما حرَصْت على قتل عُتْبة بن أبى وقّاص ؛ وإن كان ما علمتُ لَسَيِّىءَ الخلق ، مبغَّضًا فى قومه ؛ ولقد كفانى منه قولُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : «اشتدّ غضب الله على من دَمّى وجه رسول الله» .

حدّثنا محمد بن الحُسين ، قال : حدّثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدّثنا أسباط ، عن السُّدىّ ، قال : أتى ابن قميئة الحارثىّ أحد بنى الحارث ابن عبد مناة بن كنانة ، فرمى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بحجَر ، فكسر أنفه ورباعيَته ، وشجّه فى وجهه ، فأثقله وتفرّق عنه أصحابه ، ودخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة ، فقاموا عليها ، وجعل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يَدْعُو الناس : إلىّ عباد الله !

(١) الأغانى : « حلقه » .

(٢) الأغانى : « ما بك بأس »

(٣) المهراس : ماء بجبل أحد .

١٤٠٩/١ إلىّ عباد الله ! فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً ، فجعلوا يسيرون بين يديه ، فلم يقف أحد إلاّ طلحة وسهل بن حُنَيف ، فحماه طلحة ، فرُمى بسهم فى يده فيبِسَتْ يَدُه ، وأقبل أبىّ بن خَلَف الجُمحىّ ؛ وقد حلف ليقتلنّ النبى صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال : بل أنا أقتله ، فقال : يا كذّاب ، أين تَفِرُّ ! فحمل عليه فطعنه النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم فى جيب الدرع ؛ فجرح جرحًا خفيفًا ، فوقع يخورُ خُوَارَ الثور ؛ فاحتملوه ، وقالوا : ليس بك جراحة ، فما يجزعك ؟ قال : أليس قال : « لأقتلنَّك » ! لو كانت بجميع ربيعة ومضر لقتلتْهم ! فلم يلبث إلاّ يومًا أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح .

وفشا فى النّاس أن رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد قُتل ، فقال بعض أصحاب الصخرة : ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبىّ ؛ فيأخذ لنا أمَنة من أبى سفيان ! يا قوم إن محمدًا قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم. قال أنس بن النّضر : يا قوم إن كان محمَّد قد قتِل ؛ فإن ربّ محمد لم يقتل. فقاتِلوا على ما قاتل عليه محمَّد : اللهمّ أنى أعتذر إليك مما يقول هؤلاء ، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ! ثم شدّ[1] بسيفه فقاتل حتى قتل ؛ وانطلق رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يدعو النّاس حتَّى انتهى إلى أصحاب الصخرة ؛ فلمّا رأوه وَضَعَ رَجُلٌ سهمًا فى قوسه ، فأراد أن يرميَه فقال : أنا رسولُ الله ؛ ففرحوا بذلك حين وجدوا رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم حيًّا ، وفرح رسول
١٤١٠/١ الله صلَّى الله عليه وسلَّم حين رأى أنّ فى أصحابه مَنْ يمتنع به ؛ فلمّا اجتمعوا وفيهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ذهب عنهم الحزن ؛ فأقبلوا يذكرون الفتح ، وما فاتهم منه ، ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا ، فقال الله عزّ وجلّ للذين قالوا : « إن محمدًا قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم » : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ

(١) م : « سل سيفه » .

وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾[1].

فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم ، فلما نظروا إليه نسوا ذلك الذى كانوا عليه ، وأهمهم أبو سفيان ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ليس لهم أن يعلُونا ؛ اللهم إنْ تقتَل هذه العصابة لا تُعْبَد ! ثم نَدَب أصحابه ، فرَمَوْهم بالحجارة حتى أنزلوهم ؛ فقال أبو سفيان يومئذ : اعلُ هُبَل ، حنظلة بحنظلة ، ويومٌ بيوم[2] بدر . وقتلوا يومئذ حنظلة بن الراهب ، وكان جُنُبًا فغسّلته الملائكة ؛ وكان حنظلة بن أبى سفيان قُتِل يوم بدر ؛ وقال أبو سفيان : لنا العزّى ولا عزّى لكم ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعمر : قل : الله مولانا ولا مولى لكم . فقال أبو سفيان : أفيكم[3] محمّد ! أما إنّها[4] قد كانت فيكم مُثلة ؛ ما أمرت بها ولا نهيت عنها ؛ ولا سَرَّتْنى ولا ساءتنى ؛ فذكر الله عزّ وجلّ إشراف أبى سفيان عليهم ، فقال : ﴿ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ ، والغمّ الأول ما فاتهم من الغنيمة والفتح ، والغمّ الثانى إشراف العدوّ عليهم ، ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ ١ / ١٤١١
من الغنيمة ﴿ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾[5] من القتل حين تذكرون . فشغلهم أبو سفيان[6] .

قال أبو جعفر : وأما ابنُ إسحاق ، فإنه قال — فيما حدّثنا ابنُ حُميد قال : حدّثنا سلمة عنه — بينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الشِّعب ؛ ومعه أولئك النَّفر من أصحابه إذ علَتْ عالية من قريش الجبل ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنّه لا ينبغى لهم أن يعلُونا ؛ فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل ؛ ونهض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى صَخْرة من الجبل ليعلوها . وقد كان بدّن رسول

(١) سورة آل عمران ١٤٤ .
(٢) م : « ويوم أحد بيوم بدر » .
(٣) م : « فيكم » .
(٤) م : « قال : أما إنها » ، وفى التفسير « قالوا : نعم ، قال » .
(٥) سورة آل عمران ١٥٣ .
(٦) التفسير ٧ : ٣٠٧ — ٣٠٨

الله صلّى الله عليه وسلّم ، وظاهرَ بين دِرْعَيْن[١] ، فلما ذهب لينهض لم يستطع ؛ فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض حتّى استوى عليها[٢] .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : قال محمد : قال : قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، كما حدّثنا يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزُّبير ، قال : سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول يومئذ : أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع .

قال أبو جعفر : وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، حتى انتهى بعضُهم إلى المنتى دون الأعوص ، وفرّ عثمان بن عفان
١٤١٢/١ وعقبة بن عثمان وسعد بن عثمان (رجلان من الأنصار) ؛ حتى بلغوا الجَلْعَبَ (جَبَلا بناحية المدينة مما يلى الأعوص) ، فأقاموا به ثلاثًا ثم رجعوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فزعموا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال لهم : لقد ذهبتم فيها عريضة[٣] .

* * *

قال أبو جعفر : وقد كان حنظلة بن أبى عامر الغسيل ، التقى هو وأبو سفيان بن حرب ، فلمّا استعلاه حنظلة رآه شدّاد بن الأسود — وكان يقال له . ابن شَعوب — قد علا أبا سفيان ، فضربه شدّاد فقتله ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إن صاحبكم[٤] — يعنى حنظلة — لتغسلهُ الملائكة . فسلوا أهله : ما شأنه ؟ فسئلَتْ صاحبته ، فقالت : خرج وهو جُنُب حين سمع الهائعة[٥] ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لذلك غسّلته الملائكة ، فقال شدّاد ابن الأسود فى قتله حنظلة :

لأَحْمِيَنَّ صـــاحبى ونفْسى بطَعْنةٍ مثْل شُـــعاع الشَّمْسِ

(١) وظاهر بين درعين ، أى لبس إحداهما على الأخرى .
(٢) الخبر فى التفسير ٧ : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .
(٣) عريضة ، أى واسعة ، وانظر النهاية ٣ : ٨٢ .
(٤) و : « صاحبكما » .
(٥) الهائعة : الصوت الذى تفزع منه وتخافه من العدو .

وقال أبو سفيان بن حرب ؛ وهو يذكر صبرَه ذلك اليوم ، ومعاونة ابن شَعوب شدّاد بن الأسود إيّاه على حنظلة :

ولو شئْتُ نجّتْنى كُمَيتٌ طِمِرَّةٌ ... ولم أحْمل النّعْماءَ لابن شَعُوب(١)
فما زال مُهْرى مَزْجَرَ الكلْب مِنْهُمُ ... لدَى غُدْوَةٍ حتى دَنتْ لِغُرُوب(٢)
أقاتلُهُمْ وأدَّعِى يالَ غالبٍ ... وأدْفعهُمُ عَنِّى برُكْن صَليب
فبَكِّى ولا ترْعَىْ مقالة عاذلٍ ... ولا تسْأمى من عَبْرَةٍ ونَحيبِ ١٤١٣/١
أباكِ وإخواناً له قد تتابعوا ... وحُقَّ لهم من عَبْرَةٍ بنصِيب
وسَلِّى الذى قد كان فى النَّفْس أنّنى ... قَتلت من النَّجار كُلَّ نجيب
ومن هاشمٍ قرْماً نجيباً ومُصْعباً ... وكان لدَى الهَيْجاء غير هَيُوب(٣)
ولو أنّنى لم أشْف منهم قَرُونتِي ... لكانت شجًى فى القلب ذات نُدُوب(٤)
فآبُوا وقد أودَى الحلائبُ منْهُمُ ... لهم خدَبٌ من مُغْبطٍ وكئيب(٥)
أصابهُمُ من لم يكن لدِمَائهم ... كَفيًّا ولا فى خُطَّةٍ بضَرِيب

فأجابه حسان بن ثابت فقال :

ذكرْتَ القُرُومَ الصِّيدَ من آل هاشمٍ ... ولسْتَ لزُورٍ قُلْتَهُ بمُصيب(٦)
أتعْجَبُ أنْ أقْصَدْتَ حَمْزَةَ منْهُمُ ... نجيباً وقدْ سَمَّيْتَهُ بنَجيب(٧)
ألَمْ يَقْتُلُوا عَمْرًا وعُتْبَةَ وابْنَهُ ... وشَيْبَةَ وَالحَجَّاجَ وابْنَ حَبِيبِ !

(١) الطمرة : الفرس السريعة الوثب .
(٢) مزجر الكلب ؛ أى لم يبعد منهم إلا بمقدار الموضع الذى يزجر الكلب فيه .
(٣) القرم : الفحل الكريم من الإبل ؛ يريد حمزة .
(٤) القرونة : النفس ، وفى ابن هشام : « لم أشف نفسى منهم ».
(٥) الحلائب : الجماعات ، أو أنصار الرجل من بنى عمه ؛ ورواية البيت فى ابن هشام :
قالُوا وَقَدْ أَوْدَى الجَلابِيبُ منْهُمُ ... بِهِم خدَب مِنْ معْطبٍ وكَئِيب
(٦) أبيات أبى سفيان وجواب حسان ؛ فى ديوان حسان ٦٤ — ٦٦ .
(٧) أقصده : رماه .

غدَاة دعَا العاصى عَليًّا فراعَهُ بِضَرْبةِ عَضْـــــبٍ بلّه بخَضيب

وقال شدّاد بن الأسود، يذكر يده عند أبى سفيان بن حرب فيما دفع عنه :

وَلَوْلا دِفَاعِى يابنَ حَرْبٍ ومَشْهَدِى لأُلْفِيتَ يَوْمَ النَّعْفِ غيْرَ مجيبِ
ولَوْلا مَكرّى المُهْرَ بالنَّعفِ قَرْقَرَتْ ضِـبَاعٌ عَلَيْهِ أوْ ضِرَاءٌ كَلِيبِ

وقال الحارث بن هشام يجيب أبا سفيان فى قوله :

* وما زال مُهْرِى مَزْجَرَ الكلبِ منهمُ *

وظنّ أنه يعرّض به إذ فرّ يوم بدر :

١٤١٥/١ وإنَّكَ لوْ عَاينْتَ ما كان منْهُمُ لأبْتَ بقَلْبٍ مَا بقيتَ نَخِيبِ[1]
لَدَى صَحْنِ بدْرٍ أَولقامَتْ نَوَائِحٌ عليك، ولم تَحْفِلْ مُصَابَ حَبِيبِ
جَزَيتهمُ يَوماً ببَدْر كمثْلِهِ عَلى سابِحٍ ذى مَيْعَةٍ وشَبِيبِ[2]

* * *

قال أبو جعفر : وقد وقفت هند بنت عتبة — فيما حدثنا ابن حميد ؛ قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى صالح بن كيسان — والنّسوة اللّاتى معها يمثُلْنَ بالقتْلَى من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، يَجدَعْنَ الآذان والأنوف[3] ؛ حتى اتّخذَتْ هند من آذان الرجال وآنُفِهم خَدَمًا[4] وقلائد ، وأعطت خَدَمها وقلائدها وَقِرَطَتها وَحْشِيًّا ، غلام جُبير بن مُطْعِم ، وبقرتْ عن كبد حمزة

(١) النخيب : الجبان الفزع .

(٢) السابح : الفرس الذى كأنه يسبح فى جريه . والميعة : الخفة والنشاط ، شبيب ، أى شاب .

(٣) الأغانى : « الآنف » .

(٤) الخدم : جمع خدمة ، بالتحريك ؛ وهى الخلخال .

فلاكتْها فلم تستطع أن تُسيغها فلفظتها . ثم علتْ على صخرة مشرفة ، فصرخت بأعلى صوتها بما قالت من الشعر حين ظفرُوا بما أصابوا من أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدثنى صالح بن كيسان ، أنّه حدّث أنّ عمر بن الخطاب ١٤١٦/١
قال لحسان : يا بن الفُرَيْعَة لو سمعتَ ما تقول هند ورأيتَ أشرَها ، قائمة على صخرة ترتجز بنا ، وتذكر ما صنعت بحمزة ! فقال له حسّان : والله إنّى لأنظر إلى الحربة تهوِى وأنا على رأس فارع — يعنى أطُمَه — فقلت : والله إنّ هذه لسلاحٌ ما هى بسلاح العرب ؛ وكأنّها إنّما تهوِى إلى حمزة ؛ ولا أدرى . أسمعتْنى بعض قولها أكفيكموها ؛ قال : فأنشده عُمَرُ بعض ما قالت ، فقال حسّان يهجو هندًا :

أَشِرَتْ لَكَاعِ وكان عَلاَتُها ... لُؤْمًا إذَا أشِرَتْ مَعَ الْكُفْرِ (١)
لَعَنَ الإلهُ وزَوْجَهَا مَعَهَا ... هِنْدَ الهُنُود عَظِيمَةَ البَظْرِ
أَخْرَجْتِ مُرْقِصَةً إلَى أُحُدٍ ... فى القَوْم مُقْتِبَةً عَلى بَكْرِ (٢)
بَكْرٍ ثَفَالٍ لا حَرَاكَ بِهِ ... لا عَنْ مُعاتَبَةٍ ولا زَجْرِ (٣)
وعصَاكِ إسْتُكِ تَتَّقِينَ بِهَا ... دُقِّى العُجَايَةَ هِنْدُ بالفِهْرِ (٤)
قَرِحَتْ عَجِيزَتُهَا وَمَشْرَجُهَا ... من دَأْبِها نَصًّا على القَتْرِ (٥)

(١) ديوانه ٢٢٩ . لكاع : كنى بها عن هند ، وامرأة لكاع : لئيمة ، ورواية الأغانى : « من الكفر » .

(٢) الإرقاص : أن يحمل البعير على الخبب ، وفى الديوان : « معنقة على بكر » .

(٣) الثفال : البطىء من الإبل .

(٤) يقال : عصاه استه ، أى ليس معه عصا ؛ فهو يحرك استه على المطية حتى تسير . والعجاية : العصب يضرب حتى يلين . والفهر : حجر يملأ الكف .

(٥) النص : ضرب من السير السريع ؛ والقتر ، بالضم : الناحية والجانب .

١٤١٧/١ ظَلَّتْ تُدَاوِيهَا زَمِيلَتُهَا بالماء تَنْضَحُهُ و بِالسِّدْرِ
أَخْرَجْتِ ثائِرَةً مبَادِرَةً بأَبيكِ وابْنِكِ يومَ ذى بدْرِ
وبعَمِّكِ المَسْتُوهِ فى رَدَعٍ وأخيكِ منعفِرَيْنِ فى الجَفْرِ (١)
ونسِيتِ فاحشةً أتَيْتِ بها يا هِنْدُ ، وَيْحَكِ سُبَّةَ الدَّهْرِ! (٢)
فَرَجَعْتِ صاغِرَةً بلا تِرَةٍ مِنّا ظَفِرْتِ بها ولا نَصْرِ
زَعَمَ الوَلائِدُ أنها وَلَدَتْ وَلَدًا صَغِيرًا كان من عَهْرِ

قال أبو جعفر : ثم إن أبا سفيان بن حرب أشرف على القوم — فيما حدّثنا هارون بن إسحاق قال : حدّثنا مصعب بن المقدام ، قال : حدّثنا إسرائيل .

وحدّثنا ابن وكيع ، قال : حدّثنى أبى ، عن إسرائيل ، قال : حدّثنا أبو إسحاق ، عن البَرَاء، قال : ثمّ إن أبا سفيان أشرف علينا ، فقال : أفى القوم محمد ؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لا تجيبوه؛ مرتين ، ثمّ قال : أفى القوم ابن أبى قُحافة ؟ ثلاثًا ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : لا تجيبوه ، ثم قال : أفِى القوم ابن الخطاب ؟ ثلاثًا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تجيبوه ، ثم التفت إلى أصحابه ، فقال : أمّا هؤلاء فقد قُتِلوا ، لو كانوا فى الأحياء لأجابوا ، فلم يملك عمرُ بنُ الخطّاب نفسَه أن قال : كذبتَ يا عدوّ الله ، قد أبقى الله لك ما يخزيك ! فقال : اعْلُ هُبَل ! اعلُ هُبَل ! فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أجيبوه ، ١٤١٨/١
قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا : الله أعْلَى وأجَلُّ ! قال أبو سفيان : ألا لنا العُزّى ولا عُزّى لكم ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : أجيبوه ، قالوا : ما نقول ؟ قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم ! قال أبو سفيان : يومٌ

(١) المستوه : المضروب فى استه . والردع : الدم . الديوان : « المسلوب بزته » وفى ط : « ودع » ، وما أثبته من الأغانى .

(٢) الأغانى : « سيئة الدهر » .

بيوم بدر ، والحرب سِجَال ؛ أمَّا إنكم ستجدون فى القوم مُثْلاً لم آمُرْ بها ولم تسؤنى .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال فى حديثه : لمَّا أجاب عمرُ أبا سفيان قال له أبو سفيان : هلمَّ يا عمر ، فقال له رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إيتِهِ فانظُرْ ما شأنه ؟ فجاءه فقال له أبو سفيان : أنشدُك اللهَ يا عمر ، أقتلنا محمدًا ؟ فقال عمر : اللهمّ لا ؛ وإنه ليسمع كلامَك الآن ، فقال : أنت أصْدَق عندى من ابن قَمِيئَة[1] وأبرّ ؛ لقول ابن قميئة لهم : إنّى قتلت محمدًا . ثمّ نادى أبو سفيان ، فقال : إنَّه قد كان فى قتلاكم مُثْلٌ[2] والله ما رضيت ولا سخِطت ، ولا نهيت ولا أمرْت[3] .

وقد كان الحُلَيْس بن زَبّان أخو بنى الحارث بن عبد مَنَاة ؛ وهو يومئذ سيّد الأحابيش ، قد مرّ بأبى سفيان بن حرب ، وهو يضرب فى شِدْق حمزة بزُجّ الرّمح ؛ وهو يقول : ذُقْ عُقَقُ ![4] فقال الحُلَيْس : يا بنى كنانة ، هذا سيّد قريش يصنع بابن عمِّه كما ترون لحما[5] ! فقال : اكتمها ، فإنَّها كانت زَلَّة ؛ فلمَّا انصرف أبو سفيان ومَنْ معه نادى : إنّ موعدَكم بدر للعام المقبل ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم لرجل من أصحابه : قل نعمْ هى بيننا وبينك موعد . ١ / ٤٩٩

ثم بعث رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، فقال : اخرُجْ فى آثار القوم فانظر ماذا يصنعون ، وماذا يريدون ! فإن كانوا قد اجتنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ؛ فإنَّهم يريدون مكَّة ؛ وإن ركبوا الخيل ، وساقوا الإبل ؛ فهم يريدون المدينةَ ؛ فوالَّذى نفسى بيده ؛ لئن أرادوها لأسيرنّ إليهم فيها ثم لأناجزَنَّهم . قال علىّ : فخرجت فى آثارهم أنظر ماذا

(١) الأغانى : « قمئة » . (٢) الأغانى : « إنه قد كان مثل » . والمثل : جمع مثلة .

(٣) التفسير ٧ : ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٤) ذق عقق ، أى ذق جزاء فعلك يا عاق ؛ وعقق : معدول عن عاق للمبالغة ، كغدر من غادر .

(٥) لحما ، أراد وهو قتيل .

يصنعون ؛ فلما اجتنبوا الخيل وامتطوا الإبل توجّهوا إلى مكّة ؛ وقد كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قال : أىّ ذلك كان فأخفه[1] حتى تأتينى . قال علىٌّ عليه السلام : فلما رأيتُهم قد توجّهوا[2] إلى مكّة أقبلت أصيح ؛ ما أستطيع أن أكتم الذى أمرنى به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لما بى من الفَرَح ؛ إذ رأيتهم انصرفوا إلى مكّة عن المدينة .

وفرغ الناس لقتلاهم ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم — كما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن محمّد بن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة المازنىّ أخى بنى النّجار ، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال : مَن رجلٌ ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع ؟ — وسعد أخو بنى الحارث بن الخزرج — أفى الأحياء هو أم فى الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك يا رسولَ الله ما فعل ؛ ١٤٢٠/١
فنظر فوجده جريحًا فى القتلَى به رمَق ، قال : فقلت له : إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أمرنى أن أنظر له : أفى الأحياء أنت أم فى الأموات ؟ قال : فأنَا فى الأموات ، أبلغْ رسولَ الله عنّى السّلام ، وقل له : إنّ سعدَ ابن الربيع يقول لك : جزَاك الله خير ما جُزِى نبىّ عن أمته ؛ وأبلغْ عنّى قومَك السّلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عُذْرَ لكم عند الله إن خُلِصَ إلى نبيّكم صلّى الله عليه وسلّم وفيكم عيْنٌ تطرف . ثم لم أبرح حتّى مات ؛ فجئت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فأخبرته خبرَه . وخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم — فيما بلغنى — يلتمس حمزة بن عبد المطّلب ، فوجده ببطن الوادى قد بُقِرَ بَطْنُه عن كبده ، ومثّلَ به ، فجُدِعَ أنفه وأذناه .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فحدّثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم حين رأى بحمزة ما رأى ، قال : لولا أن تحزن صفيّة أو تكون سنّة من بعدى لتركته حتى يكونَ فى أجواف السباع وحواصل الطّير ؛ ولئن أنا أظهرَنى الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثُلنّ بثلاثين رجلا منهم ؛ فلمّا رأى

(١) و : « فأخف » . (٢) م : « وجهوا » .

المسلمون حزْنَ رسولِ الله صلَّى اللهعليه وسلَّم وغيظه على ما فُعِل بعمِّه ، قالوا : والله لئن ظهرْنا عليهم يومًا من الدهر لنَمثُلَنّ بهم مُثْلَةً لم يمثُلها ١ / ١٤٢١ أحد من العرب بأحد قطّ ! .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، قال : أخبرنى بُرَيدة بن سفيان بن فروة الأسلميّ ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ ، عن ابن عباس . قال ابن حميد ، قال سلَمة : وحدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : وحدّثنى الحسن بن عُمارة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مِقسَم ، عن ابن عباس ، قال : إن الله عزّ وجلّ أنزل فى ذلك من قول رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم وقول أصحابه : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾[1]، إلى آخر السورة ، فعفا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وصبر ونهى عن المُثْلَة .

قال ابن إسحاق : وأقبلَتْ — فيما بلغنى — صفيَّةُ بنتُ عبد المطَّلب لتنظر إلى حمزة — وكان أخاها لأبيها وأمها — فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم لابنها الزّبير بن العوّام : القَها فارجعها ، لا ترى ما بأخيها . فلقيها الزبير فقال لها : يا أمّهْ ؛ إنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يأمرك أن ترجِعى ، فقالت : ولِم ، وقد بلغنى أنه مُثِلَ بأخى وذلك فى الله قليل ! فما أرضانا بما كان من ذلك ! لاحتسبنّ ولأصبرنّ إن شاء الله . فلمّا جاء الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، قال : خَلّ سبيلها ، فأتَتْهُ فنظرتْ إليه وصَلّتْ عليه ؛ واسترجعَتْ واستغفرت له ؛ ثم أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم به فدُفِن .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : فحدّثنى محمّد بن ١ / ١٤٢٢ إسحاق ، قال : فزعم بعض آل عبد الله بن جحش — وكان لأمَيْمَةَ بنت عبد المطّلب خاله حمزة ؛ وكان قد مُثِل به كما مُثِل بحمزة ؛ إلاّ أنه

(١) سورة النحل ١٢٦ .

لم يُبْقَرْ عن كبده — أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم دَفَنه مع حمزة فى قبره ؛ ولم أسمع ذلك إلاّ عن أهله .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى عاصم بن قتادة ، عن محمود بن لَبِيد ، قال : لمّا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحُد وقع[1] حُسَيْل بن جابر — وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان — وثابت بن وقْش بن زَعوراء فى الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدُهما لصاحبه ؛ وهما شيخان كبيران : لأبالك ! ماتنتظر؟ فوالله إنْ بقى لواحد منّا من عمره إلاّ ظِمْءُ حِمَار[2] ؛ إنّما نحن هامة اليوم[3] أو غَد ؛ أفلا نأخذ أسيافنا ، ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعلّ الله عزّ وجلّ يرزقنا شهادة مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ! فأخذا أسيافهما ، ثم خرجا حتى دخلا فى النّاس ، ولم يُعلَم بهما ؛ فأمّا ثابت بن وقْش فقتله المشركون ، وأما حُسَيْلُ بن جابر ، اليَمَان ، فاختلف عليه أسياف المسلمين فقتلوه ؛ ولا يعرفونه . فقال حُذَيفة : أبى ! قالوا : والله إنْ عرفناه . وصدقوا ، قال حُذَيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ! فأراد رسول الله صلّى الله عليه وسلم أن يَدِيَه[4] فتصدّق حُذَيفة بِديتِه على المسلمين ، فزادته عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خيرًا . ١٤٢٣/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدّثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّ رجلاً منهم كان يُدْعى حاطب بن أميّة بن رافع ، وكان له ابن يقال له يزيد بن حاطب ، أصابته جِراحة يوم أحُد : فأتِىَ به إلى دار قومه وهو يموت ؛ فاجتمع إليه أهلُ الدّار ؛ فجعل المسلمون يقولون من الرجال والنساء : أبْشِرْ يا بنَ حاطب بالجنّة ،

(١) كذا فى م ، وفى الأغانى : « رجع » .

(٢) ظمء الحمار : ما بين الشربتين له ؛ وليس شىء من الدواب أقصر ظمئاً من الحمار ، يرد الماء كل يوم فى الصيف مرتين .

(٣) هامة اليوم ، أى سنموت اليوم أو غدا .

(٤) وداه ، أى أدى ديته .

قال : وكان حاطب شيخًا قد عسا [١] فى الجاهليّة ، فَنَجَم يومئذ نفاقه ، فقال : بأىّ شىء تبشّرونه ، أبجنّة من حرمل [٢] ! غررتُم والله هذا الغلامَ من نفسه ، وفجعتمونى به !

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان فينا رجلٌ أتىٌّ [٣] لا يُدْرَى من أين هو ، يقال له قُزْمَان ، فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول إذا ذُكِر له : إنّه لَمِنْ أهل النار ؛ فلمّا كان يوم أحُد ، قاتل قتالا شديدًا ، فقَتَل هو وحده ثمانيةً من المشركين أو تسعة ؛ وكان شهمًا شجاعًا ذا بأس ؛ فأثبتته الجراحة ، فاحتمل إلى دار بنى ظَفَر . قال : فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون : والله لقد أبليت اليوم يا قُزمان ؛ فأبشر ! قال : بم أبشر ! فوالله إن قاتلتُ إلاّ على أحساب قومى ؛ ولولا ذلك ما قاتلت ؛ فلمّا اشتدّت عليه جراحته ، أخذ سهمًا من كنانته فقطع رواهِشَه فنزفه الدم فمات ؛ فأخبر بذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : أشهد أنّى رسولُ الله حقًّا ! ١٤٢٤/١

وكان ممّن قُتِل يوم أحُد مُخَيْريق اليهودىُّ ، وكان أحدَ بنى ثعلبة ابن الفِطْيَون ، لمّا كان ذلك اليوم قال : يا معشَر يهود ؛ والله لقد علمتم أنّ نصر محمد عليكم لَحَقٌّ . قالوا : إنّ اليوم يوم السَّبت ، فقال : لا سبْتَ ، فأخذ سيفه وعدّته ، وقال : إن أصِبْتُ فمالى لمحمّد يصنع فيه ما شاء . ثم غدَا إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فقاتل معه حتى قُتِل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى : مُخَيْرِيق خيرُ يهود .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن

(١) عسا ، أى كبر وأسن .

(٢) قال السهيلى : « يريد الأرض التى دفن فيها ؛ وكانت تنبت الحرمل : أى ليس له جنة إلا ذاك » .

(٣) الأتى : الغريب ليس من القوم .

إسحاق ، قال : وقد احتمل ناسٌ من المسلمين قَتْلاهم إلى المدينة. فدفنوهم بها، ثم نهَى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عن ذلك ، وقال : ادفنوهم حيث صُرِعُوا .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني أبي إسحاق بن يَسار ، عن أشياخ من بنى سلِمة ، أنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال يومئذ حين أمَر بدفن القتْلى : انظروا عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو بن حرام . فإنهما كانا متصافيَيْنِ فى الدنيا ، فاجعلوهما فى قبر واحد. قال : فلمّا احتفر معاوية القناة أخْرِجا وهما ينثنيان[1] كأنما دفنا بالأمس .

قال : ثم انصرف رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم راجعًا إلى المدينة ، فلقيتْه حَمْنَةُ بنت جحش — كما ذكر لى — فنُعِيَ لها[2] أخوها عبد الله بن ١٤٢٥/١
جحش ، فاسترجَعَتْ واستغفرتْ له ، ثم نعِيَ لها خالها حمزة بن عبد المطلب ، فاسترجَعت واستغفرت له ، ثم نُعِيَ لها زوجها مصعب بن عمير ، فصاحت وولولت ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إنّ زَوْجَ[3] المرأة منها لبمكان ؛ لما رأى من تثبُّتها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها .

قال : ومرّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بدار من دور الأنصار من بنى عبد الأشهل وظَفَر ، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم ؛ فَذَرَفَتْ عينَا رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فبكى ثم قال : لكنّ حمزة لا بواكيَ له ! فلمّا رجع سعد بن معاذ وأسَيْد بن حُضَيْر إلى دار بنى عبد الأشهل أمَرَ نساءهم أن يتحزَّمْنَ ثم يذهبن فيبكين على عمّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى عبد الواحد بن أبى عَوْن ، عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص ؛

(١) م : « يتثنيان » .
(٢) م : « إليها » .
(٣) م : « لزوج » .

قال : مرّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بامرأة من بني دينار ؛ وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأحُد ؛ فلما نعُوا لها قالت : فما فعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؟ قالوا : خيرًا يا أمّ فلان ؛ هو بحمد الله كما تحبّين ؛ قالت : أرنيه حتى أنظرَ إليه ، فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت : كلُّ مصيبة بعدك جَلَلٌ (١) !

* * *

قال أبو جعفر : فلمّا انتهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الى أهله ناول ١٤٢٦/١
سيفَه ابنته فاطمة ، فقال : اغسلي عن هذا دمَهُ يا بنيّة ؛ وناولها عليٌّ عليه السلام سيفَه ، وقال : وهذا فاغسلي عنه ؛ فوالله لقد صدقني اليوم . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لئن كنتَ صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حُنَيْف ، وأبو دُجانة سماك بن خَرَشَةَ . وزعموا أن عليّ بن أبي طالب حين أعطى فاطمة عليهما السلام سيفَه قال :

أفاطِمَ هَاكِ السَّيْفَ غَيْرَ ذَمِيمِ ... فلَسْتُ بِرِعْدِيدٍ ولا بِمُلِيمِ
لَعَمْرِي لقدقاتَلْتُ فِي حُبِّ أَحْمَدٍ ... وطاعةِ ربٍّ بالعِبادِ رحِيمِ
وسَيفِي بكَفِّي كالشِّهابِ أهُزُّهُ ... أَجُذُّ به من عاتِقٍ وصَمِيمِ
فما زِلْتُ حتى فَضَّ رَبِّي جُمُوعَهمْ ... وحتى شَفَيْنَا نَفْسَ كلِّ حلِيمِ

وقال أبو دُجانة حين أخذ السيف من يد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقاتل به قتالا شديدًا — وكان يقول : رأيت إنسانًا يخمش الناس خمشًا شديدًا فصَمدْت له ، فلما حملتُ عليه بالسيف وَلْوَلَتْ ؛ فإذا امرأة ؛ فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة — وقال أبو دُجانة :

أَنا الَّذِي عاهَدَنِي خَلِيلِي ... ونَحْنُ بالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ
أَلاّ أَقُومَ الدَّهْرَ فِي الكَيُّولِ ... أَضْرِبْ بِسَيْفِ اللهِ والرَّسولِ (٢) ١٤٢٧/١

(١) جلل ، أى صغيرة ، وهو من الأضداد . (٢) الكيول : آخر الصفوف فى الحرب .

[غزوة حمراء الأسد]

وكان رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة يوم السبت؛ وذلك يوم الوقعة بأحُد ؛ فحدّثنا ابن حُميد، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى حسين بن عبد الله ، عن عِكْرِمة ، قال : كان يوم أحُد يومَ السَّبت ؛ للنّصف من شوال ؛ فلمَّا كان الغدُ من يوم أحُد — وذلك يوم الأحد لستّ عشرة ليلة خلتْ من شوّال — أذّنَ مُؤذّنُ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى الناس بطلب العدوّ ؛ وأذّن مؤذنه : ألاّ يخرجنّ معنا أحد إلاّ مَنْ حضر يومنا بالأمس . فكلَّمه جابر بن عبدالله بن عمرو بن حَرام ، فقال : يا رسول الله ، إنّ أبى كان خلَّفنى على أخوات لى سبعٍ ، وقال لى : يا بُنىّ ؛ إنه لا ينبغى لى ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رُجلَ فيهنّ ، ولستَ بالذى أُوثرك بالجهاد مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على نفسى ؛ فتخلَّف على أخَواتك . فتخلَّفت عليهنّ . فأذن له رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم ، فخرج معه ؛ وإنَّما خرج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم مُرْهِبًا للعدوّ؛وليبلّغهم أنه خرج فى طلبهم ؛ ليظنُّوا به قوّة، وأنّ الذى أصابهم لم يوهِنهم عن عدوّهم . ١٤٢٨/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدّثنى عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان ، أنّ رجلاً من أصحاب رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من بنى عبد الأشهل كان شهد أحُدًا ، قال : شهدتُ مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنا وأخ لى ، فرجعنا جَرِيحَيْنِ ؛ فلمَّا أذّن مؤذّنُ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالخروج فى طلب العدوّ ، قلت لأخى وقال لى : أتفُوتنا غزوة مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم! والله ما لنا من دابّة نركبها، وما منَّا إلا جريح ثقيل؛فخرجنا مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم — وكنت أيسر جُرْحاً منه — فكنت إذا غُلِبَ حملتُه عُقْبة[1] ومشى عُقْبة ؛ حتى

(١) العقبة ، بالضم : النوبة .

انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون ، فخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، حتى انتهى إلى حَمْراء الأسد ؛ وهى من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها ثلاثاً : الاثنين ، والثلاثاء ، والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

وقد مرّ به — فيما حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم — معبَدٌ الخُزاعىّ ، وكانت خُزاعة مسلمهم ومشركهم عَيْبَةَ[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة ، صفْقتُهم[2] معه ، لا يخفون عليه شيئًا كان بها — ومعبد يومئذ مشرك — فقال : يا محمّد ؛ أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك فى أصحابك ؛ ولوَدِدْنا أن الله كان أعفاك فيهم ! ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد ؛ حتى لقىَ أبا سفيان بن حَرْب ومن معه بالرّوحاء ، وقد أجمعوا الرّجعة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حَدّ أصحابه وقادتهم وأشرافهم ؛ ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم ؛ لَنَكرّن على بقيّتهم ؛ فلنَفْرُغَنّ منهم . فلمّا رأى أبو سفيان مَعْبَدا ، قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمّد قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمعٍ لم أر مثله قطّ ؛ يتحرّقون عليكم تحرّقًا ؛ قد اجتمع معه مَنْ كان تخلّف عنه فى يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحَنَق عليكم شىء لم أر مثلَه قطّ . قال : ويلك ما تقول ! قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصىَ الخيل . قال : فوالله لقد أجمعنا الكرّة عليهم لنستأصل[3] بقيّتهم ، قال : فإنّى أنهاك عن ذلك ، فوالله لقد حملنى ما رأيت على أن قلت فيه أبياتًا من شعر ، قال : وماذا قلت ؟ قال : قلت :

كَادَتْ تُهَدُّ مِنَ الأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي ... إذْ سالَتِ الْأَرْضُ بالجُرْدِ الأَبابِيلِ[4]

١/ ١٤٢٩

(١) عيبة الرجل : موضع سره .
(٢) ساقطة من رواية الأغانى .
(٣) فى الأغانى : « لنستأصل شأفتهم » .
(٤) تهد : يبلغ منها الجهد وتكسر . والجرد : جمع أجرد ؛ وهو الفرس القصير الشعر . والأبابيل : الجماعات .

تَرِدِى بأُسْـدٍ كِرَام لا تَنَابِلَةٍ عند اللِّقَـاء ولا خُرْقٍ مَعَازِيلِ

١٤٣٠/١ فظَلتُ عَدْوًا أظنُّ الأرْضَ مَائلةً لمّـا سَمَوْا برَئيسٍ غيرِ مخذولِ

فقلتُ وَيْلَ ابْنِ حَرْبٍ من لِقائِـكُمُ إذا تَغَطْمَطَتِ البَطْحَاء بالجِيلِ[1]!

إنِّى نَذِيرٌ لأهلِ البَسْلِ ضاحِيةً لـكلِّ ذى إرْبَةٍ منهم ومَعْقُولِ[2]

من جَيْشِ أَحْمَدَ لا وَخْشٍ قَنَابِلُه وليسَ يُوصَفُ ما أنْذَرْتُ بالقِيلِ[3]

قال : فثنى ذلك أبا سفيان ومَنْ معه . ومَرّ به ركبٌ من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرَة ، قال : فهل أنتم مبلِّغون عنى محمَّدًا رسالة أرسِلكم بها إليه ، وأحمِّل لكم إبلكم هذه غدًا زبيبًا بعُكَاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم ؛ قال : فإذا جئتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا المسيرَ إليه وإلى أصحابه ؛ لنستأصل بقيَّتهم. فمرّ الركبُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذى قال أبو سفيان ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابه : حسبنا الله ونعم الوكيل !

قال أبو جعفر : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد الثالثة ؛ فزعم بعضُ أهل الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظفر فى وجهه إلى حمراء الأسد بمعاوية بن المغيرة بن أبى العاص، وأبى عزّة الجُمَحِيّ؛

١٤٣١/١ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلَّف على المدينة حين خرج إلى حمراء الأسد ابنَ أمّ مكتوم .

* * *

(١) تغطمطت : اضطربت . والجيل : الأمة وكل صنف من الناس .

(٢) فى الأغانى : « لأهل السيل » ؛ والسيل : من أسماء مكة . ضاحية : علانية . المعقول العقل .

(٣) الوخش : رذالة الناس وصغارهم . والقنابل : جمع قنبلة ؛ وهى الطائفة من الناس . وفى الأغانى : « تنابلة » .

وفى هذه السنة — أعنى سنة ثلاث من الهجرة — وُلِدَ الحَسَنُ بن علىّ بن أبى طالب فى النصف من شهر رمضان .

وفيها عَلِقَتْ فاطمة بالحسيْن صلوات الله عليهما. وقيل : لم يكن بين ولادتها الحسن وحملها بالحسين إلاّ خمسون ليلة .

وفيها حملت — فيما قيل — جَميلة بنت عبد الله بن أبىّ بعبد الله بن حنظلة بن أبى عامر فى شوّال .

ذكر الأحداث التى كانت فى سنة أربع من الهجرة

[غزوة الرَّجيع]

ثم دخلت السنة الرابعة من الهجرة ، فكان فيها غزوة الرّجيع فى صفر. وكان من أمرها ما حدّثنى به ابن حُمَيد، قال: حدّثناسلمة، قال: حدّثنى محمّد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ؛ قال : قدِم علَى رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بعد أحُد رهْط من عَضَل والقارة[1] فقالوا له: يا رسولَ الله ؛ إن فينا إسلامًا وخيرًا ؛ فابعث معنا نفرًا من أصحابك يُفَقِّهوننا[2] فى الدين ، ويقرءوننا[2] القرآن ، ويعلموننا[2] شرائع الإسلام . فبعث رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم معهم نفرًا ستَّة من أصحابه : مَرْثَد بن أبى مرثد الغَنَوىّ حليف حمزة بن عبد المطَّلب ، وخالد بن البُكَيْر حليف ١ / ١٤٣٢ بنى عدىّ بن كعب ، وعاصمِ بن ثابت بن أبى الأقلح أخا بنى عمرو بن عوف ، وخُبَيْبَ بن عدىّ أخا بنى جَحْجَبى بن كُلْفَة بن عمرو بن عوف ، وزيدَ بن الدّثِنة أخا بنى بياضة بن عامر ، وعبدَ الله بن طارق حليفًا لبنى ظَفَر من بَلِىّ .

وأمَّر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على القوم مرثَد بن أبى مرثَد ، فخرجوا مع القوم ، حتّى إذا كانوا على الرَّجِيع (ماء لهذيل بناحية من الحجاز من صدور الهَدْأة) غدرُوا بهم ، فاستصرخوا[3] عليهم هُذَيْلاً ، فلم يُرَع القومُ وهم فى رحالهم إلاّ بالرجال فى أيديهم السيوف ، قد غَشُوهم . فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا[4] القوم، فقالوا لهم : إنَّا والله ما نريد قتلَكم ؛ ولكنَّا

(١) قال ابن هشام : « عضل والقارة : من الهون بن خزيمة بن مدركة » .

(٢) فى رواية الأغانى ، بحذف النون على الجزم فى جواب الطلب ؛ وإثباتها على أن تكون الجملة صفة لنفر .

(٣) استصرخوا : استنصروا .

(٤) ابن هشام : « ليقاتلوهم » .

نريد أن نصيب بكم شيئًا من أهل مكّة ، ولكم عهد الله وميثاقه ألاّ نقتلكم . فأمّا مرثد وخالد بن البُكَيْر وعاصم بن ثابت بن أبى الأقلح ، فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهدًا ولا عقدًا أبدًا ؛ فقاتلوهم حتى قتلوهم جميعًا .

وأمّا زيد بن الدّثِنة وخُبَيْب بن عَدِىّ وعبد الله بن طارق فلانُوا ورقُّوا ورغِبوا فى الحياة ، فأعطوْا بأيديهم[1] ، فأسروهم ، ثمّ خرجوا بهم إلى مكة ١٤٣٣/١
ليبيعوهم بها حتى إذا كانوا بالظّهْران ، انتزع عبدُ الله بن طارق يدَه من القِران[2] ، ثمّ أخذ سيفه واستأخر عنه القوم ، فرموْه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبرُه بالظّهْران .

وأما خُبَيْبُ بن عدىّ وزيد بن الدّثِنة ، فقِدُموا بهما مكّة ، فباعوهما فابتاع خبيبا حُجَيْرُ بن أبى إهاب التميمىّ حليف بنى نوفل لعُقْبة بن الحارث بن عامر بن نوفل — وكان حُجير أخا الحارث بن عامر لأمّه — ليقتله بأبيه ، وأمّا زيد بن الدّثِنة ، فابتاعه صَفْوان بن أميّة ليقتله بأبيه أميّة بن خلف ، وقد كانت هُذيل حين قُتل عاصم بن ثابت قد أرادوا رأسه ليبيعوه من سُلافة بنت سعد بن شُهَيْد ، وكانت قد نذرتْ حين أصاب ابنها يوم أحُد : لئن قدرَتْ على رأس عاصم لتشرَبنّ فى قحْفه الخمر ، فمنعته الدَّبْر[3] . فلما حالت بينهم وبينه ، قالوا : دعوه حتى يُمْسِى فتذهب عنه ، فنأخذه ، فبعث الله الوادى . فاحتمل عاصما فذهب به ، وكان عاصم قد أعطَى الله عهدًا ألاّ يمسه مشركٌ أبدًا ولا يمسّ مشركًا أبدًا ، تنجُّسًا[4] منه . فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه ، أن الدَّبْرَ منعته : عجبا ، لحفظ الله العبد المؤمن ! كان عاصم نذر ألاّ يمسّه مشرك ، ولا يمس مشركًا أبدًا فى حياته ، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه فى حياته[5] .

(١) أعطوا بأيديهم : انقادوا . (٢) القران : الحبل يربط به الأسير .

(٣) الدبر : الزنابير والنحل .

(٤) يقال : فلان يتنجس ؛ إذا فعل فعلا يخرج به عن النجاسة ، كما يقال : يتأثم ويتحرج ويتحنث ؛ إذا فعل فعلا يخرج به عن الإثم والحرج والحنث .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ١٦٧ ، ١٦٨ ، الأغانى ٤ : ٢٢٥ — ٢٢٧ (طبعة دار الكتب) .

قال أبو جعفر : وأما غيرُ ابنِ إسحاق ، فإنّه قصّ من خبر هذه السريّة غير الذى قصّه ، والذى قصّه غيره من ذلك ما حدّثنا أبو كُرَيب ، قال : حدّثنا جعفر بن عون العمرىّ ، قال : حدّثنا إبراهيم بن إسماعيل ، عن عمرو — أوعمر — بن أَسِيد ، عن أبى هُريرة ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بعث عشرة رهط ، وأمّر عليهم عاصم بن ثابت ، فخرجوا حتى إذا كانوا با لهَدْأة ذُكِروا لحىّ من هُذَيل ، يقال لهم : بنو لِحْيان ، فبعثوا إليهم مائة رجل راميًا ؛ فوجدوا مأكلَهم حيث أكلوا التّمر ، فقالوا : هذه نَوَى يثرب ، ثمّ اتّبعوا آثارهم ؛ حتى إذا أحسّ بهم عاصمٌ وأصحابه التجئوا إلى جبل ، فأحاط بهم الآخرون ، فاستنزلوهم ، وأعطَوْهم العهدَ ؛ فقال عاصم : والله لا أنزل على عهد كافرٍ ، اللّهمّ أخبر نبيّك عنّا . ونزل إليهم ابن الدّثِنَة البَياضِىّ ، وخُبيب ، ورجل آخر ، فأطلق القوم أوتار قِسيِّهم ، ثمّ أوْثقوهم ، فجرحوا رجلاً من الثلاثة ، فقال : هذا والله أوّل الغَدْر ؛ والله لا أتّبعكم . فضربوه فقتلوه ، وانطلقوا بخُبيب وابن الدّثِنَة إلى مكّة ، فدفعوا خُبيبًا إلى بنى الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، وكان خُبَيب هو الذى قَتَل الحارث بأحُد ؛ فبينما خُبَيب عند بنات الحارث ؛ إذ استعار من إحدى بنات الحارث موسَى يستحدّ[1] بها للقتل ، فما راع المرأة — ولها صبىّ يدْرُجُ — إلاّ بخُبيب قد أجلَس الصبىَّ على فَخِذه ، والموسَى فى يده ، فصاحت المرأة ، فقال خُبَيب : أتخْشَيْن أنّى أقتُله ! إنّ الغدر ليس من شأننا . قال : فقالت المرأة بعد : ما رأيتُ أسيرًا قطّ خيرًا من خُبيب ؛ لقد رأيته وما بمكّة من ثمرة ؛ وإن فى يده لقِطْفًا من عنب يأكله ؛ إن كانَ إلاّ رِزْقًا رزقه اللهُ خبَيبا . ١٤٣٥/١

وبعث حىّ من قريش إلى عاصم ليُؤْتَوْا من لحمه بشىء ، وقد كان لعاصم فيهم آثار[2] بأحُد ؛ فبعث الله عليه دَبْرًا ، فحمَتْ لَحمه ، فلم

(١) يستحد : يحلق شعر عانته ، وفى اللسان — حدد : « وفى حديث خبيب أنه استعار موسى استحد بها ؛ لأنه كان أسيراً عندهم وأرادوا قتله لئلا يظهر شعر عانته عند قتله » .

(٢) آثار : جمع ثأر على القلب .

يستطيعوا أن يأخذوا من لحمه شيئًا ، فلمَّا خرجوا بخُبَيب من الحرم ليقتلُوه ، قال : ذَرُونى أصَلِّ ركعتيْن ، فتركوه فصلَّى سجدتين ، فجرت سُنَّة لمن قُتل صبْرًا أن يصلِّىَ ركعتين . ثم قال خُبَيب : لولا أن يقولوا جَزِعَ لزدت ، ١٤٣٦/١
وما أبالى :

* عَلَى أىِّ شِقٍّ كان لله مَصْرَعى[1] *

ثم قال :

وذلك فى ذاتِ الإله وإن يَشَأْ يُبَارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ[2]

اللهم أحْصِهم[3] عددًا ، وخذهم بَدَدًا[4] .

ثم خرج به أبو سَرْوَعة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ؛ فضربه فقتله[5] .

* * *

حدّثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا جعفر بن عون ، عن إبراهيم بن إسماعيل ، قال : وأخبرَنى جعفر بن عمرو بن أميّة ، عن أبيه ، عن جدّه ، أنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بعثه وحدَه عَيْنًا إلى قريش ، قال : فجئت إلى خشبة خُبَيبٍ وأنا أتخوَّف العيون ، فرَقِيتُ فيها ، فَحللْت خُبَيبًا ، فوقع إلى

(١) صدره :

* فوالله ما أرجو إذا متُّ مسلماً *

من أبيات ذكرها ابن هشام فى السيرة ٢ : ١٧٠ ، بنسبتها إلى خبيب ، وقال : « وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له » .

(٢) فى ذات الإله ، أى فى طاعته وطلب رضاه . والأوصال : جمع وصل ؛ وهو العضو . والشلو : الجسد .

(٣) أحصهم ، أى أهلكهم بحيث لا تبقى من عددهم أحداً .

(٤) خذهم بدداً ، قال ابن الأثير : « يروى بكسر الباء ؛ جمع بدة ؛ وهى الحصة والنصيب ، أى اقتلهم حصصاً مقسمة لكل واحد حصته ونصيبه ، ويروى بفتح الباء ، من التبديد ؛ أى متفرقين فى القتل ، واحداً بعد واحد » .

(٥) نقله فى الأغانى ٤ : ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

١/١٤٣٧ الأرض، فانتبذتُ[١] غير بعيد، ثم التفتُّ فلم أر لخُبيب رِمّة[٢]؛ فكأنما الأرض ابتلعته؛ فلم تذكر لُخبيب رِمَّة حتى الساعة[٣].

* * *

قال أبو جعفر: وأما زيد بن الدَّثِنَّة؛ فإنّ صفوان بن أميَّة بعث به — فيما حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق — مع مولى له يقال له نِسْطاس إلى التَّنْعيم، وأخرجه من الحرم ليقتُلَه، واجتمع إليه رَهطٌ من قريش؛ فيهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان حين قُدِّم ليُقتل: أنشدُك الله يا زيد، أتحبّ أن محمدًا عندنا الآن مكانك نضرب عنقه، وأنَّك فى أهلك! قال: والله ما أحبّ أنّ محمّدًا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكةٌ تؤْذيه وأنا جالس فى أهلى. قال: يقول أبو سفيان: ما رأيتُ فى النَّاس أحدًا يحبّ أحدًا كحبّ أصحاب محمَّد محمَّدًا. ثم قتله نِسطاس[٤].

* * *

ذكر الخبر عن عمرو بن أميَّة الضَّمرىّ إذ وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلّم لقتل أبى سفيان بن حرب

ولمَّا قُتِل من وجَّهَه النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى عضَل والقارَة من أهل الرَّجيع، وبلغ خبرُهم رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بعث عمرو بن أميّة الضَّمْرىّ إلى مكَّة مع رجل من الأنصار.، وأمرهما بقتل أبى سفيان بن حرب؛ فحدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة بن الفضل، قال: حدّثنى محمد بن إسحاق، عن جعفر بن الفضل بن الحسن بن عمرو بن أميّة
١/١٤٣٨ الضَّمْرىّ، عن أبيه، عن جدّه — يعنى عمرو بن أميّة — قال: قال عمرو بن

(١) انتبذت: تنحيت.
(٢) ط: «أرمة»، وما أثبته من الأغانى.
(٣) الأغانى ٤: ٢٢٨، ٢٢٩.
(٤) الأغانى ٤: ٢٣٠.

أميَّة : بعثني رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بعد قتل خُبيب وأصحابه ، وبعث معي رجلاً من الأنصار ، فقال : ائتيا أبا سفيان بن حرْب فاقتلاه ، قال : فخرجتُ أنا وصاحبي ومعي بعير لي ، وليس مع صاحبي بعير ، وبرجله علَّة . فكنت أحمله على بعيري ؛ حتى جئنا بطن يأجَج ؛ فعقلْنا بعيرنا في فِناءِ شِعْب ، فأسندنا فيه ، فقلت لصاحبي : انطلق بنا إلى دار أبي سفيان ؛ فإني محاول قتلَه . فانظر ؛ فإن كانت مجاولة أو خشيت شيئًا فالحقْ ببعيرك فاركبه ، والحقْ بالمدينة فأتِ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فأخبره الخبر ، وخلِّ عنِّي ؛ فإني رجل عالم بالبلد ، جريء عليه ، نجيب الساق . فلمَّا دخلنا مكَّة ومعي مثل خافية النَّسر —يعني خنجره[1]— قد أعددته ؛ إن عانقني[2] إنسان قتلته به ، فقال لي صاحبي : هل لك أن نبدَأ فنطوفَ بالبيت أسبوعا ، ونصلِّي ركعتين ؟ فقلت : أنا أعلم بأهلِ مكَّة منك ؛ إنهم إذا أظلموا رشُّوا أفنيتَهم ، ثم جلسوا بها ، وأنا أعرَف بها من الفَرَس الأبلق .

قال : فلم يزلْ بي حتَّى أتينا البيت ، فطفنا به أسبوعا ، وصلَّينا ركعتين ، ثم خرجنا فمررنا بمجلس من مجالسهم ، فعرفني رجل منهم ، فصرخ بأعلَى صوته : هذا عمرو بن أميَّة ! قال : فتبادرتْنَا أهلُ مكَّة وقالوا : تالله ما جاء بعمرو خير ! والَّذي يُحلَف به ما جاءها قطّ إلاّ لشرّ — وكان عمرو رجلا فاتكا متشيطنًا في الجاهلية — قال : فقاموا في طلبي وطلب صاحبي ، فقلت له : النَّجاء ! هذا والله الَّذي كنت أحذر ؛ أمَّا الرجل فليس إليه ١/١٤٣٩ سبيل ، فانجُ بنفسك ، فخرجنا نشتدّ حتى أصعدنا في الجبل ، فدخلنا في غار ، فبتْنا فيه ليلتَنا ، وأعجزناهم ، فرجعوا وقد استترتُ دونهم بأحجار حين دخلت الغار ، وقلت لصاحبي : أمهِلْني حتى يسْكُن الطلب عنَّا ؛ فإنهم والله ليطلبُنَّا ليلتهم هذه ويومهم هذا[3] حتى يمسُوا . قال : فوالله إني لفيه إذْ أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التيميّ ، يتخيّلُ[4] بفرس له ، فلم يزل يدنُو ويتخيّلُ بفرسه حتى قام علينا بباب الغار . قال : فقلت لصاحبي : هذا والله ابنُ مالك ؛

(١) و : « خنجراً » . (٢) ابن الأثير : « عانقني » . (٣) و : « غداً » .
(٤) يتخيل ، أي يعجب بنفسه ، وفي ط : « يختل » . وفي ابن الاثير : « يختل » .

والله لئن رآنا ليُعلمنّ بنا أهل مكّة . قال : فخرجت إليه فوجأته بالخنجر تحت الثّدى ، فصاح صيحة أسمع أهل مكة ، فأقبلوا إليه ، ورجعت إلى مكانى ، فدخلت فيه ، وقلت لصاحبى : مكانك ! قال : واتّبع أهلُ مكة الصوتَ يشتدّون ، فوجدوه وبه رَمق ، فقالوا : ويلكَ مَنْ ضربك ! قال : عمرو بن أميّة : ثم مات وما أدركوا ما يستطيع أن يخبرهم بمكاننا ، فقالوا : والله لقد علمنا أنّه لم يأت لخير ، وشغلهم صاحبهم عن طلبنا ، فاحتملوه ، ومكثنا فى الغار يومين حتى سكن عنّا الطلب . ثم خرجنا إلى التّنعيم ؛ فإذا خشبةُ خُبيب ، فقال لى صاحبى : هل لك فى خُبَيب تُنزله عن خشبته ؟
١٤٤٠/١ فقلت : أين هو ؟ قال : هو ذاك حيث ترى . فقلت : نعم ، فأمهلْنى وتنحّ عنّى . قال : وحوله حرس يحرُسونه . قال عمرو بن أميّة : فقلت للأنصارىّ : إن خشيت شيئًا فخذ الطريق إلى جَمَلك فاركبْه والحقْ برسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأخبِرْه الخبر ، فاشتددت إلى خشبته فاحتللتُه واحتملتُه على ظهرى ؛ فوالله ما مشيتُ إلاّ نحو أربعين ذراعًا حتى نذِروا بى ، فطرحته ؛ فما أنسى وجْبَتَه حين سقط ؛ فاشتدّوا فى أثرِى ، فأخذت طريق الصفراء فأعْيَوْا ، فرجعوا ، وانطلق صاحبى إلى بعيره فركبه ؛ ثم أتَى النبىّ صلّى عليه وسلّم فأخبره أمرَنا ، وأقبلت أمشى ، حتى إذا أشرفْتُ على الغليل ، غليل[1] ضَجْنان ، دخلت غارًا فيه ، ومعى قوسى وأسهمى ، فبينا أنا فيه إذْ دخل علىّ رجل من بنى الدّيل بن بكر ، أعورُ طويل يسوق غنمًا له ، فقال : مَن الرجل ؟ فقلت : رجل من بنى بكر ، قال : وأنا من بنى بكر ، ثم أحد بنى الدّيل . ثم اضطجع معى فيه ، فرفع عقيرته يتغنّى ويقول :

ولستُ بمسْلِمٍ ما دمتُ حيًّا ولستُ أدِينُ دِينَ المُسْلِمينَا

فقلت : سوف تعلم! فلم يلبث الأعرابىّ أن نام وغطّ ، فقمت إليه فقتلته أسوأ قِتْلة قَتَلها أحدٌ أحدًا ؛ قمت إليه فجعلت سِيَةَ قوسى فى عينه الصحيحة ، ثم تحاملت عليها حتى أخرجتها من قفاه .
١٤٤١/١ قال : ثم أخرُج مثل السَّبُع ؛ وأخذت المحجّة كأنى نسر ، وكان النّجاء حتى أخرج على بلد قد وصفه ، ثم على رَكوبة ، ثم على النّقيع ؛ فإذا رجلان

(١) الغليل ، واحد الغلان : وهى منابت الطلح ، وضجنان : موضع بعينه .

من أهل مكة بعثَتْهما قريش يتحسَّسان من أمرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرفتهما فقلت : استأسِرا ، فقالا : أنحن نستأسر لك ! فأرمى أحَدهما بسهم فأقتله ، ثم قلت للآخر : استأسِر ، فاستأسَرَ ، فأوثقته ، فقدمتُ به على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن سليمان بن وردان ، عن أبيه ، عن عمرو بن أميَّة ، قال : لما قدمتُ المدينة ، مررتُ بمشيَخة من الأنصار ، فقالوا : هذا والله عمرو بن أميَّة ، فسمع الصبيان قولهم ، فاشتدّوا إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يخبرونه ، وقد شددت إبهام أسيرى بوَتر قوسي ، فنظر النبيّ صلَّى اللهعليه وسلَّم إليه فضحك حتى بدَت نواجذه ، ثم سألني فأخبرته الخبر ، فقال لى خيراً ودعا لى بخير .

* * *

وفى هذه السنة تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة أمّ المساكين من بنى هلال فى شهر رمضان ، ودخل بها فيه ، وكان أصدَقها اثنتى عشرة أوقية ونَشًّا[1] ؛ وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث ، فطلقها .

ذكر خبر بئر معونة

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة — أعنى سنة أربع من الهجرة — كان من أمر السريَّة التى وجَّهها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقُتلت ببئر مَعُونة . وكان سبب توجيه النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم إيَّاهم لِمَا وجَّههم له ، ما حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة ، قال : وحدّثنى محمد بن إسحاق، قال : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم بالمدينة بقيّة شوّال وذا القَعْدة وذا الحِجَّة والمحرَّم ، وولىَ تلك الحجَّة المشركون . ١/١٤٤٢

ثم بعث أصحاب بئر معونة فى صفَر على رأس أربعة أشهر من أحُد ، وكان من حديثهم ما حدّثنى أبى : إسحاق بن يَسار ، عن المغيرة بن عبدالرحمن ابن الحارث بن هشام ، وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وغيرهمامن أهل العلم ، قالوا : قدم أبو برَاء عامر بن مالك بن جعفر ملاَعِبُ

(١) النش : وزن نواة من ذهب ؛ وقيل : هو وزن عشرين درهماً .

الأسنَّة — وكان سيِّد بنى عامر بن صَعْصعة — على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم المدينة ، وأهدى له هدّية ، فأبى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أن يقبلَها ، وقال : يا أبا بَراء ، لا أقبل هديّة مشرك ، فأسْلِمْ إن أردتَ أن أقبل هديّتك. ثم عرض عليه الإسلام ، وأخبره بما له فيه ، وما وعد الله المؤمنين من الثَّواب ، وقرأ عليه القرآن فلم يسلِم ولم يبعُد ، وقال : يا محمَّد ، إنَّ أمرك هذا الذى تدعو إليه حَسَنٌ جميل ، فلو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نَجْد فدعَوْهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك . فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إنى أخشى عليهم أهل نجْد ! فقال أبو بَراء : أنا لهم جارٌ ، فابعثهم فليدعُوا النَّاس إلى أمرك . فبعث رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم المنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة المُعْنِقَ[1] ليموت فى أربعين رجلا من أصحابه من خيار المسلمين ؛ منهم الحارث بن الصِّمَّة ، وحرام بن مِلْحان أخو بنى عدىّ بن النّجار ، وعُروة بن أسماء بن الصَّلْت السُّلَمىّ ، ونافع ابن بُدَيْل بن ورقاء الخُزاعىّ ، وعامر بن فُهَيرة مولى أبى بكر ؛ فى رجال مُسَمَّيْنَ من خيار المسلمين[2] . ١ / ١٤٤٣

فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن حُميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : بعث رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم المنذرَ بن عمرو فى سبعين راكبًا ، فساروا حتى نزلوا بئر مَعونة — وهى أرض بين أرض بنى عامر وَحرّة بنى سُليم ، كِلاَ البلدين منها قريب ، وهى إلى حرّة بنى سليم أقرب — فلمّا نزلوها بعثوا حرام بن مِلْحَان بكتاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطُّفَيْل ، فلمَّا أتاه لم ينظر فى كتابه ، حتى عدَا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر ، فأبوْا أن يجيبوه إلى مادعاهم إليه ، وقالوا : لن نُخْفِرَ أبا بَراء ؛ قد عقد لهم عقدًا وجوارًا ، فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سُليم : عُصَيَّة ، ورِعْلا ، وذَكْوَان ؛ فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غَشُوا القوم ، فأحاطوا

(١) المعنق : المسرع ؛ وإنما سمى بذلك لأنه أسرع إلى الشهادة .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٤

بهم فى رحالهم، فلمّا رأوْهم أخذوا السيوف، ثم قاتلوهم حتى قُتلوا عن آخرهم، إلاّ كعب بن زيد أخا بنى دينار بن النّجار، فإنهم تركوه وبه رمقٌ، فارتُثّ[1] من بين القتلى، فعاش حتى قُتِل يوم الخندق.

وكان فى سَرْح القوم عمرو بن أمية الضمرىّ، ورجل[2] من الأنصار أحد بنى عمرو بن عوف، فلم يُنْبِئهما بمُصاب أصحابهما إلا الطّير تحوم على العسكر، فقالا: والله إن لهذه الطير لشأنًا، فأقبلا لينظرا إليه، فإذا القوم فى دمائهم، وإذا الخيل التى أصابتهم واقفة. فقال الأنصارىّ لعمرو بن أميّة: ماذا ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله صلّى الله ١/١٤٤٤ عليه وسلّم فنخبره الخبر، فقال الأنصارىّ: لكنّى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قُتِل فيه المنذر بن عمرو، وما كنتُ لتخبرنى عنه الرجال. ثمّ قاتل القوم حتى قُتِل، وأخذوا عمرو بن أمية أسيرًا، فلما أخبرهم أنّه من مُضَر، أطلقه عامر بن الطُّفَيل، وجَزّ ناصيته، وأعتقه عن رقبة زعم أنّها كانت على أمّه. فخرج عمرو بن أميّة حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة، أقبل رجلان من بنى عامر حتى نزلا معه فى ظلّ هو فيه؛ وكان مع العامريّيْن عقدٌ من رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وجوارٌ لم يعلم به عمرو بن أميّة، وقد سألهما حين نزلا: ممّن أنتما؟ فقالا: من بنى عامر، فأمهلهما حتّى إذا ناما عَدا عليهما فقتلهما، وهو يرى أنّه قد أصاب بهما ثؤرَة[3] من بنى عامر، بما أصابوا من أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم. فلمّا قدم عمرو بن أميّة علَى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم أخبره الخبر، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: لقد قتلتَ قتيلين لأدِيَنّهما. ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: هذا عمل أبى بَراء؛ قد كنت لهذا كارهًا متخوّفًا. فبلغ ذلك أبا بَراء فشقّ عليه إخْفَارُ عامر إيّاه، وما أصاب رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بسببه وجواره، وكان فيمنْ أصيب عامر بن فُهَيْرة[4].

* * *

(١) ارتث، أى وقع وبه جراح.

(٢) قال ابن هشام: «هو المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح».

(٣) الثؤرة: الثأر. (٤) سيرة ابن هشام ٢: ١٧٤، ١٧٥

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سَلَمة ، عن محمّد بن إسحاق ، عن هشام بن عُروةَ ، عن أبيه ، أنّ عامرَ بن الطُّفَيل ، كان يقول : إنّ الرجل منهم لما قتل رأيته رُفع بين السماءِ والأرض حتى رأيت السماءَ من دونه . قالوا : هو عامر بن فهيرة[1] .

١٤٤٥/١ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن أحد بنى جعفر ، رجل من بنى جبّار بن سُلْمَى بن مالك ابن جعفر ، قال : كان جبّار فيمن حَضَرها[2] يومئذ مع عامر ، ثم أسلم بعد ذلك . قال : فكان يقول : ممّا دعانى إلى الإسلام أنّى طعنت رجلا منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه ، فنظرت إلى سِنان الرّمح حين خرج من صدره ، فسمعته يقول حين طعنته : فُزْتُ والله ! قال : فقلت فى نفسى : ما فاز ! أليس قد قتلتُ الرجل ! حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : الشهادة ، قال : فقلت : فاز لعَمْرُ الله ! فقال حسّان بن ثابت يُحَرّضُ بنى أبى البَراءِ على عامر بن الطُّفَيل :

بَنِي أمّ البَنِينَ أَلَمْ يَرُعكُمْ ... وأنْتُمْ من ذَوَائِبِ أَهْلِ نَجْدِ[3]
تَهَكُّمُ عامِرٍ بأبى بَرَاء ... لِيُخْفِرَهُ ، وما خَطَأٌ كعَمْدِ
ألا أبْلِغْ رَبيعَةَ ذا المَسَاعِي ... فما أحْدَثْتَ فى الحدَثانِ بَعْدِى[4]
أبوك أَبو الْحُرُوبِ أبو بَرَاء ... وخالُك ماجِدٌ حَكَمُ بن سَعْدِ

وقال كعب بن مالك فى ذلك أيضًا :

لقد طارَتْ شَعَاعًا كلَّ وَجْهٍ ... خِفَارَةُ ما أجارَ أَبُو بَرَاء

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٥

(٢) أى فيمن حضر يوم بئر معونة .

(٣) ديوانه ١٠٧ مع اختلاف فى ترتيب الأبيات .

(٤) المساعى : السعى فى طلب المجد والمكارم .

فمثلُ مُسَهَّبٍ وبنِي أَبيهِ بِجَنْبِ الرَّدْهِ مِنْ كَنَفَيْ سَوَاءِ[1] ١٤٤٦/١
بَنِي أُمِّ البَنِين أَمَا سَمِعْتُمْ دُعاءَ الْمُسْتَغِيثِ مَعَ المَسَاءِ!
وتَنْوِيهَ الصَّرِيخِ بَلَى ولٰكِنْ عَرَفْتُمْ أَنَّه صَدْقُ اللِّقَاءِ
فما صَفِرَتْ عِيَابُ بَنِي كِلَابٍ ولا القُرَطاءِ من ذَمِّ الْوَفاءِ
أعامِرَ عَامِرَ السَّوْءاتِ قِدْماً فلا بالعَقْلِ فُزْتَ ولا السَّنَاءِ
أَأَخْفَرْتَ النَّبِيَّ وكُنْتَ قِدْماً إلى السَّوْءاتِ تَجْرِى بالعَرَاءِ!
فلَسْتَ كجارِ جَارِ أبى دُوَادٍ ولا الأَسَدِىّ جارِ أَبِي العَلاَءِ
ولٰكِنْ عارُكُمْ داءٌ قديمٌ وداءُ الغَدْرِ فاعْلَمْ شَرُّ داءِ

فلَمّا بلغ ربيعةَ بن عامر أبى البَراء قولُ حسّان وقولُ كعب ، حملَ على عامر بن الطُّفَيل فطعنه ، فشطب الرُّمْحُ عن مقتله ، فخرّ عن فرسه . فقال : هذا عمل أبى بَراء ! إنْ متّ فدمى لعَمِّى ولا يُتْبَعَنَّ به ؛ وإن أعش فسأرَى رأيِى فيما أتِىَ إلى[2]

* * *

حدّثنى محمد بن مرزوق ، قال : حدّثنا عمرو بن يونس ، عن عكرمة ، قال : حدّثنا إسحاق بن أبى طلحة ، قال : حدّثنى أنس بن مالك فى أصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم الذين أرسلهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أهل بئر معونة ؛ قال : لا أدرى ، أربعين أو سبعين ! وعلى ذلك الماءِ عامرُ بن الطُّفَيل الجعفرىّ ، فخرج أولئك النَّفر من أصحابِ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم الذين بُعثوا ؛ حتى أتوْا غارًا مشرفا على الماءِ قعدوا فيه . ثم قال بعضهم لبعض : أيُّكم يبلِّغ رسالة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم أهل هذا الماءِ ؟ فقال — أراه ابن مِلْحان الأنصارى — : أنا أبلِّغ رسالَة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فخرج حتى أتى حِوَاءً منهم ، فاحتبى أمام البيوت ، ثم قال : يا أهلَ بئر معونة ، إنّى رسولُ رسولِ الله إليكم ، ١٤٤٧/١

(١) و : « بجنب المرو » . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٤ ، ١٧٥

إنّى أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا عبده ورسوله، فآمنوا بالله ورسوله. فخرج إليه من كِسْرِ البيت برمح فضرب به فى جَنْبه حتى خرج من الشِّقّ الآخر، فقال: الله أكبر، فُزْتُ وربّ الكعبة! فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه فى الغار، فقتلهم أجمعين عامرُ بن الطُّفيل.

قال إسحاق: حدّثنى أنس بن مالك أنّ الله عزّ وجلّ أنزل فيهم قُرْآنا: «بلِّغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربّنا، فرضِىَ عنّا، ورضينا عنه»، ثم نُسِخت، فرفعت بعد ما قرأناه زمانًا، وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ﴾ (١)

حدّثنى العبّاس بن الوليد، قال: حدّثنى أبى، قال: حدّثنا الأوزاعىّ، قال: حدّثنى إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة الأنصارىّ عن أنس بن مالك، قال: بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى عامر بن الطُّفَيل الكلابىّ سبعين رجلا من الأنصار. قال: فقال أميرُهم: مكانَكم حتى آتيَكم بخبر القوم! فلمّا جاءهم قال: أتؤمّنوننى حتى أخبرَكم برسالة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟ قالوا: نعم؛ فبينا هو عندهم؛ إذ وخَزه رجلٌ منهم بالسِّنان. قال: فقال الرّجل: فُزْتُ وربِّ الكعبة! فقتل، فقال: عامر: لا أحسبه إلاّ أنّ له أصحابًا، فاقتصّوا أثرَه حتى أتوْهم فقتلوهم، فلم يفلِت منهم إلا رَجُلٌ واحدٌ. ١٤٤٨/١

قال أنس: فكنا نقرأ فيما نُسِخ: «بلِّغوا عنّا إخْوانَنا أنْ قَدْ لقِينا ربَّنا، فرضِىَ عنا ورضينا عنه».

* * *

وفى هذه السنة — أعنى السنة الرابعة من الهجرة — أجلَى النبىّ صلى الله عليه وسلم بنى النّضير من ديارهم.

* * *

ذكر خبر جلاء بنى النضير

قال أبو جعفر: وكان سبب ذلك ما قد ذكرنا قبل من قَتْل عمْرو بن

(١) سورة آل عمران ١٦٩، ١٧٠، والخبر فى التفسير ٧: ٣٩٣.

أميّة الضَّمْرىّ الرّجُلين الذين قَتَلَهما فى منصرَفه من الوجه الذى كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وجّهه إليه مع أصحاب بئر معونة، وكان لهما من رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم جوارٌ وعهدٌ. وقيل إنّ عامرَ بن الطُّفَيل كتب إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلم: إنك قتلت رجليْن لهما منك جوارٌ وعهدٌ؛ فابعث بديتَيهما. فانطلق رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى قُباء، ثم مال إلى بنى النَّضير مستعينًا بهم فى دِيَتِهما، ومعه نفر من المهاجرين والأنصار، فيهم أبو بكر وعمر وعلىّ وأسيْد بن حُضَير.

فحدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثنى محمد بن إسحاق، قال: خرجَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى بنى النَّضير، يستعينهم فى دِيَةِ ذَيْنِكَ القتيلين[1] من بنى عامر اللَّذَيْن قتل عمرو بن أمية الضَّمْرىّ، للجوار الذى كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عقده لهما؛ — كما حدثنى يزيد بنُ رُومان — وكان بين بنى النَّضير وبين بنى عامر حِلْف وعقد؛ فلمّا أتاهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يستعينهم فى دِيَة ذيْنك القتيلين؛ قالوا: نعم يا أبا القاسم، نعينُك على ما أحببت ممّا استعنت بنا عليه. ثم خلا بعضُهم ببعض، فقالوا: إنّكم لن تجدوا هذا الرجل على مثل حاله هذه — ورسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى جَنْب جدار[2] من بيوتهم، قاعد — فقالوا: مَن رجل يعلو على هذا البيت، فيلقى عليه صخرة فيقتله بها فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جِحاش بن كعب أحدهم؛ فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقى عليه الصخرة — كما قال — ورسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه؛ فيهم أبو بكر وعمر وعلىّ؛ فأتى رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم الخبرُ من السماء بما أراد القوم، فقام وقال لأصحابه: لا تبرحوا حتى آتيكم، وخرج راجعًا إلى المدينة، فلمّا استلْبث رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم أصحابُه، قاموا فى طلبه، فلقُوا رجلاً مقبلا من المدينة، فسألوه عنه، فقال: رأيتُه داخلا المدينة، فأقبل أصحابُ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم حتى انتهوْا إليه، فأخبرهم الخبر بما كانت يَهُود قد أرادت

١٤٤٩/١

(١) و: «الرجلين».
(٢) م: «خراب».

من الغدْر به ، وأمر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم بالتهيُّؤ لحربهم ، والسير إليهم .

ثم سار بالنَّاس إليهم ؛ حتى نزل بهم ، فتحصّنوا منه فى الحصون ، فأمر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بقطع النخل والتَّحريق فيها ، فنادوْه : يا محمَّد ، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على مَنْ صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها[1] !

* * *

قال أبو جعفر : وأما الواقدىّ ، فإنه ذكر أن بنى النَّضير لما تآمروا بما تآمروا به من إدلاء الصّخْرة على رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلم ، نهاهم عن ذلك سَلاّم بن مِشْكَم وخوّفهم الحرب وقال : هو يعلم ما تريدون ، فعصوْه ، فصعِد عمرو بن جِحاش لِيُدَحْرِجَ الصخرة ، وجاء النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم الخبر من السماء ، فقام كأنَّه يريد حاجة ، وانتظره أصحابه ، فأبطأ عليهم ، وجعلت يهود تقول : ما حبس أبا القاسم ، وانصرف أصحابه ؟ فقال كنانة بن صُورَيا[2] : جاءه الخبر بما هممتم به ، قال : ولما رجع أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهوْا إليه وهو جالس فى المسجد ، فقالوا : يا رسول الله ، انتظرناك ومضيْت ، فقال : همّت يهود بقتلِى ، وأخبرَنيه الله عزّ وجلّ ، ادعُوا لِى محمد بن مسلمة ، قال : فأتى محمد بن مسلمة[3] ، فقال : اذهب إلى يهود فقل لهم : اخرجوا من بلادى فلا تساكنونى وقد هممتم بما هممتم به من الغدر . ١/١٤٥٠

قال : فجاءهم محمد بن مسلمة ، فقال لهم : إنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يأمركم أن تظعنوا من بلاده ، فقالوا : يا محمَّد ، ما كنا نظنّ أن يجيئنا بهذا رجل من الأوس ! فقال محمد : تغيَّرت القلوب ، ومحا الإسلام العهود ؛

(١) قال السهيلى : « قال أهل التأويل : وقع فى نفوس المسلمين من هذا الكلام شىء ؛ حتى أنزل الله تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا . . ﴾ الآية .

(٢) م : « من موريا » .

(٣) م : « فأتى بمحمد » .

فقالوا : نتحمّل . قال : فأرسل إليهم عبدُ الله بن أبىّ يقول : لا تخرجوا ، فإنّ معى من العرب وممّن انضوى إلىّ من قومى ألفيْن ، فأقيموا فهم يدخلون معكم ، وقُريظة تدخل معكم . فبلغ كعب بن أسد صاحب عهد بنى قُرَيظة فقال : لا ينقض العهدَ رجل من بنى قُرَيظة وأنا حَىٌّ ، فقال سَلاّم بن مِشْكم لحُيَىّ بن أخطب : يا حُيىّ اقبل هذا الذى قال محمّد ؛ فإنّما شرُفْنا على قومنا بأموالنا قبل أن تقبل ما هو شَرٌّ منه . قال : وما هو شرٌّ منه ؟ قال : أخذ الأموال وسبْىُ الذريّة وقتل المقاتلة ، فأبى حُيَىّ ، فأرسل جُدَىّ ابن أخطب إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنا لا نريم[1] دارنا فاصنع ما بدا لك ! قال : فكبّر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكبّر المسلمون معه ، وقال : حاربت يهود ، وانطلق جُدَىّ إلى ابن أبىّ يستمدّه . قال : فوجدْتُه[2] جالسًا فى نفر من أصحابه ، ومنادى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ينادى بالسلاح ، فدخل ابنه عبد الله بن عبد الله ابن أبىّ ، وأنا عنده ، فأخذ السِّلاح ، ثم خرج يعدُو ، قال : فأيست من معونته . قال : فأخبرت بذلك كله حُيَيًّا ، فقال : هذه مكيدة من محمّد ، فزحف إليهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فحاصرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم خمسةَ عشر يومًا ؛ حتى صالحوه على أن يحقِنَ لهم دماءهم ، وله الأموالُ والحلْقة . ١٤٥١/١

فحدّثنى محمد بن سعد ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى عمّى ، قال : حدّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : حاصرهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم — يعنى بنى النّضير — خمسةَ عشر يومًا حتّى بلغ منهم كلّ مبلغ ، فأعطوْه ما أراد منهم ، فصالحهم على أن يحقِن لهم دماءهم ، وأن يُخرجهم من أرضهم وأوطانهم ، ويسيّرهم إلى أذرِعات الشأم ، وجعل لكلّ ثلاثة منهم بعيرًا وسِقَاءً .

(١) م : « ندع » .

(٢) و : « فوجده » .

حدثنا ابنُ عبد الأعلى ، قال : حدّثنا محمد بن ثور ، عن معمَر ، عن الزّهريّ ، قال : قاتلهم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم حتى صالحهم على الجلاء ، فأجلاهم إلى الشأم ، على أنّ لهم ما أقلّت الإبلُ من شيء إلا الحلْقة — والحلْقة : السِّلاح .

* * *

١٤٥٢/١ رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال : وقد كان رهطٌ من بنى عوف بن الخزرج ، منهم عبد الله بن أبى بن سَلُول ووديعة ومالك بن أبى قوقل ، وسويد وداعس قد بعثوا إلى بنى النَّضير : أن اثبتوا وتمنّعوا ؛ فإنّا لن نسلمكم ؛ وإن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرِجْتم خرجنا معكم ، فتربّصوا فلم يفعلوا ؛ وقذف الله فى قلوبهم الرُّعْبَ ، فسألوا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم أن يُجلِيَهم ، ويكفّ عن دمائهم ؛ على أنّ لهم ما حملت الإبل من أموالهم ؛ إلاّ الحلْقة . ففعل . فاحتملوا من أموالهم ما استقلّت به الإبل ، فكان الرّجل منهم يهدِم بيتَه عن نِجاف[1] بابه ؛ فيضعه على ظهر بعيره ؛ فينطلق به . فخرجوا إلى خَيْبر ، ومنهم مَنْ سار إلى الشأم ؛ فكان أشرافهم ممّن سار منهم إلى خيبر سلاّم بن أبى الحُقَيق ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحُقيق ، وحُيَىّ بن أخطب ، فلما نزلوها دانَ لهم أهلها[2] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، أنّه حدّث أنّهم استقلوا بالنِّساء والأبناء والأموال ، معهم الدّفوف والمزامير والقِيان يعزِفْن خلفهم ، وأنّ فيهم يومئذ لأمّ عمرو ، صاحبة عُرْوة بن الورد العبسىّ ؛ التى ابتاعوا منه ، وكانت ١٤٥٣/١ إحدى نساء بنى غِفار[3] بُزهاء[4] وفَخْر ، ما رُئِىَ مثله من حىّ من الناس فى

(١) النجاف : العتبة التى بأعلى الباب .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٦ ، ١٧٨

(٣) هى سلمى ، وقال الأصمعى : اسمها ليلى بنت شعواء ، وقال أبو الفرج : هى سلمى أم وهب ، امرأة من كنانة ؛ كانت ناكحة فى مزينة ، فأغار عليهم عروة بن الورد فسباها . وكنانة من غفار . وانظر الروض الأنف .

(٤) الزهاء : الكبر والإعجاب .

زمانهم ؛ وخلّوا الأموالَ لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصّة يضعها حيث يشاء ، فقسّمها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأولين دون الأنصار ، إلاّ أنّ سهل بن حُنيف وأبا دُجانة سِمَاك بن خَرَشَةَ ، ذكرا فقرًا فأعطاهما رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم . ولم يسلم من بنى النّضير إلاّ رجلان : يامين بن عمير بن كعب ابن عمّ عمرو بن جِحاش ، وأبو سعد بن وهب ، أسلما على أموالهما فأحرزاها(١) .

قال أبو جعفر : واستخلف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إذ خرج لحرب بنى النّضير — فيما قيل — ابنَ أمّ مكتوم ، وكانت رايتُه يومئذ مع علىّ بن أبى طالب عليه السلام .

* * *

وفى هذه السنة ماتَ عبدُ الله بن عثْمان بن عفّان ، فى جمادَى الأولى منها ، وهو ابن ستّ سنين ، وصلّى عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ونزل فى حفرته عثمان بن عفان .

وفيها ولِد الحسين بن علىّ عليه السلام ، لليالٍ خلوْن من شعبان .

* * *

[غزوة ذَات الرقاع]

واختلِف فى التى كانت بعد غزوة النبىّ صلّى الله عليه وسلم بنى النّضير من غزواته ، فقال ابن إسحاق فى ذلك ، ما حدّثنا ابن حُميد ؛ قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثم أقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة بعد غزوة بنى النّضير شهرىْ ربيع ، وبعض شهر جُمادى . ثمّ غزا نجدًا — يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان — حتى

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٨ .

١٤٥٤/١ نزل نخلاً ، وهى غزوةُ ذات الرّقاع (١) ؛ فلقىَ بها جمعًا (٢) من غَطَفان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهُمْ حرب ؛ وقد خاف النَّاس بعضُهم بعضًا ، حتى صلَّى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالمسلمين صلاةَ الخوف ، ثم انصرف بالمسلمين (٣) .

وأما الواقدىّ ؛ فإنه زَعَم أنّ غزوة رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلم ذات الرّقاع ، كانت فى المحرّم سنة خمس من الهجرة . قال : وإنما سُمِّيت ذاتَ الرّقاع ؛ لأن الجبل الذى سُميت به ذات الرّقاع جبل به سواد وبياض وحمرة ؛ فسمّيت الغزوة بذلك الجبل . قال : واستخلف رسول الله صلَّى الله عليه وسلم فى هذه الغَزْوة على المدينة عثمان بن عفان .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى محمد بن جعفر بن الزبير ومحمد — يعنى ابن عبدالرحمن — عن عُروة بن الزُّبير ، عن أبى هُريرة ، قال : خرجنا مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلم إلى نجْد ، حتى إذا كنَّا بذات الرّقاع من نَخْل ، لقىَ جمعًا من غطفان ؛ فلم يكن بيننا قتال ؛ إلاّ أن الناس قد خافُوهم ، ونزلت صلاة الخوف ، فَصَدَع أصحابَه صدعين ، فقامت طائفة مواجِهة العدوّ ، وقامت طائفة خلْف رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فكبَّر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فكبَّرُوا جميعًا ، ثم ركع بِمَنْ خلْفه ، وسجد بهم ، فلمّا قاموا مشوُا القهقرى إلى مصافّ أصحابهم ، ورجع الآخرون ، فصلُّوا لأنفسهم ركعة ، ثم قاموا فصلَّى بهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ركعة
١٤٥٥/١ وجلسوا ، ورجع الَّذين كانوا مواجهين العدوّ (٤) ، فصلَّوا الركعة الثانية ،

(١) قال ابن هشام : « وإنما قيل لها غزوة ذات الرقاع ؛ لأنهم رقعوا بهاراياتهم . ويقال : ذات الرقاع : شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع » .

(٢) ابن هشام : « جمعاً عظيماً » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٢ : « بالناس » .

(٤) س : « مواجهى العدو » .

فجلسوا جميعًا ، فجمعهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالسلام ، فسلَّم عليهم .

* * *

قال أبو جعفر : وقد اختلفت الرّواية فى صفة صلاة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم هذه الصلاة ببطن نخْل اختلافًا متفاوتًا ، كرهت ذكره[1] فى هذا الموضع خشية إطالة الكتاب ، وسأذكره إن شاء الله فى كتابنا المسمّى « بسيط القول فى أحكام شرائع الإسلام » فى كتاب صلاة الخوف منه . وقد حدّثنا محمد بن بشّار ، قال : حدّثنا معاذ بن هِشَام ، قال : حدّثنى أبى ، عن قتادة ، عن سليمان اليشكرىّ ، أنّه سأل جابرَ بن عبد الله عن إقصار الصّلاة : أىّ يوم أنزل ، أو فى أىّ يوم هو ؟ فقال جابر : انطلقنا نتلقّى[2] عيرَ قريش آتية من الشأم ؛ حتّى إذا كنّا بنخْل جاء رجلٌ من القوم إلى رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال : يا محمد ، قال : نعم ، قال : هل تخافنى ؟ قال : لا ، قال : فمن يمنعُك منّى ؟ قال : الله يمنعنى منك ، قال : فسلّ السيفَ ثم تهدّده وأوعده . ثم نادى بالرحيل وأخْذ السلاح . ثم نودى بالصّلاة ، فصلَّى نبىّ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بطائفة من القوم ، وطائفة أخرى تحرُسهم ، فصلَّى بالذين يلُونَه ركعتين ، ثم تأخَّر الَّذين يلُونه على أعقابهم ، فقاموا فى مصافّ أصحابهم ، ثمّ جاء الآخرون فصلَّى بهم ركعتيْن ، والآخرون يحرسونهم . ثم سلَّم ، فكانت للنبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم أربع ركعات ، وللقوم ركعتين ركعتين ؛ فيومئذ أنزل الله عزّ وجلّ فى إقصار الصّلاة ، وأمرِ المؤمنون بأخْذ السلاح[3] .

١٤٥٦/١ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن البصرىّ ، عن جابر بن عبد الله الأنْصارىّ ؛ أنّ رجلاً من بنى محارب يقال له فلان بن الحارث ، قال لقومه من غَطَفان ومحارب : ألاّ أقتلُ لكم محمدًا ؟ قالوا : نعم ، وكيف تقتله ؟ قال : أفْتِكُ به ؛ فأقبلَ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وهو جالسٌ ، وسيفُ

(١) كذا فى و ، وفى ط : « ذكرها » . (٢) ط : « متلقى » ، وما أثبته من التفسير

(٣) الخبر فى التفسير ٩ : ١٣٢

رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فى حجره ، فقال : يا محمّد ، انظرُ إلى سيفك هذا ! قال : نعم ، فأخذه فاستلّه ، ثم جعل يهزّه ويهمّ به ، فيكبته الله عزّ وجلّ . ثم قال : يا محمّد ، أما تخافنى؟ قال : لا ، وما أخاف منك ؟ قال : أما تخافنى وفى يدى السيف ؟ قال : لا ، يمنعنى الله منك! قال : ثم غمّد السيف ، فردّه إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأنزل الله عزّ وجلّ :

﴿ يَأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اُذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴾[1] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى صدقة بن يَسار ، عن عَقِيل بن جابر ، عن جابر ابن عبد الله الأنصارىّ ، قال : خرجنا مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فى غزوة ذات الرِّقاع من نخْل ، فأصاب رجل من المسلمين امرأة من المشركين ، فلمّا انصرفَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قافلا أتى زوجُها وكان غائبًا ، فلمّا أخبِر الخبر ، حلَف ألاّ ينتَهىَ حتى يُهريق فى أصحاب محمّد دما ، فخرج يتبع أثر رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فنزل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم منزلاً ، فقال : مَنْ رجل يكلؤنا ليلتنا هذه ؟ فانتدب رجلٌ من ١٤٥٧/١
المهاجرين ورجُلٌ من الأنصار ، فقالا : نحنُ يا رسولَ الله ، قال : فكونا بفم الشِّعب — وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابُه قد نزلوا الشِّعب ، من بطْن الوادى — فلمّا خرج الرجلان إلى فم الشِّعب ، قال الأنصارىّ للمهاجرىّ ؛ أى الليل تحبّ أن أكفيكه ؟ أوّله أو آخره ؟ قال : بل اكفنى أوّله ؛ فاضطجع المهاجرىّ فنام ، وقام الأنصارىّ يصلّى ، وأتى زوج المرأة ، فلمّا رأى شخص الرجل عرف أنه رَبِيئَة القوم ، فرمى بسهم فوضعه فيه فنزعه ، فوضعه وثبت قائمًا يصلّى . ثم رماه بسهم آخر ، فوضعه فيه ، فنزعه ، فوضعه وثبت قائمًا يصلّى ، ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه ، فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ، ثم أهبّ صاحبه ، فقال : اجلس ، فقد أتِيت[2] .

(١) سورة المائدة ١١ ، وانظر سيرة ابن هشام٢ : ١٨٢ . (٢) ابن هشام : « أثبت » .

قال: فوثب المهاجرىّ، فلمّا رآهما الرجل، عرف أنهم قد نذِروا به؛ ولمّا رأى المهاجرىّ ما بالأنصارىّ من الدماء، قال: سبحان الله! أفلا؛ أهببْتنى أوّل ما رَماك! قال: كنتُ فى سورة أقرؤها فلم أحبّ أن أقطعها حتى أنفدها؛ فلمّا تتابع علىّ الرمىُ ركعتُ فآذنتُك، وايم الله لولا أن أضيِّع ثغرًا أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظِه لقطَع نفسِى قبل أن أقطعها أو أنفِدَها (١).

* * *

ذكر الخبر عن غزوة السويق

وهى غزوة النبىّ صلى الله عليه وسلم بدْرًا الثانية لميعاد أبى سفيان.

١٤٥٨/١ حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، قال: لما قَدِمَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة من غزوَة ذات الرّقاع، أقام بها بقيّة جُمادى الأولى وجمادَى الآخرة ورجبَ، ثم خرج فى شعبان إلى بدر لميعاد أبى سفيان حتى نزله، فأقام عليه ثمانىَ ليالٍ ينتظر أبا سُفيان، وخرج أبو سُفْيان فى أهل مكّة، حتى نزل مَجَنّة من ناحية مرّ الظّهْران — وبعض الناس يقول: قد قطع عُسفان — ثم بدا له الرجوع، فقال: يا معشرَ قريش، إنّه لا يصلحكم إلاّ عامٌ خِصْب ترعوْن فيه الشجر، وتشربون فيه اللّبن؛ وإنّ عامَكم هذا عام جَدْب؛ وإنّى راجع فارجعوا. فرجع ورجع الناس، فسمّاهم أهل مكّة جيش السّويق. يقولون: إنّما خرجتم تشربون السّويق.

فأقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده، فأتاه مَخشِىُّ بن عمرو الضّمْرىّ، وهو والذى وادعه على بنى ضَمْرة فى غزوة وَدّان، فقال: يا محمد، أجئت للقاء قريش على هذا الماء؟ قال: نعم يا أخا بنى ضَمْرة؛ وإن شئت مع ذلك رَدَدْنا إليك ما كان بيننا وبينك،

(١) سيرة ابن هشام ٢: ١٨٢، ١٨٣.

* هى غير الغزوة التى عرفت بهذا الاسم أيضاً؛ وقد مر ذكرها فى حوادث السنة الثانية ص ٤٨٣.

ثم جالدناك . حتى يحكم الله بيننا وبينك . فقال : لا والله يا محمّد ، ما لنا بذلك منك من حاجة ، وأقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ينتظر أبا سفيان ؛ فمرّ به مَعْبَدُ بن أبى معبَد الخُزاعىّ ، وقد رأى مكان رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وناقته تهوِى[1] به فقال :

١٤٥٩/١ قد نَفَرَتْ من رُفقَتَىْ محمّدِ وعَجوَةٍ من يَثْرِبٍ كالعُنْجُدِ[2]
تَهْوِى على دِينِ أبيها الأتْلَدِ[3] قد جَعَلَتْ ماءَ قُدَيْدٍ مَوْعِدِى
* وماءَ ضَجْنان لها ضُحَى الْغَدِ[4] *

* * *

وأما الواقدىّ ؛ فإنه ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نَدَب أصحابَه لغزوة بدْر لموعد أبى سفيان الذى كان وعده الالتقاء فيه يوم أحُد رأس الحوْل للقتال فى ذى القعدة . قال : وكان نُعَيم بن مسعود الأشْجَعىّ قد اعتمر ، فقدم على قريش ، فقالوا : يا نُعيم ، من أين كان وجهك ؟ قال : مِنْ يثرب ، قال : وهل رأيتَ لمحمد حركة ؟ قال : تركته على تعبئة لغزوكم ، — وذلك قبل أن يسلِم نعيم — قال : فقال له أبو سفيان : يا نُعيم ، إنّ هذا عام جَدْبٌ ، ولا يصلحنا إلاّ عامٌ ترعى فيه الإبل الشجر ، ونشرب فيه اللبن ، وقد جاء أوان موعد محمّد ، فالحق بالمدينة فثَبِّطْهم وأعلمهم أنّا فى جمع كثير ، ولا طاقة لهم بنا ؛ فيأتى الخُلْف منهم أحبّ إلىّ من أن يأتىَ من قبَلنا ، ولك عشر فرائض أضعها لك فى[5] يد سُهيل بن عمرو يضمنُها . فجاء سهيل بن عمرو إليهم ، فقال نعيم لسهيل : يا أبا يزيد ، أتضمن[6] هذه الفرائض وأنطلق إلى محمد فأثبِّطَه ؟ فقال : نعم ، فخرج نُعَيم حتى قدم المدينة ، فوجد الناس يتجهّزون ، فتدسّس لهم ، وقال : ليس هذا برأى ،

(١) تهوى : تسرع .
(٢) العنجد : حب الزبيب .
(٣) الدين هنا : الدأب والعادة . والأتلد : القديم .
(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٦ .
(٥) و : « على » .
(٦) م : « تقمن » .

ألم يُجرح محمد فى نفسه ! ألم يقتل أصحابه ! قال : فثبَّط الناسِ ؛ حتى
بلغ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم ، فتكلَّم ، فقال : والَّذى نفسِى بيده ، ١٤٦٠/١
لو لم يخرج معى أحد لخرجت وحدِى .

ثم أنهجَ الله عزّ وجلّ للمسلمين بصائرهم ؛ فخرجوا بتجارات ، فأصابوا الدّرهم درهمين ؛ ولم يلقوْا عدُوًّا ؛ وهى بَدْر الموعد ؛ وكانت موضع سوق لهم فى الجاهلية ، يجتمعون إليها فى كلّ عام ثمانية أيام .

قال أبو جعفر : واستخلف رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم على المدينة عبد الله بن رَوَاحة .

* * *

قال الواقدىّ : وفى هذه السنة تزوّج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أمّ سلَمة بنت أبى أميَّة فى شوّال ؛ ودخل بها .

قال : وفيها أمَر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم زيد بن ثابت أن يتعلَّم كتاب يهود ؛ وقال : إنّى لا آمن أن يبدّلوا كتابى .

ووليَ الحجَّ فى هذه السنة المشركون .

ثم كانت السنة الخامسة من الهجرة

ففى هذه السنة تزوّج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم زينبَ بنت جحش .

حُدّثت عن محمّد بن عمر ، قال : حدّثنى عبد الله بن عامر الأسلمىّ عن محمّد بن يحيى بن حبّان ، قال : جاء رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم بيتَ زيد بن حارثة ، وكان زيد إنّما يقال له زيد بن محمد ، ربّما فقده رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الساعة ، فيقول : أين زيد ؟ فجاء منزله يطلبه فلم يجده ، وقامت إليه زينب بنت جحش زوجته فُضُلا[1] ؛ فأعرض
١٤٦١/١ عنها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقالت : ليس هو هاهنا يا رسولَ الله ، فادخل بأبى أنت وأمّى ! فأبى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يدخل ؛ وإنّما عجِلت زينب أن تلبس إذْ قيل لها : رسولُ الله[2] صلّى الله عليه وسلّم على الباب ، فوثبت عجِلة ، فأعجبت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فولّى وهو يهمهم بشىء لا يكادُ يفهم ؛ إلاّ أنه أعلن : سبحان الله العظيم ! سبحان الله مُصَرّف القلوب ! قال : فجاء زيدٌ إلى منزله ، فأخبرته امرأته أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أتى منزله ، فقال زيد : ألا قلتِ له : ادخل ! فقالت : قد عرضتُ عليه ذلك فأبى ، قال : فسمعتِه[3] يقول شيئًا ؟ قالت : سمعتُه[4] يقول حين ولّى : سبحان الله العظيم ، سبحان الله مصرّف القلوب ! فخرج زيدٌ حتى أتى[5] رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا رسول الله ؛ بلغنى أنك جئت منزلى[6] ؛ فهلاّ دخلت بأبى أنت وأمّى يا رسول الله ، لعل زينب أعجبتْك فأفارقها ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أمسِكْ

(١) يقال : امرأة فضل ، أى تلبس ثوباً واحداً .
(٢) س : « هذا رسول الله » .
(٣) كذا فى م ، وفى ط : « فسمعتيه » .
(٤) و : « قد سمعته » .
(٥) س : « رأى » .
(٦) س : « إلى منزلى » .

عليك زوجَك، فما استطاع زيد إليها سبيلا بعد ذلك اليوم؛ فكان يأتى رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فيخبره ، فيقول له رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أمسِكْ عليك زوجَك ؛ ففارقها زيد واعتزلها وحلَّت .

فبينا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يتحدّث مع عائشة ؛ إذ أخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم غَشْيَة، فسُرِّىَ عنه وهو يتبسَّمُ ويقول[1] : مَنْ يذهب إلى زينب يبشِّرها ، يقول : إنّ الله زوّجَنيها ؟ وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وإذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَك ... ﴾[2] القصّة كلّها . ١٤٦٢/١

قالت عائشة : فأخذنى ما قَرُبَ وما بَعُدَ لما يبلغنا من جمالها ؛ وأخرى هى أعظمُ الأمور وأشرفها ، ما صنع الله لها ؛ زوّجَها ، فقلت : تَفْخَرُ علينا بهذا .

قالت عائشة : فخرجت سَلْمَى خادم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم تخبرها بذلك ، فأعطتها أوضاحًا عليها[3] .

حدّثنى يونسُ بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهب ، قال : قال ابنُ زيد : كان النبىّ صلى الله عليه وسلَّم قد زوّج زيد بن حارثة زينبَ بنت جحش ابنة عمّته ، فخرج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يومًا يريده ، وعلى الباب سِتْرٌ من شعر ؛ فرفعت الريح الستر فانكشف وهى فى حُجْرَتها حاسرة ، فوقع إعجابُها فى قلب النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، فلمّا وقع ذلك كُرِّهَتْ إلى الآخر ، قال : فجاء فقال : يا رسولَ الله ، إنى أريد أن أفارق صاحبتى ، فقال : مالك ! أرابَكَ منها شىء ! فقال : لا والله يا رسولَ الله ، ما رابنى منها شىء ، ولا رأيت إلا خيرًا . فقال له رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أمسِك عليك زوْجَك واتقِ الله؛ فذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿وَإذْ تَقُولُ

(١) م ؛ « وهو يقول » .

(٢) سورة الأحزاب ٣٧ .

(٣) الأوضاح : جمع وضح ؛ وهو حلى من فضة .

لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ ﴾، تخفى فى نفسك إنْ فارقَها تزوجتَها[1].

* * *

[غزوة دومة الجندل]

قال الواقدىّ : وفيها غزَا دَوْمة الجنْدل فى شهر ربيع الأول ، وكان سببُها أنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بلغه أن جمعًا تجمَّعوا بها ودنوْا من أطرافه . فغزاهُم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ حتى بلغ دَوْمة الجندل ، ولم يلقَ كيدًا ، وخلّف على المدينة سباع بن عُرْفُطَة الغِفارىّ . ١٤٦٣/١

* * *

قال أبو جعفر : وفيها وادَعَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عُيَيْنَةَ ابن حِصْن أن يرعى بتَغْلَمَيْن وما والاها .

قال محمد بن عمر — فيما حدّثنى إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه — وذلك أن بلاد عُيَيْنَةَ أجدبت ، فوادع رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم أن يرعى بتغلميْن إلى المرَاض ؛ وكان ما هنالك قد أخصب بسحابة وقعت ، فوادعه رسول الله صلَّى الله عليه وسلمّ أن يرعى فيما هنالك .

قال الواقدىّ : وفيها تُوفيتْ أم سعد بن عبادة وسعد غائبٌ مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى دومة الجندل .

* * *

ذكر الخبر عن غزوة الخندق

وفيها : كانت غزوةُ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم الخندَق[2] فى شوّال ؛ حدّثنا بذلك ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق :

(١) الخبر فى التفسير ٢٢ : ١٠ — ١١ (بولاق) .

(٢) أخبار غزوة الخندق فيما نقل عن ابن إسحاق فى سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٧ — ١٩٣ .

وكان الذى جرّ غزوة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم الخندق — فيما قيل — ما كان من إجلاء رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم بنى النّضير عن ديارهم .

فحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رُومان ، مولى آل الزُّبير ، عن عُرْوة بن الزبير ومَنْ لا أتّهم ، عن عبيد الله بن كعب بن مالك ، وعن الزُّهرىّ ، وعن عاصم بن عمر بن قتادة ، وعن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعن ١٤٦٤/١
محمد بن كَعْب القُرَظىّ وعن غيرهم من علمائنا ؛ كلٌّ قد اجتمع حديثه فى الحديث عن الخندق ، وبعضهم يحدّث ما لا يحدّث بعض ؛ أنه كان من حديث الخندق أنّ نفرًا من اليهود منهم سلاّم بن أبى الحُقَيق النّضَرىّ(١) وحُيَىّ بن أخْطَب النّضَرىّ ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيق النّضَرىّ ، وهَوْذَة بن قيس الوائلىّ ، وأبو عمّار الوائلىّ ؛ فى نفر من بنى النّضير ونَفر من بنى وائل ؛ هم الذين حزّبوا الأحزاب على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكّة ؛ فدَعَوْهم إلى حرْب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقالوا : إنّا سنكونُ معكم عليه حتى نستأصِله ، فقالت لهم قريشُ : يا معشَر يهود ؛ إنّكم أهلُ الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمّد ، أفدِينُنا خيرٌ أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خيرٌ من دينه ، وأنتم أولَى بالحقّ منه . قال : فهم الذين أنزل الله عزّ وجلّ فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴾ — إلى قوله — ﴿ وكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً ﴾(٢) .

فلمّا قالوا ذلك لقريش ، سرّهم ما قالوا ونشطوا لما دعوْهم إليه من حرْب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأجمعوا لذلك واتّعدوا له .

(١) قال السهيلى : « ونسب طائفة من بنى النضير ؛ فقيل فيهم : النضرى ؛ وهكذا تقيد فى النسخة العتيقة ، وقياسه النضيرىّ ؛ إلا أن يكون من باب قولهم : « ثقفى وقرشى ؛ وهو خارج عن القياس » .

(٢) سورة النساء ٥١ — ٥٥ .

ثم خرج أولئك النَّفر من يَهود حتى جاءوا غَطَفان من قيْس عَيْلان
١٤٦٥/١ فدعوْهم إلى حَرْب رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ؛ وأنّ قريشا تابعوهم على ذلك وأجمعوا فيه ، فأجابوهم .

فخرجت قريش وقائدُها أبو سفيان بن حرْب ، وخرجت غَطَفان وقائدها عُيَيْنة بن حِصْن بن حذيفة بن بدر فى بنى فَزارة ، والحارث بن عوْف بن أبى حارثة المرّى فى بنى مرّة ، ومسعود[1] بن رُخَيْلَة بن نُوَيْرَة ابن طَريف بن سُحْمةَ بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشْجَع بن رَيْث بن غَطَفان ؛ فيمن تابعه من قومه من أشجع .

* * *

فلمّا سمع بهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وبما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة . فحدّثت عن محمد بن عمر ، قال : كان الذى أشار عَلَى رسول الله صلَّى الله عليه وسلم بالخندق سَلْمان ، وكان أوّل مشهد شهِده سلْمان مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ وهو يومئذ حرّ ، وقال : يا رسولَ الله ؛ إنا كنَّا بفارس إذا[2] حوصرنا خَنْدَقْنا علينَا .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاقْ : فعَمِل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ترغيبًا للمسلمين فى الأجر ، وعمل فيه المسلمون : فدأب فيه ودأبوا ، وأبطأ عَن
١٤٦٦/١ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وعن المسلمين فى عملهم رجالٌ من المنافقين ، وجعلوا يُوَرُّون بالضَّعْف[3] من العمل ، ويتسلَّلون إلى أهاليهم بغير علْم من رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ولا إذن . وجعل الرَّجُل من المسلمين إذا نابتْه نائبة من الحاجة التى لا بدّ منها يذكر ذلك لرسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ويستأذنه فى اللحوق بحاجته[4] ؛ فيأذن له ؛

(١) كذا فى ط ؛ وهو يوافق ما فى الإصابة ٣ : ٣٩٠ ؛ وفى السيرة : « مسعر » .

(٢) م : « إن » .

(٣) ابن هشام : « بالضعيف » . ويورون : يستترون .

(٤) س : « بأهله لحاجته » .

فإذا قضى حاجتَه رجع إلى ما كان فيه من عمله رغبةً فى الخير ، واحتسابًا له ؛ فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(١) . فنزلت هذه الآية فى كلّ من كان من أهل الحِسْبَةِ من المؤمنين والرغبة فى الخير ؛ والطاعة لله ولرسوله صلّى الله عليه وسلم . ثم قال يعنى المنافقين الذين كانون يتسلّلون من العمل ، ويذهبون بغير إذْن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ إلى قوله : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾(٢) ، أى قد علم ماأنتم عليه من صدق أوكَذِب ، وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ؛ وارتجزوا فيه برَجُل من المسلمين يقال له جُعَيْل ، فسمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم « عَمْرًا » ، فقالوا :

سَمَّاهُ مِنْ بعدِ جُعَيْلٍ عَمْرَا وكانَ لِلْبَائِسِ يَوماً ظَهْرَا(٣)

فإذا مرّوا بعمرو ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « عمرا » ، ١٤٦٧/١
وإذا قالوا : « ظهرًا » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « ظهرا »(٤) .

فحدّثنا محمد بن بشار ، قال : حدّثنا محمد بن خالد بن عَثْمَةَ ، قال : حدّثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزنىّ ، قال : حدّثنى أبى ، عن أبيه ، قال : خطّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الخَنْدق عامَ الأحزاب

(١) سورة النور ٦٢ .
(٢) سورة النور ٦٣ ، ٦٤ .
(٣) الظهر : القوة والمعونة ؛ والضمير فى « سماه » للنبى صلى الله عليه وسلم . وقال : أبو ذر الخشنى : « وقد يجوز فيه وجه ثان ؛ وهو أن يكون الظهر هنا : الإبل ؛ فيكون البيت على وجه آخر تقديره : وكان المال للبائس يوماً ظهراً ؛ فأضمر اسم « كان » ؛ وإن لم يتقدم ما يفسره ؛ لأن مساق الكلام يدل عليه ؛ كما قالوا : إذا كان غداً فأتنى ؛ أى إذا كان اليوم غدا » .
(٤) ابن هشام : « وإذا مروا بظهر » .

من أجُم الشَّيْخَيْن (١) طرف بنى حارثة ؛ حتى بلغ المذاد (٢) ثم قطَّعه أربعين ذراعًا بين كلّ عشرة ، فاحْتق (٣) المهاجرون والأنصار فى سلْمان الفارسىّ — وكان رجلاً قويًّا — فقالت الأنصار : سلْمان منَّا ، وقالت المهاجرون : سلْمان منَّا ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : سلْمان منَّا أهلَ البيت . قال عمرو بن عوف : فكنتُ أنا وسلْمان ، وحُذَيفة بن اليمان ، والنعمان بن مقرّن المزنىّ ، وستة من الأنصار فى أربعين ذراعًا ، فحفرنا تحت ذوباب حتى بلغنا النَّدى (٤) ، فأخرج الله عزّ وجلّ من بطن الخندق صخرةً بيضاء (٥) مَرْوَةً فكسرت حديدَنا ، وشقَّت علينا . فقلنا : يا سلْمان ، ارقَ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فأخبرْه خبرَ هذه الصخرة ، ١٤٩٨/١
فإمَّا أن نعدِل عنها فإنّ المعدل قريب ، وإمَّا أن يأمرنا فيها (٦) بأمره ؛ فإنا لا نحبّ أن نجاوزَ خطَّه .

فَرَقِىَ سلمان حتى أتى رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وهو ضاربٌ عليه قُبَّة تُرْكيَّة ؛ فقال : يا رسولَ الله ، بأبينا أنت وأمِّنا ! خرجتْ صخرة بيضاء من الخندق (٧) مَرْوة ، فكسرتْ حديدَنا ، وشقَّت علينا حتى ما نُحيك (٨) فيها قليلا ولا كثيرًا ؛ فمُرْنا فيها بأمرك ؛ فإنا لا نحبّ أن نجاوزَ خطَّك .

(١) الأجم : واحد آجام المدينة ، وهو بمعنى الأطم ، وآجام المدينة آطامها وحصونها . والشيخان : موضع بالمدينة ؛ كان فيه معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة خرج لقتال المشركين بأحد . انظر ياقوت (أجم — شيخ) .

(٢) المذاد ، قال ياقوت : « موضع بالمدينة حيث حفر الخندق النبى صلى الله عليه وسلم » .

(٣) فى اللسان : « احتق القوم : قال كل واحد منهم : الحق فى يدى ؛ وفى حديث ابن عباس فى قراء القرآن : متى ما تغلوا فى القرآن تحتقوا ، يعنى المراد فى القرآن ؛ ومعنى تحتقوا تختصموا فيقول كل واحد منهم : الحق فى يدى » . وفى س ، و ، والتفسير : « فاختلف » .

(٤) م : « الترى » ، س : « الشرى » ، التفسير : « الصربى » .

(٥) المرو : حجارة بيض براقة تكون فيها النار ، وتقدح منها ، واحدتها مروة .

(٦) كذا فى التفسير ، وفى ط : « فيه » .

(٧) التفسير : « من بطن المروة » .

(٨) التفسير : « حتى ما يجىء منها قليل ولا كثير » .

فهبط رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم مع سلْمان فى الخندق ، ورقِينا نحن التِّسعةَ على شقَّة[1] الخندق، فأخذ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم المِعْول من سلْمان ، فضرب الصَّخرة ضَرْبةً صدَعها ، وبرقت منها بَرْقة أضاء ما بين لابتَيْها[2] — يعنى لابتِى المدينة — حتَّى لكأنّ مصباحًا فى جوف بيت مظلم . فكبَّر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم تكبير فتح ، وكبَّر المسلمون . ثم ضربها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم الثانية ، فصدَعها وبرق منها برقة أضاء منها ما بين لابتيْها ، حتَّى لكأنّ مصباحًا فى جوف بيت مظلم ؛ فكبَّر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم تكبيرَ فتح وكبّر المسلمون . ثم ضربها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم الثالثة فكسرها ، وبرقَ منها برقة أضاء ما بين لابتيْها ؛ حتى لكأنّ مصباحًا فى جوف بيت مظلم ، فكبَّر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم تكبيرَ فتح وكبَّر المسلمون ، ثم أخذ بيد سلمان فرقِىَ ، فقال سلْمان : بأبى أنت وأمّى يا رسول الله ! لقد رأيت شيئًا ١٤٦٩/١
ما رأيته قطّ ! فالتفت رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى القوم، فقال : هل رأيتُم ما يقول سلْمان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، بأبينا أنت وأمّنا قد رأيناك تضرب فيخرج برق كالموْج، فرأيناك تكبِّر فنكبّر ، ولا نرى شيئًا غير ذلك . قال : صدقتم ، ضربت ضربتى الأولى ، فبرق الذى رأيتم ، أضاءت لى منها قصور الحِيرة ومدائن كسرى ، كأنَّها أنياب الكلاب ، فأخبرنى جبريلُ أنّ أمتى ظاهرة عليها ، ثم ضربتُ ضربتى الثانية ، فبرق الَّذى رأيتُم ؛ أضاءت لى منها قصور الحُمْر من أرض الرُّوم ، كأنَّها أنياب الكلاب ، فأخبرنى جبريل أنّ أمّتى ظاهرة عليها ، ثم ضربتُ ضربتى الثالثة ، فبرق منها الَّذِى رأيتُم ؛ أضاءت لى منها قصور صنْعاء كأنَّها أنياب الكلاب ، فأخبرنى جبريل أنّ أمتى ظاهرة عليها ، فأبشروا يبلغهم النَّصر ، وأبشروا يبلغهم النصر ، وأبشروا يبلغهم النصر ! فاستبشر المسلمون ، وقالوا : الحمدُ لله موعد صادق بارّ ، وعدنا النصر بعد الحصر . فطلعت الأحزاب ، فقال المؤمنون : ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾[3]

(١) س والتفسير : « شفة الخندق » . (٢) اللابة : الحرة ، والمدينة تقع بين لابتين .
(٣) سورة الاحزاب ٢٢ .

وقال المنافقون: ألا تعجبون! يحدّثكم ويُمَنّيكم ويَعِدُكم الباطل! يخبركم أنه يبصر من يثرب قصورَ الحيرة ومدائن كسرى؛ وأنها تُفْتح لكم؛
١٤٧٠/١ وأنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا! وأنزل القرآن: ﴿وإذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ والَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إلَّا غُرُوراً﴾[1].

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق عمّن لايتّهم، عن أبي هريرة، أنه كان يقول حين فتحت هذه الأمصار في زمن عمر وعثمان وما بعده: افتتحوا ما بدالكم! فوالّذي نفس أبي هريرة بيده؛ ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلاّ وقد أعطِيَ محمّد مفاتيحَها قبل ذلك.

حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق قال: كان أهلُ الخندق ثلاثة آلاف. قال: ولمّا فرغ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجُرُف والغابة[2]، في عشرة آلاف من أحابيشهم، ومَنْ تابعهم من كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غَطَفان ومَنْ تابعهم من أهل نجْدٍ؛ حتى نزلوا بذَنب نَقَمَى إلى جانب أحُد.

وخرج رسولُ الله صلّى الله تعالى وسلّم عليه والمسلمون؛ حتى جعلوا ظهورهم إلى سَلْع، في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره[3]،
١٤٧١/١ وأمر بالذراريّ والنساء. فرفعوا[4] في الآطام[5]. وخرج عَدُوُّ الله حُيَيُّ بن أخطب؛

(١) سورة الأحزاب ١٢، والخبر في التفسير ٢١: ٨٥، ٨٦ (بولاق).

(٢) كذا في ط، وفي ابن هشام: «زغابة». قال السهيلي: «زغابة: اسم موضع، بالغين المنقوطة والزاي المفتوحة».

(٣) م: «عسكرهم».

(٤) م: «فدفعوا»، وابن هشام: «فجعلوا».

(٥) الآطام: الحصون، الواحد أطم.

حتى أتى كعب بن أسدَ القُرظىّ صاحب عَقْد بنى قُرَيظة وعهدهم ؛ وكان قد وادَع رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم على قومِه ، وعاهده على ذلك وعاقده ؛ فلمّا سمع كعب بحُيىّ بن أخطب ، أغْلَقَ دونه حِصْنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له ، فناداه حُيَىٌّ : يا كعب ، افتح لى ، قال : ويحك يا حيىّ ! إنك امرؤٌ مشئوم ، إنى قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بينى وبينه ، ولم أر منه إلاّ وفاءً وصدقا . قال : ويْحك ! افتح لى أكلّمك ، قال : ما أنا بفاعل ؛ قال : والله إن أغلقتَ دونى إلاّ على جَشيشتك[1] أن آكل معك منها ؛ فأحفَظ[2] الرجل ، ففتح له ، فقال : ويْحك يا كعب ! جئتك بعزّ الدّهر وببَحْرٍ طامٍ ، جئتك بقريش على قادتها وسادتها ؛ حتى أنزلتُهم بمجتَمع الأسيال من رومة ، وبغَطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذَنَب نَقَمَى إلى جانب أحُد ؛ قد عاهدونى وعاقدونى ألاّ يبرحوا حتى يستأصِلوا محمداً ومَنْ معه . فقال له كعب بن أسَد : جئتنى والله بذلّ الدهر ! بَجَهَام قد هراق ماءَه يرعِد ويُبرق ، ليس فيه شئ ! ويْحك فدعنى ومحمداً وما أنا عليه ؛ فلم أرَ من محمد إلا صدقًا ووفاءً ! فلم يزلْ حُيَىّ بكعب يَفْتِله فى الذّرْوة والغارب ؛ حتى سَمَح له ، علَى أن أعطاه عهداً من ١٤٧٢/١
الله وميثاقا : لئن رجعت قريش وغَطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك فى حِصْنك حتى يصيبَنى ما أصابك . فنقض كعب بن أسد عهدَه ، وبرئ ممّا كان عليه فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما انتهى إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم الخبر وإلى المسلمين ، بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم سعد بن مُعاذ بن النعمان بن امرئ القيس أحد بنى عبد الأشهل — وهو يومئذ سيِّد الأوْس — وسعد بن عبادة بن دُلَيم ، أحد بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج — وهو يومئذ سيِّد الخزْرج — ومعهما عبدُ الله بن رَواحة أخو بلْحارث بن الخزرج ، وخَوّات بن جُبَير ، أخو بنى عمرو بن عوف ؛ فقال : انْطلِقُوا حتى تنظروا : أحقّ ما بلغنا عن

(١) الجشيشة : طعام يصنع من الجشيش . وهو البر يطحن غليظاً .
(٢) أحفظه : أغضبه .

هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقًّا فالحنوا لى لَحْنًا نعرفه ، ولا تَفُتُّوا فى أعضاد الناس ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس .

فخرجوا حتى أتوْهم فوجدوهم على أخبث ما بلَغهم عنهم ، ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : لا عقْد بيننا وبين محمَّد ولا عهد . فشاتَمهم سعد بن عبادة وشاتَمُوه ، وكان رجلا فيه حَدّ[1] ، فقال له سعد ابن مُعاذ : دَعْ عنك مشاتَمتهم ؛ فما بيننا وبينهم أرْبَى[2] من المشاتمة . ١٤٧٣/١
ثم أقبل سعد وسعد ومَنْ معهما إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلم فسلَّموا عليه ، ثم قالوا : عَضَل والقَارة [أى][3] كغدر عَضَل والقارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلَّم أصحاب الرَّجيع ؛ خُبَيْب بن عَدِىّ وأصحابه . فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : الله أكبر ! أبشروا يا معشرَ المسلمين ، وعَظُمَ عند ذلك البلاء ، واشتدّ الخوف ، وأتاهم عدوّهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتَّى ظنّ المؤمنونَ كلّ ظنّ ، ونَجَم النِّفاق من بعض المنافقين ، حتى قال مُعَتِّبُ ابن قُشَيْر ، أخو بنى عمرو بن عوف : كان محمدٌ يعِدُنا أن نأكلَ كنوزَ كسرى وقيصر ؛ وأحدنا لا يقدِرُ أن يذهب إلى الغائط ! وحتى قال أوس بن قيظىّ ، أحد بنى حارثة بن الحارث : يا رسولَ الله ، إن بيوتَنا لعوْرَة من العدوّ — وذلك عن ملأ من رجال قومه — فأذَنْ لنا فلنرجع إلى دارنا ؛ فإنَّها خارجة من المدينة .

فأقام رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وأقام المشركون عليه بضعًا وعشرين ليلة ، قريبًا من شهر ؛ ولم يكن بين القوم حَرْب إلاّ الرّمىّ[4] بالنَّبْل والحصار .

فلما اشتدّ البلاء على النَّاس بعث رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم — كما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة . وعن محمّد بن مسلم بن شهاب الزهرىّ — إلى

(١) ابن هشام : « حدة » ؛ وهما بمعنى الغضب .
(٢) أربى : أعظم .
(٣) من سيرة ابن هشام .
(٤) ابن هشام : « الرميا » بكسر الميم والراء المشددتين وتخفيف الباء ؛ وهى المراماة .

عُيَينة بن حصن ، وإلى الحارث بن عَوْف بن أبي حارثة المرّيّ — وهما قائدا ١٤٧٤/١
غَطَفان — فأعطاهما ثلث ثمار المدينة ؛ على أن يرجِعَا بمَنْ معهما عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه ، فجرى بينه وبينهم الصلح ؛ حتى كتبوا الكتاب ، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلاّ المراوضة فى ذلك ، ففَعَلا ، فلما أراد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يفعل ، بعث إلى سعد بن مُعاذ وسعد بن عبادة ؛ فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه فقالا : يا رسول الله ؛ أمرٌ تحبُّه فنصنعه ، أم شيءٌ أمرك الله عزّ وجلّ به ؛ لا بُدّ لنا من عمل به ، أم شيءٌ تصنعه لنا ؟ قال : لا ، بل لكم ؛ والله ما أصْنَعُ ذلك إلاّ أنى رأيت العرب قد رَمَتْكم عن قوس واحدة ، وكالَبُوكم[1] من كلّ جانب ، فأردت أن أكسِرَ عنكم شوكتَهم لأمرٍ ما ساعة . فقالَ له سعْد بن معاذ : يا رسولَ الله ؛ قد كُنَّا نحنُ وهؤلاء القوم على شِرْك بالله عزّ وجلّ وعبادة اللأوثان ، ولا نعبد الله ولا نعرفه ؛ وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا تمرة إلاّ قِرًى[2] أو بيعًا ، أفحين أكرمَنا الله بالإسلام ، وهدانا له ، وأعزّنا بك ، نُعْطيهم أموالنا ! ما لنا بهذا من حاجة ؛ والله لا نعطيهم إلاّ السيف حتى يحكُم الله بيننا وبينهم . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : فأنت وذاك ! فتناول سعدٌ الصحيفة ؛ فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : لِيَجْهدوا علينا .

فأقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم والمسلمون وعدوّهم محاصروهم ؛ ١٤٧٥/١
لم يكن بينهم قتال إلاّ أنّ فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدُودّ بن أبي قيس ، أخو بنى عامر بن لُؤىّ ، وعِكْرِمة بن أبي جهل وهُبَيْرة بن أبي وهب المخزوميّان ، ونوْفَل بن عبد الله ، وضِرار بن الخطّاب[3] بن مرداس ، أخو بنى محارب بن فِهْر ؛ قد تلبّسوا للقتال ، وخرجوا على خيلهم ، ومرّوا على بنى كِنانة ، فقالوا : تهيّئوا يا بنى كنانة للحرب ؛ فستعلمون اليوم

(١) كالبوكم : اشتدوا عليكم .

(٢) القرى : ما يصنع للضيف من الطعام .

(٣) زاد ابن هشام بعدها : « الشاعر » .

مَنْ الفرسان ! ثم[1]أقبلوا نحو الخندق ؛ حتّى وقفوا عليه[1] ، فلمّا رأوه قالوا : والله إنّ هذه لمكيدةٌ ما كانت العرب تكيدها ؛ ثم تيمّموا مكانًا من الخندق ضيِّقًا ، فضربوا خيولَهم ، فاقتحمت منه ؛ فجالت بهم فى السَّبَخة بين الخنْدق وسَلْع ، وخرج علىّ بن أبى طالب فى نَفر من المسلمين ؛ حتى أخذ عليهم الثُّغْرَةَ التى أقْحَمُوا منها خيلَهم ، وأقبلت الفرسان تُعَنِّقُ[3] نحوهم . وقد كان عمرو بن عبدوُدٌ قاتل يوم بدر ؛ حتى أثبتتْه الجراحة ، فلم يشهد أحدًا ، فلما كان يوم الخندق خرج مُعْلِمًا[2] ليُرَى مكانُه ؛ فلمَّا وقف هو وخيله ، قال له علىّ : يا عمرو ؛ إنك كنتَ تعاهد الله ألاّ يَدْعُوَك رجلٌ من قريش إلى خلَّتَيْن إلا أخذتَ منه إحداهما ! قال : أجَلْ ! قال له علىٌّ بن أبى طالب : فإنى أدعوك إلى الله عزّ وجلّ وإلى رسوله وإلى الإسلام ، قال : لا حاجة لى بذلك ؛ قال : فإنى أدعوك إلى النِّزال ، قال : ولِمَ يا بن أخى ؛ فوالله ما أحبّ أن أقتلك ! قال : علىّ : ولكنى والله أحبُّ أن أقتلك . قال : فحمِىَ عَمْرو عند ذلك ، فاقتحم عن فَرَسه فعَقَرَه — أو ضَرَبَ وجْهَه — ثم أقبل على علىّ ، فتنازلا وتجاولا ، فقتله علىّ عليه السلام وخرجت خيلُه منهزمة ؛ حتى اقتحمت من الخَنْدق هاربة ، وقتِل مع عمرو رجلان : مُنَبِّه بن عثمان بن عُبَيْد بن السَّبَّاق بن عبد الدار ، أصابه سهم فمات منه بمكّة ؛ ومن بنى مخزوم نوفل بن عبد الله بن المغيرة ؛ وكان اقتحم الخندق فتورّط فيه ، فرموْه بالحجارة ، فقال : يا معشرَ العرب ، قِتْلَة أحسن من هذه ! فنزل إليه علىّ فقتله ، فغلب المسلمون على جسده ، فسألوا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم أن يبيعهم جسدَه ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لا حاجة لنا بجَسده ولا ثمنه ؛ فشأنكم به . فخلّى بينهم وبينه .

١٤٧٦/١

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق

(١ — ١) سيرة ابن هشام : « ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم ؛ حتى وقفوا على الخندق » .

(٢) المعلم : الذى جعل له علامة يعرف بها .

(٣) تعنق : تسرع .

عن أبى ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصارىّ ، ثم أحد بنى حارثة ، أنّ عائشة أمّ المؤمنين كانت فى حِصْن بنى حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة ؛ وكانت أمّ سَعْد بن مُعاذ معها فى الحصن .

قالت عائشة : وذلك قبل أن يضرَب علينا الحجاب . قالت : فمرّ سعدٌ وعليه درْعٌ مقلّصة (١) ، قد خرجت منها ذِراعه كلُّها ؛ وفى يده حربته يرْقُدُ (٢) بها ويقول :

١٤٧٧/١

لَبّثْ قليلا يَشْهَدِ الهَيْجَا حَمَلْ لا بَأْسَ بالمَوْتِ إذَا حانَ الأجَلْ (٣)

قالت له أمّه : الحق يا بُنَىَّ ، فقد والله أخّرْتَ .

قالت عائشة : فقلتُ لها : يا أمّ سعد ؛ والله لوَدِدْتُ أنّ دِرْعَ سعد كانت أسبغَ (٤) مما هى ! قالت : وخفت عليه حيث أصاب السهم منه .

قالت : فرُمِىَ سعد بن معاذ بسهْم ، فقطع منه الأكْحل (٥) ، رماه — فيما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنا محمد ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة — حِبّانُ بن قيس بن العرِقة أحدُ بنى عامر بن لؤىّ ؛ فلمّا أصابه قال : خذْها وأنا ابن العَرِقة ؛ فقال سعدٌ : عرّقَ الله وجهك فى النّار ! اللّهمّ إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقنى لها ، فإنّه لا قومَ أحبّ إلىّ أن أجاهدهم من قوم آذوْا رسولَك ، وكذّبوه وأخرجوه . اللهمّ وإن كنت قد وضعتَ الحرب بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة ولا تُمِتْنى حتى تقرّ عينى من بنى قُرَيظة .

حدّثنا سُفيان بن وكيع ، قال : حدّثنا محمد بن بشر ، قال : حدّثنا محمد بن عمرو ، قال : حدّثنى أبى ، عن علقمة ، عن عائشة ، قالت :

(١) مقلصة : قصيرة قد ارتفعت ؛ يقال : تقلص الشىء ؛ إذا ارتفع وانقبض ، وفى و : « مفاضة » . (٢) يرقد : يسرع .

(٣) قال السهيلى : « هو بيت تمثل به ، يعنى به حمل بن سعدانة بن حارثة بن معقل بن كعب ابن عليم بن جناب الكلبى » .

(٤) أسبغ : أكمل .

(٥) الأكحل : عرق فى الذراع .

خرجتُ يوم الخَنْدق أقْفو آثار الناس ؛ فوالله إنى لأمشِي إذْ سمعت وئيد[1] الأرض خلْفى — تعنِى حِسّ الأرض — فالتفتُّ فإذا أنا بسعد ؛ فجلست إلى الأرض ، ومعه ابن أخيه الحارث بن أوْس — شهد بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حدّثنا بذلك محمد بن عمرو — يحمل مِجَنَّه ، وعلَى سعد دِرْع من حديد قد خرجت أطرافه منها .

قالت : وكان من أعظم الناس وأطولهم .

قالت : فأنا أتخوّفُ على أطراف سعد ، فمرّ بى يرتجز ، ويقول :

لَبِّثْ قليلا يُدْرِكِ الهَيْجَا حَمَلْ ما أحْسَنَ المَوْتَ إذا حان الأجَلْ !

قالت : فلمّا جاوزنى قمتُ فاقتحمت حديقة فيها نَفَر من المسلمين ، فيهم عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه تَسْبِغَة له — قال محمد : والتَّسبغة المِغْفَر — لا تُرى إلا عيناه ، فقال عمر : إنكِ لَجَرِيئة ؛ ما جاء بكِ ؟ ما يدريك لعلّه يكون تحوُّز أو بلاء ! فوالله ما زال يلومنى حتى وددت أن الأرض تنشقّ لى فأدخل فيها ، فكشف الرجل التَّسبغة عن وجهه ، فإذا هو طلحة ؛ فقال : إنك قد أكثرت ، أين الفرار ، وأين التحوُّز إلاّ إلى الله عزّ وجلّ !

قالت : فرَمِيَ سعد يومئذ بسهم ، رماه رجلٌ يقال له ابن العَرِقَة ؛ ١٤٧٩/١
فقال : خذها وأنا ابنُ العَرِقَة ؛ فقال : سعْد : عرّق الله وجهك فى النار ! فأصاب الأكحَل منه فقطعه . قال محمد بن عمرو : زعموا أنّه لم ينقطع من أحد قطّ إلاّ لم يزل يبضّ دماً حتى يموت . فقال سعد : اللّهمّ لا تمِتْنى حتى تقرّ عينى فى بنى قُرَيظة ! وكانوا حلفاءه ومواليه فى الجاهلية .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عمن لا يتّهم ، عن عُبيد الله بن كعب بن مالك ، أنّه كان

(١) قال فى اللسان : « وفى حديث عائشة : خرجت أقفو آثار الناس يوم الخندق ؛ فسمعت وئيد الأرض خلفى . الوئيد : شدة الوطء على الأرض يسمع كالدوى من بعد » .

يقول : ما أصاب سعدًا يومئذ بالسَّهم إلا أبو أسامة الجُشَمىّ حليف بنى مخزوم ؛ فالله أعلم أىّ ذلك كان !

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سَلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عَبّاد ، قال : كانت صفيّة بنت عبد المطّلب فى فارع (حِصْنِ حسّانَ بن ثابت) . قالت : وكان حسّان مَعَنا فيه مع النِّساء والصبيان . قالت صفيّة : فمرّ بنا رجلٌ من يهود ، فجعل يُطِيف بالحصن ، وقد حاربَتْ بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ليس بيننا وبينهم أحدٌ يدفع عنّا ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم والمسلمون فى نحورِ عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إن[1] أتانا آت . قالت : فقلت : ياحسّان ، إنّ هذا اليهودىّ كما ترى ، يُطِيف بالحصن ، وإنى والله ما آمنُه أن يدلّ على عوراتنا مَنْ وراءنا من يهود ، وقد شغل عنّا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه ، فانزلْ إليه فاقتلْه . فقال : يغفر الله لكِ يا بنت عبد المطّلب ! والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا ! قالت : فلمّا قال ذلك لى ، ولَمْ أرَ عنده شيئا احتجزت[2] ؛ ثم أخذت عمودًا ، ثم نزلت من الحِصْنِ إليه فضربته بالعمود حتى قتلته ، فلمّا فرغت منه رجعت إلى الحِصْن ، فقلت : يا حسّان ، انزل إليه فاسلبه ؛ فإنّه لم يمنعْنى من سلَبه إلاّ أنه رجلٌ ؛ قال : مالى بسلَبه من حاجة يا بنت عبد المطلب[3] . ١٤٨٠/١

قال ابنُ إسحاق : وأقامَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابُه ؛

(١) و : « إذا »

(٢) احتجزت : شددت وسطى ، قال أبو ذر الخشنى : « ومن رواه : اعتجرت ، فمعناه شددت معجرى » .

(٣) قال السهيلى : « ويحمل هذا الحديث عند الناس على أن حسان كان جباناً شديد الجبن ؛ وقد رفع هذا بعض العلماء وأنكره ؛ وذلك أنه حديث منقطع الإسناد ؛ وقال : لو صح هذا لهجى به حسان ؛ فإنه كان يهاجى الشعراء ، كضرار وابن الزبعرى وغيرهما ، وكانوا يناقضونه ويردون عليه ، فما عيره أحد منهم بجبن ، ولا وسمه به ؛ فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق ، وإن صح فلعله كان معتلا فى ذلك اليوم بعلة منعته من شهود القتال » .

فيما وصف الله عزّ وجلّ من الخوف والشدّة ؛ لتظاهر عدوّهم عليهم ، وإتيانهم من فَوْقهم ومن أسفل منهم .

ثم إنّ نُعَيْمَ بن مسعود بن عامر بن أُنَيْف بن ثعلبة بن قُنْفُذ بن هلال ابن خلاوة بن أشجع بن رَيْث بن غَطَفان أتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا رسولَ الله ، إنّى قد أسلمت ، وإنّ قومِى لم يعلموا بإسلامى ؛ فمُرْنى بما شئتَ . فقال له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إنّما أنت فينا رجلٌ واحد ؛ فَخَذِّلْ عنّا إن استطعت ؛ فإنّ الحربَ خُدعة . فخرج نُعَيم بن مسعود حتى أتى بنى قُرَيظة — وكان لهم نديمًا فى الجاهليّة — فقال لهم : يا بنى قُرَيظة ، قد عرفتم وُدّى إيّاكم ، وخاصّة ما بينى وبينكم ، قالوا : صدقت ، لستَ عندنا بمتّهم ؛ فقال لهم : إنّ قريشًا وغَطَفان قد ١٤٨١/١
جاءوا لحرب محمّد ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وإنّ قريشًا وغَطَفان ليسوا كهيئتكم [1] ؛ البلد بلدكم ، به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ؛ لا تقدرون على أن تحوّلوا منه إلى غيره ، وإنّ قريشا وغَطَفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم وبلدهم بغيره ؛ فليسوا كهيئتكم ، إن رأوْا نُهْزَةً وغنيمة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقُوا ببلادهم ، وخلّوْا بينكم وبين الرجل ببلدكم ؛ ولا طاقةَ لكم به إن خلا بكم ؛ فلا تقاتلُوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهُنًا من أشرافهم يكونون بأيديكم ؛ ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدًا ؛ حتى تناجزوه ، فقالوا : لقد أشرت برأىٍ ونصحٍ . ثم خرج حتى أتى قريشًا ، فقال لأبى سُفيان بن حرب ومَنْ معه من رجال قريش : يا معشرَ قريش ، قد عرفتم ودّى إياكم ، وفراقى محمدًا ؛ وقد بلغنى أمرٌ رأيتُ حقًّا علىّ أن أبلغكموه نصحًا لكم ، فاكتموا علىّ . قالوا : نفعل ، قال : فاعلموا أنّ معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه أن قد ندِمْنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك عنّا أن نأخذ من القبيلتين من قريش وغَطَفان رجالا من أشرافهم ؛ فنعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ؛ ثمّ نكون معك على مَنْ بقى منهم ؟ فأرسل إليهم أن نعم ؛ فإن بعثتْ إليكم يهودُ يلتمسون منكم رُهُنًا من رجالكم ؛ فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدًا . ثم خرجَ حتى أتى غَطَفان ، فقال : ١٤٨٢/١

(١) ابن هشام : « كأنتم » .

يا معشرَ غطفان؛ أنتم أصلِي وعشيرتى ، وأحبّ الناس إلىّ ، ولا أراكم تتّهموننى! قالوا : صدقتَ ، قال: فاكتموا علىّ ، قالوا : نفعل ، ثم قال لهم مثلَ ما قال لقريش ، وحذّرهم ما حذّرهم ؛ فلمّا كانت ليلة السَّبت فى شوّال سنة خمس ؛ وكان ممّا صنع اللهعزّ وجلّ لرسوله [أن][1] أرسل أبو سفيان ورءوس غَطَفان إلى بنى قريظة عِكْرِمة بن أبى جهل ، فى نفرٍ من قريش وغَطَفان ، فقالوا لهم : إنّا لسْنا بدار مقام ؛ قد هلك الخفّ والحافر ، فاغدوا للقتال حتى نناجزَ محمدًا ونفرُغ ممّا بيننا وبينه ؛ فأرسلوا إليهم أنّ اليوم السَّبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئًا ؛ وقد كان أحدث فيه بعضنا حدَثًا فأصابه ما لم يَخْفَ عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطُونا رُهُنًا من رجالكم ، يكونون بأيدينا ثقة لنا ؛ حتى نناجز محمدًا ؛ فإنّا نخشى إن ضرّستْكم الحرب ، واشتدّ عليكم القتال ، أن تشمّروا إلى بلادكم وتتركونا والرّجل فى بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك من محمدٍ . فلمّا رجعت إليهم الرُّسل بالذى قالت بنو قريظة ، قالت قريش وغطفان : تعلمون والله أنّ الذى حدّثكم نُعَيم بن مسعود لحقّ . فأرسلوا إلى بنى قريظة : إنّا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحدًا من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، فقالت بنو قريظة حين انتهت الرُّسل إليهم بهذا : إنّ الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحقّ ؛ ما يريد القوم إلاّ أن يقاتلوا ؛ فإن وجدوا فرصة انتهزوها ؛ وإن كان غير ذلك ١٤٨٣/١
تشمّروا[2] إلى بلادهم ، وخلّوْا بينكم وبين الرجل فى بلادكم . فأرسلوا إلى قريش وغطفان : إنّا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رُهُنًا ، فأبوْا عليهم ، وخذّل الله بينهم ؛ وبعث الله عزّ وجلّ عليهم الريح فى ليالٍ شاتية شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورَهم ، وتَطْرح أبنيتهم . فلمّا انتهى إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما اختلف من أمرهم ، وما فرّق الله من جماعتهم ، دعا حُذيفة بن اليَمان ، فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلا .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنا يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القُرظىّ ؛ قال : قال فتى

(١) من ابن هشام . (٢) ابن هشام : «انشمروا إلى بلادهم» .

من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، رأيتم رسولَ الله وصحبتموه! قال : نعم يابن أخي ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنّا نجهَد ، فقال الفتى : والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ، ولحملناه على أعناقنا . فقال حذيفة : يابن أخي ؛ والله لقد رأيتُنا مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالخندق ، وصلَّى هَوِيًّا[1] من الليل ، ثم التفت إلينا ، فقال : مَنْ رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم [ثم يَرجع][2] — يشرُط له رسول الله أنه يرجع[3] — أدخله الله الجنَّة ؟ فما قام رجل . ثم صلَّى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم هَوِيًّا من الليل ، ثم التفت إلينا فقال مثله ، فما قام منَّا رجل ، ثم صلَّى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم هَوِيًّا من الليل ، ثم التفت إلينا ، فقال : مَنْ رجُل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع — يشرُط له رسول الله الرجعة — أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة ؟ فما قام رجلٌ من القوم من شدّة الخوف وشدّة الجوع وشدّة البرد . فلما لم يقم أحدٌ دعاني رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فلم يكن لي بدّ من القيام حين دعاني . فقال : يا حذيفة ؛ اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ، ولا تحدثنّ شيئًا حتى تأتيَنا ؛ قال : فذهبت فدخلتُ في القوم والريحُ وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ؛ لا تقرُّ لهم قِدْرًا ولا نارًا ولا بناء . فقام أبو سفيان بن حرب ، فقال : يا معشرَ قريش ، لينظر امرؤٌ جليسَه ، قال : فأخذتُ بيد الرجل الذي كان إلى جنبي ، فقلت : مَنْ أنت ؟ قال : أنا فلان بن فلان . ثم قال أبو سفيان : يا معشرَ قريش ، إنَّكم والله ما أصبحتم بدار مُقام ، لقد هلك الكُرَاع والخُفّ ، وأخلفتْنا[4] بنو قريظة وبلغنا عنهم الَّذي نكره ؛ ولقينا مِنْ هذه الريح ما ترْون ؛ والله ما تطمئنّ لنا قِدْرٌ ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناءٌ ؛ فارتحلوا فإني مرتحل .

١٤٨٤/١

ثم قام إلى جمَله وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على ثلاث ؛ فما أطلق عِقَالَه إلاّ وهو قائم ؛ ولولا عهدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليّ ألاّ أحْدِث[5] شيئًا حتى آتيَه ، ثم شئت لقتلتُه بسهم . قال حذيفة :

(١) الهوى : الهزيع من الليل . (٢) من ابن هشام (٣) ابن هشام : « الرجعة » .
(٤) التفسير : « واختلفت » .
(٥) ابن هشام : « ألا تحدث » .

فرجعتُ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهو قائم يصلّى فى مِرْط لبعض نسائه مُرَحَّلٍ ؛ فلمّا رآنى أدخلنى بين رجليه وطرح علىّ طرف المِرْط [١] ثم ركع وسجد؛ فأذْلَقْتُه . فلمّا سلّم أخبرتُه الخبر ، وسمعتْ غطفان بما فعلتْ قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم [٢] . ١٤٨٥/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق قال : فلمّا أصبح نبىّ الله صلّى الله عليه وسلّم انصرف عن الخندق راجعا إلى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح .

* * *

غَزوة بَنِى قريظة

فلما كانت الظُّهْر ، أتى جبريلُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم — كما حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق [٣] ، عن ابن شهاب الزُّهرىّ — معتجرًا [٤] بعمامة من إستبرق، على بغْلة عليها رِحَالة [٥] ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أقد [٦] وضعتَ السِّلاح يا رسول الله ؟ قال نعم ، قال جبريل : ما وضعتِ الملائكةُ السِّلاحَ وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ؛ إنّ الله يأمرُك يا محمّد بالسَّير إلى بنى قُريظة ، وأنا عامد إلى بنى قُريظة .

فأمرَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مناديا ، فأذّن فى النّاس : إنّ [٧] مَنْ كان سامعًا مطيعًا فلا يصلّينّ العصر إلاّ فى بنى قُريظة [٨] .

(١) المرط : كساء من صوف وخز أو كتان يؤتزر به .

(٢) الخبر فى التفسير ٢١ : ٨٠ ، ٨١ (بولاق) .

(٣) أخبار غزوة بنى قريظة ما نقل عن ابن إسحاق ، فى سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٤ — ٢٠٣

(٤) الاعتجار : أن يتعمم الرجل دون تلح ، أى لا يلقى شيئاً تحت لحيته .

(٥) الرحالة : السرج .

(٦) ابن هشام والتفسير : « أوقد »

(٧) ساقطة من ابن هشام .

(٨) بعدها فى ابن هشام : « واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم » .

وقدّم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم علىّ بن أبى طالب برايته إلى بنى قُريظة ، وابتدرها الناس ، فسار علىٌّ بن أبى طالب عليه السلام ؛ حتى إذا دَنا من الحصون ، سمِع منها مقالة قَبيحة لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم منهم ؛ فرجع حتى لَقِىَ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالطريق ، فقال : يا رسولَ الله ، لا عليك ألاّ تدنو من هؤلاء الأخابث[1] ! قال : لِمَ ؟ أظنُّك سمعتَ لى منهم أذًى ! قال : نعم يا رسول الله . لو قد رأوْنى لم يقولُوا من ذلك شيئًا . فلمَّا دنا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من حُصونهم ، قال : ١٤٨٦/١ يا إخوان القِردة ، هل أخزاكم الله ، وأنزل بكم نقمته ! قالوا : يا أبا القاسم[2] ، ما كنتَ جهولا . ومرّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم على أصحابه بالصَّوْرَيْن قبل أن يصلَ إلى بنى قُرَيظة ، فقال : هل مرَّ بكم أحد ؟ فقالوا : نعم يا رسولَ الله ، قد مَرَّ بنا دِحْيَةُ بن خليفة الكلبىّ ، على بغلة بيضاء ، عليها رِحالة عليها قطيفة دِيباج ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ذلك جبريل ، بُعِثَ إلى بنى قريظة يُزَلْزِلُ بهم حصونَهم ، ويقذِف الرّعب فى قلوبهم . فلمّا أتى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بنى قريظة ، نزل على بئر من آبارها فى ناحية من أموالهم ، يقال لها بئر أنا[3] ؛ فلاحق به النَّاس ، فأتاه رجالٌ من بعد العشاء الآخرة ، ولم يُصلّوا العصرَ ، لقول رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : لا يصلّينّ أحدٌ العصر إلاّ فى بنى قريظة ، لشىء لم يكن لهم منه بُدٌّ من حربهم ؛ وأبوْا أن يُصلّوا ، لقول النبىّ صلى الله عليه وسلَّم : حتَّى تأتُوا بنى قُرَيظة ، فصلُّوا العصر بها بعد العشاء الآخرة . فما عابهم الله بذلك فى كتابه ؛ ولا عنَّفَهم به رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم . والحديث عن محمَّد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن مَعْبَد بن كعب بن مالك الأنصارىّ .

* * *

(١) التفسير : « الأخباث » .

(٢) س : « يا محمد » .

(٣) أنا ، مثل « هنا » ، أو مثل « حتى » ، أو بكسر النون المشددة ، ويروى بموحدة بدل النون : من آبار بنى قريظة — ياقوت .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدّثنا محمد بن بِشر ، قال : حدّثنا محمّد ابن عمرو ، قال : حدّثنى أبى ، عن علقمة ، عن عائشة ، قالت : ضرب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على سعد قُبّة فى المسجد ، ووضع السّلاح — يعنى عند منصرَف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الخندق — ووضع المسلمون السِّلاح ، فجاءه جبريل عليه السّلام ، فقال : أوَضعتم السلاح ! ١٤٨٧/١
فوالله ما وضعتِ الملائكة بَعْدُ السلاح ، اخرُجْ إليهم[1] فقاتِلْهم ، فدعا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بلأمتِه فلبسها ، ثم خرج وخرج المسلمون ؛ فمرّ ببنى غَنْم ، فقال : من مَرّ بكم ؟ قالوا : مرّ علينا دِحْيَة الكلبىّ — وكان يشبّهُ سُنّتُه[2] ولِحيته ووجهه بجبريل عليه السلام — حتى نزل عليهم ، وسعدٌ فى قُبّته التى ضرب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ؛ فحاصرهم شهرًا — أو خمسًا وعشرين ليلة — فلما اشتدّ عليهم الحصار قيل لهم : انزِلوا على حكم رسول الله ، فأشار أبو لُبابة بن عبد المنذر إنّه الذبح ، فقالوا : ننزل على حكم سعد بن مُعاذ ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : انزلوا على حكمه ، فنزلوا ، فبعث إليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بحمار بإكاف من لِيف ، فحمِل عليه . قالت عائشة : لقد كان بَرَأ كَلْمُه[2] حتى ما يُرى منه إلا مثل الْخُرْص[3] .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال : وحاصرهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم خمسًا وعشرين ليلة ؛ حتى جَهَدهم الحِصَار ؛ وقذف الله فى قلوبهم الرّعب — وقد كان حُيَىُّ بن أخطب دخلَ على بنى قُريظة فى حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان ، وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه — فلما أيقنوا أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم غيرُ منصرف عنهم حتّى يناجزَهم ، قال كعب بن أسد لهم : ١٤٨٨/١
يا معشرَ يهود ، إنّه قد نزل بكم من الأمر ما ترَوْن[4] ، وإنى عارض[5]

(١) س : « بهم » . (٢) السنة هنا : الصورة ، وقيل : صفحة الخد .
(٣) الخرص : حلقة القرط ؛ وقول عائشة فى الفائق ١ : ٣٣٥ .
(٤) س : « قد نزل » . (٥) س : « أعرض » .

عليكم خِلالا ثلاثا فخذوا أيّها شئتم ! قالوا: وما هنّ ؟ قال : نتابع [١] هذا الرجل ونُصَدّقه ؛ فوالله لقد كان تبيَّن لكم أنّه لَنبيّ [٢] مرسل ، وأنه للذى كنتم تجدونه فى كتابكم ، فتأمَنُوا على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم ، قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبدًا ، ولا نستبدل به غيرَه. قال : فإذ أبيتم هذه علىّ فَهلمّ فلنقتل أبناءَنا ونساءَنا ، ثم نخرج إلى محمّد وأصحابه رجالا مُصْلتين السيوف ؛ ولم نترك وراءَنا ثَقَلاً يهمّنا ؛ حتى يحكم الله بيننا وبين محمّد ؛ فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئًا نخشى عليه ، وإن نظْهر فلَعمرِى لنجدنّ النساءَ والأبناء . قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ؛ فما خير العيش بعدهم ! قال : فإذ أبيتم هذه علىّ فإنّ الليلة ليلة السَّبت ؛ وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمِنُوا فيها ، فانزلوا لعلّنا نصيب من محمد وأصحابه غِرَّةً . قالوا : نُفْسِد سبتَنا ، ونُحْدث فيه ما لم يكن أحدث فيه مَنْ كان قبلنا ، إلاّ مَنْ قد علمت . فأصابه [٣] من المسخ ما لم يخفَ عليك. قال : ما بات رجل منكم منذ ولدتْه أمه ليلة واحدة من الدّهر حازمًا .

قال : ثم إنّهم بعثوا إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم : أن ابعث إلينا أبا لُبابة بن عبد المنذر ؛ أخابنى عمرو بن عوف — وكانوا [٤] حلفاء الأوس — نستشيره فى أمرنا ، فأرسله رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إليهم فلما رأوْه قام إليه الرجال ، وبهشَ [٥] إليه النساءُ والصبيان يبكون فى وجهه ؛ فرَقّ لهم وقالوا له : يا أبا لُبابة ، أترى أن ننزِل على حكم محمّد ! قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلْقه : إنه الذّبح ؛ قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدماى حتى عرفت أنى خُنْتُ الله ورسوله . ١٤٨٩/١

ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم

(١) ابن هشام والتفسير : « نبايع » .

(٢) و : « نبى » .

(٣) التفسير : « فأصابهم » .

(٤) س : « من حلفاء » .

(٥) بهش إليه النساء : خفوا إليه ، وفى ابن هشام والتفسير : « جهش » .

حتى ارتبط فى المسجد إلى عمود من عُمُده ، وقال : لا أبرح مكانى هذا حتى يتوبَ الله علىّ مما صنعت ؛ وعاهد الله ألاّ يطأ بنى قريظة أبدًا . وقال : لا يرانى الله فى بلد خُنْت الله ورسوله فيه أبدًا . فلما بلغ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم خبرُه ، وأبطأ عليه — وكان قد استبطأه — قال : أما لو جاءنى لاستغفرت له ؛ فأمَّا إذْ فعل ما فعل ، فما أنا بالَّذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه[1] .

* * *

حدّثنا ابن حُميد، قال : حدّثنا سَلَمة بن الفضل ، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله بن قُسَيْط ، أنّ توبة أبى لُبابة أنزلَتْ على رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلم : وهو فى بيت أمّ سلَمة . قالت أمّ سلمة : فسمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من السَّحَر يضحك فقلت : مِمَّ تضحك يا رسول الله ، أضحكَ الله سِنَّك ! قال : تِيبَ على أبى لُبابة، فقلت : ألاَ أبشّره بذلك يا رسول الله ! قال : بلَى إن شئتِ ؛ قال : فقامت على باب حجرتها — وذلك قبل أن يُضرب عليهنّ الحجاب — فقالت : يا أبا لُبابة، أبشِرْ فقد تاب الله عليك . قال : فثارَ الناس إليه ليُطلقوه ؛ فقال : لا والله حتى يكونَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم هو الذى يُطْلِقنى بيده، فلما مرَّ عليه خارجًا إلى الصّبح أطْلَقَه[2] . ١/١٤٩٠

قال ابن إسحاق: ثمّ إنّ ثعلبة بن سَعْيَة وأسَيْد بن سَعْية ، وأسَد ابن عُبَيْد — وهم نفر من بنى هَدْل ؛ ليسوا من بنى قُرَيظة ولا النَّضير ، نَسَبهُم فوقَ ذلك — هم بنو عمّ القوم أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها قُريظة على حكم رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم — وخرج فى تلك الليلة عمرو بن

(١) خبر ابن إسحاق كلة فى التفسير ٢١ : ٩٥ ، ٩٦ (بولاق) .

(٢) بعدها فى السيرة عن ابن هشام : « أقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ست ليال ، تأتيه امرأته فى كل وقت صلاة فتحله للصلاة ثم تعود فتربطه بالجذع، فيما حدثنى بعض أهل العلم . والآية التى نزلت فى توبته قول الله عز وجل : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

سُعْدَى القرظىّ ، فمرَّ بحَرَس رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ وعَلَيْهِ محمد بن مَسْلَمة الأنصارىّ تلك الليلة ؛ فلمَّا رآه قال : من هذا ؟ قال : عمرو بن سعدى — وكان عمرو قد أبَى أن يدخلَ مع بنى قُريظة فى غَدْرهم برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وقال : لا أغدر بمحمّد أبدًا — فقال محمَّد بن مَسْلمة حين عرَفه : اللهمّ لا تحرِمْنى عَثَرات الكرام . ثمّ خلَّى سبيله ؛ فخرج على وجهه حتى بات فى مسجد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالمدينة تلك الليلة . ثم ذهب فلا يُدْرَى[1] أين ذهب من أرض الله إلى يومه هذا ! فذكِر لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم شأنه ، فقال : ذاك رجل نجَّاه الله بوفائه . ١٤٩١/١

قال ابن إسحاق : وبعضُ النَّاس يزعم أنه كان أوثقَ برُمَّة[2] فيمن أوثق من بنى قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فأصبحَتْ رُمَّته مُلْقاةً لا يُدْرَى أين ذهب ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فيه تلك المقالة . والله أعلم .

قال ابن إسحاق . فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يا رسول الله ، إنَّهم مَوَالينا دون الخزْرج ، وقد فعلت فى موالِى الخزرج بالأمس ما قد علمت — وقد كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قبل بنى قُريظة حاصر بنى قَيْنُقاع ، وكانوا حلفاء الخزْرج ، فنزلوا على حكمه ؛ فسأله إيَّاهم عبد الله بن أبىّ بن سَلُول ، فوهبهم له . فلمَّا كلّمه الأوْس قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ألا ترضَوْن يا معشرَ الأوْس أن يحكم فيهم رجل منكم ! قالوا : بلى ، قال : فذاك إلى سَعْد بن معاذ — وكان سعد بن معاذ قد جعله رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى خَيْمة امرأة[3] من أسلم[4] يقال لها رُفَيْدة فى مسجده ، كانت تُدَاوى الجرحى ، وتحتسب بنفسها على خدمة مَنْ كانت به ضَيْعة من المسلمين ؛ وكان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد قال لقومه حين أصابه السَّهم بالخندق : اجعلوه فى خيمة رُفَيْدة ، حتى أعودَه من قريب — فلما

(١) فى ابن هشام : «فلم يدر» .
(٢) الرمة : الحبل .
(٣) س : « لامرأة » .
(٤) كذا فى ابن هشام وفى ط : « المسلمين» .

حكّمه رسول الله صلّى الله عليه وسلم فى بنى قريظة ، أتاه قومُه ، فاحتملوه على حِمار قد وطّئوا له بوسادة من أدَمٍ — وكان رجلا جسيمًا — ثم أقبلوا معه إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحْسِنْ ١٤٩٢/١
فى مواليك ؛ فإنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم إنّما ولاّك ذلك لتُحْسِن فيهم . فلما أكثروا عليه قال : قد أنى لسعد ألاّ تأخُذَه فى الله لومة لائم . فرجع بعضُ مَنْ كان معه من قومه إلى دار بنى عبد الأشهل ، فنعَى لهم رجال بنى قُريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ عن كلمته التى سمع منه .

* * *

قال أبو جعفر : فلما انتهى سعْدٌ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم والمسلمين ، قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم — فيما حدّثنا ابنُ وكيع ، قال : حدّثنا محمد بن بشر ، قال : حدّثنا محمد بن عمرو ، قال : حدّثنى أبى ، عن علقمة : فى حديث ذكره ، قال : قال أبو سعيد الخُدرىّ : فلما طلعَ — يعنى سعداً — قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : قوموا إلى سيدكم — أو قال : إلَى خيركم — فأنزلوه ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : احكم فيهم ، قال : فإنّى أحكم فيهم أن تقتل مُقاتلتهم ، وأن تُسْبَى ذَرَارِيُّهم ، وأن تُقْسَم أموالهُم . فقال : لقد حكمْت فيهم بحكم الله وحكم رسوله .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : وأمّا ابن إسحاق فإنّه قال فى حديثه : فلما انتهى سعدٌ إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم والمسلمون ؛ قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : قوموا إلى سيّدكم ، فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قد ولاّك [أمر][1] مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أنّ الحكم فيها ما حكمت ! قالوا : نعم ، قال : وعلى من هاهنا ؟ — فى الناحية التى فيها رسولُ ١٤٩٣/١

(١) من سيرة ابن هشام .

الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهو معرض عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إجلالا له — فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : نعم ، قال سعْد : فإنى أحكُم فيهم بأن تُقتَلَ الرّجال، وتُقسَم الأموال ، وتسبَى الذرارىُّ والنساء .

حدّثنا ابنُ حُميد، قال : حدّثنا سلمة، قال: حدّثنى محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن علقمة بن وقّاص الليثىّ، قال : قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرْقِعَة[1] .

قال ابنُ إسحاق : ثمّ استُنْزلوا ، فحبسهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى دار ابنة الحارث ، امرأة من بنى النجّار . ثمّ خرجَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى سوق المدينة الّتى هى سوقها اليوم، فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق ؛ يُخرَج بهم إليه أرْسالا ؛ وفيهم عدوّ الله حُيَىُّ بن أخطب، وكعب بن أسد ؛ رأس القوم، وهم سبّمائة أو سبعمائة؛ المكثّرُ لهم يقول : كانوا من الثمانمائة إلى التسعمائة . وقد قالوا لكعب بن أسد — وهم يُذْهَب بهم إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أرْسالا[2] — : يا كعب، ما ترى ما يصنع بنا ! فقال كعب : فى كلّ موطن لا تعقلون: ألا ترونْ الداعى[3] لا ينزع ، وأنّه من ذُهِبَ به منكم لا يرجع ، هو والله القتل! فلم يزل ذلك الدّأبُ حتّى فرغ منهم رسول الله صلّى الله عليه ١٤٩٤/١
وسلّم ، وأُتِىَ بِحُيَىّ بن أخطب عدوّ الله وعليه حلّة لَه فقّاحيّة[4] قد شقّقها عليه من كلّ ناحية كموضع الأنملة، أنملة أنملة، لئلا يُسْلَبها، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل. فلمّا نظر إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال : أما والله ما لمْتُ نفسى فى عداوتك؛ ولكنه من يَخْذُلِ الله يُخْذَل .

(١) الأرقعة : السموات ، واحدها رقيع .

(٢) أرسالا ، أى طائفة بعد طائفة .

(٣) س : « الراعى » .

(٤) حلة فقاحية : على لون الورد حين هم أن يتفتح .

ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، إنّه لا بأس بأمر الله ، كتاب الله وقَدَرُه ، وملحمةٌ قد كتبت [١] على بنى إسرائيل . ثم جلس فضُربت عنقه ، فقال جبل بن جَوّال الثعلبىّ :

لَعَمْرُكَ مَا لامَ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ ولكنه مَنْ يَخْذُلِ اللهَ يُخْذَلِ
لَجَاهَدَ حتى أَبْلَغَ النَّفْسَ عُذْرَهَا وَقَلْقَلَ يَبْغِي العِزَّ كلَّ مُقَلْقَلِ

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لم يُقتل من نسائهم إلاّ امرأة واحدة . قالت : والله إنّها لعِنْدِى تحدّثُ معى ، وتضحك ظهرًا وبطنًا ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يقتلُ رجالهم بالسوق ؛ إذ هتف هاتفٌ باسمها : أين فُلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت : قلت : ويلك مالك ! قالت : أقتَل ! قلت : ولِمَ ؟ قالت : حَدَثٌ أحدثتُه. ١٤٩٥/١
قالت : فانطُلِقَ بها فضُربت عنقُها [٢] . فكانت عائشة تقول : ما أنْسَى عجبنا منها ، طيبَ نفس وكثرة ضحك ، وقد عرفتْ أنها تُقْتَل !

وكان ثابت بن قيس بن شَمّاس — كما حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن ابن شهاب الزُّهرىّ — أتى الزُّبير [٣] بن باطا القُرَظىّ — وكان يكنى أبا عبد الرحمن — وكان الزُّبير قد مَنَّ على ثابت بن قيس بن شَمّاس فى الجاهلية . قال محمّد : مما ذكَر لى بعضُ ولد الزُّبير ، أنه كان مَنَّ عليه يوم بُعاث ؛ أخذه فجزّ ناصيته ، ثم خلّى سبيله — فجاءَه [٤] وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هل تعرفنى ؟ قال : وهل يجهلُ مثلى مثلَك !

(١) فى ابن هشام : « كتبها الله » .
(٢) قال أبو ذر الخشنى : « هى امرأة الحسن القرظى » .
(٣) قال السهيلى : « هو الزبير ، بفتح الزاى وكسر الباء ، جد الزبير بن عبد الرحمن المذكور فى الموطأ فى كتاب النكاح » .
(٤) ابن هشام : « فجاءه ثابت » .

قال : إنى قد أردتُ أن أجزيَك بيدك عندى ، قال : إنّ الكريم يجزِى الكريم . ثم أتى ثابتَ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا رسول الله ؛ قد كانت للزّبير عندى يَدٌ ؛ وله علىّ مِنّةٌ ؛ وقد أحببت أن أجزيَهُ بها ؛ فهبْ لى دَمَه . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : هو لك ، فأتاه فقال : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد وهب لى دمك فهو لك ؛ قال : شيخ كبير لا أهْلَ له ولا ولد ؛ فما يصنع بالحياة ! فأتى ثابت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا رسول الله ، أهلُه وولده ، قال : هم لك ، فأتاه فقال : إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قد أعطانى امرأتك وولدك فهم لك . قال : أهلُ بيت بالحجاز لا مالَ لهم ، فما بقاؤهم ! فأتى ثابتٌ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا رسولَ الله ، ماله ! قال : هو لك ، فأتاه فقال : إنّ رسولَ الله قد أعطانى مالك فهو لك ، قال : أىْ ثابت ! ما فعل الذى كأنّ وَجْهَهُ مِرْآة صِينِيَّة تتراءى فيها[1] عذارَى الحىّ ؛ كعب بن أسد ؟ ١٤٩٦/١
قال : قُتل ، قال : فما فعل سيّد الحاضر والبادى ؛ حُيَىّ بن أخطب ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل مقدّمتُنا إذا شددْنا ، وحاميتُنا إذا كررنا ؛ عزّال بن شمويل ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل المجلسان — يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة — قال : ذَهَبُوا ، قتلوا . قال : فإنّى أسألك بيدى عندك يا ثابت ، إلاّ ألحقْتَنِى بالقوم ؛ فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله قَبْلَة دَلْوٍ[2] نَضَح حتى ألقَى الأحِبّةَ ! فقدّمه ثابت فضرب عنقه ؛ فلما بلغ أبا بكر قوله : «ألقى الأحبة» قال : يلقاهم والله فى نار جهنّم خالداً فيها مُخَلّداً أبداً . فقال ثابت بن قيس بن الشماس فى ذلك ، يذكر الزّبير بن باطا :

(١) كذا فى ابن هشام ، وفى ط : «فيه» .

(٢) فى ابن هشام : «فتلة» ، قال أبو ذر الخشنى ، : «ومن رواه : «قبلة» بالقاف والباء فهو بمقدار ما يقبل الرجل الدلو ليصبها فى الحوض ثم يصرفها ؛ وهذا كله لا يكون إلا عن استعجال وسرعة» .

وَفَتْ ذِمّتِي أنّى كريمٌ وأننى صَبُورٌ إذاما القومُ حَادُوا عن الصَّبرِ
وكان زَبِرٌ أعْظَمَ النَّاس مِنَّةً عَلَيَّ فلمّا شُدَّ كُوعاهُ بالأسْرِ
أتيتُ رسولَ الله كَيْمَا أفُكَّهُ وكان رسولُ الله بَحْرًا لنا يَجْرِى

قال : وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم قد أمر بقتل مَنْ أنبت منهم .

فحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صَعْصعة ، أخى بنى ١٤٩٧/١
عدىّ بن النَّجار ؛ أنّ سَلْمَى بنت قيس أمّ المنذر أخت سَلِيط بن قيس — وكانت إحدى خالاتِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قد صَلَّتْ معه القبلتين ، وبايعَتْه[1] بيعة النساءِ — سألَتْه رفاعةَ بن شمويل[2] القرظىّ — وكان رجلا قد بلغ ولاذَ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك — فقالت : يا نبىّ الله ، بأبى أنت وأمىّ ! هبْ لى رفاعةَ بن شمويل ؛ فإنّه قد زعم أنه سيُصَلِّى ، ويأكل لحم الجمل ؛ فوهبه لها ؛ فاستَحْيَتْه .

قال ابن إسحاق : ثم إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قسّم أموال بنى قُريظة ونساءَهم وأبناءَهم على المسلمين ، وأعلم فى ذلك اليوم سُهْمانَ الخيل وسهمان الرجال ، وأخرج منها الخُمُس ؛ فكان الفارسُ ثلاثة أسهم ؛ للفرس سهمان ولفارسه سهم ، وللراجل ممّن ليس له فرسٌ سهم ؛ وكانت الخيل يوم بنى قريظة ستة وثلاثين فرسًا ، وكان أوّلَ فَىْءٍ وقع فيه السهمان وأخرج منه الخمس ، فعلَى سُنَّتها وما مَضى من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيها وقعت المقاسم ، ومضت السنَّة فى المغازى ؛ ولم يكن يُسهِم للخيل إذا كانت مع الرجل إلاّ لفرسين .

ثم بعثَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم سعدَ بن زيد الأنصارىّ ،

(١) و : « وبايعت » .

(٢) ابن هشام : « سمويل » .

أخا بنى عبد الأشهل بسبايا من سبايا بنى قُرَيظة إلى نجْد ، فابتاع له بهم خيلا وسلاحًا ، وكان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد اصطفى لنفسه من
١٤٩٨/١ نسائهم ريْحانة بنت عمرو بن خُنافة[١] إحدى نساء بنى عمرو بن قُرَيظة ، فكانت عند رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم حتى توفّى عنها وهى فى مِلْكِه ، وقد كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عرض عليها أن يتزوّجها ، ويضربَ عليها الحجاب ، فقالت : يا رسولَ الله ، بل تتركنى فى ملكك فهو أخفّ علىَّ وعليك . فتركها ؛ وقد كانت حين سباها رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد تعَصَّتْ[٢] بالإسلام ، وأبَتْ إلاّ اليهوديّة ، فعزلها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ووجد فى نفسه لذلك من أمرها ؛ فبينا هو مع أصحابه إذْ سمع وَقْعَ نعليْن خلفه ، فقال : إنّ هذا لثعلبة بن سعيَة يبشّرنى بإسلام ريحانة ، فجاءَه فقال : يا رسولَ الله ، قد أسلمتْ ريحانة ، فسرّه ذلك .

فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر جُرْحُ سعد بن معاذ ، وذلك أنه دعا — كما حدّثنى ابنُ وكيع ، قال : حدّثنا ابن بشر ، قال : حدّثنا محمد بن عمرو ؛ قال : حدّثنى أبى ، عن علقمة ، فى خبر ذكره عن عائشة : ثم دعا سعد بن معاذ — يعنى بعد أن حكم فى بنى قريظة ما حكم — فقال : اللهمّ إنّك قد علمت أنّه لم يكن قوم أحبَّ إلىّ أن أقاتلَ أو أجاهد من قوم كذّبوا رسولك . اللهمّ إن كنتَ أبقيت من حرب قريش على رسولك شيئًا فأبقنى لها ، وإن كنتَ قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضنى إليك . فانفجر كَلْمُه ،
١٤٩٩/١ فرَجَعَه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيمته[٣] التى ضربت عليه فى المسجد . قالت عائشة : فحضره رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وأبو بكر ، وعمر ؛ فوالّذى نفس محمد بيده ؛ إنى لأعرف بكاء أبى بكر من بكاء عمر وإنى لفى حُجرتى . قالت : وكانوا كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[٤]

(١) كذا فى ابن هشام وشرح المواهب ، والطبرى ٣ : ٢٤٣٢ ؛ وفى الأصل : «جنافة» .

(٢) تعصت ، أى عصت .

(٣) س : « القبة » .

(٤) سورة الفتح ٢ .

قال علقمة : أى أمَّهْ ! كيف كان يصنع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؟ قالت : كانت عينه لا تَدْمَعُ على أحد ؛ ولكنَّه كان إذا اشتدّ وَجْدُه على أحد ، أو إذا وَجَد فإنما هو آخذٌ بلحيته .

حدّثنا ابنُ حُميد ؛ قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى ابنُ إسحاق ، قال : لم يُقتل من المسلمين يوم الخندق إلاّ ستة نفر ، وقُتل من المشركين ثلاثة نفر ، وقُتل يوم بنى قريظة خَلاّد بن سُويْد بن ثعلبة بن عمرو ابن بلحارث بن الخزرج ، طُرِحَتْ عليه رحًى فشدختْه شدخًا شديدًا . ومات أبو سنان بن محصن بن حُرْثان ، أخو بنى أسد بن خزيمة ، ورسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم محاصِرٌ بنى قريظةَ ، فدفن فى مقبرة بنى قُريظة . ولمَّا انصرف رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عن الخندق ، قال : الآن نَغْزوهم — يعنى قريشًا — ولا يغزوننا ، فكان كذلك حتى فتح الله تعالى على رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم مكَّة .

وكان فتح بنى قُريظة فى ذى القَعْدة أو فى صدر[1] ذى الحجة ، فى قول ابن إسحاق . وأما الواقدىّ فإنه قال : غَزَاهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى ذى القعدة ، لليال بقِين منه ؛ وزعَم أنّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أمر أن يُشَقّ لبنى قُريظة فى الأرض أخاديد ثم جلس ؛ فجعل علىّ والزبير يضربان أعناقهم بين يديه ، وزعم أنّ المرأة التى قتلها النبى صلَّى الله عليه وسلَّم يومئذ كانت تسمى بُنَانَة ، امرأة الحَكَم القرظىّ ، كانت قتلت خلاّد بن سُوَيد ، رمتْ عليه رَحًى ، فدعا له رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فضرب عنقها بخلاّد بن سويد . ١/١٥٠٠

* * *

واختلف فى وقت غزوة النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم بنى المصطلق ؛ وهى الغزوة التى يقال لها غزوة المُرَيْسيع — والمريسيع اسم ماء من مياه خُزاعة بناحية قديد إلى الساحل — فقال : ابن إسحاق — فيما حدّثنا ابن حميد ،

(١) ابن هشام : « وصدر » .

قال : حدّثنا سلمة ، عنه، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم غزا بنى المصطلِق من خُزَاعة، فى شعبان سنة ست من الهجرة .

وقال الواقدىّ: غزا رسول الله صلّى الله عليه وسلم المريسِيع فى شعبان سنة خمس من الهجرة . وزعم أن غزوة الخندق وغزوة بنى قريظة كانتا بعد المريسيع لحرب بنى المصطلق من خُزَاعة .

وزعم ابنُ إسحاق — فيما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عنه — أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم انصرف بعد فراغه من بنى قُريظة ؛ وذلك فى آخر ذى القعدة أو فى صدر ذى الحجّة — فأقام بالمدينة ذا الحجّة والمحرّم وصفراً وشهرى ربيع ، وولى الحجّة فى سنة خمس المشركون .

ذكر الأحداث التى كانت فى سنة ست من الهجرة

غزوة بنى لِحيان

قال أبو جعفر: وخرج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى جُمادى الأولى على رأس ستَّة أشهر من فتح بنى قُريظة إلى بنى لِحيان ، يطلب ١٥٠١/١
بأصحاب الرَّجيع ؛ خُبَيب بن عدىّ وأصحابه ؛ وأظهر أنه يريد الشأم ليصيب من القوم غِرَّةً . فخرج من المدينة ، فسلك على غُراب (جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشأم) ثم على مَخِيض ، ثم على البتراء ؛ ثم صفَّق[1] ذات اليسار ، ثم على يَيْن ، ثم على صُخَيْرات اليمام ، ثم استقام به الطريق على المحجَّة من طريق مكة ، فأغذّ السير سريعًا ؛ حتى نزل على غُرَان ؛ وهى منازل بنى لحيان — وغُرَان وادٍ بين أمَج وعُسْفان — إلى بلد يقال له ساية ، فوجدهم قد حذِرُوا وتمنَّعوا فى رءوس الجبال ، فلمّا نزَلها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأخطأه من غرّتهم ما أراد ، قال : لو أنَّا هبطنا عُسفان لرأى أهل مكَّة أنَّا قد جئنا مكَّة . فخرج فى مائتى راكب من أصحابه حتى نزل عُسفان ، ثم بعث فارسيْن من أصحابه ؛ حتى بلغا كُرَاع الغَمِيم ، ثم كرَّا وراح قافلا[2] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى ابنُ إسحاق . — قال : والحديث فى غزوة بنى لحيان — عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ، عن عبيد الله بن كعب .

قال ابن إسحاق : ثم قدِم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم المدينة ، فلم يُقِمْ إلاّ ليالىَ قلائل حتى أغار عُيَيْنة بن حِصْن بن حذيفة بن بدر الفزارىّ فى خيل لغطفان على لِقَاح رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالغابة ؛ ١٥٠٢/١
وفيها رجلٌ من بنى غِفَار وامرأته ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة فى اللّقاح[3] .

* * *

(١) صفق : عدل .
(٢) الخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٢ .
(٣) اللقاح : الإبل الحوامل ذوات الألبان .

غزوة ذى قَرَد

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ومَنْ لا أتّهم ، عن عُبيد الله بن كعب بن مالك ، كلٌّ قد حدّثَ فى غزوة ذى قَرَد بعض الحديث ، أنه أوّل من نَذِرَ[1] بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمىّ ، غدا يريد الغابة متوشحًا قوسه ونَبْلَه ، ومعه غلام لطلحة بن عبد الله .

* * *

وأما الرّواية عن سلَمة بن الأكوع بهذه الغزوة من رَسُولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بعد مقدَمه المدينة ، منصرفًا من مكة عام الحديبية ، فإن كان ذلك صحيحًا ، فينبغى أن يكون ما رُوِى عن سلمة بن الأكوع كان إمّا فى ذى الحجّة من سنة ستّ من الهجرة ، وإمّا فى أول سنة سبع ، وذلك أنّ انصراف رَسُول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من مكّة إلى المدينة عام الحديْبيَة كان فى ذى الحجّة من سنة ستّ من الهجرة ، وبين الوقت الذى وقّتَه ابن إسحاق لغزوة ذى قرَد والوقت الّذى رُوِى عن سلمة بن الأكوع قريب من ستة أشهر . حدّثنا حديث سلَمة بن الأكوع الحسنُ بن يحيى ، قال : حدّثنا أبو عامر العَقَدِىّ ، قال : حدّثنا عِكْرِمة بن عَمّار اليمامىّ ، عن إياس بن سلَمة ، عن أبيه ، قال : أقبلنا مع رَسُولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى المدينة — يعنى بعد صلْح الحديْبيَة — فبعث رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بظهره[2] مع رباح غلام رسول الله ، وخرجتُ معه بفرس لطلحة بن عبيد الله . ١٥٠٣/١
فلمّا أصبحنا إذا عبد الرحمن بن عُيَيْنة قد أغار على ظَهْر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فاستاقه أجمع ، وقتل راعيه . قلت : يا رَباح ؛ خذ هذا الفرس وأبلغْه طلحة . وأخبرْ رسولَ اللهأنّ المشركين قد أغاروا على سَرْحِه . ثم قمت

(١) نذر : علم .

(٢) الظهر : الإبل تعد للركوب أو حمل الثقل .

على أكَمة فاستقبلت المدينة، فناديت ثلاثة أصوات: يا صَبَاحاه! ثم خرجت فى آثار القوم أرميهم بالنَّبْل، وأرتجز وأقول: «أنا[1] ابن الأكوع، واليوم يوم الرضّع».

قال: فوالله ما زلتُ أرميهم وأعقِر بهم[2]، فإذا رجع إلىّ فارس منهم أتيت شجرةً وقعدت فى أصلها، فرميتُه فعقرْت به؛ وإذا تضايق الجبل فدخلوا فى مُتَضايَقٍ[3] علوْت الجبَل، ثم أرَدّيهم بالحجارة؛ فوالله ما زلت كذلك حتى ما خلَقَ الله بعيراً من ظهْر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلاّ جعلته وراء ظهْرى، وخلّوْا بينى وبينه وحتَّى ألقوْا أكثر من ثلاثين رُمحًا وثلاثين بُرْدةً[4]، يستخفُّون[5] بها لا يُلْقُون[6] شيئًا إلاّ جعلت عليه آراما[7] حتَّى يعرفه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابه، حتى إذا انتهَوْا إلى متضايق من ثنيَّة[8] وإذا هم قد أتاهم عُيَيْنة بن حِصْن بن ١٥٠٤/١
بدر مُمِدًّا، فقعدوا يتَضَحّوْن[9]، وقعدت على قَرْن[10] فوقهم، فنظر

(١) كذا فى صحيح مسلم، وفى ط: «وأنا».

(٢) فى اللسان: «أصل العقر: ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم... ومنه حديث ابن الأكوع «وما زلت أرميهم وأعقر بهم»، أى أقتل مركوبهم؛ يقال: عقرت به؛ إذا قتلت مركوبه».

(٣) صحيح مسلم: «فدخلوا فى تضايقه». والتضايق: ضد الاتساع.

(٤) صحيح مسلم: «ثم أتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة».

(٥) يستخفون، أى يطلبون بإلقائها الخفة؛ ليكونوا أقدر على الفرار.

(٦) صحيح مسلم: «لا يطرحون».

(٧) الآرام: الأعلام.

(٨) الثنية: العقبة والطريق فى الجبل، وفى صحيح مسلم: «حتى أتوا متضايقا من ثنية».

(٩) فى نهاية ابن الأثير: «بينما نحن نتضحى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أى نتغدى، والأصل فيه أن العرب كانوا يسيرون فى ظعنهم، فإذا مروا ببقعة من الأرض فيها كلأ وعشب قال قائلهم: ألا ضحوا رويداً! أى ارفقوا بالإبل حتى نتضحى أى ننال من هذا المرعى، ثم وضعت التضحية مكان الرفق لتصل الإبل إلى المنزل وقد شبعت، ثم اتسع فيه حتى قيل لكل من أكل فى وقت الضحى: هو يتضحى؛ أى يأكل فى هذا الوقت؛ كما يقال: يتغدى ويتعشى فى الغداء والعشاء».

(١٠) القرن: الجبل الصغير المنقطع عن الجبل الكبير، وفى صحيح مسلم: «وجلست على رأس قرن».

عيَينة، فقال : ما الذى أرى[١] ؟ قالوا : لقينا من هذا البَرْح[٢] ، لا والله ما فارقنا هذا منذ غلّس ، يرمينا حتى استنقذ[٣] كلّ شيء فى أيدينا . قال: فليقُمْ إليه منكم أربعة . فعمَد إلىّ أربعة[٤] منهم. فلمّا أمكنونى من الكلام ، قلت : أتعرفونى ؟ قالوا : مَنْ أنت ؟ قلت: سلَمة بن الأكوع ؛ والذى كرَّم وَجْهَ محمد لا أطلبُ أحداً منكم إلاّ أدركته ، ولا يطلبنى رجل منكم فيدركنى . قال أحدهم : أنا[٥] أظنّ ، قال : فرجعوا فما برحت مكانى ذاك حتى نظرت إلى فوارس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يتخلّلون الشجر ؛ أوّلهم الأخْرَم الأسدىّ ، وعلى إثْره أبو قَتادة الأنصارىّ ، وعلى إثْره المِقْداد بن الأسود الكِندىّ ، فأخذت بعِنان فرس الأخْرم ، [فولّوا مدبرين][٦] ، فقلت : يا أخرم ؛ إنّ القوم قليل ، فاحذرهم لا يقتطعوك حتى يلحقَ بنا رسولُ الله وأصحابه . فقال : يا سلمة ، إن كنتَ تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتعلم أنّ الجنة حقّ والنار حقّ ، فلا تحُلْ بينى وبين الشهادة . قال: فخلّيتُه ، فالتقى هو وعبد الرحمن بنُ عُيَينة ، فعقر الأخرم بعبدُ الرحمن فرسه ،فطعنه عبدُ الرحمن فقتله ، وتحوّل عبد الرحمن على فرسه ، ولحِق أبو قَتَادة عبد الرحمن فطعنه وقتله ، وعقَرَ عبد الرحمن بأبى قتادة فرسه ، وتحوّل أبو قتادة على فرس الأخرم ؛ فانطلقوا هاربين . قال سلَمة : فوالذى كرَّم وجه محمد ، لَتبِعتُهم أعْدُو على رجلىّ ؛ حتى ما أرى ورائى من أصحاب محمد صلّى الله عليه وسلّم ولا غبارهم شيئًا . ١٥٠٥/

قال : ويعدِلُون قبل غروب الشمس إلى شِعْب فيه ماء يقال له ذو قَرَد

(١) صحيح مسلم : «ما هذا الذى أرى ؟» .

(٢) البرح : الشدة .

(٣) صحيح مسلم : « حتى انتزع » .

(٤) صحيح مسلم : « فصعد إلى أربعة منهم فى الجبل » .

(٥) ط : « إن » .

(٦) من صحيح مسلم .

يشربون منه وهم عِطَاش ؛ فنظروا إلىّ أعدو فى آثارهم ؛ فَحلَّيْتُهم[١] فما ذاقوا منه قطرة .

قال : ويُسْندون[٢] فى ثنيّة ذى أثير[٣] ، ويعطف علىّ واحدٌ فأرْشُقه بسهم فيقع فى نُغْض[٤] كتفه ، فقلت :

خُذها وأنا ابنُ الأَكْوع واليومُ يومُ الرُّضَّع

فقال : أكْوَعِى غُدْوَةً[٥] ! قلت : نعم يا عدوّ نفسه ؛[٦] وإذا فَرَسان على الثنيَّة ، فجئت بهما أقودُهما إلى رسول الله[٦] ، ولحِقنى عامر عمىّ بعد ما أظلمت بسَطِيحة[٧] فيها مِذْقَة من لبن ، وسطيحة فيها ماء ، فتوضّأتُ وصلّيت وشربت ، ثمّ جئت إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو على الماء الذى حلّيْتُهم[٨] عنه ، عند ذى قَرَد ، وإذا رسولُ الله قد أخذ تلك الإبل التى استنقذتُ من العدوّ ، وكلّ رُمح ، وكلّ بُردة ؛ وإذا بلال قد نَحَر ناقة من الإبل التى استنقَذت من العدوّ ، فهو يشوِى لرسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم من كَبِدها وسَنامها ، فقلت : يا رسولَ الله ؛ خلِّنى فلأنتخِب[٩] مائةَ رجل من القوم ، فأتّبعُ القوم فلا يبقى[١٠] منهم عين . فضحك رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى بدا — وقد بانت — نواجذُه . [فى ضوء النار][١١] . ثم قال : أكنتَ فاعلا ! فقلتُ : إى والّذى أكرمك ! ١٥٠٦/١

(١) فحليتهم ، أى طردتهم وأجليتهم .
(٢) أسندوا ، أى صعدوا ، وفى صحيح مسلم : « ويخرجون فيشتدون فى ثنية » .
(٣) كذا ذكر فى ط ، ولم أجد هذا الموضع فى ياقوت .
(٤) النغض : العظم الرقيق على طرف الكتف ؛ سمى بذلك لكثرة تحركة .
(٥) صحيح مسلم : « قال : يا ثكلته أمه ! أكوعه بكرة ! » .
(٦ — ٦) صحيح مسلم : « قال : وأردوا فرسين على ثنية ، قال : فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » .
(٧) السطيحة : إناء من جلود ، سطح بعضها على بعض . والمذقة : قليل من لبن ممزوج بماء .
(٨) صحيح مسلم : « حلأتهم » .
(٩) صحيح مسلم : « فأنتخب » .
(١٠) صحيح مسلم : « فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته » .
(١١) من صحيح مسلم .

فلمَّا أصبحنا قال رسول الله إنَّهم ليُقْرَوْن[١] بأرض غَطَفان . قال ، فجاء رجلٌ من غَطَفان ، فقال : نحر لهم فلان جَزورا ، فلمَّا كشطوا[٢] عنها جلدها رأوْا غُبَارًا ؛ فقالوا : أتيتم[٣]! فخرجوا هاربين ، فلمَّا أصبحنا قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : خير فُرْساننا اليوم أبو قتادة ، وخير رَجَّالتنا سلَمة بن الأكْوع . ثمَّ أعطانِي رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم [سهمين][٤] سهم الفارس ، وسهْم الراجل ؛ [فجمعهما لى جميعًا][٤]، ثم أردفنِي رسولُ الله وراءه على العَضباء[٥] ؛ [راجعين إلى المدينة][٤] . فبينما نحن نسير ؛ وكان رجل من الأنصار لا يُسْبَق شَدًّا[٦] فجعل يقول : ألا مِن مسابق ! فقال ذاك مِرَارًا ؛ فلمَّا سمعتُه قلتُ : أما تُكرم كريمًا ولا تهاب شريفًا ! فقال : لا ؛ إلاَّ أن يكون رسول الله ، فقلت : يا رسولَ الله ، بأبى أنتَ وأمى! ائذَنْ لى[٧] فلأسابق الرجل ! قال : إن شئت ، قال : فطفرت[٨] فعدوتُ ، فربطتُ شَرَفًا أو شرفيْن فألحقه[٨] وأصكُّه بين كتفيْه ، فقلت : سبقتك[٩] والله ! فقال : إنِّى أظنّ[١٠] فسبقته إلى المدينة ، فلم نمكث بها إلا ثلاثًا حتى خرجنا إلى خَيْبر[١١] . ١٥٠٧/١

* * *

(١) يقرون : يضافون .

(٢) صحيح مسلم : « كشفوا جلدها » .

(٣) صحيح مسلم : « أتاكم القوم » .

(٤) من صحيح مسلم .

(٥) العضباء : لقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٦) شداً ، أى عدوا على الرجلين .

(٧) صحيح مسلم : « ذرنى » .

(٨ - ٨) صحيح مسلم : « فربطت عليه شرفاً أو شرفين أستبقى لنفسى ، ثم عدوت فى إثره ، فربطت عليه شرفاً أو شرفين ؛ ثم إنِّى رفعت حتى ألحقه » .والشرف : ما ارتفع من الأرض ، ومعنى ربطت ، حبست نفسى عن الجرى الشديد .

(٩) صحيح مسلم : « قد سبقت » .

(١٠) أى أظن ذلك ، وفى ط : « إن أظن » .

(١١) الخبر فى صحيح مسلم ٣ : ١٤٣٣ - ١٤٤١ ؛ بسنده عن سلمة بن الأكوع ؛ مع اختلاف فى الرواية .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله — يعنى مع سلَمة بن الأكوع — معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا على ثنيَّة الوَدَاع نظر إلى بعضِ خيولهم ، فأشرف فى ناحية سَلْع ، ثم صرخ : واصَبَاحاه ! ثم خرج يشتدّ فى آثار القوم — وكان مثل السَّبُع — حتى لحِق بالقوم ، فجعل يرُدُّهم بالنَّبْل ، ويقول إذا رمى : «خُذها منى وأنا ابن الأكوع ، واليوم يوم الرضع » .

فإذا وُجِّهتُ الخيل نحوه ، انطلق هاربًا ، ثم عارضهم ؛ فإذا أمكنه الرميُ رَمى ، ثم قال :

خُذْها وانا ابنُ الأكوعِ واليومُ يوم الرضّعِ[1]

قال : فيقول قائلهم : أوَيكعنا[2] هو أول النهار .

قال : وبلغ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم صياحُ ابن الأكوع ؛ فصرخ بالمدينة : الفزع الفزع! ؛ فتتامَّتِ[3] الخيول إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ فكان أوّلَ من انتهى إليه من الفرسان المقداد بن عمرو .

ثم كان أول فارس وقف على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بعد المقداد من الأنصار ، عبَّاد بن بشْر بن وَقْش بن زُغْبَة بن زَعُورا ، أخو بنى عبد الأشهل ، وسعد بن زيد ، أحد بنى كعب بن عبد الأشهل ، وأسْيد بن ظُهَير أخو بنى حارثة بن الحارث — يُشكّ فيه — وعُكَّاشة بن مِحْصَن ، أخو بنى أسد بن خُزيمة ، ومُحْرِز بن نَضْلة ، أخو بنى أسَد بن خزيمة ، وأبو قَتادة الحارث بن رِبْعىّ ، أخو بنى سَلِمة ، وأبو عيَّاش ؛ وهو عُبَيد بن زيد بن صامت ، أخو بنى زُرَيق . ١/١٥٠٨

فلَّما اجتمعوا إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أمَّر عليهم سعد بن زيد . ثم قال : اخرُجْ فى طلب القوم حتى ألحقك فى النَّاس .

وقد قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم — فيما بلغنى عن رجال من بنى زُرَيق — لأبى عيَّاش : يا أبا عيَّاش ، لو أعطيتَ هذا الفرس رجلا هو أفرسُ منك فلحق بالقوم ! قال أبو عيَّاش : فقلت : يا رسول الله ، أنا

(١) الرضع : جمع راضع ، وهو اللئيم . (٢) كذا فى ابن هشام ، وفى ط : « أكيعنا » .
(٣) ابن هشام : « فتزامت » .

أفرسُ الناس ، ثم ضربت الفرس ، فوالله ما جَرَى خمسين ذراعا حتى طرحنى ؛ فعجِبت أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : لو أعطيه أفرس منك ! وأقول : أنا أفرس الناس . فزعم رجال من بنى زُريق أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أعطى فرس أبى عَيّاش مُعاذ بن ماعص — أو عائذ بن ما عص — ابن قيس بن خَلْدة — وكان[1] ثامنا — وبعض الناس يعدّ سلمة بن عمرو بن الأكوع أحدَ الثمانية ، ويطرحُ أسَيد بن ظُهَير أخابنى حارثة ، ولم يكن سلَمة يومئذ فارسًا ، وكان أوّل مَنْ لحق بالقوم على رجْليه ؛ فخرج الفرسانُ فى طلب القوم ، حتّى تلاحقوا[2] .

١٥٠٩/١ حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : وحدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّ أوّل فارسٍ لحِقَ بالقوم مُحرز بن نَضْلة ، أخو بنى أسد بن خزيمة — ويقال لمحرز : الأخْرَم ، ويقال له : قمير — وأنّ الفزع لما كان ، جالَ فرسٌ لمحمود بن مسلمة فى الحائط حين سمع صاهِلة الخيل ، وكان فرسا صَنِيعًا[3] جامًّا[4] ، فقال نساءٌ من نساء بنى عبد الأشهل حين رأى الفرس يجول فى الحائط بجذْع من نخل هو مربوط به : يا قُمَير ، هل لك فى أن تركبَ هذا الفرس — فإنّه كما ترى — ثمّ تلحق برسول الله صلّى لله عليه وسلّم وبالمسلمين ! قال : نعم ، فأعطنيه إياه ، فخرج عليه ، فلم يَنْشَبْ أن بَذّ الخيل بِجَمامه[5] حتى أدرك القوم ، فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال : قفوا معشرَ اللكيعة حتى يلحق بكم مَنْ وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار .

قال : وحَمَل عليه رجُلٌ منهم فقتله ، وجال الفرس فلم يقدروا عليه ؛

(١) كذا فى ابن هشام ، وفى ط : « كان » ، بدون واو .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٣ ، ٢١٤

(٣) الفرس الصنيع : الذى يخدمه أهله ، ويقومون عليه .

(٤) يقال : جم الفرس ؛ إذا ترك ولم يركب .

(٥) الجمام كسحاب : الراحة ، والباء هنا للسببية .

حتى وقف على آريه [١] فى بنى عبد الأشهل ، فلم يقتل من المسلمين غيره ، وكان اسم فرس محمود ذا اللمة [٢] .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عمن لا يتهم ، عن عبيد الله بن كعب بن مالك الأنصارى ، أن محرزا إنما كان على فرس لعكاشة بن محصن يقال له [٣] الجناح ، ١/١٥١٠ فقتل محرز ، واستلب الجناح . ولما تلاحقت الخيول قتل أبو قتادة الحارث بن ربعى أخو بنى سلمة ، حبيبَ بن عيينة بن حصن ، وغشاه ببردته ، ثم لحق بالناس ، وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، فإذا حبيب مسجى [٤] ببردة أبى قتادة ، فاسترجع [٥] الناس ، وقالوا : قتل أبو قتادة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بأبى قتادة ، ولكنه قتيل لأبى قتادة ، وضع عليه بردته ، لتعرفوا أنه صاحبه . وأدرك عكاشة ابن محصن أو بارا وابنه عمرو بن أو بار على بعير واحد ، فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعا ، واستنقذوا بعضَ اللقاح . وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذى قرد ، وتلاحق به الناس ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقام عليه يوما وليلة . فقال له سلمة بن الأكوع : يا رسولَ الله ، لو سرحتنى فى مائة رجل لاستنقذت بقية السرح ، وأخذت بأعناق القوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى : إنهم الآن ليُغْبَقُونَ [٦] فى غطفان .

وقسمَ [٧] رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فى كل مائة جزورا ،

(١) الآرى : الحبل الذى تشد به الدابة ، وقد يسمى الموضع الذى تقف فيه الدابة آريا أيضا .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٣) س : « لها » .

(٤) مسجى : مغطى .

(٥) استرجع الناس : قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٦) يغبقون : يشربون اللبن وقت العشى .

(٧) ابن هشام : « فقسم » .

فأقاموا عليها ، ثم رجع رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قافلا حتى قدم المدينة[١] .

فأقام بها بعض جُمَادى الآخرة ورَجَبَ . ثم غزا بلْمصْطلق من خُزاعة فى شعبان سنة ستّ .

* * *

ذكر غزوة بنِى المُصْطَلِق

١٥١١/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة بن الفَضْل وعلىّ بن مجاهد ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قَتادة ، وعن عبدِ الله بن أبى بكر . وعن محمد بن يحيى بن حَبَّان ، قال : كُلٌّ قد حدثنى بعض حديث بنى المصطلق ، قالوا : بلغ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّ بلْمُصْطلق[٢] يجتمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبى ضِرار ؛ أبو جُوَيْرية بنت الحارث ، زوج النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، فلمَّا سمع بهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم خرج إليهم حتى لقيَهم على ماء[٣] من مياههم ، يقال له : المُرَيْسِيع ، من ناحية قُدَيد إلى الساحل ، فتزاحف الناس واقتتلوا قتالا شديدًا ، فهزم الله بنى المصطلِق ، وقُتِل مَنْ قتل منهم ، ونَفَّلَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أبناءهم ونساءهم وأموالهم ؛ فأفاءهم الله عليه .

وقد أصيب رجلٌ من المسلمين من بنى كلْب بن عوف بن عامر بن ليث ابن بكر ، يقال له هشام بن صُبَابة ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عُبادة ابن الصّامت ، وهو يرى أنه من العدوّ ، فقتله خطأ .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٤

(٢) ابن هشام : « بنى المصطلق » .

(٣) ابن هشام : « على ماء لهم » .

(٤) س : « وأصيب » .

فبينا الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجيرٌ له من بنى غفار يقال له جَهْجَاه بن سعيد[١] ، يقود له فرسه ، فازدحم جَهْجَاه وسِنان الجهنىّ[٢] حليف بنى عَوْف بن الخزرج على الماء ، ١٥١٢/١
فاقتتلا ، فصرخ الجُهَنِىُّ : يا معشرَ الأنصار ، وصرخ جَهْجَاه : يا معشر المهاجرين[٣] ، فغضب عبدُ الله بن أبىّ بن سَلول ، وعنده رَهْط من قومه [٤] ، فيهم زيد بن أرقم غلام حديث السنّ ، فقال : أقد[٥] فعلوها ! قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا ، والله ما عَدَوْنا[٦] وجلابيبَ[٧] قريش ما قال القائل : « سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ » ؛ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرِجنّ الأعزُّ منها الأذلّ ! ثم أقبل على مَنْ حضره من قومه ، فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ! أحللتُموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ! أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير بلادكم .

فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وذلك عند فراغ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من عدوّه . فأخبره الخبر

(١) ابن هشام : « جهجاه بن مسعود » . وفى الإصابة ١ : ٢٥٤ : « جهجاه بن سعيد ، وقيل : ابن قيس ، وقيل ابن مسعود الغفارى ؛ شهد بيعة الرضوان بالحديبية . . . » وذكر خبره فى غزاة بنى المصطلق .

(٢) فى ابن هشام : « وسنان بن وبر الجهنى » . وقال السهيلى : « وقال غيره : هو سنان ابن تميم — من جهينة — بن سود بن أسلم ، حليف الأنصار » .

(٣) قال السهيلى : « ولم يذكر ما قال النبى صلى الله عليه وسلم حين سمعهما ؛ وفى الصحيح أنه عليه السلام قال : دعوها فإنها منتنة . يعنى أنها كلمة خبيثة ؛ لأنها من دعوى الجاهلية . وجعل الله المؤمنين إخوة وحزباً ؛ فإنما ينبغى أن تكون الدعوة للمسلمين ؛ فمن دعا فى بدعوى الجاهلية فيتوجه للفقهاء فيه ثلاثة أقوال : أحدها أن يجلد من استجاب له خمسين سوطاً ؛ اقتداء بأبى موسى الأشعرى فى جلده النابغة الجعدى خمسين سوطاً ؛ حين سمع : « يا لعامر الإسلام ! » فأقبل يشتد بعصبة . والثانى أن فيها الجلد دون العشر لنهيه عليه السلام أن يجلد أحد قومه العشرة إلا فى حد . والقول الثالث اجتهاد الإمام فى ذلك على حسب ما يراه من سد الذريعه وإغلاق باب الشر ، إما بالوعيد ، وإما بالسجن ، وإما بالجلد » .

(٤) س : « قومهم » .

(٥) ابن هشام : « أوقد » .

(٦) ابن هشام : « ما أعدنا » .

(٧) جلابيب قريش ؛ كان المشركون يلقبون من يسلم من قريش بذلك . وأصل الجلابيب الأزر الغلاظ ؛ وكانوا يلتحفون بها ؛ فلقبوهم بذلك .

وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : يا رسول الله مُرْ به عَبَّاد بن بِشْر بن وَقْش فليقتلْه ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : فكيف يا عُمَرُ إذا تحدَّث الناس : أن محمدًا يقتل أصحابه ! لا ، ولكن أذِّنْ بالرحيل — وذلك فى ساعة لم يكن رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يرتحل فيها — فارتحل الناس ، وقد مشى عبد الله بن أبىّ بن سَلول إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم حين بلغه أنّ زيد بن أرقم قد بلّغه ما سمع منه . فحلف بالله : ما قلت ما قال ، ولا تكلَّمت به — وكان عبدُ الله بن أبىّ فى قومه شَرِيفًا عَظِيمًا — فقال مَنْ حضر رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من أصحابه من الأنصار : يا رسولَ الله ، عسى أن يكون الغلام أو هم [1] فى حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل ! حَدَبًا[2] على عبد الله بن أبىّ ودفعًا عنه . ١ /١٥١٣

فلما استقلّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وسار ، لقيه أسَيْد بن حُضَير ، فحياه تَحيَّة النبوّة ، وسلَّم عليه ، ثم قال : يا رسولَ الله ، لقد رُحْتَ فى ساعة منكَرة ما كنتَ تروح فيها ! فقال له رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أوَ مَا بلغك[3] ما قال صاحبكم ! قال : وأىُّ صاحب يا رسول الله ! قال : عبد الله بن أبىّ ، قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعزُّ منها الأذلّ ، قال أسَيْد : فأنت والله يا رسولَ الله تخرجه إن شئت ، هو والله الذّليل وأنت العزيز ! ثم قال : يا رسولَ الله ، ارفُقْ به فوالله لقد جاء الله بك ، وإنّ قومه لينظمون له الخَرَز ليتوّجوه ؛ فإنه لَيَرَى[4] أنّك قد استلبته مُلْكًا[5] .

ثم مَتَن[6] رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالنّاس يومهم ذلك حتَّى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصَدْرَ يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس.

(١) يقال : وهم فى كذا ، إذا أسقط وأخطأ ، ومثله « أوهم » .

(٢) التفسير : « حذراً » .

(٣) التفسير : « أما » .

(٤) و : « يرى »

(٥) س : « سلبته ملكه » .

(٦) و : « سار » . ابن هشام والتفسير : « مشى » . ومتن ، أى سار بهم حتى أضعف إبلهم ؛ يقال : متن بالإبل ؛ إذا أتعبها حتى الضعف .

ثم نزل بالنّاس ؛ فلم يكن إلاّ أن وجدوا مسّ الأرض وقعوا نياما ؛ وإنما فعل ذلك [رسول الله صلى الله عليه وسلم][1] ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبىّ .

ثم راح بالنّاس ، وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فُوَيْق النَّقِيع[2] ، يقال له نقعاء ، فلمّا راحَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم هبّت على الناس ريحٌ شديدةٌ آذتهم ، وتخوّفوها ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لا تخافوا[3] ، فإنما هبّت لموت عظيم من عظماء الكفار ، فلمّا ١٥١٤/١ قدِموا المدينة وجدوا رِفاعة بن زيد بن التّابوت ، أحد بنى قَيْنُقاع — وكان من عظماء يهود ، وكَهْفًا للمنافقين — قد مات فى ذلك اليوم .

ونزلت السورة التى ذكر الله فيها المنافقين فى عبد الله بن أبىّ بن سَلُول ومَنْ كان [معه][4] على مثل أمره ، فقال : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ ، فلمّا نزلت هذه السورة أخذ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بأذُن زيد بن أرقم فقال : هذا الذى أوفى الله بأذُنه .

* * *

حدّثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا يحيى بن آدم ، قال : حدّثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن زيد بن أرقم ، قال : خرجت مع عمّى فى غَزَاةٍ ، فسمعت عبدالله بن أبىّ بن سلول يقول لأصحابه : ﴿ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﴾ والله ، ﴿ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾[5] ؛ فذكرت ذلك لعمىّ ، فذكره عمّى لرسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فأرسل إلىّ

(١) من ابن هشام .

(٢) كذا فى ط والتفسير ، بالنون ، وفى رواية ابن إسحاق بالباء ؛ وهما قولان ذكرهما ياقوت فى معجم البلدان ٨ : ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٣ .

(٣) س : « لا تخافوهما » .

(٤) من التفسير .

(٥) سورة المنافقين ٧ : ٨ .

فحدّثته ، فأرسل إلى عبدالله وأصحابه ، فحلفوا ما قالوا؛ قال : فكذّبنى رسول الله صلّى الله عليه وسلم وصدّقه ، فأصابنى هَمٌّ لم يصبْنى مثله قطّ ، فجلست[1] فى البيت ، فقال لى عمّى : ما أردتَ إلى[2] أن كذّبك رسولُ الله ومقتّك ! قال : حتّى أنزل الله عزّوجلّ : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ ، قال : فبعث إلىّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فقرأها ، ثم قال : إنّ الله صدّقك[3] يا زيد[4] .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبىّ
١٥١٥/١ الذى كان من أمر أبيه . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أنّ عبدَ الله بن عبد الله بن أبىّ ابن سلول أتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا رسولَ الله ، إنّه قد بلغنى أنّك تريد قتلَ عبد الله بن أبىّ — فيما بلغك عنه — فإن كنت فاعلا فمرْنى به ، فأنا أحملُ إليك رأسه ؛ فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجلٌ أبرّ بوالده منّى ؛ وإنّى أخشى أن تأمرَ به غيرى فيقتلَه ، فلا تدعْنى نفسى أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبىّ يمشى فى الناس فأقتلَه ؛ فأقتلَ مؤمنًا بكافر فأدخل النار ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : بل نرفُق به ، ونحسِن صحبتَه ما بقىَ معنا . وجعل بعد ذلك إذَا أحْدَثَ الحَدَثَ ، كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ، ويُعنّفونه ويتوعّدُونه ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم من شأنهم : كيف ترى يا عمر ! أما والله لو قتلتهُ يومَ أمرْتَنِى بقتله ، لأرعِدَت له آنُفٌ لو أمرتُهَا اليوم

(١) التفسير : « فدخلت » .

(٢) س : « إلا » .

(٣) س : « صدقت يا زيد » .

(٤) الخبر فى التفسير ٢٨ : ٧٠ ، ٧١ (بولاق) .

بقتله لقتلتـه. قال : فقال عمر : قد والله علمتُ، لأمرُ رسولِ الله أعظمُ بركة من أمرى . (١)

قال : وقدم مِقْيَس بن صُبابة من مكة مسلمًا فيما يُظهر، فقال : يا رسولَ الله ، جئتك مسلمًا وجئت أطلب دية أخى قتل خطأ . فأمر له رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بديَة أخيه هشام بن صُبابة ، فأقام عند رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكَّة مرتدًّا ، فقال فى شعر :

شَفَى النَّفْسَ أنْ قَدْ باتَ بالْقَاعِ مُسْنَدًا تُضَرِّجُ ثوْبَيْهِ دِماءُ الأخادِعِ (٢) ١٥١٦/١
وكَانَتْ هُمُومُ النَّفْسِ من قَبلِ قَتْلِهِ تُلِمُّ ، فتَحْمِينى وِطَاءَ المضَاجِعِ (٣)
حَلَلْتُ به وِتْرِى، وأَدْرَكْتُ ثُؤْرَتِى وكُنْتُ إلى الأوْثان أوّل رَاجِعِ (٤)
تأَرْتُ به فِهْراً وحَمَّلْتُ عَقْلَه سَرَاةَ بنى النَّجّارِ أرْبابَ فارِعِ (٥)

وقال مِقيسُ بن صُبابة أيضًا :

جَلَلْتُهُ ضَرْبَةً باءَتْ ، لها وشَلٌ مِنْ ناقِعِ الجَوْفِ يَعلُوهُ ويَنْصَرِمُ (٦)
فَقُلْتُ والمَوْتُ تَغْشَاهُ أَسِرَّتُه لا تأمَنَنَّ بنى بَكْرٍ إذَا ظُلِمُوا (٧)

وأصيب من بنى المصطلق يومئذ ناسٌ كثيرٌ ، وقُتِل علىٌّ بن أبى طالب منهم رجليْن : مالكاً وابنه ، وأصاب رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم منهم

(١) التفسير ٢٨ : ٧٥ ، ٧٦ (بولاق) ، وابن هشام ٢ : ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٢) القاع : المنخفض من الأرض . وتضرج : تلطخ . والأخادع : عروق القفا ؛ وإنما هما أخدعان ؛ فجمعهما مع يليهما .

(٣) تلم : تحل بى . وتحمينى : تمنعنى . ووطاء المضاجع : ليناتها .

(٤) الوتر : طلب الثأر . والثؤرة : الثأر .

(٥) ط : « ثأرت به قهراً ! ! » وما أثبته من ابن هشام . العقل : الدية . وسراة بنى النجار : خيارهم . وفارع : حصن لهم .

(٦) جللته ضربة : علوته بها . وباءت : أخذت بالثأر : يقال : بؤت بفلان ؛ إذ أخذت بثأره . والوشل : القطر ، ويريد بناقع الجوف الدم . ينصرم : ينقطع .

(٧) الأسرة : التكسر الذى يكون فى جلد الوجه والجبهة .

سبيًا كثيرًا ، ففشا قَسْمُه فى المسلمين ؛ ومنهم جُويْرية بنت الحارث بن أبى ضرار زوْج النبى صلى الله عليه وسلم [١] .

١٥١٧/١ حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة ، عن عائشة زوْج النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، قالت : لما قَسَمَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم سبايا بنى المصطلِق ، وقعت جُوَيرية بنت الحارث فى السهم لثابت بن قيس ابن الشماس — أو لابن عمٍّ له — فكاتبتْه على نفسها — وكانت امرأة حُلْوَةً مُلاّحة[٢] ، لا يراها أحَدٌ إلا أخذت بنفسه — فأتتْ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم تستعينه على كتابتها ، قالت : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حُجرتى كرِهتها ، وعرفت أنه سيرَى منها مثلَ ما رأيت ، فدخلتْ عليه ، فقالت : يا رسول الله ، أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار سيِّد قومه ، وقد أصابنى من البلاء ما لم يَخْفَ عليك ؛ فوقعت فى السَّهم لثابت بن قيس بن الشماس — أو لابن عمٍّ له — فكاتبتُه على نفسى ، فجئتك أستعينك على كتابتى ، فقال لها : فهل لكِ فى خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أقضى كتابَتك وأتزوّجك ، قالت : نعم يا رسولَ الله ، قال : قد فعلت ، قالت : وخرج الخبر إلى النَّاس أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم قد تزوَّج جويرية بنت الحارث ، فقال النَّاس : أصهارُ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فأرسلوا ما بأيديهم .

قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأةً كانت أعظمَ بركة على قومها منها[٣] .

* * *

حديث الإفك

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ،

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٨ .

(٢) الملاحة : الشديدة الملاحة .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٨ ، ٢١٩ .

قال : وأقبل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من سفره ذلك — كما حدّثنى أبى إسحاق، عن الزهرىّ، عن عروة، عن عائشة — حتى إذا كان قريبًا من المدينة — وكانت [معه][1] عائشة فى سفره ذلك — قال أهل الإفك فيها ما قالوا[2]. ١/١٥١٨

حدثنا ابنُ حميد قال : حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، عن الزّهرىّ، عن علقمة بن وقّاص الليثىّ وعن سعيد بن المسيَّب[3]، وعن عُرْوة بن الزُّبير وعن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة [بن مسعود][4] قال الزهرىّ : كُلّ قد حدّثنى بعضَ هذا الحديث، وبعضُ القومِ كان أوعَى له من بعض. قال : وقد جمعت لك كلّ الذى حدّثنى القوم.

حدّثنا ابنُ حميد، قال : حدّثنا سلَمة، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق، قال : حدّثنى يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير، عن أبيه، عن عائشة، قال : وحدّثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارىّ، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة، قال : وكلّ قد اجتمعَ حديثه فى خبر قصّة عائشة عن نفسها حين قال أهل الإفك فيها ما قالوا، فكلٌّ قد دخل فى حديثها عن هؤلاء جميعًا، ويحدّث بعضُهم ما لم يحدّث بعضٌ، وكلّ كان عنها ثقة، وكلٌّ قد حدّث عنها بما سمع. ١/١٥١٩

قالت عائشة : كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إذا أراد سفرًا أقْرَعَ بين نسائه، فأيّتهُن خرج سهمُها خرج بها معه؛ فلمّا كانت غزوة بنى المصطلق، أقرع بين نسائه كما كان يصنع؛ فخرج سهمِى عليهنّ، فخرج بى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم. قالت : وكان النساء إذ ذاك إنّما يأكلن العُلَق[5] لم يُهبّجهنّ[6] اللّحم فيثْقُلْنَ. قالت : وكنت إذا رُحِلَ بعيرى جلستُ فى هودجِى، ثمّ يأتى القوم الذين يرحلون هودجى فى بعيرى،

(١) من سيرة ابن هشام. (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٠.
(٣) ابن هشام : «سعيد بن جبير». (٤) من التفسير.
(٥) العلق : بضم ففتح؛ وهى ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغداء.
(٦) التهييج، كالورم فى الجسم، قد يكون من سمن وقد يكون من آفة.

ويحملونى فيأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير ، فيشدّونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من سفره ذلك، وجّه قافلا ، حتى إذا كان قريبًا من المدينة نزل منزلا ، فبات فيه بعضَ الليل ، ثم أذّنَ فى النّاس بالرحيل ، فلمّا ارتحل النّاس خرجتُ لبعض حاجتى وفى عنقى عِقْدٌ لى فيه جَزْعُ[1] ظَفار ، فلمّا فرغتُ انسلّ من عنقى ولا أدرى ؛ فلمّا رجعتُ إلى الرَّحْل ذهبتُ ألتمسه فى عنقى فلم أجده ، وقد أخذ النّاس فى الرحيل . قالت : فرَجعْتُ عَوْدِى على بدئى إلى المكان الذى ذهبت إليه ؛ فالتمسته حتى وجدته ، ١/١٥٢٠ وجاء خلافى القوم الذين كانوا يرجّلون لى البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج ، وهم يظنون أنّى فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه ، فشدّوه على البعير ، ولم يشكّوا أنّى فيه . ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به ، ورجعت إلى العسكر وما فيه داع ولا مجيب ، قد انطلق الناس . قالت : فتلفّفت بجلبابى ثمّ اضطجعت فى مكانى الذى ذهبت إليه ؛ وعرفت أنْ لو قد افتقدونى قد رجعوا إلىّ . قالت : فوالله إنّى لمضطجعة ، إذ مرّ بى صفوان بن المُعَطّل السُلَمىّ[2] ، وقد كان تخلّف عن العسكر لبعض حاجته ، فلم يبتْ مع النّاس فى العسكر ؛ فلمّا رأى سوادِى أقبل حتى وقف علىّ فعرَفنى — وقد كان يرانى قبل أن يُضْرَب علينا الحجاب — فلمّا رآنى قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ! أظعينة رسول الله ! وأنا متلفّفة فى ثيابى . قال : ما خلّفك رحمكِ الله ؟ قالت : فما كلّمته ، ثم قرّب البعير فقال : ارْكبى رحمكِ الله ! واستأخر عنّى . قالت : فركبتُ وجاءَ فأخذ برأس البعير ، فانطلق بى سريعًا يطلب الناس ؛ فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتُقدت حتى أصبحت ، ونزل النّاس ، فلما اطمأنّوا طلع الرجل يقودنى ، فقال أهلُ الإفك فِىّ ما قالوا . فارتجّ[3]

(١) الجزع : الخرز . وظفار : مدينة باليمن قرب صنعاء ؛ ينسب إليها الجزع الظفارى .

(٢) قال السهيلى : « يكنى أبا عمرو ؛ وكان يكون على ساقة العسكر ، يلتقط مما يسقط من متاع المسلمين حتى يأتيهم به ؛ ولذلك تخلف فى هذا الحديث الذى قال فيه أهل الإفك ما قالوا . وقد روى فى تخلفه سببٌ آخر ؛ وهو أنه كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرحل الناس » .

(٣) ابن هشام : « ارتعج العسكر » ، أى تحرك واضطرب .

العسكر ، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك . ثمّ قدمنا المدينة ، فلم أمكُثْ[١] أن اشتكيت شكوى شديدة ، ولا يبلغنى شيء من ذلك ؛ وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وإلى أبَوَىّ ، ولا يذكران لى من ذلك قليلاً ولا كثيراً[٢] ، إلاّ أنّى قد أنكرتُ من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعضَ لُطْفه بى ؛ كنتُ إذا اشتكيتُ رحمنى ولَطُف بى ؛ فلم يفعل ذلك فى ١/١٦٢١ شكْواى[٣] تلك ، فأنكرت منه ، وكان إذا دخل علىّ وأمى تُمَرّضُنى ، قال : كيف تيكُم ؟ لا يزيد على ذلك . قالت : حتى وَجدتُ فى نفسى مما رأيت من جَفائه عنّى ، فقلت له : يا رسولَ الله ، لو أذنت لى فانتقلت إلى أمىّ فمرّضتنى ! قال : لا عَلَيْكِ ! قالت : فانتقلت إلى أمىّ ، ولا أعلم بشيء مما كان ، حتى نقِهْت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة . قالت : وكنّا قوماً عَرَبا لا نتّخذ فى بيوتنا هذه الكُنُف التى تتّخذها الأعاجم ، نعافها ونكرهها ؛ إنّما كنا نخرجُ فى فُسَح المدينة ؛ وإنّما كان النساء يخرجْنَ كلّ ليلة فى حوائجهنّ ؛ فخرجت ليلةً لبعض حاجتى ، ومعى أمّ مِسْطح بنت أبى رُهْم بن المطّلب بن عبد مناف ، وكانت أمّها بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ، خالة أبى بكر . قالت : فوالله إنّها لتمشى معى ، إذْ عثرت فى مِرْطِها[٤] ، فقالت : تَعِس مِسْطح[٥] ! قالت : قلتُ : بئس لعمر الله ما قلتِ لرجل من المهاجرين قد شهد بدراً ! قالت : أوَ ما بلغك الخبر يا بنتَ أبى بكر ! قالت : قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتْنى بالّذى كان من قولِ أهل الإفك . قالت : قلت وقد كان هذا ! قالت : نعم والله لقد كان . قالت : فوالله ما قدرتُ على أن أقْضِىَ حاجتى ، ورجعت فما زِلْتُ أبكى حتى ظننتُ أنّ البكاء سيصدع[٦] كبدى . قالت : وقلت لأمّى :

(١) ابن هشام : « ألبث » .

(٢) و : « لا يذكر لى منه قليل ولا كثير » .

(٣) و : « شكاتى » .

(٤) المرط : الكساء .

(٥) قال ابن هشام : « ومسطح لقب ، واسمه عوف » .

(٦) سيصدع : سيشق .

يغفر الله لك ! تحدّث الناس بما تحدّثوا به وبلغك ما بلغك ؛ ولا تذكرين لى من ذلك
١٥٢٢/١ شيئًا ! قالت : أى بُنَيَّة خفِّضى الشأن [١] ؛ فوالله قلّما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبُّها لها ضرائر إلا كثّرن وكثّر الناس عليها .

قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس يخطبهم [٢] ولا أعلم بذلك . ثم قال : أيّها الناس ، ما بالُ رجال يُؤذُونني فى أهلى ، ويقولون عليهنّ غير الحقّ ! والله ما علمتُ منهن [٣] إلاّ خيرًا ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيرًا ! وما دخل [٤] بيتًا من بيوتى إلاّ وهو معى . قالت : وكان كُبْر [٥] ذلك عند عبد الله بن أبىّ بن سَلُول فى رجال من الخزرج ؛ مع الذى قال مسطح وحَمْنَة بنت جحش — وذلك أنّ أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [ولم تكن من نسائه امرأة تناصبنى فى المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فعصمها الله ، وأما حمنة بنت جحش] [٦] ، فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تضارّنى [٧] لأختها زينت بنث جحش — فشقيتُ بذلك .

فلمّا قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم تلك المقالة ، قال أسَيد بن حُضَيْر أخو بنى عبد الأشهل : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوْس نَكْفِكَهُم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرْنا بأمرك ؛ فوالله إنّهم لأهلٌ أن تضرَب [٨] أعناقهم . قالت : فقام سعد بن عبادة — وكان قبل ذلك يُرى رجلا صالحًا — فقال : كذبت لعمر الله لا تضْرَب أعناقهم ! أما والله ما قلتَ هذه المقالة إلاّ أنّك قد عرفت أنّهم من الخزرج ، ولو كانوا من
١٥٢٣/١ قومك ما قلت هذا! قال أسَيد : كذبت لعمر الله ! ولكنك منافق تجادل عن

(١) خفضى الشأن : هونيه عليك .
(٢) و : « فخطبهم » .
(٣) س : « عليهن » .
(٤) و : « ولا دخل » .
(٥) الكبر ، بالضم والكسر : الإثم ومعظم الشىء .
(٦) من سيرة ابن هشام .
(٧) ابن هشام : « تضادنى » .
(٨) و : « نضرب » .

المنافقين ! قالت : وتثاوره[١] النّاس حتّى كاد أن يكون بين هذين الحيّين من الأوْس والخزرج شرّ ، ونزل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فدخل علىّ ، قالت : فدعا علىّ بن أبى طالب وأسامة بن زيد ؛ فاستشارهما ، فأمّا أسامة فأثنى خيرًا وقاله[٢] ، ثم قال : يا رسولَ الله ، أهلُك ، ولا نعلم عليهنّ إلا خيرًا ؛ وهذا الكذب والباطل. وأمّا علىّ فإنه قال : يا رسولَ الله ؛ إنّ النساء لكثيرٌ ؛ وإنك لقادرٌ على أن تستخلف ؛ وسِل الجارية فإنّها تَصدُقك. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بَريرَة يسألها . قالت : فقام إليها علىّ فضربها ضربًا شديدًا[٣] ؛ وهو يقول : اصدُقى رسول الله ؛ قالت : فتقول : والله ما أعلم إلاّ خيرًا ، وما كنت أعيبُ[٤] على عائشة ؛ إلاّ أنّى كنتُ أعجِن عجينى[٥] فآمرها أن تحفظه[٦] فتنام عنه ، فيأتى الدّاجن فيأكله[٧] .

ثم دخلَ علىّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وعندى أبَوَايَ ، وعندى امرأة من الأنصار ؛ وأنا أبكى وهى تبكى معى ؛ فجلس فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا عائشة ؛ إنّه قد كان ما بلغك من قول الناس ، فاتّقى الله ؛ وإن كنتِ قارفْتِ سوءًا[٨] ممّا يقول النّاس فتوبى إلى الله ؛ فإنّ الله يقبل التّوبة عن عباده ؛ قالت : فوالله ما هو إلاّ أن قال ذلك ، تقلّص[٩] دمعى ؛ حتى ما أحسُّ منه شيئًا ، وانتظرتُ أبَوَىّ أن يجيبَا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلم يتكلّما . قالت : وايْمُ الله لأنا كنتُ أحقَرُ فى نفسى وأصغرُ شأنًا من أن ينزّل الله عزّ وجلّ فىّ قرآنًا يقرأ به فى المساجد ، ١٥٢٤/١

(١) س : « وتنافر » . وفى ابن هشام : « وتساور الناس » ، أى قام بعضهم إلى بعض .

(٢) س : « وقال خيراً » .

(٣) قال السهيلى : « وأما ضرب على للجارية وهى حرة ، ولم تستوجب ضرباً ، ولا استأذن رسول الله فى ضربها ؛ فأرى معناه أنه أغلظ لها بالقول ، وتوعدها بالضرب ، واتهمها أن تكون خانت الله ورسوله ، فكتمت من الحديث ما لا يسعها كتمه » .

(٤) س : « أعتب » .

(٥) و : « عجنتى » .

(٦) س : « يحفظه » .

(٧) ابن هشام : « فتأتى الشاة فتأكله » .

(٨) قارفت سوءاً : دخلت فيه .

(٩) ابن هشام : « فقلص » ، وقلص وتقلص : ارتفع .

ويصلّى به ، ولكنّى قد كنت أرجو أن يرى رسول الله فى نومه شيئًا يكذّب الله به عنّى ، لما يعلم من براءتى ، أو يخبر خبرا ؛ فأما قرآنٌ ينزل فىّ ، فوالله لَنفسى كانتْ أحْقَرَ عندى من ذلك . قالت : فلمّا لم أرَ أبوىّ يتكلمان . قالت : قلت ألا تجيبان رسولَ الله ! قالت : فقالا لى : والله ما ندرى بماذا نجيبه ! قالت : وايمُ الله ما أعلمُ أهلَ بيت دخلَ عليهم ما دخلَ على آل أبى بكر[1] فى تلك الأيام ! قالت : فلما استعجَما علىّ استعبرتُ فبكيت ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدًا ؛ والله لئن أقررت بما يقول الناس — والله يعلم أنى منه بريئة — لتصدّقنى ؛ لأقولنّ ما لم يكن ؛ ولئن أنا أنكرت ما تقولون لا تصدّقوننى . قالت : ثم التمست اسمَ يعقوب فما أذكره ؛ ولكنّى أقول كما قال أبو يوسف : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ .

قالت : فوالله ما برَحَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مجلسَه حتى تغشّاه من الله ما كان يتغشّاه ، فسُجِّىَ بثوبه ، ووضعت وسادة من أدَم تحت رأسه ؛ فأمّا أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ؛ فوالله ما فزعت كثيرًا ولا باليت ؛ قد عرفت أنّى بريئة ، وأنّ الله غير ظالمى ، وأمّا أبواىَ ؛ فوالّذى نفس عائشة بيده ، ما سُرّىَ عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى ظننت لتخرجنّ أنفسُهما فرَقًا أن يأتىَ من الله تحقيق ما قال الناس . قالت : ثم سُرّىَ عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فجلس وإنّه ليتحدّر منه مثل الجُمان فى يوم شاتٍ ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ، ويقول : أبشرى يا عائشة ؛ فقد أنزل الله براءتك ، قالت : فقلت : بحمد الله وذمّكم . ثمّ خرج إلى الناس فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عزّ وجلّ من القرآن فىّ . ثم أمر بمسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحَمْنة بنت جحش — وكانوا ممّن أفصح بالفاحشة — فضُربوا[2] حدّهم .[3] ١٥٢٥/١

(١) س : « أهل بيت » .

(٢) س : « فجلدوا »

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٠ — ٢٢٢ ، التفسير ١٨ : ٧١ — ٧٤ (بولاق) ، مع اختلاف فى آخر الخبر .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق . عن أبيه ، عن بعض رجال بنى النّجار ، أنّ أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أمّ أيوب : يا أبا أيوب ، أما تسمع ما يقول الناس فى عائشة ؟ قال : بلَى ؛ وذلك الكذب ؛ أكنتِ يا أمّ أيوب فاعلةً ذلك ! قالت : لا والله ما كنت لأفعلَه (١) ، قال : فعائشة والله خيرٌ منك . قال : فلمّا نزل القرآن ذكر الله من قال من الفاحشةما قال من أهل الإفك : ﴿ إنّ الّذِينَ جاءوا بِالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ . . ﴾ (٢) . الآية ؛ وذلك حسان بن ثابت فى أصحابه الذين قالوا ما قالوا (٣) .

ثم قال الله عزّ وجلّ : ﴿ لَوْلاَ إذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤمِنَاتُ بِأنْفُسِهِمْ خَيْرًا . ﴾ (٢) الآية ، أى كما قال أبو أيوب وصاحبته . ثم قال : ﴿ إذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ . . . ﴾ (٤) الآية . فلمّا نزل هذا فى عائشة وفيمن قال لها ما قال قال أبو بكر — وكان ينفِق على مِسْطَح لقرابته منه وحاجته : والله لا أنفِق على مِسْطح شيئًا أبدا ، ولا أنفعه بنفع أبدا بعد الذى قال لعائشة ، وأدخل علينا ما أدخل ! قالت : فأنزل الله عزّ وجلّ فى ذلك : ﴿ ولاَ يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ والسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِى القُرْبَى . . . ﴾ (٥) الآية . ١٥٢٦/١

(١) س : « فاعلة ولا أفعله » .

(٢) سورة النور ١١ ، ١٢

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٢ .

(٤) سورة النور ١٥ .

(٥) سورة النور ٢٢ . قال ابن هشام : ولا يأتل أولو الفضل منكم ؛ منه قول امرئ القيس ابن حجر الكندى :

ألاربّ خصْمٍ فِيكَ ألْوَى رَدَدْتُه نَصِيحٍ عَلَى تعْذَاله غير مؤتَل

وفى كتاب الله تعالى : ﴿ للّذِينَ يُؤلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ﴾ وهو من الألية ، والألية : اليمين ، قال حسان بن ثابت :

آلَيْتُ ما فى جَمِيعِ النَّاس مُجْتَهِدًا مِنِّى أَلِيَّةَ برٍّ غير إفْنَادِ

فمعنى « أن يؤتوا » فى هذا المذهب : « ألا يؤتوا » .

قالت: فقال أبو بكر: والله لأحبُّ أن يغفر الله لى. فرجع إلى مِسْطح نفقته التى كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدا.

ثم إنّ صفوان بن المعطّل اعترض حسان بن ثابت بالسيف حين بلغه ما يقول فيه؛ وقد كان حسّان قال شعرًا مع ذلك يعرّض بابن المعطّل فيه وبمن أسْلَم من العرب من مُضَر، فقال:

أمْسَى الجَلَابِيبُ قد عزُّوا وقد كثروا ... وابنُ الفُرَيْعَةِ أمْسَى بَيْضَةَ البَلَدِ (١)

قد ثَكِلَتْ أُمُّهُ من كنتَ صَاحِبَهُ ... أو كان منْتَشِباً فى بُرْثُنِ الأَسَدِ (٢)

ما لقتيلِى الذى أغْدُو فآخُذُه ... من دِيَةٍ فيه يُعْطَاها ولا قَوَدِ (٣)

ما البَحْرُ حين تَهُبُّ الرِّيحُ شامِيَةً ... فيَغْطَئِلُّ ويَرْمِى العِبْرَ بالزَّبَدِ (٤)

يَوْماً بأغْلَبَ منِّى حين تُبْصِرنِى ... مِلْغَيْظِ أفْرِى كَفَرْىِ العارضِ البَرِدِ (٥) ١٥٢٧/١

فاعترضه صفوان بن المعطّل بالسيف فضربه ثم قال — كما حدّثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق:

تَلقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عنِّى فإننى ... غُلَامٌ إذا هُوجِيتُ لَسْتُ بشاعِرِ (٦)

حدثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمىّ، أنّ ثابت بن قيس بن الشّمّاس أخا

(١) ديوانه ١٠٤. قال السهيلى: «يعنى بالجلابيب الغرباء. وبيضة البلد، يعنى منفرداً؛ وهى كلمة يتكلم بها فى المدح تارة، وفى معنى القلّ أخرى، يقال: فلان بيضة البلد؛ أى أنه واحد فى قومه عظيم فيهم. وفلان بيضة البلد؛ يريد أنه ذليل ليس معه أحد».

(٢) ثكلته أمه: فقدته. والبرثن: الكف مع الأصابع.

(٣) القود: قتل النفس.

(٤) يغطئل: يجول ويتحرك. والعبر: جانب البحر.

(٥) ملغيظ، أى من الغيظ. أفرى: أقطع. والعارض: السحاب. والبرد، بكسر الراء: الذى فيه برد. وبعده فى سيرة ابن هشام:

أمَّا قريشٌ فإنى لن أُسَالِمَهمْ ... حَتَّى يثيبُوا مَن الغيَّاتِ للرَّشَدِ

وَيتْرُكُوا اللَّاتَ والعُزَّى بمَعْزِلةٍ ... وَيسْجُدُوا كُلُّهم للواحِدِ الصَّمَدِ

وَيشْهَدُوا أنَّ مَاقَالَ الرَّسُولُ لَهُمْ ... حقٌّ، وَيُوفوا بعَهْدِ اللهِ والوُكُدِ

(٦) سيرة ابن هشام ٢: ٢٢٢، ٢٢٣

بلْحارث بن الخزرج ، وَثَب على صَفْوان بن المعطَّل فى ضربه حسان ، فجمع يَدَيْه إلى عُنُقه ، فانطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخزرج ، فلقيه عبد الله بن رواحة ، فقال : ما هذا ؟ قال : ألاَ أعجّبك[1] ضرب حَسَّان بن ثابت بالسَّيف ! والله ما أراه إلاّ قد قتله . قال : فقال له عبدُ الله ابن رَواحة : هل علِمَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بشىء مما صنعت ؟ قال : لا والله ، قال : لقد اجترأت ! أطلق الرجل ، فأطلقه . ثم أتوْا رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فذكروا له ذلك ؛ فدعا حَسَّان وصفوان بن المعطَّل ، فقال ابنُ المعطَّل : يا رسولَ الله ، آذانى وهجانى ، فاحتملنى الغضب فضربته . فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم لحسان : يا حسان أتشوّهت[2] على قومى أن هداهم الله للإسلام ! ثم قال : أحسِن يا حَسَّان فى الذى قد أصابك ، قال : هى لك يا رسول الله[3] . ١٥٢٨/١

وحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدثناسلَمة ، عن محمّد بن إسحاق ، عن محمد ابن إبراهيم بن الحارث ، أنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أعطاه عِوَضًا منها بَيْرَحَا — وهى قصر بنى حُدَيْلة اليوم بالمدينة ؛ كانت مالاً لأبى طلحة بن سهل ، تصدّق بها إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فأعطاها حسَّان فى ضربته — وأعطاه سيرين ؛ أمَةً قِبْطيةً ، فولدت له عبد الرَّحمن بن حسان . قال : وكانت عائشة تقول : لقد سئِل عن صفوان بن المعطّلِ فوجدوه رجلا حَصُورًا ما يأتى النساء . ثم قتل بعد ذلك شهيدًا[3] .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الواحد ابن حمزة ، أنّ حديث عائشة كان فى عُمْرة القضاء .

* * *

قال أبو جعفر : ثم أقامَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالمدينة شهر رمضان وشَوّالا ، وخرج فى ذى القعدة من سنة ست معتمرًا .

(١) : س « ألا أعجل » .

(٢) أتشوهت على قومى ، أى أقبحت ذلك من فعلهم حين سميتهم الخلابيب من أجل هجرتهم إلى الله ورسوله !

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

ذكر الخبر عن عُمرة النبىّ صلى الله عليه وسلَّم التى صدَّه المشركون فيها عن البيت ، وهى قصّة الحُديبية

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا الحكَم بن بشير ، قال : حدّثنا عمر ابن ذرّ الهمْدانىّ ، عن مجاهد ، أن النبىّ صلَّى الله عليه وسلم اعتمر ثلاث عُمَرٍ ، كلّها فى ذى القعدة ؛ يرجع فى كلّها إلى المدينة .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق[1] ، قال : خرج النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم معتمرًا فى ذى القَعدة لا يريد حربًا ، وقد ١٥٢٩/١ استنفَر[2] العرب ومَنْ حوله من أهل البوادى من الأعراب أن يخرجوا معه ، وهو يخشى من قُريش الذى صنعوا به أن يعرضوا له بحرْب ، أو يصدّوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثيرٌ من الأعْرَاب ، وخرج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ومَنْ معه من المهاجرين والأنصار ، ومَنْ لحِق به من العرب ، وساق معه الهدْىَ ، وأحرم بالعُمرة ، ليأمن النَّاسُ من حربه ، وليعلم النَّاس أنَّه إنَّما جاء زائرًا لهذا البيت ، مُعظِّمًا له .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن محمد بن مسلِم الزهرىّ ، عن عروة بن الزُّبير ، عن المِسْور بن مَخرَمة ومروان بن الحَكَم ؛ أنَّهما حدّثاه قالا : خرج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عامَ الحديبيَة ، يريد زيارة البيت ، لا يريد قتالاً ، وساق معه سبعين بَدَنة ، وكان النَّاس سبعمائة رجل ؛ كانت كلّ بَدَنة عن عشرة نفر .

وأمَّا حديث ابن عبد الأعلى ؛ فحدّثنا عن محمد بن ثَوْر ، عن مَعْمَر ، عن الزهرىّ ، عن عُروة بن الزُّبير ، عن المِسْوَر بن مَخْرَمة .

(١) أخبار قصة الحديبية عن ابن إسحاق فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٦ — ٢٣٣ .

(٢) س : « استنصر » .

وحدّثنى يعقوب ، قال : حدّثنى يحيى بن سعيد ، قال : حدّثنا عبد الله بن مبارك ، قال : حدّثنى معمَر ، عن الزهرىّ ، عن عُروة بن الزبير ، عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ومرْوان بن الحكَم ، قالا : خرج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من الحديبيَة ، فى بضْعة عشر ومائة من أصحابه . . . ثم ذكر الحديث .

حدّثنا الحسن بن يحيى ، حدّثنا أبو عامر ، قال : حدّثنا عِكْرِمة بن عمّار اليمامىّ ، عن إياس بنَ سلمة ، عن أبيه ، قال : قدمنا مع رسول الله ١٥٣٠/١
صلَّى الله عليه وسلَّم الحديبيَة ، ونحن أربعة عشر (١) ومائة .

حدّثنا يوسف بن موسى القَطّان ، قال : حدّثنا هِشام بن عبد الملك وسعيد بن شُرَحْبيل المصرىّ ، قالا : حدّثنا الليث بن سعد المصرىّ ، قال : حدّثنا أبو الزُّبير ، عن جابر ، قال : كنّا يوم الحديبيَة ألفا وأربعمائة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى عمّى ، قال : حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : كان أهلُ البيعة تحت الشَّجرة ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين .

حدثنا ابن المثنَّى ، قال : حدّثنا أبو داود ، قال : حدّثنا شُعْبة ، عن عمرو بن مرّة ، قال : سمعتُ عبدَ الله بن أبى أوفَى ، يقول : كنّا يومَ الشَّجرة ألفا وثلثمائة ، وكانت أسْلَمُ ثُمن (٢) المهاجرين .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن الأعمش ، عن أبى سُفيان ، عن جابر بن عبد الله الأنصارىّ ، قال : كنّا أصحابَ الحديبية أربعة عشر ومائة .

* * *

قال الزهرىّ : فخرجَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، حتَّى إذا كان بعُسْفان لقيَه بشْر بن سُفيان الكعبىّ ، فقال له : يا رسولَ الله ، هذه ١٥٣١/١

(١) و : « بضع عشرة » .

(٢) س : « من المهاجرين » .

قريش قد سمعوا بمسيرك، فخرجوا معهم العُوذ المَطَافِيلُ[١]، قد لبسوا جُلود النمور، وقد نزلوا بذى طُوى، يحلفون بالله[٢] لا تدخلُها عليهم أبدا؛ وهذا خالد بن الوليد فى خَيْلهم، قد قدموها إلى كُرَاع الغَمِيم.

* * *

قال أبو جعفر: وقد كان بعضُهم يقول: إنّ خالدَ بن الوليد كانَ يومئذ مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم مسلمًا.

* ذكر من قال ذلك:

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا يعقوب القُمّىّ، عن جعفر — يعنى ابن أبى المغيرة — عن ابن أبْزَى، قال: لمَّا خرج النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم بالهَدْى، وانتهى إلى ذى الحُلَيْفَة، قال له عمر: يا رسولَ الله، تدخل على قوم هم لك حربٌ بغير سِلاح ولا كُراع! قال: فبعثَ النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم إلى المدينة، فلم يَدَعْ فيها[٣] كُراعًا ولا سلاحًا إلاّ حَمَلَه، فلمَّا دنا من مكَّة منعوه أن يدخلَ، فسار حتى أتى مِنًى، فنزل بمنًى، فأتاه عينُه أنّ عِكْرِمة بن أبى جهل قد خرج عليك فى خمسمائة، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم لخالد بن الوليد: يا خالد، هذا ابنُ عَمِّك، قد أتاك فى الخيل، فقال خالد: أنا سيفُ الله وسيف رسوله — فيومئذ سُمِّىَ سيفَ الله —: يا رسولَ الله ارْمِ بى حيث شئت. فبعثه على خيل، فلقِىَ عِكْرِمة فى الشِّعب، فهزمه حتى أدخله حِيطَانَ مكَّة، ثم عاد فى الثانية، فهزمه حتى أدخله حيطان مكَّة، ثم عاد فى الثَّالثة فهزمه حتى ١٥٣٢/١
أدخله حيطان مكة، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ — إلى قوله: ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٤] قال: وكفَّ الله النبىّ صلَّى الله عليه

(١) العوذ: جمع عائذ؛ وهن من الإبل: الحديثة النتاج. والمطافيل: التى معها أولادها؛ يريد أنهم خرجوا ومعهم النساء والصبيان.

(٢) ابن هشام والتفسير: «يعاهدون الله».

(٣) س: «منها».

(٤) سورة الفتح ٢٤

وسلَّم عنهم بعد أن أظفره عليهم لبقايا من المسلمين كانوا بقُوا فيها من بعد أن أظفرَه عليهم كراهيَة أن تطأهم الخيل بغير علم[١] .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : يا ويح قريش ! قد أكلتْهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلَّوْا بيني وبين سائر العرب ؛ فإن هم أصابوني كان ذلك الذى أرادوا ، وإن أظهرَنى الله عليهم دخلُوا فى الإسلام وافرين ؛ وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوّة . فما تظنّ قريش ! فوالله لا أزالُ أجاهدهم على الَّذِى بعثنى الله به حتى يظهرَه الله أو تنفرد هذه السالفة[٢] .

ثم قال : مَنْ رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم بها ؟

فحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، أنّ رجلاً من أسْلم قال : أنا يا رسولَ الله ، قال : فسلَك بهم على طريق وَعْرٍ حزْن[٣] بين شعَاب ، فلما أن خرجوا منه — وقد شقّ ذلك على المسلمين ، وأفضَوْا إلى أرض سَهْلة عند منقطَع الوادى — قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم للناس : قولوا : نستغفر الله ونتوب إليه . ففعلوا . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : والله إنها للحِطّة[٤] التى عُرضَتْ على ١٥٣٣/١
بنى إسرائيل فلم يقولوها[٥] .

قال ابن شهاب : ثم أمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين ، بين ظَهْرَىِ الحَمْض فى طريق تُخرِجه على[٦] ثنيّة المُرَار ، على مهبَط الحديبيَة من أسفل مكة . قال : فسلك الجيش ذلك الطريق ،

(١) الخبر فى التفسير ٢٦ : ٥٩ ، ٦٠ (بولاق) .

(٢) السالفة : صفحة العنق ؛ وهما سالفتان من جانبيه ؛ وكنى بانفرادها عن الموت .

(٣) ابن هشام : « فسلك بهم طريقاً وعراً أجرل » ، والأجرل : الكثير الحجارة .

(٤) يريد قوله تعالى لبنى إسرائيل : ﴿ وقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ ؛ ومعناه : اللهم حط عنا ذنوبنا .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٦ .

(٦) س : « إلى » .

فلمّا رأت خيل قريش قَتَرَةَ[١] الجيش ، وأنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم قد خالفهم عن طريقهم ، ركضوا راجعين إلى قريش ، وخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، حتى إذا سلك فى ثنيّة المُرار ، بركَتْ ناقته ، فقال الناس : خلأَتْ[٢] ! فقال : ما خلأَتْ ، وما هو لها بخُلق ؛ ولكن حبَسها حابسُ الفيل عن مكة ؛ لا تدعونى قريش اليومَ إلى خُطّة يسألونى صلة الرَّحِم إلا أعطيتهم إياها . ثم قال للناس : انزِلوا ، فقيل : يا رسولَ الله ما بالوادى ماء ننزل عليه ! فأخرجَ سهما من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل فى قَلِيب من تلك القُلب فغرزه فى جَوْفه ، فجاش[٣] الماءُ بالرِّىّ[٤] حتى ضربَ الناسُ عليه بعَطَن[٥] .

فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، أنّ رجلاً من أسْلَم حدّثه ، أنّ الذى نزل فى القَلِيب بسهْم رسول الله صلى الله عليه وسلّم ناجية [بن جندب] بن عُمَيْر ابن يَعْمَر بن دارم ، وهو سائق بُدْنِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . ١٥٣٤/١
قال : وقد زعم لى بعض أهل العلم أن البَرَاءَ بن عازب كان يقول : أنا الذى نزلتُ بسهْم رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم . قال : وأنشدتْ أسلمُ أبياتًا من شعر قالها ناجية ، قد ظَنَنّا أنه هو الذى نزل بسهْم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فزعمتْ أسلم أنّ جاريةً من الأنصار أقبلت بدلْوها ، وناجيةُ فى القَلِيبِ يَميح على الناس[٦] ، فقالت :

(١) قترة الجيش : ما يثيره من الغبار . وفى الفائق ١ : ٣٢٢ : « فلم يشعر خالد وأصحابه إلا وقد خلفتهم قترة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه » .

(٢) خلأت : بركت ؛ قال أبو ذر : « الخلاء فى الإبل بمنزلة الحران فى الدواب . وقال بعضهم : لا يقال إلا للناقة خاصة » .

(٣) جاش : ارتفع .

(٤) ابن هشام : « الرواء » .

(٥) ضرب الناس عليه بعطن ؛ أصله فى الإبل ، يقال : ضربت الإبل بعطن ؛ إذا رويت ثم بركت حول الماء أو عند الحياض لتعاد إلى الشرب مرة أخرى لتشرب عللا بعد نهل ؛ فإذا استوفت ردت إلى المراعى ؛ ضرب ذلك مثلا لاتساع الناس . وانظر اللسان (عطن) .

(٦) يميح على الناس : يملأ الدلاء ليسقيهم .

يأيُّهَا المائحُ دَلْوِى دُونَكا إنِّى رأيتُ الناسَ يَحْمَدُونَكا
* يُثنونَ خيْراً ويُمَجِّدُونَكا *

وقال ناجية ، وهو فى القَلِيب يَمِيح الناس :

قد علمتْ جارِيةٌ يَمانِيَهْ أنِّى أنا المائحُ واسْمِى ناجِيَهْ
وطَعْنَةٍ ذاتِ رَشاشٍ واهِيَهْ طَعَنْتُها تحتَ صدورِ العادِيَهْ(١)

حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعانىّ ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمَر ، عن الزُّهرىّ ، عن عرْوة ، عن المِسْوَر بن مَخْرَمة . وحدّثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدّثنا يحى بن سعيد القطان ، قال : حدّثنا عبد الله بن المبارك ، قال : حدّثنا مَعْمَر ، عن الزّهرِىّ ، عن عروة ، عن المسْور بن مَخْرمة ومرْوان بن الحكم ، قالا : نزَل رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم بأقصى الحُدَيْبِيَة على ثمَد(٢) قليل الماء ، إنما يتبرَّضُه الناس تبرّضا(٣) فلم يُلَبِّثْه الناس أنْ نَزَحُوه ، فشُكِىَ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلم العطش ، فنزع سهماً من كنانته ، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فو الله ما زال يجيش لهم بالرىّ حتى صدروا عنه ؛ فبيناهم كذلك جاء بُدَيْل بن ورقاء الخُزاعىّ ١٥٣٥/١
فى نفر من قومِه من خُزاعة — وكانوا عَيْبَةَ نُصْحِ(٤) رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من أهل تِهامة — فقال : إنىّ تركت كعب بن لؤىّ وعامر بن لؤى قد نزلوا أعْدَاد(٥) مياه الحديبية ؛ معهم العُوذُ المطافيل ؛ وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت . فقال النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم : إنّا لم نأتِ لقتال أحد ، ولكنّا جئنا معتمرين ، وإنّ قريشا قد نهكَتْهم الحرب وأضرَّتْ بهم ، فإن شاءوا مادَدْناهم مُدَّة ويُخَلُّوا بينى وبين الناس ، فإن أظهَرْ ، فإن شاءوا أن يدخلُوا

(١) الواهية : الواسعة الشق . والعادية : القوم الذين يعدون ؛ أى يسرعون فى العدو .
(٢) الثمد : موضع يجتمع فيه ماء السماء .
(٣) يقال : هو يتبرض الماء ؛ كلما اجتمع منه شىء غرفه .
(٤) عيبة نصح رسول الله ؛ أى خاصته وأصحاب سره .
(٥) الأعداد : جمع عد ، بالكسر ، وهو الماء الدائم الذى له مادة لا انقطاع لها .

فيما دخل فيه الناس فعَلوا وإلاّ فقد جَمّوا ؛ وإن هم أبوْا فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى[١] ، أو ليُنَفِّذنّ الله أمره . فقال بُدَيل : سنبلغهُم ما تقول .

فانطلق حتى أتى قريشًا فقال : إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل ، وسمعناه يقول قولا ؛ فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلْنا . فقال سفهاؤهم : لا حاجةَ لنا أن تحدّثنا عنه بشيء ، وقال ذو الرأى منهم : هات ما سمعتَه يقول ، قال : سمعتُه يقول كذا وكذا ، فحدّثهم بما قال النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم . فقام عروة بن مسعود الثقفىّ ، فقال : أىْ قوْم ؛ ألستمُ بالوالد ! قالوا : بلى ، قال : أو لستُ بالولد ! قالوا : بلى ، قال : فهل تتّهمونني؟ قالوا : لا ، قال : ألستُمْ تعلمون أنىّ استنفرت أهلَ عُكاظ ؛ فلما بلّحوا[٢] علىّ جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى ! قالوا : بلى . ١٥٣٦/١

* * *

وحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهرىّ ، فى حديثه ، قال : كان عروة بن مسعود لسُبيْعة بنت عبد شمس .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن عبد الأعلى ويعقوب . قال : فإنّ هذا الرّجل قد عرض عليكم خُطّةَ رُشْد فاقبلوها ، ودعونى آته . فقالوا : ائته ، فأتاه ، فجعل يكلّم النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال النبيّ نحواً من مقالته لبُدَيل ، فقال عروة عند ذلك : أىْ محمد ، أرأيتَ إن استأصلت قومَك ، فهل سمعتَ بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك ! وإن تكن الأخرى ، فوالله إنىّ لأرى وجوهًا وأوشابا[٣] من الناس خلُقًا أن يفِرُّوا ويدَعُوك . فقال أبو بكر : امْصص بَظْرَ اللات — واللاتُ طاغية ثقيف التى كانوا يعبدون — أنحن نفِرُّ ونَدَعَه ! فقال : مَنْ هذا ؟ فقالوا : أبو بكر ، فقال : أما والذى نفسى بيده

(١) السالفة : صفحة العنق ، وهما سالفتان من جانبيه .

(٢) بلحوا ، أى أبوا .

(٣) الأوشاب : الأخلاط . وفى ط : « أشوابا » ، والتصويب من الفائق ١ : ٣٨٨ (طبع الهند) .

لولا يَدٌ كانت لك عندى لم أجزِك بها لأجبتك؛ وجعل يكلّم النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، فكلّما كلّمه أخذ بلحيته — والمغيرةُ بن شعبة قائمٌ على رأس النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، ومعه السيف وعليه المغفر ؛ فكلّما[1] أهوَى عروة بيده إلى لحية النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم ضرب يده بنعْل السيف ، وقال : أخّرْ يدَك عن لحيته ، فرفع عُروة رأسَه ، فقال : مَنْ هذا ؟ قالوا : المغيرة ١٥٣٧/١
ابن شعبة ، قال : أى غُدَرُ ؛ ألستُ[2] أسعىَ فى غَدْرتك ! وكان المغيرةُ بن شعبة صحِب قوماً فى الجاهليّة ، فقتلهم ، وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم : أما الإسلام فقد قبلْنا ، وأما المالُ فإنه مال غَدْر ، لا حاجة لنا فيه .

وإنّ عُرْوة جعل يرمُق أصحابَ النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم بعينه . قال : فوالله إنْ يتنخّم النبيّ نُخامة إلا وقعت فى كَفّ رجل منهم فدَلكَ بها وجهه وجلده ؛ وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه ؛ وإذا تكلّموا عنده خفضوا أصواتهم وما يُحِدّون النظر إليه تعظيما له . فرجع عُروة إلى أصحابه ، فقال : أىْ قوم ، والله لقد وفدتُ على الملوكِ ووفدت على كسرى وقيصرَ والنَّجاشىّ ؛ والله إنْ رأيتُ ملكا قطّ يُعَظّمه أصحابه مايُعَظِّم أصحابُ محمّدٍ محمداً ، والله إن يتنخّم نُخامة إلاوقعت فى كفّ رجل منهم فدَلكَ بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلّموا عنده خفضوا أصواتهم ؛ وما يُحِدّون النظر إليه ١٥٣٨/١
تعظيماً له ؛ وإنّه قد عرض عليكم خُطةَ رُشْد فاقبلوها . فقال رجل من كنانة : دعونى آتيه ، فقالوا : ائته ، فلمّا أشرفَ على النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابه ، قال النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم : هذا فلان ، وهو من قوم يُعَظّمون البُدْنَ فابعثوها له ، فبعِثَتْ له ، واستقبله قومٌ يُلَبّون ، فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ! ما ينبغى لهؤلاء أن يُصَدّوا عن البيت !

* * *

وحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن

(١) س : « فلما » .
(٢) س : « أولست » .

الزهريّ؛ قال فى حديثه: ثم بعثوا إليه الحلَيْس بن علْقَمة — أو ابن زبَّان — وكان يومئذ سيّد الأحابيش ؛ وهو أحد بلْحارث بن عبد مناة بن كنانة ، فلمّا رآه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : إنّ هذا من قوم يتألهّون[1] ، فابعثوا الهَدْىَ فى وجهه حتى يراه ، فلمّا رأى الهدىَ يسيل عليه من عُرْض[2] الوادى فى قلائده[3] ، قد أكل أو بارَه من طول الحبس ، رجع إلى قريش ، ولم يصل إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلم إعظاماً لما رأى ، فقال : يا معشرَ قريش ، إنّى قد رأيتُ مالا يحلّ صدّه : الهدى فى قلائده ، قد أكل أوباره من طول الحبس عن مَحِلّه ؛ قالوا له : اجلس ، فإنما أنت رجل أعرابىٌّ لاعِلْم لك .

وحدّثنا ابن حُمَيد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ؛ أنّ الحُليس غضب عند ذلك ، وقال : يا معشرَ قريش ، والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ؛ أنْ تصدُّوا عن بيت الله مَنْ جاءه معظّما له ؛ والذى نفس الحُلَيس بيده لَتُخَلُّنّ بين محمّد وبين ما جاء له ؛ أو لأنْفِرَنّ بالأحابيش نَفْرَةَ رجل واحد ! قال : فقالوا له : مَهْ ! كُفَّ عنّا يا حُليس حتى نأخذَ لأنفسنا ما نرضى به . ١٥٣٩/١

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن عبد الأعلى ويعقوب . فقام رجل منهم يقال له مِكْرَز بن حفص ، فقال لهم : دَعُونى آتِه ، قالوا : ائته ، فلمّا أشرف عليهم قال النبى صلَّى الله عليه وسلَّم : هذا مِكْرز بن حفص ؛ وهو رجل فاجر ؛ فجاء فجعل يكلّم النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ فبينا هو يكلّمه إذ جاء سهيل بن عمرو .

وقال أيوب عن عكرمة : إنّه لما جاء سُهَيل قال النبى صلّى الله عليه وسلّم : قد سَهُل لكم من أمركم .

* * *

(١) يتألهون : يتعبدون ويعظمون الإله .

(٢) عرض الوادى : جانبه .

(٣) القلائد : ما يعلق فى أعناق الهدى ليعلم أنه هدى .

فحدّثنى محمد بن عُمارة الأسدىّ ومحمد بن منصور — واللفظ لابن عمارة — قالا : حدّثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرَنا موسى بن عبيدة عن إياس ابن سلَمة بن الأكْوع ، عن أبيه ، قال : بعثتْ قريش سهيل بن عمرو وحُوَيْطب بن عبد العُزّى وحفص بن فلان ، إلى النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم ليصالحوه ، فلمّا رآهم رسولُ الله فيهم سهيل بن عمرو ، قال : سهَّل الله لكم من أمركم ؛ القوم ماتُّون إليكم بأرحامكم[1] ، وسائلوكم الصّلْح ؛ فابعثوا الهدى ، وأظهروا التَّلْبِيةَ ؛ لعلّ ذلك يُلين قلوبهم . فلبَّوْا من نواحى العسكر حتى ارتجّت أصواتهم بالتلبية . قال : فجاءوا فسألوه الصلح ، قال : فبينما الناس قد ١٥٤٠/١
تواد َعُوا ، وفى المسلمين ناس من المشركين ، وفى المشركين ناس من المسلمين ، قال : ففتك به أبو سفيان ، قال : فإذا الوادى يسيل بالرجال والسلاح . قال إياس : قال سلمة : فجئت بستة من المشركين متسلّحين أسوقُهم ، ما يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا ؛ فأتيت بهم النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، فلم يسلب ولم يقتُل ، وعفا .

* * *

وأما الحسن بن يحيى فإنه حدّثنا قال : حدّثنا أبو عامر قال : حدّثنا عِكرمة بن عمار اليمامىّ ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، أنه قال : لما اصطلحنا نحن وأهلُ مكة ، أتيتُ الشجرة فكسحتُ شوكها ، ثم اضطجعتُ فى ظلّها ، فأتانى أربعةُ نفر من المشركين من أهل مكة ، فجعلوا يقعُون فى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فأبغضتُهم . قال : فتحوّلت إلى شجرة أخرى ، فعلّقوا سلاحهم ، ثم اضطجعوا ؛ فبيناهم كذلك ؛ إذ نادى مناد من أسفل الوادى : يالَلمهاجرين ! قُتل ابن زُنَيْم ! فاخترطتُ سيفى ، فشددت على أولئك الأربعة وهم رقود ؛ فأخذت سلاحهم فجعلته ضِغْثًا[2] فى يدى ، ثم قلت : والذى كرّم وجهَ محمد صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ لا يرفعُ أحدٌ منكم رأسه إلاّ ضربت الذى فيه عيناه . قال : فجئت بهم

(١) و : « بأرحامهم » .
(٢) ضغثاً ، أى حزمة فى يده .

١٥٤١/١ أقودهم إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وجاءَ عَمّى عامر برجل من العَبَلاَت، يقال له مكرز؛ يقوده مجَفّفًا[1]، حتى وقفنا بهم على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى سبعين من المشركين، فنظر إليهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم، فقال: دعوهم يكن لهم بَدْء الفجور، فعفا عنهم. قال: فأنزل الله عزّ وجل: ﴿ وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾[2].

* * *

رجع الحديث إلى حديث محمد بن عمارة ومحمد بن منصور، عن عبيد الله. قال سلمة: فشددنا على مَنْ فى أيدى المشركين منا، فما تركنا فى أيديهم منّا رجلا إلا استنقذناه. قال: وغلبنا على من فى أيدينا منهم.

ثم إنّ قريشًا بعثوا سُهيلَ بن عمرو وحُوَيْطبًا فولّوهم صلحَهم، وبعث النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم عليًّا عليه السلام فى صُلْحه.

حدّثنا بشر بن معاذ؛ قال: حدّثنا يزيد بن زُرَيْع، قال: حدّثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذُكِر لنا أنّ رجلاً من أصحابِ النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم يقال له زُنَيم، اطّلع الثنيّة من الحديبيَة، فرماه المشركون فقتلوه، فبعث رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم خيلاً، فأتوْه باثنى عشر رجلا فارسًا من الكفار، فقال لهم نبىّ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: هل لكم علىّ عهد؟ هل لكم علىّ ذمة؟ قالوا: لا، قال: فأرسلهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم؛
١٥٤٢/١ فأنزل الله فى ذلك القرآن: ﴿ وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾ — إلى قوله: ﴿ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾.

وأمّا ابنُ إسحاق، فإنه ذكر أن قريشًا إنما بعثتْ سهيل بن عمرو بعد رسالة كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أرسلها إليهم مع عثمان بن عفان.

(١) مجففاً، أى لابساً التجفاف (بكسر التاء)، وهو آلة للحرب يلبسه الفرس والإنسان ليقى فى الحرب.

(٢) سورة الفتح ٢٤. والخبر فى التفسير ٢٦: ٦٠، ٦١ (بولاق).

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثني بعضُ أهلِ العلم أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم دعا خِرَاشَ بن أميّة الخُزاعيّ ، فبعثه إلى قريش بمكة ، وحمله على جمل له يقال له الثعلب ؛ ليبلّغ أشرافَهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جمل رسولِ الله وأرادوا قتله ، فمنعتْه الأحابيش ، فخلّوْا سبيلَه ؛ حتى أتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم[1] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثني من لا أتّهم ، عن عِكْرمة مولى ابنِ عبّاس ، أنّ قريشًا بعثوا أربعين رجلا منهم — أو خمسين رجلا — وأمروهم أن يُطيفوا بعسكر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليُصيبوا لهم من أصحابه ، فأخِذُوا أخذاً ، فأتِيَ بِهِمْ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فعفا عنهم ، وخلّى سبيلهم — وقد كانوا رَمَوْا في عسكر رسول الله صلّى الله عليه وسلم بالحجارة والنَّبْل — ثم دعا النبي صلّى الله عليه وسلم عُمر بن الخطاب ليبعثَه[2] إلى مكة ، فيبلّغ عنه أشرافَ قريشٍ ما جاءَ له ؛ فقال : يا رسولَ الله ، إني أخاف قريشًا على نفسي ؛ وليس بمكّة من بني عديّ بن كعب أحد يمنعني ؛ وقد عرفَتْ قريش عداوتي إيّاها ، وغلظتي عليها ، ولكنّي أدلك على رجل هو أعزّ بها منّي ، عثمان بن عفان !

فدعا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عثمان ، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ؛ وإنما جاء زائراً لهذا البيت ، معظّمًا لحرمته . ١٥٤٣/١

فخرج عثمان إلى مكّة ، فلقيَه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة — أو قبْل أن يدخلها — فنزل عن دابّته ، فحمله بين يديه ، ثم رَدفه وأجاره ؛ حتى بلّغ رسالة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلّغهم عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ما أرسلَه به ، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إليهم : إن شئتَ أن تطوف بالبيت فطُفْ به ؛ قال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فاحتبستْه قريش عندها ،

(١) الخبر في التفسير ٢٦ : ٥٣ ، ٥٤ (بولاق) .

(٢) س : « لينفذه » .

فبلغ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم والمسلمين أنّ عثمان قد قُتل .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدّثني عبدُ الله بن أبي بكر ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم حين بلغه أنّ عثمان قد قُتل ، قال : لا نبرح حتى نناجزَ القوم ؛ ودعا النّاس إلى البيعة فكانت بيعةُ الرّضوان تحت الشجرة

* * *

حدّثني ابنُ عمارة الأسديّ ، قال : حدّثني عبيد الله بن موسى ، عن موسى بن عُبيدة ، عن إياس بن سلَمة ، قال : قال سلَمة بن الأكْوع : بينما نحن قافلون من الحديبيَة ، نادى منادِي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : أيها الناس ؛ البيعة البيعة! نزل رُوح القدس . قال : فسرْنا إلى رسول الله وهو تحت شجرة سَمُرَة ، قال : فبايعناه ، قال : وذلك قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾[1] . ١٥٤٢/١

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل ابن أبي خالد ، عن عامر ، قال : كان أول مَنْ بايع بيعة الرضوان رجلا من بني أسد ، يقال له : أبو سنان بن وهب

حدّثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا القاسم بن عبد الله بن عمر ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله ؛ أنهم كانوا يوم الحديبية أربعة عشر ومائة . قال : فبايعنا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وعمرُ آخذ بيده تحت الشجرة ، وهي سَمُرة ، فبايعناه غير الجَدّ بن قيس الأنصاريّ ، اختبأ تحت بطن بعيره .

قال جابر : بايعْنا رسول الله على ألاّ نَفِرّ ؛ ولم نبايعه على الموت[2] .

(١) سورة الفتح ١٨ .

(٢) الخبر فى التفسير ٢٦ : ٥٤ ، ٥٥ (بولاق)

وقد قيل فى ذلك ما حدّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرَ أبو عامر ، قال : أخبرنا عِكْرِمة بن عمّار اليمامىّ ، عن إياس بن سلَمة بن الأكوع ، عن أبيه ، أنّ النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم دعا الناس للبيعة فى أصل الشجرة ، فبايعتُه فى أوّل الناس ، ثم بايع وبايع ؛ حتى إذا كان فى وسط من الناس ، قال : بايعْ يا سلَمة ، قال : قلت : قد بايعتُك يا رسولَ الله فى أوّل الناس! قال : وأيضًا ؛ ورآنى النبى صلى الله عليه وسلم أعزَلَ ، فأعطانى حَجَفَةً أو دَرَقَةً . قال : ثم إنّ رسولَ الله بايع الناس ؛ حتى إذا كان فى آخرهم ، قال : ألا تبايعُ يا سلمةُ! قلت : يارسول الله ، قد بايعتك فى أوّل الناس وأوسطهم! قال : وأيضًا . قال : فبايعتُه الثالثة ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : فأين الدَّرَقة ، والحَجَفة التى أعطيتُك ؟ قلتُ : لقِيَنى عمّى عامر أعزَل ١٥٤٥/١ فأعطيته إياها ، فضحك رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وقال : إنك كالذى قال الأول : اللهمّ ابغنى حبيبًا هو أحبّ إلىّ من نفسى .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قالَ : فبايع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم النَّاس ، ولم يتخلَّفْ عنه أحد من المسلمين حضرها إلاّ الجَدُّ ابن قيس ، أخو بنى سلِمة ، قال : كان جابر بن عبد الله يقول : لكأنّى أنظرُ إليه لاصقًا بإبط ناقته ، قد ضَبَأَ[1] إليها يستتر بها من الناس . ثم أتى رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنّ الذى كان من أمر عثمان باطل .

قال ابن إسحاق : قال الزهرىّ : ثم بعثتْ قريش سهيلَ بن عمرو ، أخا بنى عامر بن لؤىّ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ وقالوا له : ائت محمداً فصالحْه ، ولا يكن فى صلْحه إلاّ أن يرجعَ عنّا عامه هذا ، فوالله لا تحدّث العرب أنه دخل علينا عنوة أبداً .

قال : فأقبل سُهيل بن عمرو ، فلمّا رآه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم مقبلاً ، قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل . فلمّا انتهَى سهيل

(١) ضبأ إليها : لصق بها واستتر .

إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم تكلَّم فأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح ، فلمَّا التأم الأمر ، ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب ، فأتى أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ! قال : بلى ، قال : أو لَسْنا بالمسلمين! قال : بلى ، قال : أو ليسُوا بالمشركين! قال : بلى ؛ قال : فَعَلامَ نُعْطى الدنيّة[1] فى ديننا ! قال أبو بكر : يا عُمر الزَمْ غَرْزَه[2] ؛ فإنى أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله . قال : ثم أتى رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقال : يا رسول الله، ألستَ
١٥٤٦/١ برسول الله ! قال : بلى ، قال : أوَ لَسْنَا بالمسلمينَ ! قال : بلى ، قال : أو ليسوا ! بالمشركين! قال : بلى ،قال: فعلامَ نعطى الدنيّة فى ديننا! فقال : أنا عبد الله ورسوله لن أخالفَ أمرَه ، ولن يُضيِّعَنى . قال : فكان عمر يقول : ما زلت أصومُ وأتصدَّقُ وأصلِّى وأعتِق من الذى صنعت يومئذ ، مخافة كلامى الذى تكلَّمت به؛ حتى رجوت أن يكون خيراً .

حدَّثنا ابنُ حميد، قال : حدَّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق ، عن بُرَيْدة بن سفيان بن فروة الأسلمىّ ، عن محمد بن كعب القرظىّ ، عن علقمة ابن قيس النخعىّ ، عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، قال : ثمّ دعانى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سُهَيل : لا أعرف هذا، ولكن اكتب : «باسمك اللهمّ»، فقال رسول الله : اكتب « باسمك اللهمّ » ، فكتبتُها.ثم قال: اكتب: « هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو». فقال سهيل بن عمرو : لو شهدتُ أنك رسولُ الله لم أقاتلْك ؛ ولكن اكتب اسمَك واسم أبيك ، قال : فقالَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم: اكتب : « هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل ابن عمرو ؛ اصطلحا على وضْع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيهنّ الناس، ويكفّ بعضهم عن بعض ، على أنه مَنْ أتى رسولَ الله من قريش بغير

(١) الدنية : الذل والأمر الخسيس .

(٢) الزم غرزه ؛ أى ألزم أمره ، والغرز للرحل بمنزله الركاب للسرج .

إذن وليه ردّه عليهم، ومن جاء قريشًا ممنّ مع رسول الله لم تردّه عليه. وأنّ بيننا عَيْبة مكفوفة[١]، وأنه لا إسلال[٢] ولا إغلال[٣]؛ وأنه مَنْ أحب أن يدخلَ فى عَقْد رسولِ الله وعهده دخل فيه، ومن أحبّ أن يدخلَ فى عَقْد ١٥٤٧/١
قريش وعهدهم، دخل فيه» — فتواثبت خُزاعة فقالوا: نحن فى عَقْد رسول الله وعهده، وتواثبتْ بنو بكر، فقالوا: نحن فى عَقْد قريش وعهدها — «وأنك ترجع عنّا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجْنا عنك، فدخلتَها بأصحابك؛ فأقمت بها ثلاثًا، وأن معك سلاح الراكب، السيوف فى القُرُب لا تدخلها بغير هذا».

فبينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو، إذ جاء أبو جَنْدل بن سهيل بن عمرو يَرْسُف فى الحديد، قد انفلتَ إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم — قال: وقد كان أصحابُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خرجوا وهم لا يشكّون فى الفتح، لرؤيا رآها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم؛ فلمّا رأوْا ما رأوْا من الصلح والرجوع، وما تحمّل عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى نفسه، دخل الناسَ من ذلك أمرٌ عظيمٌ حتى كادوا أن يهلِكوا — فلمّا رأى سهيل أبا جندل، قام إليه فضرب وجهه، وأخذ بلَبَبِه[٤]، فقال: يا محمد قد لجّت[٥] القضيّة بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا! قال: صدقْت، قال: فجعل يَنْتِرُه[٦] بلَبَبِه، ويجرُّه ليَرُدّه إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرُخ بأعلى صوتِه: يا معشر المسلمين، أرَدُّ إلى المشركين يفتنونى فى دينى! فزاد الناس ذلك شرًّا[٧] إلى ما بهم فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: يا أبا جندل، احتسِبْ، فإن الله جاعلٌ لك ١٥٤٨/١

(١) عيبة مكفوفة، أى لا تكون عداوة بيننا، على التمثيل.
(٢) الإسلال: السرقة الخفية.
(٣) الإغلال: الخيانة.
(٤) ابن هشام: «بتلبيبه».
(٥) لجت القضية: تمت.
(٦) ينتره، أى يجذبه جذباً شديداً مع جفاء.
(٧) ساقطة من ابن هشام.

ولمن معك من المستضعَفين فَرَجًا ومخرجًا ؛ إنّا قد عقدنا بيننا وبين القوم عَقْداً وصلحًا ، وأعطيناهم على ذلك عهدا ، وأعطونا عهداً ، وإنا لا نغدِر بهم .

قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ، ويقول : اصبر يا أبا جندل ؛ فإنّما هم المشركون ؛ وإنما دَمُ أحدهم دمُ كلب !

قال : ويُدْنى قائم السيف منه ،قال : يقولُ عمر : رجوت أن يأخذَ السيفَ فيضرب به أباه ، قال : فضنَّ الرجل بأبيه .

فلمّا فرغ من الكتاب أشهد على الصلح رجالا من المسلمين ، ورجالا من المشركين : أبا بكر بن أبي قُحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقّاص ، ومحمود بن مسلمة أخا بني عبد الأشهل ، ومِكْرز بن حفص بن الأخْيَف — وهو مشرك — أخا بني عامر بن لؤيّ ، وعلي بن أبي طالب ، وكتب[1] وكان هو كاتب الصحيفة .

حدثنا هارون بن إسحاق ، قال : حدثنا مُصعب بن المقدام ، وحدّثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدّثنا أبي ، قالا جميعًا : حدّثنا إسرائيل ، قال : حدثنا أبو إسحاق ، عن البَرَاء ، قال : اعتمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم في ذي القَعْدة ، فأبى أهلُ مكة أن يَدَعُوه يدخل مكة ، حتى يقاضيَهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام . فلمّا كتب الكتاب كتب : « هذا ما تقاضى عليه ١٥٤٩/١
محمد رسول الله » ؛ فقالوا : لو نعلم أنك رسولُ الله ما منعناك ؛ ولكن أنت محمد بن عبد الله ، قال : أنا رسول الله ، وأنا محمد بن عبد الله ، قال لعليّ عليه السلام : امْحَ «رسولَ الله» ، قال : لا والله لا أمحاك أبدًا ، فأخذه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم — وليس يُحسن يكتب — فكتب مكان «رسول الله» «محمد» فكتب : «هذا ما قاضى عليه محمد ، لا يدخل مكة بالسلاح إلا السيوف في القِراب ، ولا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتّبعه ، ولا يمنع أحداً من أصحابه أراد أن يقيم بها » . فلما دخلها ومضى الأجل ، أتوا عليًّا عليه السلام ، فقالوا له[2] : قل

(١) ساقطة من و . (٢) ساقطة من و .

لصاحبك: اخرجْ عنّا فقد مضى الأجل، فخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم .

حدّثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمَر ، عن الزهريّ ، عن عروة بن الزبير ، عن المِسْور بن مخرمة . وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدّثنا يحيى بن سعيد ، قال : حدّثنا عبد الله بن المبارك ، قال : حدّثنا معمَر ، عن الزّهريّ، عن عُرْوَة، عن المِسْور بن مَخْرمة ومرْوان بن الحكَم في قصة الحديبيَة : فلمّا فرغ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من قضيّته[1] قال لأصحابه : قوموا فانحرُوا ، ثم احلِقُوا . قال: فوالله ما قام منهم رجلٌ حتى قال ذلك ثلاث مرّات[2] ؛ فلمّا لم يقمْ منهم أحد ، قام فدخلَ على أمّ سلَمة، فذكر لها ما لقيَ من الناس ، فقالت له أمّ سلمة: يا نبيّ الله، أتحبّ ذلك ! اخرج ثم لا تكلّم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدَنَتَك؛ وتدعوَ حالِقَك فيحلقك ؛ فقام فخرج فلم يكلّم ١/١٥٥٠ أحداً منهم كلمة حتى فعل ذلك؛ نحر بدَنته ودعا حالِقه فحلقه. فلمّا رأوْا ذلك قاموا فنحرُوا ؛ وجعل بعضهم يحلِق بعضا ؛ حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمًّا .

قال ابن حميد : قال سلمة : قال ابن إسحاق : وكان الذي حلقه ــ فيما بلغني ذلك اليوم ــ خراش بن أميّة بن الفضل الخُزاعيّ .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدّثني عبد الله بن أبي نَجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال: حلَق رجالٌ يوم الحديبية ، وقصّر آخرون ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: يرحم الله المحلّقين ، قالوا : والمقصّرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم[3] الله المحلّقين ؛ قالوا: والمقصّرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم الله المحلّقين ، قالوا: يا رسولَ الله : والمقصّرين ؟ قال : والمقصّرين ؛ قالوا: يا رسولَ الله؛ فلِمَ ظاهرتَ الترحُّم للمحلّقين دون المقصّرين ؟ قال : لأنهم لم يشكّوا .

(١) س : « قصته » . (٢) س : « ثلاثا » . (٣) س : « رحم » .

حدّثنا ابن حُميد قال : حدّثنا سلَمة، عن أبان بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نَجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عبّاس، قال : أهدى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عامَ الحديبيَة فى هداياه جملاً لأبى جهل؛ فى رأسه بُرَة من فِضّة ، ليغيظ المشركين بذلك .

* * *

رجع الحديث إلى حديث الزهرىّ الذى ذكرنا قبل[1] . ثم رجع النبى صلّى الله عليه وسلَّم إلى المدينة — زاد ابنُ حُميد عن سلمة فى حديثه ، عن ابن إسحاق عن الزهرىّ ، قال : يقول الزهرىّ : فما فُتِحَ فى الإسلام فتحٌ قبلَه كان أعظمَ منه ؛ إنما كان القتال حيث التقى النَّاس — فلما
١٥٥١/١ كانت الهدنة ، ووضعت الحرب أوزارها ، وأمن الناس كلُّهم بعضهم بعضا فالتقوا ؛ وتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، فلم يكلَّم أحد بالإسلام يعقل شيئًا إلا دخل فيه ، فلقد دخل فى تيْنك[2] السنتيْن فى الإسلام مثلُ ما كان فى الإسلام قبل ذلك وأكثر . وقالوا جميعاً فى حديثهم عن الزُّهْرِى ، عن عُروة ، عن المِسْور ومروان : فلما قدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، جاءه أبو بَصير ؛ — رجل من قريش — قال ابن إسحاق فى حديثه : أبو بصير عُتْبة بن أسَيْد ابن جارية — وهو مسلمٌ ، وكان ممن حُبِس بمكة ، فلمّا قدِم على رسول الله كتب فيه أزهر بن عبد عَوْف والأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وهب الثقفىّ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وبعث رجلا من بنى عامر بن لؤىّ ، ومعه مولًى لهم. فقدما على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بكتاب الأزهر والأخنس ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : يا أبا بصير ؛ إنَّا قد أعطَيْنا هؤلاء القوم ما قد علمت ؛ ولا يصلح لنا فى ديننا الغَدْر ، وإنّ الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرَجا ومخرجا .

١٥٥٢/١ قال : فانطلق معهما حتى إذا كان بذِى الحُلَيْفة ، جلس إلى جدار وجلس معه صاحباه ، فقال أبو بصير : أصارمٌ سيفك هذا يا أخابنى عامر؟ قال : نعم ، قال : انظر إليه ؟ قال : إن شئت! فاستلّه أبو بَصير ، ثمّ علاه

(١) س : « فى الذى ذكرناه » .

(٢) و : « ذينك » .

به حتى قتله ، وخرج المولى سريعاً حتى أتى رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وهو جالس فى المسجد ، فلمّا رآه رسول الله طالعاً ، قال : إنّ هذا رجل قد رأى فزَعًا ، فلمّا انتهى إلى رسولِ الله قال : ويلك ! مالك ! قال : قتَل صاحبُكم صاحبي ؛ فو الله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشِّحًا السيف ، حتى وقف على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال : يا رسولَ الله، وفتْ ذمّتك ، وأدّىَ عنك ، أسلمتَنى ورددتَنِي إليهم ثم أنجانى الله منهم . فقال النبي صلَّى الله عليه وسلَّم : ويلُ امّه مِسْعَرُ حرَبْ ! — وقال ابن إسحاق فى حديثه : مِحَشّ حرَبْ[1] — لو كان معه رجالٌ ! فلمّا سمع ذلك عرف أنه سيرُدّه إليهم . قال : فخرج أبو بصير حتى نزل بالعِيص من ناحية ذى المرْوة على ساحل البحر بطريق قريش الذى كانوا يأخذون إلى الشام . وبلغ المسلمين الذين كانوا احتُبسوا بمكة قولُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لأبى بصير : «ويل امّه محشّ حرب لو كان معه رجال» ، فخرجوا إلى أبى بصير بالعِيص ؛ وينفلت أبو جندل بن سُهَيل بن عمرو ، فلحق بأبى بصير ؛ فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلا منهم ؛ فكانوا قد ضيّقوا على قُرَيش ؛ فو الله ما يسمعون بعِيرٍ خرجت لقريش إلى الشأم إلا اعترضوا لهم فقتلوهم ، وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم يناشدونه بالله وبالرّحم[2] لَمـَا أرسل إليهم ! فمن أتاه فهو آمِن ، فآواهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقدموا عليه المدينة .

١٥٥٣/١ زاد ابن اسحاق فى حديثه : فلمّا بلغ سهيلَ بن عمرو قتلُ أبى بصير صاحبَهم العامرىّ أسند ظهرَه إلى الكعبة ، وقال : لا أؤخّر ظهرِى عن الكعبة ؛ حتى يعُودُوا هذا الرجل ؛ فقال أبو سفيان بن حرب : والله إنّ هذا لهو السَّفه ! والله لا يُودَى ! ثلاثا .

* * *

(١) محش حرب : موقد حرب ومهيجها .

(٢) س : « الله والرحم » .

وقال ابن عبد الأعلى ويعقوب فى حديثهما : ثم جاءه — يعنى رسولَ الله — نسوةٌ مؤمناتٌ ، فأنزل الله عزّ وجلّ عليه : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُم الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ ﴾ — حتى بلغ : ﴿ بِعِصَمِ الْكَوافِرِ ﴾[1] . قال : فطلّق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتيْن كانتا له فى الشرْك . قال : فنهاهم أن يردّوهنّ ، وأمرهم أن يردُّوا الصّداق حينئذ .

قال رجل للزهرىّ: أمِنْ أجل الفُروج ؟ قال : نعم ؛ فتزوّج إحداهما معاوية بن أبى سفيان ، والأخرى صَفْوان بن أميّة .

زاد ابن إسحاق فى حديثه : وهاجرتْ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أمّ كلثوم بنت عُقْبة بن أبى مُعَيْط فى تلك المدّة ؛ فخرج أخواها عُمارة والوليد ابنا عُقْبة ؛ حتى قَدِما على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يسألانه أن يردّها عليهما بالعهد الذى كان بينه وبين قريش فى الحديبية ؛ فلم يفعل، أبَى الله عزّ وجلّ ذلك .

وقال أيضًا فى حديثه : كان ممّن طلّق عمر بن الخطاب ؛ طلق امرأتَيْه
١٥٥٤/١ قُرَيْبَة بنت أبى أمية بن المغيرة ؛ فتزوّجها بعده معاوية بن أبى سفيان ؛ وهما على شِرْكهما بمكّة، وأمّ كلثوم بنت عمرو بن جَرْوَل الخزُاعيّة أمّ عُبيد الله بن عمر ؛ فتزوّجها أبو جَهْم بن حُذافة بن غانم ، رجلٌ من قومها ؛ وهما على شركهما بمكة .

* * *

وقال الواقدىّ : فى هذه السنة — فى شهر ربيع الآخر منها — بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عُكّاشة بن مِحْصَن فى أربعين رجلا إلى الغَمْر ؛ فيهم ثابت بن أقْرَم وشُجاع بن وهب ؛ فأغذّ السير ، ونذِرَ[2] القوم به فهربوا ؛ فنزل على مياههم وبعث الطلائع ؛ فأصابوا عينا فدلّهم على بعض ماشيتهم ؛ فوجدوا مائتى بعير ، فحدَرُوها إلى المدينة .

(١) سورة الممتحنة ١٠

(٢) نذر : علم .

قال: وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة فى عشرة نفر فى ربيع الأول منها ، فكمن القوم لهم حتى نام هو وأصحابه؛ فما شعروا إلاّ بالقوم ؛ فقتِل أصحاب محمد بن مسلمة وأفلَت محمد جريحا .

قال الواقدى : وفيها أسْرَى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم سريَّةَ أبى عُبيدة بن الجرَّاح إلى ذى القَصّة فى شهر ربيع الآخر فى أربعين رجلاً ، فساروا ليلتهم مُشاةً ، ووافوْا ذا القَصّة مع عَماية الصُّبح ، فأغاروا عليهم ، ١٠٥٥/١
فأعجزوهم هَرَبًا فى الجبال، وأصابوا نعمًا ورِثَّة[1] ورجلا واحدًا، فأسلم ، فتركه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وفيها كانت سرّية زيد بن حارثة بالجَمُوم ، فأصاب امرأة من مُزَيْنة ؛ يقال لها حليمة ، فدَلَّتْهم على محلَّة من محالّ بنى سُلَيم ، فأصابوا بها نَعَمًا وشاء وأسَراء ؛ وكان فى أولئك الأسَراء زوْج حليمة ، فلمَّا قفل بما أصاب وَهَب رسول الله صلَّى الله عليه وسلم للمُزَنيَّة زوجَها ونفسَها .

قال : وفيها كانت سريّة زيْد بن حارثة إلى العِيص فى جُمادى الأولى منها .

وفيها أخذت الأموال التى كانت مع أبى العاص بن الربيع ؛ فاستجار بزينب بنت النبى صلّى الله عليه وسلّم فأجارَتْه .

قال : وفيها كانت سريَّة زيد بن حارثة إلى الطَّرَف ، فى جمادى الآخرة، إلى بنى ثعلبة فى خمسة عشر رجلا؛ فهربت الأعراب وخافوا أن يكون رسولُ الله سارَ إليهم ، فأصاب من نَعَمهم عشرين بعيرا . قال : وغاب أربع ليال .

قال : وفيها سريَّة زيد بن حارثة إلى حِسْمَى فى جمادى الآخرة .

(١) و : « نعمة ورثاء » ، والرث والرثة : السقط من المتاع .

قال : وكان أوّل ذلك — فيما حدثنى موسى بن محمّد ، عن أبيه ، قال : أقبل دِحْيَةُ الكلبىّ من عند قيصر ؛ وقد أجاز دِحْيَةَ بمال ، وكساه كُسَىً ؛ فأقبل حتى كان بحِسْمَى ، فلقيَه ناسٌ من جُذام ؛ فقطعوا عليه الطريق ، فلم يُترك معه شىء ؛ فجاء إلى رسول الله قبل أن يدخلَ بيته ١٥٥٦/١ فأخبره ، فبعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم زيدَ بن حارثة إلى حِسْمى .

قال : وفيها تزوّج عمر بن الخطاب جميلة بنت ثابت بن أبى الأقلح ؛ أخت عاصم بن ثابت ، فولدت له عاصم بن عمر ؛ فطلّقها عمر فتزوّجها[1] بعده يزيد بن جارية ؛ فولدت له عبد الرحمن بن يزيد ؛ فهو أخو عاصم لأمّه .

قال : وفيها سريّة زيد بن حارثة إلى وادى القُرى فى رجب .

قال : وفيها سريّة عبد الرحمن بن عوف إلى دَوْمة الجَنْدل فى شعبان ؛ وقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إن أطاعوك فتزوّج ابنَة ملكهم ؛ فأسلم القوم ، فتزوّج عبد الرحمن تُماضر بنت الأصْبَغ ؛ وهى أمّ أبى سلَمة ؛ وكان أبوها رأسَهم وملكهم .

قال : وفيها أجدب الناسُ جدبًا شديدًا ، فاستسقى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى شهر رمضان بالناس .

قال : وفيها سرّية على بن أبى طالب عليه السلام إلى فَدَك فى شعبان .

قال : وحدّثنى عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن عُتْبة ، قال : خرج علىُّ بن أبى طالب فى مائة رجل إلى فَدَك ، إلى حىّ من بنى سَعْد بن بكر ؛ وذلك أنّه بلغ رسولَ الله أنّ لهم جمعًا يريدون أن يمدّوا يهود خيبر ؛ فسار إليهم الليل وكَمَن النّهار ؛ وأصاب عَيْنًا ؛ فأقرّ لهم أنه بُعِث إلى خيبر يعرض عليهم نصرَهم على أن يجعلوا لهم ثمر خَيْبر .

قال : وفيها سرّية زيد بن حارثة إلى أمّ قِرْفة فى شهر رمضان . ١٥٥٧/١

وفيها قتلت أمّ قِرْفة ؛ وهى فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، قتلها قتلاً

(١) س : « فتزوجت » .

عنيفًا ؛ ربط برجليها حبْلاً ثم ربطها بين بعيرْين حتى شقّاها شقًّا ؛ وكانت عجوزًا كبيرةً .

وكان من قصّتها ما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثنى ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم زيد بن حارثة إلى وادى القُرى ؛ فلقىَ به بنى فزارة ؛ فأصيب به أناسٌ من أصحابه ، وارْتُثَّ زيد من بين القتلى ، وأصيب فيها ورد ابن عمرو أحد بنى سعد بنى هُذَيم ، أصابه أحد بنى بدْر ؛ فلمّا قدم زيد نَذَرَ ألاّ يمسّ رأسه غسلٌ من جنابة حتى يَغْزُوَ فَزارة ؛ فلمّا استبلّ من جراحه[1] ، بعثه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى جيش إلى بنى فَزارة ، فلقيَهم بوادى القُرى ، فأصاب فيهم ؛ وقتل قيس بن المسحّر اليَعْمُرىّ مَسْعَدَةَ بن حكمة بن مالك بن بدر ، وأسر أمَّ قرفة — وهى فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، وكانت عند مالك بنُ حذيفة بن بدر ، عجوزًا كبيرة — وبنتًا لها ، وعبد الله بن مسعدة . فأمر زيد بن حارثة أن يقتل أم قِرْفة ؛ فقتلها قتلا عنيفًا ، ربط برجليها حبلين ثم رَبطهما [2] إلى بعيرين حتى شقّاها . ١/١٥٥٨
ثم قدموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بابنة أم قِرْفة وبعبد الله بن مسعدة ؛ وكانت ابنة أم قرفة لسلمة بن عمرو بن الأكوع ؛ كان هو الذى أصابها ، وكانت فى بيت شرف من قومها ، كانت العرب تقول : لو كنت أعزّ من أم قرفة ما زدتَ . فسألها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سلَمة ، فوهبها له ، فأهداها لخاله حَزْن بن أبى وهْب ؛ فولدت له عبد الرحمن بن حَزْن .

وأما الرواية الأخرى عن سلَمة بن الأكوع فى هذه السرّية ، أن أميرها كان أبا بكر بن أبى قحافة ؛ حدّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرَنا أبو عامر ، قال : حدّثنا عِكْرِمة بن عَمار ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : أمَّرَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم علينا أبابكر ؛ فغزونا ناسًا من بنى فَزارة ، فلمّا دنوْنا من الماء أمرَنا

(١) س : « جراحته » .
(٢) س : « ربطها » .

أبو بكر فعرّسنا ؛ فلمّا صلّينا الصبح ، أمرنا أبو بكر فشنّنّا الغارة عليهم . قال : فوردنا الماء فقتلنا به من قتلنا . قال : فأبصرت عُنُقًا [1] من الناس ؛ وفيهم النّساء والذرارىُّ قد كادوا يسبقون إلى الجبل ، فطرحت سهمًا بينهم وبين الجبل ، فلمّا رأوا السّهم وقفوا ، فجئت بهم أسوقهم إلى أبى بكر ؛ وفيهم
١٥٥٩/١ امرأة من بنى فَزارة عليها قَشْعُ[2] أدَم ، معها ابنة لها من أحسن العرب . قال : فنفّلنى أبو بكر ابنتها ، قال : فقدمت المدينة ، فلقيَنى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالسوق ، فقال : يا سلَمة ، لله أبوك ! هب لى المرأة ! فقلت : يا رسولَ الله ؛ والله لقد أعجبتْنى وما كشفت لها ثوبًا . قال : فسكت عنى حتى إذا كان من الغد لقيَنى فى السّوق ، فقال : يا سلَمة ، لله أبوك ! هبْ لى المرأة ، فقلت : يا رسولَ الله ؛ والله ما كشفت لها ثوبا ؛ وهى لك يا رسولَ الله . قال : فبعث بها رسول الله إلى مكّة ؛ ففادى بها أسارى من المسلمين كانوا فى أيدى المشركين . فهذه الرواية عن سلمة .

* * *

قال محمد بن عمر : وفيها سرّية كُرز بن جابر الفهرىّ إلى العُرَنيّين الذين قتلوا راعىَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، واستاقوا الإبل فى شوّال من سنة ستّ ؛ وبعثه رسول الله فى عشرين فارسًا .

* * *

[ذكر خروج رسل رسول الله إلى الملوك]

قال : وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الرُّسُلَ ؛ فبعث فى ذى الحجة ستّة نفر : ثلاثة مصطحبين ؛ حاطب بن أبى بلتعة من لَخْم حليف بنى أسد بن عبد العزى إلى المقوقس ، وشجاع بن وهب من بنى أسد بن خُزيمة — حليفا لحرب بن أمية شهد بدرًا — إلى الحارث بن أبى شَمِر الغسانىّ ، ودِحْيَةَ
١٥٦٠/١ ابن خليفة الكلبىّ إلى قيصر . وبعث سليط بن عمرو العامرىّ عامرَ بن لؤىّ إلى هَوْذة بن على الحنفىّ . وبعث عبد الله بن حُذافة السهمىّ إلى كسرى . وعمرو بن أمية الضَّمْرىّ إلى النجاشىّ .

(١) عنقا : جماعة . (٢) القشع : الفرو الخلق .

وأمّا ابنُ إسحاق ، فإنّه — فيما زعم ، وحدّثنا به ابنُ حميد — قال : حدّثنا سلَمة ، عنه قال : كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قد فرّق رجالا من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم ، دعاةً إلى الله عزّ وجلّ فيما بين الحديبيَة ووفاته .

وحدّثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدّثني ابن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حَبيب المصريّ ، أنه وجد كتاباً فيه تسمية مَنْ بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى ملوك الخائبين ، وما قال لأصحابه حين بعثهم ، فبعث به إلى ابن شهاب الزُّهريّ ، مع ثقة من أهل بلدة فعرَفه . وفي الكتاب أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم خرج على أصحابه ذاتَ غَداة ، فقال لهم : إني بُعِثتُ رحمةً وكافّة ؛ فأدّوا عنّي يرحمكم الله[1] ؛ ولا تختلفوا عليّ كاختلاف الحواريّين على عيسى بن مريم ، قالوا : يا رسول الله ، وكيف كان اختلافُهم ؟ قال : دعا إلى مثل ما دعوتكم إليه ؛ فأمّا من قَرُبَ به[2] فأحبّ وسلِم ، وأمّا مَنْ بَعُد به فكرِه وأبى ؛ فشكا ذلك منهم عيسى إلى الله عزّ وجلّ ، فأصبحوا من ليلتهم تلك ؛ وكلُّ رجل منهم يتكلّم بلغة القوم الّذين بُعث إليهم . فقال عيسى : هذا أمرٌ قد عزم الله لكم عليه ؛ فامضوا[3] .

قال ابنُ إسحاق : ثم فرّق رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بين أصحابه ؛ فبعث سَلِيط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ أخا بني عامر بن لؤي إلى ١٥٦١/١
هَوْذة بن عليّ ، صاحب اليمامة . وبعث العَلاءَ بن الحضرميّ إلى المنذر بن ساوى أخي بني عبدالقَيْس صاحب البحْرَيْن ، وعمرو بن العاص إلى جَيْفَر بن جُلَنْدَى وعبّاد بن جُلَنْدَى الأزديَّيْن صاحبَيْ عُمان . وبعث حاطب بن أبي بَلْتَعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ؛ فأدّى إليه كتابَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأهدى المقوقس إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أربعَ جوار ، منهنّ مارية أمّ إبراهيم بن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وبعث رسول الله

(١) س : « رحمكم الله » .
(٢) و : « له » .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٣ .

دِحْيَةَ بن خليفة الكلبىّ ثم الخزْجىّ [١] إلى قيصر ، وهو هِرَقْل ملك الروم ؛ فلمّا أتاه بكتاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نَظر فيه ثم جعله بين فَخِذَيْهِ وخاصِرَته [٢] .

* * *

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن ابن شهاب الزّهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود ، عن عبدالله ابن عباس ، قال : حدّثنى أبو سُفيان بن حرب ، قال [٣] : كنّا قومًا تجّارًا ، وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله قد حصرْتنا حتى نَهكَتْ أموالَنا ؛ فلمّا كانت الهُدْنَة بينَنا وبين رسول الله ، لم نأمَنْ ألاّ نجد أمنًا ؛ فخرجتُ فى نَفَر من قريش تُجّار إلى الشأم ؛ وكان وجهُ متجرنا منها غَزَّة ، فقدمناها حين ظهر هِرَقْل على مَنْ كان بأرضه من فارس ؛ وأخرجهم منها ، وانتزع
١٥٦٢/١ له منهم صليبه الأعظم ؛ وكانوا قد استلبوه إياه ، فلمّا بلغ ذلك منهم ، وبلغه أن صليبه قد استنقذ له — وكانت حِمْصُ منزله — خرج منها يمشى على قدميْه متشكرًا لله حين ردّ عليه ماردّ ، ليصلّىَ فى بيت المقدس ، تُبْسَطُ له البُسط ، وتلقَى عليها الرياحين ، فلمّا انتهى إلى إيلياء وقضى فيها صلاته ، ومعه بطارقته وأشراف الروم ، أصبح ذات غَداة مهموماً يقلّب طرفه إلى السماء ، فقال له بطارقته : والله لقد أصبحتَ أيها الملك الغداةَ مهمومًا ، قال : أجلْ ، أريت فى هذه الليلة أن مُلكَ الختان ظاهرٌ ! قالوا له : أيها الملك ، ما نعلم أمّةً تختتن إلاّ يهود ؛ وهم فى سلطانك وتحت يدك ؛ فابعث إلى كلّ مَنْ لك عليه سلطان فى بلادك ، فمُرْه فليضرب أعناقَ كلّ مَنْ تحت يديه من يهودَ ، واستريحْ من هذا الهمّ ؛ فوالله إنّهم لفى ذلك من رأيهم يُدبرونه ؛ إذْ أتاه رسولُ صاحب بُصْرَى برجل من العرب ، يقوده — وكانت الملوك تَهادَى الأخبار بينها — فقال : أيها الملك ، إنّ

(١) ط : « الخزرجى » ، والتصويب من القاموس ، نسبة إلى الخزج بن عامر ، وهو جد دحية .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

(٣) الخبر فى الأغانى ٦ : ٣٤٥ — ٣٤٩ (طبعة دار الكتب) .

هذا الرجل من العرب من أهل الشّاءِ والإبل ؛ يحدّث عن أمر حَدَث ببلاده عجب ؛ فسلْه عنه .

فلمّا انتهى به إلى هِرَقْل رسول صاحب بُصرى ، قال هرقل لتَرْجُمانه : سلْه ، ما كان هذا الحدَث الّذى كان ببلاده ؟ فسأله فقال : خرج بين أظهرنا رَجُلٌ يزعُم أنه نبىّ ، قد اتّبعه ناسٌ وصدّقوه ، وخالفه ناس ؛ وقد كانت بينهم ملاحم فى مواطن كثيرة ؛ ؛ فتركتهم على ذلك . قال : فلمّا أخبره الخبر قال : جَرّدُوه ، فجرّدوه ؛ فإذا هو مختُون ، فقال هرقل : هذا والله الذى أُرِيت[1] ؛ لا ما تقولون ؛ أعطوه ثوبه ؛ انطلق عنا . ثم دعا صاحبَ شُرْطته ، فقال له : قَلّب لى الشأم ظهرًا وبطنًا ؛ حتى تأتينى ١/١٥٦٣ برجل من قوم هذا الرجل — يعنى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم .

قال أبو سفيان : فوالله إنّا لبغَزّةَ ، إذ هجم علينا صاحب شرطته ؛ فقال : أنتم من قوم هذا الرجل الذى بالحجاز ؟ قلنا : نعم ، قال : انطلقوا بنا إلى الملك ؛ فانطلقنا ؛ فلما انتهينا إليه قال : أنتم من رَهْط هذا الرجل ؟ قلنا : نعم ؛ قال : فأيّكم أمسّ به رحِمًا ؟ قلت : أنا .

قال أبو سفيان : وايمُ الله ما رأيتُ من رجل أرى أنّه كان أنكَر من ذلك الأغلف — يعنى هرقل — فقال : ادْنُهْ فأقعدنى بين يديْه ، وأقعد أصحابى خَلْفى ، ثم قال : إنى سأسأله ؛ فإن كَذَبَ فَرُدّوا عليه ؛ فوالله لو كذبتُ ما رَدّوا علىّ ؛ ولكنى كنتُ امرَأ سيّدًا أتكرّمُ عن الكذب ؛ وعرفت أن أيْسر ما فى ذلك إنْ أنا كذّبته أن يحفظُوا ذلك علىّ ؛ ثم يحدّثوا به عنى ؛ فلم أكذبه ، فقال : أخبرْنى عن هذا الرجل الذى خرج بين أظهركم يدّعى ما يدّعى ! قال : فجعلتُ أزَهّدُ له شأنه ؛ وأصغّرُ له أمره ؛ وأقول له : أيّها الملك ، ما يهمّك من أمره ! إنّ شأنه دون ما يبلغك ؛ فجعل لا يلتفت إلى ذلك ، ثم قال : أنبئنى عمّا أسألك عنه من شأنه . قلت : سَلْ عمّا بدا لك ؛ قال : كيف نسبُه فيكم ؟ قلت : محض[2] ؛ أوسطنا نسَبا . قال :

(١) الأغانى : « رأيت » .

(٢) محض : خالص .

فأخبِرْنى هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل ما يقول ، فهو يتشبَّه به ؟ قلت : لا : قال : فهل كان له فيكم مُلْكٌ فاستلبتموه إيَّاه ؛ فجاء بهذا الحديث لتردُّوا عليه ملكه ؟ قلت : لا ؛ قال : فأخبرنى عن أتْبَاعِه منكم ، مَنْ هم ؟ قال : قلت الضعفاء والمساكين والأحداث من الغِلْمان والنِّساء ، وأما ذوو الأسنان والشَّرَف من قومه ؛ فلم يتّبعه منهم أحدٌ . قال : فأخبِرْنى ١٥٦٤/١ عَمَّنْ تَبِعه ، أيحبّه ويلزمُه[1] أم يقليه ويفارقه ؟ قال : قلت : ما تبعه رجل ففارقه . قال : فأخبِرْنى كيف الحرب بينكم وبينه ؟ قال : قلت : سِجَالٌ يُدال علينا وندال عليه ؛ قال : فأخبرنى هل يَغْدِر ؟ فلم أجد شيئًا ممَّا سألنى عنه أغمزه فيه غيرها ، قلت : لا ، ونحن منه فى هُدْنة ، ولا نأمن غَدْره . قال : فوالله ما التفت إليها منّى ، ثم كرّ علىّ الحديث . قال : سألتك كيف نسبه فيكم ، فزعمتَ أنه مَحْضٌ ، من أوسطكم نسباً ؛ وكذلك يأخذ الله النبىّ إذا أخذه ؛ لا يأخذه إلا من أوْسَط قومه نسبًا . وسألتك : هل كان أحدٌ من أهل بيته يقول بقوله ؛ فهو يتشبَّه به ؛ فزعمت أن لا ؛ وسألتك : هل كان له فيكم مُلْكٌ فاستلبتموه إياه ؛ فجاءَ بهذا الحديث يطلب به ملكه ؟ فزعمت أن لا . وسألتك عن أتباعه ، فزعمت أنَّهم الضعفاء والمساكين والأحداث والنساء ؛ وكذلك أتباع الأنبياء فى كلّ زمان ، وسألتكُ عَمَّن يتَّبعه ، أيحبه ويلزمه أم يَقْلِيه ويفارقه ؟ فزعمت أنه لا يتبعه أحدٌ فيفارقه ؛ وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلبًا فتخرج منه . وسألتك : هل يغدر ؟ فزعمت أن لا ؛ فلئن كنتَ صدقتَنى عنه ليغلبَنِّى[2] على ما تحت ١٥٦٥/١ قدمىّ هاتين ؛ ولوددت أنِّى عنده فأغسل قدميه . انطلق لشأنك .

قال : فقمتُ من عنده وأنا أضرب إحدى يدىّ بالأخرى ؛ وأقول : أى عبادَ الله ؛ لقد أمِرَ أمْرُ[3] ابن أبى كَبْشَةَ ! أصبح ملوك بنى الأصفر يهابونَه فى سلطانهم بالشأم !

قال : وقدم عليه كتاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مع دحيَة بن

(١) س : « ويكرمه » .
(٢) الأغانى : « فليغلبن » .
(٣) أمر أمره : قوى واشتدّ .

خليفة الكلبىّ : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هِرَقْل عظيم الروم . السَّلام على من اتَّبع الهدى . أمَّا بعد : أسْلِمْ تَسْلَم ، وأسْلِمْ يُؤْتِك الله أجْرَك مرّتين ؛ وإن تتولّ فإنّ إثْمَ الأكّارين عليك — يعنى تِحِمَّالَه .

حدّثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدّثنا يحيى بن آدم ، قال : حدّثنا عبد الله بن إدريس ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، عن الزُّهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة ، عن ابن عبّاس ، قال : أخبرنى أبو سفيان ابن حَرْب ، قال : لمَّا كانت الهُدْنة بيننا وبين رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عامَ الحديبيَة ، خرجتُ تاجرا إلى الشأم . ثم ذكر نحو حديث ابنِ حميد ، عن سلَمة ، إلا أنه زاد فى آخره : قال : فأخذ الكتاب فجعله بين فخذيه وخاصرته .

حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى ابنُ إسحاق ، قال : قال ابنُ شِهاب الزُّهرىّ : حدّثنى أسقفٌ للنصارى أدركتُه فى زمان عبد الملك بن مروان ، أنه أدرك ذلك من أمْرِ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأمْر هرقل وعَقَله ، قال : فلمَّا قدِم عليه كتابُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مع دِحْيَة بن خليفة ، أخذه هِرَقْل ، فجعله بين فخذيه وخاصرته . ثم كتب إلى رجل برومِيَة كان يقرأ من العبرانية ما يقرءونه ؛ يذكر له أمره ، ويَصِفُ له شأنه ، ويخبره بما جاءَ منه ؛ فكتب إليه صاحب رومِيَة : إنَّه لَنَبِىٌّ الذى كنا ننتظرُه[1] ؛ لا شكّ فيه ؛ فاتَّبعه وصدِّقْه . ١٥٦٦/١

فأمر هرقلُ ببطارقة الرُّوم ؛ فجُمِعُوا له فى دَسْكَرَة[2] ، وأمر بها فأشرِجَتْ[3] أبوابُها[4] عليهم ؛ ثم اطّلع عليهم من عُلِّيَّة له ؛ وخافهم على نفسه ، وقال : يا معشَرَ الروم ؛ إنى قد جمعتُكم لخير ؛ إنه قد أتانى كتاب

(١) و : « ننتظر » .

(٢) الدسكرة : القرية ، والصومعة ، والأرض المستوية ، وبيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهى ، وبناء بالقصر حوله بيوت ، وهو المراد هنا .

(٣) أشرجت : سدت . (٤) و : « بأبوابها » .

هذا الرّجل يدعونى إلى دينه ؛ وإنّه والله لَلنبىّ الذى كنّا ننتظره ونجده فى كتبنا ؛ فهلمّوا فلنتّبعه ونصدّقه ، فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا .

قال : فَنَخَرُوا نَخْرَةَ رجل واحد ؛ ثم ابتدروا أبوابَ الدَّسْكرة ليخرجوا منها فوجدُوها قد أغلقت ؛ فقال : كرُّوهم علىّ — وخافهم على نفسه — فقال : يا معشَرَ الرُّوم ؛ إنى قد قلت لكم المقالة التى قلت لأنظر كيف صلابتكم على دينكم لهذا الأمر الَّذى قد حَدَث ؛ وقد رأيت منكم الذى أسَرَّ به ؛ فوقعوا له سُجَّدًا ؛ وأمر بأبواب الدَّسْكرة ففتِحَتْ لهم ؛ فانطلقوا[1] .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، أنّ هرقل قال لدِحْيَة بن خليفة حين قدم عليه بكتاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ويحك ! والله إنّى لأعلَمُ أن صاحبَك نبىٌّ مرسل ؛ وأنّه الَّذِى كنّا ننتظره ونجده فى كتابنا ؛ ولكنى[2] أخاف الرُّوم على نفسى ؛ ولو لا ذلك لاتّبعتُه ؛ فاذهب إلى صغاطر الأسقفّ فاذكر له أمرَ صاحبكم ؛ فهو والله أعظم فى الروم مِنّى ، وأجوَز[3] قولا عندهم منىّ ؛ فانظر ما يقول لك . ١٥٦٧/١

قال : فجاءَه دِحْية ؛ فأخبره بما جاءَ به من رسول الله صلّى الله عليه وسلم إلى هِرَقل ، وبما يدعوه إليه ، فقال صغاطر : صاحبُك والله نبى مرسَل ؛ نعرفه بصفته ، ونجده فى كتبنا باسمه .

ثم دخل فألقى ثيابًا كانت عليه سودًا ، ولبِس ثيابًا بيضا ، ثم أخذ عصاه ؛ فخرج على الرّوم وهم فى الكنيسة ، فقال : يا معشرَ الرُّوم ؛ إنه قد جاءَنا كتابٌ من أحمد ؛ يدعونا فيه إلى الله عزّ وجلّ ؛ وإنّى أشهدُ أن لا إله إلا الله ، وأنّ أحمد عبده ورسوله .

قال : فوثبوا عليه وَثْبَةَ رجل واحد ، فضربوه حتّى قتلوه . فلمّا رجع

(١) الأغانى ٦ : ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

(٢) و : ولكن » .

(٣) ابن الأثير : « وأحور » .

دِحْية إلى هرقل فأخبره الخبر قال : قد قلت لك : إنا نخافهم على أنفسنا ؛ فصغاطر — والله — كان أعظمَ عندهم وأجْوَزَ قولاً منى .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثنا محمّد بن إسحاق ، عن خالد بن يسار ، عن رجل من قدماء أهل الشأم ، قال : لما أراد هِرقْل الخروجَ من أرض الشأم إلى القسطنطينية ، لمّا بلغه من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جمع الرّوم ، فقال : يا معشرَ الرُّوم ؛ إنى عارضٌ عليكم أمورًا ، فانظروا فيمَ قد أردتها ! قالوا : ما هى ؟ قال : تعلمون والله أنّ هذا الرّجل لنبى مرسلٌ ؛ إنا نجده فى كتابنا نعرفه بصفته التى وصف لنا ، فهلُمّ فَلْنتّبِعْه ، فتسلَم لنا دنيانا وآخرتنا ، فقالوا : نحن نكون تحتَ يدى العرب ؛ ونحن أعظم الناس مُلْكًا ، وأكثرهم رجالاً ، وأفضلُهم بلدا !

قال : فهلمّ فأعطيه الجزية فى كلّ سنة ، اكسِرُوا عنى شوكتَه وأستريحُ من حرْبِه بمال أعطيه إياه ، قالوا : نحن نعطى العرب الذلّ والصَّغار ، بخَرْجٍ ١٥٦٨/١
يأخذونه منا ؛ ونحن أكثر الناس عدداً ، وأعظمهم ملكًا ، وأمنعهم[1] بلداً ؛ لا والله لا نفعل هذا أبداً .

قال : فهلمّ فلأصالحه على أنْ أعطيَه أرض[2] سُورِيَة ، ويَدَعنى وأرض الشأم — قال : وكانت أرضُ سوريّة أرضَ فلسطين والأردنّ ودمشق وحِمْص ومادون الدَّرْب من أرض سوريَة ؛ وكان ما وراء الدَّرْب عندهم الشأم — فقالوا له : نحن نعطيه أرضَ سوريَة ؛ وقد عرفت أنها سرّة الشأم ؛ والله لا نفعل هذا أبداً .

فلما أبَوْا عليه ، قال : أما والله لترونّ أنكم قد ظفرتُمْ إذا امتنعتم منه فى مدينتكم . ثم جلس على بَغْل له ؛ فانطلق حتى إذا أشرف على الدَّرْب استقبل أرض الشأم ، ثم قال : السّلام عليكم أرض سوريَة تسليمَ الوداع ، ثم ركض حتى دخل القسطنطينيّة .

* * *

(١) س : « وأمنعه » .
(٢) س : « على أن أصالحه بأرض » .

قال ابن إسحاق : وبعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شُجَاع بن وهب ، أخا بنى أسد بن خُزيمة إلى المنذر بن الحارث بن أبى شَمِر الغسانىّ ؛ صاحب دمشق .

وقال محمد بن عمر الواقدىّ : وكتب إليه معه : سلام عَلَى مَن اتّبع الهدى ، وآمن به . إنّى أدعُوك إلى أن تؤمنَ بالله وحدَه لا شريك له يبقى لك ملكك .

فقدم به شجاع بن وهْب ، فقرأه عليهم ، فقال : مَنْ ينزع منّى ملكى! أنا سائر إليه ؛ قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : بادَ مُلْكه[1] !

* * *

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثنا ابنُ إسحاق ، قال : بعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضَّمْرِىّ إلى النجاشىّ فى شان جعفر بن أبى طالب وأصحابه ؛ وكتب معه كتابًا . ١٥٦٩/١

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى النجاشىّ الأصحم ملك الحبشة ، سلم[2] أنت ؛ فإنّى أحْمَد إليك الله الملك القُدُّوس السَّلام المُؤمِن المهيمن ؛ وأشهدُ أن عيسى بن مريم روحُ الله وكلمته ، ألقاها إلى مريم البَتُول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ؛ فَخلقه الله من رُوحِه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه ، وإنّى أدعوك إلى الله وحْده لا شريك له ؛ والموالاة على طاعته ؛ وأن تتبعنى وتؤمِنَ بالذى جاءنى ؛ فإنّى رسول الله ، وقد بعثت إليك ابنَ عمّى جعفراً ونفراً[3] معه من المسلمين ؛ فإذا جاءك فأقرّهم ، ودع التجبّر ؛ فإنّى أدعُوك وجنودَك إلى الله ؛ فقد بلّغت ونصحت ؛ فاقبلوا نصْحِى ؛ والسلام على من اتّبع الهدى .

فكتب النجاشىّ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله ، من النجاشىّ الأصْحَم بن أبجر . سلامٌ عليك

(١) باد ملكه : ذهب .
(٢) س : « سلام » .
(٣) س : « ومعه نفر » .

يانبيَّ الله[1] ورحمة الله وبركاته[1]، من الله الذى لا إله إلا هو، الذى هدانى إلى الإسلام. أما بعد؛ فقد بلَغنى كتابُك يا رسولَ الله فيما ذكرتَ من أمر عيسى، فوربّ السماء والأرض إنّ عيسى ما يزيد على ما ذكرتَ ثُفْرُوقًا[2]؛ إنه كما قلت؛ وقد عرفنا ما بُعثْتَ به إلينا؛ وقد قرَيْنا ابنَ عمّك وأصحابه[3]؛ فأشهد أنك رسولُ الله صادقًا مصدّقا؛ وقد بايعتك وبايعتُ ابنَ عمك؛ ١٥٧٠/١
وأسلمت على يديه[4] لله ربّ العالمين؛ وقد بعثت إليك بابنى أرها بن الأصحم ابن أبجر؛ فإنى لا أملكُ إلاّ نفسى؛ وإن شئت أن آتيَك فعلت يا رسول الله؛ فإنّى أشهد أن ما تقول حقّ، والسلام عليك يا رسول الله.

قال ابن إسحاق: وذُكرَ لى أنّ النجاشىّ بعث ابنه فى ستين من الحبشة فى سفينة؛ فإذ كانوا فى وَسَط من البحر غرِقَتْ بهم سفينتُهم، فهلكوا.

وحُدّثت عن محمد بن عمر، قال: أرسل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشىّ ليزوّجه أمَّ حبيبة بنت أبى سفيان؛ ويبعث بها إليه مع مَنْ عنده من المسلمين، فأرسل النجاشىّ إلى أمّ حبيبة يخبرها بخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها جارية له يقال لها أبرهة؛ فأعطتها أوْضَاحًا[5] لها وفَتَخًا[6]؛ سروراً بذلك، وأمرها أن توكّل مَنْ يزوّجها، فوكلت خالد بن سعيد بن العاص، فزوّجها، فخطب النجاشىّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخطب خالد فأنكَح أمّ حبيبة، ثم دعا النجاشىّ بأربعمائة دينار صداقها؛ فدفعها إلى خالد بن سعيد؛ فلما جاءت أمّ حبيبة تلك الدنانير، قال: جاءت بها أبْرهة فأعطتها خمسين مثقالا، وقالت: كنت أعطيتُكِ ذلك؛ وليس بيدى شىء، وقد جاء الله عزّ وجلّ بهذا.

(١-١) س: «من الله ورحمته».

(٢) يقال: ماله ثفروق، أى شىء وأصله قمع التمر، أو ما يلتزق به قمعها.

(٣) و: «وأصحابك».

(٤) س: «يده».

(٥) أوضاحاً، أى حلياً من فضة.

(٦) الفتخة: خاتم كبير يكون فى اليد والرجل.

١٥٧١/١ فقالت أبرهة : قد أمرنى الملك ألاّ آخذ منك شيئًا ؛ وأن أردّ إليك الذى أخذت منك ، فرددته وأنا صاحبة دُهن الملك وثيابه ، وقد صدّقتُ محمداً[1] رسول الله وآمنتُ به ؛ وحاجتى إليك أن تقرئيه منى السّلام .

قالت : نعم ؛ وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بما عندهنّ من عُود وعنبر ؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عليها وعندها فلا ينكره .

قالت أمّ حبيبة : فخرجنا فى سفينتين ؛ وبعث معنا النّواتى حتى قدمنا الجار ، ثم ركبنا الظّهر إلى المدينة ؛ فوجدْنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بخيْبر ، فخرج مَنْ خرج إليه ، وأقمت بالمدينة حتى قدِم رسولُ الله ؛ فدخلتُ إليه ، فكان يسائلنى عن النّجاشىّ ؛ وقرأت عليه من أبرهة السلام ، فردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ؛ ولما جاء أبا سفيانَ تزويجُ النبىّ صلىّ الله عليه وسلم أمّ حبيبة قال : ذلك الفحل لا يقدَعُ أنفه .

* * *

وفيها كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ، وبعث الكتاب مع عبد الله بن حُذافة السهمىّ ؛ فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ من محمد رسول الله إلى كَسرى عظيم فارس . سلامٌ على مَن اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ؛ وشهد أن لا إله إلا الله ، وأنىّ رسول الله ، إلى الناس كافّة ، ليُنذِرَ مَنْ كان حيًّا ؛ أسْلِمْ تسلَمْ ، فإنْ أبيت فعليك إثم المجوس .

فمزّق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله : مُزِّق ملكه !

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن
١٥٧٢/ يزيد بن حبيب ، قال : وبعث عبد الله بن حُذافة بن قيس بن عدىّ بن سعد بن سهم ، إلى كِسْرى بن هرمز ملك فارس وكتب معه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى كِسْرى عظيم فارس ؛ سلام عَلَى من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده

(١) س : « لمحمد » .

لا شريك له ؛ وأن محمداً عبده ورسوله ؛ وأدعوك بدعاء الله ؛ فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافّةً لأنذِر من كان حيًّا ويحقّ القول على الكافرين ، فأسلِم تَسلَم ، فإن أبيت ؛ فإن إثم المجوس عليك .

فلمّا قرأه مزّقه ، وقال : يكتب إلىّ هذا وهو عبدى !

حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، عن الزُّهرىّ ، عن أبى سلَمة بن عبد الرحمن بن عوف ؛ أن عبد الله بن حُذافة قدِمَ بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كسرى ، فلمّا قرأه شقّه ، فقال رسول الله : مُزّق ملكُه! حين بلغه أنه شقّ كتابه .

* * *

ثم رجع إلى حديث يزيد بن أبى حبيب . قال : ثمّ كتب كِسْرى إلى باذان ؛ وهو على اليمن : أن ابعث إلى هذا الرّجل الذى بالحجاز رجلَيْن من عندك جَلْدَيْن ، فلْيأتيانى به ؛ فبعث باذانَ قهرمانه وهو بابَوَيْه — وكان كاتبًا حاسبًا بكتاب فارس — وبعث معه رجلا من الفُرْس يقال له خُرّخُسره ، ١٥٧٣/١
وكتب معهما إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى ، وقال لبابويه : ائت بلد هذا الرجل ، وكلِّمه وأتِنى بخبره ، فخرجا حتّى قدما الطائف فوجدا رجالا من قريش بنَخِب من أرض الطائف فسألاهم عنه ، فقالوا : هو بالمدينة ، واستبشروا بهما وفرحوا ؛ وقال بعضهم لبعض : أبشِروا فقد نَصِب[1] له كسرى ملك الملوك ، كُفِيتم الرجل !

فخرجا حتّى قَدِما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلّمه بابويه ، فقال : إنّ شاهانشاه ملك الملوك كِسْرى ؛ قد كتب إلى الملك باذان ، يأمره أن يبعث إليك مَنْ يأتيه بك ؛ وقد بعثنى إليك لتنطلِق معى ؛ فإن فعلتَ كتَب فيك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفّه عنك ؛ وإن أبيتَ فهو من قد علمت ! فهو مهلكُك ومهلك قومك ، ومخرّب بلادك ؛ ودخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حلقا لحاهما ، وأعفيا شواربهما ؛ فكره النظر إليهما ، ثم

(١) نصب : جد واهتم .

أقبل عليهما فقال: ويلكُما! مَنْ أمركما بهذا؟ قالا: أمرنا بهذا رَبّنا — يعنيان كسرى — فقال رسول الله: لكنّ ربّى قد أمرنى بإعفاء لحيتى وقصّ شاربى. ثم قال لهما: ارجعا حتى تأتيانى غداً، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السّماء أنّ الله قد سلّط على كسرى ابنه شيرويه؛ فقتله فى شهر كذا
١٥٧٤/١ وكذا ليلة كذا وكذا من الليل؛ بعد ما مضى من الليل؛ سلّط عليه ابنُه شيرويه فقتله.

— قال الواقدىّ: قَتَلَ شيرويه أباه كسرى ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضيْن[1] من جمادى الأولى من سنة سبع لستّ ساعات مضت منها —

رجع الحديث إلى حديث محمد بن إسحاق، عن يزيد بن أبى حبيب. فدعاهما فأخبرهما، فقالا: هل تدرى ما تقول! إنا قد نَقِمْنا عليك ما هو أيسرُ من هذا؛ أفنكتب هذا عنك، ونخبره الملك! قال: نعم، أخبراه ذلك عنّى، وقولا له: إنّ دينى وسلطانى سيبلغُ ما بلغ ملك كسرى، وينتهى إلى منتهى الخُفّ والحافر؛ وقولا له: إنك إن أسْلمتَ أعطيْتُك ماتحت يَدَيك؛ وملّكتُك على قومك من الأبناء؛ ثم أعطى خُرّ خسره مِنْطقة فيها ذهب وفضة، كان أهداها له بعض الملوك.

فخرجا من عنده حتى قدِما على باذان، فأخبراه الخبر، فقال: والله ما هذا بكلام مَلِك، وإنّى لأرى الرّجل نبيًّا كما يقول؛ ولننظرنّ ماقد قال؛ فلئن كان هذا حقًّا ما فيه كلامٌ؛ إنه لنبى مُرْسَلٌ؛ وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا.

فلم ينشب باذان أن قدم عليه كتابُ شيرويه؛ أما بعدُ فإنّى قد قتلت كسرى، ولم أقتله إلا غضبًا لفارس لما كان استحلّ من قتل أشرافهم وتجميرهم[2] فى ثغورهم؛ فإذا جاءك كتابى هذا فخذْ لى الطاعة ممّن قِبَلك؛ وانظر الرجل الذى كان كسرى كتب فيه إليك فلا تُهِجْه حتى يأتيَك أمرى فيه.

فلمّا انتهى كتاب شيرويه إلى باذان قال: إنّ هذا الرجل لرسولٌ. فأسلم
١٥٧٥/١ وأسلمت الأبناءُ معه من فارس مَنْ كان منهم باليمن؛ فكانت حِمْيَر تقول

(١) و: «بقين».

(٢) التجمير: الحبس فى الثغور.

لخرّخسُره : ذو المِعْجَزَة ، للمنطقة التى أعطاه إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم — والمنطقة بلسان حمير المِعجَزة[1] — فبَنُوه اليوم ينسبون إليها خُرّخسُره ذو المِعْجَزَة .

وقد قال بابويه لباذان : ما كلّمت رجلاً قطّ أهيبَ عندى منه ، فقال له باذان : هل معه شُرَطٌ ؟ قال : لا .

* * *

قال الواقدىّ : وفيها كتب إلى المقوقس عظيم القبْط ، يدعوه إلى الإسلام فلم يُسْلِم .

* * *

قال أبو جعفر : ولما رجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم من غزوة الحديبية إلى المدينة أقام بها ذا الحجّة وبعض المحرّم — فيما حدثنا ابنُ حُمَيد قال : حدثنا سلَمة ، عن ابن اسحاق .

قال : وولى الحجّ فى تلك السنة المشركون .

تم الجزء الثانى من تاريخ الطبرى ، ويليه
الجزء الثالث ، وأوله :
ذكر الأحداث الكائنة فى سنة سبع .

(١) المعجزة : المنطقة ؛ باليمانية ، وفى و : « المعجزة » .

فهرس الموضوعات

ذكر نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض أخبار

آبائه وأجداده ٢٣٩ — ٢٧٦

عبد المطلب ٢٤٦ — ٢٥١

هاشم ٢٥١ — ٢٥٤

عبد مناف ٢٥٤

قصى ٢٥٤ — ٢٦٠

كلاب ٢٦٠

مرّة ٢٦١

كعب ٢٦١

لؤى ٢٦٢

غالب ٢٦٢

فهر ٢٦٢ — ٢٦٣

مالك ٢٦٣ — ٢٦٥

النضر ٢٦٥ — ٢٦٦

كنانة ٢٦٦

خزيمة ٢٦٦

مدركة ٢٦٦ — ٢٦٧

إلياس ٢٦٨

مضر ٢٦٨ — ٢٧٠

نزار ٢٧٠

معدّ ٢٧٠ — ٢٧١

صفحة

عدنان ٢٧١ — ٢٧٦
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسبابه ٢٧٧ — ٢٧٩
ذكر تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها . ٢٨٠ — ٢٨٢
ذكر باقى الأخبار عن الكائن من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتنبأ وما كان بين مولده ووقت نبوّته من الأحداث فى بلده ٢٨٣ — ٢٩٢
ذكر اليوم الذى نبئ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشهر الذى نبئ فيه وما جاء فى ذلك ٢٩٣ — ٢٩٧
ذكر الخبر عما كان من أمر نبى الله صلى الله عليه وسلم عند ابتداء الله تعالى ذكره إياه بإكرامه بإرسال جبريل عليه السلام بوحيه وما تلاذ لك من الأحداث إلى وقت الهجرة ٢٩٨ — ٣٨٧
ذكر الوقت الذى عمل فيه التاريخ ٣٨٨ — ٣٩٣

* * *

ذكر ما كان من الأمور فى أول سنة من الهجرة .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول جمعة بالمدينة . ٣٩٥ — ٣٩٦

* * *

السنة الثانية

غزوة ذات العشيرة ٤٠٨ — ٤٠٩
سريّة عبد الله بن جحش ٤١٠
ذكر وقعة بدر الكبرى ٤٢١ — ٤٧٩
غزوة بنى قينقاع ٤٧٩ — ٤٨٣
غزوة السويق ٤٨٣ — ٤٨٥

* * *

صفحة

السنة الثالثة

غزوة ذى أقر ٤٨٧
خبر كعب بن الأشرف ٤٨٧ — ٤٩٢
غزوةالقردة ٤٩٢ — ٤٩٣
مقتل أبى رافع اليهودى ٤٩٣ — ٤٩٩
غزوة أحُد ٤٩٩ — ٥٣٣
غزوة حمراء الأسد ٥٣٤ — ٥٣٦

* * *

السنة الرابعة

غزوة الرجيع ٥٣٨ — ٥٤٢
ذكر الخبر عن عمرو بن أمية الضمرى حين وجهه رسول الله
صلى الله عايه وسلم لقتل أبى سفيان بن حرب . . ٥٤٢ — ٥٤٥
ذكر خبر بئر معونة ٥٤٥ — ٥٥٥
غزوة ذات الرقاع ٥٥٥ — ٥٥٩
ذكر* الخبر عن غزوة السويق ٥٥٩ — ٥٦١

* * *

السنة الخامسة

زواج النبى صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش . . ٥٦٣ — ٥٦٤
غزوة دومة الجندل ٥٦٤
ذكر الخبر عن غزوة الخندق ٥٦٤ — ٥٨١
غزوة بنى قريظة ٥٨١ — ٥٩٤

* * *

* هى غير الغزوة التى مر ذكرها بهذا الاسم فى حوادث السنة الثانية .

صفحة

السنة السادسة

غزوة بنى لحيان ٥٩٥
غزوة ذى قرد ٥٩٦ — ٦٠٤
غزوة بنى المصطلق ٦٠٤ — ٦١٠
حديث الإفك ٦١٠ — ٦١٩
ذكر الخبر عن عمرة النبى صلى الله عليه وسلم التى صده المشركون فيها عن البيت ، وهى قصة الحديبية . . ٦٢٠ — ٦٤٤
ذكر خروج رسل رسول الله إلى الملوك ٦٤٤ — ٦٥٧

مطابع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨

ذخائر العرب

٣٠

تاريخ الطبري

تاريخ الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ – ٣١٠ هـ

الجزء الثالث

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة الثانية

دار المعارف بمصر

بيـــــان

ذكرت فى مقدّمة هذا الكتاب أنى اتخذت النسخة المطبوعة فى ليدن — بين سنتى ١٨٧٩ و ١٨٩٨ — أصلا اعتمدت عليه فى التحقيق ؛ باعتبارها النسخة الكاملة التى نشرت نشراً علمياً على أساس المخطوطات المتنوعة التى وقعت لمصححيها ؛ وأثبت فى حواشى الكتاب أهم فروقها ؛ كما زدت على ذلك فروق النسخ التى حصلت عليها ؛ مع ما وجدته ضرورياً من التعليق والشرح والتوضيح .

وقد فاتنى أن أذكر أنى رجعت عند التحقيق أيضاً إلى ما يأتى :

١ — الروايات التى أوردها ابن جرير الطبرى فى تفسيره [١] ؛ مما يتعلق بأخبار بدء الخلق وقصص الأنبياء والسيرة النبويّة ؛ ويكاد يكون ما أورده من ذلك متحداً مع ما جاء فى تاريخه من حيث الإسناد والعبارة .

٢ — سيرة ابن هشام [٢] فى جميع ما ساقه المؤلف من رواية محمد بن إسحاق ، مما يتعلق بتاريخ العرب فى الجاهلية وأخبار النبى عليه السلام فى نشأته ومبعثه ومغازيه ؛ إذ كانت رواية ابن إسحاق فى تاريخ الطبرى تحتل المكانة الأولى فى هذا الباب .

٣ — الأجزاء [٣] التى قام بنشرها الأستاذ المستشرق كوزيجارتن I.G.L. Kosegarten

(١) طبعة دار المعارف بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر ؛ وطبعة بولاق فيما لم يظهر حتى الآن من طبعة دار المعارف .

(٢) سيرة ابن هشام بشرح أبى القاسم السهيلى المعروف بالروض الأنف — المطبعة الجمالية بمصر سنة ١٩١٤ .

(٣) طبعت فى جرايفسفلد Greifswald فى عام ١٨٥٣ م .

على أساس المخطوطات التى اعتمد عليها ؛ وهى ثلاثة أجزاء فى مجلد واحد ، وتنتظم الأحداث الواقعة بين أواخر السنة الحادية عشرة وأواخر السنة الرابعة عشرة للهجرة ؛ وقد رمزت إليها فى الحواشى بالحرف (ز) .

٤ ــ كتاب الغزوات الضامنة الكافلة ، والفتوح الجامعة الحافلة[١] ؛ لأبى القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن حبيش الأنصارى المعروف بابن حبيش ، وذكر فى هذا الكتاب الغزوات والفتوح الإسلامية فى أيام الخلفاء الثلاثة الأوائل ؛ أبى بكر وعمر وعثمان .

٥ ــ تاريخ ابن الأثير الجزرى المعروف بالكامل[٢] . وقد ذكر فى مقدمته أنه أخذ جميع تراجم أبى جعفر ، لم يخلّ بواحدة منها ، واختار أتم الروايات فنقلها .

٦ ــ القسم الخاص بالتاريخ ، من كتاب نهاية الأرب لشهاب الدين النويرى. وقد اعتمدت ــ فيما لم تنشره دار الكتب بمصر[٣] ــ على النسخة المصوّرة المحفوظة فى الدار برقم ٥٤٩ ــ معارف عامة ؛ عن الأصل المحفوظ بمكتبة كبريلى بالآستانة .

هذا ؛ عدا ما قابلته من نصوص هذا الكتاب بما نقله أبو الفرج الأصفهانى فى كتاب الأغانى ، وياقوت فى معجم البلدان ، والثعالبى فى كتاب غرر أخبار ملوك الفرس[٤] .

(١) قد اعتمدت فى مراجعة هذا الكتاب على النصوص التى أوردها ناشر طبعة ليدن نقلا عن نسخة خطية فى مكتبة ليدن رقم ٣٤٣ Or .

(٢) نشره منير الدمشقى بمصر سنة ١٣٤٨ هـ ، بتعليقات العالم المؤرخ عبد الوهاب النجار .

(٣) أصدرت دار الكتب ثمانية عشر جزءاً من هذا الكتاب ، يبدأ القسم الخاص بالتاريخ من أول الجزء الثالث عشر من هذه الطبعة .

(٤) طبع هذا الكتاب فى مطبعة باريس الوطنية سنة ١٩٠٠ بتحقيق زوتنبرج Zotenberg

ولا يفوتنى أن أذكر هنا أيضا أنى عنيت عناية تامة بالإفادة من الاستدراكات والتصويبات والتعليقات التى ألحقها ناشرو طبعة ليدن ، فأثبت بهذه الطبعة جميع التصويبات ، ورجعت إلى مواضع التعليقات فى نصوصها الأصلية .

أما ما قد يظهر فى هذه الطبعة من ملاحظات ، وما قد ينبه عليه العلماء والباحثون والمعنيون بالنصوص العربية وسلامتها من تصويبات؛ فقد عقدت العزم على تلافى ذلك كله بعد الانتهاء من طبع بقية الأجزاء .

وأسأل الله جل شأنه ، العون والهداية والتوفيق .

محمد أبو الفضل إبراهيم

القاهرة فى صفر سنة ١٣٨٢ هـ
يوليه سنة ١٩٦٢ م



بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر الأحداث الكائنة فى سنة سبع من الهجرة

غزوة خَيْبَر

ثم دخلت سنة سبع ؛ فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم فى بقيّة المحرّم إلى خَيْبَر واستخلَف على المدينة سباع بن عُرْفطة الغفاريّ ، فمضى حتى نزل بجيشه بوادٍ يقال له الرَّجيع ؛ فنزل بين أهل خَيْبَر وبين غَطَفان — فيما حدّثنا ابنُ حُميد قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق — لِيَحُول بينهم وبين أن يُمِدُّوا أهلَ خيبر ؛ وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

قال : فبلغنى أنّ غَطَفان لما سمعتْ بمنزلِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من خَيْبَر ، جَمَعُوا له ، ثم خرجوا ليظاهروا يهودَ عليه ؛ حتى إذا ١٥٧٦/١
ساروا مَنقَلةً[1] سمعوا خلفهم فى أموالهم وأهاليهم حِسًّا ؛ ظنُّوا أنّ القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعُوا على أعقابهم ؛ فأقاموا فى أهاليهم وأموالهم ؛ وخلّوْا بين رسول الله وبين خَيْبَر ، وبدأ[2] رسول الله صلّى الله عليه وسلم بالأموال يأخذها[3] مالاً مالا ، ويفتتحها[4] حِصْنًا حِصْنًا ؛ فكان أوّلَ حصونهم افتتح حصن ناعم ؛ وعنده قُتِل محمود بن مسلمة ؛ ألقيتْ عليه رحًا منه فقتلته ؛ ثم القَمُوص ؛ حصن ابن أبى الحُقَيق . وأصاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منهم سَبَايا ؛ منهم صفيّة بنت حُيَىّ بن أخطب ، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبى الحُقيق ؛ وابْنَتَىْ عمٍّ لها . فاصطفَى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم صفيّة لنفسه ، وكان دحية الكلبىّ قد سألَ رسولَ الله صفية ؛ فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنَتَىْ عمّها ؛ وفشت السبايا من خيبر[5] فى[6] المسلمين[7] .

(١) منقلة : مرحلة .
(٢) ابن هشام : « وتدنى » .
(٣) س : « وأخذها » .
(٤) س : « وفتحها » .
(٥) س : « وقسمت السبايا فى خيبر » .
(٦) س : « بين » .
(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٧

قال : ثم جعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يتدنّى[١] الحصون والأموال .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ؛ أنه حدّثه بعضُ أسلَم ؛ أنّ بنى سهم مِنْ أسلَم ، أتوْا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقالوا : يا رسول الله ؛ والله لقد جُهِدْنا وما بأيدينا شيء ؛ فلم يجدُوا عند رسول الله شيئًا يعطيهم إياه ، فقال النبيّ : اللهمّ إنك قد عرفت حالَهم ، وأنْ ليست بهم قوة ؛ وأن ليس بيدى شيء أعطِيهم إياه ؛ فافتح عليهم أعظمَ حصونِها[٢] ؛ أكثرها طعاما ووَدَكاً . فغدا ١٥٧٧/١ النّاس ، ففتح الله عليهم حِصْنَ الصّعب بن معاذ ؛ وما بخيبر حصْنٌ كان أكثرَ طعاماً ووَدَكًا منه .

قال : ولما افتتح رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مِنْ حصونهم ما افتتح ، وحاز من الأموال ما حاز ، انتهوْا إلى حصنهم الوَطِيح والسُّلالِم — وكان آخر حصون خَيْبر افتتح — حاصَرَهم رسول الله بضعَ عشرة ليلة[٣] .

فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سَهْل أخى بنى حارثة ، عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ ، قال : خرج مَرْحب اليهوديّ من حِصْنهم ؛ قد جمع سلاحه وهو يرتجز ؛ ويقول :

قد علمَتْ خَيْبَرُ أنّى مَرْحَبُ شاكِى السّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ[٤]
أطْعَنُ أحْيَانًا وَحِينًا أضْرِبُ إذَا اللُّيوثُ أقْبَلَتْ تَحَرَّبُ[٥]
* كانَ حِمَايَ ، لِلْحِمَى لا يُقْرَبُ *

وهو يقول : هَلْ من مبارز ! فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : من لهذا ؟ فقام محمد بن مسلمة ؛ فقال : أنا له يا رسول الله ؛ أنا والله الموتور الثائر ؛ قتلوا أخِى بالأمس ! قال : فقم إليه ؛ اللهمّ أعِنْه عليه .

فلما أن دنا كلُّ واحدمنهما مِن صاحبه ، دخلت بينهما شجرةٌ عُمْرِيَّةٌ[٦]

(١) يتدنى ، أى يأخذ الأدنى فالأدنى .
(٢) س : « حصن لهم » .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٨ .
(٤) شاكى السلاح : حادّة .
(٥) تحرب ، أى أقبلت مغضبة .
(٦) عمرية : قديمة .

من شجر العُشَر[١]؛ فجعل أحدُهما يلوذ بها مِن صاحبه ؛ فكلَّما لاذَ بها ١٠٧٨/١
اقتطع بسيفه منها ما دونه منها ؛ حتى برز كلُّ واحدٍ منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرَّجل القائم، ما بينهما فَنَنٌ؛ ثم حمل مرحبٌ على محمد فضربه؛ فاتقاه بالدَّرقة فوقع سيفه فيها ؛ فعَضَّتْ به فأمْسَكَتْه ، وضربه محمد ابن مسلمة حتى قتلَه[٢] .

ثمّ خرج بعد مرحب أخوه ياسر ، يرتجز ويقول :

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّى يَاسِرُ شَاكِى السِّلَاحِ بَطَلٌ مُغَاوِرُ
إِذَا اللُّيُوثُ أَقْبَلَتْ تُبَادِرُ وَأَحْجَمَتْ عَنْ صَوْلَتِى المَغَاوِرُ
* إِنَّ حِمَاىَ فيه مَوْتٌ حَاضِرُ *

وحدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدثنا سَلَمة ، قال : حدّثنى محمد ابن إسحاق ، عن هشام بن عروة ؛ أنّ الزُّبَير بنَ العوّام خرج إلى ياسر ، فقالت أمّه صفيّة بنت عبد المطلب : أيقتُلُ ابنى يا رسول الله ؟ قال : بل ابنك يقتلُه إن شاء الله . فخرج الزّبير وهو يقول :

قد علمتْ خَيْبَرُ أنِّى زبَّارْ[٣] قَرْمٌ لقوم غَيْرِ نِكْسٍ فَرَّارْ
ابنُ حُمَاةِ المَجْدِ وابْنُ الأَخْيَارْ[٤] يَاسِرُ لا يَغُرُّكَ جَمْعُ الكُفَّار
* فَجَمْعُهم مثل السَّرَابِ الجَرَّارْ *

ثم التقيا فقتله الزبير . ١٠٧٩/١

حدّثنا ابنُ بشّار ، قال : حدّثنا محمد بن جعفر ، قال : حدّثنا عَوْف، عن ميمون أبى عبد الله، أنّ عبد الله بن بُرَيدة حدّث عن بُرَيدة الأسلمىّ ، قال : لما كان حين[٥] نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحصن أهل خيبر ، أعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اللواءَ عمر بن الخطاب ، ونهض مَنْ نهض

(١) العشر : شجر أملس ضعيف العود . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٨، ٢٣٩ .
(٣) زبار ، من الزبر وهو القوة والمنعة . (٤) النويرى : « أين حماة المجد » .
(٥) س : « حيث » .

معه من الناس ؛ فلقُوا أهل خيبر ؛ فانكشف عمر وأصحابه ، فرجعوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ يجبّنُه أصحابُه ويجبّنهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأعْطِينَّ اللواء غدًا رَجُلا يحبّ الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله . فلمّا كان من الغد تطاولَ لها[1] أبو بكر وعمر ؛ فدعا عليًّا [redacted] وهو أرْمد ، فتفل فى عينيه ، وأعطاه اللواءَ ؛ ونهض معه من الناس مَنْ نهض قال : فلقِىَ أهل خيبر ؛ فإذا مرحب يرتجز ويقول :

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّى مَرْحبُ شاكِى السِّلاَحِ بَطَلٌ مجَرَّبُ
أَطعَنُ أَحْيَانًا وحِينًا أضْرِبُ إذَا اللُّيُوث أقبلتْ تَلَهَّبُ

فاختلف هو وعلىٌّ ضربتين ؛ فضربه علىٌّ على هامتِه ؛ حتى عضّ السيف منها بأضراسه[2] ؛ وسمع أهل العسكر صوت ضَرْبته[3] ؛ فما تتامّ آخر الناس مع علىّ [redacted] حتى فتح الله له ولهم .

حدّثنا أبو كُرَيب ، قال : حدّثنا يونس بن بكير ، قال : حدّثنا المسيّب بن مسلِم الأودىّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن بُرَيدة ، عن أبيه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما أخذته الشّقيقة[4] ، فيلبث اليوم واليومين لا يخرج . فلمّا نزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس . وإن أبا بكر أخذ رايةَ رسول الله ؛ ثم نهض فقاتل قتالا ١٥٨٠/١
شديداً ؛ ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالا شديداً هو أشدُّ من القتال الأوّل ؛ ثم رجع فأخبِر بذلك رسول الله ، فقال : أما والله لأعطينّها غدًا رجلاً يحبّ الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله ، يأخذها[5] عنوة — قال : وليس ثَمّ على [redacted] — فتطاولت لها قريش ، ورجا كلُّ واحد منهم أن يكون صاحب ذلك ؛

(١) و : « تطاولها » .
(٢) س : « باطن رأسه » .
(٣) س : « المضربة » .
(٤) الشقيقة : نوع من صداع يعرض فى مقدم الرأس أو إلى أحد جانبيه ، وفى الحديث : « احتجم وهو محرم من شقيقة » — اللسان .
(٥) س : « فأخذها » .

فأصبح فجاء علىٌّ عليه السلام على بعيرٍ له ، حتى أناخ قريبًا من خباء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أرْمد، وقد عصب عينيه بشقّة بُرْد قَطَرِيّ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالك ؟ قال : رمِدْتُ بعد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادنُ منّى، فدنا فتفَل فى عينيه، فما وجِعهما[1] حتى مضى لسبيله . ثم أعطاه الراية ؛ فنهض بها معه وعليه حُلّة أرجوان حمراء قد اخرجّ خَمْلُها[2]. فأتى مدينة خيبر ؛ وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مِغْفرٌ مُعَصْفَرٌ يمانٍ ، وحجرٌ قد ثقَبه مثل البيضة على رأسه ، وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أنّى مرحبُ شاكِى السِّلاحِ بَطَلٌ مجرَّبُ

فقال علىٌّ عليه السلام : أنا والله

أنَا الذِى سَمَّتْنِى أُمِّى حَيْدَرَهْ أكيلُكم بالسيفِ كَيْل السَّنْدَرَهْ[3]

* لَيْثٌ بغابات شَدِيدٌ قَسْوَرَهْ *

فاختلفا ضربتين ؛ فبدره علىٌّ فضربه ، فقدّ الحجرَ والمِغْفرَ ورأسَه ؛ حتى وقع فى الأضراس . وأخذ المدينة . ١٥٨١/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن الحسن ؛ عن بعض أهله ، عن أبى رافع مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : خرجنا مع علىّ بن أبى طالب حين بعثَه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم برايته ؛ فلمّا دنا مِن الحِصْن خرج إليه أهلُه ؛ فقاتلهم فضربه رجل من اليهود ، فطرح تُرْسَه من يده ؛ فتناول علىٌّ رضى الله عنه بابًا كان عند الحصن ، فتترّس به عن نفسه، فلم يزل فى يدِه وهو يقاتل ؛ حتى فتح الله عليه ؛ ثمّ ألقاه من يده حين فرغ ؛ فلقد رأيتُنى فى نفر سبعة أنا ثامنهم، نجهد على أن نَقْلِبَ ذلك الباب فما نَقلِبُه[4].

حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق ، قال : ولما

(١) ط : « وجهها » ، و : « رجعها » ، وما أثبته من النويرى .

(٢) الخمل : هدب القطيفة ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول .

(٣) السندرة : مكيال كبير .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٩ .

فتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القَمُوص، حصن ابن أبى الحُقَيق، أتِىَ رسول الله بصفيّة بنت حُيىّ بن أخطب، وبأخرى معها؛ فمرّ بهما بلال — وهو الذى جاء بهما — على قتلى من قتلى يهود، فلما رأتهم التى مع صفيّة صاحت وصَكّتْ وجهها، وحثت التراب على رأسها، فلمّا رآها رسولُ الله قال: أغربوا[1] عنى هذه الشيطانة؛ وأمر بصفيّة فحِيزت خلْفَه، وألقَى عليها رداؤُه، فعرف المسلمون أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه، فقال رسولُ
١٥٨٢/١ الله صلى الله عليه وسلم لبلال — فيما بلغنى — حين رأى من تلك اليهودية[2] ما رأى: أنُزِعَتْ منك الرحمة يا بلال؛ حيث تمرُّ بامرأتين على قتلى رجالهما! وكانت صفيّة قد رأت فى المنام وهى عروسٌ بكنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيق؛ أن قمرًا وقع فى حجرها؛ فعرضت رؤياها على زوْجها فقال: ما هذا إلا أنّك تمنّيْن ملك الحجاز محمداً، فلطَم وجهَها لطمةً اخضرَّتْ عينها منها؛ فأتِىَ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثرٌ منها، فسألها: ما هو؟ فأخبرته هذا الخبر.

قال ابن إسحاق: وأتِىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيق — وكان عنده كنز بنى النَّضير — فسأله فجحَد أن يكون يعلم مكانه؛ فأتِىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم برجل من يهود؛ فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنى قد رأيت كِنانة يُطِيفُ بهذه الخَرِبَة كلّ غداة. فقال رسول الله لكنانة: أرأيتَ إن وَجَدْناه عندك، أأقتلك؟ قال: نعم؛ فأمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالخربة فحُفِرَتْ؛ فأخرج منها بعض كنزهم؛ ثم سأله ما بقى، فأبى أنْ يؤدِيَه، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الزُّبيرَ بن العوام، فقال: عذِّبه حتى تستأصل ما عنده؛ فكان الزبير يقدح بزنده فى صدرِه حتى أشرف على نفسه؛ ثم دفعه رسولُ الله إلى محمد بن مسلمة، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة. وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَ خيبر فى حصْنيْهم، الوطيح والسُّلالم؛ حتى إذا أيقنوا بالهلَكة[3] سألوه

(١) أغربوا: أبعدوا.

(٢) س: «اليهود»، وفى ابن هشام: «بتلك».

(٣) س: «الهلاك».

أن يسيّرهم ويحقن لهم دماءهم ؛ ففعل . وكان رسول الله قد حاز الأموال كلها : الشّقّ ونطاة والكتيبة ؛ وجميع حصونهم إلاّ ما كان من ذَيْنِكَ الحصنَين . ١٥٨٣/١
فلما سمع بهم أهل فَدَك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يسيّرهم ويحقن دماءهم لهم ، ويخلّوا له الأموال ، ففعل ، وكان فيمن مشى بينهم وبين رسول الله فى ذلك مُحَيِّصَة بن مسعود ، أخو بنى حارثة ؛ فلما نزل أهلُ خيبر على ذلك ؛ سألوا رسول الله أن يعاملَهم بالأموال على النِّصْف ، وقالوا : نحن أعلمُ بها منكم ؛ وأعمرُ لها ؛ فصالحهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على النِّصف ؛ على أنا إذا شئنا أن نخرجَكم أخرجناكم ؛ وصالحه أهل فَدَك على مثل ذلك ، فكانت خيبر فيئًا للمسلمين ، وكانت فَدَك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنهم لم يجْلِبُوا[1] عليها بخَيْلٍ ولا ركاب . فلما اطمأنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سَلاّم بن مِشْكم شاةً مصليَّة[2] ؛ وقد سألت : أىّ عُضو من الشاة أحبُّ إلى رسول الله ؟ فقيل لها : الذراع ؛ فأكثرتْ فيها السمّ ، فسمَّتْ سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتْها بين يدى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم تناول الذِّراع ؛ فأخذها فلاكَ منها مُضغة فلم يُسِغْها ؛ ومعه بِشْر بن البَرَاء ابن معرور ؛ وقد أخذ منها كما أخذ رسول الله ، فأما بِشْر فأساغها ؛ وأما رسول الله فلفَظها ، ثم قال : إن هذا العظم ليخبِرُنى أنه مسمُومٌ ؛ ثم دعا بها فاعترفت ، فقال : ما حملكِ على ذلك ؟ قالت : بلغت من قومى ما لم يَخْفَ عليك ، فقلتُ : إن كان نبيًّا فسيُخْبَر ؛ وإن كان ملِكًا استرحتُ ١٥٨٤/١
منه ؛ فتجاوز عنها النبىّ صلى الله عليه وسلم . ومات بشر بن البَرَاء من إكلَتِه التى أكل[3] .

حدّثنا ابنُ حميد ؛ قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ؛ عن مَرْوان بن عثمان بن أبى سعيد بن المعلّى ، قال : وقد كان رسول الله صلى الله

(١) و : « يوجفوا » .
(٢) مصلية : مشوية .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٠ ، ٢٤١

عليه وسلم قال فى مرضه الذى تُوفِّىَ فيه ــ ودخلتْ عليه أمّ بشر بن البرَاء تعوده : يا أمّ بِشْر ؛ إنّ هذا الأوانَ وجدت انقطاع أبْهَرِى من الأكْلة التى أكلتُ مع ابنك بخيبر .

قال : وكان المسلمون يروْن أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوّة .

قال ابن إسحاق : فلمّا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف إلى وادى القُرى فحاصر أهله ليالىَ ، ثمّ انصرف راجعًا إلى المدينة .

* * *

ذكر غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وادى القرى

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن ثور ابن زيد ، عن سالم مولى عبد الله بن مطيع ، عن أبى هريرة ، قال : لمّا انصرفنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من خيبر إلى وادى القرى ، نزلْنا أصُلاً مع مغارِب الشمس ، ومع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم غلامٌ له ؛ أهداه إليه رفاعة بن زيد الجُذامىّ ، ثم الضُّبَيْبىّ[1] ؛ فوالله إنا لنضع رَحْلَ رسول الله صلّى ١٥٨٥/١
الله عليه وسلّم إذ أتاه سهمٌ غرْب[2] ؛ فأصابه فقتله ، فقلنا : هنيئًا له الجنّة ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : كلا والذى نفس محمد بيده ؛ إنّ شَمْلَتَه الآن لتُحْرَقُ عليه فى النار . قال : وكان غَلَّها من فىْء المسلمين يوم خيبر .

قال : فسمعها رجلٌ من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فأتاه ، فقال : يا رسولَ الله ، أصبتُ شِرَاكَيْن لنعليْن لى ، قال : فقال : يُقَدُّ لك مثلهما من النار[3] .

وفى هذه السّفرة نام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابُه عن صلاة الصبح حتّى طلعت الشمس ؛ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ،

(١) الضبيبى ، من الضبيب بن جذام ، له صحبة . وفى ابن هشام : « الضبينى » .

(٢) سهم غرب : لا يدرى رامية .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤١ .

عن الزهريّ، عن سعيد بن المسيّب، قال : لمّا انصرف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من خيبر؛ وكان ببعض الطريق ، قال مِنْ آخر الليل : مَنْ رجلٌ يحفظ علينا الفجر ، لعلّنا ننام ؟ فقال بلال : أنا يا رسول الله أحفظ لك ؛ فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل الناس فناموا؛ وقام بلال يصلى، فصلّى ما شاء الله أن يُصلّى ثم استند إلى بعيره ؛ واستقبل الفجر يرمقُه ؛ فغلبته عينه، فنام فلم يُوقِظْهم إلا مسُّ الشمس ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوّلَ أصحابه هبّ من نومه ، فقال : ماذا صنعت بنا يا بلال ! فقال : يا رسولَ الله، أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ، قال: صدقت. ثم اقتاد رسول الله غيرَ كثير ، ثم أناخ فتوضّأ وتوضّأ الناس، ثم أمر بلالا فأقام الصلاة، فصلّى بالناس ، فلمّا سلّم أقبل على الناس، فقال : إذا نسيتمُ الصلاة فصلّوها إذا ذكرتموها ، فإن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِى ﴾[1].

قال ابن إسحاق : وكان فتْح خيبر فى صفر . ١٥٨٦/١

قال : وشهد مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نساء من نساء المسلمين ، فرضَخَ[2] لهنّ رسول الله من الفَيْء ولم يضربْ لهنّ بسهم .

* * *

[أمر الحجاج بن علاط السُّلَمِى]

قال : ولما فتِحت خيبر قال الحجّاج بن عِلاَط السُّلَمىّ ثم البَهْزىّ لرسول الله صلّى الله عليه وسلم : يا رسول الله ؛ إنّ لى مالاً بمكة عند صاحبتى أمّ شيبة بنت أبى طلحة — وكانت عنده ، له منها مُعَرِّض بن الحجاج — ومال متفرّق فى تجار أهل مكة ، فأذنْ لى يا رسولَ الله . فأذِن له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ثم قال : إنه لا بدّ لى من أن أقول، قال : قل ، قال الحجاج : فخرجت حتى إذا قدمت مكة ، فوجدت بثنيّة البيضاء رجالاً من قريش يتسمّعون الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله، وقد بلغهم أنه قد سار

(١) سورة طه ١٤ ، والخبر فى ابن هشام ٢ : ٢٤١ ، ٢٤٢

(٢) رضخ : أعطى .

إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ؛ ريفًا ومنعة ورجالا ، فهم يتحسّسون الأخبار ؛ فلما رأوْنى قالوا : الحجاج بن علاط — ولم يكونوا علموا بإسلامى — عنده والله الخبَر ! أخبِرْنا بأمرِ محمد ، فإنه قد بلَغنا أن القاطع قد سار إلى خَيْبر ؛ وهى بلدة يهود وريف الحجاز . قال : قلتُ : قد بلغنى ذلك ، وعندى من الخبر ما يسرّكم . قال : فالتاطوا[1] بجَنْبَىْ ناقتى يقولون : إيه ياحجّاج! قال: قلت : هُزِمُوا هزيمةً لم تسمعوا بمثلها قطّ ؛ وقتل أصحابه قتلاً
١٥٨٧/١ لم تسمعوا بمثله قطّ ، وأسِرَ محمدٌ أسراً ، وقالوا : لن نقتلَه حتى نبعثَ به إلى مكّة فيقتلوه بين أظهرهم بمَنْ كان أصاب من رجالهم . قال : فقاموا فصاحوا بمكّة وقالوا : قد جاءكم الخبَر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يُقْدَم به عليكم فيُقتَل بين أظهركم . قال : قلت : أعينونى على جمع مالى بمكّة على غرَمائى ؛ فإنّى أريد أن أقدَم خيبر ، فأصيب من فَلّ[2] محمد وأصحابه قبل أن يسبِقنى التجار إلى ما هنالك .

قال : فقاموا فجمعوا مالى كأحَثّ جَمْع سمعت به . فجئت صاحبى فقلت : مالى — وقد كان لى عندها مال موضوع — لعلى ألحق بخيبر ؛ فأصيب من فُرَص البيع قبل أن يسبِقَنى إليه التجار . فلما سمع العباس بن عبدالمطلب الخبرَ وجاءه عنّى ، أقبل حتى وقف إلى جنبى ؛ وأنا فى خيمةٍ من خيام التجّار ، فقال : يا حجّاج ، ما هذا الذى جئت به؟ قال: قلت: وهلْ عندك حِفْظٌ لما وضعت عندك ؟ قال: نعم ، قلت: فاستأخِرْ عنّى حتى ألقاك على خَلاء ، فإنى فى جَمْع مالى كما ترى ؛ فانصرفَ عنى حتى إذا فرغتُ من جَمْع كلّ شىءٍ كان لى بمكة ، وأجمعت الخروجَ ، لقيت العبّاس ، فقلت: احفظ علىّ حديثى يا أبا
١٥٨٨/١ الفضل ؛ فإنّ أخشى الطّلب ثلاثًا ، ثم قل ما شئت . قال: أفعل ، قال: قلتُ فإنّى والله لقد تركتُ ابنَ أخيك عروسًا على ابنة ملِكهم — يعنى صفيّة بنت حيّ ابن أخطب — ولقد افتتح خيبر ، وانتثل ما فيها ؛ وصارت له ولأصحابه . قال : ما تقول يا حجّاج ! قال : قلت : إى والله ؛ فاكتم علىّ ؛ ولقد أسلمت

(١) التاطوا : التصقوا ، وفى ابن هشام : « التبطوا » ، أى مشوا إلى جنبها ملازمين لها .

(٢) الفل : القوم المنهزمون . قال ابن هشام : « ويقال : من فىء محمد » .

وما جئت إلاّ لآخذ مالى فَرَقًا من أن أغلَب عليه، فإذا مضت ثلاثٌ فأظهِرْ أمرَك؛ فهو والله على ما تحبّ. قال: حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حُلّةً له، وتخلّقَ وأخذ عصاه؛ ثم خرج حتى أتى الكعبةَ، فطاف بها؛ فلما رأوْه قالوا: يا أبا الفضل؛ هذا والله التجلّد لحرّ المصيبة! قال: كلا والذى حلفتم به! لقد افتتحَ محمدٌ خيبر، وتُرِك عروسا على ابنة ملكهم، وأحرز أموالها وما فيها؛ فأصبحَتْ له ولأصحابه. قالوا: مَنْ جاءك بهذا الخبر؟ قال: الذى جاءكم بما جاءكم به؛ لقد دخل عليكم مسلمًا، وأخذ مالَه وانطلق ليلحقَ برسول الله وأصحابه فيكون معه، قالوا: يالَ عبَاد الله! أفلت عدُّو الله! أما والله لو علمْنَا لكان لنا وله شأنٌ، ولم ينشَبُوا[1] أن جاءهم الخبر بذلك[2]

* * *

[ذكر مقاسم خيبر وأموالها]

حدثنا ابن حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، قال: حدّثنى عبد الله بن أبى بكر، قال: كانت المقاسم على أموال خيبر على الشِّقّ ونَطَاة والكَتِيبَة؛ فكانت الشِّقُّ ونَطاة فى سُهمان المسلمين، وكانت الكتيبةُ خمس الله عزّ وجلّ وخُمْس النبىّ صلى الله عليه وسلم؛ وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وطُعْم أزواج النبىّ، ١٥٨٩/١
وطعم رجال مَشَوْا بين رسول الله وبين أهل فَدَك بالصُّلْح؛ منهم مُحَيِّصةُ ابن مسعود، أعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منها ثلاثين وَسْق شعير، وثلاثين وَسْق تمر. وقُسِمَتْ خيبر على أهل الحديبية؛ مَنْ شهد منهم خيبر ومن غاب عنها، ولم يَغِبْ عنها إلاّ جابر بن عبد الله بن حَرام الأنصارىّ، فقسم له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كسهم مَنْ حضرها.

(١) لم ينشبوا: لم يلبثوا غير قليل.

(٢) سيرة ابن هشام ٢: ٢٤٤، ٢٤٥.

قال : ولما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من خَيْبر قذف الله الرُّعب فى قلوب أهل فَدَك حين بلغهم ما أوقع الله بأهل خيبر ؛ فبعثوا إلى رسول الله يُصَالحونه على النِّصف من فَدَك، فقدمتْ عليه رُسُلهم بخيْبر أو بالطائف[١]، وإمّا بعد ما قدِم المدينة . فقبل ذلك منهم ؛ فكانت فَدَك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصّة ، لأنه لم يُوجِفْ[٢] عليها بخيل ولا ركاب[٣] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يبعثُ إلى أهل خَيْبر عبدَ الله بن رواحة خارصًا[٤] بين المسلمين ويهود ، فيَخْرُص عليهم ؛ فإذا قالوا : تعدّيت علينا ، قال : إن شئتم فلكم ؛ وإن شئتم فلنا ؛ فتقول يهود : بهذا قامت السموات والأرض .

وإنما خرَص عليهم عبد الله بن رواحة ؛ ثم أصيب بمُؤتة ، فكان جَبّار بن صَخْر بن خنساء ، أخُو بنى سلِمة ؛ هو الذى يخرُص عليهم بعد عبد الله بن رواحة ، فأقامت يهود على ذلك لا يرى بهم المسلمون بأسًا فى معاملتهم ؛ حتى عَدَوْا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله ١٥٩٠/١
ابن سهل ، أخى بنى حارثة ؛ فقتلوه ، فاتّهمهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون عليه[٥] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : سألتُ ابنَ شهاب الزُّهرىّ : كيف كان إعطاء رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يهودَ خيبر نخيلهم حين أعطاهم النّخل على خَرْجها ؟ أبَتّ ذلك لهم حتى قُبِض ، أم أعطاهم إياها لضرورة من غير ذلك ؟

فأخبرنى ابنُ شهاب أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عَنْوةً بعد القتال ؛ وكانت خيبر مما أفاء الله على رسوله ؛ خمّسها رَسول الله وقسّمها

(١) كذا فى ابن هشام ، وفى ط : « بالطريق » .
(٢) الإيجاف : سرعة السير ، والركاب هنا : الإبل .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٦ ، ٢٤٧
(٤) الخارص : الذى يحزر ما على النخل والكرم من ثمر ؛ وهو من الخرص ؛ أى الظن .
(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٨

بين المسلمين ، ونزل مَنْ نزل[١] من أهلها على الإجْلاءِ بعد القتال ؛ فدعاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن شئتم دفعنا إليكم هذه الأموال على أن تعملوها ؛ وتكون ثمارها بيننا وبينكم ؛ وأقِرُّكم ماأقرَّكم الله. فقبِلوا[٢] ، فكانوا على ذلك يعملونها . وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبدَ الله بن رواحة فيَقْسِمُ ثمرَها ، ويعدل عليهم فى الخرْص ؛ فلما تَوفّى الله عزّ وجلّ نبيَّه صلى الله عليه وسلم أقرَّها أبو بكر بعد النبيّ فى أيديهم على المعاملة التى كان عاملهم عليها رسول الله حَتى توفِّىَ ، ثم أقرَّها عمر صَدْرًا من إمارته ؛ ثمّ بلغ عمرَ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى وجَعِه الذى قبض فيه : لا يجتمعنّ بجزيرة العرب دِينان ، ففَحَصَ عمر عن ذلك حتى بلّغه الثَّبَتُ ، فأرسَلَ إلى يهود أنّ الله قد أذِنَ فى إجلائكم ؛ فقد بلغنى أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يجتمعنّ بجزيرة العرب دينان ، فمن كان عنده عهدٌ من رسول الله فلْيأتِنى به أنفذه له ؛ ومَنْ لم يكن عنده عهدٌ من رسول الله من اليهود فليتجهَّزْ للجلاء ؛ فأجلى عمر مَنْ لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم[٣] . ١٥٩١/١

قال أبو جعفر : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .

* * *

قال الواقدىّ : فى هذه السنة ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ابنته على أبى العاص بن الربيع ؛ وذلك فى المحرّم .

قال : وفيها قَدِمَ حاطبُ بن أبى بَلْتَعة من عند المُقَوْقس بمارية وأختها سيرين وبغلته دُلْدُل وحِمَاره يَعْفُور وكُسًا ؛ وبعث[٤] معهما بخَصِىّ فكان معهما ، وكان حاطب قد دعاهما إلى الإسلام قبل أن يقدم بهما[٥] ؛ فأسلمت هى وأختها ، فأنزلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمّ سلَيْم بنت مِلْحَان — وكانت ماريَة وضيئة — قال : فبعث النبىّ صلى الله عليه

(١) س : « وترك من ترك » .
(٢) س : « فقبلوه » .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٩
(٤) و : « وأرسل » .
(٥) س : « للناس » .

وسلم بأختها سيرين إلى حسان بن ثابت ، فولدت له عبد الرحمن بن حسان .

قال : وفى هذه السنة اتّخذ النبىّ صلى الله عليه وسلم مِنْبره الذى كان يخطبُ الناس عليه ، واتخذ دَرَجتيْن ومقعده .

قال : ويقال إنه عمل فى سنة ثمان . قال : وهو الثبَتُ عندنا .

قال : وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرَ بن الخطاب فى ثلاثين رجلا إلى عَجُز هوازن بتُرَبَةَ ، فخرج بدليل له من بنى هلال ؛ وكانوا
١٥٩٢/١ يسيرون الليل ، ويكمُنون النهار ، فأتى الخبرُ هوازنَ فهربوا ؛ فلم يلق كيداً ، ورجع .

قال : وفيها سرّية أبى بكر بن أبى قُحافة فى شعبان إلى نجد ؛ قال سلَمة ابن الأكوع : غزونا مع أبى بكر فى تلك السنة .

قال أبو جعفر : قد مضى خبرها قبل .

قال الواقدىّ : وفيها سرّية بَشير بن سعد إلى بنى مُرّة بفدَك فى شعبان فى ثلاثين رجلا ، فأصيب أصحابه وارْتُثّ فى القتلى ، ثم رجع إلى المدينة .

* * *

قال أبو جعفر : وفيها سريّة غالب بن عبد الله فى شهر رمضان إلى المَيْفَعة ؛ فحدّثنا ابنُ حُميد قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : بعثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم غالبَ ابن عبد الله الكلبىّ إلى أرض بنى مرّة ، فأصاب بها مِرْداس بن نَهيك حليفًا لهم من الحُرَقة من جُهَيْنة ؛ قتله أسامة بن زيد ورجلٌ من الأنصار .

قال أسامة : لمّا غشيناه ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله ؛ فلم ننزع عنه حتى قتلناه ؛ فلما قدمنا على رسول الله أخبرناه الخبر ؛ فقال : يا أسامة ، مَنْ لك بلا إله إلا الله !

* * *

١٥٩٣/١ قال الواقدىّ : وفيها سريّة غالب بن عبد الله إلى بنى عبد بن ثعلبة ؛ ذكر أن عبد الله بن جعفر حدّثه عن ابن أبى عون ، عن يعقوب بن عتبة ، قال :

قال يسار مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسولَ الله ؛ إنى أعلم غِرَّةً من بنى عبد بن ثعلبة ، فأرسل معه غالب بن عبد الله فى مائة وثلاثين رجلا ؛ حتى أغاروا على بنى عبد ، فاستاقوا النَّعَمَ والشاء ، وحَدَرُوها إلى المدينة .

* * *

قال : وفيها سريّة بشير بن سعد إلى يُمْن وجِنَاب ، فى شوّال من سنة سبع ، ذكر أن يحيى بن عبد العزيز بن سعيد حدّثه عن سعد بن عبادة ، عن بشير بن محمد بن عبد الله بن زيد ، قال : الذى أهاج هذه السريّة أن حُسَيْل بن نويرة الأشجعىّ — وكان دليل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر — قدِم على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما وراءك ؟ قال : تركت جمعًا من غَطَفان بالجِنَاب قد بعث إليهم عُيينة بن حِصْن ليسيروا إليكم ، فدعا رسول الله بشيرَ بن سعد ، وخرج معه الدليل حُسَيل بن نويرة ، فأصابوا نَعَمًا وشاءً ؛ ولقيَهم عبدٌ لعُيينة بن حِصْن فقتلوه ، ثم لقوا جمع عُيَيْنة ؛ فانهزم ، فلقيَه الحارث بن عوف منهزمًا ، فقال : قد آن لك يا عيينة أن تقصر عما ترى .

* * *

[عمرة القضاء]

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لمّا رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من خَيْبر ، أقام بها شهر ربيع الأوّل وشهر ربيع الآخر وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبانَ ١٠٩٤/١
وشهر رمضان وشوّالا ؛ يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه ، ثم خرج فى ذى القَعْدة فى الشهر الذى صدّه فيه المشركون معتمراً عُمْرة القضاء مكان عُمرته التى صدُّوه عنها ؛ وخرج معه المسلمون ممّن كان معه فى عُمْرته تلك ، وهى سنة سبع ؛ فلما سمِع به أهلُ مكة خرجوا عنه ؛ وتحدّثَتْ قريش بينها أنّ محمداً وأصحابه فى عسْر وجُهْد وحاجة[1] .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٤ .

الحسن بن عُمارة ، عن الحكَم بن عُتَيْبة ، عن مِقسَم ، عن ابن عباس ، قال : اصطفُّوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دار النَّدْوة لينظروا إليه وإلى أصحابه ؛ فلما دخل رسولُ الله المسجد ، اضطبع [١] بردائه ، وأخرج عَضُدَه اليمنىّ ، ثم قال : رَحِمَ الله امرأً أراهُم اليوم من نفسه قُوَّةً ! ثم استلم الركن. وخرج يُهْرولُ ويهرول أصحابه معه حتى إذا واراهُ البيت منهم ؛ واستلم الرُّكْن اليمانىّ مشى حتى يستلم الأسود ، ثم هَرْوَل كذلك ثلاثة أطواف ؛ ومشى سائرها .

وكان ابن عباس يقول : كان النّاس يظنُّون أنها ليستْ عليهم ؛ وذلك أنّ رسولَ الله إنما صنعها لهذا الحىّ من قريش للّذى بلغه عنهم ؛ حتى حج حجّة الوداع ، فرَمَلَها ، فمضت السنّة بها [٢] .

١٥٩٥/١ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بَكْر ؛ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكّة فى تلك العُمرة ، دخلها وعبد الله بن رواحة آخذٌ بخِطام ناقته ؛ وهو يقول :

خَلُّوا بنى الكُفَّارِ عن سَبِيلِهْ ... إنِّى شَهِيدٌ أنَّه رَسُولُهْ
خَلوا فكلُّ الخيْرِ فى رسولِهْ ... يا رَبِّ إنِّى مُؤْمِنٌ بقيلِهْ
أَعْرِفُ حَقَّ اللهِ فى قَبُولِهْ ... نَحْنُ قَتَلْناكم على تأويلِهْ [٣]
كما قَتَلْناكم على تَنْزِيلِهْ ... ضَرْباً يُزِيلُ الهَامَ عن مَقِيلِهْ
* ويُذْهِلُ الخَلِيلَ عن خَلِيلِهْ [٤] *

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ،

(١) فى اللسان : « اضطبع الشىء : أدخله تحت ضَبعيه ؛ والاضطباع الذى يؤمر به الطائف بالبيت أن تدخل الرداء من تحت الإبط الأيمن وتغطى به الأيسر كالرجل يريد أن يعالج أمراً فيتّهيأ له ، يقال : قد اضطبعت بثوبه ؛ وهو مأخوذ من الضبع ؛ وهو العضد ؛ ومنه الحديث : « أنه طاف مضطبعاً وعليه برد أخضر » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٤ . (٣) قال السهيلى : ويروى : « اليوم نضربكم على تأويله » ، بسكون الباء ؛ وهو جائز فى الضرورة .

(٤) قال السهيلى : « وهذان البيتان الأخيران هما لعمار بن ياسر ؛ كما قال ابن هشام ؛ قالهما يوم صفين وهو اليوم الذى قتل فيه عمار ؛ قتله أبو الغادية الفزارى وابن جزء ؛ اشتركا فيه » .

عن أبان بن صالح وعبد الله بن أبى نَجِيح ، عن عطاء بن رَبَاح ومجاهد ، عن ابن عباس ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تزوّج ميمونة بنت الحارث فى سفره ذلك ؛ وهو حرامٌ ؛ وكان الذى زوّجه إياها العباس بن عبد المطلب .

قال ابن إسحاق : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكّة ثلاثاً ، فأتاه حُوَيْطِبُ بن عبد العزّى بن أبى قيس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل ، فى نفر من قريش فى اليوم الثالث ، وكانت قريش وكّلَتْه بإخراج رسول الله ١٥٩٦/١
صلّى الله عليه وسلّم من مكة ، فقالوا له : إنه قد انقضى أجلك فاخرج عنّا ، فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ما عليكم لو تركتمونى فأعْرَسْتُ بين أظهركم فصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه ! قالوا : لا حاجة لنا فى طعامك فاخرج عنّا . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلّف أبا رافع مولاه على ميمونة ؛ حتى أتاه بها بسَرِف ، فبنَى عليها رسول الله هنالك ، وأمر رسول الله أن يُبْدِلوا الْهَدْىَ وأبدَل معهم ، فعزَّتْ عليهم الإبل فرخّص لهم فى البقر ؛ ثم انصرف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة فى ذى الحجة ، فأقام بها بقيّة ذى الحجة — وولى تلك الحجة المشركون — والمحرم وصفرا وشهرَىْ ربيع ؛ وبعث فى جمادى الأولى بعثَهُ إلى الشأم الذين أصيبوا بمؤتة .

وقال الواقدىّ : حدّثنى ابن أبى ذئب ، عن الزهرىّ ، قال : أمرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يعتمروا فى قابل قضاء لعُمْرَة الحديبية ، وأن يهدوا .

قال : وحدّثنى عبدُ الله بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، قال : لم تكُنْ هذه العمرة قضاءً ، ولكن كان شرط على المسلمين أن يعتمروا قابلاً فى الشهر الذى صَدَّهُم المشركون فيه .

قال الواقدىّ : قول ابن أبى ذئب أحبُّ إلينا ، لأنهم أحصِرُوا ولم يَصِلوا إلى البيت .

وقال الواقدىّ : وحدّثنى عُبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب ، عن محمد ابن إبراهيم ، قال : ساقَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى عمرة القضيّة ستين بَدَنة .

١٥٩٧/١

قال : وحدّثنى مُعاذ بن محمد الأنصارىّ ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : حمل السلاح والبيض والرّماح، وقاد مائة فرس ، واستعمل على السلاح بشيرَ بن سعد ، وعلى الخيل محمد بن مَسْلَمة ، فبلغ ذلك قريشًا فراعهم ؛ فأرسلوا مِكْرز بن حفص بن الأخيَف ، فلقيه بمَرّ الظَّهْران ، فقال له : ما عُرِفتُ صغيراً ولا كبيراً إلاّ بالوفاء ؛ وما أريد إدخال السلاح عليهم ؛ ولكن يكون قريبًا إلىّ - فرجع إلى قريش فأخبرهم .

* * *

قال الواقدىّ: وفيها كانت غزوة ابن أبى العَوْجاء[1] السُّلَمِىّ إلى بنى سُلَيم فى ذى القعْدة ؛ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم بعد ما رجع من مكة فى خمسين رجلاً ، فخرج إليهم .

قال أبو جعفر : فلقيه — فيما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر — بنو سليم ، فأصيب بها هو وأصحابه جميعًا .

قال أبو جعفر : أما الواقدىّ فإنه زعم أنه نجا ورجع إلى المدينة ، وأصيب أصحابه .

(١) و : « أبى السود » .

ثم دخلت سنة ثمان من الهجرة

ففيها توفّيتْ — فيما زعم الواقدىّ — زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن يحيى بن عبد الله بن أبى قتادة ، عن عبد الله بن أبى بكر .

* * *

[خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثى بنى الملوّح]

قال : وفيها أغزى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غالبَ بن عبد الله الليثى فى صفر إلى الكَدِيد إلى بنى الملوّح .

١٥٩٨/١ قال أبو جعفر : وكان من خبر هذه السرّية وغالب بن عبد الله ؛ ماحدّثنى إبراهيم بن سَعِيد الجوهرىّ وسعيد بن يحيى بن سعيد — قال إبراهيم : حدّثنى يحيى بن سعيد ، وقال سعيد بن يحيى : حدّثنى أبى — وحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ؛ جَمِيعًا عن ابن إسحاق ، قال : حدّثنى يعقوب ابن عُتْبة بن المغيرة ، عن مُسْلِم بن عبدالله بن خُبَيْب الجُهنىّ ، عن جندب ابن مكيث الجهنىّ ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبدالله الكلبىّ ؛ كلب ليث ، إلى بنى الملوّح بالكَدِيد ، وأمره أن يُغِير عليهم ، فخرج — وكنت فى سريّته — فمضينا ؛ حتى إذا كنا بقُدَيد لقينا بها الحارث ابن مالك — وهو ابن البَرْصاء الليثىّ — فأخذناه فقال : إنىّ إنما جئت لأُسلِم ؛ فقال غالبُ بن عبد الله : إن كنت إنّما جئت مسلمًا ، فلنْ يضرّك رِبَاطُ يوم وليلة ؛ وإن كنتَ على غير ذلك استوثقنا منك . قال : فأوثقه رباطًا ثم خلّف عليه رُوَيْجلا أسود كان معنا ، فقال : امكث معه حتى نمرّ عليك ، فإنْ نازعَك فاحتزّ رأسَه . قال : ثمّ مضينا حتى أتينا بطن الكَدِيد ، فنزلنا عُشَيْشِيَةً بعد العصر ، فبعثنى أصحابى رَبِيئَةً ، فعَمَدْتُ إلى تلّ يطلعنى على الحاضر[1] ، فانبطحت عليه — وذلك قُبَيْلَ المغرب — فخرج منهم رجل ، فنظر فرآنى منبطحًا على التلّ ، فقال لامرأته : والله إنّى لأرى ١٥٩٩/١ على هذا التلّ سواداً ما كنت رأيتُه أوّل النهار ؛ فانظرى لا تكون الكلاب

(١) الحاضر : الحىّ إذا حضر .

جرّت بعض أوعيتك . فنظرتْ فقالت : والله ما أفقد شيئًا . قال : فناولِيني قوسي وسهمين من نَبْلي ، فناولته فرماني بسهْم فوضعه في جنبي . قال : فنزعتهُ فوضعته ، ولم أتحرّك . ثمّ رماني بالآخر ، فوضعه في رأس منكبي ، فنزعته فوضعته ولم أتحرّك . فقال : أما والله لقد خالطه سهمايَ ، ولو كان ربيئة[1] لتحرّك ؛ فإذا أصبحت فاتّبعي سهميّ فخذِيهما لا تمضغهما على الكلاب ، قال : فأمهلناهم حتى راحت رائحتُهم ، حتى إذا احتلبوا وعطنوا سكنوا ، وذهبت عَتمةٌ[2] من الليل شننّا عليهم الغارة ، فقتلنا مَنْ قتلنا واستقْنا النّعم ؛ فوجّهنا قافلين ؛ وخرج صَرِيخُ القوم إلى القوم مُغَوِّثاً[3] . قال : وخرجنا سِرَاعًا حتى نمرّ بالحارث بن مالك ؛ ابن البرصاء ، وصاحبه ؛ فانطلقنا به معنا ، وأتانا صَرِيخ الناس ، فجاءنا ما لا قبل لنا به ، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلاّ بطنُ الوادي مِنْ قُدَيْد ، بعثَ الله عزّ وجلّ من حيث شاء سحابًا ما رأينا قبل ذلك مطراً ولا خالاً ، فجاء بما لا يقدر أحدٌ أن يقدم عليه ؛ فلقد رأيناهم ينظرون إلينا ، ما يقدرُ أحدٌ منهم أن يقدم ولا يتقدّم ؛ ونحن نحدوها سراعًا ؛ حتى أسندناها في المشلّل ؛ ثم حدرناها عنها ، فأعجزنا القوم بما في
١٦٠٠/١ أيدينا ، فما أنسى قولَ راجزٍ من المسلمين ؛ وهو يحدوها في أعقابها ، ويقول :

أَبَى أبو القاسم أنْ تَعَزَّبى[4] في خَضِلٍ نَباتُه مُغْلَوْلِبِ[5]
* صُفْرٍ أعاليه كلَوْنِ المُذْهَبِ *

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، عن رجل من أسلم ، عن شيخ منهم ، أن شِعارَ أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة كان : أمِتْ أمِتْ[6] .

قال الواقديّ : كانت سريّة غالب بن عبد الله بضعةَ عشرَ رجلاً .

* * *

(١) الربيئة : الطليعة . (٢) العتمة : ثلث الليل الأول .
(٣) غوث الرجل ؛ إذا قال : واغوثاه ! (٤) تعزبت الإبل : إذا غابت في المرعى .
(٥) الخضل : النبات الأخضر المقبل . والمغلولب : الكثير الذي يغلب على الماشية حين ترعاه .
(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٤ .

قال : وفيها بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العَلاء بن الحضرمىّ إلى المنذر بن ساوَى العبدىّ ؛ وكتب إليه كتابًا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد النبىّ رسولِ الله إلى المنذر بن ساوَى. سلامٌ عليك؛ فإنّى أحمَدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ؛ فإنّ كتابك جاءنى ورسلُك . وإنه مَنْ صلّى صلاتَنا ، وأكل ذبيحتَنا ، واستقبلَ قِبلتَنا فإنه مسلم ؛ له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين ، ومَنْ أبَى فعليه الجزية. قال: فصالحهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أنّ على المجوس الجِزْية ، لا تؤكل ذبائحهم ، ولا تنكح نساؤهم.

قال: وفيها بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرَو بن العاص إلى جَيْفَر وعبّاد ابنىْ جُلَنْدَى بعُمَان ، فصدّقا النبىّ ، وأقرّا بما جاء به ، وصدّق ١٦٠١/١ أموالهما ، وأخذ الجزية من المجوس .

قال : وفيها سريّة شجاع بن وهب إلى بنى عامر ، فى شهر ربيع الأول فى أربعة وعشرين رجلا ، فشنّ الغارة عليهم ، فأصابوا نَعَما وشاءً ، وكانت سهامهم خمسة عشر بعيراً ؛ لكلّ رجل .

قال : وفيها كانت سريّة عمرو بن كعب الغِفارىّ إلى ذات أطلاح ، خرج فى خمسة عشر رجلا ؛ حتى انتهى إلى ذات أطلاح ، فوجد جمعًا كثيراً ، فدعوْهم إلى الإسلام ، فأبوْا أن يجيبوا ، فقتلوا أصحابَ عمرو جميعًا ، وتحامل حتى بلغ المدينة .

قال الواقدىّ : وذات أطلاح من ناحية الشأم ، وكانوا من قُضاعة ، ورأسهم رَجُلٌ يقال له سَدُوس .

* * *

قال : وفيها قدم عمرو بن العاص مسلِمًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أسلم عند النجاشىّ ، وقدم معه عثمان بن طلحة العبدرىّ ، وخالد ابن الوليد بن المغيرة ، قدموا المدينة فى أوّل صفر .

قال أبو جعفر : وكان سبب إسلام عمرو بن العاص ، ما حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن راشد مولى ابن أبى أوْس ، عن حبيب بن أبى أوْس ، قال : حدّثنى

١٦٠٢/١ عمرو بن العاص من فيه إلى أذنى ، قال : لمّا انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق ، جمعتُ رجالاً من قريش كانوا يروْن رأيي ، ويسمعون منّى ، فقلت لهم : تعلمون والله أنّى لأرى أمر محمد يَعلُو الأمور عُلوًّا مُنْكَراً . وإنّ قد رأيت رأيًا فما تروْن فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قلت : رأيتُ أن نلحقَ بالنجاشىّ ، فنكون عنده ، فإن ظهر محمدٌ على قومنا كنّا عند النجاشىّ ، فلأن[1] نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدى محمد ؛ وإن يظهر قومنا فنحن مَنْ قد عرفوا ؛ فلا يأتينا منهم إلا خيرٌ . فقالوا : إنّ هذا لرأىٌ . قلت : فاجمَعوا له ما نهُـــدِى إليه — وكان أحبَّ ما يُهْدَى إليه من أرضنا الأدَم — فجمعنا له أدَمًا كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه ؛ فوالله إنا لعنده ؛ إذ جاءه عمرو بن أميّة الضّمرىّ — وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه فى شأن جعفر بن أبى طالب وأصحابه — قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال : فقلتُ لأصحابى : هذا عَمْرو بن أميّة الضمْرىّ ، لو قد دخلت على النّجاشىّ وسألته إياه ؛ فأعطانيه فضربتُ عنقه ! فإذا فعلت ذلك رأتْ قريش أنّى قد أجزأتُ عنها حين قتلت رسول محمد .

فدخلت عليه ، فسجدتُ له كما كنت أصنع ، فقال : مرحبًا بصديقى ! أهديْتَ لى شيئًا من بلادك ؟ قلت : نعم ، أيها الملك ، قد أهديت لك أدَمًا كثيراً ، ثم قرّبته إليه ، فأعجبه واشتهاه ؛ ثم قلت له : أيها الملك ؛ إنّى ١٦٠٣/١ قد رأيتُ رجلاً خرج من عندك ؛ وهو رسول رجل عدوّ لنا ، فأعطِنيه لأقتله[2] ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا . قال : فغضب ، ثم مدّ يده[3] فضرب بها[4] أنفه ضربةً ظننت أنه قد كسره — يعنى النجاشىّ — فلو انشقّت الأرض لى لدخلتُ فيها فَرَقًا منه . ثم قلت : والله أيها الملك لو ظننتُ أنك تَكْرَه هذا ما سألتكه ، قال : أتسألنى أن أعطيَك رسول رجل يأتيه الناموسُ الأكبر[5] الذى كان يأتى موسى ، لتقتله ! فقلت : أيّها الملك ، أكذاك هو ؟ قال :

(١) ط « فإنا أن » .
(٢) س : « أقتله » .
(٣) و : « يديه » .
(٤) و : « بهما » .
(٥) و : « الأعظم » .

ويحك ياعمرو! أطعني واتّبعه ؛ فإنه والله لَعلى الحقّ ، وليظهرنّ عَلَى مَن خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده .

قال : قلت : فتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده ، فبايعتُه على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابي ؛ وقد حال رأيي عَمّا كان عليه ، وكتمت أصحابي إسلامي ، ثم خرجت عامداً لرسول الله لأسلم ؛ فلقيتُ خالد ابن الوليد — وذلك قبل الفتح — وهو مقبلٌ من مكة ، فقلت : إلى أين يا أبا سليمان ؟ قال : والله لقد استقام المَنسِم ؛ وإن الرجل لنَبيّ ، أذهب والله أسلِم ؛ فحتّى متى ! فقلت : والله ما جئتُ إلاّ لأسلم ، فقدمنا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فتقدّم خالد بن الوليد فأسلَم وبايع ، ثم دنوت فقلت : يا رسولَ الله ، إنّي أبايعك على أن تغفرَ لي ما تقدّم من ذنبي ، ولا أذكر ما تأخّر ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو ، بايع فإنّ الإسلام يَجُبُّ ما قبله ، وإنّ الهجرة تجبُّ ما قبلها . فبايعته ثم انصرفت . ١٦٠٤/١

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عمّن لا أتهم ؛ أنّ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، كان معهما ، أسلم حين أسلَمَا .

* * *

ذكر ما في الخبر عن الكائن كان من الأحداث المذكورة في سنة ثمان من سني الهجرة

فممّا كان فيها من ذلك توجيهُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم عمرو بن العاص في جُمادى الآخرة إلى السّلاسل من بلاد قُضاعة في ثلثمائة[1] ؛ وذلك أنّ أمّ العاص بن وائل — فيما ذُكر — كانت قُضاعيّة ، فذُكر أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يتألّفهم بذلك ، فوجّهه في أهلِ الشرف من المهاجرين والأنصار ، ثم استمدّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأمدّه بأبي عبيدة بن الجرّاح على المهاجرين والأنصار ، فيهم أبو بكر وعمر في مائتين ، فكان جميعهم[2] خمسمائة .

(١) س: « في ثلثمائة من قضاعة » . (٢) س: « جميعهم » .

[غزوة ذات السلاسل]

وحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى أرض بَلِىّ وعُذْرة ، يستنفر الناس إلى الشأم ؛ وذلك أنّ أمّ العاص بن وائل كانت امرأةً مِنْ بَلِىّ ، فبعثه رسولُ الله إليهم
١٦٠٥/١ يستألِفهم بذلك ؛ حتى إذا كان على ماء بأرض جُذام ، يقال له السلاسل — وبذلك سُمّيت تلك الغزوة ذات السلاسل — فلمّا كان عليه خاف ، فبعث إلى رسول الله يستمدّه ، فبعث إليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أبا عبيدة ابن الجرّاح فى المهاجرين الأولين ؛ فيهم أبو بكر وعمر رضوان الله عليهم ، وقال لأبى عبيدة حين وجّهه : لا تختلفا ؛ فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه ، قال له عمرو بن العاص : إنما جئتَ مدداً لى ، فقال له أبو عبيدة : يا عمرو ؛ إنّ رسول الله قد قال لى : لا تختلفا ؛ وأنت إن عصيتَنى أطعتُك ، قال : فأنا أميرٌ عليك ؛ وإنما أنت مددٌ لى ، قال : فدونَك ! فصلّى عمرو ابن العاص بالناس .

* * *

[غزوة الخبَط]

قال الواقدىّ : وفيها كانت غزوة الخبَط ؛ وكان الأميرَ فيها أبو عبيدة ابن الجراح ، بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى رجب منها ، فى ثلثمائة من المهاجرين والأنصار قِبَل جُهَينة ، فأصابهم فيها أزْلٌ شديد وجهدٌ ، حتى اقتسموا التّمر عدداً .

وحدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، قال : حدّثنا عَمّى عبد الله بن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحارث أن عمرو بن دينار حدّثه أنه سمع جابر ابن عبد الله يقول : خرجنا فى بعث ونحن ثلثمائة ، وعلينا أبو عبيدة بن الجراح ، فأصابنا جوعٌ ، فكنّا نأكل الخبَط ثلاثة أشهر ؛ فخرجت دابّةٌ من البحر

يقال لها العَنبر ، فمكثنا نصف شهر ، نأكل منها ، ونحر رجلٌ من الأنصار ٦٠٦/١
جزائر ، ثم نحر من الغد كذلك ؛ فنهاه أبو عبيدة ، فانتهى .

قال عمرو بن دينار — وسمعت ذكوان أبا صالح قال: إنه قيس بن سعد .

قال عمرو : وحدثني بكر بن سوادة الجُذاميّ ، عن أبي جمرة ، عن جابر بن عبد الله نحو ذلك ، إلاّ أنه قال : جهدوا ؛ وقد كان عليهم قيس ابن سعد ، ونحرلهم تسع ركائب ، وقال : بعثهم في بَعْثٍ من وراء البحر ؛ وإنّ البحرَ ألقى إليهم دابّة ؛ فمكثوا عليها ثلاثة أيام يأكلون منها ويقدّدون ويغرفون شحمها ؛ فلما قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا له ذلك من أمر قيس بن سعد ، فقال رسول الله : إن الجود من شيمة أهل ذلك البيت ، وقال في الحوت : لو نعلم أنّا نبلغه قبل أن يُرْوِح لأحببنا أن لو كان عندنا منه شيء ؛ ولم يذكر الخبَط ولا شيئًا سوى ذلك .

حدّثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا الضّحاك بن مخْلد ، عن ابن جريج ، قال: أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يخبر ، قال : زوّدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم جرابًا من تمر ، فكان يقبض لنا أبو عبيدة قبضة قبضة ، ثم تمرة تمرة ، فنمصّها ونشرب عليها الماء إلى الليل ؛ حتى نَفِد ما في الجراب ، فكُنّا نجني الخبَط ، فجعنا جوعًا شديداً .قال: فألقى لنا البحر حوتًا ميتًا ، فقال أبو عبيدة : جياع كلوا ، فأكلنا — وكان أبو عبيدة ينصب الضّلَع من أضلاعه فيمرّ الراكب على بعيره تحته ، ويجلس النفر الخمسة في موضع عينه — ١٦٠٧/١
فأكلنا وادّهنّا حتى صلَحت أجسامنا ، وحسنت شحماتنا ؛ فلما قدمنا المدينة قال جابر : فذكرنا ذلك للنبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : كُلوا رزقًا أخرجه الله عزّ وجلّ لكم ، معكم منه شيء ؟ — وكان معنا منه شيء — فأرسل إليه بعض القوم فأكل منه .

قال الواقديّ : وإنما سميت غزوة الخبَط [1] ، لأنهم أكلوا الخبَط حتى كأنّ أشداقهم أشداق الإبل العَضِهة .

(١) الخبط : ورق العضاه من الطلح ونحوه ، يخبط ويضرب بالعصا فيتناثر ثم يعلف الإبل ، يقال : عضه البعير كفرح إذا اشتكى من أكل العضاه ورعيها .

قال : وفيها كانت سَرِيّة وجّهها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعبان، أميرها أبو قتادة .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدثنى ابن إسحاق ، عن يحيى بن سعيد الأنصارىّ ، عن محمد بن إبراهيم ، عن عبد الله بن أبى حَدْرَد الأسلمىّ ، قال : تزوّجتُ امرأةً من قومى ، فأصدقتُها مائتى درهم ، فجئت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أستعينه على نكاحى ، فقال : وكم أصدقتَ ؟ قلت : مائتى درهم يا رسول الله ، قال : سبحان الله ! لو كنتم إنّما تأخذون الدراهم من بطن واد ما زدتم ! والله ما عندى ما أعينُك به . قال : فلبثتُ أيامًا ؛ وأقبل رَجُلٌ من بنى جُشَم بن معاوية يقال له رفاعة بن قيس — أو قيس بن رفاعة — فى بطنٍ عظيم من جُشَم ؛ حتى نزل بقومه ومَنْ معه بالغابة ؛ يريد أن يجمع قيسًا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وكان ذا اسمٍ وشرف فى جُشَم . قال : فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين ، من المسلمين فقال : اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتونا به ؛ أو تأتونا منه بخبر وعلم . قال : وقدّم لنا شارفًا [1] عجفاء ، فحمل عليها أحدنا ؛ فوالله ما قامت به ضعفًا حتّى دَعمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلّت وما كادت . ثم قال : تَبلّغوا على هذه واعتقبوها . ١٦٠٨/١

قال : فخرجنا ومعنا سلاحُنا من النّبل والسيوف ؛ حتى جئنا قريبًا من الحاضر عُشَيْشِيَةً مع غروب الشمس ، فكمنت فى ناحية ، وأمرت صاحبىّ ، فكمنا فى ناحية أخرى من حاضر القوم ، وقلت لهما : إذا سمعتمانى قد كبّرت وشددت على العسكر فكبّرا وشُدّا معى .

قال : فوالله إنا لكذلك ننتظر أن نرى غِرّة أو نصيب منهم شيئًا ، غَشِينَا الليلِ حتى ذهبت فحمة العشاء ؛ وقد كان لهم راعٍ قد سرّح فى ذلك البلد ، فأبطأ عليهم حتى تخوّفوا عليه .

(١) الشارف من النوق : المسنة الهرمة .

قال : فقام صاحبهم ذلك رفاعة بن قيس ، فأخذ سيفه ، فجعله فى عنقه ثم قال : والله لأتبعنّ أثر راعينا هذا ؛ ولقد أصابه شرٌّ. فقال نفرٌ ممّن معه : والله لا تذهب، نحن نكفيك ! فقال : والله لا يذهب إلاّ أنا ، قالوا : فنحنُ معك ، قال : والله لا يتبعنى منكم أحد .

قال : وخرج حتى مرّ بى ، فلما أمكننى نفحتُه بسهم فوضعته فى فؤاده ، فوالله ما تكلّم ، ووثبتُ إليه فاحتززت رأسه ، ثم شددتُ فى ناحية العسكر وكبّرت ؛ وشدّ صاحباى وكبّرا ؛ فوالله ما كان إلا النّجاء ممّن كان فيه عندك بكلّ ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم ؛ وما خفّ معهم من أموالهم .

قال : فاستقنا إبلاً عظيمة ، وغنماً كثيرة ، فجئنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجئت برأسه أحمله معى ، قال : فأعانى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرًا ، فجمعتُ إلىّ أهلى . ١٦٠٩/١

وأما الواقدىّ ، فذكر أنّ محمد بن يحيى بن سهل بن أبى حَثْمَةَ ، حدّثه عن أبيه ، أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم بعث ابن أبى حَدْرَد فى هذه السريّة مع أبى قتادة ، وأنّ السريّة كانت ستة عشر رجلا ، وأنّهم غابوا خمس عشرة ليلة ، وأن سُهمانهم كانت اثنى عشر بعيرًا يُعْدَلُ البعير بعشرٍ من الغنم ، وأنهم أصابوا فى وُجوههم أربعَ نسوة ؛ فيهنّ فتاة وضيئة ، فصارت لأبى قتادة ، فكلّم مَحْمِيَةَ بن الجَزْء فيها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فسأل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا قتادة عنها ، فقال : اشتريتها من المغنم ، فقال : هَبْها لى ، فوهبها له ، فأعطاها رسولُ الله محمية بن جَزْء الزُّبيدىّ .

* * *

قال : وفيها أغزى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى سريّةٍ أبا قتادة إلى بطن إضَم. حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد ابن عبد الله بن قُسَيْط ، عن أبى القعقاع بن عبد الله بن أبى حَدْرَد الأسلمىّ .

وقال بعضهم عن ابن القعقاع – عن أبيه ، عن عبد الله بن أبى حَدْرَد ، قال : بعثَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضَم ، فخرجت فى نفر من المسلمين فيهم أبو قَتادة الحارث بن رِبْعِيّ ومحلّم بن جَثّامة بن قيس الليثى ، فخرجنا
١/١٦١٠ حتى إذا كنا ببطن إضَم – وكانت قبل الفتح – مرَّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعيّ على قَعود له ، معه مُتَيِّع له ووطْب من لبن[1] . فلمّا مرّ بنا سلّم علينا بتحيّة الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محلّم بن جَثّامة الليثى لشىء كان بينه وبينه ؛ فقتله وأخذ بعيره ومتيِّعه ، فلمّا قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه الخبر ، نزل فينا القرآن : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا ﴾[2] الآية .

وقال الواقدىّ : إنّما كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بعثَ هذه السريّة حين خرج لفتح مكة فى شهر رمضان ، وكانوا ثمانيةَ نفر .

* * *

ذكر الخبر عن غزوة مؤتة

قال ابن إسحاق – فيما حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة عنه ، قال : لما رجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة من خَيْبر ؛ أقام بها شهرَىْ ربيع ، ثم بعث فى جمادى الأولى بَعثَه إلى الشأم الذين أصيبوا بمؤتة .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة بن الزبير ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بَعثَهُ إلى مؤتة فى جُمادى الأولى من سنة ثمانٍ ؛ واستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال : إن أصيب زيد بن حارثة فجعفر بن أبى طالب على الناس ، فإن أصيبَ جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس .

فتجهّز الناسُ ، ثم تهيّئُوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجهم وَدَّع الناسُ أمراء رَسُول اللهِ وسلموا عليهم وودّعوهم : فلمّا

(١) متيع : تصغير متاع ؛ وهو السلعة وما يستمتع به الإنسان من حوائجه أو ماله . والوطب : وعاء اللبن .

(٢) سورة النساء ٩٤ ، والخبر فى التفسير ٩ : ٧٣ .

ودّع عبد الله بن رَواحة مع من ودّع من أمراء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
بكَى، فقالوا له : ما يُبكيك يابن رواحة ؟ فقال : أما والله ما بى حبّ الدنيا ، ١٦١١/١
ولا صبابة بكم ؛ ولكنى سمعتُ رسولَ الله يقرأ آيةً من كتاب الله يذكر
فيها النار : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا﴾(١) .
فلست أدرى كيف لى بالصَّدَرِ بعد الورود ! فقال المسلمون : صحبكم الله
ودفع عنكم ، وردّكم إلينا صالحين ، فقال عبد الله بن رواحة :

لٰكِنَّنِي أَسْأَلُ ٱلرَّحْمٰنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةً ذاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ ٱلزَّبَدَا(٢)
أو طَعْنَةً بيَدَىْ حَرَّانَ مُجْهِزَةً بحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الأَحْشاءَ والكَبِدَا(٣)
حتى يقولوا إِذَا مَرُّوا على جَدَثِي أَرْشَدَكَ اللهُ مِنْ غَازٍ وقد رَشَدَا !

ثم إن القوم تهيّئوا للخروج ، فجاء عبد الله بن رواحة إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فودّعه ، ثم خرج القوم ، وخرج رسول الله يُشيّعهم ؛ حتى
إذا ودّعهم وانصرف عنهم ، قال عبد الله بن رواحة :

خَلَفَ السَّلاَمُ على أَمْرِئٍ وَدَّعْتُهُ فِى النَّخْلِ خَيْرَ مُشَيِّعٍ وخَلِيلِ

ثم مضوا حتى نزلوا مُعان من أرض الشأم ؛ فبلغ الناسَ أنّ هرقل قد
نزل مآب من أرض البلقاء فى مائة ألف من الروم ، وانضمّت إليه المستعربة من
لَخم وجُذام وبلقَيْن وبَهْراء وبَلِيّ فى مائة ألف منهم ؛ عليهم رجلٌ من
بَلِيّ ، ثم أحد إرَاشة ، يقال له : مالك بن رافلة ، فلمّا بلغ ذلك المسلمين
أقاموا على مُعان ليلتَيْن ، ينظرون فى أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله ١٦١٢/١
ونخبره بعدد عدونا ، فإما أن يُمدّنا برجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضى
له فشجّع الناسَ عبدُ الله بن رواحة ، وقال : يا قوم ؛ والله إنّ الذى تكرهونَ
لَلّذى خَرَجْتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوّة ولا كثرة ،
ما نقاتلهم إلاّ بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ؛ فانطلِقوا ، فإنما هى إحدَى

(١) سورة مريم ٧١ .
(٢) ذات فرغ : ذات سعة . والزبد هنا : رغوة الدم .
(٣) مجهزة : سريعة القتل . وتنفذ الأحشاء : تمضى فيها .

الحسْنَيَيْن ؛ إما ظهور ؛ وإمّا شهادة ، فقال الناس : قد والله صَدَق ابنُ رواحة . فمضى الناس ، فقال عبد الله بن رواحة فى حَبسهم ذلك :

جَلَبْنَا الخيلَ منْ آجامِ قُرْحٍ ... تُغَرُّ مِنَ الحشيشِ لها العكُومُ(١)
حَذَوْناها مِنَ الصَّوَّانِ سِبْتاً ... أزَلَّ كأنَّ صَفْحَتَهُ أَدِيمُ(٢)
أقامَتْ لَيْلَتَيْنِ على مُعَانٍ ... فأعْقَبَ بَعْدَ فَترَتِها جُمُومُ
فَرُحْنا والجِيادُ مُسَوَّماتٌ ... تَنَفَّسُ فى مَناخِرِها السَّمُومُ
فلا وأبى ، مَآبَ لنأتِيَنْها ... ولو كانت بها عَرَبٌ ورُومُ
فَعَبَّأنا أعِنَّتَها فجاءَتْ ... عَوابِسَ والغُبارُ لها بَرِيمُ(٣)
بذِى لَجَبٍ كأنّ البَيْضَ فيه ... إذا بَرَزَتْ قَوانِسُها النُّجُومُ ١٦١٣/١
فراضِيَةِ المعيشَةِ طَلَّقَتْها ... أسِنَّتُنا فتَنْكِحُ أو تَئِيمُ(٤)

ثم مضى الناس (٥)

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، أنه حدّث عن زيد بن أرْقم ، قال : كنتُ يتيماً لعبد الله بن رواحة فى حِجْره ، فخرج فى سفره ذلك مُرْدِفِى على حَقيبة رحله ، فوالله إنه ليسير ليلةً إذ سمعته وهو يتمثّل أبياته هذه :

إذَا أدَّيْتِنِي وَحَمَلْتِ رحْلِي ... مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الحِسَاءِ
فشَأْنُكِ أنْعُمٌ وخَلاكِ ذَمٌّ ... ولا أَرجِعْ إلى أَهْلِى وَرَائِى(٦)
وجاءَ المسلمون وغادَرُونى ... بأرض الشأم مشتهِيَ الثَّواءِ
وَرَدَّكِ كلُّ ذى نَسَبٍ قريبٍ ... إلى الرَّحْمٰنِ مُنْقَطِعُ الإخَاءِ

(١) قال السهيلى : تغر ، أى يجمع بعضها إلى بعض . والعكوم : جمع عكم ، وهو الجنب. وفى ابن هشام : « من أجأ وفرع » ، اوالبيت فى ياقوت ٧ : ٤٩ .
(٢) سبتا ، أى حذوناها نعالا من جلد . وأزل : أملس .
(٣) قال السهيلى : « البريم : حبل تحزم به المرأة ، والبريم أيضا : لفيف الناس وأخلاطهم » .
(٤) راضية المعيشة ، أى معيشتها مرضية . وتئيم : تبقى من غير زوج .
(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٦ ، ٢٥٧ .
(٦) خلاك ذم ، أى فارقك الذم .

هنالك لا أُبالى طَلْعَ بَعْلٍ ولا نَخْلٍ أَسَافِلُهَا رِواءُ[1]

قال : فلما سمعتهنّ منه بكيت ، فخفقنى بالدِّرَّة ، وقال : ما عليك يا لُكَع ! يرزقنى الله الشهادة ، وترجع بين شُعْبَتَىِ الرَّحْل ! ثم قال عبد الله فى بعض شعره وهو يرتجز :

يا زَيْدَ زيدَ اليَعْمَلَاتِ الذُّبَّلِ تطاول اللَّيْلُ هُدِيتَ فانْزِلِ[2] ١/١٦١٤

قال : ثم مضَى الناس حتى إذا كانوا بتُخوم البلقاء ، لَقِيتْهم جموع هِرَقل من الرّوم والعرب ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها مَشَارِف . ثم دنا العدُوُّ ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مُؤْتة ؛ فالتقى الناس عندها ، فتعبّأ المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بنى عُذْرة ، يقال له قطبة بن قتادة ، وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له عَبَايَة بن مالك ، ثم التقى الناس ؛ فاقتتلوا ؛ فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى شاط[3] فى رماح القوم ؛ ثم أخذها جعفر بن أبى طالب ؛ فقاتل بها حتى إذا ألحمه[4] القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها[5] ، ثم قاتل القوم حتى قُتِل ؛ فكان جعفرٌ أوّل رجل من المسلمين عَقَر فى الإسلام فرسه[6] .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة وأبو تُمَيْلة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عبّاد ، عن أبيه ، قال : حدّثنى أبى الذى أرضعنى — وكان أحد بنى مرّة بن عوف ، وكان فى تلك الغزوة غزوة مُؤْتة — قال : والله لكأنّى أنظرُ إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ؛ فعقرها ، ثم قاتل القوم حتى قُتِل ؛ فلما قتل جعفر أخذ الرّايةَ عبدُ الله بن رَواحة ؛ ثمّ تقدّم بها وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ويتردّد بعض التردد ، ثم قال :

أقسمْتُ يا نَفْسُ لَتَنزِلنّهْ طَائِعَةً أوْ فَلَتُكْرَهِنَّهْ

(١) البعل : الذى يشرب بعروقه من الأرض . (٢) اليعملات : جمع يعملة ؛ وهى الناقة السريعة . والذبل : التى أضعفها السير فقل لحمها .

(٣) يقال : شاط الرجل ؛ إذا سال دمه فهلك . (٤) ألحمه القتال : نشب فيه فلم يجد مخلصا .

(٥) عقرها : ضرب قوائمها بالسيف . (٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

١٦١٥/١ إنّ أَجْلَبَ الناسُ وشَدُّوا الرَّنَّهْ[١] مالِي أَراكِ تَكْرَهِين الجَنَّهْ !
قد طَالَمَا قد كنْتِ مُطْمَئِنَّهْ هَلْ أَنْتِ إلا نُطْفَةٌ فى شَنَّهْ ![٢]

وقال أيضًا :

يا نَفْس إلَّا تُقْتَلى تَمُوتِي هٰذَا حِمَامُ المَوْتِ قد صَلِيتِ
وما تَمَنَّيتِ فقدْ أُعْطِيتِ إنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدِيتِ

قال : ثم نزل ؛ فلمّا نزل أتاه ابنُ عمٍّ له بعظم من لحم ؛ فقال : شُدَّ بها صلبك ؛ فإنك قد لقيت أيامك هذه ما لقيت ؛ فأخذه من يده ؛ فانتهس[٣] منه نهسَةً ثم سمع الحَطْمة[٤] فى ناحية الناس ، فقال : وأنت فى الدنيا ! ثم ألقاه من يده ، وأخذ سيفه ؛ فتقدّم فقاتل حتى قتل ؛ فأخذ الراية ثابتُ بن أقرم ؛ أخو بَلْعجلان ؛ فقال : يا معشرَ المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، فقالوا :
١٦١٦/١ أنت ، قال : ما أنا بفاعل ؛ فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ؛ فلمّا أخذ الراية دافع القوم ؛ وحاشى[٥] بهم ، ثم انحاز وتحيّز عنه[٦] حتى انصرف بالناس[٧] .

فحدّثنى القاسم بن بِشْر بن معروف ، قال : حدّثنا سليمان بن حرب ، قال : حدّثنا الأسود بن شيبان ، عن خالد بن سُمَير ، قال : قَدِم علينا عبد الله بن رَبَاح الأنصارىّ — وكانت الأنصار تُفَقّهُه — فغشِيَه الناس ، فقال : حدّثنا أبو قتادة فارسُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال : بعث رسول الله جيشَ الأمراء ، فقال : عليكم زيد بن حارثة ؛ فإن أصيب فجعفر

(١) أجلب القوم : صاحوا واجتمعوا .
(٢) النطفة : الماء القليل الصافى . والشنة : السقاء البالى .
(٣) انتهس : أخذ منه بفمه يسيرا .
(٤) الحطمة : زحام الناس وحطم بعضهم بعضا .
(٥) حاشى بهم : انحاز بهم ؛ من الحشى وهو الناحية . وفى ابن هشام : « خاشى بهم » ، من المخاشاة ؛ وهو المحاجزة .
(٦) س : « وتحيزوا » ، ابن هشام : « وانحيز » .
(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٨ .

ابن أبي طالب ؛ فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ؛ فوثب جعفر فقال : يا رسولَ الله؛ ما كنت أذهبُ أن تستعمل زيداً عليَّ ! قال : امض ؛ فإنك لا تدرى أىّ ذلك خير !

فانطلقوا ، فلبثوا ما شاء الله . ثم إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صعِد المنبر ، وأمر فنودى : الصّلاة جامعة ! فاجتمع الناس إلى رسول الله ، فقال : باب خير ، باب خير ، باب خير ! أخبركم عن جيشكم هذا الغازى ؛ إنّهم انطلقوا فلقُوا العدوّ، فقتِل زيد شهيداً — واستغفر له — ثمّ أخذ اللواءَ جعفر ، فشدّ على القوم حتى قتِل شهيداً— فشهد له بالشهادة واستغفر له — ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة ؛ فأثبت قدميْه حتى قتِل شهيداً — فاستغفر له — ثمّ أخذ اللواء خالد بن الوليد — ولم يكن من الأمراء ؛ هو أمّر نفسه — ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهمّ إنه سيف من سيوفك ، فأنت تنصره — فمنذ يومئذ سمىّ خالد سيف الله — ثم قال رسول الله : أبكروا فأمدُّوا إخوانكم ولا يتخلّفنّ منكم أحد . فنفروا مُشاةً ورُكْبانًا ، وذلك فى حرّ شديد . ١٦١٧/١

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبى بكر ، قال : لما أتى رسولَ الله مصابُ جعفر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد مرّ[1] جعفر البارحة فى نفر من الملائكة، له جناحان، مختضب القوادم بالدّم ، يريدون بيشة ؛ أرضًا باليمن .

قال . وقد كان قُطْبَة بن قتادة العذرىّ الذى كان على ميمنة المسلمين حمل على مالك بن رافلة [2] قائد المستعربة فقتله . قال : وقد كانت كاهنة من حَدَس [3] حين سمعت بجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً قد قالت لقومها من حَدَس — وقومها بطن يقال لهم بنو غَنْم : أنْذِرُكم قومًا خُزْراً [4]، ينظرون شَزْرًا [5]، ويقودون الخيل بُتْرًا [6]، ويُهريقون دمًا

(١) ابن هشام : « قدم » . (٢) ابن هشام : « زافلة » .
(٣) حدس : قبيلة من لخم .
(٤) خزراً : جمع أخزر ؛ وهو الذى ينظر بمؤخر عينه .
(٥) الشزر : نظر العداوة .
(٦) ابن هشام : « تترى » ، أى متتابعة .

عَكْرًا[١] . فأخذوا بقولها ؛ فاعتزلوا من بين لَخْم ؛ فلم يزالوا بعدُ أثْرَى[٢] حَدَس . وكان الذين صَلَوُا الحرب يومئذ بنو ثعلبة ؛ بطن من حَدَس ؛ فلم يزالوا قليلاً بعد ؛ ولما انصرف خالد بن الوليد بالناس أقبل بهم قافلاً[٣] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : لما
١/١٦١٨ دَنَوا من دخول المدينة ، تلقاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، ولقيهم الصبيان يشتدّون ، ورسول الله مقبل مع القوم على دابّة ، فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطونى ابنَ جعفر ؛ فأتِىَ بعبد الله بن جعفر فأخذه ، فحمله بين يديه ، قال : وجعل الناس يحثُون على الجيش التراب ، ويقولون : يا فُرّار فى سبيل الله ، فيقول رسول الله : ليسوا بالفُرّار ؛ ولكنهم الكُرّار ؛ إن شاء الله[٤] !

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، عن عامر بن عبد الله بن الزّبير ؛ عن بعض آل الحارث بن هشام — وهم أخواله — عن أم سلمة زوْج النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، قال : قالت أمّ سلمَة لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة : مالى لا أرى سلَمة يحضر الصلاة مع رسول الله ومع المسلمين ! قالت : والله ما يستطيع أن يخرج ، كلّما خرج صاح الناس : أفرَرتم فى سبيل الله ! حتى قعد فى بيته فما يخرج[٤] .

وفيها غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة .

* * *

ذكر الخبر عن فتح مكة

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى ابن إسحاق ،

(١) العكر : المتعكر .
(٢) أثرى ، أى أكثر مالا وعددا ؛ من الثروة ؛ وهى الكثرة .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٩ ، ٢٦٠ . (٤) ابن هشام ٢ : ٢٦٠ .

قال: ثمّ أقامَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد بعثه إلى مُؤتة، جمادى الآخرة ورجب.

ثم إنّ بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة عَدَتْ على خُزاعة، وهم على ماء لهم بأسفل مكة؛ يقال له الوتير. وكان الذى هاج ما بين بنى بكر وبنى ١٦١٩/١
خُزاعة رجلٌ من بَلْحضرميّ، يقال له مالك بن عبّاد — وحِلْف الحضرميّ يومئذ إلى الأسود بن رَزْن — خرج تاجراً، فلما توسّط أرض خزاعة عدْوا عليه فقتلوه؛ وأخذوا ماله؛ فعدتْ بنوبكْر على رجل من خُزاعة فقتلوه، فعَدَتْ خُزاعة قَبيل الإسلام على بنى الأسود بن رَزْن الدّيلىّ؛ وهم مَنْخَرَ[1] بنى بكر وأشرافهم: سلْمى، وكلثوم، وذؤيب؛ فقتلوهم بعرفَة عند أنصاب الحرم[2].

حدّثنا ابنُ حُميد؛ قال: حدثنا سلَمة، قال: حدّثنى محمد بن إسحاق، عن رجل من بنى الدِّيل، قال: كان بنو الأسود يُوَدُّوْنَ فى الجاهليّة دِيَتَيْن ديتين، ونُودَّى ديةً ديةً لفضلهم [فينا][2].

فبينا بنو بكر وخُزاعة على ذلك حَجَز بينهم الإسلام، وتشاغل الناس به، فلمّا كان صلحُ الحديبية بينَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبين قريش كان فيما شرطوا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وشرط لهم — كما حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرّى، عن عُروة بن الزبير، عن المِسْوَر بن مخرمة ومروان بن الحكم وغيره من علمائنا — أنه مَنْ أحَبَّ أن يدخلَ فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقْده دخلَ فيه، ومَنْ أحبّ أن يدخلَ فى عهد قُريش وعقدهم دخل فيه؛ فدخلت بنو بكر فى عَقْد قريش، ودخلت ١٦٢٠/١
خُزاعة فى عَقْد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فلمّا كانت تلك الهدنة اغتنمتها[3] بنو الدِّيل، من بنى بكر من خُزاعة[4]

(١) المنخر هنا: المتقدمون؛ لأن الأنف هو المقدم من الوجه.
(٢) سيرة ابن هشام ٢: ٢٦٣.
(٣) س: «اغتنمها».
(٤) س: «من بنى خزاعة».

وأرادوا أن يصيبوا منهم[ثأراً][1] بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببنى الأسود بن رَزْن ، فخرج نَوْفَل بن معاوية الدّيلى فى بنى الدِّيل — وهو يومئذ قائدهم ؛ ليس كل بنى بكْر تابعه — حتى بَيَّتَ خزاعة ، وهم على الوتير ؛ ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلا وتحاوزوا واقتتلوا ؛ ورفَدَت قريش بنى بكْر بالسِّلاح ؛ وقاتل معهم من قريش مَنْ قاتل بالليل مستخفيًا ؛ حتى حازوا[2] خُزاعة إلى الحَرم .

— قال الواقدىّ : كان ممن أعان من قريش بنى بكْر على خُزاعة ليلتئذٍ بأنفسهم متنكّرين صَفْوان بن أميّة ، وعِكْرمة بن أبى جهل ، وسُهَيل بن عمرو ؛ مع عيرهم وعبيدهم —

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال : فلما انتهوْا إليه قالت بنو بكْر : يانوْفل ، إنا قد دخلْنا الحرم إلهَك إلهَك ؛ فقال : كلمةعظيمة إنه لا إله له اليوم ! يا بنى بكْر أصيبوا ثأركم ، فلعمرى إنكم لتسرقُون فى الحرم ؛ أفلا تصيبون ثأركم فيه ! وقد أصابوا منهم ليلة بَيَّتوهم بالوتير رجلا يقال له منبّه ، وكان منبّه رجلاً مفئوداً[3] خرج هو ورجل من قومه ، يقال له ١٦٢١/١
تميم بن أسد — فقال له منبّه : يا تميم ، انجُ بنفسك ؛ فأمّا أنا فوالله إنى لميّتٌ قتلونى أو تركونى ؛ لقد انبتّ[4] فؤادى . فانطلق تميم فأفلَت ، وأدركوا منبّهًا فقتلوه — فلمّا دخلت خُزاعة مكة لجئوا إلى دار بُدَيْل بن ورْقاء الخُزاعىّ ، ودار مولى لهم يقال له رافع .

قال : فلما تظاهرتْ [بنو بكرو][5] قُريش على خُزاعة ، وأصابوا منهم ما أصابوا ، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلّوا من خُزاعة — وكانوا فى عَقْده وعهده — خرج عمرو بن سالم الخُزاعىُّ ، ثم أحد بنى كعب ؛ حتى قدِم على رسولِ الله صلّى الله عليه

(١) من ابن هشام .
(٢) حازوهم : ساقوهم .
(٣) مفئود : ضعيف الفؤاد .
(٤) انبت : انقطع .
(٥) من سير ابن هشام .

وسلم المدينةَ ؛ وكان ذلك ممّا هاج فتح مكة ؛ فوقف عليه وهو فى المسجد جالسٌ بين ظهرانىِ الناس ، فقال :

لاهمّ إنِّى ناشدٌ مُحمّدا ... حِلْفَ أبينا وأبيه الأتْلدَا[1]
فوالِداً كُنَّا وَكُنْتَ وَلدَا[2] ... ثمَّتَ أسلَمْنا فلم نَنْزِعْ يدَا[3]
فانْصُر رسول اللهِ نَصْراً أعْتَدَا[4] ... وادْعُ عِبادَ اللهِ يأتوا مَدَدَا[5]
فيهم رسول اللهِ قد تجرَّدَا[6] ... أبْيَض مثل البَدْرِ يَنْمِى صُعُدَا ١٦٢٢/١
إن سِيمَ خَسْفاً وَجْهُهُ تَرَبَّدَا ... فى فَيْلَقٍ كالبَحْرِ يجرى مُزْبِدَا[7]
إنّ قريشاً أخلفوك الموْعِدَا ... ونَقَضُوا ميثاقك المُؤَكَّدا
وجعلوا لى فى كَدَاءٍ رَصَدَا ... وزعموا أن لستُ أدْعُو أحَدا
وَهُمْ أذَلُّ وأقَلُّ عَدَدَا ... هُمْ بَيَّتُونَا بالوَتِيرِ هُجَّدَا

* فقتّلونا رُكَّعاً وَسُجّدَا *

يقول : قد قتّلونا وقد أسلمنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حينَ سمع ذلك : قد نُصرْتَ يا عمرو بن سالم ! ثم عرض لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم عنَانٌ من السماء ، فقال : إنّ هذه السحابة لتستَهِلّ بنصر بنى كعب .

ثم خرج بُدَيْل بن ورقاء فى نفر من خُزاعة حتى قدِموا على رسولِ الله المدينة ، فأخبروه بما أصيب منهم ، وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم ؛ ثم انصرفوا راجعين إلى مكة . وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال للناس : كأنّكم بأبى سفيان قد جاء ليشدّ العَقْد ، ويزيد فى المدّة .

(١) ناشد : طالب ومذكر ، والأتلد : القديم .

(٢) ابن هشام : « قد كنتم ولداً وكنا والدا » ؛ قال السهيلى : « يريد أن بنى عبد مناف ، أمهم من خزاعة وكذلك قصى أمه فاطمة بنت سعد الخزاعية » .

(٣) أسلمنا ، من السلم .

(٤) ابن هشام : « أعتدا ، أى حاضرا ، من الشىء العتيد ؛ وهو الحاضر » .

(٥) المدد : العون .

(٦) تجرد : تشمر وتهيأ ؛ وفى إحدى نسخ ابن هشام : «تحرد » ؛ بالحاء المهملة ؛ من الحرد ؛ وهو الغضب .

(٧) الفيلق : العسكر الكبير .

ومضى بُديل بن ورقاء وأصحابه ، فلقُوا أبا سفيان بعُسفان ، قد بعثتْه قريش إلى رسول الله ليشدّ العقد ويزيد فى المدّة ؛ وقد رهِبوا الذى صنعوا ؛
١٦٢٣/١ فلما لقِىَ أبو سفيان بُديلا ، قال : مِنْ أين أقبلت يا بديل ؟ وظنّ أنه قد أتى رسولَ الله ، قال : سِرْت[1] فى خُزاعة فى السّاحل وفى بطن هذا الوادى . قال : أوَ ما أتيتَ محمداً ؟ قال : لا . قال : فلما راح بُديل إلى مكّة قال أبو سفيان : لئن[2] كان جاء المدينة لقد علَف بها النّوى ؛ فعَمد إلى مَبْرَك ناقته[3] ، فأخذ من بعرها ففتّه ؛ فرأى فيه النوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بُديل محمداً .

ثم خرج أبو سفيان حتى قدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؛ فدخل على ابنتِه أمّ حبيبة بنت أبى سفيان ؛ فلما ذهب ليجلس على فِراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوَتْه عنه ، فقال : يا بنيّة ؛ والله ما أدرِى أرغبتِ بى عن هذا الفراش ، أم رغبتِ به عنّى ! قالت : بل هو فراشُ رسول الله ، وأنت رجل مشرك نجِس ، فلم أحبّ أن تجلس على فراش رسول الله ، قال : والله لقد أصابكِ يا بنيّة بعدى شرٌّ . ثم خرَج حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم ، فكلّمه فلم يردُدْ عليه شيئًا ، ثم ذهب إلى أبى بكر فكلّمه أن يكلّم له رسولَ الله ، فقال : ما أنا بفاعل . ثم أتى عمَر بن الخطاب ، فكلّمه فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله ! فوالله لو لم أجدْ إلا الذرّ لجاهدتُكم . ثم خرج فدخل على علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، وعنده فاطمة ابنة رسول الله ، وعندها الحسن بن علىّ ؛ غلامٌ يَدِبُّ بين يديها ، فقال : يا علىّ ؛
١٦٢٤/١ إنك أمسُّ القوم بى رَحِمًا ، وأقربُهم منّى قرابة ، وقد جئتُ فى حاجة ؛ فلا أرجعَنّ كما جئت خائبًا ، اشفع لنا إلى رسول الله ! قال : ويحك يا أباسفيان! والله لقد عزَم رسول الله على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه ، فالتفت إلى فاطمة ، فقال : يا ابنةَ محمّد ؛ هل لكِ أن تأمرى بُنيّك هذا فيجير بين الناس ، فيكون سيّد العرب إلى آخر الدهر ! قالت : والله ما بلغ بُنَيّى ذلك

(١) ابن هشام : « تسيرت » .
(٢) س : « لمن » .
(٣) ابن هشام : « فأتى مبرك راحلته » .

أن يجيرَ بين الناس، وما يجير على رسول الله أحد. قال : يا أبا الحسن ، إنّى أرى الأمور قد اشتدّتْ علىّ فانصحنى . فقال له : والله ما أعلمُ شيئًا يُغنى عنك شيئًا، ولكنّك سيّد بنى كنانة ؛ فقم فأجِرْ بين الناس ، ثم الحقْ بأرضك. قال : أوَ ترَى ذلك مُغْنيًا عنى شيئًا ! قال : لا والله ما أظنّ ؛ ولكن لا أجدُ لك غير ذلك ؛ فقام أبو سفيان فى المسجد ، فقال: أيّها الناس ؛ إنى قد أجرَتْ بين الناس ؛ ثم ركب بعيرة فانطلق .

فلما قدِم على قريش ، قالوا : ما وراءك؟ قال : جئت محمداً فكلّمته ، فوالله ما ردّ علىّ شيئًا ، ثم جئت ابنَ أبى قُحافة ، فلم أجد عنده خيراً ، ثم جئت ابنَ الخطاب ؛ فوجدته أعْدَى القوم ، ثمّ جئت علىّ بن أبى طالب ، فوجدته أليَنَ القوم ؛ وقد أشار علىّ بشىء صنعتُه ؛ فوالله ما أدرى هل يغنينى شيئًا أم لا ! قالوا : وبماذا أمرَك ؟ قال : أمرَنى أن أجيرَ بين الناس ففعلت ؛ قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا ، قالوا : ويلك ! والله إن زاد على أن لَعِبَ بك ، فما يُغنى عنّا ما قلت . قال : لا والله ، ما وجدتُ غير ذلك ، قال : وأمرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجِهاز ؛ وأمر ١٦٢٥/١
أهله أن يجهّزوه؛ فدخل أبو بكر على ابنته عائشة وهى تحرّك بعض جِهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أىْ بنيّة ، أ أمركم رسول الله بأن تجهزوه ؟ قالت : نعم ، فتجهّزْ . قال : فأين ترينَه يريد ؟ قالت : والله ما أدرى .

ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس[1] أنه سائر إلى مكة ؛ وأمرهم بالجدّ والتهيُّؤ[2]، وقال : اللهمّ خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نَبْغَتَها[3] فى بلادها .

فتجهّز الناس، فقال حسان بن ثابت الأنصارى يُحرّضُ الناس ، ويذكر مصابَ رجال خُزاعة :

(١) و : « العباس » .
(٢) س : « والانكماش » .
(٣) نبغتها ، من البغتة ؛ وهى المفاجأة .

أَتانِى ولم أَشْهَدْ ببَطْحَاء مكَّةٍ رجالُ بنى كعب تُحَزُّ رقابُها(١)
بأيدى رجالٍ لم يَسُلُّوا سيوفهمْ وقتلَى كثيرٌ لم تُجَنَّ ثيابُها(٢)
ألا ليت شعرِى هل تَنالنّ نُصْرَتِى سُهَيْلَ بْنَ عمرو حرُّها وعقابُها(٣)!
وصفْوَان عَوْدًا حُزّ من شُفُرِ اسْتِهِ فهٰذَا أَوَانُ الحَرب شُدّ عصابُها
فلا تأمننَّا يابن أُمِّ مُجَالدٍ إذَا احتُلبتْ صِرْفًا وأعصَلَ نابُها(٤)
١٦٢٦/١ فلا تجْزَعوا منها فإنّ سيوفنا لَهَا وقعة بالموْت يُفتَحُ بابُها(٥)

وقول حسان :

* بأيْدِى رِجَالٍ لَمْ يَسُلّوا سُيوفَهمْ *

يعنى قريشًا . وابن أمّ مجالد ، يعنى عِكْرِمة بن أبى جَهل(٦)

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُرْوة بن الزُّبير وغيره من عُلمائنا ، قالوا : لما أجمَع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المسير(٧) إلى مكة ، كتب حاطب بن أبى بَلْتَعة كتابًا إلى قُريش ، يخبرهم بالذى أجمع عليه رسولُ الله من الأمر فى السَّيْر إليهم ؛ ثمّ أعطاه امرأة — يزعُم محمد بن جعفر أنها من مُزَيْنة ؛ وزعم غيرُه أنها سارة ، مولاة لبعض بنى عبد المطلب(٨) — وجعل لها جُعْلاً على أن تُبلِّغه قريشًا . فجعلتْه فى رأسها ، ثم فتلتْ عليه قُرونها ، ثم خرجتْ به . وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بما صنع حاطبٌ ؛ فبعث علىّ بن أبى طالب والزبير بن العوام ، فقال : أدْرِكا امرأةً

(١) ديوانه ٤١ ، ٤٢ ، وروايته : « وغبنا فلم نشهد ببطحاء مكة » ، وفى ابن هشام : « عنانى ولم أشهد » .
(٢) لم تجن ثيابها : لم تستر . (٣) الديوان وابن هشام : « وخزها وعقابها » .
(٤) الديوان : «إذا لحقت حرب وأعصل نابها » .
(٥) موضع هذا البيت فى الديوان :
وَلَوْ شَهِدَ البَطْحَاءَ مِنَّا عِصَابَةٌ لَهَانَ عَلَيْنَا يَوْمَ ذَاكَ ضِرَابُهَا
(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٣ — ٢٦٦ .
(٧) س والتفسير وابن هشام : « السير » . (٨) « لبنى المطلب » .

قد كتب معها حاطب بكتاب[١] إلى قريش ، يحذّرهم ما قد أجمعنا له فى أمرهم ؛ فخرجا[٢] حتى أدركاها بالحُليفة ، حُليفة[٣] ابن أبى أحمد ؛ فاستنزلاها ، فالتمسا فى رَحْلها ، فلم يجدا شيئًا ، فقال لها علىُّ بن أبى طالب : إنّى أحلِفُ[٤] ما كذب رسول الله ولا كذبنا ؛ ولتُخْرِجِنَّ إلىّ هذا الكتاب ١٦٢٧/١
أو لنكشفنَّك ؛ فلما رأت الجِدّ منه ، قالت : أعرِض عنّى ، فأعرض عنها ، فحلّتْ قرونَ رأسِها ، فاستخرجت الكتاب منه[٥] ، فدفعته إليه ، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسول الله حاطبًا ؛ فقال : يا حاطب ، ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، أما والله إنى لمؤمنٌ بالله ورسوله ، ما غيّرْتُ ولا بدّلْتُ ، ولكنّى كنتُ امرأً ليس لى فى القوم أصلٌ ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم أهلٌ وولَد ، فصانعتهم عليهم ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسولَ الله ، دَعْنى فلأضربْ عنقه ، فإنّ الرجل قد نافق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما يدريك يا عمر ، لعلّ الله قد اطّلع إلى[٦] أصحاب بدر يوم بدر ؛ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ! فأنزل الله عزّ وجلّ فى حاطب: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا ... ﴾[٧] إلى آخر القصة[٨].

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن مسلِم الزّهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود ، عن ابن عباس ، قال : ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم لسفره ؛ واستخلف

(١) و : « كتابا » .
(٢) يعدها فى و : « مسرعين » .
(٣) كذا فى ط ؛ على التصغير ؛ وفى ابن هشام : « الخليقة » ، وهما موضعان قرب المدينة ؛ ذكرهما ياقوت .
(٤) ابن هشام والتفسير : « أحلف بالله » .
(٥) ابن هشام : « منها » .
(٦) س : « على » .
(٧) سورة الممتحنة ١ ، ٤ .
(٨) الخبر فى التفسير ٢٨ : ٣٩ (بولاق) ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

على المدينة أبا رُهْم كُلْثوم بن حُصَين بن خلَف الغِفَارىّ ، وخرج لعشر مضينْ من شهر رمضان ، فصام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وصام الناس
١٦٢٨/١ معه ؛ حتى إذا كان بالكَدِيد ما بين عُسْفان وأمَج ، أفطر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مضى حتى نزل مَرَّ الظَّهْران فى عشرة آلاف من المسلمين ، فسبَّعَتْ سليم ؛ وألَّفَتْ مُزَيْنة[1] وفى كلّ القبائل عدد وإسلام ؛ وأوعَبَ[2] مع رسول الله المهاجرون والأنصار ، فلم يتخلّف عنه منهم أحد ، فلما نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم مَرّ الظهران، وقد عُمِّيَت الأخبار عن قريش فلا يأتيهم خبرٌ عن رسول الله ؛ ولا يدرون ما هو فاعلٌ ؛ فخرج فى تلك الليلة أبو سفيان بن حرب وحَكيم بن حزام ، وبُدَيل بن ورْقاء ، يتحسسون الأخبار ؛ هل يجدون خبراً أو يسمعون به[3] !

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : وقد كان فيما حدّثنى محمد بن إسحاق، عن العباس بن عبد الله بن معبَد بن العباس بن عبد المطلب ؛ عن ابن عباس : وقد كان العباس بن عبد المطلب تلقّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق ؛ وقد كان أبو سُفيان بن الحارث وعبد الله بن أبى أميّة بن المغيرة قد لَقيا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بنِيق العُقَاب ؛ فيما بين مكة والمدينة ، فالتمس الدخولَ على رسولِ الله، فكلّمته أمُّ سلَمة فيهما ، فقالت : يا رسولَ الله، ابن عمك وابن عمّتك وصهرُك ، قال : لا حاجةَ لى بهما ، أما ابنُ عمّى فهتَك عِرْضى ؛ وأما ابنُ عمّى وصِهرى فهو الذى قال بمكة ما قال .

١٦٢٩/١ فلمّا خرج الخبر إليهما بذلك ؛ ومع أبى سفيان بُنَىٌّ له فقال : والله ليأذَنَنّ لِى أو لآخُذَنّ بيد بُنَىّ[4] هذا ؛ ثم لنذهبنّ فى الأرض ؛ حتى نموت عطشًا وجوعًا . فلما بلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رقّ لهما ؛ ثم أذن لهما ،

(١) سبعت سليم ؛ أى كانت سبعمائة ، وألفت مزينة ، أى كانت ألفا .

(٢) أوعب القوم : خرجوا كلهم للغزو .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٧ .

(٤) ابن هشام : « بيدى بنى هذا » .

فدخلا عليه ؛ فأسلما وأنشده أبو سفيان قوله فى إسلامه واعتذاره مما كان مَضَى منه :

لَعَمْرِىَ إِنِّى يومَ أحملُ رايةً ... لِتَغْلِبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ محمدِ
لَكالْمُدْلِجِ الحَيْرَانِ أظْلَمَ ليلُه ... فهذَا أَوَانِى حينَ أُهْدَى وأَهْتَدِى (١)
وَهادٍ هَدَانِى غَيْرَ نفسى وَنالنِى ... مع اللهِ مَنْ طَرَّدْتُ كلَّ مُطَرَّدِ
أَصُدُّ وَأَنْأَى جَاهِدًا عن محمدٍ (٢) ... وأُدْعى ولو لم أنتسبْ من محمّدِ
هُمُ ما هُمُ منْ لم يقل بهواهُمُ ... وَإِنْ كَانَ ذا رَأْىٍ يُلَمْ وَيُفَنَّدِ (٣)
أُرِيد لأَرْضِيهِمْ ولستُ بلائطٍ ... معَ القومِ مالم أُهْدَ فِى كلِّ مَقْعَدِ (٤)
فقل لثقيفٍ لَا أُريد قتالها ... وَقل لثقيفٍ تلك غَيْرِى أَوْعِدِى
وما كنتُ فِى الجيْشِ الَّذِى نالَ عامِراً ... وما كَانَ عن جَرَّى لسانِى ولا يدِى (٥)
قبائل جَاءتْ مِنْ بلَادٍ بعيدَةٍ ... نَزَائعُ جَاءتْ مِنْ سُهَامٍ وسُرْدَدِ

قال : فزعموا أنه حين (٦) أنشد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قوله : «ونالنى مع الله من طرّدتُ كلّ مُطَرَّدِ» ؛ ضَرَبَ النبى صلى الله عليه وسلم فى صدره ، ثم قال : أنت طرّدتنى كل مطرّد (٧) ! ١/١٦٣٠

وقال الواقدىّ : خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى مكّة ، فقائلٍ يقول : يريد قريشًا ، وقائل يقول : يريد هَوازن ، وقائل يقول : يريد ثقيفًا ؛ وبعث إلى القبائل فتخلّفت عنه ؛ ولم يعقد الألوية ولم ينشر الرّايات حتى قدم قُدَيْداً ، فلقيتْه بنو سُلَيم على الخيل والسلاح التامّ ؛ وقد كان عُيينة

(١) المدلج : الذى يسير ليلا .
(٢) ط : « جاهد » ، وما أثبته من ابن هشام .
(٣) يفند : يلام ويكذب .
(٤) اللائط : الملصق .
(٥) عن جرى ؛ من جراء .
(٦) س : « لما » .
(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

لحقَ رسول الله[١] بالعَرْج فى نفر من أصحابه ، ولحقه الأقرع بن حابس بالسُّقْيَا ، فقال عيينة : يا رسولَ الله ؛ والله ما أرى آلة الحرب ولا تهيئة الإحرام ، فأين تتوجّه[٢] يا رسول الله ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : حيث شاء[٣] الله . ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعمى عليهم الأخبار ؛ فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَرّ الظَّهْران ، ولقيه العباس بالسُّقيا ، ولقيه مخرمة بن نوفل بنِيق العُقاب .

* * *

فلما نزل مَرّ الظهران خرج أبُو سفيان بن حرب ومعه حَكيم بن حِزام .

فحدّثنا أبو كريب ، قال : أخبرَنا يُونس بنُ بكَير ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى حُسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكْرمة عن ابن عباس ، قال : لما نزلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ الظهران ، قال العباس بن عبد المطلب ، وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة : يا صباح قريش[٤]! والله لئن بَغَتها رسولُ الله فى بلادها ؛ فدخل مكة
١٦٣١/١ عَنْوة ؛ إنه لهلاكُ قريش آخر الدهر ! فجلس على بغلة رسول الله صلّى الله عليه وسلم البيضاء ، وقال : أخرُج إلى الأراك لعلّى أرى حَطّابًا أو صاحب لَبَن ؛ أو داخلاً يدخل مكة ؛ فيخبرهم بمكان رسول الله ؛ فيأتونه فيستأمنونه . فخرجت ؛ فوالله إنى لأطوف فى الأراك ألتمس ما خرجت له ؛ إذ سمعت صوت أبى سفيان بن حَرْب وحكيم بن حزام وبُديل بن ورقاء ، وقد خرجوا يتحسسون[٥] الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسمعتُ أبا سفيان وهو يقول : والله ما رأيت كاليوم قطّ نيرانًا ! فقال بُديل : هذه والله نيرانُ خُزاعة ، حَمَشَتْها[٦] الحرب ! فقال أبو سفيان : خُزاعة ألأم من ذلك وأذلّ ! فعرفت صوته ، فقلت :

(١) و : « برسول الله » .

(٢) و : « يتوجه رسول الله » .

(٣) س : « يشاء » .

(٤) يا صباح كذا ، ويا صباحاه ، مما يستعمل من الألفاظ عند الإنذار بالغارة .

(٥) الأغانى : « يتجسسون » .

(٦) حمش فلانا : هيجه .

يا أبا حنظلة ! فقال : أبو الفضل ! فقلت : نعم ، فقال : لبّيك فداك أبى وأمى ! فما وراءك ؟ فقلت : هذا رسول الله ورائى قد دَلَفَ [١] إليكم بما لا قِبَلَ لكم به بعشرة آلاف من المسلمين . قال : فما تأمرنى ؟ فقلت : تركب عَجُزَ هذه البغلة ، فأستأمن لك رسولَ الله ؛ فوالله لئن ظفر بك ليضربَنَّ عنقك ، فردفنى فخرجت به أركُض بغلةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم نحو رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فكلّما مررت بنارٍ من نيران المسلمين ونظروا إلىّ ، قالوا : عمُّ رسول الله على بَغْلةِ رسول الله ؛ حتى مررت بنار عمر بن الخطاب ، فقال أبو سفيان ! الحمد لله الذى أمكن منك بغير عَقْدٍ ولا عهد ! ثم اشتدّ نحو النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وركضت البغلة ، وقد أردفتُ [٢] أبا سفيان ؛ حتى اقتحمتُ على باب القبّة ، وسبقت ١٦٣٢/١
عمر بما تسبق به الدابة البطيئة الرجلَ البطيءَ ؛ فدخل عمر على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسولَ الله ، هذا أبو سفيان عدوّ الله ؛ قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد ؛ فدعْنِى أضرب عنقه ؛ فقلت : يا رسولَ الله ، إنّى قد أجرْتُه ! ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه ، فقلت : والله لا يناجيه اليومَ أحدٌ دونى ! فلمّا أكثر فيه عُمَر ، قلت : مهلا يا عمر ! فوالله ما تصنع هذا إلاّ لأنه رجل من بنى عبد مناف ؛ ولو كان من بنى عَدِىّ ابن كعب ما قلت هذا . فقال : مهلاً يا عباس ! فوالله لإسلامُك يومَ أسلمتَ كان أحبَّ إلىّ من إسلام الخطاب لو أسلم ! وذلك لأنى أعلمُ أنَّ إسلامَك كان أحبَّ إلى رسول الله من إسلام الخطاب لو أسلم ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اذهب فقد آمنّاه حتى تغدوَ به علىّ بالغداة . فرجع به إلى منزله ؛ فلمّا أصبح غدا به على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلمّا رآه قال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأنِ لك أن تعلمَ أن لا إله إلا الله ! فقال : بأبى أنت وأمّى ، ما أوصلك وأحلمك وأكرمك ! والله لقد ظننتُ أنْ لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنّى شيئًا ، فقال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأنِ لك أن تعلم أنّى

(١) دلف : مشى مشياً فوق الدبيب .

(٢) س : « وقد ردفت أبا سفيان حتى اقتحمت » .

رسول الله ! فقال : بأبى أنت وأمى ما أوصلك وأحلمك وأكرمك ! أمّا هذه فى النفس منها شىء ! فقال العباس : فقلت له ويلك ! تشهّدْ شهادة الحق قبل والله أن تُضرب عنقك ؛ قال : فتشهّد .

١٦٣٣/١ قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للعباس حين تشهّد أبو سفيان : انصرف يا عباس فاحبسه عند خَطْم[1] الجبل بمضيق الوادى ، حتى تمرّ عليه جنود الله ، فقلت له : يا رسولَ الله ، إنّ أبا سفيان رجلٌ يحبّ الفخر ، فاجعل له شيئًا يكون فى قومه . فقال : نَعَمْ ؛ مَنْ دخل دارَ أبى سفيان فهو آمِنٌ ، ومَنْ دخلَ المسجد فهو آمنٌ ، ومَنْ أغلق عليه بابه فهو آمنٌ . فخرجت حتى حبستُه عند خَطْم الجبل بمضيق الوادى ؛ فمرّت عليه القبائل ، فيقول : مَنْ هؤلاء يا عباس ؟ فأقول : سليْم ، فيقول : مالى ولسليْم ! فتمرّ به قبيلة ، فيقول : مَنْ هؤلاء ؟ فأقول : أسلم ، فيقول : مالى ولأسلَم ! وتمرّ جُهينة ، فيقول : مالى ولجهينة ! حتى مَرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الخضراء ؛ كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلّم من المهاجرين والأنصار فى الحديد ؛ لا يُرى منهم إلا الحَدَق ، فقال : مَنْ هؤلاء يا أبا الفضل ؟ فقلت : هذا رسول الله فى المهاجرين والأنصار ؛ فقال : يا أبا الفضل ، لقد أصبح مُلكُ ابن أخيك عظيمًا . فقلت : ويْحك إنها النبوّة ! فقال : نعم إذاً ، فقلتُ : الحق الآن بقومك فحذّرهم ؛ فخرج سريعًا حتى أتى مكة ، فصرخ فى المسجد : يا معشرَ قريش ، هذا محمد قد جاءكم بما لا قِبَلَ لكم به ! قالوا : فمَهْ ! فقال : مَنْ دخل دارى فهو آمن ، فقالوا : ويحك ! وما تُغنى عنّا دارك ! فقال : ومَنْ دخل المسجد فهو آمن ، ومَنْ أغلق عليه بابه فهو آمن[2] .

١٦٣٤/١ حدّثنى عبدُ الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : حدّثنى

(١) خطم الجبل : أنفه ؛ أى مقدمه ، وفى س : « حطم » بالحاء ؛ وهو موضع ضيق تتزاحم فيه الخيل حتى يحطم بعضها بعضا .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، والأغانى ٦ : ٣٥٢ — ٣٥٤ ، (طبعة دار الكتب) .

أبى ، قال : حدّثنا ، أبان العطّار قال : حدّثنا هِشام بن عروة ، عن عُرْوة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان: أمّا بعد، فإنك كتبت إلىّ تسألنى عن خالد بن الوليد : هل أغار يوم الفتح؟ وبأمر مَنْ أغار؟ وإنه كان من شأن خالد يوم الفتح أنه كان مع النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فلما ركب النبىّ بطنَ مَرّ عامِداً إلى مكة ، وقد كانت قريش بعثوا أبا سفيان وحكيم بن حزام يتلقّيان رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم؛ وهم حين بعثوهما لا يدرون أين يتوجّه[1] النبىّ صلى الله عليه وسلم! إليهم أو إلى الطائف! وذاك أيام الفتح ؛ واستتبع أبو سفيان وحكيم بن حزام بُدَيْلَ بن ورقاء، وأحبّا أن يصحبهما، ولم يكن غير أبى سفيان وحكيم بن حزام وبُدَيل ؛ وقالوا لهم حين بعثوهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا نؤْتَيَنّ من ورائكم ، فإنا لا ندرى مَنْ يريد محمد ! إيّانا يريد ، أو هوازن يريد ، أو ثقيفًا ! وكان بين النبىّ صلى الله عليه وسلم وبين قريش صُلْح يوم الحديبية وعَهْد ومدّة ، فكانت بنو بكر فى ذلك الصلح مع قريش ، فاقتتلتْ طائفة من بنى كَعب وطائفة من بنى بكْر ؛ وكان بين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبين قريش فى ذلك الصّلح الذى اصطلحوا عليه: « لا إغلال ولا إسلال »، فأعانت قريش بنى بكر بالسلاح ، فاتّهمت بنو كعب قريشًا، فمنها غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَ مكة ؛ وفى غزوته تلك لقى أبا سفيان وحكيمًا وبُدَيْلا بمَرّ الظهْران ؛ ولم يشعروا أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نزل مَرّ ، حتى طلعوا ١٦٣٥/١
عليه ، فلما رأوْه بمَرّ ، دخل عليه أبو سفيان وبُدَيل وحكيم بمنزله بمَرّ الظّهران فبايعوه ، فلمّا بايعوه بعثَهم بين يديه إلى قريش ، يدعوهم إلى الإسلام ، فأخبِرتُ أنه قال : مَنْ دخل دار أبى سفيان فهو آمن — وهى بأعلى مكة — ومن دخلَ دارَ حكيم — وهى بأسفل مكة — فهو آمن ، ومن أغلق بابه وكَفّ يده فهو آمن .

وإنّه لما خرج أبو سفيان وحكيم من عند النبىّ صلّى الله عليه وسلّم عامديْن إلى مكة، بعث فى أثرهما الزُّبير وأعطاه رايته، وأمّره على خيل المهاجرين والأنصار

(١) س : « توجه » .

وأمَره أن يغرِز رايته بأعلى مكة بالحَجُون ؛ وقال للزُّبير : لا تبرحْ حيث أمرتُك أن تغرِز رايتى حتى آتِيَك ؛ ومن ثمّ دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وأمر خالد بن الوليد — فيمن كان أسلم من قُضاعة وبنى سليم وأناس، إنما أسلموا قُبَيْل ذلك — أن يدخل من أسفَل مكة ، وبها بنو بكر قد استنفرتهم قريش، وبنو الحارث بن عبد مناة ومَنْ كان من الأحابيش أمرتْهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة ، فدخل عليهم خالد بن الوليد من أسفل مكة .

وحُدِّثت أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم قال لخالد والزبير حين بعثهما : لا تقاتِلا إلاّ مَنْ قاتلكما ؛ فلمّا قدم خالد على بنى بكْر والأحابيشُ بأسفل مكة، قاتلهم فهزمهم الله عزّ وجلّ، ولم يكن بمكّة قتال غير ذلك؛ غير أنّ كُرْز بن جابر أحد بنى محارب بن فِهْر وابن الأشعر — رجلا من بنى كعب — كانا فى خيل الزبير فسلكا كَدَاء ، ولم يسلُكا طريق الزّبير الذى سلك ، ١٦٣٦/١
الذى أمِر به[1] . فقدما على كتيبة من قريش مهبط كَداء فقُتِلا ؛ ولم يكن بأعلى مكة من قِبَلِ الزبير قتال ؛ ومن ثمّ قدم النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وقام الناس إليه يبايعونه ؛ فأسلم أهلُ مكّة ، وأقام النبىّ صلى الله عليه وسلم عندهم نصف شهر ، لم يزد على ذلك ، حتى جاءت هَوازن وثَقيف فنزلوا بحُنَيْن .

وحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نَجِيح ، أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم حين فرّق جيشه مِنْ ذى طُوًى، أمر الزبير أن يدخل فى بعض الناس من كُدًى ؛ وكان الزبير على المُجنِّبَة اليسرى ، فأمر سعد بن عبادة أن يدخُل فى بعض الناس من كَدَاء. فزعم بعضُ أهل العلم أن سعدًا قال حين وجه داخلاً : « اليوم يوم المَلحَمَه ، اليوم تُستَحَلُّ الحُرْمَه » . فسمعها رجلٌ من المهاجرين ، فقال : يا رسولَ الله ، اسمع ما قال سعد بن عبادة ، وما نأمن أن تكون له فى قريش صَوْلَةٌ ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعلىّ بن أبى طالب : أدركْه فخُذ الراية ، فكن أنتَ الذى تدخُل بها[2] .

(١) : « أمره » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٠ ، ٢٧١ .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نَجِيح فى حديثه ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمر خالد بن الوليد ، فدخل من اللِّيط أسفلَ مكة ، فى بعض الناس ؛ وكان خالد ١٦٣٧/١
على المجنِّبَة اليمنى ، وفيها أسلم وغِفَار ومُزَيْنة وجهينة وقبائل من قبائل العرب ؛ وأقبل أبو عبيدة بن الجرّاح بالصَّفّ من المسلمين ينصبُّ لمكة بين يدى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من أذَاخِر ؛ حتى نزل بأعلى مكة ، وضُرِبَتْ هنالك قبَّتُه(١).

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نَجِيح وعبد الله بن أبى بكر ، أنّ صفوان بن أميّة ، وعِكْرِمة ابن أبى جَهْل ، وسُهيل بن عمرو ، وكانوا قد جمعوا أناسًا بالخندمة ليقاتلوا ؛ وقد كان حِمَاسُ بن قيس بن خالد أخو بنى بكر يُعِدُّ سلاحًا قبل أن يدخل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مكة ويُصلح منها ، فقالت له امرأته : لِمَاذا تعِدّ ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه ، فقالت : والله ما أظنّ يقوم لمحمد وأصحابه شىء ، قال : والله إنى لأرجو أن أُخْدِمَك بعضَهم ، فقال :

إنْ تُقبلوا اليومَ فمالى عِلّهْ هٰذَا سِلَاحٌ كامل وأَلّهْ(٢)
* وذُو غِرارَيْنِ سريعُ السَّلّهْ(٣) *

ثم شهد الخَنْدمة مع صفوان وسهيل بن عمرو وعكرمة ، فلمّا لقيَهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد نَاوَشُوهم شيئًا من قتال ، فقُتِل كُرْزُ ابن جابر بن حِسْل بن الأجَبّ بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن ١٦٣٨/١
فهر ، وحُبَيْش بن خالد ، وهو الأشعر بن ربيعة بن أصرم بن ضَبِيس

(١) ابن هشام : « ثم قال » .
(٢) الألة : الحربة لها سنان طويل .
(٣) ذو غرارين : ذو حدين .

ابن حرام بن حبيشية بن كعب بن عمرو ؛ حليف بنى منقذ — وكانا فى خيل خالدبن الوليد ، فشذّا عنه ، وسلكا طريقًا غير طريقه ، فقتلا جميعًا — قُتل خُنيس قبل كُرْز بن جابر ؛ فجعله كرز بين رجليه ؛ ثم قاتل حتى قُتِل وهو يرتجز ، ويقول :

قد علمتْ صفراء من بنى فِهرْ[1] نَقِيَّةُ الوَجْهِ نَقِيَّةُ الصَّدرْ
* لأضْربنَّ اليومَ عن أبِي صَخرْ *

وكان خُنيس يكنى بأبى صَخْر ؛ وأصيب من جُهينةَ سلَمة بن الميْلاء من خيل خالد بن الوليد ، وأصيب من المشركين أناسٌ قريب من اثنى عشر أو ثلاثة عشر . ثم انهزموا ، فخرج حِمَاس منهزمًا ؛ حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : أغلقى علىّ بابى ، قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

١٦٣٩/١ إنك لو شهدتِ يوم الخَنْدَمَهْ إذْ فرَّ صفوان وفرَّ عِكْرِمَهْ
وابو يزيدَ قائمٌ كالمؤتمهْ[2] وٱستقْبَلتْهُم بالسيوفِ المُسْلِمَهْ
يَقْطَعْنَ كلَّ ساعِدٍ وجُمْجُمَهْ ضَرْبًا فَلاَ تُسْمَعُ إلاَّ غَمْغَمَهْ[3]
لهم نَهِيتٌ خَلْفَنَا وهَمْهَمَهْ[4] لم تَنْطِقِى فى اللَّوْمِ أدْنَى كَلِمَهْ[5]

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وكانَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قد عهِد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة ؛ ألاّ يقتلوا أحداً إلاّ من قاتلهم ؛ إلا أنه قد عهد فى نَفَر سمّاهم ؛ أمر بقتلهم وإن وُجدوا تحت أستار الكعبة ؛ منهم عبد الله بن سعد

(١) قال السهيلى : « أشار بقوله : « صفراء » ، إلى صفرة الخلوق » .
(٢) قوله : « وابو يزيد » ، بقلب الهمزة من « أبو » ألفا ساكنة ؛ وهو سهيل بن عمرو خطيب قريش . المؤتمة : المرأة التى لها أيتام ؛ والأعرف فيها مؤتم مثل مطفل . وفى ط : « كالمأتمة » ، والصواب ما أثبته من ابن هشام . وانظر الروض الأنف .
(٣) الغمغمة : أصوات غير مفهومة لاختلاطها .
(٤) النهيت : صوت فى الصدر ، والهمهمة مثله .
(٥) الخبر والرجز فى ابن هشام ٢ : ٢٧٢ .

ابن أبي سَرْح بن حُبَيْب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ابن لؤيّ — وإنما أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقتله، لأنه كان قد أسلم فارتدّ مشركًا ، ففرّ إلى عُثْمانَ ، وكان أخاه من الرضاعة ، فغيّبه حتى أتى به رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بعد أن اطمأنّ أهلُ مكة، فاستأمن له رسول الله ، فذُكِر أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صَمَتَ طويلاً ، ثم قال : نعم ؛ ١٦٤٠/١
فلمّا انصرف به عثمان ، قال رسول الله لمن حولَه من أصحابه: أما والله لقد صمتّ ليقومَ إليه بعضُكم فيضرب عنقه ! فقال رجلٌ من الأنصار : فهلاّ أومأتَ إليّ يا رسول الله ! قال: إن النبيّ لا يقتُل بالإشارة — وعبد الله بن خَطَل، رجلٌ من بنى تيم بن غالب — وإنما أمر بقتله لأنه كان مسلمًا ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدّقًا[1] ، وبعث معه رجلاً من الأنصار ؛ وكان معه مولًى له يخدُمُه، وكان مسلمًا ، فنزل منزلا ، وأمر المولى أن يذبح له تيْسًا ، ويصنع له طعامًا ، ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئًا ، فعدا عليه فقتله ، ثم ارتدّ مشركًا ؛ وكانت له قينتان : فرتنى وأخرى[2] معها ، وكانتا تغنّيان بهجاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فأمر بقتلهما معه — والحويرث بن نُقَيْذ بن وهب بن عبد بن قصيّ، وكان ممن يؤذيه بمكة، ومقيَس بن صُبَابة — وإنما أمر بقتلِه لقتلِه الأنصاريَّ الذى كان قتل أخاه خطأ ، ورجوعه إلى قريش مرتدًّا — وعكرمة بن أبي جهل، وسارة مولاة كانت لبعض بنى عبد المطلب؛ وكانت ممن يُؤذيه بمكة . فأما عِكْرمة بن أبي جهل فهرَب إلى اليمن ؛ وأسلمت امرأته أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام، فاستأمنت له رسولَ الله فأمّنه؛ فخرجت فى طلبه حتى أتتْ به رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فكان عِكْرمة يحدّث — فيما يذكرون — أنّ الّذى ردّه إلى الإسلام بعد خروجه إلى اليمن أنه كان يقول : أردت ركوبَ البحر لألحقَ بالحبشة ، فلما أتيتُ السفينة لأركبها ١٦٤١/١
قال صاحبها: يا عبد الله ، لا تركب سفينتى حتى تُوَحّدَ اللهَ ، وتخلع ما دونه من الأنداد ، فإنى أخشى إن لم تفعل أن نهلِك فيها ، فقلت: وما يركبه أحدٌ

(١) مصدقا : جامعا للصدقات .

(٢) ابن هشام : « وصاحبتها » .

حتى يوحّد الله ويخلع ما دونه ! قال : نعم ؛ لا يركبه أحدٌ إلاّ أخلص . قال : فقلت : فهم أفارق محمداً ! فهذا الذى جاءنا به ، فوالله إنّ إلهنا فى البحر لإلهنا فى البرّ ؛ فعرفت الإسلام عند ذلك ، ودخل فى قلبى . وأما عبد الله ابن خَطَل ، فقتله سعيد بن حريث المخزومىّ وأبو برزة الأسلمىّ ، اشتركا فى دمه ، وأما مقيَس بن صُبابة فقتله نُمَيْلَةُ بن عبد الله ، رجل من قومه ، فقالت أخت مِقيَس :

لَعَمْرِىْ لَقَدْ أَخزى نُمَيْلَةُ رهْطَهُ ... وفَجَّعَ أَضياقَ الشِّتَاءِ بِمِقيَسِ
فَلله عَيْنَا مَن رأى مثلَ مِقْيَسٍ ... إذَا النَّفَسَاءأصبَحَتْ لَمْ تُخَرَّسِ[1]!

وأما قينتَا ابن خَطَل فقتلت إحداهما ، وهربت الأخرى حتى استؤمِن لها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد ، فأمّنها . وأما سارَة ، فاستؤمِنَ لها فأمنها ، ثم بقيت حتى أوطأها رجلٌ من الناس فرسًا له فى زمن عمر بن الخطاب بالأبطح ، فقتلها . وأما الحويرث بن نُقَيْذ ، فقتله علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه[2] .

١٦٤٢/١ وقال الواقدىّ : أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقتل ستة نفر وأربع نسوة ، فذكر من الرجال مَنْ سمّاه ابن إسحاق ، ومن النساء هند بنت عُتْبة ابن ربيعة ، فأسلمت وبايعت ، وسارَة مولاة عمرو بن هاشم بن عبد المطلب ابن عبد مناف ، قتلت يومئذ ، وقُرَيبَة ؛ قتلت يومئذ ، وفَرتنَى عاشت إلى خلافة عثمان .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمر بن موسى ابن الوجيه ، عن قتادة السَّدوسىّ ، أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قام قائمًا حين وقف على باب الكعبة ، ثم قال : لا إله إلا الله وحدَه ، لا شريك له ،

(١) لم تخرس : لم يصنع لها طعام عند ولادتها ، واسم ذلك الطعام : خرس وخرسة ، بضم الخاء ؛ وإنما أرادت به زمن الشدة .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٣ .

صَدَقَ وعدَه، ونصر عبدَه، وهزم الأحزاب وحدَه. ألا كلّ مأثرة[١]، أو دم، أو مال يُدَّعى، فهو تحت قدميّ هاتين إلا سدانة[٢] البيت وسقاية الحاجّ. ألا وقتيلُ الخطإ مثل[٣] العمد، السوط[٤] والعصا، فيهما الدية مغلّظة [مائة من الإبل][٥]، منها أربعون في بطونها أولادها.

يا معشر قريش، إنّ الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظّمها بالآباء. الناس من آدم، وآدم خلق من تراب. ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ....﴾[٦] الآية.

يا معشر قريش، ويا أهل مكة، ما ترَوْن أني فاعلٌ بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريمٌ وابن أخ كريم. ثم قال: اذهبوا فأنتم الطُّلَقاء[٧].

فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان الله أمكنه من رقابهم عَنْوة، ١٦٤٣/١
وكانوا له فيئاً، فبذلك يسمَّى أهل مكة الطلقاء. ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام، فجلس لهم — فيما بلغني — على الصَّفا وعمر بن الخطاب تحت رسول الله أسفلَ من مجلسه يأخذ على الناس. فبايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة لله ولرسوله — فيما استطاعوا — وكذلك كانت بيعتُه لمن بايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من الناس على الإسلام. فلما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من بيعة الرّجال بايعَ النساء، واجتمع إليه نساءٌ من نساء قريش؛ فيهن هند بنت عُتْبة، متنقّبة متنكّرة لحدَثها وما كان من صنيعها بحمزة[٨]، فهي تخاف أن يأخذَها رسولُ الله صلى الله

(١) المأثرة: الخصلة التي تتوارث ويتحدث بها الناس.
(٢) سدانة البيت: خدمته
(٣) ابن هشام: «شبه».
(٤) ابن هشام: «بالسوط والعصا».
(٥) من ابن هشام.
(٦) سورة الحجرات ١٣.
(٧) الخبر إلى هنا في ابن هشام ٢: ٢٧٤.
(٨) س: «لحمزة».

عليه وسلم بحدّثها ذلك ، فلما دنونَ منه ليبايعنَه قال ، رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى —: تبايعْننِى على ألاّ تشركْن بالله شيئًا ! فقالت هند: والله إنّك لتأخذعلينا أمرًا ما تأخذه على الرّجال وسنؤتيكه ، قال: ولاتسرقْنَ ، قالت : والله إن كنتُ لأصيب من مال أبى سفيان الهَنَة والهنَة ، وما أدرى أكان ذلك حِلاًّلِى أم لا ! فقال أبو سفيان — وكان شاهداً لما تقول : أمّا ما أصبتِ فيما مضى فأنت منه فى حِلٍّ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وإنّكِ لهند بنت عتبة ! فقالت : أنا هند بنت عتبة ، فاعفُ عمّا سلف عفا الله عنك ! قال : ولاتزنينَ ، قالت : يا رسولَ الله ، هل تزنى الحرّة ! قال : ولاتقتلْنَ أولادَكُنّ ، قالت : قد ربّيْناهم صغاراً، وقتلتَهم يوم بدر كباراً ، فأنت وهم أعلم ! فضحك عمر بن الخطاب من قولها حتى استغرَب[1]. ١٦٤٤/١
قال : ولاتأتينَ ببهتان تفترينَه بين أيديكُنّ وأرجلكُنّ ، قالت : والله إنّ إتيان البهتان لقبيح ؛ ولبعض التجاوز أمثل . قال : ولا تعصينَنى فى معروف ، قالت: ما جلسنا هذا المجلسَ ونحن نريد أن نعصيكَ فى معروف ، فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعمر : بايعهنّ واستغْفر لهنّ رسولَ الله ، فبايعهنّ عُمر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُصَافِحُ النساء ، ولا يمسّ امرأة ولا تمسُّه إلاّ امرأة أحلّها الله له ، أوذات مَحْرَمٍ منه .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبان ابن صالح ، أنّ بيعة النساء قد كانت على نحوِيْن — فيما أخبره بعض أهل العلم — كان يوضَع بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم إناء فيه ماء ، فإذا أخذ عليهنّ وأعطيْنَه غمسَ يدَه فى الإناء ، ثم أخرجها ، فغمس النساءُ أيديهنّ فيه . ثم كان بعد ذلك يأخذ عليهنّ ، فإذا أعطينَه ما شرط عليهنّ ، قال : اذهبْنَ فقد بايعتُكنّ ، لا يزيد على ذلك .

* * *

قال الواقدىّ : فيها قتل خِرَاشُ بن أميّة الكعبىّ جُنَيْدبَ بن الأدْلع

(١) استغرب ، معلوماً ، ومجهولا : بالغ فى الضحك .

الهُذَلِيّ — وقال ابن إسحاق: ابن الأثْوَع الهذلىّ — وإنما قتله بذَحْل، كان فى الجاهليّة، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم: إنّ خراشًا قَتّال؛ إن خراشًا قتّال! يَعِيبُه بذلك، فأمر النبىّ صلى الله عليه وسلم خُزَاعَةَ أن يَدُوه.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير — قال محمد بن إسحاق: ولا أعلمه إلاّ وقد حدّثنى عن عروة بن الزبير — قال: خرج صَفْوان بن أميّة يريد جُدّة، ليركب ١/١٦٤٥ منها إلى اليمن[1]، فقال عُمير بن وهب، يا نبىّ الله، إنّ صفوان بن أميّة سيّد قومه، وقد خرج هاربًا منك ليقذف نفسه فى البحر؛ فأمِّنْه صلّى الله عليك! قال: هو آمِنٌ، قال: يا رسول الله، أعطِنى شيئًا يعرف به أمانك؛ فأعطاه عِمامته التى دخل فيها مكة؛ فخرج بها عُمير حتى أدركه بجُدّة، وهو يريد أن يركب البحر، فقال: ياصفوان، فِداك أبى وأمى! أذكّرك اللهَ فى نفسك أن تُهْلِكَها! فهذا أمانٌ من رسول الله قد جئتك به، قال: ويلك! اغرُبْ عنّى فلا تكلّمنى! قال: أىْ صفوان! فداك أبى وأمّى! أفضلُ الناس، وأبرّ الناس، وأحلمُ الناسُ، وخيرُ الناس، ابن عمّتك، عِزُّه عِزّك، وشرفه شرفك، ومُلْكه ملكك! قال: إنّى أخافه على نفسى، قال: هو أحلَمُ من ذلك وأكرمُ؛ فرجع به معه، حتى قدِم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال صَفْوان: إنّ هذا زعم أنك قد أمَّنتنى، قال: صدق، قال: فاجعلنى فى أمرى بالخيار شهريْن، قال: أنت فيه بالخيار أربعة أشهر[2].

حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، عن الزّهرى، أنّ أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام وفاختَةَ بنت الوليد — وكانت فاختة عند صفوان بن أميّة، وأمّ حكيم عند عكْرمة بن أبى جهل — أسلمتا، ١/١٦٤٦ فأمّا أمّ حكيم فاستأمنت رسولَ الله لعكْرمة بن أبى جهل، فآمنَه، فلحقت به باليمن، فجاءَتْ به؛ فلمّا أسلم عكْرمة وصفوان، أقرّهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عندهما على النّكاح الأول[3].

(١) س: «البحر».
(٢) سيرة ابن هشام ٢: ٢٧٦.
(٣) سيرة ابن هشام ٢: ٢٧٨.

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ؛ لما دخلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكّة هرب هبَيْرَةُ بن أبى وهب المخزومىّ وعبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمى إلى نَجْران .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصارىّ ؛ قال : رمَى حسّانُ عبدَ الله بن الزِّبَعْرى وهو بنجْران ببيت واحد ، ما زاده[1] عليه :

لاتَعْدَمَنْ رجلا أَحَلَّكَ بُغْضُهُ نَجْرانَ فى عَيْشٍ أَحَذَّ لئِيمِ[2]

فلما بلغ ذلك ابنَ الزِّبعَرى ، رجع إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال حين أسلم :

يا رسولَ المليكِ إنَّ لسانِى راتِقٌ ما فَتَقْتُ إذ أنا بُورُ[3]
إذْ أُبارِى الشيطانَ فى سنَنِ الغَيِّ ومَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ[4]
آمَنَ اللَّحْمُ والعِظَامُ لرَبِّى ثم نفسى الشهيدُ أنتَ النَّذِيرُ
إنّنى عنكَ زاجِرٌ ثَمَّ حَىٌّ[5] من لؤَىٍّ فكُلُّهم مَغْرُورُ ١٦٤٧/١

وأما هُبيرة بن أبى وَهْب ، فأقام بها كافراً ، وقد قال حين بلغه إسلامُ أمّ هانئ بنت أبى طالب وكانت تحته ، واسمها هند :

أشَاقَتْكَ هِنْدٌ أم نَاكَ سؤَالُها كَذَاكَ النَّوَى أسبابُها وانفتالُها[6]

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وكان جميعُ مَنْ شهد فتح مكّة من المسلمين عشرة آلاف ؛ من بنى غِفار أربعمائة ، ومن أسلم أربعمائة ، ومِن مُزينة ألف وثلاثة نَفر ، ومن بنى سُلَيْم

(١) س : « زاد » .
(٢) عيش أحذ : قليل منقطع .
(٣) بور : هالك .
(٤) ابن هشام : « سنن الغى » ، والسنن : وسط الطريق . ومثبور : هالك .
(٥) كذا فى ابن هشام : وفى ط « إننى عنك ناهى . . . » .
(٦) فى أبيات ذكرها ابن هشام مع الخبر فى السيرة ٢ : ٢٧٩ .

سبعمائة ، ومن جُهينة ألف وأربعمائة رجل ؛ وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من بنى تميم وقيس وأسد[١] .

* * *

قال الواقدىّ : فى هذه السنة تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مليكة بنت داود الليْثِيّة ، فجاء إليها بعضُ أزواج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقالت لها : ألا تستَبْحيين حين تزوّجين رجُلا قتل أباك ! فاستعاذت منه ؛ وكانت جميلة ، وكانت حدثة ، ففارقها رسول الله ؛ وكان قتل أباها يوم فتح مكة .

* * *

قال : وفيها هدم خالد بن الوليد العُزّى ببطن نَخْلة ، لخمس ليال بقِينَ ١٦٤٨/١
من رمضان ؛ وهو صنمٌ لبنى شيبان ؛ بطن من سليم حلفاء بنى هاشم ، وبنو أسد بن عبد العزّى ، يقولون : هذا صَنمنا ، فخرج إليه خالد ، فقال : قد هدمته ، قال : أرأيتَ شيئًا ؟ قال : لا ، قال : فارجع فاهدمْه ، فرجع خالد إلى الصنم فهدم بيتَه ، وكسر الصنم ، فجعل السادنُ يقول : أعُزّى اغضَبِى بعض غضباتك ! فخرجت عليه امرأة حبشيّة عريانةٌ مُوَلْوِلَة ، فقتلها وأخذ ما فيها من حلية ، ثم أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بذلك ، فقال : تلك العزّى ، ولا تعبدُ العُزّى أبداً .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العُزّى — وكانت بنخلة ، وكانت بيتًا يعظّمه هذا الحىّ من قريش وكنانة ومُضر كلّها ؛ وكانت سَدَنَتُها من بنى شيبان ، من بنى سُلَيم حلفاء بنى هاشم — فلما سمع صاحبها بمسير خالد إليها ، علّق عليها سيفَه ، وأسند[٢] فى الجبل الذى هى إليه فأصعد فيه ، وهو يقول :

أَيا عَزَّ شُدِّى شَدَّةً لا شَوَى لها ... على خَالِدٍ أَلْقِى القِناعَ وشَمِّرِى[٣]

ويا عُزَّ إن لم تَقْتُلِى اليومَ خَالِداً ... فَبُوئى بإِثْمٍ عَاجِلٍ أوتنصَّرِى[٤]

(١) ابن هشام ٢ : ٢٨٩ .
(٢) أسند فى الجبل : ارتفع فيه .
(٣) لا شوى لها ؛ أى لا تبقى على شىء .
(٤) بوئى : ارجعى .

فلما انتهى إليها خالد هدمها، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١)

* * *

قال الواقدىّ: وفيها هُدِم سُواع؛ وكان برُهاط لهذيل، وكان حَجَرًا؛
١٦٤٩/١ وكان الذى هدَمه عمرو بن العاص لما انتهى إلى الصّنم، قال له السّادن: ما تريد؟ قال: هَدْم سُواع، قال: لا تطيق تهدمُه، قال له عمرو بن العاص: أنتَ فى الباطل بعد! فهدمه عمرو، ولم يجد فى خزانته شيئًا، ثم قال عمرو للسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمت والله.

وفيها هدم مناة بالمشلّل، هدمه سعد بن زيد الأشهلىُّ، وكان للأوس والخزرج.

* * *

[مسير خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة بن مالك]

وفيها كانت غزوة خالد بن الوليد بنى جَذِيمة، وكان من أمره وأمرهم ما حدّثنا به ابن حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، قال: قد كانَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بعث فيما حول مكة السرايا تدعو إلى الله عزّ وجلّ؛ ولم يأمرهم بقتال؛ وكان ممّن بعث خالد بن الوليد، وأمره أن يسير بأسفل تِهامة داعيًا، ولم يبعثه مقاتِلاً؛ فوطئ بنى جذيمة، فأصاب منهم.

حدّثنا ابن حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمّد بن إسحاق، عن حكيم بن حكيم بن عبّاد بن حُنَيف، عن أبى جعفر محمد بن على بن حسين، قال: بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حين افتتح مكة خالدَ بن الوليد داعيًا ولم يبعثه مقاتلا، ومعه قبائل من العرب: سُلَيم ومُدْلِج، وقبائل من غيرهم؛ فلمّا نزلوا على الغُمَيْصاء — وهى ماء من مياه بنى جَذِيمة بن عامر بن عبد مناة
١٦٥٠/١ ابن كنانة — على جماعتهم، وكانت بنو جذيمة قد أصابوا فى الجاهلية عَوْف بن عبد عوف أبا عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة — وكانا أقبلا تاجرين من اليمن — حتى إذا نزلا بهم قتلوهما؛ وأخذوا أموالهما، فلمّا كان الإسلام، وبعث

(١) سيرة بن هشام ٢ : ٢٨٦ .

رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم خالدَ بن الوليد ، سار حتى نزل ذلك الماء ؛ فلمّا رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال لهم خالد : ضعوا السلاح ، فإنّ الناس قد أسلموا(١) .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثني بعضُ أهل العلم ، عن رجل من بني جُذيمة ، قال : لما أمرّنا خالدٌ بوضع السّلاح ، قال رجل منّا يقال له جَحْدَم : ويلكم يا بني جذيمة! إنّه خالد! والله ما بعد وضع السلاح إلا الإسار ، ثمّ ما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق ؛ والله لا أضع سلاحي أبدًا . قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : يا جحدم ؛ أتريد أن تسفك دماءنا ! إنّ الناس قد أسلموا ، ووضعت الحرب ، وأمِن الناس ؛ فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد ؛ فلما وضعوه أمر بهم خالد عند ذلك فكُتِفُوا ، ثم عرضهم على السيف ، فقتل مَنْ قَتَل منهم . فلما انتهى الخبرُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السّماء ، ثم قال : اللهمّ إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد !

ثم دعا عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : يا عليّ اخرج إلى هؤلاء القوم ؛ فانظر في أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميْك . فخرج حتى جاءهم ومعه مالٌ قد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم به ، فودَى لهم الدماء ١٦٥١/١
وما أصيب من الأموال ؛ حتى إنه ليَدِي ميلغةَ (٢) الكلب ؛ حتى إذا لم يبقَ شيء من دم ولا مال إلاّ وَدَاه ، بقيتْ معه بقيّة من المال . فقال لهم عليٌّ عليه السلام حين فرغ منهم : هل بقيَ لكم دم أو مال لم يودَ إليكم ؟ قالوا : لا ، قال : فإنّي أعطيكم هذه البقيّة من هذا المال احتياطاً لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ممّا لا يعلم ولا تعلمون . ففعل ، ثمّ رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فقال : أصبت وأحسنت . ثم قامَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فاستقبل القبلة قائمًا شاهرًا يديه ؛ حتى إنه ليُرى بياضُ

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٤ .

(٢) الميلغة : شيء يحفر من خشب ويجعل ليلغ فيه الكلب ، يكون عند أصحاب الغنم وأهل البادية .

ما تحت منكبيه ؛ وهو يقول : اللهمّ إنّى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ، ثلاث مرات !

قال ابن إسحاق : وقد قال بعض مَنْ يَعْذِرُ خالداً : إنه قال : ما قاتلت حتى أمرنى بذلك عبد الله بن حُذافة السهمىّ ، وقال : إنّ رسولَ الله قد أمرك بقتلهم لامتناعهم من الإسلام ، وقد كان جَحْدم قال لهم حين وضعوا سلاحهم ، ورأى ما يصنع خالد ببنى جذيمة : يا بنى جذيمة ، ضاع الضّرب ، قد كنت حذّرتكم ما وقعتم فيه [1] !

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدّثنى عبد الله بن أبى سلَمة ، قال : كان بين خالد بن الوليد وبين عبدالرحمن ابن عوف — فيما بلغنى — كلام فى ذلك ، فقال له : عملت بأمر الجاهليّة فى الإسلام ! فقال : إنّما ثأرت بأبيك ، فقال عبد الرحمن بن عوف : كذبت ! قد قتلتُ قاتل أبى ، ولكنك إنما ثأرت بعمّك الفاكه بن المغيرة ؛ حتى كان بينهما شىء[2] ، فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مهلا يا خالد ! دع عنك أصحابى ؛ فوالله لو كان لك أحُدٌ ذهبًا ثم أنفقتَه فى سبيل الله ؛ ما أدركت غَدْوةَ رجل من أصحابى ولا رَوْحته[3] . ١٦٥٢/١

حدّثنا سعيد بن يحيى الأموىّ ، قال : حدّثنا أبى . وحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ؛ جميعًا عن ابن إسحاق ، عن يعقوب بن عُتْبة بن المغيرة بن الأخنس بن شَريق ، عن ابن شهاب الزهرىّ ، عن ابن عبد الله بن أبى حَدْرَد الأسلمىّ ، عن أبيه عبد الله بن أبى حَدْرد ، قال : كنتُ يومئذ فى خَيْل خالد ، فقال لى فتى منهم — وهو فى السبى ؛ وقد جُمِعت يداه إلى عنقه برُمّة[4] ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يا فتى ! قلت : نعم ؛ قال : هل أنتَ آخذٌ بهذه الرُّمة فقائدى بها إلى هؤلاء النسوة ، حتى أقضىَ

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٤ .
(٢) ابن هشام : « شرّ » .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٤ .
(٤) الرمة : الحبل البالى .

إليهنّ حاجة ، ثم تَرُدّنى بعد ، فتصنعوا بى ما بدا لكم؟ قال: قلت : والله لَيسيرٌ ما سألت ، فأخذت بِرُتَّتِه فقدْتُه بها حتى أوقفته عليهنّ ، فقال : اسلمى حُبَيش[1] ، على نَفَد العيش[2]:

أرَيْتَكِ إذْ طالَبْتكم فوَجَدْتُكُم ... بَجَلْيَةَ أو أَلْفَيتَكُمْ بالخوَانِقِ! ١٦٥٣/١
ألم يَكُ حَقًّا أن يُنَوَّلَ عاشِقٌ ... تَكَلَّفَ إدْلاجَ السُّرى والوَدَائِقِ[3]!
فلا ذَنْبَ لى قد قُلْتُ إذْ أَهْلُنا معاً ... أثيبى بوُدٍّ قَبْلَ إحْدَى الصَّفَائِقِ![4]
أثيبى بوُدٍّ قبل أن تَشْحَط النَّوَى ... ويَنْأَى الأمِيرُ بالحبيب المفارِقِ[5]
فإنِّىَ لاسِرًّا لَدَىَّ أَضَعْتُه ... ولا راق عَيْنى بعد وَجهِك رائِقِ
عَلَى أنَّ ما نابَ العَشِيرَةَ شَاغِلٌ ... ولا ذِكْرَ إلاَّ أن يكون لوامِقِ

قالت : وأنت فحُيِّيتَ عشراً، وسبْعًا وِتْراً، وثمانيًا تَتْرى[6]! ثم انصرفتُ به ، فقدِّم فضُربت عنقه .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبى فِراس بن أبى سُنْبُلة الأسلمىّ؛ عن أشياخ منهم ، عمّن كان حضرها ، قالوا: قامت إليه حين ضُربت عنقه ، فأكبَّتْ عليه ، فما زالت تُقَبِّلُهُ حتى ماتت عنده .

حدّثنا ابنُ حميد ؛ قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصُر الصلاة . ١٦٥٤/١

* * *

قال ابنُ إسحاق : وكان فتح مكة لعشر ليال بقِينَ من شهر رمضان سنة ثمانٍ .

* * *

(١) حبيش : مرخّم حبيشة . (٢) على نفد العيش ؛ يريد على تمامه .
(٣) الإدلاج : السير ليلا . والودائق : جمع وديقة ؛ وهى شدة الحر فى الظهيرة .
(٤) الصفائق : صوارف الخطوب وحوادثها ، الواحدة صفيقة .
(٥) تشحط : تبعد . (٦) تترى : متتابعة .

ذكر الخبر عن غزوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم هوازن بحنين

وكان من أمْر رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأمْر المسلمين وأمْرِ هوازن ما حدّثنا علىّ بن نصر بن علىّ الجَهضمىّ وعبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث — قال علىّ: حدّثنا عبد الصّمد، وقال عبد الوارث: حدثنا أبى — قال: حدّثنا أبان العطار، قال: حدّثنا هشام بن عروة، عن عُروة، قال: أقام النبىّ صلى الله عليه وسلم بمكّة عام الفتح نصف شهر، لم يزد على ذلك؛ حتى جاءت هوازن وثَقيف، فنزلوا بحُنين — وحنين واد إلى جنب ذى المجاز — وهم يومئذ عامدون يريدون قتال النبىّ صلى الله عليه وسلم، وكانوا قد جمعوا قبل ذلك حين سمعوا بمخرَج رسول الله من المدينة، وهم يظنُّون أنه إنما يريدهم حيث خرج من المدينة، فلمّا أتاهم أنه قد نزل مكة، أقبلتْ هَوازِن عامدين إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم، وأقبلوا معهم بالنساء والصبيان والأموال — ورئيس هَوازن يومئذ مالك بن عوف أحد بنى نصر — وأقبلت معهم ثَقيف؛ حتى نزلوا حُنَيْنًا يريدون النبىّ صلى الله عليه وسلم؛ فلما حُدِّث النبىّ وهو بمكّة أنْ قد نزلت هوازن وثقيف بحنين، يسوقهم مالك بن عوف أحد بنى نصر — وهو رئيسهم يومئذ — عمَد النبىّ صلى الله عليه وسلم حتى قدِم عليهم، فوافاهم بحُنَين، فهزمهم الله عزّ وجلّ، وكان فيها ما ذكر الله عزّ وجلّ فى الكتاب؛
١/١٦٥٥ وكان الذى ساقوا من النساء والصبيان والماشية غنيمة غنّمها الله عزّ وجلّ رسولَه، فقسّم أموالَهم فيمن كان أسلم معه من قريش.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، قال: لما سمعتْ هوازِن برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وما فتح الله عليه من مكة؛ جمعها مالك بن عوف النَّصرىّ؛ واجتمعت إليه مع هَوازن ثَقيف كلّها، فجُمعت نصر وجُشَم كلّها وسعد بن بكر وناس من بنى هلال؛ وهم قليل، ولم يشهدها من قَيْس عَيْلان إلاّ هؤلاء، وغابت عنها فلم يحضرها من هَوازن كعب ولا كلاب؛ ولم يشهدها منهم أحدٌ له اسمٌ، وفى جُشَم دُرَيْد بن

الصّمّة شيخ كبير ؛ ليس فيه شيء إلا التيمّن برأيه ومعرفته بالحرْب ، وكان شيخًا كبيراً مجرّبًا ؛ وفى ثقيف سيّدان لهم فى الأحْلاف : قارب بن الأسود ابن مسعود ، وفى بنى مالك ذو الخِمار سُبَيْع بن الحارث وأخوه الأحمر بن الحارث فى بنى هلال ، وجِماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصرىّ .

فلمّا أجمع مالك المسيرَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حطّ مع الناس ١٦٥٦/١
أموالهم ونساءهم وأبناءهم ؛ فلمّا نزل بأوْطاس ، اجتمع إليه الناس ؛ وفيهم دُرَيد بن الصمّة فى شِجَار[١] له يُقَادُ به ؛ فلما نزل قال : بأىّ وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوْطاس ، قال : نعم مجالُ الخيل ! لا حَزْن ضَرِس[٢] ، ولا سَهْل دِهس[٣] ؛ مالى أسمع رُغاء البعير ، ونُهاق الحمير ، ويُعار الشاء[٤] ، وبكاء الصغير ! قالوا : ساقَ مالك بن عوف مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالَهم ، فقال : أين مالك ؟ فقيل : هذا مالك ، فدُعِى له ، فقال : يا مالك ، إنّك قد أصبحتَ رئيس قومك ؛ وإنّ هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ؛ مالى أسمع رُغاء البعير ، ونهاق الحمير ، ويعار الشاء ، وبكاء الصغير ! قال : سُقْتُ مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، قال : ولِمَ ؟ قال : أردتُ أن أجعل خَلْف كلّ رجل أهلَه ومالَه ليقاتل عنهم ؛ قال : فأنقضّ به[٥] ثم قال : راعى ضأن[٦] والله ! هل يردّ المنهزمَ شيءٌ ! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلاّ رجلٌ بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضِحتَ فى أهلك ومالك . ما فعلت كعب وكلاب ؟ قالوا : لم يشهد منهم أحد ، قال : غاب الجدُّ والحدُّ ؛ لو كان يوم عَلاء ورفعة لم تَغِب عنه كعب وكلاب ؛ ولوَددت أنكم فعلتم ما فعلتْ كعب وكلاب ؛ فمن شهدها منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر وعوف بن عامر ؛ قال : ذانك الجَذعان[٧] من بنى عامر ! لا ينفعان ولا

(١) الشجار : شبه الهودج ؛ إلا أنه مكشوف الأعلى .

(٢) الحزن : المرتفع من الأرض ، والضرس : الذى فيه حجارة محددة .

(٣) الدهس : اللين الكثير التراب .

(٤) الأغانى : « ثغاء الشاء » .

(٥) أنقض به ، أى زجره .

(٦) فى الأغانى : « أى أحمق » .

(٧) الجذع : الشاب الحدث .

١٦٥٧/١ يضرّان، يا مالك إنّك لم تصنع بتقديم البَيْضة ؛ بيضة هوازن، إلى نُحور الخيل شيئًا ، ارفعهم إلى متمنّع[١] بلادهم وعُلْيا قومهم ؛ ثم الق الصبّاء[٢] على مُتُون الخيل ، فإن كانت لك لحِق بك مَنْ وراءك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزتَ أهلك ومالك . قال : والله لا أفعل ، إنك قد كبرتَ وكَبِرَ علمك ؛ والله لتطيعُنّني يا معشرَ هوازن أو لأتّكئَنّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى ! وكره أن يكون لدُرَيْد فيها ذكرٌ ورأىٌ . قال دُريد بن الصمّة : هذا يوم لم أشهده ؛ ولم يَفُتْني :

يا لَيْتَنى فيهـــا جذَعْ أخُبّ فيها وَأَضَعْ [٣]
أَقُودُ وَطْفَاءَ الزَّمَعْ كَأَنّها شَاةٌ صَدَعْ [٤]

وكان دُريد رئيسَ بنى جُشَم وسيّدهم وأوسطهم ؛ ولكن السنّ أدركته حتى فَنِيَ — وهو دُريد بن الصّمة بن بكر بن عَلْقمة بن جُدَاعة بن غَزِيّة ١٦٥٨/١ ابن جُشَم بن معاوية بن بكْر بن هوازن — ثم قال مالك للناس : إذا أنتم رأيتم القومَ فاكسِرُوا جفونَ سيوفكم ، وشُدّوا شدّةَ رجل واحد عليهم [٥] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن أميّة ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ؛ أنه حدّث أن مالك بن عوف بعث عيونًا من رجاله لينظروا له ، ويأتوه بخبر الناس ؛ فرجعوا إليه وقد تفرّقت أوصالُهم ، فقال : ويلكم ! ما شأنكم ؟ قالوا : رأينا رجالاً بيضًا على خيل بُلْق ؛ فوالله ما تماسَكْنا أن أصابَنا ما ترى! فلم ينهَهُ ذلك عن وجهه ؛ أن مضى على ما يريد[٦] .

قال ابن إسحاق : ولما سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعث

(١) الأغانى : « أعلى بلادهم » .
(٢) الصباء : جمع صابئ ؛ وهم المسلمون عندهم ؛ كانوا يسمونهم بذلك ؛ لأنهم صبئوا من دينهم ، أى خرجوا .
(٣) الخبب والوضع : ضربان من السير .
(٤) الوطفاء : الطويلة الشعر ، والزمع : الشعر الذى فوق مربط الدابة .
(٥) الخبر فى ابن هشام ٢ : ٢٨٧ ، والأغانى ١٠ : ٣٠ — ٣٢ (طبع دار الكتب) .
(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٧ .

إليهم عبدَ الله بن أبي حَدْرد الأسلميّ ، وأمره أن يدخلَ في الناس فيُقيم فيهم حتى يأتيَه بخبر منهم ؛ ويعلم مِنْ علمهم . فانطلق ابن أبي حَدْرد ، فدخل فيهم ، فأقام معهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حَرْب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلم أمر مالك وأمرَ هوازن وما هم عليه . ثم أتى رسولَ الله ، فأخبره الخبر ؛ فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرَ بن الخطاب ، فأخبره خبرَ ابن أبي حَدْرد ، فقال عمرُ : كذب ! فقال ابن أبي حَدْرد : إنْ تكذّبْني فطالَما كذّبْتَ بالحقّ يا عمر ! فقال عمر : ألا تسمعُ يا رسول الله إلى ما يقول ابن أبي حَدْرد ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : قد كنتَ ضالاً فهداك الله يا عمر[1] .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثني أبو جعفر محمد بن علي بن حسين ، قال : لما أجمع رسولُ ١٦٥٩/١
الله صلى الله عليه وسلم السَّيْرَ إلى هَوازن ليلقاهم ، ذُكِر له أنّ عند صفوان بن أميّة أدراعًا وسلاحًا ، فأرسل إليه ، فقال : يا أبا أميّة — وهو يومئذ مشرك : أعِرْنا سلاحك هذا نلْقَ فيه عدوَّنا غداً . فقال له صفوان : أغَصْبًا يا محمد! قال : بل عارِيَة مضمونة حتى نؤدّيَها إليك ، قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة دِرْع بما يصلحُها من السلاح ؛ فزعموا أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سأله أن يكفيَه حَمْلَها ففعل[2] .

قال أبو جعفر محمد بن عليّ : فمضت السنّة أن العاريَة مضمونة مؤدّاة .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبي بكْر ، قال : ثمّ خرجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومعه ألفان من أهل مكة ، مع عشرة آلاف من أصحابه الذين فتح الله بهم مكة ، فكانوا اثني عشر ألفًا ، واستعمل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَتّابَ بن أسيد ابن أبي العيص بن أميّة بن عبد شمس على مكّة أميراً على مَنْ غاب عنه من الناس ، ثم مضى على وجهه يريد لقاء هوازن[3] .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٧ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٨ .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٨ .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه ، قال : لمّا استقبلنا وادى حُنين ، انحدَرْنا فى واد من أودية تِهامة أجوف [1] حَطُوط ، إنما ننحدر فيه انحداراً — قال : وفى عَماية [2] الصبح ، وكان القوم قد سبقوا إلى الوادى ، فكَمنوا لنا فى شِعَابه وأحنائه ومضايقِه ، قد أجمعوا وتهيّئوا
١/١٦٦٠ وأعدّوا — فوالله ما راعنا ونحن منحطّون إلاّ الكتائب قد شدّتْ علينا شَدّة رجل واحد ؛ وانهزم الناس أجمعون ، فانشمروا [3] لا يلوى أحدٌ على أحد ؛ وانحاز رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ اليمين ، ثم قال : أين أيها الناس ! هلمّ إلىّ ! أنا رسولُ الله ، أنا محمد بن عبد الله ! قال : فلا شىء ، احتملت الإبل بعضها بعضًا ، فانطلق الناس ؛ إلاّ أنه قد بقِىَ مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم نفرٌ من المهاجرين والأنصار وأهل بيته . وممّن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر ، وعمر ، ومن أهل بيته علىُّ بن أبى طالب ، والعبّاس بن عبد المطلب ، وابنُه الفضل ، وأبو سفيان بن الحارث ، وربيعة بن الحارث ، وأيْمَن بن عُبيد — وهو أيمن بن أمّ أيمن — وأسامة بن زيد بن حارثة . قال : ورجل من هوازن على جمل له أحمر ، بيده راية سوداء فى رأس رمح طويل ، أمام الناس وهوازن خلْفه ، إذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه ؛ فاتبعوه . ولما انهزم النّاس ، ورأى مَنْ كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جفاة أهل مكة الهزيمةَ ، تكلّم رجالٌ منهم بما فى أنفسهم من الضِّغْن ، فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهى هزيمتهم دون البحر ؛ والأزلام معه فى كنانته ؛ وصرخ كَلَدةُ بن الحنبل — وهو مع أخيه صفوان بن أميّة بن
١/١٦٦١ خَلَف وكان أخاه لأمه ، وصفوان يومئذ مشرك فى المدّة التى جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم — فقال : ألا بطل السِّحْرُ اليوم ! فقال له صفوان : اسكت فَضّ اللهُ فاك ! فوالله لأنْ يربّنى رجلٌ من قريش أحبُّ إلىّ من أن يربّنى

(١) أجوف : متسع .

(٢) عماية الصبح : ظلامه قبل أن يتبين .

(٣) انشمر الناس : انفضوا وانهزموا .

رجل من هوازن ! وقال شيبةُ بن عثمان بن أبي طلحة ، أخو بني عبد الدار : قلت : اليوم أدْرِكُ ثأري — وكان أبوه قُتل يوم أُحُد — اليوم أقتل محمداً . قال : فأردت رسولَ الله لأقتلَه ، فأقبل شيء حتى تغشّى فؤادي فلم أطقْ ذلك ، وعلمت أنه قد مُنع منّي [١] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزّهريّ ، عن كَثِير بن العباس ، عن أبيه العباس بن عبد المطلب ، قال : إنّي لمعَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم آخذٌ بحَكَمَة [٢] بغلته البيضاء ، قد شجرتُها [٣] بها ، قال : وكنت امرأً جسيماً شديد الصوت ، قال : ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى من الناس ما رأى : أينَ أيّها الناس ! فلمّا رأى الناس لا يَلْوُون على شيء قال : يا عباس ، اصرخ : يا معشر الأنصار ! يا أصحاب السَّمُرَة ! فناديت : يا معشرَ الأنصار ، يا معشر أصحاب السَّمُرة ! قال : فأجابوا : أنْ لبّيك لبّيك ! قال : فيذهبُ الرّجُل منهم يريد ليَثْنِي بعيرَه ؛ فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ دِرْعه فيقذِفها في عُنقه ، ويأخذ سيفه وتُرسه ، ثم يقتحم عن بعيره فيخلّي سبيلَه في الناس ، ثم يَؤُمّ الصوت ، حتى ينتهي إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة رجل استقبلوا الناس ، فاقتتلوا ، فكانت الدّعوى أوّلَ ما كانت : يا للأنصار ! ثم جُعلت أخيراً : يا للخزرج ! وكانوا صُبُرًا عند الحرب ؛ فأشرف رسول الله صلّى ١/١٦٦٢
الله عليه وسلّم في ركابه ، فنظر مُجْتَلَد القوم وهم يجتلدون ، فقال : الآن حَمِيَ الوَطِيس [٤] !

حدّثنا هارونُ بن إسحاق ، قال : حدّثنا مُصعب بن المقدام ، قال : حدّثنا إسرائيل ، قال : حدّثنا أبو إسحاق ، عن البَرَاء ، قال : كان أبو سفيان بن الحارث يقودُ بالنبيّ صلى الله عليه وسلم بغلته يوم حُنين ، فلمّا

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٩ .
(٢) الحكمة محركة : ما أحاط بحنكة بغلته من لجامه .
(٣) شجرتها بها ؛ أي وضعتها في شجرها ؛ وهو مجتمع اللحيين .
(٤) الوطيس : التنور يخبز فيه . والخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٠ .

غَشِيَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم المشركون ، نزل فجعل يرتجز ، ويقول :

أنا النبيُّ لا كَذِبْ أنا ابنُ عبد المطَّلِبْ

فما رُئِيَ من الناس أشدّ منه .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم ابن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : بينَا ذلك الرجل من هَوازن صاحب الراية على جملِه يصنع ما يصنع ؛ إذ هَوَى له عليّ بن أبي طالب ورجل من الأنصار ، يريدانه ، فيأتيه عليّ من خلْفه ، فيضرب عُرْقُوبَيِ الجمل ، فوقع على عَجُزه ، ووثب الأنصاريّ على الرّجل فضربه ضربة أطَنَّ قدَمه[1] بنصف ساقه ، فانجعف[2] عن رَحْله . قال : واجتلد الناس ، فوالله ما رجعتْ راجعةُ الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارَى مكتّفين ؛ وقد التفت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب — وكان ممّن صَبَر يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حسنَ الإسلام حين أسلم ، وهو آخذ بثَفَر[3] بغلته — فقال : من هذا ؟ قال : ابن أمّك يا رسول الله[4] !

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن
١/١٦٦٣ عبد الله بن أبي بكْر ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم التَفَتَ ، فرأى أمّ سُليم بنت مِلْحان — وكانت مع زوجها أبي طلحة — حازمة وسطها ببُرْد لها ؛ وإنّها لحامل بعبد الله بن أبي طلحة ، ومعها جمل أبي طلحة ، وقد خشيتْ أن يَعُزّها[5] الجمل ، فأدنت رأسه منها ، فأدخلت يدها في خِزَامته[6] مع الخِطام ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أمّ سليم ! قالت : نعم ؛

(١) أطن قدمه : أطارها ؛ وسمع لضربه طنين ؛ أي دويّ .
(٢) انجعف عن رحله : سقط عنه صريعا .
(٣) الثفر : السير في مؤخر السرج .
(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٠ .
(٥) يعزها : يغلبها .
(٦) الخزامة : حلقة من شعر تجعل في أنف البعير .

بأبي أنت وأمّي يا رسول الله ! اقتُلْ هؤلاء الذين يفرُّون عنك كما تقتل هؤلاء الذين يقاتلونك ، فإنهم لذلك أهلٌ ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أوَ يكفي اللهُ يا أمّ سُليم ! ومعها خنجر في يدها ، فقال لها أبو طلحة : ما هذا معك يا أمّ سليم ؟ قالت : خنجر أخذتُه معي ؛ إن دنا منّي أحدٌ من المشركين بعجتُه به[١]. قال : يقول أبو طلحة : ألا تسمع ما تقولُ أمّ سليم يارسول الله![١] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدّثني حمّاد بن سلمة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس ابن مالك ، قال : لقد استلبَ أبو طلحة يوم حنين عشرين رجلاً وحْدَه هو قتلهم[٢] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، عن أبيه ، أنه حدّث عن جُبير بن مُطعِم ، قال : لقد رأيتُ قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثلَ البِجَاد[٣] الأسود ، أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ؛ فنظرت فإذا نملٌ أسود مبثوثٌ قد ملأ الوادي ؛ فلم أشكّ أنها الملائكة ، ولم يكن إلاّ هزيمة القوم[٤] . ١/١٦٦٤

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فلمّا انهزمت هوازن استحرّ القتل من ثَقيف ببني مالك ، فقُتِل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم ، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حُبيب ؛ جَدُّ ابن أمّ حكم بنت أبي سفيان ، وكانت رايتهم مع ذي الخِمار ، فلمّا قُتل أخذها عثمان بن عبد الله فقاتل بها حتى قُتل[٤] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، عن عامر بن وهب بن الأسود بن مسعود ، قال : لمّا بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قتلُ عثمان ، قال : أبعَدَه الله ! فإنه كان يبغِض قريشًا[٤] .

(١) بعج بطنه : شقه .
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٠ .
(٣) البجاد : الكساء .
(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩١ .

حدّثنا عليّ بن سهل ، قال : حدّثنا مؤمّل ، عن عُمارة بن زاذان ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يوم حُنين على بغلة بيضاء ، يقال لها دُلْدُل ، فلمّا انهزم المسلمون ، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم لبغلته : البُدِى[1] دُلْدُل! فوضعت بطنها على الأرض ، فأخذ النبيّ صلى الله عليه وسلم حَفَنَةً من تراب ، فرمى بها فى وجوههم ، وقال: «حمّ لا يُنْصَرون !». فولّى المشركون مُدْبرين ، ما ضربَ بسيف ولا طعن برمْح ولا رمى بسهم .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، قال: قتل مع عثمان بن عبد الله غلام له نَصرانىٌّ أغرلُ[2]. قال : فبينا رجلٌ من الأنصار يستلب قتلَى من ثقيف ، إذ كشف العبد ليستلبَه ، فوجده أغرل ، فصرخ بأعلَى صوته: يعلم الله أن ثقيفًا غُرْل ما ختِنّ ! قال المغيرة بن شعبة : فأخذت ١/١٦٦٥ بيده ، وخشيت أن تذهب عنّا فى العرب ، فقلت : لا تقُلْ ذلك فداك أبى وأمّى ! إنما هو غلامٌ لنا نصرانىٌّ ، ثم جعلت أكشف له قتلانا فأقول: ألا تراهم مُخْتنين! قال: وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود بن مسعود ، فلمّا هُزِم الناس أسند رايتَه إلى شجرة ، وهرب هو وبنو عمّه وقومه من الأحلاف ، فلم يُقتَل منهم إلاّ رجلان ؛ رجل من بنى غِيَرَة يقال له وهب ، وآخر من بنى كُنَّة[3] يقال له: الجُلاَح ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين بلَغه قتل الجُلاح : قُتل اليوم سيّد شباب ثَقِيف ؛ إلا ما كان من ابن هُنَيدة — وابنُ هنيدة الحارث بن أوْس[4] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال حدّثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ولما انهزم المشركون أتوُا الطائف ، ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوْطاس ، وتوجّه بعضُهم نحو نَخْلة — ولم يكن فيمن توجّه نحو نخلة إلاّ بنو غِيَرَة من ثَقِيف — فتبعتْ خيلُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مَنْ سلك فى نَخْلة

(١) البدى : أمر من لبد بالمكان إذا لزمه فلم يبرحه .
(٢) أغرل : غير مختون . (٣) ابن هشام : « كبة » .
(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩١ ، ٢٩٢ ، وفيه : « الحارث بن أويس » .

من الناس ، ولم تتبع مَنْ سلك الثنايا ، فأدرك ربيعةُ بن رُفيع بن أهْبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يَرْبوع بن سَمَّال بن عوْف بن امرئ القيس — وكان يقال له ابن لذْعة[1] وهى أمّه ، فغلبتْ على نسبه — دريدَ بن الصِّمّة ، فأخذ ١٦٦٦/١ بخِطام جمله ؛ وهو يظنّ أنه امرأة ؛ وذلك أنه كان فى شِجَارٍ له ، فإذا هو رجل ، فأناخ به ، وإذا هو بشيخٍ كبير ؛ وإذا هو دُريد بن الصِّمّة ، لا يعرفه الغلام ، فقال له دُريد: ماذا تريد بى ؟ قال: أقتلك ، قال : ومَنْ أنتَ ؟ قال : أنا ربيعة بنُ رفيع السُّلَمىّ ، ثمّ ضربه بسيفه فلم يُغْن شيئًا ، فقال: بئسما سلّحتْك أمك! خذ سيفى هذا من مؤخّر الرّحل فى الشّجَار ، ثم اضرب به وارفع عن العظام ، واخفض عن الدّماغ ، فإنى كذلك كنت أقتل الرجال . ثمّ إذا أتيتَ أمّكَ فأخبرْها أنك قتلتَ دُريد بن الصّمة ؛ فرُبّ يومٍ والله قد منعت نساءَك ! فزعمتْ بنو سُليم أنّ ربيعة قال : لما ضربتُه فوقع تكشف الثوب عنه ، فإذا عِجَانُه وبطون فَخِذيْه مثل القِرْطاس من ركوب الخيل أعراء[2] ، فلمّا رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : والله لقد أعتق أمّهات لك ثلاثًا[3] .

* * *

قال أبو جعفر : وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى آثار مَنْ توجّه قِبَلَ أوطاس ؛ فحدّثنى موسى بن عبد الرحمن الكِندىّ ، قال : حدّثنا أبو أسامة ، عن بُرَيْد بن عبد الله ، عن أبى بُرْدة ، عن أبيه ، قال : لما قدِم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم من حُنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوْطاس ، فلقىَ دُرَيْد بن الصّمّة ، فقتل دريداً ، وهزم الله أصحابه . ١٦٦٧/١

قال أبو موسى : فبعثنى مع أبى عامر ، قال : فرُمِىَ أبو عامر فى ركْبته ، رماه رجلٌ من بنى جُشَم بسهم فأثبتَه فى ركبته ، فانتهيت إليه ، فقلت : يا عمّ ، مَنْ رماك ؟ فأشار أبو عامر لأبى موسى ، فقال : إنّ ذاك قاتلى ، تراه ذلك الذى رمانى !

(١) ابن هشام : « الدغنة » . (٢) أعراء : جمع عرى وهو الفرس الذى لا يسرج .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٣ ، والأغانى ١٠ : ٣١ ، ٣٢ .

قال أبو موسى : فقصدت له فاعتمدتُه ، فلحِقْتُه ، فلما رآنى ولّى عنى ذاهبًا ، فاتبعته ، وجعلت أقول له : ألا تستحى ! ألستَ عربيًّا ! ألا تثبت ! فكرَّ ، فالتقيت أنا وهو ، فاختلفنا ضربتين ، فضربته بالسيف ، ثم رجعت إلى أبى عامر ، فقلت : قد قتل الله صاحبَك ، قال : فانزع هذا السهم ، فنزعتُه فنزَا منه الماء ، فقال : يا بن أخى ، انطلق إلى رسول الله ، فأقرِئْه منى السلام ، وقل له إنه يقول لك : استغفر لى .

قال : واستخلفنى أبو عامر على الناس فمكث يسيراً . ثمّ إنه مات .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يزعمون أن سَلمة بن دُريد ، هو الذى رمى أبا عامر بسهم فأصاب رُكْبته ، فقتله ، فقال سَلمة بن دُرَيد فى قتله أبا عامر :

إنْ تسْأَلوا عنّى فإنِّى سَلَمَهْ ابنُ سَمَادِيرَ لَمَنْ تَوَسَّمَهْ (١)
* أضرِبُ بالسَّيْفِ رءوسَ المُسْلِمَهْ *

وسمادير أمّ سَلمة ، فانتمى إليها .

١٦٦٨/١ قال : وخرج مالك بن عوْف عند الهزيمة ، فوقف فى فوارس من قَوْمه على ثنيّة من الطريق ، وقال لأصحابه : قِفوا حتى تمضى ضُعفاؤكم وتلحق أخراكم ؛ فوقف هنالك حتى مضَى مَنْ كان لحق بهم من منهزمة الناس (٢) .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى بعضُ بنى سعد بن بكر ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ لخيله التى بعث : إن قدرتم على بِجَاد — رجل من بنى سعد ابن بكر — فلا يفلتنّكم ؛ وكان بجاد قد أحدَث حدثًا ، فلمّا ظفِر به المسلمون ساقوه وأهله ، وساقوا أخته الشَّيْماء بنت الحارث بن عبد الله بن عبد العُزّى ، أخت رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، فعنّفوا عليها فى السياق معهم ،

(١) توسمه : استدل عليه وعرفه .
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٣ .

فقالت للمسلمين : تعلمون والله أنّى لأختُ صاحبكم من الرّضاعة ؛ فلم يُصدّقوها حتى أتوْا بها رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنا ابنُ إسحاق ، عن أبى وَجْزَة يزيد بن عبيد السعدىّ ، قال : لما انتُهِىَ بالشَّيْماء إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قالت : يا رسولَ الله ، إنّى أختُك ، قال : وما علامة ذلك ؟ قالت عَضَّةٌ عَضِضْتَنيها فى ظهرى وأنا متورّكتُك . قال : فعرَف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العلامة ، فبسط لها رداءَه ، ثم قال : ها هنا ، فأجلسها عليه ، وخيّرها ، وقال : إن أحببتِ فعندى مُحبّبةً مكْرَمَةً ، وإن ١٦٦٩/١
أحببتِ أمتّعْك وترجعى إلى قومك ، قالت : بل تمتعنى وتردّنى إلى قومى ، فمتّعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردّها إلى قومها ؛ فزعمت بنو سعد بن بكر أنه أعطاها غلامًا له يقال له مكحول ، وجارية ؛ فزوّجت أحدهما الآخر ، فلم يزل فيهم من نَسْلهما بقيّة[1] .

قال ابن إسحاق : استشهد يوم حُنَين من قريش ، ثم من بنى هاشم : أيْمَنُ بن عبيد — وهو ابن أمّ أيمن ، مولاة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم — ومن بنى أسد بن عبد العُزّى يزيد بن زمْعة بن الأسود بن المطلب بن أسد — جَمَحَ به فرسٌ له يقال له الجناح ، فقُتل — ومن الأنصار سُراقة بن الحارث ابن عدىّ بن بلْعجلان ، ومن الأشعريين أبو عامر الأشعرىّ . ثم جُمعت إلى رسول الله سَبَايا حُنين وأموالها ؛ وكان على المغانم مسعود بن عمرو القارىّ ، فأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالسبايا والأموال إلى الجِعْرانة فحبِسَتْ بها[2]

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : قال ابن إسحاق : لما قدِمَ فَلّ[3] ثَقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها ، وصنعوا الصنائع للقتال ؛ ولم يشهد حُنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيْلان بن

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٤ .
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٤ ، ٢٩٥ .
(٣) الفل : الجماعة المنهزمون من الجيش .

سلمة ؛ كانا بجُرَش يتعلّمان صنعة الدّباب[١] والضَّبُور[٢] والمجانيق[٣].

* * *

[غزوة الطائف]

فحدّثنا علىّ بن نصر بن علىّ ، قال : حدّثنا عبدُ الصمد بن عبد الوارث ، وحدّثنا عبدُ الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : حدّثنا أبى ، قال : أخبرَنا أبان العطار ، قال : حدّثنا هِشام بن عُرْوة ، عن عروة ، ١٦٧٠/١
قال : سارَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم حُنين من فوره ذلك — يعنى منصرَفه[٤] من حنين — حتى نزلَ الطائف ، فأقام نصف شهر يقاتلهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابُه ، وقاتلتهم ثقيف من وراء الحِصْن ؛ لم يخرج إليه فى ذلك أحدٌ منهم ؛ وأسلم مَنْ حولهم من الناس كلّهم ؛ وجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفودُهم ؛ ثم رجع النبىّ صلى الله عليه وسلم ولم يحاصرهم إلاّ نصفَ شهر حتى نزل الجِعْرانة ؛ وبها السبْى الذى سَبَى رسولُ الله من حُنين من نسائهم وأبنائهم — ويزعمون أنّ ذلك السَّبْىَ الذى أصاب يومئذ من هوازن كانت عدّته ستّة آلاف من نسائهم وأبنائهم — فلمّا رجَع النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى الجِعْرانة ، قدمتْ عليه وفود هَوازِن مُسْلِمين ، فأعتق أبناءهم ونساءهم كلّهم ، وأهلّ بعُمْرةٍ من الجِعْرانة ؛ وذلك فى ذى القعدة.

ثم إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجع إلى المدينة ، واستخلف أبا بكر رضى الله تعالى عنه على أهل مكة ، وأمره أن يقيم للناس الحجّ ، ويعلّم الناس الإسلام ، وأمره أن يؤمّن مَنْ حجّ من الناس ؛ ورجع إلى المدينة ؛ فلما

(١) فى ابن هشام : « الدبابات » قال السهيلى : « الدبابة : آلة من آلات الحرب ، يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها » . وقال أبو ذر الخشنى : « الدبابات : آلات تصنع من خشب وتغشى بجلود ويدخل فيها الرجال ويتصلون بحائط الحصن » .

(٢) قال السهيلى : « الضبور : مثل رءوس الأسفاط ، يتقى بها فى الحرب عند الانصراف ، وفى كتاب العين : الضبور : جلود يغشى بها خشب يتقى بها الحرب » .

(٣) المجانيق : جمع منجنيق ؛ وهى من آلات الحصار ترمى بها الحجارة الثقيلة . والخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠١ .

(٤) و : « من منصرفه » .

قَدِمها قَدِم عليه وفود ثَقيف ، فقاضوْه على القضيّة التى ذكرت ؛ فبايعوه ، وهو الكتاب الذى عندهم كاتبوه عليه .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثنى ابنُ إسحاق عن عمرو بن شعيب ؛ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سلَك إلى الطائف من حُنَين على نَخْلة اليمانية ، ثم على قَرْن ، ثم على المُلَيْح ، ثم على بَحْرَة الرُّغاء من لِيّة ، فابتنى بها مسجدًا ، فصلّى فيه ، فأقاد يومئذ ببحْرة الرّغاة حين نزلَها بدم — وهو أول دم أقيد به فى الإسلام — رجلا من بنى ليث ؛ قتل رجلاً من هُذَيل ، فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأمر رسول الله وهو بلِيّة بحصن مالك بن عوف فهُدِم ؛ ثم سلك فى طريق يقال لها الضَّيْقة ، فلما توجّه فيها ، سأل على اسمها ، فقال : ما اسم هذه الطريق ؟ فقيل له : الضَّيْقة ، فقال : بل هى اليسرى . ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على نَخْب ؛ حتى نزل تحت سِدْرة يقال لها الصادرة ، قريبًا من مال رجل من ثَقيف ، فأرسل إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إما أن تخرُج ؛ وإما أن نُخرب عليك حائطك ؛ فأبى أن يخرُج ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بإخرابه[1] . ١٦٧١/١

ثم مضى رسولُ الله حتى نزل قريبًا من الطائف ؛ فضرب عسكره ، فقُتل أناس من أصحابه بالنَّبْل ؛ وذلك أنّ العسكر اقترب من حائط الطائف فكانت النَّبْل تنالُهم ، ولم يقدر المسلمون أن يدخُلوا حائطهم ، غلّقوه دونهم ؛ فلما أصيبَ أولئك النّفرُ من أصحابه بالنَّبْل ، ارتفع ، فوضع عسكره عند مسجده الذى بالطائف اليوم ؛ فحاصرهم بضعًا وعشرين ليلة[2] ؛ ومعه امرأتان من نسائه ؛ إحداهما أمّ سلمة بنت أبى أميّة وأخرى معها — قال الواقدىّ : الأخرى زينب بنت جحش — فضرب لهما قبّتين ، فصلّى بين القبّتين ما أقام .

(١) س : « بإخراجه » .

(٢) قال ابن هشام : « ويقال : سبع عشرة ليلة » .

فلما أسلمتْ ثَقِيف ، بنَى عَلَى مُصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلّم
١٦٧٢/١ ذلك أبو أميّة بن عمرو بن وهب بن مُعتّب بن مالك مسجداً ، وكانت فى ذلك المسجد سارِيَةٌ — فيما يزعمون — لا تطلع عليها الشمس يوماً من الدهر ؛ إلا سُمع لها نقيض[1] ؛ فحاصرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقاتلهم قتالاً شديداً ، وترامَوْا بالنَّبْل[2] حتى إذا كان يوم الشدْخة عند جدار الطائف ، دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دبّابة ؛ ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ، فأرسلت عليهم ثقيف سككَ الحديد مُحْمّاةً بالنار ، فخرجوا مِنْ تحتِها ، فرمتهم ثَقِيف بالنَّبْل ، وقتلوا رجالا ؛ فأمر رسول الله بقطع أعناب ثقيف ، فوقع فيها الناس يقطعون .

وتقدّم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شُعبة إلى الطائف . فناديا ثقيفاً : أنْ أمّنُونا حتى نكلّمكم ! فأمّنوهما ؛ فدعَوَا نساءً من نساء قريش وبنى كنانة ليخرُجْن إليهما — وهما يخافان عليهنّ السّباء — فأبيْنَ ؛ منهنّ آمنة بنت أبى سفيان ، كانت عند عروة بن مسعود له منها داود بن عروة وغيرها[3] .

وقال الواقدىّ : حدثنى كَثِير بن زيد ، عن الوليد بن رَبَاح ، عن
١٦٧٣/١ أبى هريرة ، قال : لما مضت خمس عشرة من حصار الطائف ، استشار رسول الله نَوْفل بن معاوية الدّيلى ، وقال : يا نوفل ، ما تَرَى فى المقام عليهم ؟ قال : يا رسول الله ؛ ثعلب فى جُحْرٍ ؛ إن أقمت عليه أخذتَه ، وإن تركتَه لم يضرّك .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنا ابنُ إسحاق ، قال : قد بلَغنى أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر بن أبى قحافة ، وهو محاصرٌ ثقيفاً بالطائف : يا أبا بكر ، إنىّ رأيتُ[4] أنه أهْدِيَتْ لى قَعْبةٌ[5]

(١) النقيض : الصوت .

(٢) قال ابن هشام : «ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق ؛ حدثنى من أثق به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من رمى بالمنجنيق ، رمى أهل الطائف » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

(٤) و : « أريت » .

(٥) القعبة : القدح .

مملوءة زُبْداً ، فنقرَها ديكٌ فأهراق ما فيها ؛ فقال أبو بكر : ما أظنّ أن تدْرك منهم يومك هذا ما تُريد يا رسولَ الله. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وأنا لا أرى ذلك .

ثم إنّ خَوْلة بنت حَكيم بن أميّة بن حارثة بن الأوْقص السُّلَميّة — وهى امرأة عثمان بن مظعون — قالت : يا رسولَ الله ، أعْطِنى إن فتح الله عليك الطائف حُلِيَّ بادية بنت غيلان بن سلمة ، أو حُلِيَّ الفارعة بنت عُقَيْل — وكانتا من أحْلَى نساءِ ثقيف — قال : فذكر لى أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال لها : وإن كان لم يؤذنْ لى فى ثقيف يا خويلة ! فخرجت خويلة ، فذكرَتْ ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل عمرُ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ما حديث حدَّثَتْنيه خويلة أنك قلتَه ! قال : قد قلتُه ، قال : أوَ مَا أذِن فيهم يا رسول الله ! قال : لا ، قال : ١٦٧٤/١
أفلا أؤَذِّنُ بالرّحيل فى الناس ! قال : بلى ؛ فأذَّنَ عمر بالرّحيل ؛ فلما استقلّ الناس نادى سعيد بن عُبَيد بن أسيد بن أبى عمرو بن عِلاج الثقفىُّ : ألا إنّ الحَىّ مقيمٌ ! قال : يقول عيينة بن حصن : أجلْ والله لَمَجْدَةً كراما ! فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله يا عُيينة ! أتمدح قومًا من المشركين بالامتناع من رسول الله ، وقد جئت تنصره[1] ! قال : إنى والله ما جئت لأقاتِلَ معكم ثقيفاً ؛ ولكنى أردت أن يفتح محمدٌ الطّائف فأصيب من ثَقيف جارية أتبطّنُها لعلها أن تلد لى رجلاً ؛ فإن ثقيفًا قوم مناكير[2] .

واستُشهد بالطائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلاً ؛ سبعة من قريش ورجل من بنى ليْث ، وأربعة من الأنصار[3] .

* * *

(١) ابن هشام : « تنصر رسول الله » . (٢) مناكير : ذوو دهاء .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٣ .

[أمر أموال هوازن وعطايا المؤلفة قلوبهم منها]

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثمّ خرجَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حين انصرف من الطائف على َدحْنَا ؛ حتّى نزل الجِعْرانة بمن معه من المسلمين ؛ وكان قدّم سَبْيَ هوازن حين سار إلى الطّائف إلى الجِعْرانة ، فحُبس بها ؛ ثم أتته وفود هَوازن بالجِعْرانة ؛ وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سَبْى هوازن من النساء والذرارىّ عدد كثير ، ومن الإبِل ستة آلاف بعير ، ومن الشاء ما لا يُحْصَى [١] .

١٦٧٥/١ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : أتى وفدُ هوازِن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجِعْرانة ؛ وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسولَ الله ، إنّا أصلٌ وعشيرة ؛ وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفَى عليك ، فامنُنْ علينا مَنّ الله عليك ! فقام رجل من هوازن — أحدُ بنى سعد بن بكر ، وكان بنو سعد هم الذين أرضعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم — يقال له زهير بن صُرَد ، وكان يكنى بأبى صُرَد — فقال : يا رسولَ الله ؛ إنّما فى الحظائر [٢] عمّاتك وخالاتك وحواضنك [٣] اللاتى كنّ يكفُلْنك ! ولو أننا ملَحْنا [٤] للحارث بن أبى شمِر أو للنعمان بن المنذر ، ثم نزل منّا بمثل ما نزلتَ به ، رجونا عطْفَه وعائدته ، وأنت خير المكفولين ! ثم قال :

أُمْنُنْ عَلينا رسولَ اللهِ فى كَرَمٍ ... فإنَّكَ المرْءُ نرْجُوه ونَدَّخِرُ [٥]

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٥

(٢) الحظائر : جمع حظيرة ؛ وهى الزرب الذى يصنع للإبل والغنم ؛ وكان السبى فى حظائر مثلها .

(٣) حواضنك : يعنى اللاتى أرضعن النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وكانت حاضنته من بنى سعد ابن بكر .

(٤) ملحنا : أرضعنا ، والملح هنا : الرضاع . قال ابن هشام : « ويروى : « ولو أنا مالحنا » .

(٥) قال السهيلى : « ولم يذكر ابن إسحاق شعره فى النبى صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم فى رواية البكائى ؛ وذكره فى رواية إبراهيم بن سعد عنه » .

امنُنْ على بَيْضَةٍ قد عاقَها قدرٌ[1] مُمَزَّقٌ شَمْلُهَا ، فِي دهرِهَا غِيَرُ

فى أبيات قالها[2] ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أبناؤكم ونساؤكم أحبُّ إليكم أم أموالكم ؟ فقالوا : يا رسولَ الله ؛ خيَّرتَنا بين أحسابنا وأموالنا ، ١٦٧٦/١
بل تردّ علينا نساءنا وأبناءَنا فهم أحبّ إلينا ، فقال : أمّا ما كان لى ولبنى عبد المطّلب فهو لكم ؛ فإذا أنا صلّيت بالناس، فقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا ؛ فسأعطيكم عند ذلك ؛ وأسأل لكم ؛ فلمّا صلّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالناس الظهر، قاموا فتكلّموا بالذى أمرهم به، فقال رسول الله : أمّا ما كان لِى ولبنى عبدالمطلب فهو لكم ، وقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله ، وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله . قال الأقرع بن حابس : أمّا أنا وبنو تميم فلا ، وقال عُيينة بن حصن : أمّا أنا وبنو فَزارة فلا ، [و] قال عباس بن مرداس : أمّا أنا وبنو سليم فلا ، قالت[3] بنو سليم : ما كان لنا فهو لرسول الله .

قال : يقول العباس لبنى سليم : وهنتمونى[4]! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أمّا مَنْ تمسّك بحقه من هذا السبى منكم فله بكلّ إنسان ستّ فرائض من أوّل شىء نُصيبه ، فرَدّوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم[5] .

* * *

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى يزيد بن عُبَيد السعدىّ أبو وَجْزة ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم كان أعطى علىّ بن أبى طالب جاريةً من سَبْى حُنين يقال لها رَيْطة بنت هلال بن حيّان بن عميرة بن هلال بن ناصرة بن قُصَيّة بن نصر بن ١٦٧٧/١
سعد بن بكر ، وأعطى عثمان بن عفّان جاريةً يقال لها زينب بنت حيّان بن

(١) كذا فى السهيلى وفى ط : « اعتاقها » .
(٢) ذكرها السهيلى فى الروض الأنف ٢ : ٣٠٦ .
(٣) ابن هشام : « فقالت » . (٤) وهنتمونى : أضعفتمونى .
(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

عمرو بن حيّان ، وأعطى عمرَ بن الخطاب جارية ، فوهبها لعبد الله بن عمر (١) .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، قال : أعطى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عمرَ بن الخطاب جاريةً من سبى هوازن ، فوهبها لى، فبعثت بها إلى أخوالى من بنى جُمَح ليُصلِحوا لى منها حتى أطوف بالبيت ثم آتيهم ؛ وأنا أريد أن أصيبَها إذا رجعت إليها ، قال : فخرجتُ من المسجد حين فرغت ؛ فإذا الناس يشتدّون ، فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : ردّ علينا رسولُ الله نساءَنا وأبناءَنا ، قال : قلت: تِلْكمُ صاحبتكم فى بنى جُمح ؛ اذهبوا فخذوها ، فذهبوا إليها فأخذوها ؛ وأما عُيينة بن حِصْن فأخذ عجوزاً من عَجائز هَوازن ، وقال حين أخذها : أرى عجوزاً وأرى لها فى الحىّ نسباً ؛ وعسى أن يعظُم فداؤها ! فلمّا ردّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم السبايا بستّ فرائض أبى أن يردّها ، فقال له زهير أبو صُرَد: خُذْها عنك ؛ فوالله ما فُوها ببارد ، ولا ثَديُها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا دَرُّها بماكد ، ولا زوجها بواجد(٢) . فردّها بستّ فرائض حين قال له زهير ما قال ؛ فزعموا أنّ عُيينة لقىَ الأقرع بن حابس ، فشكا إليه ذلك ، فقال : والله إنك ما أخذتَها بكْراً غريرةً(٣) ، ولا نَصَفاً وثِيرَةً (٤) ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوَفْد هوازن ، وسألهم عن مالك بن عوف: ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثَقِيف ؛ فقال رسول الله : أخبروا مالكاً أنه إن أتانى مسلماً رددت عليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل ، فأتىَ مالك بذلك ؛ فخرج من الطائف إليه ؛ وقد كان مالك خاف ثَقِيفاً على نفسه أن يعلموا أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال له ما قال ؛ فيحبسوه، فأمر براحلته فهيّئتْ له، وأمر بفرس له فأتىَ به الطائف ؛ فخرج ليلا ، فجلس على فرسه فركضَه ؛ حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تُحْبس له ، فركبها ، فلحق برسول الله فأدركه بالجعْرانة — أو

١٦٧٨/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٦ .
(٢) واجد : حزين ، والماكد : العزير .
(٣) الغريرة : الصغيرة السن من النساء .
(٤) الوثيرة : السمينة .

بمكة — فردّ عليه أهله وماله، وأعطاه مائة من الإبل، وأسلم فحسُن إسلامه(١).

واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعلى مَنْ أسلم من تلك القبائل حولَ الطائف : ثُمالة وسلِمة وفَهْم ؛ فكان يقاتل بهم ثَقيفًا ، لا يخرج لهم سَرْحٌ إلاّ أغار عليه، حتى ضيَّقَ عليهم ، فقال أبو مِحْجَن ابن حبيب بن عمرو بن عميْر الثَّقَفِيّ :

هابَتِ الأعداءُ جانِبَنا ثمَّ تَغْزُونا بَنو سَلِمَهْ
وأتانا مالكٌ بِهِمُ ناقِضًا لِلعَهْدِ والحُرُمَهْ
وأتَوْنا فى منازِلنا ولقد كنَّا أُولِى نَقِمَهْ

وهذا آخر حديث أبى وجْزة(٢) .

* * *

ثم رجع الحديث إلى حديث عمرو بن شعيب ، قال : فلما فرغَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من ردّ سبايا حُنين إلى أهلها ، ركب واتّبعه الناس ١٦٧٩/١
يقولون : يا رسولَ الله، اقسمْ علينا فيئَنا الإبل والغنم ، حتى ألجئوه إلى شجرة ، فاختطفت الشجرة عنه رداءه ، فقال : رُدُّوا علىَّ ردائى أيها الناس ؛ فوالله لو كان لى عدد شجر تهامة نَعَمًا لقسمتها عليكم ، ثم ما لقيتمونى بخيلاً ولا جبَانًا ولا كذّابًا . ثم قام إلى جنب بعير ، فأخذ وَبَرَةً من سَنامه فجعلها بين أصبعيه ، ثم رفعها فقال : أيّها الناس، إنه والله ليس لى من فيئكم ولا هذه الوبرة إلاّ الخمُس، والخُمس مردودٌ عليكم، فأدُّوا الخِياطَ والمِخيط(٣) ؛

(١) فى رواية ابن هشام : « فقال مالك بن عوف حين أسلم :

ما إن رأيتُ ولا سَمِعتُ بمثلِهِ فى الناس كلّهم بمثل محمَّدِ
أوفَى وأعطى للجزيل إذا اجتُدِى ومتَى تَشَأْ يخبرْكَ عمّا فى غدِ
وإذا الكتيبة عرّدَتْ أنيابُها بالسمهرىّ وضربِ كلّ مهنَّدِ
فكأنّه ليثٌ على أشبالِهِ وسْطَ الهباءةِ خادرٌ فى مرصَدِ

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٧ ، ٣٠٨ .
(٣) الخياط هنا : الخيط ، والمخيط : الإبرة .

فإن الغُلول[١] يكون على أهله عاراً ونارًا وشَنَارًا يوم القيامة . فجاءَه رجلٌ من الأنصار بكُبَّة[٢] من خيوط شَعَر فقال : يا رسولَ الله أخذتُ هذه الكُبَّة أعملُ بها برذعة بعير لى دَبِر ، قال : أمّا نصيبى منها فلكَ ، فقال : إنه إذا بلغت هذه فلا حاجةَ لى بها ، ثم طرحها من يده[٣] .

إلى ها هنا حديث عمرو بن شعَيْب .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبى بكْر ، قال : أعطى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المُؤَلَّفةَ قلوبهم — وكانوا أشرافًا من أشراف الناس يتألّفهم ويتألّف به قلوبهم — فأعطى أبا سفيان بن حرْب مائة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير ، وأعطى حَكيم ابن حزام مائة بعير ، وأعطى النُّضير[٤] بن الحارث بن كلَدة بن علقمة أخا بنى عبد الدار مائة بعير ، وأعطى العَلاء بن جارية الثقفىّ حليف بنى زُهْرة مائة بعير ، وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير ، وأعطى صَفْوان بن أميّة مائة بعير ، وأعطى سُهَيل بن عمرو مائة بعير ، وأعطى حُويطِب بن عبد العُزّى بن أبى قيس مائة بعير ، وأعطى عُيَيْنَةَ بن حِصْن مائة بعير ، وأعطى الأقرع ابن حابس التميمىّ مائة بعير ، وأعطى مالك بن عوف النصرىّ مائة بعير ، فهؤلاء أصحاب المئين ؛ وأعطى دون المائة رجالاً من قريش ؛ منهم مَخْرَمة ابن نوفل بن أهَيب الزهرىّ ، وعمير بن وهب الجمحىّ ، وهشام بن عمرو أخو بنى عامر بن لؤىّ — لايحفَظ عدّة ما أعطاهم ؛ وقد عرف فيما زعم أنها دون المائة — وأعطى سعيد بن يربوع بن عَنْكَثة بن عامر بن مخزوم خمسين من الإبل ، وأعطى السَّهْمِىَّ[٥] خمسين من الإبل ، وأعطى عبّاس بن مرداس السُّلمىّ أبا عرَ فنَسخَطها[٦] ، وعاتب فيها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : ١٦٨٠/١

(١) الغلول : الخيانة . (٢) الكبة ، من قولهم أكب الغزل ؛ إذا جعله كبيا.
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٦ — ٣٠٨ .
(٤) فى رواية أخرى عن ابن هشام : « الحارث » .
(٥) ابن هشام : « واسمه عدى بن قيس » .
(٦) ابن هشام : « فسخطها » .

كانت نِهاباً تلافَيْتُها بكَرِّى على المهرِ فِى الأجْرَعِ (١) ١٦٨١/١
وإيقاظِيَ القومَ أن يرْقدوا إذا هَجَعَ الناسُ لم أهْجَعِ
فأصْبَحَ نَهْبِي ونَهْبُ العُبَيْـ ـد بيْنَ عُيَيْنَةَ والأقْرَعِ
وقد كنتُ فى الحربِ ذَا تُدْرَإٍ فلم أُعْطَ شَيْئاً ولم أُمْنَعِ (٢)
إلاّ أفائِلَ أُعْطِيتُهـا عَدِيدَ قوائمها الأرْبَعِ (٣)
وما كانَ حِصْنٌ ولا حَابِسٌ يَفُوقانِ مِرْداسَ فى المَجْمَعِ (٤)
وما كُنْتُ دونَ امْرِئٍ منهمَا ومَنْ تَضَعِ اليَوْمَ لا يُرْفَعِ (٥)

قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اذْهبوا فاقطعوا عنى لسانه ؛ فزادوه حتى رضىَ ؛ فكان ذلك قطْع لسانه الذى أمر به (٦) .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، أنّ قائلاً قال لرسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم من أصحابه : يا رسولَ الله ، أعطيتَ عُيينة بن حِصْن والأقرع بن حابس مائةً مائةً ، وتركتَ جُعَيْلَ بن سراقة الضَّمْرِىّ (٧) ! فقال رسولُ الله صلّى الله الله عليه وسلّم : أما والذى نفسى بيده ، لَجُعَيْلُ بن سراقة خيرٌ من طِلاع (٨) الأرض ، كلّهم مثل عيينة بن حصن والأقرع بن حابس ؛ ولكنّى تألّفتُهما ١٦٨٢/١ ليُسْلما ، ووكلتُ جُعَيل بن سُراقة إلى إسلامه (٩) .

(١) النهاب : جمع نهب ؛ وهو ما ينهب ويغنم ، يريد الماشية والإبل . والأجرع : المكان السهل .
(٢) ذا تدرأ ، أى ذا دفع عن قومى .
(٣) الأفائل : صغار الإبل ، واحدها أفيل .
(٤) ابن هشام : « يفوقان شيخى » .
(٥) س : « ومن تخفض » .
(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .
(٧) قال السهيلى : « نسب ابن إسحاق جعيلا إلى ضمرة ؛ وهو معدود فى غفار ؛ لأن غفاراً هم بنو حليل بن ضمرة » .
(٨) طلاع الأرض : ما يملؤها حتى يطلع عنها ويسيل .
(٩) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٠ .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثني أبو عبيدة بن محمد ، عن مِقْسَم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثيّ حتى أتينا عبد الله ابن عمرو بن العاص وهو يطوف بالبيت معلّقًا نعلَيه [١] بيده ، فقلنا له : هل حضرتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين كلّمه التميميُّ يوم حنين ؟ قال : نعم ، أقبل رَجُلٌ من بني تميم يقال له ذو الخُوَيْصِرة ، فوقف على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يعطي الناس ، فقال : يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم ! فقال رسول الله : أجل ؛ فكيف رأيت ؟ قال : لم أرَكَ عدلْتَ ! فغضِب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ثم قال : ويحك ! إذا لم يكن العدل عندي ، فعند مَنْ يكون ! فقال عمر بن الخطاب : يا رسولَ الله ، ألا نقتله [٢] ! فقال : لا ، دعوه [٣] ؛ فإنه سيكون له شيعة يتعمّقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرميّة [٤] ، يُنْظَرُ في النصل [٥] فلا يوجد شيء ، [ثم في القِدْح فلا يوجد شيءٌ] [٦] ؛ ثم في الفُوق [٧] فلا يوجد شيء ؛ سَبَقَ الفَرْثَ [٨] والدّمَ [٩] .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي مثل ذلك ؛ وسمّاه ذا الخويصِرة التميميّ [٩] .

قال أبو جعفر : وقد روى عن أبي سعيد الخُدْرِيّ أنّ الذي كلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الكلام ؛ إنما كلّمه به في مالٍ كان على عليه السلام
١٦٨٣/١ بعثه من اليمن إلى رسول الله ، فقسّمه بين جماعة ؛ منهم عُيَينة بن حِصْن ، والأقرع ، وزيد الخيل ؛ فقال حينئذ ما ذُكر عن ذي الخُوَيصرة أنه قاله رجل حضره .

(١) و : « معلقاً فيه نعليه » .
(٢) ابن هشام : « أقتله » .
(٣) ابن هشام : « دعه » .
(٤) الرمية : الشيء الذي يرمى .
(٥) النصل : حديد السهم .
(٦) من سيرة ابن هشام ، والقدح : السهم .
(٧) الفوق : طرف السهم الذي يباشر الوتر .
(٨) الفرث : ما يوجد في الكرش .
(٩) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٠ .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر أنّ رجلاً من أصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ممّن شهد معه حنَيْنًا ، قال : والله إنّى لأسير إلى جَنْب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم على ناقة لى ، وفى رِجْلى نَعل غليظة ، إذ زحمت ناقتى ناقةَ رسول الله ، ويقع حرف نعلى على ساق رسول الله فأوجعَه ، قال : فقرَع قدمِى بالسوط ، وقال : أوجعتَنِى فتأخّرْ عنّى ، فانصرفت ؛ فلمّا كان من الغد إذا رسول الله يلتمسنى ، قال : قلت : هذا والله لما كنت أصبتُ من رجْل رسول الله بالأمس . قال : فجئته وأنا أتوقّع ، فقال لى : إنّك قد أصبتَ رجلى بالأمس فأوجعتَنى فقرعت قدمك[1] بالسوط ، فدعوتك لأعوّضَك منها ؛ فأعطانى ثمانين نعجة بالضَّرْبة التى ضربنى .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم ابن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن أبى سعيد الخُدرىّ ، قال : لما أعطَى رسولُ الله ما أعطى من تلك العطايا فى قريش وقبائل العرب ، ولم يكن فى الأنصار منها شىء ، وَجَد هذا الحىّ من الأنصار فى أنفسهم ، حتى كثُرَتْ منهم القالة[2] ؛ حتى قال قائلهم : لَقِىَ والله رسولُ الله قومَه ! فدخل عليه سعد بن عُبادة فقال : يا رسولَ الله ؛ إن هذا الحىّ من الأنصار قد وجَدوا عليك فى أنفسهم لما صنعتَ فى هذا الفىء الذى أصبت ؛ قَسَمت فى قومك وأعطيت عطايا عظامًا فى قبائل العرب ، ولم يكن فى هذا الحىّ من الأنصار ١٦٨٤/١
شىء ، قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ! قال : يا رسول الله ما أنا إلاّ من قومى ! قال : فاجمَعْ لى قومَك فى الحظيرة ، قال : فخرج سعدٌ فجمع الأنصار فى تلك الحظيرة ، قال : فجاءَه رجالٌ من المهاجرين ، فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردّهم ، فلما اجتمعوا إليه أتاه سعدٌ فقال : قد اجتمع لك هذا الحىُّ من الأنصار ، فأتاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فحمِد الله وأثنى عليه بالذى هو له أهلٌ ، ثم قال : يا معشرَ الأنصار ، ما قالةٌ بلغتنى عنكم ،

(١) و : « رجلك » . (٢) القالة : الكلام السيء .

وموجدة[١] وجدتموها فى أنفسكم ! ألم آتكم ضُلالاً فهداكم الله ؛ وعالة[٢] فأغناكم الله ، وأعداءً فألّف الله بين قلوبكم ! قالوا : بلَى ، لله ولرسوله المنُّ والفضل ! فقال : ألا تجيبونى يا معشر الأنصار ! قالوا : وبماذا نُجيبُكَ يا رسول الله ، لله ولرسوله المنُّ والفضلُ ! قال : أما والله لو شئتم لقلتم فصَدَقتم، ولَصُدِّقتم ؛ أتيتنا مُكذَّبًا فصدّقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك ؛ وَجَدْتم فى أنفسكم يا معشر الأنصار فى لُعَاعة[٣] من الدنيا تألّفتُ بها قومًا ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ! أفلا ترضَوْن يا معشر الأنصار ؛ أن يذهب الناس بالشاء والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالِكم ! فوالذى نفس محمد بيده ؛ لولا الهجرةُ لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناسُ شِعْبًا[٤] وسلكت الأنصار شِعْبا ، لسلكتُ شِعْب الأنصار ! اللهمّ ارْحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار ! ١٦٨٥/١

قال : فبكى القوم حتى أخضَلوا لحاهم ، وقالوا : رضِينا برسول الله قِسمًا وحظًّا ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتَفرّقوا[٥] .

[عمرة رسول الله من الجعرانة]

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم خرجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الجِعْرانة معتمراً ، وأمر ببقايا الفَيء ، فحبس بمِجَنَّةَ ، وهى بناحية مَرّ الظَّهران ، فلمّا فرغ رسول الله من عُمْرته وانصرف راجعًا إلى المدينة ؛ استخلف عتّاب بن أسِيد على مكة ، وخلّف معه معاذَ بن جبل يُفَقّهُ الناس فى الدين ويعلّمهم القرآن ، واتّبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقايا الفَيء .

وكانت عُمرة رسول الله فى ذى القعدة ، فقدم رسولُ الله صلى الله عليه

(١) كذا وردت هذه الرواية فى الطبرى ، وفى ابن هشام : «جدة» ، قال السهيلى : « هكذا الرواية « جدة » ، والمعروف عند أهل اللغة الموجدة إذا أردت الغضب ، وإنما الجدة فى المال » .

(٢) عالة : جمع عائل ؛ وهو الفقير . (٣) قال السهيلى : «اللعاعة : بقلة ناعمة» .

(٤) الشعب : الطريق بين جبلين . (٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٠ ، ٣١١ .

وسلم المدينة فى ذى القعدة أو فى ذى الحجة ، وحجّ الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحجّ عليه ، وحجّ تلك السنة بالمسلمين عتّاب بن أسِيد ؛ وهى سنة ثمانٍ ؛ وأقام أهلُ الطائف على شركهم وامتناعهم فى طائفهم ما بين ذى القعدة ، إذ انصرف رسول الله عنهم إلى شهر رمضان من سنة تسع (١).

قال الواقدىّ : لمّا قسم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الغنائمَ بين المسلمين بالجِعرانة ، أصاب كلَّ رجلٍ أربع من الإبل وأربعون شاة ؛ فمن كان منهم فارسًا أخذ سهم فرسه أيضًا . وقال أيضًا : قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ لليالٍ يقينَ من ذى الحجة من سفرته هذه .

قال : وفيها بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى جَيْفَر وعمرو ابنى الجُلَنْدَى من الأزْد مُصَدِّقًا ، فخلّيا بينه وبين الصّدقة ، فأخذ الصدقة من أغنيائهم وردّها على فقرائهم ، وأخذ الجزية من المجوس الذين بها ، وهم كانوا أهل البلد ، والعرب كانوا يكونون حولها .

قال : وفيها تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم الكِلابية التى يقال لها ١٦٨٦/١
فاطمة بنت الضّحاك بن سفيان ، فاختارت الدنيا حين خُيِّرت . وقيل : إنها استعاذتْ من رسول الله ، ففارقها . وذكر أن إبراهيم بن وثيمة بن مالك بن أوس بن الحدثان ؛ حدّثه عن أبى وجزة السعدىّ أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلّم تزوّجها فى ذى القعدة .

قال : وفيها ولدت مارية إبراهيم فى ذى الحجّة ، فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمّ بُرْدة بنت المنذر بن زيد بن لبيد بن خِداش بن عامر ابن غَنْم بن عدىّ بن النجار ، وزوْجها البَرَاء بن أوس بن خالد بن الجعد ابن عوف بن مبذول بن عمرو بن غَنْم بن عدىّ بن النجار ؛ فكانت ترضعه .

قال : وكانت قابلتُها سَلْمى مولاة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فخرجت إلى أبى رافع فأخبرته أنها ولدت غلامًا ؛ فبشّر به أبو رافع رسول الله ، فوهب له مملوكاً .

قال : وغارت نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتدّ عليهنّ حين رزِقتْ منه الولد .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١١ .

١٦٨٧/١

ثم دخلت سنة تسع

وفيها قَدِم وفدُ بنِي أسد على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم — فيما ذكر — فقالوا : قدِمنا يا رسول الله قبل أن ترسل إلينا رسولا ، فأنزل الله عز وجلّ فى ذلك من قولهم : ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ...﴾[1] الآية .

وفيها قدم وفد بَلِيّ فى شهر ربيع الأوّل ، فنزلوا على رُوَيْفع بن ثابت البَلَوِيّ .

وفيها قدِم وفد الداريِّين من لخْم ، وهم عشرة .

* * *

[أمر ثقيف وإسلامها]

وفيها قدِم — فى قول الواقدىّ — عُرْوة بن مسعود الثقفىّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلِمًا ، وكان من خبره — ما حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق — أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن أهل الطائف اتّبع أثرَه عروة بنُ مسعود بن مُعَتّب حتى أدركه قبل أن يصِل إلى المدينة ، فأسلم ؛ وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — كما يتحدّث قومهم[2] : إنهم قاتلوك ؛ وعرف رسولُ الله أنّ فيهم نخوةً بالامتناع الذى كان منهم — فقال له عُروة : يا رسول الله، أنا أحبّ إليهم من أبكارهم[3] — وكان فيهم كذلك محبَّبًا مطاعًا —

(١) سورة الحجرات ١٧ . (٢) ابن هشام : « قومه » .

(٣) قال ابن هشام : « ويقال : من أبصارهم » .

فخرج يدعُو قومَه إلى الإسلام ، ورجا ألاّ يخالفوه لمنزلته فيهم ؛ فلما أشرف لهم على عُلَيّة له وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رموْه بالنَّبل ١٦٨٨/١
من كلّ وجه ، فأصابه سهمٌ فقتله ؛ فتزعم بنو مالك أنه قتله رَجُلٌ منهم يقال له أوْس بن عوف ، أخو بنى سالم بن مالك ، وتزعم الأحلاف أنه قتله رجلٌ منهم من بنى عتّاب بن مالك، يقال له وهب بن جابر . فقيل لعروة : ما ترى فى دمك؟ قال : كرامة أكرمنى الله بها ، وشهادة ساقها الله إلىّ ، فليس فىّ إلاّ ما فى الشهداءِ الذين قُتِلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنونى معهم ، فدفنوه معهم . فزعموا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال فيه : إن مَثَلَه فى قومه كمثل صاحب يَس فى قومه[1] .

* * *

وفيها قدم وفدُ أهل الطائف على رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، قيل : إنهم قدموا عليه فى شهر رمضان .

فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمّد بن إسحاق ، قال : ثمّ أقامت ثَقِيف بعد قتل عُرْوة أشهُرًا ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ألاّ طاقة لهم بحرب مَنْ حَوْلهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا .

وحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عَن محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عُتْبة بن المغيرة بن الأخنس بن شَرِيق الثقفىّ ، أنّ عمرو بن أميّة أخا بنى عِلاج كان مهاجراً لعبد ياليل بن عمرو ، الذى بينهما سَيِّىءٌ — وكان عمرو بن أميّة من أدهى العرب — فمشى إلى عبد ياليل بن عمرو حتى دخل عليه داره ، ثم أرسل إليه : إن عمرو بن أمية يقول لك : اخرج إلىّ ، فقال عبد ياليل للرسول : ويحك ! أعمرو أرسلك ؟ قال : نعم ، وهو ذا واقف ١٦٨٩/١
فى دارك . فقال : إنّ هذا لشىءٌ ما كنت أظنُّه ! لَعَمْرو كان أمنعَ فى نفسه من ذلك . فلمّا رآه رَحَّبَ به ، وقال عمرو : إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هِجْرةٌ ، إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيتَ ، وقد[2] أسلمت

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٥ . (٢) ابن هشام : « قد » .

العربُ كلُّها ، وليست لكم بحربهم طاقة ، فانظروا فى أمركم . فعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها ، وقال بعضهم لبعض : ألا ترونْ أنه لا يأمن لكم سِرْبٌ ، ولا يخرج منكم أحدٌ إلاّ اقتُطِع به ! فائتمروا [بينهم][1] ، وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجُلاً ، كما أرسلوا عروة ، فكلّموا عبد ياليل ابن عمرو بن عمير — وكان فى سنّ[2] عُروة بن مسعود — وعرضوا ذلك عليه ، فأبى أن يفعل ، وخشىَ أن يُصنَع به إذا رجع كما يُصنع بعروة ، فقال : لست فاعلاً حتى تبعثوا معى رجالاً ، فأجمعوا على أن يبعثوا معه رجليْن من الأحلاف وثلاثة من بنى مالك ، فيكونوا ستة : عثمان بن أبى العاص بن بشر بن عبد دُهْمان أخو بنى يَسَار ، وأوس بن عوف أخو بنى سالم ، ونُمَيْر بن خَرَشة بن ربيعة أخو بلحارث ؛ وبعثوا من الأحلاف مع عبد ياليل الحكم بن عمرو بن وهب بن معتّب وشُرَحبيل بن غَيْلان بن سَلمة بن معتّب ؛ فخرج بهم عبد ياليلَ — وهو نابُ القوم[3] وصاحب أمرهم ؛ ولم يخرج إلا خَشْيَةً من مثل ما صنِع بعروة بن مسعود ، ليشغلَ كلُّ رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رهطه — فلما دنوْا من المدينة ، ونزلوا قناة لقُوا بها المغيرة بن شعبة يرعى فى نوبته ركاب أصحاب رسول الله ، وكانت رِعْيتُها نُوَباً على أصحابه ، فلما رآهم ١٦٩٠/١
المغيرة ترك الركاب وضَبر[4] يشتدُّ ليُبَشّرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه ، فلقيَه أبو بكر الصّديق رضى الله عنه قبل أن يدخُل على رسول الله ، فأخبره عن ركْب ثقيف أنّهم قدموا يريدون البيعة والإسلام ، بأن يشرط لهم شروطًا ، ويكتتبوا من رسول الله كتابًا فى قومهم وبلادهم وأموالهم. فقال أبو بكر للمغيرة : أقسمت عليك بالله لا تسبقنى إلى رسول الله حتى أكون أنا الذى أحدّثه ، ففعل المغيرة ، فدخل أبو بكر على رسولِ الله ، فأخبره عن ركب ثقيف بقدومهم ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فرَوَّح الظَّهر معهم ، وعلّمهم كيف يُحيُّون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهليّة .

(١) من ابن هشام .
(٢) ابن هشام : « وكان سنّ عروة » .
(٣) ناب القوم : سيدهم ورئيسهم .
(٤) ضبر : وثب .

ولما أن قدِموا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبّة فى ناحية مسجده — كما يزعمون — وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى اكتتبوا كتابهم ؛ وكان خالد هو الذى كتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يطعَمون طعامًا يأتيهم من عند رسول الله حتى يأكل منه خالد ؛ حتى أسلموا وبايعوا وفرغوا من كتابهم — وقد كان فيما سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يدَع الطاغية ؛ وهى اللات ، لا يهدمها ثلاث سنين ؛ فأبى رسولُ الله ذلك عليهم ؛ فما برحوا يسألونه سنة سنة ، فأبى عليهم حتى سألوه شهراً واحداً بعد مقدَمهم ؛ فأبى أن يدَعها شيئًا يسمّى ؛ وإنما يريدون بذلك فيما يُظْهِرُون أن يسلَموا بتركها من سفهائهم ونسائهم ١٦٩١/١
وذراريّهم ، ويكرهون أنْ يروّعوا قومهم بهدمها حتى يدخلَهم الإسلام — فأبى رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ذلك إلاّ أن يبعث آبا سفيان بن حرب والمغيرة ابن شعبة فيهدماها ؛ وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يُعفيَهم من الصّلاة ، وأن يكسروا أوثانهم بأيديهم ؛ فقال رسول الله : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنُعْفيكم منه ؛ وأما الصّلاة فلا خيرَ فى دين لا صلاة فيه ؛ فقالوا : يا محمد ، أما هذه فسنؤتيكها وإن كانت دناءة .

فلمّا أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم ؛ أمّرَ عليهم عثمان بن أبى العاص — وكان من أحدثِهم سنًّا — وذلك أنه كان أحرصَهم على التفقه فى الإسلام وتعلّم القرآن ، فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ؛ إنى قد رأيتُ هذا الغلام فيهم من أحرصهم على التفقه فى الإسلام وتعلّم القرآن (١) .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن يعقوب ابن عُتْبة ، قال : فلمّا خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجّهوا إلى بلادهم راجعين ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب ،

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

والمغيرة بن شعبة فى هدْم الطاغية ، فخرجا مع القوم ؛ حتى إذا قدِموا الطائف
١٦٩٢/١ أراد المغيرة أن يقدِّم أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : ادخل أنتَ على قومك ؛ وأقام أبو سفيان بماله بذى الهرْم[١] ، فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يضربها بالمِعْوَل ، وقام قومه دونه — بنو مُعتِّب — خَشْيةَ أن يُرْمَى أو يصاب كما أصيب عُروة ، وخرج نساءُ ثقيف حُسَّرًا[٢] يبكين عليها ، ويقلن :

أَلاَ أَبْكِيَنْ دُفَاعَ[٣] أَسْلَمَهَا ٱلرُّضَّاعُ[٤]

* لم يُحْسِنُوا المِصَاعَ[٥] *

قال : ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس : واهاً لك[٦]! واهاً لك ! فلما هدمها المغيرة أخذ مالها وحُلِيَّها وأرسل إلى أبى سفيان وحليُّها مجموع ، ومالُها من الذهب والجَزْع ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبا سفيان أن يقضىَ من مال اللات دينَ عروة والأسود ابنىْ مسعود ، فقضى منه دينهما[٧] .

وفى هذه السنة غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك .

* * *

ذكر الخبر عن غزوة تبوك

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : أقامَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم بالمدينة بعد منصَرفه من الطائف ، ما بين ذى الحجة إلى رجب .

(١) ابن هشام : « الهدم » .
(٢) حسرا : مكشوفات الرءوس .
(٣) ابن هشام : « لتبكين » .
(٤) الرضاع هنا : اللئام .
(٥) المصاع : المصارعة .
(٦) ابن هشام : « آها لك » .
(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٦ ، ٣٢٧ .

ثم أمر النّاس بالتهيُّؤ لغزو الروم ؛ فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق، عن الزّهريّ ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم ؛ كلٌّ قد حدّث فى غزوة تبوك ما بلَغه عنها ، وبعض القوم يحدّث ما لم يحدّث بعض ، وكلٌّ قد اجتمع ١٦٩٣/١
حديثه فى هذا الحديث . إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم أمرَ أصحابه بالتهيُّؤ لغزو الرُّوم ؛ وذلك فى زمن عُسْرة من الناس ، وشدّة من الحرّ، وجَدْب من البلاد ؛ وحين طابت الثّمار وأحبّت الظلال ؛ فالناس يحبُّون المقام فى ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذى هم عليه ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قلّما يخرج فى غزوة إلاّ كنّى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الذى يصمِد له ؛ إلاّ ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بيّنها للناس لبُعْد الشُّقّة وشدّة الزمان وكثرة العدوّ الذى يصمِد[1] له ، ليتأهّبَ الناس لذلك أهبتَه ، وأمر الناس بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم .

فتجهّز الناس على ما فى أنفسهم من الكُرْه لذلك الوجه لما فيه ؛ مع ما عظّموا من ذكر الرّوم وغزوهم ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو فى جهازه ذلك للجَدّ بن قيس أخى بنى سلِمة : هل لك يا جدّ العامَ فى جلاد بنى الأصفر[2] ؟ فقال : يا رسول الله، أوَ تأذَنُ لى ولا تفتنّى ! فوالله لقد عرف قومى ما رجلٌ أشدّ عجبًا بالنساء منّى ؛ وإنى أخشى إن رأيتُ نساء بنى الأصفر ألاّ أصبرَ عنهنّ . فأعرض عنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم وقال : قد أذنت لك ؛ فى الجدّ بن قيس نزلت هذه الآية : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلاَ تَفْتِنِّي . . . ﴾[3] الآية ؛ أى إن كان إنما يخشى الفتنة من نساء بنى الأصفر — وليس ذلك به — [فما][4] سقط فيه من الفتنة ١٦٩٤/١
بتخلّفه عن رسول الله والرغبة بنفسه عن نفسه أعظم ؛ وإن جهنم لمن ورائه .

وقال قائل من المنافقين لبعض : لا تنفِرُوا فى الحرّ ، زهادةً فى الجهاد ،

(١) يصمد : يقصد .
(٢) بنو الأصفر : هم الروم .
(٣) سورة التوبة ٤٩ .
(٤) من ابن هشام .

وشكًّا فى الحقّ ، وإرْجافًا بالرسول ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم : ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ . إلى قوله : ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[1] .

ثم إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جَدَّ فى سفره ، فأمر الناس بالجهاز والانكماش ، وحضّ أهل الغِنَى على النفقة والحُمْلان[2] فى سبيل الله ، ورغّبهم فى ذلك ، فحمل رجال من أهل الغنى فاحتسبوا[3] ، وأنفق عثمان ابن عفان فى ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحدٌ أعظمَ من نفقته[4] .

ثمّ إن رجالاً من المسلمين أتوْا رسولَ الله ؛ وهم البكّاءُون ، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم[5] ، فاستحْملوا[6] رسولَ الله ، وكانوا أهلَ حاجة ، فقال : ﴿ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾[7] . قال : فبلغنى أنّ يامين بن عُمَير بن كعب النضْرىّ لقِىَ أبا ليلى عبدالرحمن بن كعب وعبد الله بن مُغَفَّل ، وهما يبكيان ، فقال لهما : ما يُبْكيكما ؟ قالا : جئنا رسولَ الله ليحملنا ، فلم نجد عنده ما يحملُنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوّى به على الخروج معه ، فأعطاهما ناضحًا[8] فارتحلاه ، وزوّدهما شيئًا من تمْر ، فخرجا مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم . ١٦٩٥/١

(١) سورة التوبة ٨١ ، ٨٢ . (٢) الحملان : مصدر حمل يحمل .

(٣) احتسبوا ، أى جعلوا أجر ما بذلوا عند الله .

(٤) قال ابن هشام : « حدثنى من أثق به أن عثمان بن عفان أنفق فى جيش العسرة فى غزوة تبوك ألف دينار ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ارض عن عثمان فإنى عنه راض » .

(٥) ابن هشام : « وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بنى عمرو بن عوف : سالم بن عمير ، وعلبة بن زيد أحد بنى حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب أحد بنى مازن بن النجار ، وعمرو بن حمام بن الجموح أخو بنى سلمة ، وعبد الله بن المغفل المزنى — وبعض الناس يقول : بل هو عبد الله بن عمرو المزنى — وهرمى بن عبد الله أخو بنى واقف ، وعرباض بن سارية الفزارى » .

(٦) استحملوه : طلبوا منه ما يحملهم عليه . (٧) سورة التوبة ٩٢ .

(٨) الناضح : الحمل يستقى عليه .

قال : وجاءَ المُعَذِّرون من الأعْراب ، فاعتذروا إليه فلم يعذرهم اللهعزّ وجلّ ؛ وذُكِر لى أنهم كانوا من بنى غِفَار ، منهم خُفاف بن إيماء بن رَحْضَة .

ثم استتبَّ[1] برسول الله صلى الله عليه وسلم سفرُه ، وأجمع السير ؛ وقد كان نفر من المسلمين أبطأتْ بهم النيّة عن رسول الله حتى تخلّفوا عنه من غير شكّ ولا ارتياب ؛ منهم كعب بن مالك بن أبى كعب أخو بنى سلِمة ، ومرارة بن الربيع أخو بنى عمرو بن عوف ، وهلال بن أميّة أخو بنى واقف ، وأبو خيثمة أخو بنى سالم بن عوف ؛ وكانوا نفرَ صدق لا يُتَّهمون فى إسلامهم ، فلمّا خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنيّة الوَدَاع ، وضرب عبد الله بن أبىّ بن سَلُول عسكره على حِدَةٍ أسفل منه بحذاء ذُبَاب ؛ جبل بالجبّانة أسفل من ثنيّة الوداع . وكان — فيما يزعمون — ليس بأقلّ العسكرين ؛ فلمّا سار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تخلّف عنه عبد الله بن أبىّ فيمن تخلّف من المنافقين وأهل الرّيب — وكان عبدُ الله بن أبىّ أخا بنى عوف بن الخزرج — وعبد الله بن نَبْتَل أخا بنى عمرو بن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت أخا بنى قَينُقَاع ؛ وكانوا من عظماء المنافقين ؛ وكانوا ممّن يكيد الإسلام وأهله[2] .

قال : وفيهم — فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن البصرىّ — أنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا ٱلْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ ٱلْأُمُورَ . . . ﴾[3] ، الآية . ١٦٩٦/١

* * *

قال ابن إسحاق : وخلّف رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم علىّ بن أبى طالب على أهله ، وأمره بالإقامة فيهم ،، واستخلَف على المدينة سِبَاع بن عُرْفُطَة ، أخا بنى غِفار ، فأرجف المنافقون بعلىّ بن أبى طالب ، وقالوا : ما خلّفه

(١) استتب : تتابع واستمر . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٦ — ٣١٧ .
(٣) سورة التوبة ٤٨ .

إلا استثقالا له ، وتخفّفًا منه . فلما قال ذلك المنافقون ، أخذ علىٌّ سلاحَه ثم خرج حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجُرف فقال : يا نبيّ الله؛ زعم المنافقون أنّك إنّما خلّفتَنى؛ أنك استثقلتَنى وتخفّفتَ منّى! فقال: كذبوا ، ولكنى إنما خلّفتُك لما ورائى ، فارجع فاخلُفْنى فى أهلى وأهلِك ؛ أفلا ترضَى يا علىّ أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؛ إلاّ أنه لا نبىّ بعدى ! فرجع علىٌّ إلى المدينة ، ومضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على سفره[1].

ثم إنّ أبا خَيْثَمة أخا بنى سالم رجع — بعد أن سارَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أيامًا — إلى أهله فى يوم حارّ ، فوجد امرأتين له فى عريشين[2] لهما فى حائط[3] ، قد رشّتْ كلُّ واحدة منهما عريشَها وبرّدتْ له فيه ماءً ، وهيّأتْ له فيه طعامًا ؛ فلمّا دخل فقام على باب العريشين ؛ فنظر إلى امرأتيْه وما صنعتا له ، قال : رسولُ الله فى الضِّحِّ[4] والريح ، وأبو خيثمة فى ظلال
١٦٩٧/١ باردة وماء بارد وطعام مهيّإ وامرأة حسناء، فى ماله مقيمٌ ! ما هذا بالنَّصَف! ثمّ قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحقَ برسول الله ؛ فهيّئا لى زاداً ؛ ففعلتا . ثم قدّم ناضِحَه فارتحله ، ثمّ خرج فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلّم حتى أدركه حين نزل تبُوك ، وقد كان أدرك أبا خيثمة عميرُ بن وهبٍ الجُمحىّ فى الطريق ، يطلب رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم، فترافقا[5] حتى إذا دنَوَا من تبوك قال أبو خيثمة لعُمير بن وهب : إنّ لى ذنبًا ، فلا عليك أن تَخلّفَ عنّى حتى آتىَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . ففعل، ثم سار حتى إذا دنا من رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم وهو نازل بتَبُوك ، قال الناس : يا رسولَ الله ، هذا راكب على الطريق مقبِل ، فقال رسول الله : كُنْ أبا خيثمة ! فقالوا : يا رسولَ الله ، هو والله أبو خيثمة ! فلمّا أناخ أقبلَ فسلّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسولُ الله : أوْلَى لك

(١) ابن هشام : « ثم رجع على إلى المدينة ؛ ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره » .

(٢) العريش : شبيه الخيمة ، يظلل ليكون أبرد للأخبية والبيوت .

(٣) ابن هشام : « حائطه » ، والحائط هنا : البستان .

(٤) الضح : الشمس . (٥) س : « فتوافقا » .

يا أبا خيثمة ! ثم أخبر رسولَ الله الخبر ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له بخير .

وقد كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حين مرّ بالحجْر نزلها واستقى الناس من بئرها ، فلمّا راحوا منها قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لا تشربُوا من مائها شيئًا ، ولا تتوضّئوا منها للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئًا ، ولا يخرجنّ أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له ؛ ففعل الناس ما أمرهم به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلا رجُلين من بنى ساعدة ؛ خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر فى طلب بعير له ، فأما الذى ١٦٩٨/١
ذهب لحاجته فإنه خُنِقَ على مذهبه ، وأما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتملتْه الريح حتى طرحته فى جبلَىْ طيّئ ، فأخبر بذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : ألم أنهكم أن يخرج منكم أحدٌ إلا ومعه صاحب له ! ثم دعا للّذى أصيب على مذهبه فشُفِىَ ، وأما الآخر الذى وقع بجبلَىْ طيّئ ؛ فإنّ طيئاً هدتْهُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة[1] .

قال أبو جعفر : والحديث عن الرجلين[2] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، عن العبّاس بن سهل بن سعد الساعدىّ : فلما أصبح النّاس — ولا ماءَ معهم — شكَوْا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا الله ، فأرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتوَى الناس ، واحتملوا حاجتهم من الماء[3] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : قلت لمحمود بن لَبِيد : هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم ؟ قال : نعم ؛ والله إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٦ ، ٣١٨ .

(٢) فى ابن هشام : « والحديث عن الرجلين ، عن عبد الله بن أبى بكر عن عباس بن سهل ابن سعد الساعدى ، وقد حدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه قد سمى له العباس الرجلين ؛ ولكنه استودعه إياهما ، فأبى عبد الله أن يسميهما لى » . (٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٨ .

أبيه ومن عمّه ومن عشيرته ، ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك؛ ثم قال محمود : لقد أخبرنى رجالٌ من قومى عن رجل من المنافقين معروف نفاقُه ، كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار ، فلما كان من أمر الماء بالحِجْر ما كان ، ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين دعا ، فأرسل الله السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس، أقبلنا عليه نقول : ويْحَك ! هل بعد هذا شيء ! قال : سحابة مارَّةٌ .

ثمّ إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلّتْ ناقتُه، فخرج أصحابُه فى طلَبِها، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٦٩٩/١
رجلٌ من أصحابه ، يقال له عُمارة بن حزم ، وكان عقَبيًّا[1] بدريًّا ، وهو عمّ بنى عمرو بن حزم، وكان فى رحله زيد بن لُصَيْب القَيْنُقاعىّ ، وكان منافقًا ، فقال زيد بن لُصَيب[2] وهو فى رحل عُمارة ، وعُمارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس يزعم محمد أنه نبىّ يخبركم عن خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — وعمارة عنده : إن رجلاً قال : إنّ محمداً هذا يخبركم أنه نبىّ ، وهو يزعم أنه يخبركم بخبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ! وإنى والله ما أعلم إلاّ ما علّمنى الله ، وقد دلنى الله عليها ، وهى فى الوادى من شِعْب كذا وكذا قد حبستْها شجرة بزمامها ، فانطلِقوا حتى تأتُوا بها ، فذهبوا فجاءوا بها ، فرجع عُمارة بن حزم إلى أهله ، فقال : والله لَعجبٌ من شيء حدّثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفًا عن مقالة قائل أخبره الله عنه كذا وكذا — للذى قال زيد بن اللُّصَيب — فقال رجُلٌ ممن كان فى رحْل عمارة ، ولم يحضر رسول الله : زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتىَ . فأقبل عمارة على زيد يَجَأ فى عنقه[3] ، ويقول : يا عباد الله ، والله إنّ فى رَحْلِى لداهية وما أدرى ! اخرج يا عدوّ الله من رحلى فلا تصحَبْنى ! قال : فزعم بعضُ الناس أنّ زيداً تاب بعد ذلك ، وقال بعض : لم يزل مُتّهمًا بشرّ حتى هلك .

(١) أى ممن شهد بيعة العقبة .
(٢) ابن هشام فى إحدى روايتيه : « لصيت » .
(٣) يجأ فى عنقه : يطعنه .

ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سائراً ؛ فجعل يتخلّف عنه الرجل فيقولون : يا رسولَ الله ، تخلّف فلان ، فيقول : دعوه ، فإن يكُ فيه خير ١/١٧٠٠ فسيُلْحِقه الله بكم ، وإنْ يكُ غير[1] ذلك فقد أراحكم الله منه ؛ حتى قيل : يا رسول الله ، تخلّف أبو ذرّ وأبطأ به بعيره ؛ فقال : دعوه ، فإنْ يك فيه خير فسيُلحقه الله بكم ، وإن يكُ غيرَ ذلك فقد أراحكم الله منه .

قال : وتلوّم[2] أبو ذرّ على بعيره ، فلما أبطأ عليه أخذ متاعَه ، فحمله على ظهره ، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ماشيًا ، ونزل رسولُ الله فى بعض منازله ، فنظره ناظرٌ من المسلمين ، فقال : يا رسولَ الله ، إنّ هذا الرجل يمشى على الطريق وحده ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : كن أبا ذرّ ! فلمّا تأمله القوم ، قالوا : يا رسول الله ، هو أبو ذرّ ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يرحم الله أبا ذرّ ! يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويُبْعث وحده[3] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بُرَيْدة بن سفيان الأسلمىّ ، عن محمّد بن كعب القُرظىّ ، قال : لما نفى عثمان أبا ذرّ نزل أبو ذرّ الرَّبَذَة ، فأصابه بها قَدَرُه ، ولم يكن معه أحدٌ إلاّ امرأته وغلامه ، فأوصاهما أن غسّلانى وكفّنانى ، ثم ضعانى على قارعة الطريق ، فأوّل ركْب يمرّ بكم فقولوا : هذا أبو ذرّ صاحب رسول الله فأعينونا على دفنه . فلما مات فعلا ذلك به ، ثم وضعاه على قارعة الطريق ، فأقبل عبد الله بن مسعود ورهطٌ من أهل العراق عُمّارًا ، فلم يَرُعْهم إلاّ بجنازة على الطريق قد كادت الإبل تطؤها ، وقام إليهم الغلام ، فقال : هذا أبو ذرّ صاحب رسول الله ، فأعينونا على دفنه . قال : فاستهلّ عبدُ الله بن مسعود يبكى ، ويقول : صدق رسول الله ! تمشى وحدَك ، وتموت وحدك ، وتُبْعث ١/١٧٠١ وحدك ! ثم نزل هو وأصحابه فوارَوْه .

ثمّ حدّثهم ابن مسعود حديثه وما قال له رسول الله فى مسيره إلى تبوك .

(١) ابن هشام : « على غير ذلك » . (٢) تلوم : تمكث وتمهل .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٨ ، ٣١٩ .

قال : وقد كان رهط من المنافقين ، منهم وديعة بن ثابت أخو بنى عمرو ابن عوف ، ومنهم رجل من أشْجَع حليفٌ لبنى سلمة ، يقال له مَخشى[1] ابن حُمَيِّر ، يسيرون مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أتحسبون قتال بنى الأصفر كقتال غيرهم ! والله لكأنّى بكم غداً مُقَرَّنين فى الحبال ؛ إرْجَافًا وترهيبًا للمؤمنين . فقال مخشىّ ابن حميِّر : والله لَوَدِدْتُ أنّى أقاضَى على أن يُضرب كلّ رجل منّا مائة جلدة ، وأنا ننفلت أن يُنزِل الله فينا قرآنًا لمقالتكم هذه . وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — لعمّار بن ياسر : أدرك القوم ، فإنهم قد احترقوا ،[2] فسلْهم عمّا قالوا ؛ فإن أنكروا فقل : بلى قد قلتم كذا وكذا . فانطلق إليهم عمّار فقال لهم ذلك ؛ فأتوْا رسولَ الله يعتذرون إليه ، فقام وديعة بن ثابت ورسول الله واقف على ناقته ، فجعل يقول وهو آخذ بحَقَبِها[3] : يا رسولَ الله ، كنّا نخوض ونلعب ؛ فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾[4] . وقال مخشّى بن حميِّر : يا رسول الله ، قعد بى اسمى واسم أبى ؛ فكان الذى عُفِىَ عنه فى هذه الآية مخشىّ بن حميِّر ؛ فسمّى عبد الرحمن ، وسأل الله أنْ يقتله شهيداً لا يُعلَم مكانه ، ١٧٠٢/١ فقُتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر . فلما انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ، أتاه يُحَنّه بن رُؤبة ، صاحب أيلَة ، فصالح رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه الجزية ، وأهل جَرْباء وأذْرُح أعطوْه الجزية ، وكتب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لكلٍّ كتابًا ؛ فهو عندهم .

ثم إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد ، فبعثه إلى أكَيْدِر دومة — وهو أكيدر بن عبد الملك ، رجل من كِنْدة ، كان ملكًا عليها ، وكان نصرانيًّا — فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده

(١) ابن هشام فى إحدى رواياته : « محشى » . بالتشديد .

(٢) احترقوا ، أى هلكوا ، وفى ط : « اخترقوا » ، وأثبت ما فى ابن هشام .

(٣) الحقب : حبل يشد على بطن البعير . (٤) سورة التوبة ٦٥ .

يصيد البقر ، فخرج خالد بن الوليد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين ، وفى ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له ، ومعه امرأته ، فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر ، فقالت امرأته : هل رأيتَ مثل هذا قطّ ! قال : لا والله ، قالت : فمن يترك هذا ؟ قال : لأحد . فنزل فأمر بفرسه فأسرج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخٌ له يقال له حسان، فركب ، وخرجوا معه بمطاردهم ؛ فلمّا خرجوا تلقتهم خيلُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فأخذتْه، وقتلوا أخاه حسّان ، وقد كان عليه قباء له من ديباج مُخوّص بالذهب ، فاستابه خالد، فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه[1] عليه[2]

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أنس بن مالك ؛ قال : رأيتُ قباء أكيدر حين قُدِم به إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فجعل المسلمون يلمسونه ١٧٠٣/١ بأيديهم ، ويتعجّبون منه، فقال رسول الله : أتعجبون مِنْ هذا ! فو الذى نفس محمد بيده لمناديل[3] سعد بن معاذ فى الجنة أحسنُ من هذا !

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم إن خالداً قدم بأكيدر على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فحقن له دمه ، وصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله، فرجع إلى قريته .

* * *

رجع الحديث إلى حديث يزيد بن رومان الذى فى أول غزوة تبوك. قال: فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يجاوزها[4]، ثم انصرف قافلا إلى المدينة، فكان فى الطريق ماء يخرج من وَشَلٍ ما يروِى الراكبَ والراكبَيْن والثلاثة ، بوادٍ يقال له وادى المُشَقّق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ سبقنا إلى ذلك الماء فلا يَسْتَقِيَنّ منه شيئًا حتى نأتيه . قال : فسبقه إليه نفرٌ من المنافقين فاستقوْا مافيه، فلما أتاه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم

(١) و : « مقدمه » .
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٩ .
(٣) و « لمنديل » .
(٤) ابن هشام : « لم يجاوزها » .

وقف عليه فلم يَرَ فيه شيئًا ؛ فقال : مَنْ سبقنا إلى هذا الماء ؟ فقيل له : يا رسول الله ، فلان وفلان، فقال : أوَ لم نَنْهَهم أن يستقُوا منه شيئًا حتى نأتيه ! ثم لعنهم رسولُ الله ، ودعا عليهم. ثمّ نزل صلى الله عليه وسلم، فوضع يده تحت الوَشَل[1] ، فجعل يصبّ فى يده ما شاء الله أن يصبّ ، ثم نضحه به ومسحه بيده ، ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بما شاء الله أن يدعوَ ، فانخرق من الماء — كما يقول مَنْ سمعه: إن[2] له حِسًّا كحسّ الصواعق؛
١٧٠٤/١ فشرب الناس واستقوْا حاجتهم منه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ بَقِيَ منكم لَيسمعنّ[3] بهذا الوادى ؛ وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه . ثمّ أقبل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى نزل بذى أوَان؛ بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ؛ وكان أصحاب مسجد الضِّرَار قد كانوا أتوْه وهو يتجهّز إلى تَبوك، فقالوا : يا رسول الله؛ إنا قد بنينا مسجداً لذى العلّة والحاجة والليلة المَطِيرة والليلة الشاتية؛ وإنا نحبّ أن تأتيَنا فتصلّى لنا فيه . فقال : إنّى على جَنَاح سَفَرٍ ، وحال شغل — أو كما قال رسول الله — ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلّينا لكم فيه؛ فلما نزل بذى أوَان أتاه خبرُ المسجد ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالكَ بن الدُّخشُم ، أخا بنى سالم بن عوف ومعن بن عدىّ — أو أخاه عاصم بن عدىّ أخا بنى العَجْلان — فقال : انطلقا إلى المسجد الظالم أهلُه فاهدِماه وحرِّقاه ؛ فخرجا سريعيْن حتى أتيا بنى سالم ابن عوف ؛ وهم رهط مالك بن الدُّخشُم ، فقال مالك لمعن : أنظرْنى حتى أخرج إليك بنار من أهلى ، فدخل إلى أهله ، فأخذ سَعَفًا من النّخل ، فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يشتدّان حتى دخلا المسجد وفيه أهله ، فحرّقاه وهدماه، وتفرّقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن مانزل : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[4]، إلى آخر القصة .

وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا : خِذام بن خالد ، من بنى عُبَيد بن

(١) الوشل : حجر أو جبل يقطر منه الماء قليلا قليلا .
(٢) ابن هشام : « وإن له حسا » .
(٣) ابن هشام : « لئن بقيّ لتسمعن » .
(٤) سورة التوبة ١٠٧ .

زيد ؛ أحد بنى عمرو بن عوف — ومن داره أخرج مسجد الشقاق — وثعلبة بن
١٧٠٥/١ حاطب من بنى عبيد — وهو إلى بنى أمية بن زيد ، ومُعَتِّب بن قُشَيْر من
بنى ضُبَيْعة بن زيد ، وأبو حَبيبة بن الأزعر من بنى ضُبيعة بن زيد ، وعبّاد
ابن حُنَيْف ؛ أخو سهل بن حُنَيْف من بنى عمرو بن عوف ، وجارية بن
عامر ، وابناه مجمّع بن جارية وزيد بن جارية ، ونَبْتَل بن الحارث ، من
بنى ضُبَيعة ، وبحَزَج — وهو إلى بنى ضُبيعة — وبجاد بن عثمان — وهو من بنى
ضُبيعة — ووديعة بن ثابت وهو إلى بنى أميّة رهط أبى لُبابة بن عبد المنذر .

* * *

قال : وقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ — وقد كان تخلّف عنه
رهط من المنافقين ، وتخلّف أولئك الرّهط من المسلمين من غير شكّ ولا
نفاق : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أميّة — فقال رسولُ
الله صلى الله عليه وسلم : لا يكلّمن أحدٌ أحداً من هؤلاء الثلاثة ، وأتاه مَنْ
تخلّف عنه من المنافقين ، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، فصفح عنهم رسول
الله ولم يعذِرْهم الله ولا رسوله ، واعتزل المسلمون كلامَ هؤلاء الثلاثة النفر ،
حتى أنزل الله عزّ وجلّ قوله : ﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ﴾
— إلى قوله — ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[1] ، فتاب الله عليهم .

قال : وقدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من تَبُوك فى شهر رمضان .
وقدِم عليه فى ذلك الشهر وفْدَ ثَقِيف ، وقد مضى ذكر خبرهم قبل .

* * *

[أمر طيّئ وعدىّ بن حاتم]

١٧٠٦/١ قال : وفى هذه السنة — أعنى سنة تسع — وجّه رسولُ الله صلى الله عليه
وسلم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى سريّة إلى بلاد طيّئ فى ربيع الآخر ،
فأغار عليهم ، فسبَى وأخذ سيفين كانا فى بيتِ الصنم ؛ يقال لأحدهما :

(١) سورة التوبة ١١٧ — ١١٩ .

رَسُوب، وللآخرِ المخذَم؛ وكان لهما ذِكْرٌ، كان الحارث بن أبي شمِر نَذَرهما له ، وسبَى أخت عديّ بن حاتم .

قال أبو جعفر : فأما الأخبار الواردة عن عديّ بن حاتم عندنا بذلك فبغير بيان وقت ، وبغير ما قال الواقديّ في سبي عليّ أختَ عديّ بن حاتم .

حدّثنا محمد بن المثنى، قال : حدّثنا محمد بن جعفر، قال: حدّثنا شعبة، قال : حدثنا سماك، قال: سمعت عَبّاد بن حُبَيْش يحدّث عن عديّ بن حاتم، قال: جاءت خيلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم — أو قال: رسلُ رسول الله — فأخذوا عمّتي وناسًا ، فأتوْا بهم النبيّ صلى الله عليه وسلم . قال: فصُفّوا له . قالت : قلتُ : يا رسولَ الله ، نأى الوافد ، وانقطع الوالد ؛ وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة؛ فمُنّ عليّ مَنّ الله عليك يا رسول الله ! قال : ومن وَافِدُكَ ؟ قالت: عديُّ بن حاتم ؛ قال: الذي فرّ من الله ورسوله ! قالت : فمَنّ عليّ — ورَجُل إلى جنبه ترَى أنه عليٌّ عليه السلام ، قال : سلِيه حُمْلانًا — قال: فسألته ، فأمر بها فأتتني ، فقالت : لقد فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها ! قالت : ائتِه راغبًا وراهبًا ، فقد أتاه فلان فأصاب منه ، وأتاه فلان فأصاب منه . قال : فأتيته فإذا عنده امرأة وصبيان — أو صبيّ — فذكر قربهم من النبيّ صلى الله عليه وسلم — فعرفت أنه ليس بملك[1] كسرى ولا قيصر ، فقال لي : ١٧٠٧/١
يا عَدِيّ بن حاتم ، ما أفرّك[2] أن يقال لا إله إلا الله ! فهل من إله إلا الله ! وما أفرّك أن يُقال الله أكبر ! فهل من شيء هو أكبر من الله ! فأسلمتُ فرأيتُ وجهَه استبشر .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن شيْبان بن سعد الطائيّ ، قال : كان عديّ بن حاتم طيّئ يقول فيما بلغني : ما رجل[3] من العرب كان أشدّ كراهيةً لرسول الله حين سمع به منّي ؛ أمّا

(١) و : « ملك » . (٢) ما الذي جعلك تفر من الجهاد في سبيل الله .

(٣) ابن هشام : « ما من رجل » .

أنا فكنتُ امرأ شريفًا ، وكنتُ نصرانيًّا أسيرُ فى قومى بالمِرْباع [١] ، فكنت فى نفسى على دين ، وكنت ملِكًا فى قومى ، لما كان يُصنع بى ، فلمّا سمعتُ برسول الله كرهتُه ، فقلت لغلام كان لى عربىّ وكان راعيًا لإبلى : لا أبالك ! أعدِدْ لى من إبلى أجمالاً ذُلُلا [٢] سِمانا مَسَانَّ ، فاحبسها قريبًا منّى ؛ فإذا سمعتَ بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فآذنّى ، ففعل . ثم إنه أتانى ذات غداة ، فقال : يا عدىّ ؛ ما كنت صانعًا إذا غشِيَتْك خيل محمد فاصنعه الآن ، فإنى قد رأيتُ رايات ، فسألت عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد ، قال : فقلت : قَرِّبْ لى جمالى ، فقرّبها ، فاحتملتُ بأهلى وولدى ، ثم قلت : ألحقُ بأهلِ دينى من النّصارى بالشأم ، فسلكت الحوشيّة وخلّفت ابنةَ حاتم فى الحاضر ، فلما قدمتُ الشأم أقمت بها ، وتُخالفنى خيلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتصيبُ ابنةَ حاتم فيمن أصيب . فقُدِم بها على رسول الله فى سبايا ١٧٠٨/١
طيّئ ، وقد بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم هَرَبى إلى الشأم . قال : فجُعلت ابنة حاتم فى حظيرة بباب المسجد كانت السبايا يُحْبَسن بها ، فمرّ بها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فقامت إليه — وكانت امرأةً جَزْلَةً — فقالت : يارسولَ الله ؛ هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنُنْ علىّ مَنَّ الله عليك ! قال : ومَنْ وافدك ؟ قالت : عدىٌّ بن حاتم ، قال : الفارُّ من الله ورسوله ! قالت : ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وتركنى ؛ حتى إذا كان الغد مرّ بى وقد أيِسْتُ ، فأشار إلىّ رجلٌ من خَلْفه : أن قومى إليه فكلّميه ، قالت : فقمتُ إليه ، فقلت : يا رسولَ الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنُنْ علىّ مَنَّ الله عليك ! قال : قد فعلتُ فلا تعجلى بخروجٍ حتى تجدِى من قومك مَنْ يكون لك ثقة حتى يبلّغك إلى بلادك ثم آذنينى . قالت : فسألت عن الرجل الذى أشار إلىّ أن كلّميه فقيل : علىّ بن أبى طالب . قالت : وأقمت حتى قدم ركبٌ من بَلِىّ — أو من قضاعة — قالت : وإنما أريد أن آتىَ أخى

(١) أسير بالمرباع ؛ أى آخذ الربع من الغنائم ؛ لأنى سيدهم .

(٢) ذللا : جمع ذلول ؛ وهو الجمل السهل الذى قد ريض .

بالشأم ، قالت : فجئتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقلت : يا رسولَ الله ، قد قدم رهط من قومى لى فيهم ثقة وبلاغ . قالت : فكسانى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وحملنى وأعطانى نفقةً ، فخرجت معهم حتى قدِمْت الشأم .

١٧٠٩/١ قال عدىّ : فوالله ، إنّى لقاعدٌ فى أهلى إذ نظرت إلى ظَعينة[١] تُصَوِّبُ إلىّ[٢] تؤمّنا . قال : فقلت : ابنة حاتم ! قال : فإذا هى هى ؛ فلما وقفتْ علىّ انسحلَتْ[٣] تقول : القاطع الظالم ! احتملتَ بأهلك وولدك ، وتركت بُنَيّةَ والدك وعَوْرَتَهُ ! قال : قلت : يا أخيّة ، لا تقولى إلا خيراً ، فوالله مالى عذر ، لقد صنعت ما ذكرت . قال : ثم نزلتْ فأقامت عندى ، فقلت لها — وكانت امرأة حازِمَةً : ماذا ترين فى أمر هذ الرجل ؟ قالت : أرَى والله أن تلحق به سريعًا ، فإن يكن الرجل نبيًّا فالسابق إليه له فضيلة ، وإن يكن ملِكًا فلن تذلّ فى عزّ اليمن وأنت أنت ! قلتُ : واللهِ إن هذا للرّأى . قال : فخرجت حتى أقدم على رسول الله المدينة ، فدخلت عليه وهو فى مسجده فسلّمت عليه ، فقال : مَنِ الرجل ؟ فقلت : عدىُّ بن حاتم ، فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فانطلق بى إلى بيته ، فوالله إنه لعامِدٌ بى إذ لَقِيَتْهُ امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفَتْه ، فوقف لها طويلا تكلّمه فى حاجتها . قال : فقلت فى نفسى : والله ما هذا بملِك ، ثم مضى رسولُ الله حتى دخل بيته ، فتناول وسادةً من أدَم محشُوَّةً لِيفًا ، فقذفها إلىّ ، فقال لى : اجلس على هذه ، قال : قلت : لا بل أنت ، فاجلس عليها . قال : لا بل أنت ، فجلستُ وجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالأرض . قال : قلت فى نفسى : والله
١٧١٠/١ ما هذا بأمر ملِك ، ثم قال : إيه يا عدىّ بن حاتم! ألم تك رَكُوسِيا[٤]! قال : قلت : بلى ، قال : أوَلم تكن تسير فى قومك بالمِرْباع ! قال : قلت : بلى ، قال : فإنّ ذلك لم يكن يحلّ لك فى دينك ، قال : قلت : أجلْ والله — وعرفت أنه نبىٌّ مرسل يعلم ما يُجهل — قال : ثمّ قال : لعلّه[٥] يا عدىّ بن

(١) الظعينة : المرأة فى الهودج . (٢) تصوب إلى : تقصد .
(٣) انسحلت : أخذت فى اللوم ومضت فيه مجدة .
(٤) الركوسية : قوم لهم دين بين دين النصارى والصابئين .
(٥) بن هشام : « لعلك » .

حاتم ؛ إنما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ما ترى[1] من حاجتهم ! فوالله ليوشكنّ المال يفيض فيهم حتى لا يُوجد مَنْ يأخذه ؛ ولعله[2] إنما يمنعك من الدخول[3] فى هذا الدين ما ترى من كثرة عدوّهم وقلة عددهم ؛ فوالله ليوشكنّ أن تسمع بالمرأة تخرُجُ من القادسيّة على بعيرها حتى تزور هذا البيت ، لا تخاف إلا الله ؛ ولعلّه إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أنّ المُلك والسلطان فى غيرهم ، وايمُ الله ليوشكنّ أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فُتحت . قال : فأسلمت ، فكان عَدِىٌّ بن حاتم يقول : مضت الثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتكوننّ قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، ورأيت المرأة تخرج من القادسيّة على بعيرها لا تخاف شيئاً حتى تحجّ هذا البيت . وايمُ الله لتكوننّ الثالثة ليفيضنّ المال حتى لا يوجد من يأخذه .

* * *

[قدوم وفد بنى تميم ونزول سورة الحجرات]

قال الواقدىّ : وفيها قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى تميم ، فحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدّثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبدالله بن أبى بكر ، قالا : قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عُطارد بن حاجب بن زرارة بن عُدَس التميمىّ فى أشراف من ١٧١١/١
تميم ، منهم الأقرع بن حابس ، والزّبرقان بن بدر التّميمىّ ثمّ أحد بنى سعد ، وعمرو بن الأهتم ، والحُتات بن فلان ، ونعيم بن زيد ، وقيس بن عاصم أخو بنى سعد فى وفد عَظيم من بنى تميم ، معهم عُيينة بن حصن بن حُذيفة الفزارىّ — وقد كان الأقرع بن حابس وعُيينة بن حصْن شهدا مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحصار الطائف ، فلمّا وفد وفد بنى تميم كانا معهم — فلمّا دخل وفد بنى تميم المسجد ، نادَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحُجرات : أن اخرج إلينا يا محمد . فآذى ذلك من صياحهم رسولَ الله

(١) كذا فى ابن هشام : وفى ط : « لما » . (٢) ابن هشام : « ولعلك » .
(٣) ابن هشام : « دخول فيه » .

صلى الله عليه وسلم ؛ فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد، جئناك[١] لنفاخرَك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا ، قال : نعم ، أذنت لخطيبكم فليقل[٢] . فقام إليه عُطارد بن حاجب ، فقال : الحمدُ لله الذى له علينا الفَضْل وهو أهله، الذى جعلنا ملوكًا ، ووهب لنا أموالاً عظامًا نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزّ أهل المشرق وأكثره عدداً . وأيسره عُدَّةً ، فمن مثلُنا فى الناس! ألسنا برءوس الناس وأولى فضلهم ! فمن يفاخرنا فليعدّد مثل ما عددّنا ؛ وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ؛ ولكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ؛ وإنا نُعرف . أقول هذا الآن لتأتونا
١٧١٢/١ بمثلِ قولنا ، وأمرٍ أفضلَ من أمرنا ، ثم جلس. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شمّاس أخى بلحارث بن الخزرج : قمْ فأجب الرجل فى خطبته .

فقام ثابت، فقال : الحمدُ لله الذى السمواتُ والأرضُ خَلْقُه ، قضى فيهنّ أمره، وَوسِعَ كُرْسيّه علمه، ولم يك شىء قطّ إلاّ من فضله . ثم كان من قدرته أنْ جعلنا ملوكًا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمهم نَسَبًا، وأصْدَقهم حَديثًا ، وأفضلهم حَسَبًا، فأنزل عليه كتابه، وائتمنه على خَلْقِه ؛ فكان خِيَرَةَ الله من العالمين ، ثم دعا الناسَ إلى الإيمان ، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رَحِمه ؛ أكرم الناس أنسابًا، وأحسن الناس وجوهاً ؛ وخير الناس فعالاً ؛ ثم كان أوّل الخلق إجابةً — واستجاب لله حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم — نحنُ ؛ فنحنُ أنصارُ الله ووُزراء رسوله ، نقاتِل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله وَدَمَه ، ومَنْ كفر جاهدناه فى الله أبداً ، وكان قتله علينا يَسيرًا ، أقول قولى هذا وأستغفر الله للمؤمنين وللمؤمنات ؛ والسلام عليكم .

قالوا : يا محمد، ائذَنْ لشاعرنا ، فقال : نعم ، فقام الزِّبرقان بن بدر فقال[٣] :

نحْنُ الكرامُ فلاَ حَىٌّ يُعادِلُنا ... منّا الملوكُ وفينَا تُنصَبُ البِيَعُ[٤]

(١) و : « قد جئناك » . (٢) س : « فليفعل » .

(٣) قال السهيلى : « وإن بعض الناس ينكر الشعر له ، وذكر أن الشعر لقيس بن عاصم» .

(٤) البيع : مواضع الصلوات والعبادات ، واحدها بيعة .

وكَم قَسَرْنا من الأحياءِ كلّهم عند النِّهَابِ وفَضْلُ العِزِّ يُتَّبعُ
ونحن نُطْعم عند القَحْطِ مطعَمنا مِنَ الشِّوَاءِ إذا لم يُؤنَسِ القَزَعُ(١) ١٧١٣/١
ثم ترَى الناسَ تأْتينا سَرَاتُهمُ من كلِّ أرضٍ هُوِيًّا ثمَّ نَصْطَنعُ(٢)
فَنَنْحَرُ الكُومَ عَبْطًا فى أرُومَتِنَا للنَّازِلِينَ إذا ما أنزِلوا شَبِعُوا(٣)
فلاَ تَرَانا إلَى حَيّ نُفَاخِرُهمْ إلا اسْتَقَادُوا وكادَ الرَّأْسُ يُقْتَطَعُ
إنا أبَيْنا ولَنْ يأْبَى لنا أحَدٌ إنا كَذلِكَ عند الفَخْرِ نَرْتَفِعُ
فَمَنْ يُقَادِرنَا فى ذٰلكَ يعْرِفنا فيرجِعِ القَوْلَ والأخبارُ تُسْتَمَعُ(٤)

وكان حسّان بن ثابت غائبًا، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال حسان: فلمّا جاءنى رسولُه فأخبرنى أنه إنما دعانى لأجيبَ شاعر بنى تميم، خرجتُ إلى رسول الله، وأنا أقول:

مَنَعنَا رسولَ اللهِ إذْ حَلَّ وَسْطَنا على كلِّ باغٍ من مَعَدٍّ وراغِمِ(٥)
منعْنَاه لمّا حَلَّ بين بُيُوتنا بأسْيافنا من كلِّ عادٍ وظَالِمِ
ببَيْتٍ حَرِيدٍ عِزُّه وثَرَاؤُه بجابِيَةِ الجَوْلانِ وَسْطَ الأعاجِمِ(٦)
هَلِ المَجْد إلا السُّؤْدُد العَوْد والنَّدَى وَجَاهُ الملوكِ وَاحتمالُ العَظَائم!

قال: فلما انتهيتُ إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وقام شاعر القوم، ١٧١٤/١
فقال ما قال، عرضتُ فى قوله وقلت على نحوٍ مما قال؛ فلما فرغ الزِّبرقان بن

(١) القزع: السحاب الرقيق؛ يريد إذا أخلفهم المطر فأجدبت أرضهم.
(٢) هويا: سراعا. قال السهيلى: «وليس السراة جمع سرى» كما ظنوا؛ وإنما هو كما تقول: «ذروتهم وسنامهم، وسراة كل شىء: أعلاه».
(٣) الكوم: جمع كوماء؛ وهى العظيمة السنام من النوق. وعبط: من غير علة. أرومتنا، أى أن هذا الكرم متأصل فينا.
(٤) فى ابن هشام: «فمن يفاخرنا فى ذاك نعرفه»؛ وبعد هذا البيت فى ابن هشام:
إنّا أبَيْنَا وَلَا يَأْبَى لَنَا أحدٌ إنّا كَذَلِكَ عِنْدَ الفَخْرِ نَرْتَفِعُ
(٥) ديوانه ٢٤٦
(٦) البيت الحريد: الفريد.

بدر من قوله قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لحسّان : قم يا حسّان فأجب الرجل فيما قال ، قال : فقال حسان :

إنَّ الذَّوَائِبَ من فِهْرٍ وَإِخْوَتِهِم ... قد بيَّنُوا سُنَّةً للنَّاسِ تُتَّبَعُ (١)
يَرْضَى بها كلُّ مَن كانت سَرِيرَتُهُ ... تَقْوَى الإلهِ وكلُّ الخير يُصْطَنَعُ
قومٌ إذا حَارَبوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ ... أو حَاوَلُوا النَّفْعَ فى أشياعهم نَفَعُوا
سَجِيَّةٌ تلك منهم غير مُحْدَثَةٍ ... إنَّ الخلائق فاعلم شَرُّها البِدَعُ
إنْ كانَ فى الناسِ سَبَّاقونَ بَعْدَهُمُ ... فكلُّ سَبْقٍ لأدْنَى سَبْقِهِمْ تَبَعُ
لاَ يَرْقَعُ الناسُ ما أَوْهَتْ أكُفُّهُمُ ... عند الدِّفاعِ وَلاَ يُوهُونَ ما رَقَعُوا
١٧١٥/١ إنْ سابَقُوا الناسَ يَوْمًا فاز سَبْقُهُمُ ... أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بالنَّدَى مَتَعُوا (٢)
أَعِفَّةٌ ذُكِرَتْ فى الوَحْيِ عِفَّتُهُمْ ... لا يَطْبَعُونَ وَلا يُرْدِيهِمُ طَمَعُ (٣)
لاَ يَبْخَلُونَ على جَارٍ بِفَضْلِهِمُ ... وَلا يَمَسُّهُم من مَطْمَعٍ طَبَعُ (٤)
إذَا نَصَبْنَا لِحَيٍّ لم نَدِبَّ لهم ... كما يَدِبُّ إلَى الوَحْشِيَّةِ الذَّرَعُ (٥)
نَسْمو إذَا الحَرْبُ نالَتْنا مَخَالِبُها ... إذَا الزَّعَانِفُ من أَظْفَارِها خَشَعُوا (٦)
لاَ فخْرَ إن هُمْ أصابوا من عَدوِّهِمِ ... وَإِنْ أُصِيبوا فلاَ خُورٌ ولا هُلُعُ (٧)
كَأَنَّهمْ فى الوَغَى والمَوْتُ مُكْتَنِعٌ ... أُسْدٌ بِحَلْيَةَ فى أَرْسَاغِها فَدَعُ (٨)
١٧١٦/١ خذْ منهمُ ما أَتوا عَفْوًا إذا غَضِبُوا ... ولا يكن همَّكَ الأمرُ الذى مَتَعوا (٩)

(١) ديوانه ٢٤٨ ، ويريد بالذوائب ، السادة . (٢) متعوا : زادوا .
(٣) لا يطبعون : لايد نسون . (٤) الطبع : الدنس .
(٥) نصبنا : أظهرنا العداوة ولم نسرها . والذرع : ولد البقرة الوحشية .
(٦) الزعانف : أطراف الناس وأتباعهم . وخشعوا : تذللوا .
(٧) الخور : الضعفاء . والهلع : جمع هلوع ؛ وهم الجازعون .
(٨) مكتنع : دان . وحلية : مأسدة باليمن . والأرساغ : جمع رسغ ؛ وهو موضع القيد من الرجل . وفدع : اعوجاج إلى ناحية .
(٩) عفوا : من غير مشقة .

فإنّ فى حربهم — فَاترُكْ عَدَاوَتَهمْ شَرًّا يُخَاضُ[1] عليه السّمُّ وَالسلَعُ[2]
أكْرِمْ بقومٍ رسول اللهِ شِيعَتَهم إذا تفرّقَتِ الأهوَاءُ والشِّيَعُ
أهدى لهم مِدْحَتِي قَلْبٌ يُوازِرُه فيما أحَبَّ لسانٌ حائكٌ صَنَعُ[3]
فإنهمْ أفضَلُ الأحياء كلّهمُ إنْ جَدَّ بالناسِ جِدُّ القولِ أوشَمَعُوا[4]

فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقْرَعُ بن حابس : وأبِي إنّ هذا الرجلَ لمُؤَتًّى[5] له ! لخَطيبُه أخطب من خطيبنا، ولَشاعره أشعر من شاعرنا، وأصواتهم[6] أعلى من أصواتنا . فلمّا فرغ القوم أسلموا، وجوّزهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأحْسَنَ جوائزهم — وكان عمرو بن الأهتم قد خلّفَه القوم فى ظهرهم — فقال قيس بن عاصم — وكان يُبغِض عمرو بن الأهتم: يا رسولَ الله ؛ إنه قد كان منّا رجلٌ فى رحالنا وهو غلام حَدَثٌ، وأزرى به، فأعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مثلَ ما أعطى القوم ؛ فقال عمرو بن الأهتم حين بلغه ذلك من قول قيس بن عاصم ، وهو يهجوه :

ظَلِلْتَ مُفْتَرِشاً هَلباكَ تَشْتِمُنى[7] عند الرسولِ فلم تَصدُقْ ولم تُصِبِ ١٧١٧/١
إنْ تُبْغِضُونا فَإنَّ الرُّومَ أصْلُكُمُ وَالرُّومُ لا تملك البغضاء للعَرَبِ
سُدْنا فسُودَدُنا عَوْدٌ وسُودَدُكمْ مُؤَخَّرٌ عند أصلِ العَجْبِ والذَّنَبِ[8]

(١) يخاض يخلط . (٢) السلع : نبات مسموم .
(٣) صنع : يحسن القول ويجيده .
(٤) شمعوا : هزلوا ؛ وأصل الشمع اللهو والطرب . وقد أورد ابن هشام بعد هذا أبياتا أخرى للزبرقان ، أنشدها فى وفد بنى تميم عند الرسول ، أولها :

أتَيْنَاكَ كَيما يَعْلم الناسُ فضْلَنَا إذا احتفلوا عند احتضار المواسِمِ

وأجابه حسان بأبيات أخرى أيضا ، أولها :

هل المَجْدُ إلا السّودَدُ العَوْدُ والندى وَجَاهُ المُلوك واحتمال العظائِمِ !

إلى آخر الأبيات . .
(٥) مؤتى له : موفق .
(٦) ابن هشام : « ولأصواتهم » .
(٧) ابن هشام « مفترش الهلباء » .
(٨) ابن هشام : ٣ : ٣٢٣ — ٣٣٧

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان ، قال : فأنزل الله فيهم القرآن : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ ﴾ — من بنى تميم — ﴿ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[1] ؛ قال : وهى القراءة الأولى[2] .

* * *

قال الواقدىّ : وفيها مات عبدُ الله بن أبىّ بن سَلُول ، مرِضَ فى ليال بقِينَ من شوال ، ومات فى ذى القَعْدة ، وكان مرضه عشرين ليلة .

* * *

[قدوم رسول ملوك حمير على رسول الله بكتابهم]

قال : وفيها قدم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم كتابُ ملوك حِمْيَر فى شهر رمضان مُقرين بالإسلام ؛ مع رسولهم الحارث بن عبد كُلَال ونعيم ابن عبد كُلَال ، والنعمان قَيْل ذى رُعَيْن .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : قدم علَى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابُ ملوكِ حمْيَر مَقْدَمَهُ من تَبُوك ورسولهم إليه بإسلامهم : الحارث بن عبد كُلال ونعيم بن عبد كُلال ، والنعمان قيْل ذى رُعَين ، وهَمْدان ومَعافِر ؛ وبعث إليه زُرْعة ذو يَزَن مالكَ بن مُرّة الرَّهاوىّ بإسلامه ، ومفارقتهم الشرك وأهله ، فكتب إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ١٧١٨/١

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبىّ رسولِ الله إلى الحارث بن عبد كُلال ونعيم بن عبد كُلال والنعمان[3] قَيْل ذى رُعَين وهَمْدان ومَعافر ؛ أما بعد ذلكم ؛ فإنىّ أحمَد إليكم الله الذى لا إله إلا هو . أما بعدُ ؛ فإنه قد وقع بنا رسولكم مقفلَنَا[4] من أرض الرّوم ، فلقيَنا بالمدينة ، فبلّغ ما أرسلتم ،

(١) سورة الحجرات ٤ .
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٧
(٣) ابن هشام : « وإلى النعمان » .
(٤) ابن هشام : « منقلبنا » .

وخبّرّ ما قِبلَكم ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ؛ وإنّ الله قد هداكم بهدايته[١] ، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ؛ وأعطيتم من المغانم خُمس الله ، وسهم نبيّه وصفيّه ؛[٢] وما كُتِب على المؤمنين من الصّدقة من العَقار[٣] عُشْرُ ما سَقَتِ العين وما سَقَتِ السماءُ ، وكلّ ما سُقِيَ بالغَرْب[٤] نصف العُشْر ، وفى الإبل فى الأربعين ابنة لَبون ، وفى ثلاثين من الإبل ابنُ لبون ذكرٌ ، وفى كلّ خمس من الإبل شاة ، وفى كلّ عشر من الإبل شاتان ، وفى كلّ أربعين من البقر بقرةٌ ، وفى كلّ ثلاثين من البقر تَبيعٌ ؛ جَذَعٌ أو جَذَعَة ، وفى كلّ أربعين من الغنم سائمة وحدَها ، شاة . وإنها فريضة الله التى فرض على المؤمنين فى الصدقة ؛ فمن زاد خيراً فهو خيرٌ له ، ومَنْ أدّى ذلك وأشهد على إسلامه وظاهر[٥] المؤمنين على المشركين ؛ ١٧١٩/١
فإنه من المؤمنين ، له ما لهم وعليه ما عليهم ؛ وله ذمّة الله وذمة رسوله . وإنه مَنْ أسلم من يهودىّ أو نصرانىّ فإنّ له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ، ومَنْ كان على يهوديّته أو نصرانيّته فإنه لا يفتَنُ[٦] عنها ، وعليه الجزية ؛ على كلّ حالم ذكر أو أنثى ، حرّ أو عبد ؛ دينار واف أو قيمته من المَعافر[٧] أو عرْضُه[٨] ثيابًا ؛ فمن أدّى ذلك إلى رسول الله ؛ فإنّ له ذمة الله وذمة رسوله ، ومَنْ منعه فإنه عدوّ لله ولرسوله .

أما بعد ؛ فإنّ رسولَ الله محمداً النبىّ أرسلَ إلى زُرْعة ذى يَزَن أن إذا أتتْكم[٩] رُسُلى فأوصيكم بهم[١٠] خيراً : مُعاذ بن جَبَل ، وعبد الله بن زيد ومالك بن عُبادة ، وعُقْبة بن نَمير ، ومالك بن مُرّة وأصحابهم ؛ وأن اجْمَعُوا ما عندكم من الصدقة والجزْية من مخالِفيكم وبلّغوها[١١] رُسُلى ، وإنّ أميرهم معاذ بن جبل ؛ فلا ينقلبنّ إلاّ راضيًا .

(١) ابن هشام : « بهداه » .
(٢) الصفى : نصيب الرئيس من الغنيمة .
(٣) العقار : الأرض التى تزرع .
(٤) الغرب : الدلو .
(٥) ظاهر : عاون وآزر .
(٦) ابن هشام : « لا يرد عنها » .
(٧) المعافر : ثياب اليمن .
(٨) ابن هشام : « أو عوضه » .
(٩) ابن هشام : « أتاكم » .
(١٠) كذا فى ابن هشام ، فى ط : « بها » .
(١١) ابن هشام : « أبلغوها » .

أما بعد ؛ فإنّ محمداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ؛ ثم إن مالك بن مرة الرُّهاوىّ قد حدثنى أنك أسلمت من أوّل حميَر ، وقتلت المشركين فأبشر بخير ، وآمرك بحمير خيْراً ، ولا تَخُونُوا ولا تخذلوا فإنّ رسولَ الله ١٧٢٠/١ مولى غنيّكم وفقيركم ؛ وإنّ الصدقة لا تحلّ لمحمد ولا لأهله ؛ إنما هى زكاة يتزكّى بها على فقراء المؤمنين وأبناء السبيل ؛ وإنّ مالكًا قد بلّغ الخبر وحفظ الغيب ، وآمرُكم به خيراً ، وإنى قد بعثت إليكم من صالحى أهلى وأولى دينى [1] ، وأولِى علمهم ؛ فآمركم بهم خيراً فإنه منظور إليهم ؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته [2] .

• • •

قال الواقدىّ : وفيها قدمَ وفْدُ بَهْراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر رجلاً ، ونزلوا على المقداد بن عمرو .

قال : وفيها قدم وفد بنى البَكّاء .

وفيها قدم وفد بنى فَزارة ؛ وهم بضعة عشر رجلا ، فيهم خارجة بن حصن .

قال : وفيها نَعَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين النجاشىَّ ، وأنه مات فى رجب سنة تسع .

قال : وفيها حجّ أبو بكر بالناس ثم خرج أبو بكر من المدينة فى ثلثمائة ، وبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرين بَدَنَة ، وساق أبو بكر خمسَ بدنات . وحجّ فيها عبد الرحمن بن عوف وأهدى .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب عليه السلام على أثر أبى بكر رضى الله عنه ، فأدركه بالعَرْج ، فقرأ علىّ عليه براءة يوم النحر عند العقبة . فحدّثنى محمد بن الحُسين ، قال : حدّثنا أحمد بن المُفَضَّل ، قال : حدّثنا أسباط ؛ عن السّدّىّ ، قال : لما نزلت هذه الآيات إلى رأس الأربعين

(١) ابن هشام : « دينهم » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٦ .

١٧٢١/١ — يعنى من سورة براءة — فبعث بهنّ رسول الله مع أبى بكر ، وأمّره على الحجّ، فلما سار فبلغ الشجرة من ذى الحُلَيْفة أتبعه بعَلِيّ ، فأخذها منه ؛ فرجع أبو بكر إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسولَ الله ، بأبى أنت وأمى ما أنزل فى شأنى شىء ؟ قال : لا ؛ ولكن لا يبلّغ عنّى غيرى أو رجل منّى. أما ترضى يا أبا بكر أنك كنتَ معى فى الغار ، وأنك صاحبى على الحوض ! قال : بلَى يا رسول الله . فسار أبوبكر على الحجّ ،وسار علىٌّ يؤذِّن ببراءة ، فقام يوم الأضحَى فآذن فقال : لا يقربَنّ المسجد الحرام مشرِك بعد عامه هذا ، ولا يطوفَنّ بالبيت عُريان ، ومَنْ كان بينه وبين رسول الله عهد فله عهده [١] إلى مدّته ، وإنّ هذه أيام أكل وشرب ، وإن الله لا يُدخِل الجنة إلاّ مَنْ كان مسلمًا . فقالوا : نحن نبرأ من عهدك وعهد[٢] ابن عمّك إلاّ من الطعن والضرب.

فرجع المشركُون فلام بعضهم بعضًا ، وقالوا : ما تصنعون وقد أسْلَمَتْ قريش ! فأسلموا[٣] .

حدّثنى الحارث بن محمد ، قال : حدّثنا عبد العزيز بن أبان ، قال : حدّثنا أبو معشَر ، قال : حدّثنا محمد بن كعب القرَظىّ وغيره ، قالوا : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميراً على المَوْسِم سنة تسع ، وبعث علىّ بن أبى طالب بثلاثين أو أربعين آية من « براءة »، فقرأها على الناس، يؤجّل المشركين أربعة أشهر يَسِيحون فى الأرض ، فقرأ عليهم براءة يوم عرفة ، أجّل المشركين عشرين يومًا من ذى الحجّة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشراً من ربيع الآخر ، وقرأها عليهم فى منازلهم، ولا يحجّنّ بعد عامنا هذا مشرك ، ولا يطوفنّ بالبيت عُريان[٤] .

١٧٢٢/١ قال أبو جعفر : وفى هذه السنة فُرضت الصدقات ، وفرّقَ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عُمّاله على الصدقات .

(١) س : « فعهده » .
(٢) التفسير : « أو عهد » .
(٣) الخبر فى التفسير ١٤ : ١٠٩
(٤) الخبر فى التفسير ١٤ : ١٠٠

وفيها نزل قوله : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾[١] ؛ وكان السبب الذى نزل ذلك به قصّة أمر ثعلبة بن حاطب ، ذكر ذلك أبو أمامة الباهلى[٢] .

قال الواقدىّ : وفى هذه السنة ماتت أمّ كلثوم ابنة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى شعبان ، وغسلتْها أسماء بنت عُمَيس وصفيّة بنت عبد المطلب . قال : وقيل غسلتْها نسوة من الأنصار ، فيهنّ امرأة يقال لها أم عطيّة ، ونزل فى حفرتها أبو طلحة .

قال : وفيها قدم وفد ثعلبة بن منقذ .

* * *

[قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً عن بنى سعد]

وفيها قدم وفد سعد هُذَيْم . حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدّثنى سلَمة بن كُهيل ومحمد بن الوليد بن نويفع ، عن كُرَيب مولى ابن عبّاس ، عن عبد الله بن عبّاس ، قال : بعث بنو سَعْد بن بكر ضِمامَ بن ثعلبة إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم عليه ؛ فأناخ بعيرَه على باب المسجد ثم عقَلَه ، ثم دخل المسجد ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه ، وكان ضِمام بن ثعلبة رجلاً جَلْداً أشعر ذا غديرتين ، فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه ، فقال : أيّكم ابن عبد المطلب ؟ قال : قال رسولُ الله : أنا ابن عبد المطلب ، قال : محمد[٣] ؟ قال : نعم ، قال : يابن عبد المطلب ، إنى سائلك ومُغْلِظٌ لك[٤] فى المسألة ، فلا تَجِدَنّ فى نفسك ! قال : لا أجِد فى نفسى ، فسَلْ عمّا بدا لك ، قال : أنشدُكَ بالله[٥] إلهِك وإله مَنْ كان قبلك وإلهِ مَنْ هو كائن بعدك ، آلله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : اللهمّ نعم ، قال : فأنشدك بالله إلهك وإله مَنْ كان ١/١٧٢٣

(١) سورة التوبة ١٠٣ .
(٢) أسباب النزول للواحدى ١٨٩ ، ١٩٠ .
(٣) ابن هشام : « أمحمد ؟ » .
(٤) ابن هشام : « عليك » .
(٥) ابن هشام : « أنشدك الله » .

قبلك وإله مَنْ هو كائن بعدك ، آلله أمرَك أن تأمُرَنا أن نَعبدُه وَحدَه ، ولا نشرك به شيئًا ، وأن نخلع هذه الأنداد التى كانت آباؤنا تعبد من دونه[١] ؟ قال : اللهمّ نعم ، قال : فأنشدك بالله إلهك وإله مَنْ كان قبلَك وإله مَنْ هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن تأمرنا أن نُصلّىَ هذه الصلوات الخمس ؟ قال : اللهمّ نعم . قال : ثم جعل يذكر فرائضَ الإسلام فريضة فريضة ؛ الزكاة ، والصيام ، والحجّ ، وشرائع الإسلام كلّها ، يناشده عن كلّ فريضة كما ناشده فى التى قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإنى أشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وسأؤدّى هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتَنى عنه، ثم لا أنقصُ ولا أزيد . ثم انصرف إلى بعيره راجعًا[٢] . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين ولّى : إن صدق ذو العَقِيصَتَيْن[٣] يدخل الجنة . قال : فأتى بعيرَه فأطلق عِقَالَه ، ثم خرج حتى قدِم على قومه ، فاجتمعوا إليه ، فكان أوّل ما تكلم به أن قال : باستِ اللات والعزّى! قالوا : مَهْ ياضِمام ! اتّق البرصَ ، اتّق الجذام، اتّق الجنون ! قال: وَيْحكم[٤]، إنهما والله لا ينفعان ولا يضرّان ؛ إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتابًا ، استنقذكم به مما كنتم فيه ؛ وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ؛ وأن محمداً عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه . ١/١٧٢٤

قال : فوالله ما أمسى ذلك اليوم فى حاضره[٥] رجل ولا امرأة إلا مسلما . قال: يقول ابن عباس : فما سمعنا بوافِدِ قومٍ كان أفضَل من ضِمام بن ثعلبة[٦] .

(١) ابن هشام : « يعبدون معه » .
(٢) من ابن هشام .
(٣) العقيصة : الضفيرة من الشعر .
(٤) ابن هشام : « ويلكم » .
(٥) الحاضر : الحى .
(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

ثم دخلت سنة عشر

[سريّة خالد بن الوليد إلى بنى الحارث بن كعب وإسلامهم]

قال أبو جعفر : فبعث فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالدَ بن الوليد فى شهر ربيع الآخر — وقيل فى شهر ربيع الأول ، وقيل فى جُمَادى الأولى — سريّةً فى أربعمائة إلى بنى الحارث بن كعب .

فحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى ابنُ إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : بعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالدَ ابن الوليد فى شهر ربيع الآخر — أو فى جمادى الأولى — من سنة عشر ، إلى بَلْحارث بن كعب بنجْران ، وأمره أن يدعوَهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثًا ، فإن استجابُوا لك فاقبل منهم ، وأقِمْ فيهم ، وعلِّمهم كتابَ الله وسنّة نبيِّه ، ومعالم الإسلام ، فإن لم يفعلوا فقاتلْهم .

فخرج خالدٌ حتى قدِم عليهم ، فبعث الرّكبان يضربون فى كلّ وجه ، ويدعون الناس إلى الإسلام ، ويقولون : يأيها الناس أسْلِموا تَسْلَموا . فأسلم الناس ، ودخلوا فيما دعاهم إليه ، فأقام خالد فيهم ؛ يعلّمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيِّه .

ثم كتب خالدٌ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم .
١٧٢٥/١ لمحمد النبىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد ، السّلام عليك يا رسولَ الله ورحمة الله وبركاته ؛ فإنى أحمَد إليك الله الذى لا إله إلا هو ؛ أمّا بعد يا رسولَ الله صلّى الله عليك ؛ بعثتَنى إلى بنى الحارث بن كعب ، وأمرتنى إذا أتيتُهم ألاّ أقاتلَهم ثلاثةَ أيام ، وأن أدعوَهم إلى الإسلام ؛ فإن أسلموا قبلتُ منهم وعلّمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيّه ، وإن لم يُسْلموا قاتلتهم . وإنى قدمتُ عليهم فدعوتُهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرنِى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثت فيهم ركبانًا [قالوا][1] : يا بنى الحارث ، أسْلِموا

(١) من ابن هشام .

تَسْلَموا، فأسلَموا ولم يقاتلوا ،وأنا مقيمٌ بين أظهرهم وآمرهم بما أمرهم الله به، وأنهاهم عمّا نهاهم الله عنه؛ وأعلّمهم معالم الإسلام وسنة النّبيّ صلى الله عليه وسلم حتى يكتب إليّ رسول الله ، والسلام عليك يا رسولَ الله ورحمة الله وبركاته .

فكتب إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبيّ رسول الله إلى خالد بن الوليد . سلام عليك ، فإنّي أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو ؛ أما بعد ، فإنّ كتابك جاءنى مع رسُلك يخبر أنّ بنى الحارث قد أسلموا قبل أن يقاتَلوا[1] ، وأجابوا إلى ما دعوتَهم إليه من الإسلام وشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه ؛ فبشِّرْهم وأنذِرْهم ، وأقْبلْ وليُقبِلْ معك وفدُهم؛ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

فأقبل خالد بن الوليد إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل معه وفدُ بلْحارث بن كعب ؛ فيهم قيس بن الحُصين بن يزيد بن قَنَان ذى الغُصّة ، ويزيد بن عبد المَدَان، ويزيد بن المُحَجَّل، وعبد الله بن قُرَيظ[2] الزيادىّ؛ ١٧٢٦/١
وشدّاد بن عبد الله القَنانىّ ، وعمرو بن عبد الله الصَّبابىّ .

فلما قدِمُوا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم ، فرآهم قال: مَنْ هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ؟ قيل : يا رسول الله ، هؤلاء بنو الحارث بن كعب ؛ فلمّا وقفوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سلّموا عليه ، فقالوا : نشهد أنك رسولُ الله ، وأن لا إله إلا الله، فقال رسول الله : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنّى رسول الله . ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أنتم الذين إذا زُجِروا استقدموا ! فسكتوا ، فلم يراجعْه منهم أحد ، ثم أعادها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها رسول الله الثالثة فلم يراجعْه منهم أحد ، ثم أعادها رسولُ الله الرابعة ، فقال يزيد بن عبد المَدان: نعمْ يا رسولَ الله ، نحن الذين إذا زُجِرنا استقدمنا ، فقالها أربعَ مرات[3]، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لو أنّ خالدَ بن الوليد لم يكتُبْ إلىّ فيكم

(١) ابن هشام : « تقاتلهم » . (٢) ابن هشام : « قراد » .
(٣) ابن هشام : « قالها أربع مرار » .

أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم . فقال يزيد بن عبد المدان : أمَا والله يا رسول الله ، ما حمدناك ولا حمدنَا خالدًا ، فقال رسول الله : فمن حَمِدتم؟ قالوا : حَمِدْنا الله الذى هدانا بك[يا رسول الله] (١) ؛ قال : صدقتم ؛ ثم قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : بمَ كنتم تغلبون مَنْ قاتلكم فى الجاهليّة ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحداً ، فقال رسولُ الله : بلى قد كنتم تغلبون مَنْ قاتلكم ، قالوا : يا رسولَ الله ، كنا نغلب مَنْ قاتلنا ، أنّا كنا بنى عبيد ، وكنا نجتمع ولا نتفرّق ، ولا نبدأ أحداً بظلم ، قال : صدقتم . ثم أمَّر رسولُ الله علَى بلْحارث بن كعب قيسَ بن الحُصين . فرجع وفد بلْحارث ابن كعب إلى قومهم فى بقيّة شوال أو فى صدر ذى القعدة ، فلم يمكثوا بعد أن قدِموا إلى قومهم إلا أربعة أشهر، حتى توفّىَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم (٢) . ١٧٢٧/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حَدّثنى عبدُ الله بن أبى بكر ، قال : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعَث إلى بنى الحارث بن كعب بعد أن ولّى وفدهم عَمْرَو بن حزم الأنصارىّ ، ثم أحد بنى النّجار، ليفقّههم فى الدين ويعلّمهم السنّة ومعالم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتابًا عهد إليه فيه ، وأمره فيه بأمره : بسم الله الرحمن الرحيم. هذا بيان من الله ورسوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾؛ (٣) عقدٌ من محمد النبىّ لعمرو بن حَزْم حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله فى أمره كله ، فإنّ الله مع الذين انقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحقّ كما أمر به الله وأنْ يبشّر الناس بالخير ، ويأمرهم به ، ويعلّم الناس القرآن، ويفقّههم فى الدين ، وينهى الناس ولا يمسّ أحد القرآن إلاّ وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذى لهم ؛ وبالذى عليهم ؛ ويلين للناس فى الحقّ ، ويشتدّ عليهم فى الظلم ؛ فإنّ الله عزّ وجلّ كره الظلم ونهى عنه وقال : ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (٤) ، ويبشّر الناس بالجنة وبعملها ، ويُنذر بالنار

(١) من ابن هشام . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٧، ٣٤٨ .
(٣) سورة المائدة ١ (٤) سورة هود ١٨

وبعملها ، ويستألف الناس حتى يتفقهوا فى الدين ، ويعلم الناس معالمَ الحجّ
وسنّته وفريضته ، وما أمر الله به فى الحجّ الأكبر والحجّ الأصغر ؛ وهو العُمْرة ، ١٧٢٨/١
وينهى الناس أن يصلّىَ أحدٌ فى ثوب واحد صغير ؛ إلا أن يكون ثوبًا واحداً
يثنى طَرَفه على عاتقه ، وينهى أن يحتبِىَ أحدٌ فى ثوب واحد يُفْضِى بفرْجه
إلى السماء ، وينهى ألاّ يعقص أحد شعر رأسه إذا عفا فى قفاه ، وينهى إذا
كان بين للناس هَيْجٌ عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ؛ وليكن دعاؤهم إلى الله
وحده لا شريك له ؛ فمن لم يدعُ إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطَّعُوا
بالسيف حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحدَه لا شريك له ، ويأمر الناس
بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ، ويمسحون
برءوسهم كما أمرهم الله عزّ وجلّ ، وأمره بالصّلاة لوقتها ، وإتمام الركوع
والخشوع ، ويغلّس بالفجر ، ويهجّر بالهاجرة حين تَميل الشمس ، وصلاة
العصر والشمسُ فى الأرض مدبرة ، والمغرب حينَ يقبل الليل ؛ لا تؤخّر حتى
تبدوَ النجوم فى السماء ، والعشاء أوّلَ الليل . ويأمر بالسّعى إلى الجُمُعة
إذا نودى لها ، والغُسل عند الرّواح إليها ، وأمره أن يأخذ من المغانم خُمسَ
الله وما كتب على المؤمنين فى الصدقة من العقار عُشْر ما سقى البعل وما سقت
السماء ومِمّا سقى الغرْب نصف العشر ، وفى كلّ عشْر من الإبل شاتان ، ١٧٢٩/١
وفى كلّ عشرين من الإبل أربع شياه ، وفى كلّ أربعين من البقر بقرة ، وفى
كلّ ثلاثين من البقر تبيع جَذَعٌ أو جَذَعَةٌ ، وفى كلّ أربعين من الغنم
سائمةٌ شاةٌ ؛ فإنها فريضة الله التى افترض الله عزّ وجلّ على المؤمنين فى الصدقة ؛
فمن زاد خيراً فهو خيرٌ له ، وأنه مَنْ أسلم من يهودىّ أو نصرانىّ إسلامًا خالصًا
من نفسه ، ودانَ دين الإسلام فإنه من المؤمنين ؛ له مثل ما لهمْ وعليه مثل
ما عليهم ؛ ومَنْ كان على نصرانيّته أو يهوديته فإنه لا يُفْتَن عنها ، وعلى
كلّ حالم ذكر أو أنثى ، حرّ أو عبد ، دينارٌ واف أو عَرْضه[1] ثيابًا ؛ فمن
أدّى ذلك ؛ فإن له ذمّة الله وذمّة رسوله ، ومَنْ منع ذلك فإنه عدوٌّ لله ولرسوله
وللمؤمنين جميعًا [2] .

(١) ابن هشام : « أو عوضه » .
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

* * *

قال الواقدىّ : توفّىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وعمرو بن حزم عامله بنَجْران .

* * *

قال الواقدىّ : وفى هذه السنة قدم وفد سَلامان فى شوّال على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم سبعة نفر ؛ رأسهم حبيب السَّلامانىّ .

وفيها قدِم وَفْدُ غَسّان فى رمضان .

وفيها قدم وفد غامد فى رمضان .

* * *

[قدوم وفد الأزد]

وفيها قدم وفد الأزد ، رأسهم صُرَد بن عبد الله فى بضعة عشر . فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكْر ، قال : قدم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم صُرَد
١٧٣٠/١ ابن عبد الله الأزدىّ فأسلم فحسن إسلامه ، فى وفد من الأزد ، فأمّرَه رسولُ الله على مَنْ أسلم من قومه ، وأمَره أن يجاهد بمن أسلم من أهل بيته المشركين من قبائل اليمن ، فخرج صُرَد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله فى جيش حتى نزل بجُرَش ؛ وهى يومئذ مدينة مغلَقة ، وفيها قبائل اليمن ، وقد ضَوَتْ إليهم خَثْعم ، فدخلوا معهم حين سمعوا بمسير المسلمين ، فحاصروهم بها قريبًا من شهر ، وامتنعوا منهم فيها . ثم إنه رجع عنهم قافلاً ؛ حتى إذا كان إلى جبل يقال له « كَشر »(١) ظنّ أهل جُرَش أنه إنما ولّى عنهم منهزمًا ؛ فخرجوا فى طلبه ؛ حتى إذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلا ؛ وقد كان أهل جُرَش قد بعثوا رجلين منهم إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة يرتادان وينظران ؛ فبينا هما عند رسول الله عشيّةً بعد العصر ، إذْ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : بأىّ بلاد الله شَكْر ؟ فقام الجُرَشيّان فقالا : يا رسولَ الله ؛ ببلادنا جبل

(١) ابن هشام : « شكر » .

يقال له جبل كَشر ؛ وكذلك تسمّيه أهلُ جرش ، فقال : إنه ليس بكشرَ ؛ ولكنه « شكر » قالا : فماله يا رسول الله ؟ قال : إنّ بُدْنَ الله انتُحرَ عنده الآن . قال فجلس الرَّجُلان إلى أبى بكر وإلى عثمان ، فقال لهما : ويحكما ! إنّ رسول الله الآن لينْعَى لكما قومكما[١] ، فقوما إلى رسول الله فاسألاه أن يدعوَ الله فيرفع عن قومكما ، فقاما إليه فسألاه ذلك ، فقال : اللهمّ ارفع عنهم ؛ فخرجا من عند رسول الله راجعيْن إلى قومهما ، فوجدا قومهما أصيبوا يوم أصابهم صُرَد بن عبد الله فى اليوم الذى قال فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما قال ؛ وفى الساعة التى ذكر فيها ما ذكر ؛ فخرج وفدُ جُرَش حتى قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا ، وحَمَى لهم حِمًى حول قريتهم ١٧٣١/١
على أعلام معلومة للفرَس ، وللراحلة ، وللمثيرة تُثير[٢] الحرث ؛ فَمنْ رعاها من الناس سوى ذلك فمالُه سُحْتٌ ، فقال رجل من الأزد فى تلك الغزوة — وكانت خثعم تصيب من الأزْد فى الجاهلية وكانوا يغزُون[٣] فى الشهر الحرام :

ياغَزْوَةً مَا غَزَوْنا غَيرَ خَائِبَةٍ ... فيها البغالُ وفيها الخيلُ والحُمُرُ
حتى أتيْنا حُمَيْراً فى مَصانِعِها ... وجَمْعَ خَثْعَمَ قَدْ سَاغَتْ لَهَا النُّذُرُ[٤]
إذَا وَضَعْتُ غَلِيلا كنت أَحْمِلُه ... فَما أُبالِى أَدَانوا بعْدُ أَمْ كَفَرُوا ![٥]

* * *

[سريّة على بن أبى طالب إلى اليمن]

قال : وفيها وجّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب فى سرّية إلى اليمن فى رمضان . فحدّثنا أبو كريب ومحمد بن عمرو بن هيّاج ، قالا : حدّثنا يحيى بن عبد الرحمن الأزَجىّ ، قال : حدّثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبى إسحاق ، عن البَرَاء بن عازب ، قال : بعثَ

(١) أى يخبركما بقتلهم . (٢) ابن هشام : « بقرة الحرث » .
(٣) ابن هشام : « يعدون » ، أى يعتدون .
(٤) المصانع : القرى والحصون والأبنية الضخمة . ساغت : ذاعت وانتشرت .
(٥) الغليل : حرارة الجوف من عطش أو نحوه . ودانوا : خضعوا . والخبرة فى سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٥ .

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالدَ بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام فكنت فيمن سار معه ؛ فأقام عليه ستة أشهر لا يجيبونه إلى شيء ، فبعث النبيّ صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب ، وأمره أن يُقْفِل خالداً ومَنْ معه ، فإن أراد أحد ممن كان مع خالد بن الوليد أن يعقّب معه تركه . ١٧٣٢/١

قال البَرَاء : فكنت فيمن عقّب معه ؛ فلمّا انتهينا إلى أوائل اليمن ، بلغ القوم الخبر ، فجمعوا له ، فصلّى بنا عليٌّ الفجر ، فلما فرغ صَفّنا صفًّا واحداً ، ثمّ تقدّم بين أيدينا ، فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قرأ عليهم كتابَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلمَتْ هَمْدان كلُّها في يوم واحد ، وكتب بذلك إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قرأ كتابه خرّ ساجداً ، ثم جلس ، فقال : السلام على هَمْدان ، السلام على هَمْدان ! ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام .

* * *

[قدوم وفد زُبيد]

قال أبو جعفر : وفيها قدِم وفدُ زُبَيد على النبيّ صلى الله عليه وسلم بإسلامهم . فحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : قدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عمرُو بن معدِ يكرب في أناس من بني زُبَيد ، فأسلم ، وكان عمرو بن معديكرب قد قال لقيس بن مكْشُوح المُرادي حين انتهى إليهم أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا قيس ، إنك سيّد قومِك اليوم ؛ وقد ذُكر لنا أنّ رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقول ، إنّي نبيّ ؛ فانطلق بنا إليه حتى نعلم علْمَه ؛ فإن كان نبيًّا كما يقول ؛ فإنه لا يخفى [1] عليك . إذا لقيناه اتبعناه [2] ؛ وإن كان غير ذلك علمنا علْمه ، فأبى عليه ذلك قيسُ بن مكشوح وسَفّه رأيه .

(١) ابن هشام : « لن يخفى » .

(٢) ابن هشام : « وإذا لقيناه اتبعناه » .

فركب عمرو بن معد يكربَ حتى قدِم علَى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصدّقه وآمن به ؛ فلما بلغ ذلك قيسًا أوعد عَمرًا، وتحفّظ عليه[1]، وقال : خالفنى وترك رأيى ! فقال عمرو فى ذلك :

١٧٣٣/١ أَمَرْتكَ يومَ ذى صَنْعَا ءَ أمْراً بادِياً رَشَدُهْ
أَمَرْتكَ باتّقَـــاء اللـ ـه والمعروف تا تعِدُهْ[2]
خَرجتَ مِنَ المَنَى مثلَ الـ حِمَارِ أعارَهُ وَتِدُهْ[3]
تَمَنَّانِى على فرسٍ عليه جَالِسًا أسـدُهْ
علىّ مُفاضَةٌ كالنَّهـ ـىِ أَخْلَصَ مَاءَهُ جَدَدُهْ[4]
تَرُدُّ الرُّمْحَ مَثْنِىَّ الـ سِّنانِ عَوَائراً قِصَدُهْ[5]
فلَوْ لاَ قَيْتَنى لاقَيـ ـتَ لَيْثاً فوقه لِبَدُهْ[6]
تلاقِى شَنْبَثاً شَثْنَ الـ بَرَاثِنِ ناشِزاً كَتَدُهْ[7]
يُسَامِى القِرْنَ إنْ قِرْنٌ تَيَمَّمَهُ فَيَعْتَضِدُهْ[8]
فَيَأْخُـــذُه فَيَرْفَعُه فَيَخْفِضُه فيَقْتَصِدُهْ[9]
فَيَدْمَغُـــه فَيَحْطِمُهُ فَيَخْضِمه فَيَزْدَرِدُهْ[10]
ظَلومُ الشِّرْكِ فيما أحـ ـرَزَتْ أنيـــابُهُ ويَدُهْ

(١) ابن هشام : « تحطم عليه » ، أى اشتد .
(٢) فى ابن هشام : « تتعده » .
(٣) ابن هشام : « مثل الحمير غره وتده » .
(٤) الدرع المفاضة : الواسعة . والنهى : الغدير من الماء . والجدد : الأرض الصلبة .
(٥) عوائر : متطايرة . والقصد : جمع قصدة ؛ وهى ما يكسر من الرمح .
(٦) اللبد : جمع لبدة ، وهى ما على كتفى الأسد ورأسه من الشعر .
(٧) الشنبث : الذى يتعلق بقرنه ولا يزايله . والشثن : الغليظ الأصابع ، والبراثن للسباع بمنزلة الأصابع للإنسان . وناشز : مرتفع . والكتد : ما بين الكتفين .
(٨) يعتضده : يأخذه تحت عضده ليصرعه .
(٩) يقتصده : يقتله .
(١٠) يدمغه : يذهبه . ويحطمه : يكسره . ويخضمه : يأكله .

مَتى ما يغْدَ أو يُغْدَى به فَقبـــوله برده (١)
فَيخطر مِثْلَ خَطْرِ الفَحـ ـلِ فَوقَ جِرانِهِ زَبَدُهْ
١/١٧٣٤ فأمسَى يَعتريه مِنَ الـ ـبَعوضِ ممنَّعاً بلَدُهْ
فـلاَ تتَمَنَّى وتَمـــنَّ غَيْرِىَ لَيِّناً كَتَدُهْ
وبوَّئْنِي له وَطَناً (٢) كَثِيراً حوْلَه عَدَدُهْ

قال : فأقام عمرو بن معد يكرب فى قومه من بنى زُبَيْد ؛ وعليهم فَرْوة ابن مُسَيْك المُرادىّ ، فلما توفّىَ رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم ارتدّ عمرو فقال حين ارتدّ :

وَجَدْنا مُلْكَ فَرْوَةَ شَرَّ مُلْكٍ حِمَاراً سَافَ مُنْخُره بِقَذْرِ (٣)
وكنْتَ إذا رَأَيْتَ أبا عُمَيْرٍ ترَى الحُوَلاَءَ من خُبْثٍ وغَدْرِ (٤)

* * *

[قدوم فَرْوَة بن مسيك المرادىّ]

وقد كان قدم على رسول الله فى هذه السنة—أعنى سنة عشر—قبل قدوم عمرو ابن معد يكرب ، فَرْوَةُ بن مُسَيك المُرادىّ مفارقًا لملوك كِندة . فحدثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : قدِم فَرْوة بن مُسيك المرادىّ علَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مفارقًا لملوك كِنْدة ، ومعانداً لهم ؛ وقد كان قبَيْلَ الإسلام بين مُراد وهَمْدان وقعة أصابت فيها هَمْدان من مُرَاد ما أرادوا ؛ حتى أثخنوهم (٥) فى يوم كان يقال له الرَّزْم ؛ وكان الذى قاد هَمْدان إلى مُراد الأجدع بن مالك ، ففضحهم يومئذ ، وفى ذلك يقول فَرْوة بن مُسَيك :

(١) من هذا البيت إلى آخر القصيدة مما لم يذكر فى سيرة ابن هشام .
(٢) ط : « وثوى» .
(٣) ساف : شم . وفى ابن هشام : « بشفر » . عن أبى عبيدة .
(٤) الحولاء : جلدة ماؤها أخضر تخرج مع الولد وفيها أغراس وعروق وخطوط خضر وحمر . والخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٤ .
(٥) أثخنوهم : أكثروا القتل فيهم والجراحات .

١٧٣٥/١ فَإِنْ نَغْلِبْ فغلاّبونَ قِدْماً وإنْ نُهْزَمْ فغَيْرُ مُهزَّمِينا (١)
وإنْ نُقْتَلْ فلاَ جُبْنٌ ولكن منايانا وطُعْمَةُ آخَرِينا (٢)
كَذَاكَ ٱلدَّهْر دولته سِجَالٌ تَكرُّ صُرُوفُه حيناً فحِينا (٣)
فَبَيْنَاهُ يُسَرُّ بِهِ وَيرضَى ولَو لُبِسَتْ غَضَارَتُه سِنِينَا (٤)
إذ ٱنْقَلَبَتْ بِهِ كرَّاتُ دَهْرٍ فألفَى للأولى غَبَطُوا طَحِينا (٥)
ومَنْ يُغْبَطْ برَيْبِ ٱلدّهرِ منهم يجِدْ رَيْبَ الزّمَانِ لَه خَؤُونا
فلَوْ خَلَدَ الملوكُ إذًا خَلَدْنا وَلوْ بَقِيَ الكِرَامُ إذًا بَقِينا
فأفْنَى ذَاكُمُ سَرَوَات قوْمِي كما أفْنَى القرونَ الأوّلينا (٦)

ولما توجّه فَروة بن مُسَيك إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مفارقًا للملوك كِنْدة قال :

لما رَأَيْتُ ملوكَ كِنْدَةَ أَعْرَضَت كالرِّجْلِ خَانَ ٱلرِّجْلَ عِرْقُ نَسَائِها (٧)
يَمّمْتُ رَاحلتي أَؤُمُّ مُحَمَّدًا أرْجُو فواضِلها وَحُسْنَ ثَرَائِها

١٧٣٦/١ قال : فلمّا انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهرسول الله — فيما بلغني : يا فرْوة ، هل ساءك ما أصاب قومك يومك يوم الرّزم (٨) ؟ فقال : يا رسول الله ، ومَنْ ذا يصيب قومَه مثل ما أصاب قومِي يوم الرّزم ؛ لا يسوءه

(١) ابن هشام : « وإن نغلب فغير مغلبينا » .
(٢) رواية ابن هشام : « وما إن طبناجبن ولكن » ، قال فى اللسان : « طبنا ، يجوز أن يكون معناه : ما دهرنا وشأننا وعادتنا ، ومعنى هذا الشعر : إن كانت همدان ظهرت علينا فى يوم الردم فغلبنا فغير مغلبين ، والمغلب : الذى يغلب مرارا ؛ أى لم نغلب إلا مرة واحدة » .
(٣) سجال من المساجلة ؛ وأصله فى البئر يستقى هذا مرة وهذا مرة ؛ والمعنى هنا يكون تارة للإنسان وتارة عليه .
(٤) غضارة الشىء : طراوته . (٥) غبطوا : حسنت حالتهم.
(٦) سروات الناس : أشرافهم .
(٧) النسا : عرق مستبطن فى الفخذ ؛ وهو مقصور ومده للشعر .
(٨) ابن هشام : « الردم » .

ذلك ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أما إنّ ذلك لم يزد قومك فى الإسلام إلا خيراً . فاستعمله رسولُ الله على مُراد وزُبَيْد ومَذْحِج كلّها؛ وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصَّدَقة ، وكان معه فى بلاده حتى تُوفِّىَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم [١].

حدّثنا أبو كُرَيب وسفيان بن وكيع ، قالا : حدّثنا أبو أسامة ، قال : أخبرنا مجالد ، قال : حدّثنا عامر ، عن فَرْوة بن مُسَيك ، قال : قال رسول الله : أكرهت يومك ويوم هَمْدان ؟ فقلت : إى والله ! أفنى الأهل والعشيرة ؛ فقال : أما إنه خيرٌ لمن بقى .

* * *

[قدوم الجارود فى وفد عبد القيس]

وفيها قَدِم وفْد عبد القيس ، فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارودُ بن عمرو بن حنَش بن المعلّى ، أخو عبد القيس فى وفد عبد القيس وكان نصرانيًّا .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار، عن الحسن، قال: لما انتهى إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كلّمه؛ فعرض عليه الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغّبه فيه ، فقال : يا محمد، إنى قد كنت على دين ؛ وإنى تاركٌ دينى لدينك ؛ فتضمن[٢] لى دِينِى ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا ضامنٌ لك أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه . قال : فأسلم وأسلم معه أصحابه، ثم سألوا رسولَ الله الحُمْلان ؛ فقال : والله ما عندى ما أحْمِلُكم عليه، فقالوا : يا رسولَ الله ، إنّ بيننا وبين بلادنا ضَوَالّ من ضوالّ الناس ؛ أفنتبلّغ عليها إلى بلادنا ؟ قال : إياكم وإياها ؛ فإنما ذلك حَرَق النار. قال : فخرج من عنده الجارود راجعًا إلى قومه — وكان حسنَ الإسلام صُلْبًا على دينه — حتى هلك ؛ وقد أدرك الرِّدةَ ، ١٧٣٧/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٤ . (٢) ابن هشام : « أفتضمن ؟ » .

فلما رجع من قومه مَنْ كان أسلم منهم إلى دينهم الأوّل مع الغَرور[1]، المنذر ابن النعمان بن المنذر ، أقام الجارود فشهد شهادةَ الحقّ ودعا إلى الإسلام ، فقال : يأيها الناس ؛ إنّى أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ، وأنى مَنْ لم يشهد[2] .

وقد كان رسول الله بعث العَلاءَ بن الحضرمىّ قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوَى العبدىّ ، فأسلم فحسُن إسلامه ؛ ثم هلك بعد وفاةِ رسولِ الله، وقبل رِدّة أهل البَحْرَيْن ، والعَلاءُ أميرٌ عنده لرسول الله على البحرين[3] .

* * *

[قدوم وفد بنى حنيفة ومعهم مسيلمة]

وفيها قدم وفد بنى حنيفة؛ حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق، قال: قدِم على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وفد بنى حَنِيفة ؛ فيهم مُسيلمة بن حبيب الكذّاب ، فكان منزلهم فى دار ابنة الحارث؛ امرأة من الأنصار ، ثم من بنى النجار .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدّثنى بعضُ علمائنا من أهل المدينة ، أنّ بنى حنيفة أتتْ بمسَيْلمة إلى ١٧٣٨/١
رسولِ الله صلى الله عليه وسلم تستره بالثياب ، ورسول الله جالس فى أصحابه ، ومعه عَسِيبٌ[4] من سَعف النَّخل ، فى رأسه خُوصات ، فلمّا انتهَى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثّياب ، كلّم رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله : لو سألتَنى هذا العسيب الذى فى يدى ما أعطيتك !

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق؛ عن شيخ من بنى حَنيفة من أهل اليمامة ، قال : كان حديثُ مسيلمة على غير هذا ؛

(١) قال السهيلىّ : « إنما سمى الغرور لأنه غر قومه فى تلك الردة ، أو غروه واستعانوا به على حربهم فقتل هنالك » .
(٢) ابن هشام : « وأكفر من لم يشهد » . قال : ويروى : « وأكنى من لم يشهد » .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٠ .
(٤) العسيب : جريد النخل .

زعم أن وفدَ بنى حنيفة أتوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وخلّفوا مسيلمة فى رحالهم ؛ فلما أسلموا ذكروا له مكانه ، فقالوا : يا رسولَ الله ؛ إنا قد خلّفنا صاحبًا لنا فى رحالنا وركابنا يحفظهما لنا . قال : فأمر له رسول الله بمثل ما أمر به للقوم ؛ وقال : أما إنه ليس بشرّكم مكانًا ، يحفظ ضيعة أصحابه ؛ وذلك [الذى] [١] يريد رسول الله . قال : ثم انصرفوا عن رسولِ الله وجاءوا مسيلمة بما أعطاه رسول الله ؛ فلما انتهى إلى اليمامة ارتدّ عدو الله وتنبأ وتكذّب لهم ، وقال : إنىّ قد أشركت فى الأمر معه ، وقال لوفده : ألم يقل لكم رسول الله حيث ذكرتمونى : « أما إنه ليس بشرّكم مكانًا»! ما ذلك إلا لما كان يعلم أنى قد أشركت معه ؛ ثم جعل يسجَع السّجعات [٢] ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة [٣] للقرآن : «لقد أنعم الله على الحُبْلى، أخرج منها نسمة تَسْعَى ، من بين صفاق [٤] وحشى» ، ووضع عنهم الصلاة ؛ وأحلّ لهم الخمر والزّنا ، ونحو ذلك . فشهد لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم أنه نبىٌّ [٥] ، فأصفقت [٦] بنو حنيفة على ذلك ، فالله أعلم أىّ ذلك كان [٧] . ١٧٣٩/١

* * *

[قدوم الأشعث بن قيس فى وفد كندة]

قال أبو جعفر : وفيها قدم وفدُ كِنْدة ؛ رأسهُم الأشعث بن قيس الكندىّ ؛ فحدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهرىّ، قال: قدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الأشعث ابن قيس فى ستين راكبًا من كِندة ، فدخلوا على رسول الله مسجدَه ، وقد

(١) من سيرة ابن هشام .
(٢) ابن هشام : « الأساجيع » .
(٣) مضاهاة : مشابهة .
(٤) الصفاق : مارق من البطن .
(٥) ابن هشام : « وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبى » .
(٦) أصفقوا على ذلك : أجمعوا عليه .
(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٠ ، ٣٤١ .

رَجَّلوا جُمَمَهُم (١)، وتكحّلوا ، عليهم جُبَب الحِبرة؛ قد كفّفُوها (٢) بالحرير؛ فلمّا دخلُوا على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم، قال : ألم تسلِموا ؟ قالوا : بلى ، قال : فما بالُ هذا الحرير فى أعناقكم ؟ قال : فشقّقُوه منها فألقوْه ، ثم قال الأشعث : يا رسولَ الله ؛ نحن بنو آكل (٣) المُرار ، وأنت ابن آكل المُرار ، فتبسّم رسول الله ، ثم قال : ناسبوا بهذا النَّسَب العباس ابن عبد المطلب وربيعة بن الحارث . قال: وكان ربيعة والعبّاس تاجِرَين؛ فكانا إذا ساحا فى أرض العرب فسئلا مَنْ هما ؟ قالا : نحن بنو آكل المُرار؛ يتعزّزان بذلك ؛ وذلك أن كِنْدة كانت ملوكًا ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نحن بنو النَّضْر بن كنانة لا نَقْفُو أمَّنا (٤)، ولا ننتفى من أبينا . فقال الأشعث بن قيس : هل عرفتم يا معشَر كندة ! والله لا أسمع رجلاً قالها بعد اليوم إلا ضربته حدَّهُ ثمانين (٥) .

* * *

قال الواقدىّ : وفيها قدم وفدُ محارب

وفيها قدم وفدُ الرّهاويّين.

١٧٤٠/١ وفيها قدم وفد العاقب والسَّيِّد من نجْران ، فكتب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح .

قال : وفيها قدم وفد عَبْس .

وفيها قدم وفد صَدَف ، وافوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجّة الوداع .

(١) رجلوا : سرحوا ومشطوا . والجمم : جمع جمة ؛ وهى مجتمع شعر الناصية الذى يصل إلى المنكبين .

(٢) كففوها : جعلوا لها سجفا من حرير.

(٣) قال ابن هشام : « الأشعث بن قيس من ولد آكل المرار من قبل النساء ، وآكل المرار الحارث بن عمرو بن حجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية ابن كندى — ويقال كندة » .

(٤) لا نقفوا أمنا : لا نتبع نسب أمنا ،قال السهيلى : « وذلك أن فى جدات النبى صلى الله عليه وسلم من هى من هذا القبيل ؛ منهن دعد بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث الكندى المذكور ؛ وهى أم كلاب بن مرة » . (٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٥ .

قال : وفيها قدم عديُّ بن حاتم الطائيّ ، فى شعبان .

وفيها مات أبو عامر الراهب عند هرقل ، فاختلف كنانة بن عبد ياليل وعلقمة بن عُلاثة فى ميراثه ، فقُضِيَ به لكنانة بن عبد ياليل . قال : هما من أهل المدر ، وأنت من أهل الوَبَر .

* * *

[قدوم رفاعة بن زيد الجذاميّ]

قال : وفيها قدم وفد خَوْلان ، وهم عشرة .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى ابن إسحاق ، قال : حدّثنى يزيدُ بن أبى حبيب ، قال : قدِم علَى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هُدْنة الحديبية قبل خيبر رفاعة بن زيد الجُذاميّ ثم الضُّبَيْبيّ ؛ فأهدى لرسول الله غلامًا ، وأسلم فحسُن إسلامه ، وكتب له رسول الله إلى قومه كتابًا ، فى كتابه : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا كتاب من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد ؛ إنّى بعثته إلى قومه عامّةً ومَنْ دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله ؛ فمَنْ أقبل فمِنْ حزب الله وحزب رسوله ، ومَنْ أدبر فله أمان شهريْن . فلمّا قدم رفاعة على قومه ، أجابوا وأسلموا ، ثمّ ساروا إلى الحَرّة ؛ حَرّة الرّجلاء فنزلوها [1] .

فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عمّن لا يتّهم ، عن رجال من جُذام كانوا بها علماءَ ، أنّ رفاعة بن زيد ، لما قدِم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعوهم إلى الإسلام ، فاستجابوا له ، لم يلبث أن أقبل دحْيه بن خليفة الكلبيّ مِنْ عند قيصر صاحب الروم ، حين بعثه رسول الله ومعه تجارة له ؛ حتى إذا كان بوادٍ من أوديتها ، يقال له : شَنار ؛ أغار على دِحية الهُنَيْد بن عَوْص وابنه عوص بن الهُنَيد ، الضُّلَيْعِيّان — والضُّلَيْع بطن من جُذام — فأصابا كلّ شىء كان معه ؛ ١٧٤١/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٨ .

فبلغ ذلك نفرًا من بنى الضُّبَيْب قوم رفاعة ممن كان أسلم وأجاب ، فنفروا إلى الهُنَيد وابنه ، فيهم من بنى الضُّبيب النعمان بن أبى جعال ، حتى لقوهم ، فاقتتلوا ، وانتمى يومئذ قُرَّةُ بن أشقر الضَّفارىّ ثم الضُّلَيعىّ ، فقال : أنا ابن لُبْنَى ؛ ورمى النعمانَ بن أبى جعال بسهم فأصاب ركبتَه ، فقال حين أصابه : خُذْها وأنا ابن لُبنى — وكانت له أمٌ تدعى لُبنى — قال : وقد كان حسّان بن ملّة الضُّبَيبىّ قد صحب دِحيَة بن خليفة الكلبىّ قبل ذلك ؛ فعلّمه أمّ الكتاب ؛ فاستنقذوا ما كان فى يد الهُنيد وابنه عوص ، فردُّوه على دِحيَة ؛ فسار دِحيَة حتى قدِم على رسولِ الله ، فأخبره خبره ، واستسقاه دم الهُنيد وابنه ؛ فبعث إليهم رسول الله زيد بن حارثة — وذلك الذى هاج غزوة زيد جُذَاماً ، وبعث معه جيشًا — وقد وجّهت غطفان من جُذام كلّها وواتل ١٧٤٢/١
ومَنْ كان من سَلامان وسعد بن هُذَيم حين جاءهم رفاعة بن زيد بكتاب رسول الله ؛ فنزلوا بالحرّة ؛ حرّة الرجلاء ، ورفاعة بن زيد بكُرَاع رَبَة ولم يعلم ، ومعه ناسٌ من بنى الضبيب وسائر بنى الضّبيب بوادٍ من ناحية الحرّة ممّا يسيل مُشَرَّقًا ، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأولاج ؛ فأغار بالفَضَافِض من قِبَل الحرّة ، وجمعوا ما وجدوا من مال وأناس ، وقتلوا الهُنَيد وابنه ورجُلَيْن من بنى الأحنف ، ورجلاً من بنى خَصِيب ؛ فلمّا سمعت بذلك بنو الضُّبيب والجيش بفَيْفاء مَدَان ، ركب حسّان بن ملّة على فرس لسُويد بن زيد يقال لها العَجَاجة ، وأنَيف بن ملّة على فرس لملّة ، يقال لها رِغال ، وأبو زيد بن عمرو على فرس له يقال لها شَمِر ؛ فانطلقوا حتى إذا دنوْا من الجيش ، قال أبو زيد لأنَيْف بن مِلّة : كفّ عنا وانصرفْ ؛ فإنا نخشى لسانَك ، فانصرف فوقف عنهما ، فلم يبعدا منه ؛ فجعل فرسُه تبحث بيدها وتوثّب ؛ فقال : لأنا أضنُّ بالرجلين منك بالفرسَيْن ؛ فأرخَى لها حتى أدركهما ؛ فقالا له : أمّا إذْ فعلت ما فعلت ، فكفّ عنا لسانك ولا تشأمْنا اليوم ، وتواطئوا [1] ألاّ يتكلم منهم إلاّ حسان بن ملّة ؛ وكانت

(١) ابن هشام : « فتواطئوا » .

١٧٤٣/١ بينهم كلمة فى الجاهلية؛ قد عرفوها ؛ بعضهم من بعض؛ إذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال : «ثورى [١] .

فلمّا برزوا على الجيش أقبل القومُ يبتدرونَهم ؛ فقال حسان : إنا قوم مسلمون ؛ وكان أوّلَ مَنْ لقيهم رجلٌ على فرس أدْهم بائع رمحه [٢] يقول معرِّضُه : كأنما ركزه على منسج فرسه جدّ وأعتق [٣] ؛ فأقبل يسوقهم ، فقال أنيف : «ثورى» ،فقال حسان: مهلاً ! فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال له حسّان : إنا قوم مسلمون ، فقال له زيد : فاقرأ أمّ الكتاب ، فقرأها حسان ، فقال زيد بن حارثة : نادوا فى الجيش ، إنّ الله قد حرّمَ علينا ثُغرة[٣]القوم التى جاءوا منها إلا من ختَر [٤] ؛ وإذا أختٌ لحسان ابن ملّة — وهى امرأة أبى وبْر بن عدىّ بن أمية بن الضُّبيب — فى الأسارى. فقال له زيد : خذها ، فأخذت بحَقْويْه [٥] ، فقالت أمُّ الفَزْر الضُّلَيْعية: أتَنْطلقون ببناتكم ، وتَذَرُون أمّهاتكم ! فقال أحد بنى خصيب : إنها بنو الضّبيب ! وسحرت [٦] ألسنتَهم سائر اليوم ؛ فسمعها بعضُ الجيش ؛ فأخبر بها زيد بن حارثة ؛ فأمر بأخت حسان ؛ ففُكّت يداها من حَقْويه ، فقال لها : اجلسى مع بنات عمّك حتى يحكم الله فيكنّ حكمه ؛ فرجعوا ؛ ونهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذى جاءوا منه ، فأمسَوْا فى أهليهم ؛ واستعتموا ذَوْداً [٧] لسُويد بن زيد ؛ فلما شربوا عَتمتَهُم [٨] ركبوا إلى رفاعة بن زيد؛

١٧٤٤/١ وكان ممن ركب إلى رفاعة تلك الليلة أبو زيد بن عمرو وأبو شمّاس بن عمرو ، وسويد بن زيد ، وبعْجة بن زيد ، وبَرْذع بن زيد ، وثعلبة بن عمرو ، ومَخْرَبة بن عدىّ ، وأنيف بن ملّة ، وحسّان بن ملّة ؛ حتى صبّحُوا رفاعة

(١) ابن هشام : « أو بورى » .
(٢) ساقطة من ابن هشام .
(٣) ثغرة القوم : ناحيتهم التى يحمونها .
(٤) ختر : نقض العهد وخان .
(٥) حقو الرجل : خصره .
(٦) ابن هشام : « سحر » .
(٧) الذود : ما بين الثلاث إلى العشر من الإبل . واستعتموا ذودا : انتظروه إلى عتمة الليل .
(٨) عتمتهم، أى فى وقت العتمة .

ابن زيد بكراع رَبَّةَ بظهر الحرّة على بئر هنالك من حَرّة ليلى ، فقال له حسان بن ملّة : إنك لجالسٌ تحلُبُ المِعْزَى ونساء جذام يُجْرَرْنَ أسارى قد غرَّها كتابك الذى جئت به ! فدعا رفاعة بن زيد بجمل له ؛ فجعل يشكل عليه رحله ؛ وهو يقول :

* هل أنت حيٌّ أو تُنَادى حيّا *

ثم غدا وهم معه بأميّة بن ضفارة أخى الخصيبيّ المقتول مبكّرين من ظهر الحرّة ، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال ؛ فلما دخلوا انتهوْا إلى المسجد ، ونظر إليه رجلٌ من الناس ، فقال لهم : لا تُنيخوا إبلَكم فتقطع أيديهنّ ، فنزلوا عنها وهن قيامٌ ؛ فلمّا دخلُوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآهم ، ألاح[1] إليهم بيده : أن تعالوْا من وراء الناس ؛ فلما استفتح رفاعة بن زيد المنطق قام رجلٌ من الناس ، فقال : إنّ هؤلاء يا نبيّ الله قومٌ سَحَرةٌ ؛ فرددها مرّتيْن ؛ فقال رفاعة : رحمَ الله من لم يَجْزِنا فى يومنا هذا إلا خيراً ! ثم دفع رفاعة كتابه إلى رسول الله الذى كان كتبه له ، فقال : دونك يا رسول الله ١٧٤٥/١
قديمًا كتابُه ، حديثًا غدره . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ يا غلام وأعلن ؛ فلما قرأ كتابهم واستخبرهم فأخبروه الخبر ، قال رسول الله : كيف أصنع بالقتلى ؟ ثلاث مرات ؛ فقال رفاعة : أنت يا رسول الله أعلمُ ، لا نحرّم عليك حلالاً ، ولا نُحِلّ لك حرامًا ؛ فقال أبو زيد بن عمرو : أطْلِقْ لنا يا رسولَ الله مَنْ كان حيًّا ، ومن كان قد تُتِل فهو تحت قدمَيَّ هاتَيْن . فقال رسول الله : صدق أبو زيد ، اركب معهم يا علىُّ ، فقال علىٌّ : يارسولَ الله ؛ إنّ زيداً لن يطيعَنى ، قال : خذ سيفى ، فأعطاه سيفَه ، فقال علىّ : ليس لى راحلة يا رسولَ الله أركبها ، فحمله رسول الله على جمل لثعلبة بن عمرو ، يقال له المكحال ؛ فخرجوا ، فإذا رسولٌ لزيد بن حارثة على ناقة من إبل أبى وبْر ، يقال لها الشمر ؛ فأنزلوه عنها ، فقال : يا علىّ ما شأنى ؟ فقال له علىٌّ : ما لهم عرفوه فأخذوه . ثم ساروا حتى لقوا الجيش بفيفاء الفَحْلَتَيْن ، فأخذوا ما فى أيديهم من أموالهم ؛ حتى كانوا ينزعون لبَدَ المرأة من تحت الرّحل[2]

(١) ألاح : أشار .
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

وفدُ بنى عامر بن صَعْصَعَة

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : قدِم علَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وفدُ بنى عامر ؛ فيهم عامر بن الطفَيل ، وأربَدُ بن قيس بن مالك بن جعفر ، وجبّارُ بن سلمَى بن مالك بن جعفر ؛ وكان هؤلاء الثلاثة رءوس القوم وشياطينهم . ١٧٤٦/١

فقدم عامر بن الطّفيل على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد الغَدْر به ؛ وقد قال له قومه : يا عامر ؛ إنّ الناس قد أسلموا فأسلِمْ ؛ قال : والله لقد كنتُ آليتُ ألاّ أنتهىَ حتى تتبع العربُ عَقِبى ؛ أفأنا أتّبع عقِب هذا الفتى من قريش ! ثم قال لأربد : إذا قدمت على الرجل فإنى شاغلٌ عنك وجهه ؛ فإذا فعلتُ ذلك فاعْلُه بالسَّيْف ؛ فلما قدِموا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل : يا محمد خالّنى [1] ؛ قال : لا والله حتى تؤمِنَ بالله وحده ، قال : يا محمد خالّنى ، قال : وجعل يكلمه فينتظر منْ أربد ما كان أمرَهَ به ، فجعل أربد لا يحير شيئًا ، فلمّا رأى عامر ما يصنع أربد ، قال : يا محمد خالّنى ، قال : لا والله حتى تؤمِنَ بالله وحدَه لا شريك له . فلما أبى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله لأملأنّها عليك خيلاً حُمْرًا ورجالاً ، فلما ولّى قال رسول الله : اللهمّ اكفنى عامر بن الطفيل ، فلما خرجوا من عند رسول الله قال عامر لأربد : ويلك يا أربد ! أين ما كنت أوصيتك به ! والله ما كان على ظهر الأرض رجلٌ هو أخوف على نفسى عندى منك ، وايمُ اللهِ لا أخافك بعد اليوم أبداً . قال : لا تعجلْ علىّ لا أبالك ! والله ما هممت بالذى أمرتَنى به من مرة إلاّ دخلت بينى وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ! قال عامر بن الطُّفَيل : ١٧٤٧/١

بَعَثَ الرسولُ بما تَرَى فَكأنّما ... عَمْدًا نَشنّ على المَغَانِب غَارَا

وَلَقَدْ وَرَدْنَ بنَا المدينةَ شُزَّبًا ... ولَقد قَتَلْنَ بِجَوِّهَا الأَنْصَارَا

وخرجوا راجعين إلى بلادهم ؛ حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله عزّ

(١) خالنى بالتشديد ؛ أى اتخذ نى خليلا ، وبالتخفيف : تفرد لى خاليا .

وجلّ على عامر بن الطُّفيل الطاعون فى عنقه فقتله ؛ وإنّه فى بيت امرأة من بنى سَلول ؛ فجعل يقول : يا بنى عامر ؛ أغُدَّةٌ كغُدَّة البَكْر ؛ وموت فى بيت امرأة من بنى سَلول[1]! ثم خرج أصحابه حين واوْه ؛ حتى قدموا أرضَ بنى عامر ؛ فلما قدموا أتاهم قومهم ، فقالوا : ما وراءك يا أربد ؟ قال : لا شىء ؛ والله لقد دعانا إلى عبادة شىء لوددت أنه عندى الآن فأرميه بنَبْلى هذه حتى أقتلَه ؛ فخرج بعد مقالته هذه بيوم أو يومَيْن ، معه جملٌ له يبيعه ؛ فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقةً فأحرَقتْهما . وكان أربدُ بن قيس أخا لَبيد بن ربيعة لأمّه[2].

[قدوم زيد الخيل فى وفد طيئ]

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدُ طيّئ ؛ فيهم زيد الخيل ، وهو سيّدهم ، فلما انتهوْا إليه كلّموه ؛ وعرض عليهم رسول الله الإسلام فأسلموا فحسن إسلامهم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم — كما حدّثنا ١٧٤٨/١
ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن رجال من طيِّئ : « ماذُكِر لى رجلٌ من العرب بفضل ثم جاءنى إلاّ رأيته دونَ ما يقال فيه إلاّ ما كان من زيد الخيل ؛ فإنه لم يُبْلَغ فيه كلّ مافيه » . ثم سمّاه زيد الخير ؛ وقطع له فيداً وأرضين معه ؛ وكتب له بذلك . فخرج من عند رسول الله راجعًا إلى قومه ، فقال رسول الله : إن يَنْجُ زيدٌ من حُمّى المدينة ! سمّاها رسول الله [باسم][3] غير الحُمّى وغير أمِّ مَلْدَم فلم يُثْبِتْه — فلما انتهى من بلاد نجد إلى ماءٍ من مياهه يقال له فَرْدَة أصابته الحُمّى ؛ فمات بها ، فلما أحسّ زيد بالموت قال :

أمُرتَحِلٌ قَوْمِى المَشَارِقَ غُدْوَةً ... وَأُترَكُ فِى بَيْتٍ بِفَرْدَةَ مُنْجِدِ
أَلا رُبَّ يومٍ لَوْ مَرِضْتُ لَعَادَنِى ... عَوَائِدُ مَن لم يُبْرَ مِنهنَّ يَجْهَدِ

(١) الغدة : داء يصيب البعير فيموت منه ، والبكر : الفتى من الإبل ، والسلولية : امرأة منسوبة إلى سلول بن صعصعة ؛ وهم بنو مرة بن صعصعة ، وسلول أمهم .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٧ . (٣) من ب وابن هشام .

فلما مات عمِدت امرأته إلى ما كان معها من كتُبه التى قطع له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم فحرّقتها بالنار[١] .

* * *

[كتاب مسيلمة إلى رسول الله والجواب عنه]

وفى هذه السنة كتب مُسيلمة إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم يدّعى أنه أشرِك معه فى النبوّة . حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ؛ عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : كان مُسيلمة بن حبيب الكذّاب
١٧٤٩/١ كتبَ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله . سلامٌ عليك ؛ فإنى قد أشرِكت فى الأمر معك ؛ وإن لنا نِصْفَ الأرض ولقريش نِصْف الأرض ، ولكنّ قريشًا قوم يعتدون .

فقدم عليه رسولان بهذا الكتاب[٢] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن شيخ من أشجع قال ابن حميد : أمّا علىّ بن مجاهد فيقول : عن أبى مالك الأشجعىّ ، عن سلمة بن نُعيم بن مسعود الأشجعىّ ، عن أبيه نُعَيم — قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهما حين قرأ كتاب مسيلِمة : فما تقولان أنتما ؟ قالا : نقول كما قال ؛ فقال : أما والله لولا أن الرُّسُلَ لا تُقْتَلُ لضربتُ أعناقكما .

ثم كتب إلى مسيلمة : بسم الله الرّحمن الرّحيم ؛ من محمد رسول الله إلى مُسيلِمة الكذّاب . سَلامٌ على من اتّبَعَ الهدى ؛ أما بعد ، فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . قال : وكان ذلك فى آخر سنة عشر[٢] .

قال أبو جعفر : وقد قيل : إنّ دعوى مُسيلمة ومَن ادّعى النبوّة من الكذابين فى عهد النبىّ صلى الله عليه وسلم ، إنما كانت بعد انصراف النبىّ من حَجّه المسمىّ حِجّة الوداع ؛ ومرْضته التى مرضَها التى كانت منها وفاته صلى الله عليه وسلم .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٢ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٠ .

حدّثنا عبيد الله بن سعيد الزُّهريّ ، قال : حدّثنى عمّى يعقوب بن إبراهيم قال : حدّثنى سيف بن عمر — وكتب بذلك إلىّ السرىّ يقول : حدّثنا شُعيب ابن إبراهيم التميمىّ ، عن سَيْف بن عمر التميمىّ الأسيّدىّ — قال : حدّثنا عبد الله بن سعيد بن ثابت بن الجِذْع الأنصارىّ ، عن عبيد مولَى رسول ١٧٥٠/١
الله صلى الله عليه وسلم عن أبى مُوَيهِبة مولى رسول الله ، قال : لما انصرف النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد ما قضى حجّة التمام ، فتحلّل به السيرُ ، وطارت به الأخبار لتحلّل السير بالنبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ أنه قد اشتكى ؛ فوثب الأسود باليمن ومسيلمةُ باليمامة ؛ وجاء الخبر عنهما للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، ثم وثب طليحة فى بلاد بنى أسد بعد ما أفاق النبىّ ، ثم اشتكى فى المحرّم وجعه الذى توفّاه الله فيه .

* * *

[خروج الأمراء والعمال على الصدقات]

قال أبو جعفر : وفرّق رسول الله صلى الله عليه وسلّم فى جميع البلاد التى دخلها الإسلامُ عُمّالاً على الصدقات . فحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم قد بعث أمراءَه وعمّاله على الصّدقات ، على كلّ ما أوطأ الإسلام من البلدان ؛ فبعث المهاجر بن أبى أميّة بن المغيرة إلى صنعاء ؛ فخرج عليه العَنْسىّ وهو بها ، وبعث زياد بن لَبِيد أخا بنى بياضة الأنصارىّ إلى حضْرموت على صدقتها[1] ، وبعث عدىّ بن حاتم على الصدقة ؛ صدقة طيّئ وأسد ، وبعث مالك بن نُوَيْرة على صدقات بنى حنظلة ، وفرّق صدقة بنى سعد على رجلين منهم ، وبعث العلاء بن الحضرمىّ على البحرين ، وبعث علىّ بن أبى طالب إلى نَجْران ليجمع صدقاتهم ، ويقدم عليه بجزيتهم[2] . .

* * *

(١) ط : « عبد الله » ، والصواب ما أثبته من الإصابة .
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٩ .

[حجّة الوداع]

١٧٥١/١ فلمّا دخل ذو القعدة من هذه السنة — أعنى سنة عشر — تجهّز النبيّ إلى الحجّ ، فأمر الناس بالجهاز له . فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، عن ابن إسحاق ؛ عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قالت : خرج النبيّ صلّى الله عليه وسلم إلى الحجّ لخمس ليال بقينَ من ذى القعدة [١] ، لا يَذكُر ولا يَذكُر الناس إلاّ الحجّ ؛ حتّى إذا كان بسَرِف ، وقد ساق رسول الله معه الهدْىَ وأشرافٌ من أشراف الناس ، أمر الناس أن يُحِلّوا بعُمْرة إلاّ من ساق الهدْى ، وحِضْتُ ذلك اليوم ؛ فدخل علىّ وأنا أبكى ؛ فقال : مالك يا عائشة ؟ لعلك نَفِسْتِ ! فقلت : نعم ، لوددت أنّى لم أخرج معكم عامِى هذا فى هذا السفر ، قال : لا تفعلِى ؛ لا تقولِنّ ذلك ؛ فإنك تقضين [كلّ] [٢] ما يقضىّ الحاجّ ؛ إلاّ أنك لا تطوفين بالبيت . قالت : ودخلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة ؛ فحلّ كلّ مَنْ كان لا هدىَ معه ، وحلّ نِساؤه بعمْرة ؛ فلمّا كان يوم النحر أتِيتُ بلحم بقر [كثير] [٣] ، فطُرِح فى بيتى ، قلت : ما هذا ؟ قالوا : ذَبَح رسول الله عن نسائِه البقر ؛ حتّى إذا كانت ليلة الحَصْبَة ، بعثنى رسولُ الله مع أخى عبد الرحمن بن أبى بكر ، لأقضىَ عُمْرتى من التّنعيم مكان عُمْرتى التى فَاتَتْنى [٤] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن ابن أبى نَجِيح ، قال : بعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم علىّ بن أبى طالب إلى نَجْران ، فلقيَه بمكّة ؛ وقد أحرم ؛ فدخل علىٌّ علىَ فاطمة ابنة رسول الله ،

(١) قال ابن هشام : « فاستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدى ، ويقال : سباع بن عرفطة الغفارى » .

(٢) من ابن هشام . (٣) من ابن هشام . (٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٠ .

١٧٥٢/١ فوجدها قد حلّتْ وتهيّأت ، فقال : مالك يابنة رسول الله ؟ قالت : أمرَنا رسولُ الله أن نحلّ بعمرة ؛ فأحللنا ، قال: ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ من الخبر عن سفره، قال له رسولُ الله : انطلق فطُفْ بالبيت ، وحلّ كما حلّ أصحابك ، فقال : يا رسولَ الله ، إنّى قد أهللتُ بما أهللتَ به ؛ قال : ارجع فاحلِل كما حلّ أصحابك، قال: قلت: يارسولَ الله ، إنى قلت حين أحرمت: اللهمّ إنى أهللت بما أهلّ به عبدك ورسولك؛ قال : فهلْ معك من هَدْى ؟ قال: قلت : لا ،قال : فأشركه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى هديه وثبت على إحرامه مع رسول الله ؛ حتى فرغا من الحجّ، ونحر رسول الله الهدْىَ عنهما (١).

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن يحيى ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى عَمْرة ، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة ، قال : لما أقبل علىٌّ بن أبى طالب من اليمن ليلقَى رسول الله بمكّة تعجّل إلى رسولِ الله ، واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه ، فعمَد ذلك الرجل ، فكسا رجالاً من القوم حُلَلاً من البزّ الذى كان مع علىّ بن أبى طالب ؛ فلما دنا جيشه ؛ خرج علىٌّ ليلقاهم ؛ فإذا هم عليهم الحُلل ، فقال : ويْحك ما هذا ! قال : كسوت القوم ليتجمّلوا به إذا قدموا فى الناس ، فقال : ويلك ! انْزِعْ من قبل أن تنتهىَ إلى رسول الله . قال : فانتزع الحُلل من الناس، وردّها فى البزّ؛ وأظهر الجيشُ شكاية لما صُنع بهم (٢).

١٧٥٣/١ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمَر بن حزْم ، عن سليمان بن محمد بن كعب ابن عُجْرة ، عن عمّته زينب بنت كعب بن عُجْرة—وكانت عند أبى سعيد الخدرىّ — عن أبى سعيد ، قال : شكا الناس علىّ بن أبى طالب ، فقام رسول الله فينا خطيبًا ، فسمعته يقول : يأيّها الناس ؛ لا تشكُوا عليًّا ، فوالله إنه لأخشى فى ذات الله — أو فى سبيل الله — [من أن يُشكَى] (٢).

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٠ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥١ .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نَجِيح ، قال : ثمّ مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم على حجّه ؛ فأرى الناس مناسكَهم ، وأعلمهم سننَ حجّهم ؛ وخطب الناس خطبته التى بيّن للناس فيها ما بيّن ، فحمِد الله وأثنى عليه ؛ ثم قال :

أيّها الناس ، اسمعوا قولى ؛ فإنّى لا أدرى لعلّى لا ألقاكم بعد عامى هذا ، بهذا الموقف أبداً . أيّها الناس ؛ إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام ؛ إلى أن تلقَوْا ربّكم كحرْمة يومكم هذا ، وحرْمة[1] شهركم هذا ؛ وستلقوْن[2] ربّكم ، فيسألكم عن أعمالكم . وقد بلّغْتُ ، فمن كانت عنده أمانة فليُؤدِّها إلى من ائتمنه عليها . وإنّ كلّ رِباً موضوع ، ولكم رءوس أموالكم ، لا تَظلمون ولا تُظلمون . قضى الله أنه لا رِبا . وإنّ ربا العباس بن عبد المطلب موضوعٌ كلّه ، وأنّ كلّ دم كان فى الجاهلية موضوع ، وإنّ أوّل دم أضَعُ دمَ ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب — وكان مسترضَعًا فى بنى ليث ، فقتلتْه بنو هُذَيْل — فهو أوّل ما أبدأ به من دماء الجاهليّة .

١٧٥٤/١ أيّها الناس ؛ إنّ الشيطان قد يئس من أن يُعْبَد بأرضكم هذه أبداً ؛ ولكنه[3] رضِىَ أن يُطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم[3] ، فاحذروه على دينكم .

أيّها الناس : ﴿ إنّمَا النَّسِىءُ زِيَادَةٌ فى الكُفْرِ يُضَلّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا ويُحَرّمُونَهُ عامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرّمَ اللهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ الله ﴾[4] ، ويُحَرّمُوا ما أَحَلّ اللهُ ؛ وإنّ الزّمان قد استدار كهيئته يوم خلَق الله السموات والأرض ؛ و﴿ إنّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ الله اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِى كِتابِ الله يَوْم خَلَقَ

(١) ابن هشام : « وكحرمة » .

(٢) ابن هشام : « وإنكم ستلقون » .

(٣ — ٣) ابن هشام : « ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى مما تحقرون من أعمالكم » .

(٤) سورة التوبة ٣٧

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْها أَرْبعةٌ حُرُمٌ ﴾ [١]، ثلاثة متوالية ؛ ورجب مُضَر الذى بين جمادى وشعبان [٢].

أمّا بعد أيها الناس ؛ فإنّ لكم على نسائكم حقًّا ولهنّ عليكم حقًّا ، لكم عليهنّ ألا يُوطِئْن فرشَكم أحداً تكرهونه ، وعليهنّ ألا يأتينَ بِفاحشة مُبَيِّنَة ؛ فإن فعلن فإنّ الله أذِن لكم أن تهجروهنّ فى المضاجع ، وتضربوهنّ ضربًا غير مُبَرِّح [٣] ، فإن انتهينَ فلهنّ رزقهنّ وكِسْوَتهن بالمعروف . واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهنّ عندكم عَوَانٍ [٤] لا يملكن لأنفسهنّ شيئًا ، وإنكم إنما أخذتموهنّ بأمانة الله ، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله ؛ فاعقلوا أيها الناس واسمعوا قولى ؛ فإنّى قد بلّغت وتركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلُّوا أبداً؛ كتاب الله وسنة نبيّه .

أيها الناس ، اسمعوا قولى فإنى قد بلّغت ، واعقلوه . تعلَّمُنّ أن كلّ مسلم أخو المسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحلّ لامرئ من أخيه إلاّ ما أعطاه ١٧٥٥/١
عن طِيب نفس ؛ فلا تظلموا أنفسكم . اللهمّ هل بلغتُ ! قال : فذكر أنهم قالوا : اللهمّ نعم ، فقال رسول الله : اللهمّ اشهد [٥].

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمّد بن إسحاق ، عن يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه عبّاد ، قال : كان الذى يصرخ فى الناس بقول رسول الله وهو على عَرَفَة ، ربيعة بن أميّة بن خلف ، قال : يقول له رسول الله : قل : أيُّها [٦] الناس ؛ إنّ رسول الله يقول : هل تدرون أىّ شهر هذا ! فيقولون : الشهر الحرام ، فيقول : قل لهم : إنّ الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربّكم كحرْمة شهركم هذا . ثمّ قال : قل : إنّ رسولَ الله ، يقول : أيّها الناس ؛ فهل تدرُون أىّ بلد هذا ؟ قال : فيصرخُ به ، فيقولون : البلد الحرام ، قال : فيقول : قل : إنّ الله حرّم عليكم دماءكم

(١) سورة التوبة ٣٦ .
(٢) قال السهيلى : « إنما قال ذلك ؛ لأن ربيعة كانت تحرم فى رمضان وتسميه رجب » .
(٣) الضرب المبرح : الشديد . (٤) عوان : جمع عانية ؛ وهى الأسيرة .
(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٠ ، ٣٥١ . (٦) ابن هشام : « يأيها » .

وأموالكم إلى أنْ تلقوْا ربّكم ، كحرمة بلدكم هذا . ثم قال : قل: أيها الناس ، هل تدرون أىّ يوم هذا ؟ فقال لهم ، فقالوا : يوم الحجّ الأكبر ، فقال : قل: إنّ الله حرّم عليكم أموالكم ودماءكم إلى أن تلقوْا ربّكم كحرمة يومكم هذا[1] .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نَجيح ، أنّ رسولَ الله حين وقف بعَرفة ، قال : هذا الموقف— للجبل الذى هو عليه — وكلّ عرفة موقف . وقال حين وقف على قُزَح صبيحة المزدلفة : هذا الموقف ، وكلّ المزدلفة موقف . ثم لما نحر بالمَنحر ، قال: هذا المنحر ، وكلّ مِنًى منحرٌ ؛ فقضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الحجّ ١٧٥٦/١
وقد أراهم مناسكَهم ، وعلّمهم ما افترض عليهم فى حجّهم فى المواقف ورمْىِ الجمار والطواف بالبيت ، وما أحلّ لهم فى حجّهم وما حرّم عليهم ؛ فكانت حجّة الوداع وحجّة البلاغ ؛ وذلك أن رسول الله لم يحجّ بعدها [2] .

* * *

[ذكر جملة الغزوات]

قال أبو جعفر : وكانت غزواتُه بنفسه ستًّا وعشرين غزوة ؛ ويقول بعضهم : هنّ سبع وعشرون غزوة ؛ فمن قال: هى ستٌّ وعشرون ، جعلَ غزوة النبىّ صلى الله عليه وسلم خيبر وغزوته من خيبر إلى وادى القرى غزوة واحدة ؛ لأنه لم يرجع من خيبر حين فرغ من أمرها إلى منزله ؛ ولكنه مضى منها إلى وادى القرى ؛ فجعل ذلك غزوة واحدة . ومن قال : هى سبع وعشرون غزوة ، جعل غزوة خيبر غزوةً ، وغزوة وادى القرى غزوة أخرى ؛ فيجعل العدد سبعاً وعشرين .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبدالله بن أبى بكر ، قال : كان جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ستًّا وعشرين غزوة . أول غزوة غزاها وَدّان ؛ وهى غزوة الأبواء ، ثم غزوة بُوَاط إلى ناحية رَضْوَى ، ثم غزوة العُشيرة من بطن ينبُع ، ثم غزوة بدر

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥١ ، ٣٥٢ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٢ .

الأولى يطلب كُرْز بن جابر ، ثم غزوة بدر [الكبرى][1] التى قتل فيها صناديد قريش وأشرافهم ، وأسَر فيها مَنْ أسر ، ثم غزوة بنى سُليم حتى بلغ الكُدْر ؛ ماء لبنى سُليم ، ثم غزوة السَّويق يطلب أبا سفيان حتى بلغ قرقرة الكُدْر ، ثم غزوة غَطفان إلى نجد ؛ وهى غزوة ذى أمَر ؛ ثم غزوة بَحْران ؛ معدن بالحجاز من فوق الفُرُع ، ثم غزوة أحُد ، ثم غزوة حمراء الأسد ، ثم غزوة ١٧٥٧/١
بنى النَّضير ، ثم غزوة ذات الرِّقاع من نخل ، ثم غزوة بدْر الآخرة [2] ، ثم غزوة دُومة الجنْدل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بنى قُرَيظة ، ثم غزوة بنى لِحْيان من هُذَيل ، ثم غزوة ذى قَرَد ، ثم غزوة بنى المصطلِق من خُزاعة ، ثم غزوة الحديبيَةِ — لا يريدقتالاً ، فصدّه المشركون — ثم غزوة خيبر ؛ ثم اعتمر عُمرة القضاء ، ثم غزوة الفتح ؛ فتح مكة ، ثم غزوة حُنين ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تبوك . قاتل منها فى تسع غزوات : بدْر ، وأحُد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطلق ، وخيبر ، والفتح ، وحُنين ، والطائف[3] .

حدّثنا الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا محمد بن يحيى بن سهل بن أبى حَثْمة ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : غزَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ستًّا وعشرين غزوة . ثم ذكر نحو حديث ابن حُميد ، عن سَلَمة .

قال محمد بن عمر : مغازى رسول الله معروفة مجتمَع عليها ، ليس فيها اختلاف بين أحد فى عددها ؛ وهى سبع وعشرون غزوة ؛ وإنما اختلفوا بينهم فى تقديم مغزاة قبل مغزاة .

حدثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : حدّثنى محمد بن عمر ، قال : حدّثنا مُعاذ بن محمد الأنصارىّ ، عن محمد بن ثابت الأنصارىّ ، قال : سئِل ابن عُمر : كَمْ غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : سبعا وعشرين غزوة ، فقيل لابن عمر : كم غزوتَ معه ؟ قال : إحدى وعشرين غزوة ؛ أوّلها الخندق ، وفاتنى ستّ غزوات ، وقد كنت حريصاً ، قد عرضت

(١) من سيرة ابن هشام . (٢) ط : « الأخرى » ، وأثبت ما فى ابن هشام .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٣ ، ٣٥٤ .

على النبي صلى الله عليه وسلم؛ كلّ ذلك يردّني فلا يجيزني حتى أجازني في الخندق .

١٧٥٨/١ قال الواقديّ : قاتلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في إحدى عشرة ، ذكر من ذلك التسع التي ذكرتها عن ابن إسحاق ؛ وعدّ معها غزوة وادي القرى ، وأنه قاتل فيها فقُتِل غلامه مِدْعَم ،رُمِي بسهم. قال : وقاتل يوم الغابة ، فقتل من المشركين ، وقُتل مُحْرِزُ بن نضلة يومئذ .

* * *

[ذكر جملة السرايا والبعوث]

واختلف في عدد سراياه صلى الله عليه وسلم ،حدثنا محمد بن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : كانت سرايا رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم وبعوثه — فيما بين أن قدِم المدينة وبين أن قبضه الله — خمسًا وثلاثين بعثًا وسريّة[1]: سرّية عُبَيدة بن الحارث إلى أحياء من ثنيّة المَرَة ، وهو ماء بالحجاز ، ثم غزوة حمزة بن عبد المطّلب إلى ساحل البحر من ناحية العِيص — وبعضُ الناس يقدّم غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة — وغزوة سعد بن أبي وقّاص إلى الخَرّار من أرض الحجاز ،وغزوة عبد الله بن جحش إلى نخلة ، وغزوة زيد ابن حارثة القَرْدَةَ ؛ ماء من مياه نجد ، وغزوة مَرْثَد بن أبي مَرْثَد الغَنَوِيّ الرّجيع ، وغزوة المنذر بن عمرو بئر مَعُونة، وغزوة أبي عبيدة بن الجرّاح إلى ذي القَصة من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخطاب تُرَبَةَ من أرض بني عامر ، وغزوة عليّ بن أبي طالب اليمن ، وغزوة غالب بن عبد الله الكلبيّ — كلب ليث — الكَديدَ ، وأصاب بلْمُلوّح ، وغزوة عليّ بن أبي طالب إلى بني
١٧٥٩/١ عبد الله بن سعد من أهل فَدَك ، وغزوة ابن أبي العَوْجاء السُّلَميّ أرض

(١) ابن هشام من رواية البكائي عن ابن إسحاق : « ثمانيا وثلاثين . من بين بعث وسرية » ، وجاء في الأصل بعد ما ذكر : « بعث : غزوة » ، ويبدو أن هذا تفسير أدرج في النص .

بنى سُلَيم ؛ أصيب بها هو وأصحابه جميعًا ، وغزوة عُكّاشة بن محْصن الغَمْرَة ، وغزوة أبى سلَمة بن عبد الأسد قَطَنًا ؛ ماء من مياه بنى أسد من ناحية نجد قُتل فيها مسعود بن عروة ، وغزوة محمد بن مسلمة ؛ أخى بنى الحارث إلى القُرَطاء من هوازن ، وغزوة بشير بن سعد إلى بنى مُرَّة بفَدَك ، وغزوة بشير بن سعد أيضًا إلى يُمْن وجِنَاب ؛ بلد من أرض خيبر — وقيل يُمْن وجَبَار ؛ أرض من أرض خيبر ، وغزوة زيد بن حارثة الجَمُوم ؛ من أرض بنى سليم ، وغزوة زيد بن حارثة أيضًا جُذَام من أرض حِسْمَى — وقد مضى ذكر خبرها قبل — وغزوة زيد بن حارثة أيضاً وادى القُرى ، لبَنى فَزارة .

وغزوة عبد الله بن رواحة خيْبَرَ مَرّتين : إحداهما التى أصاب الله فيها يُسَيْر بن رزام — وكان من حديث يسَير بن رزام اليهودىّ أنه كان بخيبر يجمع غَطَفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليه رسول الله عبد الله بن رواحة فى نفر من أصحابه ؛ منهم عبد الله بن أنَيْس حليف بنى سَلِمة ، فلمّا قدِموا عليه كلّموه وواعدوه وقرّبوا له ، وقالوا له : إنك إن قدمت على رسول الله استعملك وأكرمك ؛ فلم يزالوا به حتى خرج معهم فى نفر من يهود ؛ فحمله ١/١٧٦٠ عبد الله بن أنَيْس على بعيره وردفه حتى إذا كان بالقَرْقرة من خيبر على ستّة أميال ندِم يُسير بن رِزام على سيره إلى رسول الله ، فَفَطَن له عبد الله ابن أنَيس وهو يريد السَّيف ؛ فاقتحم به ؛ ثم ضربه بالسيف فقطع رجْله وضربه يُسَيْر بمِخرَش (١) فى يده من شَوْحط (٢) ، فأمَّه (٣) فى رأسه ، وقتل الله يُسيرا ؛ ومال كلّ رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صاحبه من يهود فقتله إلا رجلاً واحداً أفلت على راحلته ؛ فلمّا قدم عبد الله ابن أنَيس على رسول الله صلّى الله عليه وسلم تفل على شجّتِه فلم تَقِح ولم تؤذِه .

وغزوة عبد الله بن عَتِيك إلى خيبر ؛ فأصاب بها أبا رافع ؛

(١) المخرش والمخراش : المحجن ؛ وهو عصا معقوفة يجذب بها البعير ونحوه .

(٢) الشوحط : شجر النبع .

(٣) أمه : جرحه فى أم رأسه .

وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعث محمد بن مسلمة وأصحابه — فيما بين بدر وأحد — إلى كعب بن الأشرف فقتلوه، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أنَيس إلى خالد بن سُفيان بن نُبَيْح الهُذلىّ — وهو بنخلة أو بعُرَنة — يجمع لرسول الله ليغزوَه، فقتله(١).

* * *

حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عبد الله بن أنَيْس، قال: دعانى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إنه بلغنى أنّ خالد بن سفيان بن نُبَيْح الهذلىّ يجمع لى الناس ليغزوَنى — وهو بنخلة أو بعُرَنة — فأتِه فاقتلْه، قال: قلت: يا رسولَ الله؛ انعتْه لى حتى أعرفَه، قال: إذا رأيتَه أذكرَك الشيطانَ! إنه آية مابينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قُشَعْريرة. قال: فخرجت ١٧٦١/١
متوشّحًا سيفى حتى دفعت إليه وهو فى ظُعُن يرتاد لهنّ منزلاً حيث كان وقت العصر؛ فلمّا رأيته وجدت ما وصف لى رسول الله صلّى الله عليه وسلم من القُشعريرة، فأقبلت نحوه، وخشيت أن تكون بينى وبينه مجاولة تشغلنى عن الصّلاة، فصلّيت وأنا أمشى نحوه، أومئ برأسى إيماء؛ فلمّا انتهيتُ إليه قال: مَن الرجل؟ قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل؛ فجاءك لذلك، قال: أجلْ، أنا فى ذلك؛ فمشيت معه شيئًا حتى إذا أمكننى حملت عليه بالسيف حتى قتلته؛ ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبّات عليه. فلمّا قدِمت على رسول الله وسلّمت عليه ورآنى، قال: أفلح الوجه! قال: قلت: قد قتلته. قال: صدقت! ثم قام رسولُ الله فدخل بيته، فأعطانى عصا، فقال: أمْسِكْ هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنَيس. قال: فخرجت بها على الناس، فقالوا: ما هذه العصا؟ قلت: أعطانيها رسولُ الله، وأمرنى أن أمسكها عندى، قالوا: أفلا ترجع إلى رسول الله فتسأله لِمَ ذلك؟ فرجعتُ إلى رسولِ الله، فقلت: يا رسولَ الله، لِمَ أعطيتَنى هذه العصا؟ قال: آية ما بينى وبينك يوم القيامة؛ إنّ أقلّ الناس المتخصّرون(٢)

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٧ . (٢) تخصر الرجل؛ إذا أمسك المخصرة، وهى ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه، من عصا أو مقرعة أو عنزة أو عكازة.

يومئذ ؛ فقرنها عبد الله بسيفه ، فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فضُمّت معه فى كفنه ، ثم دفنا جميعًا .

* * *

ثم رجع الحديث إلى حديث عبد الله بن أبى بكر . قال : وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة إلى مُؤْتة من أرض الشام ، ١٧٦٢/١
وغزوة كعب بن عمير الغِفارىّ بذات أطلاح من أرض الشأم ، فأصيب بها هو وأصحابه ، وغزوة عيينة بن حصن بنى العنبر من بنى تميم ؛ وكان من حديثهم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم بعثه إليهم ؛ فأغار عليهم ؛ فأصاب منهم ناسًا ، وسبىَ منهم سبيًا .

* * *

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّ عائشة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسولَ الله ؛ إنّ علىَّ رقَبَةً من بنى إسماعيل ، قال : هذا سبىُ بنى العنبر يقدُم الآن فنُعْطيك إنسانًا فتُعْتقينه . قال ابن إسحاق : فلما قدِم سبيهُم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب فيهم وفدٌ من بنى تميم ، حتى قدِموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلم ؛ منهم ربيعة بن رُفيع ، وسَبْرة بن عمرو ، والقعقاع بن معبد ، وورْدان بن محرز ، وقيس بن عاصم ، ومالك بن عمرو ، والأقرع بن حابس ، وحنظلة بن دارم ، وفراس بن حابس . وكان ممَّن سُبِىَ من نسائهم يومئذ أسماء بنت مالك ، وكأس بنت أرىّ ، ونَجْوَة بنت نهد وجُمَيعة بنت قيس ، وعمرة بنت مَطر .

* * *

ثم رجع إلى حديث عبد الله بن أبى بكر . قال : وغزوة غالب بن عبد الله الكلبىّ — كلبِ ليث — أرض بنى مُرَّة ؛ فأصاب بها مرداس بنَ ١٧٦٣/١
نَهِيك ؛ حليفًا لهم من الحُرَقة من جُهينة ، قتله أسامة بن زيد ورجل من الأنصار ، وهو الذى قال فيه النبىّ صلى الله عليه وسلم لأسامة : مَنْ لك بلا إله إلا الله !

وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل، وغزوة ابن أبي حَدْرَد وأصحابه إلى بطن إضَم ، وغزوة ابن أبي حَدْرد الأسلميّ إلى الغابة ، وغزوة عبد الرحمن ابن عوف .

وبعث سَرِيّةً إلى سِيف البحر ، وعليهم أبو عبيدة بن الجراح ؛ وهي غزوة الخَبَط .

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : قال محمد ابن عمر : كانت سرايا رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ثمانيًا وأربعين سرّية .

* * *

قال الواقديّ : في هذه السنة قدِم جرير بن عبد الله البَجَليّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلِمًا في رمضان، فبعثه رسولُ الله إلى ذي الخَلَصَة فهدمها .

قال : وفيها قدم وَبرُ بن يُحَنّس على الأبناء باليمن، يدعوهم إلى الإسلام فنزل على بنات النعمان بن بُزُرْج فأسلمْن ، وبعث إلى فيروز الديلميّ فأسلم ، وإلى مركبود وعطاء ابنه ، ووهب بن منبِّه ، وكان أوّل مَنْ جمع القرآن بصنعاء ابنه عطاء بن مركبود ووهب بن منبِّه .

قال : وفيها أسلم باذان ، وبعث إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم بإسلامه .

* * *

قال أبو جعفر : وقد خالف في ذلك عبد الله بن أبي بكر مَن قال : كانت مغازي رسول الله صلّى الله عليه وسلم ستًّا وعشرين غزوة ، مَنْ أنا ذاكره :

حدّثنا أبو كُرَيب محمد بن العَلاء ، قال : حدّثنا يحيى بن آدم ، قال : حدّثنا زُهير ؛ عن أبي إسحاق ، عن زيد بن أرقم ، قال : سمعتُ منه ١٧٦٤/١
أنّ رسولَ الله غزا تسع عشرة غزوة ، وحجّ بعد ما هاجر حجةً ، لم يحجّ غير حجّة الوداع . وذكر ابن إسحاق حجّة بمكة .

قال أبو إسحاق : فسألتُ زيدَ بن أرقم : كم غزوتَ مع رسول الله ؟ قال : سبع عشرة .

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شُعبة، عن أبي إسحاق ؛ أن عبد الله بن يزيد الأنصاريّ خرج يستسقي بالناس ، قال :

فصلّى ركعتين ثم استسقى . قال : فلقيتُ يومئذ زيدَ بن أرقم ، قال : ليس بيني وبينه غيرُ رجل ــ أو بيني وبينه رجل ــ قال : فقلت : كم غزَا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم ؟ قال : تسع عشرة غزوة ، فقلت : كم غزوتَ معه ؟ قال : سبع عشرة غزوة ، فقلت : فما أوّلُ غزوة غزا ؟ قال : ذات العُسير ــ أو العُشير .

وزعم الواقديّ أن هذا عندهم خطأ ؛ حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : أخبرَنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق الهمْدانيّ ، قال : قلت لزيد بن أرقم : كم غزوتَ مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : سبع عشرة غزوة ، قلت : كم غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : تسع عشرة غزوة . قال الحارث : قال ابنُ سعد : قال الواقديّ : فحدّثت بهذا الحديث عبدَ الله بن جعفر ، فقال : هذا إسناد أهلِ العراق ؛ يقولون هكذا ؛ وأوّل غزوة غزاها زيد بن الأرقم المُرَيْسيع ؛ وهو غلام صغير، وشهد مُؤتة رديف عبد الله بن رَوَاحة ؛ وما غزا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم إلا ثلاث غزوات أو أربعا . ١٧٦٥/١

وروِي عن مكحول في ذلك ما حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا ابنُ عمر ، قال : حدّثني سُوَيد بن عبد العزيز ، عن النعمان بن المنذر ، عن مكحول ، قال : غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ثمانيَ عشرة غزوة ؛ قاتل من ذلك في ثمانِ غزوات أوّلهنّ بدر وأحُد والأحزاب وقريظة .

قال الواقديّ : فهذان الحديثان : حديث زيد بن الأرقم ، وحديث مكحول جميعًا غلَط .

* * *

ذكر الخبر عن حجّ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم

حدّثني عبدُ الله بن أبي[1] زياد، قال: حدّثنا زيدُ بن الحارث ، عن سفيان الثوريّ ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر ، أنّ النبيّ صلى الله

(١) ساقطة من ط ، وما أثبته من التصويبات .

عليه وسلم حجّ ثلاث حِجَج : حِجّتين قبل أن يهاجر ، وحِجّة بعد ما هاجر ، معها عُمرة .

حدّثنا عبد الحميد بن بيان[1] ، قال : أخبرنا إسحاق بن يوسف ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : اعتمرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عُمْرتين قبل أن يحجّ ، فبلغ ذلك عائشة ، فقالت : اعتمر رسولُ الله أربعَ عُمَر ؛ قد علم ذلك عبد الله بن عمر ، منهنّ عُمرةٌ مع حجّته .

حدّثنا محمد بن علي بن الحسن بن شَقِيق ، قال : سمعتُ أبي ، قال : حدّثنا أبو حمزة ، عن مُطَرِّف ، عن أبي إسحاق ، عن مجاهد ، قال : سمعت ابنَ عمر يقول : اعتمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عُمَر . فبلغ عائشة ، فقالت : لقد علم ابن عمر أنه اعتمر أربع عُمَر ، منها عمرته التي قرن معها الحجّة .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : دخلتُ أنا وعروة بن الزُّبير المسجد ؛ فإذا ابن عمر جالسٌ عند حجرة عائشة ، فقلنا : كم اعتمر النبيّ صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أربعًا ؛ إحداهنّ في رَجب ، فكرهنا أن نكذّبه ونردّ عليه ، فسمعنا استنان عائشة في الحُجْرة ، فقال عروة بن الزبير : يا أمَّهْ ، يا أمَّ المؤمنين ، أما تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن ! فقالت : وما يقول ؟ قال : يقول : إنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عُمَر : إحداهنّ في رجب ، فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ! ما اعتمر النبيّ عمرةً إلاّ وهو شاهد ، وما اعتمر في رجب . ١٧٦٦/١

* * *

ذكر الخبر عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومَنْ منهنّ عاش بعده ومن منهنّ فارقه في حياته ، والسبب الذي فارقه من أجله ، ومن منهنّ مات قبله .

فحدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : حدّثنا هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تزوّج خمس

(١) ط : « بنان » ، وأثبت ما في التصويبات .

عشرة امرأة ؛ دخل بثلاث عشرة ، وجمع بين إحدى عشرة ، وتوفّيَ عن تسع .

تزوّج فى الجاهليّة ؛ وهو ابن بضع وعشرين سنة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى ؛ وهى أوّل مَنْ تزوّج ، وكانت قبله عند عَتِيق بن عابد[1] ابن عبدالله بن عمر بن مخزوم ؛ وأمّها فاطمة بنت زائدة بن الأصمّ[2] بن رَواحة بن حَجَر بن مَعِيص بن لؤىّ . فولدت لعتيق جارية ، ثم توفّىَ عنها وخلّف عليها أبو هالة بن زُرَارة بن نَبَّاش بن زُرارة بن حبيب بن سلامة بن غُذَىّ بن جُرْوَة بن أسيّد بن عمرو بن تميم ؛ وهو فى بنى عبد الدار بن قصىّ . ١/١٧٦٧
فولدت لأبى هالة هند بن أبى هالة ؛ ثمّ توفّى عنها فخلّف عليها رسول الله ، وعندها ابنُ أبى هالة هند ، فولدت لرسول الله ثمانية : القاسم ، والطيّب ، والطاهر ، وعبد الله ، وزينب ، ورقيّة ، وأمّ كلثوم ، وفاطمة .

قال أبو جعفر : ولم يتزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى حياتها على خديجة حتى مضتْ لسبيلها ؛ فلمّا توفّيت خديجة تزوّج رسول الله بعدها ؛ فاختلف فيمن بدأ بنكاحها منهنّ بعد خديجة ، فقال بعضهم : كانت التى بدأ بنكاحها بعد خديجة قبل غيرها عائشة بنت أبى بكر الصديق . وقال بعضهم : بل كانت سَوْدة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر . فأما عائشة فكانت يوم تزوّجها صغيرة لا تصلح للجِماع ؛ وأما سَوْدة فإنها كانت امرأة ثَيِّبًا ، قد كان لها قبل النبىّ صلى الله عليه وسلم زوْج ؛ وكان زوجُها قبل النبىّ السَّكْران بن عمرو بن عبد شمس ، وكان السَّكْران من مهاجرة الحبشة فتنصّر ومات بها ؛ فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة .

قال أبو جعفر : ولا خلاف بين جميع أهل العلم بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بَنَى بسوْدة قبل عائشة .

* * *

* ذكر السبب الذى كان فى خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة وسودة والرواية الواردة بأولاهما كان عقد عليها رسول الله عقدة النكاح :

(١) فى الاستيعاب : « عائذ » . (٢) النويرى : « واسم الأصم جندب بن هرم بن رواحة » .

حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموىّ ، قال: حدّثنى أبى ، قال :
١/١٧٦٨ حدثنا محمد بن عمرو ، قال: حدّثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن عائشة ، قالت: لمّا توفّيت خديجة ، قالت خولة بنت حكيم بن أميّة بن الأوقص ، امرأة عثمان بن مَظْعون وذلك بمكّة : أىْ رسولَ الله ، ألا تزوّج ؟ فقال : ومَنْ ؟ فقالت: إن شئت بكراً وإن شئتَ ثيّبًا ، قال: فمَن البِكْر ؟ قالت: ابنة أحبّ خلق الله إليك عائشة بنت أبى بكر ، قال : ومَن الثيّب ؟ قالت : سودة بنت زمعة بن قيس ، قد آمنت بك واتبعتك على ما أنت عليه . قال : فاذهبي فاذكريهما علىّ . فجاءت فدخلت بيت أبى بكر ، فوجدتْ أمّ رُومان ، أمّ عائشة ، فقالت : أى أمّ رومان ؟ ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ! قالت : وماذاك ؟ قالت : أرسلنى رسول الله أخطب عليه عائشة ، قالت : وددتُ ! انتظرى أبا بكر ، فإنه آت ، فجاء أبو بكر ، فقالت : يا أبا بكر ، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ! أرسلنى رسولُ الله أخطب عليه عائشة ، قال : وهل تصلح له ، إنما هى ابنة أخيه ! فرجعتْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت له ذلك ، فقال : ارجعى إليه ، فقولى له : أنت أخى فى الإسلام ، وأنا أخوك ، وابنتك تصلح لى ؟ فأتت أبا بكر فذكرت ذلك له ، فقال : انتظرينى حتى أرجع ، فقالت أم رُومان : إن المطعم بن عدىّ كان ذكرها على ابنه ، ولا والله ما وعد شيئًا قطّ فأخلف . فدخل أبو بكر على مطعِم ، وعنده امرأته أمّ ابنه الذى كان ذكرها عليه ، فقالت العجوز :
١/١٧٦٩ يابن أبى قُحافة ، لعلنا إن زوّجنا ابننا ابنتك أن تصبئَه[1] وتدخله فى دينك الذى أنت عليه ! فأقبل على زوجها المطعِم ، فقال: ما تقول هذه ؟ فقال : إنها تقول ذاك . قال : فخرج أبو بكر ، وقد أذهب الله العِدَة التى كانت فى نفسه من عِدَته التى وعدها إياه ، وقال لخولة : ادعِى لى رسول الله ، فدعتْه فجاء فأنكحه ؛ وهى يومئذ ابنة ستّ سنين . قالت : ثم خرجتُ فدخلت على سَوْدة فقلت : أى سَوْدة ، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ! قالت : وماذاك ؟ قالت : أرسلنى رسولُ الله يخْطبك عليه ، قالت : فقالت :

(١) تصبئه : ترده عن دينه .

وددت ! ادخلى على أبى فاذكرى له ذلك ، قالت : وهو شيخ كبير قد تخلّف عن الحجّ ، فدخلت عليه ، فحيّيته بتحيّة أهل الجاهليّة ، ثم قلت : إن محمّد بن عبدالله بن عبد المطلب أرسلنى أخطب عليه سَوْدة ، قال : كفءٌ كريمٌ ، فماذا تقول صاحبته ؟ قالت : تحبّ ذلك ، قال : ادعيها إلىّ ، فدعيت له ، فقال : أىْ سودة ، زعمتْ هذه أنّ محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب أرسل يخطبك وهو كفءٌ كريم ، أفتحبّين أن أزوّجكِه ؟ قالت : نعم ، قال : فادعيه لى ، فدعتْه ، فجاء فزوّجه ، فجاء أخوها من الحجّ ، عبد بن زمعة ، فجعل يحثى فى رأسه التراب ، فقال بعد أن أسلم : إنّ لسفيهٌ يوم أحثى فى رأسى التراب أن تزوّج رسول الله سودة بنت زمعة ! قال : قالت عائشة : فقدمنا المدينة ، فنزل أبو بكر السُّنْح فى بنى الحارث بن الخزرج ، قالت : فجاء رسولُ الله فدخل بيتنا ، فاجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء ، فجاءتنى أمّى وأنا فى أرجوحة بيْن عَذْقين يرجّح بى ، فأنزلتنى ثم وفّتْ جُميمة كانت لى ، ١/١٧٧٠ ومسحت وجهى بشىء من ماء ، ثم أقبلت تقودنى ، حتى إذا كنتُ عند الباب وقفت بى حتى ذهب بعض نفَسى ، ثم أدخلت ورسول الله جالسٌ على سرير فى بيتنا . قالت : فأجلستنى فى حجره ، فقالت : هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهنّ وبارك لهنّ فيك! ووثب القوم والنساء ، فخرجوا ، فبنى بى رسول الله فى بيتى ، ما نحرت جَزورٌ ولا ذُبحت علىّ شاة ، وأنا يومئذ ابنة تسع سنين ، حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجَفْنة كان يرسل بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدّثنا علىّ بن نَصْر ، قال : حدّثنا عبد الصمد بن عبد الوارث — وحدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : حدّثنى أبى — قال : حدّثنا أبان العطار ، قال : حدّثنا هِشام بن عروة ، عن عُروة ، أنه كتب إلى عبد الملك ابن مروان : إنك كتبت إلىّ فى خديجة بنت خويلد تسألنى : متى توفّيت ؟ وإنها توفيت قبل مُخرَج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة بثلاث سنين أو قريبًا من ذلك ، ونكح عائشة متوفّى خديجة ، كان رسول الله رأى عائشة مرّتين ، يقال له : هذه امرأتك ، وعائشة يومئذ ابنة ستّ سنين .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى بعائشة بعد ما قدم المدينة وهى يوم بنى بها ابنة تسع سنين .

* * *

رجع الخبر إلى خبر هشام بن محمد . ثم تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبى بكر — واسمه عتيق بن أبى قُحافة ، وهو عثمان — ويقال عبدالرحمن بن عثمان — بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مرّة ، تزوّجها قبل الهجرة بثلاث سنين ، وهى ابنة سبع سنين ؛ ١٧٧١/١
وجمع إليها بعد أن هاجر إلى المدينة وهى ابنة تسع سنين فى شوّال ؛ فتوفّىَ عنها وهى ابنة ثمان عشرة ، ولم يتزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم بكْراً غيرها ، ثم تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب ابن نُفيل بن عبد العزّى بن رِياح بن عبد الله بن قُرْط بن كعب — وكانت قبله عند خُنَيْس بن حُذافة بن قيس بن عدىّ ابن سعد بن سهم . وكانَ بدرياً ، شهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم — فلم تلد له شيئاً ، ولم يشهد من بنى سهم بدراً غيره .

ثم تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أمّ سلَمة ، واسمها هند بنت أبى أميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وكانت قبله عند أبى سلَمة ابن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وشهد بدراً مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فارسَ القوم ، فأصابته جراحة يوم أحُد فمات منها ؛ وكان ابن عمة رسول الله و رضيعه ، وأمّه بَرّة بنت عبد المطلب ولدت له عمر ، وسلمة ، وزينب ، ودُرّة ؛ فلمّا مات كبّر رسول الله صلى الله عليه وسلَم على أبى سلمة تسع تكبيرات ، فلمّا قيل : يا رسول الله ، أسهوتَ أم نسيت ؟ قال : لم أسْهُ ولم أنْسَ ؛ ولو كبّرت على أبى سلمة ألفاً كان أهلاً لذلك ؛ ودعا النبىّ صلى الله عليه وسلم لأبى سلمة بخَلَفه فى أهله . فتزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الأحزاب سنة ثلاث ، وزوّج سلمة بن أبى سلَمة ابنةَ حمزة بن عبد المطلب .

ثم تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عام المرَيْسيع جُوَيرية بنت الحارث ١/١٧٧٢
ابن أبي ضرار بن حبيب بن مالك بن جَذِيمة — وهو المصطلق بن سعد بن عمرو — سنة خمس ، وكانت قبله عند مالك بن صفوان ذى الشَّفر بن أبى سَرْح بن مالك بن المصطلق ؛ لم تلد له شيئًا ؛ فكانت صفيّة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم المرَيسيع ، فأعتقها وتزوّجها ، وسألتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عتق ما فى يده من قومها ، فأعتقهم لها .

ثمّ تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أمّ حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ؛ وكانت عند عبيد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صَبِرَةَ بن مرّة بن كَبِير بن غَنْم بن دُودان بن أسد — وكانت من مُهاجرات الحبشة هى وزوجها ، فتنصّر زوجُها وحاولها أن تتابعه فأبت وصبرت على دينها ، ومات زوجها على النصرانيّة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشىّ فيها ، فقال النجاشىّ لأصحابه : مَنْ أولاكم بها ؟ قالوا : خالد بن سعيد بن العاص ، قال : فزوِّجْها من نبيّكم ، ففعل وأمهرها أربعمائة دينار . ويقال : بل خَطَبها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن عفان ، فلمّا زوّجه إياها بعث إلى النجاشىّ فيها ، فساق عنه النجاشىّ ، وبعث بها إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

ثم تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زينبَ بنت جحش بن رئاب ابن يعمر بن صبرة ؛ وكانت قبله عند زيد بن حارثة بن شراحيل مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم تلد له شيئًا ، وفيها أنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذْ ١/١٧٧٣
تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ... ﴾ (١) إلى آخر الآية ، فزوّجها الله عزّ وجلّ إياه ، وبعث فى ذلك جبريل ؛ وكانت تَفْخَر على نساء النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وتقول : أنا أكرمكنّ وليًّا ، وأكرمكنّ سَفيراً .

ثم تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم صَفِيَّة بنت حُيَىّ بن أخطب بن سَعْيَة بن ثعلبة بن عُبيد بن كعب بن الخزرج بن أبى حبيب بن النّضير ؛

(١) سورة الأحزاب ٣٧

وكانت قبله تحت سلاّم بن مِشْكَم بن الحكَم بن حارثة بن الخزرج بن كعب بن الخزرج ؛ وتوفّى عنها وخلف عليها كنانة بن الربيع بن أبى الحُقيق ، فقتله محمد بن مسلمة بأمر النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ضرب عنقه صبراً ، فلما تصفّح النبىّ صلى الله عليه وسلم السَّبْىَ يوم خَيْبَر ، ألقى رداءه على صفيّة ، فكانت صَفِيَّةُ يوم خيبر ؛ ثم عرض عليها الإسلام فأسلمت ، فأعتقها ؛ وذلك سنة ستّ .

ثم تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث بن حَزْن ابن بُجَير بن الهُزَم بن رُوَيْبة بن عبد الله بن هلال ؛ وكانت قبله عند عمير ابن عمرو ، من بنى عُقْدة بن غِيَرَة بن عوف بن قَسِىّ — وهو ثقيف — لم تلد له شيئًا ، وهى أخت أمّ الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب ، فتزوّجها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بسَرِف فى عُمْرة القضاء ؛ زوّجها إياه العباس ابن عبد المطلب ؛ فتزوّجَها رسولُ الله . ١٧٧٤/١

وكلُّ هؤلاء اللواتى ذكرنا أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تزوّجهن إلى هذا الموضع ، توفّى رسولُ الله وهنّ أحياء ، غير خديجة بنت خويلد .

ثم تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم امرأةً من بنى كلاب بن ربيعة ؛ يقال لها النشاة بنت رفاعة ، وكانوا حلفاءَ لبنى رفاعة من قُريظة . وقد اختلف فيها ، وكان بعضُهم يسمّى هذه سَنَا وينسبها ، فيقول : سنا بنت أسماء بن الصَّلْت السُّلَمية . وقال بعضهم : هى سبا بنت أسماء بن الصَّلْت من بنى حرام من بنى سُليم . وقالوا : توفّيت قبل أن يدخل بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ونسبها بعضهم فقال : هى سنا بنت الصَّلْت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن حرام بن سَمّال بن عَوْف السُّلَمِىّ .

ثمّ تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الشَّنْباء بنت عمرو الغِفاريّة . وكانوا أيضًا حلفاءَ لبنى قُرَيظة ، وبعضُهم يزعم أنها قُرَظيّة ، وقد جهل نسبها لهلاك بنى قُرَيظة ، وقيل أيضًا إنها كنانيّة ، فعَرَكَت[1] حين دخلت

(١) عركت ، أى حاضت .

عليه ؛ ومات إبراهيم قبل أن تطهُر ، فقالت : لو كان نبيًّا ما مات أحبُّ النّاس إليه ؛ فسرّحها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

ثمّ تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم غَزِيّة بنت جابر من بنى أبى بكر بن كلاب ، بلغ رسول الله عنها جمالٌ وبسطة ، فبعث أبا أسَيْد الأنصاريّ ، ثم الساعديّ ، فخطبها عليه ، فلما قدِمتْ على النبيّ صلى الله عليه وسلم — وكانت حديثة عهد بالكفر — فقالت : إنّى لم أستأمرْ فى نفسى ، إنى أعوذ بالله منك ! فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : امتنع عائذُ الله . وردّها إلى أهلها ؛ ويقال : إنها من كِنْدة . ١/١٧٧٥

ثم تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أسماء بنت النعمان بن الأسود ابن شَرَاحيل بن الجَوْن بن حُجْر بن معاوية الكندىّ ، فلما دخل بها وجد بها بياضًا فمتّعها وجهّزها وردّها إلى أهلها ؛ ويقال : بل كان النعمان بعثَ بها إلى رسولِ الله فسرّحتْه ، فلما دخلت عليه استعاذت منه أيضًا ، فبعث إلى أبيها ، فقال له : أليست ابنتك ؟ قال : بلى ، قال لها : ألست ابنته؟ قالت : بلى ، قال النعمان : عليكها يا رسولَ الله ، فإنها وإنها ... وأطْنَبَ فى الثناء فقال : إنها لم تِيجَعْ قطّ ، ففعل بها ما فعل بالعامريّة ، فلا يُدْرَى : ألقولها أم لقول أبيها : « إنها لم تِيجعْ قطّ » .

وأفاء الله عزّ وجلّ على رسوله ريحانة بنت زيد ، من بنى قُرَيظة .

وأهدىَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم مارية القبطية ، أهداها له المُقَوقس صاحبُ الإسكندرية ، فولدَتْ له إبراهيم بن رسول الله .

فهؤلاء أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهنّ ستّ قرَشيّات .

قال أبو جعفر : وممن لم يذكر هشام فى خبره هذا ممّن روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تزوّجه من النساء : زَيْنَب بنت خزيمة — وهى التى يقال لها أمّ المساكين — من بنى عامر بن صعصعة ، وهى زينب بنت خُزَيمة بن الحارث ابن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وكانت قبل رسول الله عند الطّفيل بن الحارث بن المطلب ، أخى عبيدة بن الحارث ، توفّيت عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

١٧٧٦/١ وقيل إنه لمْ يَمُتْ عند رسول الله فى حياته من أزواجه غيرها وغير خديجة وشَرَاف بنت خليفة، أخت دِحْية بن خليفة الكلبيّ، والعالية بنت ظَبيان .

حدّثنى ابن عبد الله بن عبد الحكَم ، قال : حدّثنا شُعَيْب بن الليث، عن عُقَيل، عن ابن شهاب، قال: تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العالية ؛ امرأة من بنى أبى بكر بن كلاب فمتّعها [1]، ثمّ فارقها، وقُتَيْلة بنت قيس ابن معد يكرب أخت الأشعث بن قيس، فتوفّىَ عنها قبل أن يدخل بها ، فارتدّت عن الإسلام مع أخيها ، وفاطمة بنت شُرَيح .

وذُكِر عن ابن الكلبيّ أنّه قال: غَزِيّة بنت جابر، هى أمّ شريك ، تزوّجَها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد زوجٍ كان لها قبله؛ وكان لها منه ابنٌ يقال له شريك ، فكُنيت به ، فلمّا دخل بها النبيّ صلى الله عليه وسلم وجدها مَسنّةً ، فطلّقها ، وكانت قد أسلمت ؛ وكانت تدخل على نساء قريش فتدعوهنّ إلى الإسلام .

وقيل: إنه تزوّج خَوْلة بنت الهُذَيل بن هُبيرة بن قَبِيصة بن الحارث ؛ رُوِىَ ذلك عن الكلبيّ ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس .

وبهذا الإسناد أن ليلَى بنت الخَطِيم بن عدىّ بن عمرو بن سَواد بن ظَفَر ابن الحارث بن الخزرج، أقبلت إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو مُوَلّ ظهرَه الشمسَ ، فضربتْ على منكِبِه ، فقال : مَنْ هذه ؟ قالت : أنا ابنة مبارِى الريح ، أنا ليلى بنت الخَطِيم ، جئتك أعرِض عليك نفسى فتزوّجْنى ، قال : قد فعلت ، فرجعت إلى قومها ، فقالت : قد تزوّجنى رسول الله ، فقالوا : بئسما صنعت ! أنت امرأة غَيْرَى ؛ والنبيُّ صاحبُ نساء ، استقيليه ١٧٧٧/١ نفسك ، فرجعتْ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقالت : أقلنى ، قال : قد أقلتك .

وبغير هذا الإسناد أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم تزوّج عَمْرة بنت يزيد ، امرأة من بنى رُؤاس بن كلاب .

(١) متعة المرأة : ما وصلت به بعد الطلاق .

ذكر مَنْ خطب النبيّ صلى الله عليه وسلم من النساء ثم لم ينكحهنّ

منهنّ أم هانئ بنت أبي طالب، واسمها هِنْد، خطبها رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يتزوّجها ؛ لأنها ذكرتْ أنها ذات ولَد .

وخطب ضُبَاعة بنت عامر بن قُرْط بن سلَمة بن قُشَير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة إلى ابنها سلَمة بن هشام بن المغيرة ، فقال : حتى أستأمِرَها ، فأتاها فقال : إنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم خطبك ، فقالت : ما قلتَ له ؟ قال : قلت له حتى أستأمِرَها ! قالت : وفي النبيّ يُسْتأمَرُ ! ارْجِعْ فزَوّجْه ؛ فرجع فسكت عنه النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه أخبر أنها قد كبِرَتْ .

وخطب — فيما ذكر — صَفِيّة بنت بشامة أخت الأعْوَر العنبريّ ، وكان أصابها سِباء، فخيّرها، فقال : إن شئتِ أنا وإن شئت زوْجك ، قالت : بل زوجي ؛ فأرسلها .

وخطب أمّ حبيب بنت العبّاس بن عبد المطلب ، فوجد العباس أخاه من الرضاعة ، أرضعتهما ثُوَيبة .

وخطب جَمْرة بنت الحارث بن أبي حارثة ، فقال أبوها — فيما ذكر : بها شيء ، ولم يكن بها شيء ، فرجع فوجدها قد بَرِصَتْ .

* * *

ذكر سراري رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهي مارية بنت شمعون القِبْطِيّة ، وريحانة بنت زيد القُرَظيّة . وقيل: ١٧٧٨/١
هي من بني النَّضِير . وقد مضى ذكر أخبارهما قبل .

* * *

ذكر موالي رسول الله صلّى الله عليه وسلم

فمنهم زيد بن حارثة وابنه أسامة بن زيد، وقد ذكرنا خبره فيما مضى .
وثَوْبان — مولى رسول الله، فأعتقه، ولم يزل معه حتى قُبض، ثم نزل حِمْص

وله بها دار وقْف ؛ ذكر أنه توفى سنة أربع وخمسين فى خلافة معاوية . وقال بعضُهم : بل كان سكن الرَّمْلة ، ولا عقب له .

وشُقْران — وكان من الحبشة ، اسمه صالح بن عدىّ ؛ اختلف فى أمرِه . قد ذكر عن عبد الله بن داود الخُرَيْبىّ أنه قال : شُقْران ورِثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن أبيه . وقال بعضهم : شُقْران من الفرس ، ونسبه فقال : هو صالح بن حول ابن مهر بود .

نسب شُقْران مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول مَنْ نسبه إلى عجم الفرس . زعم أنه صالح بن حول بن مهربوذ بن آذَر جُشْنَس بن مهربان بن فيران بن رستَم بن فيروز بن ماى بن بهرام بن رشتهرى ، وزعم أنهم كانوا من دَهاقين الرّىّ .

وذكر عن مصعب الزبيرىّ أنه قال : كان شُقران لعبد الرحمن بن عوف . فوهبه للنبىّ صلى الله عليه وسلم وأنه أعقب ؛ وأن آخرهم مؤبا ، رجلٌ كان بالمدينة من ولده ، كان له بالبصرة بقيّة .

ورُوَيْفع — وهو أبو رافع مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اسمه أسلم . وقال بعضهم : اسمه إبراهيم . واختلفوا فى أمره ؛ فقال بعضُهم : كان للعباس بن عبد المطلب ، فوهبه لرسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فأعتقه رسول الله. وقال بعضهم : كان أبو رافع لأبى أحَيْحة سعيد بن العاص الأكبر فورثه بنوه ، فأعتق ثلاثةٌ منهم أنصباءهم منه ، وقُتِلوا يوم بدر جميعًا ؛ وشهد أبو رافع معهم بدراً ، ووهب خالد بن سعيد نصيبَه منه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه رسولُ الله . ١٧٧٩/١

وابنه البهىّ — اسمه رافع .

وأخو البهىّ عُبيدة الله بن أبى رافع — وكان يكتُب لعلىّ بن أبى طالب ، فلما وَلِىَ عمرو بن سعيد المدينةَ دعا البهىّ ، فقال : مَنْ مولاك ؟ فقال : رسولُ الله ، فضربه مائةَ سوط ، وقال : مولى مَنْ أنت! قال : مولى رسول الله ، فضربه مائة سوط ؛ فلم يزل يفعل به ذلك كلّما سأله : موَلى من أنت ؟ قال : مولى رسول الله ؛ حتى ضربه خمسمائة سوط ، ثم قال : مَوْلَى مَنْ أنت ؟ قال : مولاكم ، فلمّا قتل عبدُ الملك عمرَو بن سعيد قال البهىّ بن أبى رافع :

صَحَّتْ ولاَ شَلَّتْ وَضَرَّتْ عَدُوَّهَا يَمِينٌ هَرَاقَتْ مُهْجَةَ ابْنِ سَعِيدِ
هُوَ ابْنُ أَبِى العاصِ مِرَارًا وينتَمِى إلى أُسْرَةٍ طابتْ له وجُدُودِ

وسَلْمان الفارسىّ — وكنيته أبو عبد الله من أهل قرية أصبهان ؛ ويقال: إنه من قرية رامَهُرْمُز ؛ فأصابه أسرٌ من بعض كَلْب ، فبيع من بعض اليهود بناحية وادى القُرى ؛ فكاتب اليهودىّ ، فأعانه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى عَتَق . وقال بعضُ نسّابة الفُرس : سلْمان من كورسابور ، واسمه مابه بن بوذخشان بن ده ديره .

وسَفِينة — مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان لأمّ سلمة فأعتقته ؛ ١٧٨٠/١
واشترطت عليه خِدْمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حياتَه ، قيل : إنه أسوَد ؛ واختلِف فى اسمه ، فقال بعضهم : اسمه مِهران ، وقال بعضهم : اسمه رَبَاح ، وقال بعضهم : هو مِن عجم الفرس ؛ واسمه سبيه بن مارقيه ، وأنسة . يكنى أبا مُسَرَّح ، وقيل : أبا مَسْرُوح . كان من مولّدى المراة ؛ وكان يأذن على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس ، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلّها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : أصلُه من عَجَم الفرس ؛ كانت أمّه حبشيّةً وأبوه فارسيًّا . قال : واسم أبيه بالفارسية كردوى ابن أشرنيده بن أدوهر بن مهرادر بن كحنكان من بنى مهجوار بن يوماست .

وأبو كَبْشَة — واسمه سُلَيْم ، قيل إنه كان من مولّدى مكة ، وقيل : من مولّدى أرض دَوْس ، ابتاعه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه ، فشهد مع رسولِ الله بدْراً وأحُداً والمشاهدَ . تُوُفِّىَ فى أوّل يوم استُخلِف فيه عمر بن الخطاب ، سنة ثلاث عشرة من الهجرة .

وأبو مُوَيْهِبَة — قيل : إنه كان من مولّدى مُزَينة ، فاشتراه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه .

ورَبَاح الأسود — كان يأذن لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

وفَضَالة — مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم نَزَل — فيما ذكر — الشأم .

ومِدْعَم — مولَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم ، كان عبداً لرفاعة

١٧٨١/١ ابن زيد الجُذَامىّ، فوهبه لرسول الله، فقتل بوادى القُرى، يوم نزل بهم رسول الله، أتاه سهم غَرَب[1] فقتله.

وأبو ضُمَيرة — كان بعضُ نسّابة الفرس زعم أنه من عَجم الفرس، من وَلَدِ كشتاسب الملك، وأنّ اسمه واح بن شيرز بن بيرويس بن تاريشمه ابن ماهوش بن باكمهير . . وذكر بعضهم أنه كان ممن صار فى قَسْم رسول الله فى بعض وقائعه، فأعتقه، وكتب له كتابًا بالوصيّة؛ وهو جَدّ حسين بن عبد الله بن أبى ضُميرة، وأن ذلك الكتاب فى أيدى ولد ولده وأهل بيته، وأنّ حسين بن عبد الله هذا قدم على المهدىّ ومعه ذلك الكتاب، فأخذه المهدىّ فوضعه على عينيه، ووصله بثلثمائة دينار.

ويَسَار — وكان فيما ذكر نوبيًّا؛ كان فيما وقع فى سهم رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته فأعتقه؛ وهو الذى قتله العُرَنيّون الذين أغاروا على لِقاح رسول الله.

ومِهْران — حدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان له خَصِىٌّ يقال له مابور — كان المقوقس أهداه إليه مع الجاريتين اللتيْن يقال لإحداهما مارية، وهى التى تَسرّى بها والأخرى سِيرين وهى التى وَهَبها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت، لما كان من جناية صفوان بن المعطّل عليه، فولدتْ لحسان ابنَه عبد الرحمن بن حسّان. وكان المقوقس بعث بهذا الخصىّ مع الجاريتين اللتين أهداهما لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ليوصلهما إليه، ويحفظهما من الطريق حتى تَصلا إليه. وقيل:
١٧٨٢/١ إنه الذى قُذِفت مارية به، فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليًّا وأمره بقتله، فلمّا رأى عليًّا وما يريد به تكشّف حتى تبيّن لعلىّ أنه أجبُّ لا شىء معه مما يكون مع الرجال، فكفّ عنه علىٌّ. وخرج إليه من الطائف — وهو محاصِرٌ أهلَها — أعبدٌ لهم أربعة، فأعتقهم صلى الله عليه وسلم، منهم أبو بَكْرة.

* * *

(١) سهم غرب: لا يدرى راميه.

ذكر من كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ذُكِر أنّ عُثمان بن عفّان كان يكتب له أحيانًا ، وأحيانًا علىّ بن أبى طالب ، وخالد بن سعيد ، وأبان بن سعيد ، والعَلاء بن الحضرمىّ .

قيل : أوّل مَنْ كتب له أبىّ بن كعب ؛ وكان إذا غاب أبىّ كتب له زيد بن ثابت .

وكتب له عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح ، ثم ارتدّ عن الإسلام ، ثم راجع الإسلام يوم فتح مكة .

وكتب له معاوية بن أبى سفيان ، وحنظلة الأسَيِّدِىّ .

* * *

أسماء خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا محمد بن يحيى بن سهل بن أبى حَثْمة ، عن أبيه ، قال : أوّل فرس ملكه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فرسٌ ابتاعه بالمدينة من رجُلٍ من بنى فَزارة بعشر أواق ، وكان اسمه عند الأعرابىّ الضَّرِس ، فسمّاه رسول الله السَّكْب ؛ وكان أوّلَ ما غزا عليه أحُدٌ ، ليس مع المسلمين يومئذ فرس غيره ، وفرس لأبى بُرْدة بن نِيَار ، يقال له مُلاَوِح[1] .

حدّثنى الحارث ، قال : أخبرنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : سألت محمد بن يحيى بن سهل بن أبى حَثْمة عن المرتجِز ، فقال : هو الفرس الذى اشتراه من الأعرابىّ الذى شهد له فيه خُزَيْمَة بن ثابت ؛ وكان ١/١٧٨٣ الأعرابىّ من بنى مرّة[2] .

حدّثنى الحارث قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : أخبرنا أبىّ بن عباس بن سهل ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أفراس : لِزَاز ، والظَّرِب ، واللَّحِيف[3] ؛

(١) طبقات ابن سعد ١ : ٨٩ (٢) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٠

(٣) فى الفائق : «اللحيف» ، بالحاء ، ورجحها ابن الأثير

فأما لِزَاز فأهداه له المقوقس، وأما اللُّخَيْف فأهداه له ربيعة بن أبى البَرَاء؛ فأثابه عليه فرائضَ من نَعَم بنى كلاب ، وأمّا الظَّرِب فأهداه له فَرْوة ابن عمرو الجُذامىّ . وأهدى تميم الدارىّ لرسول الله فرسًا يقال له : الوَرْد ، فأعْطاه عمر ؛ فحمل عليه عمر فى سبيل الله ، فوجده يَنْباع [١] .

وقد زعم بعضُهم أنه كان له مع ما ذكرت من الخيل فرس يقال لـه اليَعْسُوب .

* * *

ذكر أسماء بغال رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال : كانت دُلْدُل بغلَة النبىّ صلى الله عليه وسلم أوّل بغلة رُئِيت فى الإسلام ، أهداها له المقوقِس وأهدى له معها حماراً يقال له عُفَيْر ؛ فكانت البغلة قد بقيَتْ حتى كان زمن معاوية [٢] .

حدّثنى الحارث، قال : حدّثنا ابنُ سعد، قال : أخبرنا محمد بن عمر، قال : أخبرنا معمَر، عن الزهرىّ ، قال : دُلْدُل أهداها له فَرْوة بن عمرو الجذامىّ.

١٧٨٤/١ حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : أخبرَنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة ، عن زامل بن عمرو ، قال : أهدى فَرْوة بن عمرو إلى النبىّ صلى لله عليه وسلم بغلة يقال لها فضّة ؛ فوهبها لأبى بكر ، وحمارَه يعْفُور ؛ فنفق منصرفَه من حجة الوداع [٣] .

* * *

ذكر أسماء إبله صلى الله عليه وسلم

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى موسى بن محمد بن إبراهيم التيمىّ ، عن أبيه ، قال : كانت

(١) ينباع : يسير بخطا فسيحة . طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٠

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩١ (٣) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩١

القَصْواء من نَعَم بنى الحريش ، ابتاعها أبو بكر وأخرى معها بثمانمائة درهم ، وأخذها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعمائة ؛ فكانت عنده حتى نفقت ؛ وهى التى هاجر عليها ؛ وكانت حين قدم رسولُ الله المدينة رَبَاعية ، وكان اسمها القصواء والجَدْعاء والعَضْباء[١] .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرَنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى ابن أبى ذئب ، عن يحيى بن يعلى ، عن ابن المسيّب ، قال : كان اسمها العَضْباء ؛ وكان فى طرف أذنها جَدْع[١] .

* * *

ذكر أسماء لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى معاوية بن عبد الله بن عبيد الله بن أبى رافع ، قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لِقاح ، وهى التى أغار عليها القوم بالغابة ، وهى عشرون لَقْحة[٢] ، وكانت التى يعيش بها أهلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يراح إليه كلّ ليلة بقَرْبَتَيْن عظيمتين من لبن فيها لِقَاحٌ غِزَارٌ[٣] : الحناء ، والسَّمْراء ، والعريس ، والسَّعْدِية ، والبَغوم ، واليَسيرة ، والرَّيَّا[٤] . ١/١٧٨٥

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى هارون بن محمد ، عن أبيه ، عن نَبْهان ؛ مولَى أمّ سلَمة ، قال : سمعتُ أمّ سلمَة ، تقول : كان عيشُنا مع رسول الله اللبن — أو قالت أكثر عيشنا — كانت لرسول الله لِقاح بالغابَة كان قد فرّقها على نسائه ، فكانت فيها لقحة تُدعى العريس ؛ وكنا منها فيما شئنا من اللبن ، وكانت لعائشة لَقحة تدعى السمراء غزيرة ، لم تكن كلقحتى ، فقرّب راعيهنّ اللقاحَ إلى مَرعَى بناحية الجوّانيّة ، فكانت تروح على أبياتنا فنؤتَى بهما فتحلبان ، فتوجَدُ لقحته أغزر منهما بمثل لبنهما أو أكثر[٥] .

(١) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٢ (٢) اللقحة واللقوح : الناقة الحلوب .
(٣) ابن سعد : « لقائح غزر » ، أى كثيرات اللبن
(٤) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، وفيها : «والدباء» . (٥) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٤

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا عبد السلام بن جُبَيْر ، عن أبيه ، قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقائح تكون بذى الجَدْر ، وتكون بالجمّاء ، فكان لبنُها يَؤوب إلينا ؛ لِقحة تدعى مهرة ، أرسل بها سعدُ بن عُبادة من نَعَم بنى عُقَيل وكانت غزيرة ؛ وكانت الرِّيّا والشقراء ابتاعهما بسوق النَّبَط من بنى عامر ، وكانت بردة ، والسمراء ، والعريس ، واليسيرة ، والحناء ، يُحْلَبْنَ ويُراح إليه بلبنهنّ كلّ ليلة ؛ وكان فيها غلام للنبيّ صلى الله عليه وسلم اسمه يَسَار ، فقتَلوه[1] .

* * *

ذكر أسماء منائح رسول الله صلى الله عليه وسلم

١/١٧٨٦ حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثني زكرياء بن يحيى ، عن إبراهيم بن عبد الله ، من ولد عُتْبة بن غَزْوَان ، قال : كانت منائحُ رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعًا : عجوَة ، وزَمْزم ، وسُقْيَا ، وبَرَكة ، ووَرَسة ، وأطلال ، وأطراف[1] .

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد ، قال : حدّثني أبو إسحاق ، عن عبّاد بن منصور ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس ، قال : كانت منائحُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم سبع أعْنُز منائح ، يرعاهنّ ابنُ أمّ أيْمَن[1] .

* * *

ذكر أسماء سيوف رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة ، عن مَرْوان بن

(١) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٥

أبي سعيد بن المعلّى ، قال : أصاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قَيْنُقاع ثلاثة أسياف : سيفًا قَلَعيًّا[١] ، وسيفًا يُدعى بَتّاراً ، وسيفًا يدعى الحَتْف ؛ وكان عنده بعد ذلك المِخْذَم ورَسُوب ، أصابهما من الفِلْس[٢] . وقيل إنه قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ومعه سيفان ، يقال لأحدهما : القضيب[٣] ، شهد به بدرًا ، وسيفه ذو الفَقَار غَنِمه يوم بدر ، ١٧٨٧/١
كان لمنبّه بن الحجّاج[٤] .

* * *

ذكر أسماء قِسِيّه ورماحه صلى الله عليه وسلم

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة ، عن مَرْوان بن أبي سعيد بن المعلّى ، قال : أصابَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قَيْنُقَاع ثلاثة أرماح وثلاث قِسِيّ : قَوْس الرّوحاء ، وقوْس شَوْحَط ؛ تدعى البيْضَاءَ ، وقوس صَفْرَاء تدعَى الصّفراء من نَبْع[٥] .

* * *

ذكر أسماء دروعه صلى الله عليه وسلم

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرَنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا أبو بَكْر بن عبد الله بن أبي سَبْرة ، عن مَرْوان بن أبي سعيد بن المعلّى ، قال : أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قَيْنُقاع درعيْن ؛ درع يقال لها السعْدية ، ودرع يقال لها فضّة[٦] .

حدّثني الحارث ، قال : حدّثني ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثني موسى بن عمر ، عن جعفر بن محمود ، عن محمد بن مسلمة ، قال : رأيتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ أحُد دِرْعيْن :

(١) سيف قلعي : منسوب إلى القلعة موضع بالبادية قرب حلوان ، تنسب إليه السيوف .
(٢) الفلس : صنم كان لطيء ، أرسل الرسول في هدمه سنة تسع ، وأصاب منة ثلاثة سيوف ، ياقوت ٦ : ٣٩٤ .
(٣) ط : « العضب » ، والتصويب من الفائق .
(٤) طبقات ابن سعد ١ : ٤٨٦
(٥) طبقات ابن سعد ١ : ٤٨٩
(٦) طبقات ابن سعد ١ : ٤٨٧

درعُه ذاتُ الفُضول ودرعُه فضّة ، ورأيت عليه يوم خَيْبر درعين : ذات الفضول والسّعدية[١] .

* * *

ذكر تُرسه صلى الله عليه وسلم

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا عتّاب بن زياد ، قال : أخبرَنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا عبدُالرّحمن بن يزيد ابن جابر ، قال : سمعتُ مكحولا يقول : كان لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم تُرْس فيه تمثال رأس كبش ، فكره رسولُ الله مكانَه ، فأصبح يومًا وقد أذهبه الله عزّ وجلّ . ١٧٨٨/١

* * *

ذكر أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنى محمد بن المثنّى ، قال : حدّثنا ابنُ أبى عدىّ ، عن عبدالرحمن — يعنى المسعودىّ — عن عمرو بن مرّة ، عن أبى عبيدة ، عن أبى موسى ، قال : سمّى لنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نفسَه أسماء ، منها ما حفظنا . قال : أنا محمد ، وأحمد ، والمقفّى ، والحاشر ، ونبىّ التوبة والمَلْحَمَةِ .

حدّثنى ابن المثنى ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : أخبرَنا إبراهيم — يعنى ابن سعد — عن الزهرىّ ، قال : أخبرنى محمد بن جبير بن مطعِم ، عن أبيه ، قال : قال لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن لى أسماء ؛ أنا محمد ، وأحمد ، والعاقب ، والماحى . قال الزهرىّ : العاقب : الذى ليس بعده أحد ، والماحِى : الذى يمحو الله به الكفر .

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا يزيد بن هارون ، قال ، أخبرنا سفيان ابن حسين ، قال : حدّثنى الزهرىّ ، عن محمد بن جُبير بن مطعِم ، عن أبيه ؛ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أنا محمد ، وأحمد ، والماحى ،

(١) طبقات ابن سعد ١ : ٤٨٧

والعاقب ، والحاشر ؛ الذى يحشر الناس على قدمَىّ . قال يزيد : فسألت سفيانَ : ما العاقب ؟ قال : آخر الأنبياء .

* * *

ذكر صفة النبىّ صلى الله عليه وسلم ١٧٨٩/١

حدّثنى ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنى ابن أبى عدىّ ، عن المسعودىّ ، عن عثمان بن عبد الله بن هُرمز ، قال : حدّثنى نافع بن جُبير ، عن علىّ ابن أبى طالب ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل ولا بالقصير ، ضَخْم الرأس واللحية ، شَثْن الكفّيْن (١) والقدمَيْن ، ضَخْم الكراديس (٢) ، مُشْرَباً وجهه الحُمْرَةَ ، طويل المَسْرُبَة (٣) إذا مشى تكفّأ تكَفُّؤا (٤) كأنما ينحطُّ من صَبَب (٥) ، لم أر قبله ولا بعده مثلَه ؛ صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا أبو أحمد الزبيرىّ ، قال : حدّثنا مجمّع بن يحيى ، قال : حدّثنا عبد الله بن عمران ، عن رجل من الأنصار — لم يسمّه — أنه سأل علىّ بن أبى طالب وهو فى مسجد الكوفة مُحْتَبٍ بحِمالة سيفه ، فقال : انعَتْ لى نعتَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له علىّ : كان رسولُ الله أبيضَ اللون مُشْرَبًا حُمْرَةً ، أدعج سَبْط الشعر ، دقيق المَسْرُبة ، سَهْل الخَدَّيْن ، كَثّ اللحية ، ذَا وفْرَة (٦) ؛ كأن عنقه إبريقُ فِضّة ؛ كان له شعر من لَبَّته إلى سُرّته يجرى كالقضيب ؛ لم يكن فى إبطه ولا صدره شعر غيره ، شَثْن الكفّ والقدَم ؛ إذا مشى كأنما ينحدر من صَبَب ؛ وإذا مشى كأنما ينقلع من صَخْر ، وإذا التفت التفت جميعًا ؛ ليس بالقصير ولا بالطويل ، ولا العاجز ولا اللئيم ؛ كأنّ العَرَق فى وجهه

(١) شثن الكفين : يميلان إلى الغلظ . (٢) الكراديس : ملتقى كل عظمين .
(٣) المسربة : الشعر ما بين وسط الصدر إلى البطن .
(٤) تكفأ : يميل إلى الأمام فى مشيه .
(٥) الصبب ، محركة : طريق يكون فى حدور .
(٦) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس ، أو ما سال على الأذنين منه .

اللؤلؤ ؛ ولريحُ عَرَقه أطيب من المسك ؛ لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم .

حدّثنا ابنُ المقدمىّ ، قال : حدّثنا يحيى بن محمد بن قيس الذى يقال
١٧٩٠/١ له أبو زُكيْر . قال : سمعتُ ربيعة بن أبى عبد الرحمن يذكر عن أنس بن مالك أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بُعث على رأس أربعين ؛ فأقام بمكة عشرًا وبالمدينة عشراً ، وتوفّىَ على رأسِ ستين ؛ ليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء ؛ ولم يكن رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم بالطويل البائن ، ولا القصير ؛ ولم يكن بالأبيض الأمْهَق[١] ؛ ولا الآدم ، ولم يكن بالجَعْد القَطَط ولا السَّبط[٢] .

حدثنى ابن المثنّى قال : حدّثنا يزيد بن هارون ، عن الجُرَيرىّ ، قال : كنت مع أبى الطُّفيل نطوف بالبيت ؛ فقال : ما بقىَ أحدٌ رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم غيرى ؛ قال : وقلت : أرأيتَه ؟ قال : نعم ، قلت : كيف كان صفتُه ؟ قال : كان أبيضَ مليحًا مقصّداً[٣] .

* * *

ذكر خاتم النبوة التى كانت به صلى الله عليه وسلم

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدّثنا الضّحاك بن مَخلد ، قال : حدّثنا عَزْرَة بن ثابت ، قال : حدّثنا عِلباء ، قال : حدّثنا أبو زيد ، قال : قال لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا زيد ، ادْنُ منى امسَحْ ظهرى — وكشف عن ظهره — قال : فمسَسْتُ ظهره ، ثم وضعتُ أصبعى على الخاتم[٤]
١٧٩١/١ فغمَزْتُها ، قال : قلت : وما الخاتم ؟ قال : شعرٌ مجمعٌ كان على كتفيْه .

حدّثنا ابن المثنى ، قال : حدّثنا بشر بن الوضّاح أبو الهيثم ، قال : حدّثنا أبو عقيل الدَّوْرَقىّ عن أبى نَضْرة ، قال : سألت أبا سعيد الخدرىّ عن الخاتم التى كانت للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال كانت بَضعةً ناشزة .

* * *

(١) الأمهق : الشديد البياض . (٢) السبط : المسترسل ، والجعد : القصير ، والقطط : شعر الزنج . (٣) المقصد : الذى ليس بالجسيم ولا الضئيل .
(٤) أنث كلمة « الخاتم » ، لأنه ضمنها معنى الشامة أو العلامة .

ذكر شجاعته وجوده صلى الله عليه وسلم

حدثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا حمّاد بن واقد، عن ثابت، عن أنس ، قال : كان نبيّ الله صلى الله عليه وسلّم من أحسنِ الناس ، وأسمح الناس ، وأشجع الناس ؛ لقد كان فزعٌ بالمدينة ، فانطلق أهلُ المدينة نحو الصوت ، فإذا هم قد تلقّوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على فرس عُرْى[1] لأبى طلحة ، ما عليه سَرْج ، وعليه السّيْف. قال : وقد كان سبقهم إلى الصَّوْت ، قال : فجعل يقول : يأيها الناس ، لم تُراعوا ، لم تُراعوا ! مرّتين ، ثم قال : يا أبا طلحة ، وجدناه بحراً ؛ وقد كان الفرس يبطّأ ، فما سبقه فرسٌ بعد ذلك.

حدّثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا عبدُ الرحمن بن مهدىّ ، قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أشجع الناس ، وأجودَ الناس ؛ كان فزعٌ بالمدينة فخرج الناس قبَل الصوت ، فاستبرأ الفزعَ على فرس لأبى طلحة عُرْى، ما عليه سَرْج، فى عنقه السيف . قال : وجدناه بحْرًا — أو قال : وإنه لبَحْرٌ .

* * *

ذكر صفة شعره صلى الله عليه وسلم وهل كان يخضب أم لا ١٧٩٢/١

حدّثنى ابنُ المثنى ، قال : حدّثنا مُعاذ بن معاذ ، قال : حدّثنا حَرِيز بن عثمان ، قال أبو موسى : قال مُعاذ : وما رأيتُ من رجل قطّ من أهل الشأم أفضلَه عليه ، قال : دخلنا على عبد الله بن بُسْر ، فقلت له من بين أصحابى : أرأيتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؟ أشَيْخا كان؟ قال : فوضع يده على عَنْفَقته ، وقال : كان فى عَنْفقته شعر أبيض .

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا أبو داود ، قال : حدثنا زُهير ، عن أبى إسحاق ، عن أبى جُحَيفة ، قال : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عنفقتُه بيضاء.، قيل: مثلُ مَنْ أنت يومئذ يا أبا جُحيفة ؟ قال : أبرِى النَّبل وأريشها .

حدّثنى ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا خالد بن الحارث ، قال : حدّثنا حُمَيد ، قال : سئل أنس : أخَضَب رسول الله ؟ قال : فقال أنس : لم يشتدّ برسول الله الشَّيْب ، ولكن خضب أبو بكر بالحنّاء والكَتَم [1] ، وخضب عمر بالحنّاء .

حدّثنا ابن المثنى ، قال : حدّثنا ابن أبى عدىّ ، عن حُميد ، قال : سئل أنسٌ : هل خَضَب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لم يُرَ من الشّيب إلاّ نحوٌ من تسع عشرة أو عشرين شعرة بيضاء فى مقدّم لحيته . قال : إنه لم يُشَنْ بالشَّيْب ، فقيل لأنس : وشَيْنٌ هو ! قال : كلُّكم يكرهه ؛ ولكن خضب أبو بكر بالحنّاء والكَتَم ، وخضَب عمر بالحناء .

حدّثنا ابنُ المثنى ، قال : حدّثنا مُعاذ بن معاذ ، قال : حدّثنا حُميد ، عن أنس ، قال : لم يكن الشيبُ الذى بالنبىّ صلى الله عليه وسلم عشرين شعـــرة . ١٧٩٣/١

حدّثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا عبدُ الرحمن ، قال : حدّثنا حمّاد ابن سلَمة ، عن سِمَاك ، عن جابر بن سَمُرة ، قال : ما كان فى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشيْب إلاّ شعرات فى مفرِق رأسه ؛ وكان إذا دهنه غَطّاهنّ .

حدّثنا ابنُ المثنى ، قال : حدّثنا عبدُ الرحمن بن مهدىّ ، قال : حدّثنا سلاّم بن أبى مَطيع ، عن عثمان بن عبد الله بن مَوْهَب ، قال : دخلتْ زوجُ النبىّ صلى الله عليه وسلم فأخرجتْ إلينا شعرًا من شعر رسول الله مخضوبًا بالحنّاء والكتَم .

حدّثنا ابنُ جابر بن الكردىّ الواسطىّ ، قال : حدّثنا أبو سفيان ، قال : حدّثنا الضّحاك بن حُمْرَة ، عن غَيْلان بن جامع ، عن إياد بن لَقيط ، عن أبى رِمْثَة ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يخضِب بالحنّاء والكَتَم ؛ وكان يبلغ شعره كَتِفيْه أو منكبيْه — الشكّ من أبى سفيان .

(١) الكتم محركة : نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر فيبقى لونه .

حدّثنا ابنُ المثنى ، قال : حدّثنا عبدُ الرحمن بن مهديّ ، عن إبراهيم — يعني ابن نافع — عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد ، عن أمّ هانئ ، قالت : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وله ضفائر أربع .

* * *

ذكر الخبر عن بدء مرض رسول الله الذى توفى فيه وما كان منه قبيل ذلك لما نعيت إليه نفسه صلى الله عليه وسلم

قال أبو جعفر : يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (١) . قد مضى ذكرُنا قبلُ ما كان من تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه — فى حجّته التى حجّها المسمّاة حجّة الوداع ، وحجّة التمام ، وحجة البلاغ — مناسكَهم ووصيّته إياهم ، بما قد ذكرت قبل فى خطبته التى خَطَبها بهم فيها . ١ /١٧٩٤

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من سَفَرِه ذلك بعد فراغه من حجّه إلى منزله بالمدينة فى بقيّة ذى الحجّة ، فأقام بها ما بقى من ذى الحجّة والمحرّم والصّفَر .

(١) سورة النصر ١ — ٣

ثم دخلت سنة إحدى عشرة

ذكر الأحداث التى كانت فيها

قال أبو جعفر : ثم ضرب فى المحرّم من سنة إحدى عشرة على النّاس بَعْثًا إلى الشأم ، وأمّر عليهم مولاه وابن مولاه أسامة بن زيد بن حارثة ، وأمره — فيما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن الحارث بن عيّاش بن أبى ربيعة — أن يوطئ الخيل تُخوم البلقاء والدّاروم من أرض فلسطين ، فتجهّز الناس ، وأوعب[1] مع أسامة المهاجرون الأولون[2].

فبينا الناس على ذلك ابتدئ صلى الله عليه وسلم شكْواه التى قبضه الله عزّ وجلّ فيها إلى ما أراد به من رحمته وكرامته. فى ليالٍ بقين من صَفَر، أو فى أول شهر ربيع الأول .

حدّثنا عبيدُ الله بن سعد[3] الزُّهرىّ، قال: حدّثنى عمّى يعقوب بن إبراهيم قال : أخبرنا سيف بن عمر ، قال : حدّثنا عبد الله بن سعيد بن ثابت
١/١٧٩٥ ابن الجزع الأنصارىّ ، عن عبيد بن حنين مولَى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، عن أبى مُوَيْهبة مولَى رسول الله ، قال : رجعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد ما قضى حجة التّمام ، فتحامّل به السيرُ ، وضرب على الناس بعثًا ، وأمّر عليهم أسامة بن زيد ، وأمره أن يوطئ من آبل الزيت من مشارف الشأم الأرض بالأردنّ ، فقال المنافقون فى ذلك ، وردّ عليهم النبىّ صلى الله عليه وسلم: «إنه لخليق لها — أى حقيق بالإمارة — وإن قلتم فيه لقد قلتم فى أبيه من قبل؛ وإن كان لخليقًا لها » . فطارت الأخبار بتحامّل السير بالنبىّ صلى الله عليه وسلم أنّ النبىّ قد اشتكى، فوثب الأسود باليمن ومسيلمة باليمامة ؛

(١) أوعب المهاجرون : جمعوا ما استطاعوا من العدة .

(٢) الخبر إلى هنا فى سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٢ .

(٣) ط : « سعيد » ، وأثبت ما فى التصويبات .

وجاء الخبر عنهما للنبيّ صلى الله عليه وسلم . ثم وثب طليحة فى بلاد أسَد بعد ما أفاق النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ثم اشتكى فى المحرّم وجعَه الذى قبضه الله تعالى فيه .

حدّثنا ابنُ سعد ، قال : حدّثنى عمّى يعقوب بن إبراهيم قال : أخبرناسيف ، قال : حدّثنا هِشام بن عروة ، عن أبيه ؛ قال : اشتكى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وجعَه الذى توفّاه الله به فى عقِب المحرّم .

وقال الواقدىّ : بُدِئ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه لليلتين بقيتا من صفر .

* * *

حدّثنا عبيد الله بن سعد ، قال : حدّثنى عمّى ، قال : حدّثنا سيف ابن عمر ، قال : حدّثنا المُسْتَنِير بن يزيد النَّخَعىّ ، عن عروة بن غَزِيّة الدِّئِلىّ ، عن الضحاك بن فيْرُوز بن الديلمىّ ، عن أبيه ، قال : إنّ أوّل رِدّة كانت فى الإسلام باليمن كانت على عهد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم على يدى ذى الخِمار عَبْهلة بن كعب — وهو الأسود — فى عامّة مذحِج. خرج بعد الوداع ؛ كان الأسود كاهنًا شَعْباذا[1] ، وكان يريهم الأعاجيب ، ١٧٩٦/١
ويسبِى قلوب مَنْ سمع منطقه ، وكان أوّل ما خرج أن خرجَ من كهف خُبّانٍ ؛ وهى كانت داره ، وبها ولد ونشأ ؛ فكاتبته مذحِج ، وواعدته نَجْران ؛ فوثبوا بها وأخرجوا عَمْرو بن حزم وخالد بن سعيد بن العاص وأنزلوه منزلهما ، ووثب قيس بن عبد يغوث على فَرْوة بن مُسَيك وهو على مُراد ، فأجلاه ونزل منزله ؛ فلم يَنْشَب عَبْهلة بنجْران أن سارَ إلى صنعاء فأخذها ، وكتب بذلك إلى النبيّ صلىّ الله عليه وسلم من فعله ونزوله صنعاء ؛ وكان أوّل خبر وقع به عنه من قِبَل فَرْوة بن مُسَيك ، ولحق بفروة من تمّ على الإسلام من مذْحِج ، فكانوا بالأحْسِيَة ، ولم يكاتبه الأسود ولم يرسل إليه ، لأنه لم يكن معه أحد يشاغبه ، وصفا له مُلْك اليمن .

(١) شعباذا : مشعبذا ، والشعبذة والشعوذة : أخذ كالسحر يرى الشىء بغير ما عليه أصله فى رأى العين .

حدّثنا عبيدُ الله ، قال : أخبرنى عمّى يعقوب ، قال : حدّثنى سيف ، قال : حدّثنا طَلحة بن الأعلم ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس ، قال : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم قد ضرب بَعْثَ أسامة فلم يستتبّ لوجع رسولِ الله ولخلع مسيلمة والأسود ؛ وقد أكثر المنافقون فى تأمير أسامة ، حتى بلَغه ؛ فخرج النبىّ صلى الله عليه وسلم علَى الناس عاصبًا رأسه من الصُّداع لذلك الشـــأن وانتشارِه ، لرؤيا رآها فى بيتِ عائشة : فقال : إنّى رأيتُ البارحةَ — فيما يرى النائم — أن فى عضدىّ سوارين من ذهب ؛ فكرهتُهما فنفختهما ، فطارا ، فأوّلتهما هذين الكذّابين — صاحب اليمامة وصاحب اليمن — وقد بلغنى أنّ أقوامًا يقولون فى إمارة أسامة ! ولعمرى لئنْ قالوا فى إمارته ، لقد قالوا فى ١٧٩٧/١
إمارة أبيه من قبله ! وإن كان أبوه لخليقًا للإمارة ، وإنه لخليق لها ؛ فأنفِذوا بعثَ أسامة . وقال : لعن الله الذين يتّخذون قبور أنبيائهم مساجدَ !

فخرج أسامة فضربَ بالجُرْف ؛ وأنشأ الناس فى العسكر ، ونجمَ طليحة وتمهّل الناس ، وثقُل[1] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فلم يستتمّ الأمر ؛ ينظرون أوّلهم آخرَهم ، حتى توفّى الله عزّ وجلّ نبيَّه صلى الله عليه وسلم .

كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، يقول : حدّثنا شُعيب بن إبراهيم التّميمىّ ، عن سيف بن عمر ، قال : حدّثنا سعيد بن عبيد أبو يعقوب ، عن أبى ماجد الأسدىّ ، عن الحضرمىّ بن عامر الأسدىّ ، قال : سألته عن أمر طُلَيحة ابن خُوَيلد ؛ فقال : وقع بنا الخبر بوجعِ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ثم بلَغَنا أن مسيلمة قد غلَب على اليمامة ، وأنّ الأسود قد غلَب على اليمن ؛ فلم يلبث إلا قليلاً حتى ادّعى طُليحة النبوّة ، وعسكر بسَميراء ، واتّبعه العوامّ ؛ واستكثف أمره ؛ وبعث حِبال ابنَ أخيه إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الموادعة ، ويخبره خبرَه . وقال حبال : إنّ الذى يأتيه ذو النون ؛ فقال : لقد سمّى ملَكًا ، فقال حِبال : أنا ابن خُوَيلد ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : قتلك الله وحرمك الشهادة !

(١) ثقل : اشتد عليه المرض .

وحدّثنى عبيدُ الله بن سعد ، قال : أخبرَنا عمّى يعقوب ، قال : أخبرنا سَيْف ، قال : وحدّثنا سعيد بن عبيد ، عن حُرَيْث بن المعلّى : أنّ أوّل مَنْ كتب إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم بخبر طُليحة سِنانُ بن أبى سنان ، ١٧٩٨/١
وكان على بنى مالك ؛ وكان قُضاعىّ بن عمرو على بنى الحارث .

حدّثنا عبيدُ الله بن سعد ، قال : أخبرَنا عمّى ، قال : أخبرنا سيف ، قال : أخبرَنا هِشام بن عُروة ، عن أبيه ، قال : حاربهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالرسل ، قال : فأرسل إلى نفرٍ من الأبناء رسولاً ، وكتب إليهم أن يحاولوه ، وأمرهم أن يستنجدوا رجالاً — قد سمّاهم — من بنى تميم وقيس ؛ وأرسل إلى أولئك النَّفَر أن ينجدوهم ، ففعلوا ذلك ؛ وانقطعت سُبل المرتدّة ، وطعنوا فى نقصان وأغلقهم ، واشتغلوا فى أنفسهم ، فأصيب الأسود فى حياة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم وقبل وفاته بيوم أو بليلة ، ولظّ طليحة ومسيلمة وأشباههم بالرّسل ؛ ولم يشغله ما كان فيه من الوجَع عن أمرِ الله عزّ وجلّ والذبّ عن دينه ، فبعث وبَر بن يُحنّس إلى فيروز وجُشيْش الديلمىّ وداذويه الإصطخرىّ ؛ وبعث جرير بن عبد الله إلى ذى الكَلاَع وذى ظُلَيم ، وبعث الأقرع بن عبد الله الحميرىّ إلى ذى زُود وذى مُرّان ، وبعث فرات بن حيّان العجلىّ إلى ثُمامة بن أثال ، وبعث زياد بن حنظلة التميمىّ ثم العمرى إلى قيس بن عاصم والزِّبْرِقان بن بدر ، وبعث صلصل بن شُرَحبيل إلى سَبْرة العنبرىّ ووكيع الدارمىّ وإلى عمرو بن المحجوب العامرىّ ، وإلى عمرو بن الخَفَاجىّ من بنى عامر ، وبعث ضرار بن الأزْور الأسدىّ إلى عَوْف الزرقانىّ من بنى ١٧٩٩/١
الصَّيْداء وسنان الأسدىّ ثم الغنمىّ ، وقضاعىّ الدُّئلىّ ، وبعث نعيم بن مسعود الأشْجَعى إلى ابن ذى اللحية وابن مشيمصة الجبيرىّ .

وحُدّثت عن هشام بن محمد ، عن أبى مِخْنف ، قال : حدّثنا الصقْعَب ابن زهير ، عن فقهاء أهل الحجاز ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وَجِع وجعه الذى قبض فيه فى آخر صفر فى أيام بقِين منه ؛ وهو فى بيت زينب بنت جحش .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمَة وعليّ بن مجاهد ، عن محمد ابن إسحاق ، عن عبد الله بن عمر بن عليّ ، عن عبيد بن جُبَير، مولى الحكم ابن أبي العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبي مُوَيهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بعثني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ، فقال لي : يا أبا مويهبة ، إني قد أمِرْتُ أن أستغفرَ لأهل البقيع ؛ فانطلق معي ، فانطلقت معه ، فلمّا وقف بين أظهرهم ، قال : السّلام عليكم أهلَ المقابر ؛ ليَهْنِ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ! أقبلت الفِتَن كقِطَع الليل المظلم ، يتبع آخرها أولها ، الآخرة شرٌّ من الأولى . ثم أقبل عليّ فقال : يا أبا مويهبة ، إني قد أوتيت مفاتيحَ خزائن الدنيا والخلْد فيها ، ثم الجنة ، خيِّرت بين ذلك وبين لقاء ربّي والجنة ، فاخترت لقاء ربّي والجنّة . قال : قلت : بأبي أنت وأمّي ! فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلْد فيها ، ثم الجنّة . فقال : لا والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربّي والجنة ، ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف فبدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجعه الذي قُبِض فيه[1] . ١٨٠٠/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، قال : حدّثنا محمد ابن إسحاق .

وحدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا عليّ بن مجاهد ، قال : حدّثنا ابنُ إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهريّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة ، عن عائشة زوج النبيّ صلّى الله عليه وسلم ، قالت : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع ، فوجدني وأنا أجدُ صُداعًا في رأسي ، وأنا أقول : وارأساه ! قال : بل أنا والله يا عائشة وارأساه ! ثمّ قال : ما ضرّكِ لو متِّ قبلي فقمتُ عليك وكفّنْتُك ، وصلّيت عليك ، ودفنتك ! فقلت : والله لكأنّي بك لو فعلت ذلك رجعتَ إلى بيتي فأعْرستَ

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

ببعض نسائك ، قالت : فتبسّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وتتامّ به وجعه ؛ وهو يدور على نسائه حتى استُعِزّ به[١] وهو فى بيت ميمونة ، فدعا نساءه ١٨٠١/١
فاستأذنهنّ أن يُمرّض فى بيتى ، فأذِنّ له[٢] .

فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين رجُلين من أهله : أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر تخطّ قَدماه الأرض ، عاصبًا رأسه حتى دخل بيتى .

— قال عبيد الله : فحدّثت هذا الحديث عنها عبدَ الله بن عباس ، فقال : هل تدرِى من الرجل ؟ قلت : لا ، قال : علىّ بن أبى طالب ، ولكنها كانت لا تقدر على أن تذكره بخير وهى تستطيع —

ثم غُمِر[٣] رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتدّ به الوجع ؛ فقال : أهريقوا علىّ من سبع قِرَب من آبار شتّى ؛ حتى أخرج إلى الناس فأعهدَ إليهم ، قالت : فأقْعَدْناه فى مِخضَب[٤] لحفصة بنت عمر ، ثم صبَبْنا عليه الماء حتى طَفِق يقول : حَسْبُكم ، حسبكم ! [٥] .

فحدّثنى حُميد بن الرّبيع الخراز ، قال : حدّثنا معن بن عيسى ، قال : حدّثنا الحارث بن عبد الملك بن عبد الله بن إياس الليثىّ ؛ ثم الأشجعىّ ، عن القاسم بن يزيد ، عن عبد الله بن قُسَيْط ، عن أبيه ، عن عطاء ، عن ابن عبّاس ، عن أخيه الفضْل بن عبّاس ، قال : جاءنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت إليه فوجدته موعوكًا قد عصَب رأسه ، فقال : خذ بيدِى يا فَضْل ، فأخذتُ بيده ؛ حتى جلَس على المنبر ، ثم قال : نادِ فى الناس . فاجتمعوا إليه ، فقال : أمّا بعدُ أيّها الناس ، فإنى أحمَد إليكم الله الذى لا إله ١٨٠٢/١
إلا هو ؛ وإنه قد دنا منّى حقوق من بين أظهركم ، فمن كنتُ جلدتُ له ظهرًا فهذا ظهرى فليستقِدْ منه ، ومنْ كنتُ شتمتُ له عِرْضًا فهذا عِرْضى فليستقِدْ منه ؛ ألاَ وإنّ الشحناء ليست من طبعى ولا من شأنى ، ؛ ألا وإنّ

(١) استعز به : اشتد به وجعه وغلبه على نفسه . (٢) الخبر إلى هنا فى سيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٦ .
(٣) غمر : أصابته غمرة المرض ؛ وهى شدته . (٤) المخضب : إناء يغتسل فيه .
(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٨ .

أحبّكم إلىّ مَنْ أخذ منّى حقًّا إن كان له ، أو حلّلنى فلقيت الله وأنا أطيبُ النفس ؛ وقد أرى أن هذا غير مُغْنٍ عنّى حتى أقوم فيكم مراراً .

قال الفضل : ثمّ نزل فصلّى الظهر ، ثم رجع فجلس على المِنْبر ، فعاد لمقالته الأولى فى الشحناء وغيرها ، فقام رجل فقال : يا رسول الله ؛ إنّ لى عندك ثلاثة دراهم ، قال : أعطِه يا فضل ، فأمرته فجلس . ثم قال : أيّها الناس ، مَنْ كان عنده شىء فليؤدّه ولا يقل فُضوح الدنيا ، ألاَ وإن فضوحَ الدنيا أيسرُ من فضوح الآخرة . فقام رجل فقال : يا رسولَ الله عندى ثلاثة دراهم غللتُها فى سبيل الله ، قال : ولِمَ غللتَها ؟ قال : كنت إليها محتاجًا ، قال : خُذْها منه يا فضل . ثم قال : يأيها النّاس ، مَنْ خَشِىَ من نفسه شيئًا فليقم أدعُ له . فقام رجل فقال : يا رسولَ الله ، إنّى لكذّاب ، إنّى لفاحش ، وإنى لنؤوم ؛ فقال : اللهمّ ارزقه صدقًا وإيمانًا ، وأذهِبْ عنه
١٨٠٣/١ النوم إذا أراد . ثم قام رجل فقال : والله يا رسولَ الله ، إنّى لكذّاب وإنى لمنافق ، وما شىء — أو إن شىء — إلاّ قد جنيتُه . فقام عمر بن الخطاب ، فقال : فضحتَ نفسك أيها الرجل ! فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : يابنَ الخطاب ، فضوح الدنيا أهونُ من فضوح الآخرة ، اللهمّ ارزقه صدقًا وإيمانًا وصيِّرْ أمرَه إلى خير .

فقال عمر كلمة ، فضحِك رسول الله ، ثمّ قال : عمر معِى وأنا مع عمر ، والحقّ بعدى مع عمر حيث كان .

حدّثنا ابنُ حُميد قال : حدّثنا سَلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزّهرىّ ، عن أيوب بن بشير ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خرجَ عاصبًا رأسه ؛ حتى جلس على المنبر ؛ ثم كان أوّل ما تكلّم به أنْ صلّى على أصحاب أحُد ، واستغفر لهم ؛ وأكثر الصلاة عليهم ، ثم قال : إنّ عبداً من عباد الله خيّره الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله . قال : ففهمها أبو بكر ، وعلم[1] أنّ نفسه يُريد ؛ فبكى ، وقال : بل نفديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : على

(١) ابن هشام : « وعرف » .

رِسْلك يا أبا بكر ! انظروا هذه الأبواب الشوارع اللافظة[١] فى المسجد فسُدّوها ؛ إلاّ ما كان من بيت أبى بكر[٢] ؛ فإنىّ لا أعلم أحداً كان أفضل عندى فى الصحبة يداً منه[٣] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بعض آل أبى سعيد بن المُعَلّى ، أنّ رسولَ الله قال يومئذ فى كلامه هذا : فإنّى لو كنت متّخِذاً من العباد خليلاً لاتّخذت ١/١٨٠٤
أبا بكر خليلاً ؛ ولكن صحبة وإخاءُ إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده[٤] .

وحدّثنى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدّثنى عمّى عبد الله ابن وهب ، قال : حدّثنا مالك ، عن أبى النَّضْر ، عن عُبيد بن حنين ، عن أبى سعيد الخُدرِىّ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جلس يوماً على المنبر ، فقال : إنّ عبداً خيّره الله بين أن يؤتيَه من زَهْرة الدنيا ما شاء ، وبين ما عند الله ؛ فاختار ما عند الله ؛ فبكى أبو بكر ثم قال : فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله ! قال : فتعجّبنا له ، وقال الناس : انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسولَ الله عن عبد يخيّر ، ويقول : فديناك بآبائنا وأمهاتنا ! قال : فكان رسول الله هو المخيَّر ، وكان أبو بكر أعلمنَا به ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنّ أمَنّ الناس علىّ فى صحبته وماله أبو بكر ؛ ولو كنتُ متّخذاً خليلاً لاتّخذت أبا بكر خليلاً ؛ ولكن أخوّة الإسلام ؛ لا تبق خَوْخة فى المسجد إلاّ خَوْخة أبى بكر .

حدّثنى محمد بن عمر بن الصبّاح الهمْدانىّ ، قال : حدّثنا يحيى بن عبد الرحمن ، قال : حدّثنا مسلم بن جعفر البَجَلىّ ، قال : سمعتُ عبد الملك ابن الأصبهانىّ عن خَلاّد الأسدىّ ، قال : قال عبد الله بن مسعود : نعى إلينا نبيُّنا وحبيبُنا نفسَه قبل موته بشهر ؛ فلمّا دنا الفراق جَمَعنا فى بيت أمنا عائشة ، فنظر إلينا وشدّد ، فدمعتْ عينُه ، وقال : مرحبًا بكم ! رحمكم الله ! ١/١٨٠٥

(١) اللافظة فى المسجد : النافذة إليه .
(٢) سيرة ابن هشام : « إلا بيت أبى بكر » . قال ابن هشام : ويروى : « إلا باب أبى بكر » .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٩ . (٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٩ .

آواكم الله ! حفظكم الله ! رفعكم الله ! نفعكم الله ! وفّقكم الله ! نصركم الله ! سلّمكم الله ! رحمكم الله ! قبلكم الله ! أوصيكم بتقوى الله ، وأوصي الله بكم ، وأستخلفه عليكم ، وأؤديكم إليه ؛ إني لكم نذير وبشير ، لا تعلوا على الله في عباده وبلاده ؛ فإنه قال لي ولكم : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَيُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالعَاقِبَةُ لِلْمتَّقِينَ ﴾(١). وقال: ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾(٢) . فقلنا : متى أجلك ؟ قال : قد دنا الفراق ، والمنقلبُ إلى الله، وإلى سِدْرَة المنْتَهَى . قلنا : فمن يغسلك يا نبيّ الله ؟ قال : أهلي الأدْنى فالأدنى، قلنا: ففيم نكفّنُك يا نبيّ الله ؟ قال : في ثيابي هذه إن شئتم ؛ أو في بياض مصر ، أو حلّة يمانيّة ، قلنا : فمن يصلّي عليك يا نبيّ الله ؟ قال: مهلاً غفر الله لكم ، وجزاكم عن نبيّكم خيراً ! فبكينا وبكَى النبيّ صلى الله عليه وسلم ،وقال : إذا غسّلتموني وكفّنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا ، على شفير قبري، ثم اخرجوا عنّي ساعة ، فإنّ أوّل منْ يصلّي عليّ جليسي وخليلي جبريل ، ثم ميكائيل ، ثم إسرافيل ، ثم ملَك الموت مع جنودٍ كثيرة من الملائكة بأجمعها ، ثم ادخلوا عليّ فَوْجًا فَوْجًا ، فصلوا عليّ وسلموا تسليماً ، ولا تؤذوني بتزكية ولا برنّة ولا صيْحة ، وليبدأ بالصّلاة عليّ رجالُ أهل بيتي ، ثم نساؤهم ، ثم أنتم بعد . أقرئوا أنفسكم منّي السلام ؛ فإنّي أشهدكم أنّي قد سلّمت علَى مَنْ بايعني على ديني من اليوم إلى يوم القيامة . قلنا : فمن يُدْخِلك في قبرك يا نبيّ الله ؟ قال : أهلي مع ملائكة كثيرين يروْنكم من حيث لا ترونهم . ١٨٠٦/١

حدّثنا أحمد بن حمّاد الدُّولابيّ ، قال : حدّثنا سُفيانُ ، عن سليمان ابن أبي مسلم ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : يوم الخميس وما يوم الخميس ! قال : اشتدّ برسولِ الله صلى الله عليه وسلم وجعُه ، فقال : ائتوني أكتب كتاباً لا تضلّوا بعدي أبداً. فتنازعوا — ولا ينبغي عند نبيّ أن يُتنازع —

(١) سورة القصص ٨٣ . (٢) سورة الزمر ٦٠ .

فقالوا: ما شأنه؟ أهَجَرَ[1] ! استفهموه؛ فذهبوا يعيدون عليه، فقال: دعونى فما أنا فيه خيرٌ مما تدعونى إليه ؛ وأوصى بثلاث ؛ قال : أخرِجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفدَ بنحوٍ مما كنت أجيزهم؛ وسكت عن الثالثة عمداً — أو قال : فنسيتها[2].

حدّثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا يحيى بن آدم ، قال : حدّثنا ابنُ عيينة ، عن سليمان الأحول ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : يوم الخميس ! ثم ذكر نحو حديث أحمد بن حماد ، غير أنه قال : ولا ينبغى عند نبىّ أن ينازَع .

حدّثنا أبو كُريب وصالح بن سَمّال ، قال: حدّثنا وكيع ، عن مالك ابن مِغْوَل ، عن طلحة بن مصرّف ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : يوم الخميس وما يوم الخميس ! قال : ثم نظرتُ إلى دموعه تسيل على ١/١٨٠٧
خدَّيْه كأنها نظام اللؤلؤ . قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ائتونى باللَّوح والدّواة — أو بالكَتِف والدّواة — أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعده . قال : فقالوا : إن رسول الله يَهْجُر .

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدّثنى عمى عبد الله ابن وهب ، قال : أخبرَنى يونس ، عن الزُّهرىّ ، قال : أخبرَنى عبد الله ابن كعب بن مالك ؛ أنّ ابنَ عباس أخبره أنّ علىّ بن أبى طالب خرَج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجعه الذى تُوفّىَ فيه ، فقال الناس : يا أبا حسن ، كيف أصبَح رسولُ الله ؟ قال: أصبح بحمد الله بارئاً، فأخذ بيده عبّاس بن عبد المطلب ، فقال: ألا ترَى أنك بعد ثلاث عَبْدُ العصا ! وإنى أرَى رسول الله سيُتَوفّى فى وجعه هذا ؛ وإنّى لأعرِف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت ؛ فاذهب إلى رسول الله فسلْه فيمَنْ يكون هذا الأمر ؟ فإن كان فينا علِمْنَا ذلك ، وإن كان فى غيرنا أمر به فأوصَى بنا. قال علىٌّ: والله لئن

(١) أهجر ، أى اختلف كلامه بسبب المرض ، وانظر نهاية ابن الأثير .
(٢) صحيح مسلم ٣ : ١٢٥٧ ، وروايته : « فأنسيتها » .

سألناها رسولَ الله فمنَعَناها لا يعطيناها النّاس أبداً ؛ والله لا أسألها رسولَ الله أبداً .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنا محمدُ بن إسحاق ، عن الزُّهريّ ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن عبد الله بن عبّاس ، قال : خرج يومئذ عليّ بن أبي طالب علَى الناس من عند رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نحوه ؛ غير أنه قال فى حديثه : أحلِف بالله لقد عرفت الموتَ فى وجه رسول الله كما كنت أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب ؛ ١٨٠٨/١
فانطلقْ بنا إلى رسول الله ؛ فإنْ كان هذا الأمر فينا علمنا ، وإن كان فى غيرنا أمَرْنا[1] فأوصى بنا الناس ؛ وزاد فيه أيضًا : فتوفّى رسولُ الله حين اشتدّ الضُّحَى من ذلك اليوم [2] .

حدّثنا سعيد بن يحيى الأمويّ ، قال : حدّثنا أبى ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : قال لنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أفرغوا علىّ من سبع قِرَب من سبع آبار شتّى ، لعلّى أخرج إلى الناس فأعهَدَ إليهم .

قال محمد ، عن محمد بن جعفر ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : فصببنا عليه من سبع قرَب ، فوجد راحةً ، فخرج فصلّى بالناس ، وخطَبهم ، واستغفر للشهداء من أصحاب أحُد ، ثم أوصى بالأنصار خيراً ، فقال : أمّا بعد يا معشر المهاجرين ، إنكم قد أصبحتم تزيدون ، وأصبحت الأنصار لا تزيد على هيئتها التى هى عليها اليوم ، والأنصار عيْبَتى [3] التى أويت إليها ، فأكرِموا كريمهم ، وتجاوزوا عن مُسيئهم . ثم قال : إنّ عبداً من عباد الله قد خُيّر بين ما عند الله وبين الدنيا فاختار ما عند الله ؛ فلم يفقهها إلاّ أبو بكر ؛ ظنّ أنه يريد نفسَه ، فبكى ، فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم : على رِسْلِك يا أبا بكر ! سدُّوا هذه الأبوابَ الشوارع فى المسجد إلا باب أبى بكر ؛ فإنى لا أعلم امرأً أفضلَ يداً فى الصحابة من أبى بكر .

(١) ابن هشام : « أمرناه » . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧١ .
(٣) عيبتى : موضع ثقتى وسرّى . والعيبة فى الأصل : ما يجعل فيه الثياب .

حدّثنا عمرو بن علىّ ، قال : حدّثنا يحيى بن سعيد القطّان ، قال : حدّثنا سُفيان ، قال : حدّثنا موسى بن أبى عائشة ، عن عبيد الله بن عبد الله ١٨٠٩/١
ابن عُتْبة ، عن عائشة ، قالت : لَدَدْنَا(١) رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه ، فقال : لا تلُدُّونى! فقلنا : كراهيةُ المريض الدواء . فلمّا أفاق قال : لا يبقى منكم أحدٌ إلا لُدّ ؛ غير العبّاس فإنه لم يشهدْكم .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق فى حديثه الذى ذكرناه عنه ، عن الزهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن عائشة ، قالت : ثم نزلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل بيته ، وتتامّ به وجعُه حتى غُمِر ، واجتمع عنده نساء من نسائه : أمّ سلَمة ، وميمونة ، ونساء من نساء المؤمنين ؛ منهنّ أسماء بنت عُميس ، وعنده عمُّه العباس بن عبد المطلب ، وأجمعوا على أن يلُدُّوه ، فقال العباس : لألُدّنه ، قال : فلُدّ ، فلما أفاقَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : مَنْ صنع بى هذا ؟ قالوا : يا رسول الله ، عمّك العباس ، قال : هذا دواء أتى به نساء من نحو هذه الأرض — وأشار نحو أرض الحبشة — قال : ولم فعلتم ذلك ؟ فقال العباس : خشينا يا رسولَ الله أن يكون بك وجع ذات الجَنْب ، فقال : إن ذلك لداء ما كان الله ليعذّبَنى به ، لا يبقى فى البيت أحدٌ إلا لُدّ إلاّ عمّى . قال : فلقد لدّت ميمونة وإنها لصائمة لقسم رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ عقوبةً لهم بما صنعوا .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، أنّ عائشة حدّثته أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم حين قالوا : خشينا أن يكونَ بك ذات الجَنْب ، قال : إنّها من الشيطان ؛ ولم يكن الله ليسلّطها على . ١٨١٠/١

حُدّثتُ عن هشام بن محمد ، عن أبى مِخنف ، قال : حدّثنى الصّقْعب ابن زهير ، عن فقهاء أهل الحجاز ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثَقُل فى وجعه الذى تُوُفّىَ فيه حتى أغْمِىَ عليه ؛ فاجتمع إليه نساؤه وابنته وأهلُ

(١) اللد : أن يجعل الدواء فى شق الفم .

بيته والعبّاس بن عبد المطلب وعلىّ بن أبى طالب وجميعهم ؛ وإنّ أسماءَ بنت عُميس قالت : ما وجعه هذا إلاّ ذات الجنْب ، فلُدّوه ، فلددناه ، فلما أفاق، قال : مَنْ فعل بى هذا ؟ قالوا : لَدَّتْك أسماء بنت عُميس ؛ ظنّتْ أنّ بك ذات الجنْب . قال : أعوذ بالله أن يُبليَنى بذات الجنْب ؛ أنا أكرم على الله من ذلك .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن سعيد بن عُبَيد بن السبّاق، عن محمد بن أسامة بن زيد ، عن أبيه أسامة ابن زيد ، قال : لما ثقُل رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم هبطتُ وهبط الناس معى إلى المدينة ، فدخلنا علَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أصْمت فلا يتكلّم، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها علىّ ، فعرفتُ أنه يدعُو لى[1].

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن عائشة ، قالت : كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم كثيراً ما أسمعه ، وهو يقول : إنّ الله عزّ وجلّ لم يقبض نبيًّا حتى يخيّره[2] .

حدثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا يونس بن بكير ، قال : حدّثنا يونس بن عمرو ، عن أبيه ، عن الأرقم بن شُرَحبيل ، قال : سألتُ ابنَ عباس : أوصَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا ، قلت : فكيف
١٨١١/١ كان ذلك ؟ قال : قال رسول الله : ابعثوا إلى علىّ فادعوه ، فقالت عائشة : لو بعثتَ إلى أبى بكر ! وقالت حفصة : لو بعثتَ إلى عمر ! فاجتمعوا عنده جميعًا ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : انصرفوا ، فإن تك لى حاجة أبعثُ إليكم؛ فانصرفوا، وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : آن الصلاة ؟ قيل : نعم ، قال : فأمروا أبا بكر ليُصلّىَ بالناس ، فقالت عائشة : إنه رجلٌ رقيق ، فمُرْ عمر ، فقال : مُرُوا عمر ، فقال عمر : ما كنت لأتقدّم وأبو بكر

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٠ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٠ : وبقية الخبر هناك : « قالت : فلما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آخر كلمة تكلّمها منه وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة ، قالت : فقلت : إذاً والله لا يختارنا ! وعرفت أنه الذى كان يقول لنا : إن نبيا لم يقبض حتى يخير » .

شاهد ، فتقدّم أبو بكر ، ووجد رسولُ الله خِفّةً ، فخرج ، فلمّا سمع أبو بكر حركتَه تأخّر ، فجذب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثوبه ، فأقامه مكانه ، وقعد رسول الله ، فقرأ من حيث انتهى أبو بكر .

حدّثنا ابنُ وكيع ، قال : حدّثنا أبى ، عن الأعمش ، قال : [و] حدّثنا أبو هشام الرفاعىّ ، قال : حدّثنا أبو معاوية ووكيع ، قالا : حدّثنا الأعمش ، وحدّثنا عيسى بن عثمان بن عيسى ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة ، قالت : لما مرض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المرضَ الذى مات فيه ، أذِّنَ بالصلاة ، فقال : مُرُوا أبا بكر أنْ يصَلِّىَ بالناس ، فقلت : إنّ أبا بكر رجلٌ رقيق ، وإنه متى يقوم مقامَك لا يطيق ! قال : فقال : مروا أبا بكر يصلّى بالناس ، فقلت مثل ذلك ، فغضِب ، وقال : إنكنّ صواحبُ يوسف — وقال ابن وكيع : « صواحبات يوسف » — مُروا أبا بكر يصلّى بالناس ، قال : فخرج يُهادَى بين رجلين وقدماه تخُطّان فى الأرض ؛ فلما دنا من أبى بكر ، تأخّر أبو بكر ؛ فأشار إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن قُمْ فى مقامك ، فقعد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فصلّى إلى جنب ١٨١٢/١
أبى بكر جالسًا . قالت : فكان أبو بكر يصلّى بصلاة النبىّ ، وكان الناس يصلّون بصلاة أبى بكر . اللفظ لحديث عيسى بن عثمان .

حُدّثت عن الواقدىّ ، قال : سألت ابن أبى سَبْرة : كم صلّى أبو بكر بالناس ؟ قال : سبع عشرة صلاة ، قلت : مَنْ أخبرك ؟ قال : أيوب بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة ، عن رجلٍ من أصحابِ النبىّ صلى الله عليه وسلم . قال : وحدّثنا ابنُ أبى سَبْرة ، عن عبد المجيد بن سُهَيل ، عن عِكْرِمة ، قال : صلّى بهم أبو بكر ثلاثةَ أيام .

حدّثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدّثنا شُعيب بن الليث ، عن الليث ، عن يزيد بن الهاد ، عن موسى بن سَرْجِس ، عن القاسم ، عن عائشة ، قالت : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يموت ، وعنده قدحٌ فيه ماء يُدخل يده فى القدح ، ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول : اللهم أعنّى على سَكْرة الموت !

حدّثنى محمد بن خلَف العسقلانىّ ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدّثنا الليث بن سعد ، عن ابن الهاد ، عن موسى بن سَرْجِس ، عن القاسم بن محمد عن عائشة ، قالت : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت . ثم ذكر مثله ؛ إلا أنه قال : أعِنّى على سَكَرات الموت .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن
١٨١٣/١ الزهرىّ ، قال : حدّثنا أنَس بن مالك ، قال : لما كانَ يوم الاثنين ، اليوم الذى قُبِض فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، خرجَ إلى الناس وهم يصلون الصبح ، فرَفَعَ السِّترَ ، وفتح الباب ، فخرج رسولُ الله ؛ حتى قام بباب عائشة ، فكاد المسلمون أن يفتتِنُوا فى صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه ؛ فَرَحا به ، وتفرّجوا . فأشار بيده : أن اثبتوا على صلاتكم ، وتبسّم رسولُ الله فرحًا لمّا رأى من هيئتهم فى صلاتهم ، وما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ هيئة منه تلك الساعة ؛ ثم رجع وانصرف الناس ، وهم يظنّون أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد أفاق من وجعه ، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح[1] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، عن ابن إسحاق ، عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى مُلَيْكة ، قال : لما كان يومُ الاثنين خرجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصبًا رأسه إلى الصُّبح ؛ وأبو بكر يصلّى بالناس ؛ فلما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تفرّج الناس ، فعرف أبو بكر أن الناس لم يفعلوا ذلك إلاّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنكص عن مصلاّه ، فدفع رسول الله فى ظهره ، وقال : صلّ بالناس . وجلس رسول الله إلى جنبه ؛ فصلّى قاعداً عن يمين أبى بكر ؛ فلمّا فَرغ من الصّلاة ، أقبل على الناس وكلّمهم رافعًا صوته حتى خرج صوته من باب المسجد ؛ يقول : يأيّها الناس ، سُعِّرت النار ، وأقبلت الفتن كقِطَع الليل المظلم ! وإنّى والله لا تمْسِكون علىّ شيئًا ؛ إنّى لم أحِلّ لكم إلا ما أحَلّ لكم القرآن ، ولم أحرّم عليكم إلا ما حرّم عليكم القرآن . فلما فرغَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من كلامه ، قال له أبو بكر :

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٠ ، ٣٧١ .

١٨١٤/١ يا نبيّ الله ؛ إنّى أراك قد أصبحت بنعمة الله وفضله كما نحبُّ ، واليوم يوم ابنة خارجة ، فآتيها . ثم دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وخرجَ أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن يعقوب بن عُتْبة ، عن الزهرىّ ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم حين دخل من المسجد ، فاضطجع فى حِجْرى ، فدخل علىّ رجل من آل بكر فى يده سواك أخضر . قالت : فنظر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى يده نظراً عرفتُ أنه يريده ، فأخذته فمضغتُه حتى ألنْتُه ، ثم أعطيته إياه ؛ قالت : فاستنّ به كأشدّ ما رأيته يستنُّ بسواك قبله ، ثم وضعه ؛ ووجدت رسول الله يثقل فى حِجْرى . قالت : فذهبت أنظر فى وجهه ، فإذا نظره قد شَخص ، وهو يقول : بل الرفيق الأعلَى من الجنّة ! قالت : قلت : خُيِّرتَ فاخترتَ والذّى بعثَك بالحق ! قالت : وقُبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عبّاد بن الزبير ، عن أبيه عبّاد ، قال : سمعتُ عائشةَ تقول : مات رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بين سَحْرى ونَحْرى وفى دوْرى ؛ ولم أظلِم فيه أحداً ، فمِن سَفَهِى وحداثة سنّى أنّ رسول الله قُبِض وهو فى حجرى ، ثم وضعت رأسه على وسادة ؛ وقمت ألتَدِمُ مع النساء ، وأضرب وجهى [1] .

* * *

ذكر الأخبار الواردة باليوم الذى توفى فيه رسول الله ومبلغ سنه يوم وفاته

١٨١٥/١

قال أبو جعفر : أما اليوم الذى مات فيه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فلا خلاف بين أهل العلم بالأخبار فيه أنّه كان يومَ الاثنين من شهر ربيع الأوّل ، غير أنه

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧١ .

اختُلف فى أىّ الأثانين كان موته صلى الله عليه وسلم ؟ فقال بعضهم فى ذلك ما حُدّثت عن هشام بن محمد بن السائب، عن أبى مِخنَف، قال : حدّثنا الصَّقْعَب بن زهير ، عن فقهاء أهل الحجاز ، قالوا : قُبِض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نصفَ النهار يوم الاثنين ، لليلتَيْن مَضَتا من شهر ربيع الأول ، وبويع أبو بكر يوم الاثنين فى اليوم الذى قُبِض فيه النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وقال الواقدىّ : تُوُفِّىَ يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة خلَتْ من شهر ربيع الأوّل ، ودفن من الغد نصفَ النهار حين زاغت الشمس ، وذلك يوم الثلاثاء .

قال أبو جعفر : تُوُفِّىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بالسُّنْح وعمر حاضِرٌ . فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزُّهرىّ، عن سعيد بن المسيّب ، عن أبى هريرة، قال: لما تُوُفِّىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قام عمر بن الخطاب ، فقال : إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله تُوُفِّىَ وأنّ رسول الله والله ما مات ؛ ولكنه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران ، فغاب عن قومه أربعين ليلة ؛ ثم رجع بعد أن قيل قد مات ؛ والله ليرجعَنّ رسولُ الله فليقطعنّ أيدى رجال وأرجلهم يزعمون أنّ رسول الله مات . ١٨١٦/١

قال : وأقبلَ أبو بكر حتّى نزلَ على باب المسجد حين بلَغه الخبر ، وعمرُ يكلّم الناس ؛ فلم يلتفت إلى شىء حتّى دخلَ علَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة ؛ ورسول الله مُسَجًّى[1] فى ناحية البيت ، عليه بُرْد حِبَرة[2]، فأقبل حتى كشف عن وجهه ، ثم أقبل عليه فقبّله ، ثم قال : بأبى أنت وأمّى ! أما الموْتة التى كتب الله عليك فقد ذُقْتَها ، ثمّ لن يصيبَك بعدها موتةٌ أبداً . ثم ردَّ الثَّوْب على وجهه ، ثم خرج وعمرُ يكلّم الناس ، فقال: على رِسْلِك يا عمر! فأنصت ، فأبى إلاّ أن يتكلّم ، فلما رآه أبو بكر لا يُنصِت أقبل على الناس ، فلمّا سمع الناسُ كلامَه أقبلوا عليه ،

(١) مسجى : مغطى .

(٢) الحبرة : ضرب من ثياب اليمن .

وتركوا عمر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : أيّها الناس ؛ إنه مَنْ كان يعبُد محمداً فإن محمداً قد مات ؛ ومَنْ كان يعبد الله فإنّ الله حيٌّ لا يموت. ثم تلا هذه الآية : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ....﴾[1] إلى آخر الآية. قال : فوالله لكأنّ الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى تلاها أبو بكر يومئذ . قال : وأخذها الناس عن أبي بكر فإنما هي في أفواههم .

١٨١٧/١ قال أبو هريرة : قال عمر : والله ما هو إلاّ أن سمعتُ أبا بكر يتلوها فعَقِرتُ[2] حتى وقعتُ إلى الأرض ؛ ما تحملني رِجْلاى ، وعرفتُ أنّ رسولَ الله قد مات[3].

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا جَرير ، عن مغيرة ، عن أبي معشر زياد بن كُلَيْب ، عن أبي أيّوب ، عن إبراهيم ، قال : لما قُبِض النبيُّ صلّى الله عليه وسلم كان أبو بكر غائبًا ، فجاءَ بعد ثلاث ، ولم يجترئْ أحدٌ أن يكشِفَ عن وجهه ؛ حتى اربدَّ بطنُه ؛ فكشف عن وجهه ، وقبّل بين عينيه ، ثم قال : بأبي أنت وأمّي ! طبْت حيًّا وطبت ميّتًا ! ثم خرج أبو بكر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : مَنْ كان يعبدُ الله فإنّ الله حيٌّ لا يموت ، ومَنْ كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات . ثم قرأ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾.[1] وكان عمر يقول : لم يمُت ؛ وكان يتوعّد الناس بالقتل في ذلك .

فاجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعِدة ليبايعوا سعدَ بن عُبادة ، فبلَغ ذلك أبا بكر ، فأتاهم ومعه عُمر وأبو عبيدة بن الجرّاح ، فقال : ما هذا ؟

(١) سورة آل عمران ١٤٤ .

(٢) عقرت : دهشت .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧١ ، ٣٧٢ .

فقالوا : منّا أميرٌ ومنكم أمير ، فقال أبو بكر : منّا الأمراء ومِنْكم الوزراء .

ثم قال أبو بكر : إنّي قد رضيتُ لكم أحدَ هذيْن الرجُلين : عمر أو أباعبيدة ، إنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم جاءَه قومٌ فقالوا : ابعث معنا أمينًا فقال : لأبعثنّ معكم أمينًا حقّ أمين ؛ فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح ؛ وأنا أرضَى لكم أبا عُبيدة . فقام عمر ، فقال : أيّكُم تطيب نفسه أن يخلُف قدَمَيْن قدّمهما النبيّ صلى الله عليه وسلم ! فبايعه عمر وبايعه الناس ، فقالت الأنصار — أو بعض الأنصار ؛ لا نبايع إلاّ عليًّا . ١٨١٨/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا جرير ، عن مغيرة ، عن زياد بن كليب ، قال : أتى عمرُ بن الخطاب منزلَ عليّ وفيه طلحة والزبير ورجالٌ من المهاجرين ، فقال : والله لأحرقنّ عليكم أو لتخرُجُنّ إلى البَيْعة . فخرج عليه الزبيرُ مُصْلِتًا بالسيف ، فعثر فسقط السَّيْف من يده ، فوثبوا عليه فأخذوه .

حدّثنا زكرياء بن يحيى الضرير ، قال : حدّثنا أبو عَوانة ، قال : حدّثنا داود بن عبد الله الأوْدِيّ ، عن حُمَيد بن عبد الرحمن الحميريّ ، قال : تُوُفّيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في طائفة من المدينة ، فجاء فكشف الثوبَ عن وجْهه فقبّله ، وقال : فِداك أبي وأمي ! ما أطْيَبَك حيًّا وميتًا ! مات محمدٌ وربّ الكعبة ! قال : ثم انطلق إلى المنبر ، فوجد عمر ابن الخطاب قائمًا يُوعِد الناس ، ويقول : إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حيٌّ لم يمت ؛ وإنه خارج إلى من أرْجَفَ به ، وقاطع أيدِيَهم ، وضارب أعناقَهم ، وصالبهم . قال : فتكلّم أبو بكر ، وقال : أنصتْ . قال : فأبى عمر أن يُنصت ، فتكلّم أبو بكر ، وقال : إن الله قال لنبيّه صلى الله عليه وسلم : ﴿ إنكَ مَيِّت وَإنَّهُمْ مَيِّتُون * ثُمَّ إنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُون ﴾ (١) . ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قد خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ . . . ﴾ (٢) ؛ حتى ختم الآية ، فمن ١٨١٩/١

(١) سورة الزمر ٣٠ ، ٣١ . (٢) سورة آل عمران ١٤٤ .

كان يعبدُ محمداً فقد مات إلهه الذى كان يعبُده ، ومَنْ كان يعبد الله لا شريك له ، فإن الله حيٌّ لا يموت .

قال : فحلف رجالٌ أدركناهم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : ما علمنا أنّ هاتين الآيتين نزلتَا حتى قرأهما أبو بكر يومئذ ؛ إذ جاء رجل يسعَى فقال : هاتِيكَ الأنصار قد اجتمعتْ فى ظُلّة بنى ساعدة ، يبايعون رجلاً منهم ، يقولون : منّا أميرٌ ومن قريش أمير ، قال : فانطلق أبو بكر وعمر يتقاوَدان حتى أتياهم ؛ فأرادعمر أن يتكلّم ، فنهاه أبو بكر ، فقال : لا أعصى خليفةَ النبىّ صلى الله عليه وسلم فى يوم مرّتَيْن .

قال : فتكلّم أبو بكر ، فلم يترك شيئًا نزل فى الأنصار ، ولا ذكره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من شأنهم إلاّ وذكره . وقال : لقد علمتُم أنّ رسولَ الله قال : لوسلك النّاس واديًا وسلكت الأنصارُ واديًا سلكتُ وادىَ الأنصار ، ولقد علمتَ يا سعد أنّ رسول الله قال وأنت قاعدٌ : قريش ولاةُ هذا الأمر ، فبَرُّ الناس تَبَعٌ لبَرّهم ، وفاجرهم تبعٌ لفاجرهم . قال : فقال سعد : صدقتَ ، فنحن الوزراء وأنتم الأمراء . قال : فقال عمر : ابسُطْ يدك يا أبا بكر فلأبايعك ؛ فقال أبو بكر : بل أنت يا عمر ، فأنتَ أقوَى لها منّى . قال : وكان عمر أشدّ الرجلين ، قال : وكان كلٌّ واحد منهما يريد صاحبَه يفتح يده يضرب عليها ، ففتح عمر يد أبى بكر وقال : إن لك قوّتى مع قوّتك . قال : فبايع الناس واستثبتوا للبيْعة ، وتخلّف علىّ والزّبير ، واخترط الزُّبير سيفَه ، وقال : لا أغمده ١٨٢٠/١
حتى يُبايَع علىٌّ ، فبلغ ذلك أبا بكر وعمر ، فقال عمر : خُذُوا سيفَ الزُّبير ، فاضربوا به الحجرَ . قال : فانطلق إليهم عمر ، فجاء بهما تعبًا ، وقال : لتبايعانِ وأنتما طائعان ، أو لتبايعان وأنتما كارهان ! فبايعا .

* * *

حديث السقيفة

حدثنى علىّ بن مسلم ، قال : حدّثنا عبّاد بن عبّاد ، قال : حدّثنا عباد بن راشد ، قال : حدّثنا عن الزهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، عن ابن عبّاس ، قال : كنت أقْرئ عبدَ الرحمن بنَ عوْف القرآن ، قال :

فهرس الموضوعات

صفحة

بيان ٥ — ٧

السنة السابعة

غزوة خيبر ٩ — ١٦
ذكر غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وادى القرى . ١٦ — ١٧
أمر الحجاج بن علاط السلمىّ ١٧ — ١٩
ذكر مقاسم خيبر وأموالها ١٩ — ٢١
حوادث متفرقة ٢١ — ٢٣
عُمرة القضاء ٢٣ — ٢٦

* * *

السنة الثامنة

خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثى بنى الملوّح . . ٢٧ — ٢٩
إسلام عمرو بن العاص ٢٩ — ٣١
غزوة ذات السلاسل ٣٢ — ٣٣
غزوة الخبَط ٣٢ — ٣٣
حوادث متفرّقة ٣٤ — ٣٦
ذكر الخبر عن غزوة مؤتة ٣٦ — ٤٢
ذكر الخبر عن فتح مكة ٣٨ — ٦١
حوادث متفرّقة ٦٢ — ٦٦
مسير خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة بن مالك . . ٦٦ — ٦٩
غزوة هوازن بحنين ٧٠ — ٨٢
غزوة الطائف ٨٢ — ٨٥

صفحة

أمر أموال هوازن وعطايا المؤلفة قلوبهم منها . . ٨٦ — ٩٤
عمرة رسول الله من الجعرانة ٩٤ — ٩٥

* * *

السنة التاسعة

أمر ثقيف وإسلامها ٩٦ — ١٠٠
ذكر الخبر عن غزوة تبوك ١٠٠ — ١١١
أمر طيّىء وعدىّ بن حاتم ١١١ — ١١٥
قدوم وفد تميم ونزول سورة الحجرات . . . ١١٥ — ١٢٠
قدوم رسول ملوك حمير على رسول الله بكتابهم . . ١٢٠ — ١٢٢
حوادث متفرّقة ١٢٢ — ١٢٤
قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً عن بنى سعد . . . ١٢٤ — ١٢٥

* * *

السنة العاشرة

سريّة خالد بن الوليد إلى بنى الحارث بن كعب وإسلامهم ١٢٦ — ١٣٠
حوادث متفرّقة ١٣٠
قدوم وفد الأزْد ١٣٠ — ١٣١
سريّة علىّ بن أبى طالب إلى اليمن . . . ١٣١ — ١٣٢
قدوم وفد زُبيد ١٣٢ — ١٣٤
قدوم فروة بن مسيك المرادىّ ١٣٤ — ١٣٦
قدوم الجارود فى وفد عبد القيس . . . ١٣٦ — ١٣٧
قدوم وفد بنى حنيفة ومعهم مسيلمة . . . ١٣٧ — ١٣٨
قدوم الأشعث بن قيس فى وفد كِنْدة . . . ١٣٨ — ١٣٩
حوادث متفرّقة ١٣٩ — ١٤٠
قدوم رفاعة بن زيد الجذامىّ ١٤٠ — ١٤٣

صفحة

وفد بنى عامر بن صعصعة ١٤٤ — ١٤٥
قدوم زيد الخيل فى وفد طيّئ ١٤٥ — ١٤٦
كتاب مسيلمة إلى رسول الله والجواب عنه . . ١٤٦ — ١٤٧
خروج الأمراء والعمال على الصدقات . . . ١٤٧
حجّة الوداع ١٤٨ — ١٥٢
ذكر جملة الغزوات ١٥٢ — ١٥٤
ذكر جملة السرايا والبعوث ١٥٥ — ١٥٨
حوادث متفرّقة ١٥٨ — ١٥٩
ذكر الخبر عن حج رسول الله صلى الله عليه وسلم . ١٥٩ — ١٦٠
ذكر الخبر عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم . ١٦٠ — ١٦٨
ذكر من خطب النبي صلى الله عليه وسلم من النساء ثمّ لم ينكحهنّ ١٦٩
ذكر سرارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ١٦٩
ذكر موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ١٦٩ — ١٧٢
ذكر من كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم . ١٧٣
أسماء خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ١٧٣ — ١٧٤
ذكر أسماء بغال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ١٧٤
ذكر أسماء إبله صلى الله عليه وسلم . . . ١٧٤ — ١٧٥
ذكر أسماء لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم . ١٧٥ — ١٧٦
ذكر أسماء منائح رسول الله صلى الله عليه وسلم . ١٧٦
ذكر أسماء سيوف رسول الله صلى الله عليه وسلم . ١٧٦
ذكر أسماء قسيّه ورماحه صلى الله عليه وسلم . ١٧٦
ذكر أسماء دروعه صلى الله عليه وسلم . . . ١٧٧ — ١٧٨
ذكر ترسه صلى الله عليه وسلم ١٧٨
ذكر أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ١٧٨ — ١٧٩

صفحه

ذكر صفة النبيّ صلى الله عليه وسلم . . . ١٧٩ — ١٨٠
ذكر خاتم النبوة التى كانت به صلى الله عليه وسلم . ١٨٠
ذكر شجاعته وجوده صلى الله عليه وسلم . . . ١٨١
ذكر صفة شعره صلى الله عليه وسلم وهل كان يخضب أم لا ؟ ١٨١ — ١٨٣
ذكر الخبر عن بدء مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٨٣

* * *

السنة الحادية عشرة

ذكر الأحداث التى كانت فيها . . . ١٨٤ — ١٩٩
ذكر الأخبار الواردة باليوم الذى توفى فيه رسول الله ومبلغ
سنّه يوم وفاته ١٩٩ — ٢٠٣
حديث السقيفة ٢٠٣ — ٢١٠
ذكر جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه . . ٢١٠ — ٢١٦
ذكر الخبر عن اليوم والشهر اللّذين توفّىَ فيهما رسول الله صلى
الله عليه وسلم ٢١٧ — ٢١٨
ذكر الخبر عمّا جرى بين المهاجرين والأنصار فى أمر الإمارة
فى سقيفة بنى ساعدة ٢١٨ — ٢٢٣
ذكر أول أمر أبى بكر فى خلافته . . . ٢٢٣ — ٢٢٧
بقيّة الخبر عن أمر الكذاب العنسىّ . . . ٢٢٧ — ٢٤٠
حوادث متفرّقة ٢٤٠ — ٢٤٩
كتاب أبى بكر إلى قبائل العرب المرتدة ووصيته للأمراء ٢٤٩ — ٢٥٢
ذكر بقيّة الخبر عن غطفان حين انضمت إلى طليحة وما آل
إليه أمر طليحة ٢٥٣ — ٢٦١
ذكر ردّة هوازن وسليم وعامر ٢٦١ — ٢٦٧
ذكر خبر بنى تميم وأمر سجاح بنت الحارث بن سويد ٢٦٧ — ٢٧٥
ذكر البطاح وخبرُه ٢٧٦ — ٢٨٠